رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعليقات البازية

على شرح الطحاوية

الجزء الأول

لسماحة الشيخ الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

أعده

أبو سفيان

غزاي بن حمدان حسين الوهبي الأسلمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار ابن الأثير

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعليقات البازية على شرح الطحاوية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

دار ابن الأثير
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦
هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨
التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعليقات البازية على شرح الطحاوية

الجزء الأول

سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى

أعده
أبو سفيان
غزاي بن حمدان حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعــد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

فإن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ومبلغين عن الله رسالاته ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام، محمد رسول الله ﷺ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان

والشرائع، فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو ﷺ فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ، حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً سفراً وحضراً، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، و محمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى.

وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، بعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وذم الله من لم يعرف قدر هذه النعمة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] والمقصود أن الله بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة، لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي، خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبيًّا من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل في العلم بالله وشريعته، واطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الأنعام: ١٣٥] وقد أنجز الله موعده له، صلوات الله وسلامه عليه، فإنه تعالى مكّن له في البلاد، وحكّمه في نواصي مخالفيه من

العباد، وفتح له مكة، وأظهره على من كذّبه من قومه وناوأه، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب، وكذلك اليمن والبحرين، وكل ذلك في حياته، ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه رضي الله عنهم أجمعين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقال تعالى إخباراً عن رسله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] وقد فعل الله تعالى ذلك بهذه الأمة، وله الحمد والمنة أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً، وصلوات الله وسلامه على رسوله دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار (١).

وقال ﷺ: **«وكان النبي يُبْعَث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»**(٢) وذلك لكمال شريعته وعمومها وسعتها، واشتمالها على الصلاح المطلق، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، ولا يتم الصلاح إلا

---

(١) من تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله.

(٢) رواه البخاري (٣٢٨) كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

بها، وقد أسست للبشر أصولاً عظيمة، متى اعتبروها صلحت لهم دنياهم كما صلح لهم دينهم(١)، فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣] أي بالعلم النافع والعمل الصالح.

وأمر سبحانه عند التنازع بالرد إليه فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩] وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، ودل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك؛ فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] فهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] أي باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله من بركة سفارته(٢).

وقال ﷺ حين بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن: «**وتطاوعا** - أي توافقا في الحكم - **ولا تختلفا**» لأن ذلك يؤدي إلى

---

(١) بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي رحمه الله (٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله.

اختلاف أتباعكما، فيفضي إلى العداوة ثم المحاربة، والمرجع في الاختلاف إلى ما جاء في الكتاب والسنة(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢] تدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي، خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه، ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] وهذا إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً**

(١) فتح الباري ١٣/ ١٦٢.

لما جئت به»[(١)] ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله.

وأمر الله تعالى بالاقتداء بنبيه فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزّ وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين[(٢)].

فـ «محمد» ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ملوكهم وزهادهم، الأولياء منهم وغير الأولياء، فليس لأحد الخروج عن متابعته باطناً وظاهراً، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل، لا في العلوم ولا الأعمال، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى، وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر[(٣)].

---

(١) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٩ وابن بطة في الإبانة ١/ ٣٨٧ والبغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥) وضعفه الألباني، وقال النووي في الأربعين النووية: حديث صحيح، وفيه نعيم بن حماد مختلف فيه.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢/ ٢٣٤.

قال البخاري رحمه الله: وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي ﷺ، ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله ﷺ، ثم تابعه بعد عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ. أهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ويستفاد من ذلك أن أمره ﷺ إذا ثبت لم يكن لأحد أن يخالفه ولا يتحيل في مخالفته، بل يجعله الأصل الذي يرد إليه ما خالفه لا بالعكس كما يفعل بعض المقلدين(١).

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١] هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه، حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله تعالى، قال ﷺ: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «**فإن لم تجد؟**» قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ**»(٢).

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٣٩.

(٢) رواه أبو داود (٣٥٩٢) كتاب الأقضية / باب اجتهاد الرأي في القضاء، والترمذي (١٣٢٧) كتاب الأحكام / باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، وضعفه الألباني.

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

قال ابن بطال: لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسوله أو في إجماع العلماء[2].

ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

وكانوا في الجاهلية الجهلاء، يسفهون بالعقول الغراء، فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علماً وأبرهم قلوباً وأقلهم تكلفاً وأصدقهم لهجة ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١].

فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا.

---

(١) من تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٤٦.

وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى، أصلح الله عز وجل ظاهره للناس، فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله، كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم.

وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨] وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الضالين، فإن الله يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير، وداعياً إلى سبيل الرشاد، وقد أجرى الله الكريم عادته بأنه من قصد الخير وفق له

ويسر عليه، ومن نوى صالحاً ثبت عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩] وكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل، كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج: ٣٠] قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ١١] من عصى الله في الأرض وأمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة.

ـ وقد قص الله عز وجل علينا خبر قوم موسى ـ حين أمرهم بدخول بيت المقدس ـ فخالفوا وكفروا، فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق العادات، ومن ههنا تتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلاً على النبي ﷺ، لكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم، فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشاة، فدعا الله فيه، وأمرهم فملؤوا كل وعاء معهم، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، فجاءتهم سحابة فأمطرتهم، فشربوا وسقوا الإبل وملؤوا أسقيتهم، ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر، فهذا

هو الأكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرسول ﷺ.

ـ وشتان بين جواب الصحابة رضي الله عنهم في بدر، وجواب بني إسرائيل في قتال العماليق، حين ـ ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] وهذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء، ويقال: إنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر؛ سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاماً لما هموا به، وشق يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ثيابهما، ولاما قومهما على ذلك، فيقال إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم وخطر جليل، وما أحسن ما أجاب به الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النفير الذين جاؤوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان، فلما فات اقتناص العير واقترب منهم النفيو، وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الألف، في العدة والبيض واليلب، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن، ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين، ورسول الله ﷺ يقول: «**أشيروا علي أيها المسلمون**» وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار، لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ، فقال سعد بن معاذ: «**كأنك تعرض بنا يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله**» فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم**

آخره»(١) فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها، ولهذا قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة**»(٢) وفي لفظ: «**حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك**».

والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة، لشرف دينها وعظم نبيها، ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب(٣) وفي لفظ «**مع كل ألف سبعون ألفاً** ـ وفي آخر ـ **مع كل واحد سبعون ألفاً**».

ـ وقد فضل الله هذه الأمة على غيرها من الأمم، قال تعالى عن بني إسرائيل ـ ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] والمقصود أنهم كانوا أفضل زمانهم، وإلا فهذه الأمة أشرف منهم، وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبيًّا، وأعظم ملكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزًّا(٤).

والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد

---

(١) المسند ٣/ ١٣٠، ورواه الترمذي (٢٨٦٩) كتاب الأدب / باب، وقال: حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) متفق عليه من حديث جمع من الصحابة، انظر السلسلة الصحيحة (٢٧٠).

(٣) متفق عليه من حديث عكاشة بن محصن رضي الله عنه.

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله.

الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد: كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بدينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم، وهذا قليل في المتأخرين(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى وعبد الله بن عمر «مثلنا ومثل الأمم قبلنا كالذي استأجر أجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود و النصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقلّ عطاءً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه مَن أشاء»(٢) فدل الكتاب والسنة على أن الله يؤتي أتباع هذا الرسول من فضله ما لم يؤته لأهل الكتابين قبلهم(٣).

ومن المعلوم أن أهل الحديث والسنة أخص بالرسول واتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعض السلف: «أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل».

فإنه متى كان الرسول أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولاً وحالاً؛ لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٧٣.

(٢) رواه البخاري (٢٢٦٨) كتاب الإجارة / باب الإجارة إلى نصف النهار.

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ١٣٩-١٤١.

قال الأوزاعي رحمه الله: «العلم ما جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم»(١).

وأخرج أبو عبيد ويعقوب بن شيبة عن ابن مسعود قال: «لا يزال الناس مشتملين بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا».

وقال أبو عبيدة: معناه أن كل ما جاء عن الصحابة وكبار التابعين لهم بإحسان هو العلم الموروث، وما أحدثه من جاء بعدهم هو المذموم، وكان السلف يفرقون بين العلم والرأي، فيقولون للسنة علم ولما عداها رأي.

وعن أحمد: يؤخذ العلم عن النبي ﷺ ثم عن الصحابة، فإن لم يكن فهو في التابعين بخير.

وعنه: ما جاء عن الخلفاء الراشدين فهو من السنة، وما جاء عن غيرهم من الصحابة ممن قال إنه سنة لم أدفعه.

وعن ابن المبارك: ليكن المعتمد عليه الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الخبر(٢).

قال الحافظ: والحاصل أن الرأي إن كان مستنداً للنقل من الكتاب أو السنة فهو محمود، وإن تجرد عن علم فهو مذموم(٣).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وهي العدالة، لما كانت تعم الجميع لظاهر الخطاب، أشار إلى أنها من

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم (٨٠٢ـ٨٠٣) ص ٢٨٣، وأورده الحافظ في فتح الباري ١٣/ ٢٩١.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم (٨٢٢) ص ٢٨٩.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٩١.

العام الذي أريد به الخاص، أو من العام المخصوص، لأن أهل الجهل ليسوا عدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقية(١).

وحرم الله إيذاء الصحابة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسو القلوب، يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين(٢).

قال البربهاري: واعلم أن من تناول أحداً من أصحاب محمد ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ، وقد آذاه في قبره(٣).

ـ ثم أثنى الله على اتباع الصحابة بقوله تعالى: ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان، فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣١٦.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٣) شرح السنة للإمام البربهاري رحمه الله، فقرة (١٤٧)

الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية[١].

ومن المعلوم لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة ـ في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة ـ أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم.

وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته: «هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا»[٢].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله:

فإن اتباع من ذكرناه من الأئمة في الأصول في زماننا بمنزلة اتباع الإجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين، إذ لا يسع مسلماً خلافه، ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم ،لأنهم الأدلاء وأرباب مذاهب هذه الأمة والصدور والسادة والعلماء القادة ،أولوا الدين والديانة والصدق والأمانة، والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر،،،

وقال: فإنا نعلم قطعاً أنهم أعرف قطعا بما صح من معتقد رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، لجودة معارفهم وحيازتهم شرائط الإمامة، ولقرب عصرهم من الرسول ﷺ وأصحابه[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ١٧٩.

ثم إن العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فدلت الآية الكريمة على أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثم كان اهتمام الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ بإصلاح العقيدة أولا ،،، وقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين.

وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.

[و] العقيدة توقيفية، فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثم فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة، لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقي العقيدة مقصوراً على الكتاب والسنة.

فما دل عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به واعتقدوه وعملوا به، وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نفوه عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة، لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

ولذلك سموا بالفرقة الناجية، لأن النبي ﷺ شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ولما سئل عن هذه الواحدة قال: «**هي ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

وقد وقع مصداق ما أخبر به النبي ﷺ، فعندما بنى بعض الناس عقيدتهم على غير الكتاب والسنة، من علم الكلام وقواعد المنطق الموروثين عن فلاسفة اليونان؛ حصل الانحراف والتفرق في الاعتقاد، مما نتج عنه اختلاف الكلمة، وتفرق الجماعة، وتصدع بناء المجتمع الإسلامي[٢]، وتجهم الجو بظلمات البدع المتنوعة، التي كاد بها مبتدعوها الإسلام وأهله، وصاروا يتخبطون فيها خبط عشواء، ويبنون معتقداتهم على نسج العنكبوت.

والربّ ـ تعالى ـ يحمي دينه بأوليائه الذين وهبهم من الإيمان والعلم والحكمة ما به يصدُّون هؤلاء الأعداء، ويردون كيدهم في نحورهم، فما قام أحد ببدعة إلا قيض الله ـ وله الحمد ـ من أهل السنة من يدحض بدعته، ويبطلها[٣]، فالحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم

---

(١) قال الألباني رحمه الله: ضعيف بهذا السياق، وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ، وهو ممكن باعتبار شواهده، ولذلك أوردته في «صحيح الجامع» (٥٢١٩) «الصحيحة» (١٣٤٨).

(٢) عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان ٦-٩.

(٣) مقدمة فتح رب البرية بتلخيص الحموية.

على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين.

قال أويس القرني سيد العباد بعد الصحابة:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك معيناً من الفاسقين، حتى ـ والله ـ رموني بالعظائم، وايم الله: لا أدع أن أقوم فيهم بحقه[١].

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية: أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً وعملاً وحبًّا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ٦/ ١٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٩.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] قال بعض السلف: هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ.

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧] فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧] وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام، وحذر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى، فإن العالم الحجة عليه أقوم من غيره، ولهذا قال مخاطباً للرسول والمراد به الأمة: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء؛ فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، وقد جاء في الحديث أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر(١)، وجاء في هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون، واللاعنون أيضا وهم كل فصيح وأعجمي إما بلسان المقال أو الحال.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧] وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»(٢).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنهم إنما يأمرون بما يأمر

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٤١) باب الحث على طلب العلم،، الترمذي (٢٦٨٢) ما جاء في فضل الفقه على العبادة، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٨) باب كراهية منع العلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني: حسن صحيح.

الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام[١].

وقد روى أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال للكميل بن زياد: «**العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان به**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «**لأن العلم ميراث الأنبياء، والعلماء ورثتهم، فمحبة العلم وأهله محبة لميراث الأنبياء وورثتهم، وبغض العلم بغض لميراث الأنبياء وورثتهم**» وقال: «**فإن الله سبحانه عليم، يحب كل عليم، وإنما يضع علمه عند من يحبه، فمن أحب العلم وأهله فقد أحب ما أحبه الله، وذلك مما يدان به**»[٣].

ومن المعلوم أن العقل والدين يقتضيان أن جانب النبوة والرسالة أحق بكل تحقيق وعلم ومعرفة وإحاطة بأسرار الأمور وبواطنها، هذا لا ينازع فيه مؤمن، وإذا كان الأمر كذلك فأعلم الناس بذلك أخصهم بالرسول وأعلمهم بأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه وباطنه وظاهره، وأعلمهم بأصحابه وسيرته وأيامه، وأعظمهم بحثاً عن ذلك وعن نقلته، وأعظمهم تديناً به واتباعاً له واقتداء به، وهؤلاء هم أهل السنة والحديث: حفظا له ومعرفة بصحيحه وسقيمه، وفقهاً فيه وفهماً يؤتيه الله إياه في معانيه، وإيماناً وتصديقاً وطاعة وانقياداً واقتداءً واتباعاً، مع ما يقترن بذلك من قوة عقلهم وقياسهم وتمييزهم وعظيم مكاشفاتهم

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٧٩ـ ٨٠.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٣٦.

ومخاطبتهم، فإنهم أسد الناس نظراً وقياساً ورأياً، وأصدق الناس رؤيا وكشفاً[(١)]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝﴾ [السجدة: ٢٤].

أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به؛ كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عملاً صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم كما لا بد للجسد من الخبز.

وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي: سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً.

قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله.

قال الزهري رحمه الله: كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض سريعا، فنعش العالم ثبات الدين، وذهاب العلماء ذهاب الدين كله[١].

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١] قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وأنشد أحمد بن غزال لنفسه:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن أبى عاد في أكنافها التلف

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨] وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.

قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن رحمه الله: الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم[٢].

و عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يعلم الآخر، فإن هلك الأول قبل أن يعلم الآخر هلك الناس[٣].

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها، لأن الأعجمي يأخذ فيه ما سبق إليه[٤].

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه**

---

(١) اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤) والدارمي ١/ ٥٨.

(٢) أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٥٩، وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ١٩٦.

(٣) رواه الدارمي (٢٤٢) ١/ ٩٠.

(٤) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣٠)١/ ٦٠.

من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: فتدبروا هذا الحديث، فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله.

قال: وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريفاً فقال: ما خان أمين قط، ولكنه أؤتمن غير أمين فخان.

قال: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل وأضل.

وكذلك فعل ربيعة، قال مالك: بكى ربيعة يوماً بكاءً شديداً، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟

قال: لا، ولكن استفتي من لا علم عنده، وظهر في الإسلام أمر عظيم[2].

وعن ابن عون: ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويدعوا الناس إلا من خير[3].

ومن المعلوم أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم، وهو بذلك أقوم: كان أحق بالاختصاص به، ولا ريب أن

---

(١) رواه البخاري (١٠٠) كتاب العلم / باب كيف يقبض العلم، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) البدع والحوادث.

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (٨٠٠) ص ٢٨٢، وأورده الحافظ في فتح الباري ١٣ / ٢٤٨.

أهل الحديث أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول وعلم خاصته مثل الخلفاء الراشدين وسائر العشرة،،، فعلماء الحديث أعلم الناس بهؤلاء وببواطن أمورهم، واتبعهم لذلك، فيكون عندهم العلم، علم خاصة الرسول وبطانته.

ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الأنبياء وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسول حقًّا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥] فالأيدي القوة في أمر الله، والأبصار البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت من كنوزها، ورزقت فيها فهماً خاصًّا.

وهكذا ورثتهم من بعدهم، اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص، لا على خيال فلسفي ولا رأي قياسي، ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات، لا جرم كانت الدائرة والثناء الصدق والجزاء العاجل والآجل لورثة الأنبياء التابعين لهم في الدنيا والآخرة، فإن المرء على دين خليله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] وبكل حال: فهم أعلم الأمة بحديث الرسول وسيرته ومقاصده وأحواله.

ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه ظاهراً وباطناً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبهما، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم[(١)].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: **«وأهل السنة والحديث في كل مكان وزمان، هم محنة أهل الأرض، يمتاز أهل السنة بمحبتهم والثناء عليهم، ويعرف أهل البدع بعيبهم وشنايتهم»**[(٢)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «**كان أحسن أمر الشافعي عندي: أنه كان إذا سمع الخبر ـ يعني الحديث ـ لم يكن عنده، قال به وترك قوله**»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف[(٤)].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «**وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم**

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٩٢ـ٩٤.

(٢) الدرر السنية ٤/ ١٠٢.

(٣) مناقب الشافعي ١/ ٤٧٦.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣.

الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة»[١].

وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد كانت عنهما أنأى!

فتأمل هذه الحكومة العادلة! ليتبين لك أن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة وزنادقة منافقون بلا ريب، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن «ابن أبي قتيلة» أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة، فقال: قوم سوء، فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل بيته.

إذ المسلمون متفقون على أن هذه الأمة خير الأمم وأكملهم، وأن أكمل هذه الأمة وأفضلها هم سابقوها، وإذا سلم ذلك، فأعلم الناس بالسابقين وأتبعهم لهم: هم أهل الحديث وأهل السنة، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ».

وعيب المنافقين للعلماء بما جاء به الرسول قديم، من زمن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ، وأما أهل العلم فكانوا يقولون: هم الأبدال، لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقة، ليسوا من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة، كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه: هذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٢١.

والحال، وهذا في الأمرين جميعاً، وكانوا يقولون: هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الظاهرون على الحق، لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم، وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً(١).

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: فاعلم أن السنة طريقة رسول الله ﷺ والتسنن بسلوكها وإصابتها، وهي أقسام ثلاثة: أقوال وأعمال وعقائد.

فالأقوال: نحو الأذكار والتسبيحات المأثورة.

والأفعال: مثل سنن الصلاة والصيام والصدقات المذكورة، ونحو السير المرضية والآداب المحكية، فهذان القسمان في عداد التأكيد والاستحباب، واكتساب الأجر والثواب.

والقسم الثالث: سنة العقائد، وهي من الإيمان إحدى القواعد(٢).

وقد ذم الله من عدل عن طريق الحق بقوله: - ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٨] وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم، إلى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها، على وجه التعنت والكفر، قال أبو عثمان النيسابوري في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٩] «هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة»(٣). لأن المخالف للسنة يرد بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله.

يعارض قول الرسول بما يجعله نظيراً له، من رأي أو كشف أو نحو ذلك(١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي إنما يأتمر بهواه، فما رآه حسنا فعله وما رآه قبيحاً تركه ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيز العلم والهدى، وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه، صار شبيهاً بالكلب، وبئس المثل مثله ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾ [سبأ: ٥٤] قال قتاده: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه(٢).

ـ ومما لا شك فيه أن الابتداع في الدين مما يورث الشك والريبة، لأنه قول على الله وفي شرع الله بلا علم، لذا كان من محاسن العقيدة السلفية: أنها مستقاة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنة، وأنها تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام، وتترك في نفسه الطمأنينة الصادقة، وهو الوصف الذي ذكره الله في كتابه بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] وأنها تجعل موقف المسلم موقف المعظِم لنصوص الكتاب والسنة، لعلمه أن كل ما فيها حق

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله.

وصواب، وأنها تربط المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزة وافتخاراً، بخلاف أهل البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف، ولهذا قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»[1] ومن محاسنها أنها تحقق للمسلمين الوصف الذي رضيه الله تعالى لهم بقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥] ومن محاسنها أنها توحد صفوف المسلمين، وتجمع كلمتهم، لأنها عقيدة الكتاب والسنة، فهي تحقيق عملي واستجابة صحيحة لنداء الله تعالى[2]، وعندما تفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً، واختلفت مشاربهم، وتشتت عقائدهم، تسلط عليهم أعداء الله من الكفار على سائر مللهم، فرموهم عن قوس واحدة، وساموهم سوء العذاب، وتداعوا عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وهم كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، فإلى الله المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

ـ ولما كان الإحداث في الدين من القول على الله بغير علم، جعله الله في منزلة فوق منزلة الشرك الذي هو أعظم الذنوب ـ فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضاً، وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل،

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٥.

(٢) من تحقيق كتاب الإبانة لابن بطة، بتصرف.

يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ﴾ [الحج: ٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ ﴾ [القمر: ٤٧] في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق.

فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة، لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل، مفرقاً بين الهدى والضلال، وليس فيه تناقض ولا اختلاف، لأنه من عند الله ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1].

لكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول[2].

ـ وقد برأ الله رسوله من الأهواء وأهلها ـ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ أي فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن الله تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه. ـ وقضى عليهم بالإهانة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝١٤ ﴾ [النساء: ١٤] لكونه غيّر ما حكم الله به، وضاد الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥٧.

الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم(١).

وأصل الضلال اتباع الظن والهوى، كما قال الله تعالى في حق من ذمهم: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣] وقال في حق نبيه ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:١ ـ ٤] فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه(٢).

فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١١٩] وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] وقال تعالى لداود: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

فمن اتبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله، وبعد هدى الله الذي بينه لعباده؛ فهو بهذه المثابة، ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع والتفرق ـ المخالفين للكتاب والسنة ـ أهل الأهواء، حيث قبلوا ما أحبوه، وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله.

ومن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله؛ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٤.

ذلك فقد اتخذ شريكاً لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله[١].

وكل من فعل أمراً موهماً أنه مشروع وليس كذلك، فهو غال في دينه مبتدع فيه، قائل على الله غير الحق بلسان مقاله ولسان حاله.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١-٣٢] وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الإسلام، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحل، كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٢].

ـ وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥] وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فمتى فقد

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٩-١٩٠و ١٩٥.

(٢) انظر «صحيح الجامع» (٥٢١٩) و«الصحيحة» (١٣٤٨).

الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج، أفضوا إلى دار السلام(١).

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لست تاركاً شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] قال: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون.

قال أحمد بن أبي الحواري: فحدثت به أبا سليمان الداراني فأعجبه وقال: ليس ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في نفسه(٣).

وروى الخطيب البغدادي رحمه الله بسنده إلى يحيى بن سعيد قال: سألت ابناً لعبد الله بن عمر عن مسألة ،فلم يقل فيها شيئاً، فقيل له: إنا لنعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى تسأل عن أمر ليس عندك فيه علم، فقال: «أعظم والله من ذلك عند الله عز وجل، وعند من عرف الله عز وجل، وعند من عقل عن الله عز وجل، أن أقول بما ليس لي به علم، أو

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله.

(٢) رواه البخاري (٣٠٩٣) كتاب فرض الخمس / باب فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٩) كتاب الجهاد والسير / باب حكم الفيء، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره.

أخبر عن غير ثقة»[١].

ـ لذلك اشتد إنكار السلف رحمهم الله على القائلين على الله وفي دين الله ما لا يعلمون، بل بخلاف الحق يقولون، فشنعوا عليهم، ونصحوا للأمة في شأنهم ـ قال عاصم الأحول: «**كان قتادة يقصر بعمرو بن عبيد، فجثوت على ركبتي، فقلت: يا أبا الخطاب: هذه الفقهاء ينال بعضها من بعض؟**

فقال: يا أحول، رجل ابتدع بدعة، فيذكر خير من أن يكف عنه»[٢] وقال رافع بن أشرس: كان يقال: «**إن من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه**» قال: وأنا أقول: «**ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه**»[٣] وعلى هذا حذر السلف من البدعة وأصحابها ووصفوهم بما يليق بحالهم فقالوا:

[الذلة للمفتري المبتدع]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] نائلة لكل من افترى بدعة، فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة من قلبه على كتفيه، كما قال الحسن البصري: إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين، أبى الله إلا أن يذل من عصاه[٤].

وأخرج أبو الشيخ عن سفيان بن عيينة قال: «**ليس في الأرض**

---

(١) الكفاية (٧٥).

(٢) الكفاية للخطيب البغداي (٩٠).

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي (١٩٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٥ / ٤٢٦.

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، وهو في كتاب الله، قالوا: أين؟

قال: أما سمعتم إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ الآية، قال: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة! قال: كلا، اقرأ ما بعدها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة»[١].

[الاستدراك على الشريعة]

فالمبتدع إنما حاصل قوله بلسان حاله أو مقاله إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً كمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال الإمام البربهاري رحمه الله: فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفناه أصحاب محمد ﷺ فقد كذّبهم ،وكفى به فرقة وطعناً عليهم، وهو مبتدع ضال مضل محدث في الإسلام ما ليس فيه[٢].

[البدعة الحسنة]

قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم ديناً».

---

(١) الدر المنثور للسيوطي الآية ١٥٣.

(٢) شرح السنة، فقرة (١٠).

[المبتدع معاند للشرع ومشاق له]

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] فإنه يزعم أن ثم طرق أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، كأن الشارع يعلم ونحن أيضاً نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصوداً فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود فهو ضلال مبين.

[المبتدع نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع]

فهذا الذي ابتدع في دين الله، قد صيّر نفسه نظيراً ومضاهياً، حيث شرع مع الشارع ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع، قال شيخ الإسلام: ومن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله؛ فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكاً لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله(١).

[البدعة اتباع للهوى]

لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشهوة ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده: الحق والهوى ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ [القصص: ٥٠] هذه الآية صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه، فلا أحد أضل منه.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٩-١٩٠و ١٩٥.

[البدعة لا يقبل معها عمل]

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «**إذا لقيت أولئك ـ يعني من ينكر القدر ـ فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما تقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر**»(١).

فإن كان المبتدع لا يقبل منه عمل، فإما أن يراد أنه لا يقبل له بإطلاق على أي وجه وقع، وإما أن يراد أنه لا يقبل منه ما ابتدع فيه خاصة دون ما لم يبتدع فيه.

فأما الأول فيمكن حمله على أحد وجوه ثلاثة:

١) أن يكون على ظاهره، من أن كل مبتدع لا تقبل أعماله لحديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٢) أن تكون بدعته أصلاً يتفرع عليه سائر الأعمال، كما إذا ذهب إلى إنكار العمل بخبر الواحد بإطلاق.

٣) أن صاحب البدعة في بعض الأمور التعبدية أو غيرها قد يجره اعتقاد بدعته الخاصة إلى التأويل الذي يصيّر اعتقاده في الشريعة ضعيفاً، وذلك يبطل عليه جميع عمله.

وأما الثاني: وهو أن يراد بعدم القبول لأعمالهم ما ابتدعوا فيه خاصة، فيظهر أيضاً بدليل «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

[صاحب البدعة تنزع منه العصمة ويوكل إلى نفسه]

فالله بعث رسوله رحمة للعالمين، ولم يردوا إلى تدبير أنفسهم، فإذا

---

(١) صحيح مسلم، وهو أول حديث في كتاب الإيمان.

(٢) رواه الشيخان.

ترك المبتدع هذه الهبات العظيمة، فقد حل يده من حبل العصمة إلى تدبير نفسه، فهو حقيق بالبعد عن الرحمة، قال سفيان الثوري: «**من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله، ووكل إليها**» ـ يعني: إلى البدع[1].

[الماشي إلى المبتدع والموقر له معين على هدم الإسلام]

فإن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك ظاهر، لأن المشي إليه والتوقير له تعظيم لأجل بدعته «**من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» رواه البخاري، فصار توقيره صدوداً عن العمل وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بما ينافيه، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «**من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام**»[2].

[مساوئ توقير المبتدع]

أن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

الأولى: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

الثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته، صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.

---

(١) السنة للبربهاري، فقرة (١٧٠).

(٢) شرح السنة للبربهاري، فقرة (١٧٠).

ونقل الذهبي في التذكرة عن أبي الوليد الباجي أنه قال في كتاب فرق الفقهاء، عند ذكر أبي بكر الباقلاني: لقد أخبرني أبو ذر - وكان يميل إلى مذهبه - فسألته: من أين لك هذا؟ قال: كنت ماشياً مع الدارقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب القاضي، فالتزمه الدارقطني، وقبل وجهه وعينيه، فلما افترقنا قلت: من هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين، القاضي أبو بكر ابن الطيّب، قال أبو ذر: فمن ذلك الوقت تكررت إليه[١]. أهـ - وكان قد تمذهب على رأي الأشعري -.

[صاحب البدعة ملعون على لسان الشريعة]

لقوله ﷺ: «**من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين..**»[٢].

[أنه يزداد بعدا من الله]

قال أيوب السختياني: «**ما ازداد صاحب البدعة اجتهاداً، إلا ازداد من الله بعداً**»[٣] وقوله ﷺ: «**يخرج من ضئضئي هذا قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم - إلى أن قال - يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٤] فبيّن أولاً اجتهادهم، ثم بيّن آخراً بعدهم من الله تعالى.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١١٠٤.

(٢) رواه البخاري (١٨٦٧) كتاب فضائل المدينة / باب حرم المدينة، ومسلم (١٣٦٦) كتاب الحج/ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٩.

(٤) رواه البخاري (٣٦١٠) كتاب المناقب / باب علامات النبوة في الإسلام، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (١٠٦٣) كتاب الزكاة / باب التحريض على قتال الخوارج، من حديث جابر رضي الله عنه.

[البدعة مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام]

لأنها تقتضي التفرق شيعاً، وقد أشار إلى ذلك القرآن ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وفي قوله ﷺ: «**ولا تدابروا**» إشارة إلى عدم الاختلاف في الدين، إذ البدعة من أسباب الاختلاف ثم التدابر.

[أنها مانعة من شفاعة محمد ﷺ]

لما في صحيح البخاري: «**وإنه سيؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ـ إلى قوله ـ فيقال: ما زالوا مرتدين على أعقابهم، فأقول لهم سحقاً**»(١).

ويظهر أن ذلك الارتداد لم يكن ارتداد كفر لقوله: «**من أمتي**» ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لما نسبوا إلى أمته.

[أن على مبتدعها إثم من عمل بها إلى يوم القيامة]

لقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل: ٢٥] ولما في صحيح مسلم: «**من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ..** »(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٣) كتاب الرقاق / باب في الحوض،و (٧٠٥١) كتاب الفتن / باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾، ومسلم (٢٢٩٠) كتاب الفضائل / باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه مسلم أيضا من حديث أم سلمة رضي الله عنها (٢٢٩٥).

(٢) مسلم (١٠١٧) كتاب الزكاة / باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

[أن صاحبها ليس له توبة]

لقوله ﷺ: «إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة»(١).

[أن المبتدع يلقى عليه الذل في الدنيا والآخرة]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فهو عموم فيهم وفيمن أشبههم من حيث كانت البدع كلها افتراء على الله، وقال ﷺ: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»(٢).

[البعد عن حوض رسول الله ﷺ]

لحديث الموطأ: « فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير.. »(٣).

[الخوف عليه من أن يكون كافراً]

فلأن العلماء من السلف الأول وغيرهم اختلفوا في تكفير كثير من فرقهم مثل الخوارج والقدرية، ودل على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

[أنه يخاف على صاحبها سوء الخاتمة والعياذ بالله]

لأن صاحبها مرتكب إثماً، وعاص لله حتماً، مصر على ما نهى الله

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (١٦٢٠).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/ ٥٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٤٩) كتاب الطهارة / باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عنه، ومن مات مصرًّا على المعصية فيخاف عليه، قال قتاده: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه.

[اسوداد وجهه في الآخرة]

لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال ابن كثير: «**يعني يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة**» قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

[البراءة منه]

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما في أهل القدر: «**إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني**».

[أنه يخشى عليه الفتنة]

عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله: من أين أحرم ؟

قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها !! فقال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ، إني سمعت الله يقول:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣][١].

[صاحب البدعة لا يقبل حديثه]

روى الخطيب البغدادي عن ابن المبارك أنه قال: «**يكتب الحديث إلا عن أربعة: غلاط لا يرجع، وكذاب، وصاحب هوى يدعو إلى بدعته، ورجل لا يحفظ فيحدث من حفظه**»[٢].

[سر تسمية البدعة ضلالة والمبتدع ضالاً]

فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريقة توهم أن ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون، فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضل في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام الله، وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره، لأن المبْتدع جعل الهوى أول مطالبه، وأخذ الأدلة بالتبع، فإذا انضم إلى ذلك الجهل بأصول الشريعة وعدم الاضطلاع بمقاصدها؛ كان الأمر أشد وأقرب إلى التحريف والخروج عن مقاصد الشرع.

[لا غيبة لأهل البدع]

روى الخطيب البغدادي رحمه الله عن الحسن البصري رحمه الله قال: «**ليس لأهل البدعة غيبة**»[٣].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ١/ ٢١.

(٢) الكفاية (٢٢٧).

(٣) الكفاية (٨٨).

[المجاوزة إلى تكفير المخالف]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والخوارج هم أول من كفر المسلمين، ويكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعته، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع، يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها.أهـ[١].

[رد المعتدي من أعظم الأسباب التي ترضي الله ورسوله ﷺ]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله، فإنه يجب نهيه عن ذلك، وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال، فإنه إذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف، وأكرم المتقون من جميع الطوائف، كان ذلك من أعظم الأسباب التي ترضي الله ورسوله ﷺ وتصلح أمر المسلمين.أهـ[٢].

[عدم الإجابة بالحسنى]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فمتى ظلم المخاطب لم نكن مأمورين أن نجيبه بالتي هي أحسن، بل قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعروة بن مسعود بحضرة النبي ﷺ لما قال: إني لأرى أوباشاً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ـ امصص بظر اللات ! أنحن نفر عنه وندعه؟ أهـ[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٥٢.

[حسنات أهل البدع نوعان]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فحسناتهم نوعان: إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم.أهـ[١].

[إفساد مخالف السنة أكثر من إصلاحه]

قال ابن سيرين: إن قوماً تركوا العلم ومجالسة العلماء، واتخذوا محاريب فصلوا فيها، حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، خالفوا السنة فهلكوا، والله ما عمل عامل بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح[٢].

[الراد على أهل البدع مجاهد]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف وإظهار فساد قوله هي من جنس المجاهد المنتصر، فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد.أهـ[٣].

[البدعة لابد فيها من حق لتنطلي على الناس]

ومن صبر من أهل الأهواء على قوله فذاك لما فيه من الحق، إذ لابد في كل بدعة ـ عليها طائفة كبيرة ـ من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، ويوافق عليه أهل السنة والحديث ويوجب قبولها، إذ الباطل المحض لا يقبل بحال.أهـ[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٢.

(٢) الباعث لأبي شامة ١/ ٦٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ١٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ١٥.

[ما جاء عن السلف في الاتباع]

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ[١].

وعن ابن مسعود قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[٢].

وقال: يا أيها الناس: لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا، وعليكم بالعتيق، خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون[٣].

العتيق: القديم والكريم والخيار من كل شيء.

وعنه: القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[٤].

عن أبي إدريس الخولاني قال: لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها، أحب إليّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها[٥].

عن سفيان أنه كان يقول: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا موافقاً للسنة[٦].

قال رجل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر: من السني ؟

قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها[٧].

وعن مقاتل بن حيان قال: أهل هذه الأهواء آفة محمد ﷺ،

(١) رواه البخاري (٣٠٩٣) كتاب فرض الخمس / باب فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٩) كتاب الجهاد والسير / باب حكم الفيء، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) السنة لابن نصر المروزي (٢٨).

(٣) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢٥٢، والدارمي ١/ ٥٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٠٨).

(٤) الباعث لأبي شامة ١/ ١٥.

(٥) السنة لأبي نصر المروزي ١/ ٣٢، وعبد الله بن أحمد في السنة (٧١٥) ١/ ٣٣٩.

(٦) حلية الأولياء ٧/ ٣٢.

(٧) اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٥٣) ١/ ٦٥.

فأبصرهم، فإنك إن لا تكن أصبحت في بحر الماء، فقد أصبحت في بحر الأهواء الذي هو أعمق غوراً وأشد اضطراباً وأكثر صواعق وأبعد مذهباً من البحر وما فيه، ففلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال؛ اتباع السنة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يرووها فاشتقوا الرأي[١].

قال سحنون: يعني البدع.

[المروق من الإسلام والسنة بأسباب]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة، حتى يدعي السنة من ليس من أهلها، بل قد يمرق منها وذلك بأسباب :

منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه.

ومنها: التفرق والاختلاف.

ومنها: أحاديث النبي ﷺ وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة، يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه. أهـ[٢].

فالانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع، لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة، حتى تضيق عليه حياته، ثم

---

(١) رواه اللالكائي (٢٠١) ١/ ١٢٣، والدار قطني (١٢) ٤/ ١٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٣.

يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو بالانتحار، كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي، يفقد كل مقومات الحياة السعيدة، وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار، كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة، لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد، للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية، فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار، كما هو المشاهد اليوم في الدول الكافرة التي تملك مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة[١].

والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب يجب معرفتها، من أهمها:

١ـ الجهل بالعقيدة الصحيحة، بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها، حتى ينشأ جيل لا يعرف تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها، فيعتقد الحق باطلاً والباطل حقًّا، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»**[٢].

٢ـ التعصب لما عليه الآباء والأجداد والتمسك به وإن كان باطلاً،

---

(١) عقيدة التوحيد ١٠ـ١١.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٥ / ٥٤.

وترك ما خالفه وإن كان حقًّا.

٣- التقليد الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها ومعرفة مدى صحتها.

٤- الغلو في الأولياء والصالحين.

٥- الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية، حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده، فصاروا يعظمون البشر.

[سبل التوقي من الانحراف في العقيدة]

١- الرجوع إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة رسوله ﷺ لتلقي الاعتقاد الصحيح منهما، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شبههم للرد عليها والتحذير منها، لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٢- العناية بتدريس العقيدة الصحيحة - عقيدة السلف الصالح - في مختلف المراحل الدراسية .

٣- أن تقرر دراسة الكتب السلفية الصافية، ويبتعد عن كتب الفرق المنحرفة، إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

٤- قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها[١] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد قررنا في قاعدة «السنة والبدعة» أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم

(١) عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان.

الأمر به بالأدلة الشرعية؛ فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن. أهـ[(١)].

والبدعة على قسمين: تارة تكون بدعة شرعية كقوله: «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» وتارة تكون بدعة لغوية، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: «**نعمت البدعة هذه**»، وقال ابن جرير: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] مبدعهما، وإنما هو مفعل، فصرف إلى فعيل، كما صرف المؤلم إلى الأليم والمسمع إلى السميع، ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لا يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد، قال: ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعاً، لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره، وكذلك كل محدث قولاً أو فعلاً لم يتقدم فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعاً[(٢)].

قال الحافظ: والمحدثات بفتح الدال، جمع محدثة، والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع «بدعة»، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة، بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة، سواء كان محموداً أو مذموماً، وكذا القول في المحدثة وفي الأمر المحدث الذي ورد في حديث عائشة «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٠.

(٢) تفسير ابن كثير.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣.

وأما حديث عائشة فيدل بالمنطوق والمفهوم:

أما منطوقه: فإنه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين، ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كانت من البدع القولية الكلامية، كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها، أو من البدع العملية، كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله؛ فإن ذلك كله مردود على أصحابه، وأهله مذمومون بحسب بدعهم وبعدها عن الدين.

وأما مفهوم هذا الحديث: فإن من عمل عملاً عليه أمر الله ورسوله ـ وهو التعبد لله بالعقائد الصحيحة والأعمال الصالحة: من واجب ومستحب، فعمله مقبول وسعيه مشكور[1].

ووجه التحذير، أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر، ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسدة، وهو أن يلحقه إثم من عمل بها من بعده، ولو لم يكن هو عمل بها، بل لكونه كان الأصل في إحداثها[2].

قال الإمام البربهاري رحمه الله: واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام[3].

قال الشافعي: «**البدعة بدعتان: محمودة ومذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم**» أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشافعي.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (١١).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٣٠٢.

(٣) شرح السنة، فقرة (٧).

وجاء عن الشافعي أيضاً ما أخرجه البيهقي في مناقبه قال: «المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً، فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة». أهـ[(١)]

فإن قيل لنا: فما أصل البدعة ؟

قال: قلنا: أصل هذه الكلمة من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سابق ولا مثال احتذي ولا ألف مثله، ومنه قولهم: أبدع الله الخلق، أي: خلقهم ابتداءً، ومنه قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

قال: وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب وفيما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح. أهـ

[سبب ظهور البدع في كل أمة]

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: إذ كان أئمة المسلمين ـ مثل حماد ابن زيد والثوري ونحوهم ـ إنما تكلموا بما جاءت به الرسالة، وفيه الهدى والشفاء، فمنْ لم يكن له علم بطريق المسلمين، يعتاض عنه بما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك. أهـ[(٢)].

وقال النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[(٣)] نقل الحافظ عن ابن

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٣٧.

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٦) كتاب أحاديث الأنبياء / باب ما جاء عن بني إسرائيل، ومسلم (٢٦٦٩) كتاب العلم / باب اتباع سنن اليهود والنصارى، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

عبدالبر: عن هشام بن عروة قال: وكان أبي يقول: «**السنن السنن، فإن السنن قوام الدين**».

وعن الزهري قال: «**إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين استقلوا الرأي وأخذوا فيه**».

وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر «**فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير**».

وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر في هذا صغر القدر لا السن(١).

وإنما غير الفطرة قلة المعرفة بالحديث والسنة واتباع ذلك، مع ما يوجد في المخالفين لها من نوع تحقيق لبعض العلم، وإحسان لبعض العمل، فيكون ذلك شبهة في قبول غيره وترجيح صاحبه. أهـ(٢).

ولأنه لما كثرت البدع وعم ضررها، ودام الإكباب على العمل بها والسكوت من المتأخرين عن الإنكار لها؛ صارت كأنها سنن مقررات، فإحياء السنن وقمع البدع ليس بالأمر الهين، مع أن الداخل في هذا الأمر اليوم فاقد المساعد، ينحو نحو عمر بن عبدالعزيز حيث قال: «**ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر إليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره**». أهـ.

وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة قال: «**لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل**»(٣).

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٠١.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٤١.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٤٩.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: فإن الفتن غالباً تنشأ عن ذلك ـ أي التبديل والإحداث ـ[(١)].

ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، قال مالك رحمه الله: «**السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك**» وهذا حق، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطناً وظاهراً، والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح ـ وركوب السفينة معه[(٢)].

وقد أخرج أحمد بسند جيد عن غضيف بن الحارث قال: بعث إليّ عبدالملك بن مروان فقال: إنا قد جمعنا الناس على رفع الأيدي على المنبر يوم الجمعة وعلى القصص بعد الصبح والعصر، فقال: أما إنهما أمثل بدعكم عندي، ولست بمجيبكم إلى شيء منهما، لأن النبي ﷺ قال: «**ما أحدث قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها**» فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة.

قال ابن حجر: وإذا كان هذا جواب هذا الصحابي في أمر له أصل في السنة، فما ظنك بما لا أصل له فيها؟ فكيف بما يشتمل على ما يخالفها[(٣)]؟

قال الإمام الشافعي رحمه الله: أجمع المسلمون على أنه من استبانة

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٣.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣-٢٥٤.

له سنة محمد ﷺ فليس له أن يدعها لقول أحد كان[١].

ومن اتباع سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين؛ إنكار المنكر وإحياء السنن وإماتة البدع، ففي ذلك أفضل أجر وأجمل ذكر[٢].

وثبت عن ابن مسعود أنه قال: **«قد أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول»**[٣].

وقال حذيفة رضي الله عنه: **«يا معشر القراء استقيموا»**[٤] والإشارة إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، الذين مضوا على الاستقامة، فاستشهدوا بين يدي النبي ﷺ، أو عاشوا بعده على طريقته، فاستشهدوا أو ماتوا على فرشهم[٥].

قال الشافعي رحمه الله: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إن العالم لا يماري ولا يداري، وينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله[٦].

عن أبي قلابة قال: قال عبدالله بن مسعود: تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق[٧].

---

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٢٨٢.

(٢) الباعث لأبي شامة ١/ ١٧.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣ وله شاهد بلفظ «عليكم بالسمت الأول فإنا اليوم على الفطرة» أخرجه وكيع، وله طرق يتقوى بها، وأخرجه اللالكائي.

(٤) اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١١٩) وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٧).

(٥) فتح الباري ١٣/ ٢٥٧.

(٦) أبو شامة الشافعي.

(٧) رواه اللالكائي في السنة (١٣٦) وابن بطة في الإبانة (١٦٩).

وعن زمعة بن صالح بن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة، اتبع ولا تبتدع[١].

وأخرج البيهقي بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع[٢].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم.

وأخرج الدارمي في السنن عن الحسن رحمه الله: سنتكم والذي لا إله إلا هو بينهما، بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها ـ رحمكم الله ـ فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا[٣].

وفي كلام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعده[٤].

وأخرج الدارمي عن ابن سيرين قال: ما أخذ رجل ببدعة فراجع سنة[٥].

(١) أخرجه الدارمي (١٣٩) ١/ ٦٥ باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع.

(٢) السنن الكبرى (٨٣٥٦) ٤/ ٣١٦ باب الاعتكاف في المساجد.

(٣) رواه الدارمي في السنن (٢١٦) ١/ ٨٣ باب في كراهية أخذ الرأي.

(٤) الشريعة للآجري (٢١٢).

(٥) سنن الدارمي (٢٠٨) ١/ ٨٠.

قال البربهاري: واعلم أن الناس ما ابتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات في الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار[١].

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي معشر قال: سألت إبراهيم عن شيء من هذه الأهواء فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، ما هي إلا نزغة من نزغات الشيطان، عليك بالأمر الأول.

وأخرج اللالكائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة[٢].

وما أحسن ما قال إبراهيم النخعي رحمه الله: ما أعطاكم الله خيراً أخبئ عنهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وخيرته من خلقه.

أشار بذلك إلى ترك الغلو في الدين، وإلى الاقتداء بالسلف الصالحين، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء: ١٧١].

وروى ابن بطة بإسناده إلى أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة: يا أيوب: احفظ عني أربعاً: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكن أهل الأهواء سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا[٣].

---

(١) شرح السنة، فقرة (٦).

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٦) ١/ ٩٢، وأبو شامة في الباعث ١/ ١٧.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة (٣٩٧) ٢/ ٤٤٥، ورواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٢٤٦) ١/ ١٣٤.

[السبب الذي لأجله افترقت المبتدعة عن جماعة المسلمين]

١ـ أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين، ولم يبلغ تلك الدرجة، وعليه نبّه الحديث الصحيح «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً..**» قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم هلكوا(١).

٢ـ اتباع الهوى، عن طاوس أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الهوى كله ضلالة(٢).

٣ـ التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق، عن مالك أنه قال: ليس كل ما قال رجل قولاً ـ وإن كان له فضل ـ يتبع عليه، لقول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨].

ولابد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله، غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة، استدعاء إلى موافقتهم؛ لا يزالون في جهاد ونزاع ومدافعة وقراع، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم.

وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

---

(١) رواه اللالكائي (١٠١) ١/ ٨٤.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٢٦، والآجري في الشريعة ١/ ٦٤ باب ذم الجدال والخصومات في الدين.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك(١). ـ وفي رواية ـ وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل.

قال نعيم بن حماد: يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ(٢).

وكان عمر رضي الله عنه ينهى الإماء عن لبس الإزار ويقول: لا تشبهن بالحرائر، وقال لابنه عبدالله: ألم أخبرك أن جاريتك لبست الإزار، لو لقيتها لأوجعتها ضرباً.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: ومعلوم أن هذه سترة، ولكن فهموا أن مقصود الشرع المحافظة على حدوده، وأن لا يظن الناس أن الحرة والأمة في السترة سواء، فتموت سنة وتحيا بدعة.

وروى الطرطوشي عن سهل بن عبدالله أنه قال: آخر عقوبة يعاقب بها ضلاّل هذه الأمة: كفران النعم واستحسان المساوئ.

وعن ابن مسعود قال: إن منكر اليوم لمعروف قوم ما جاءوا بعد، وإن معروف اليوم لمنكر قوم ما جاءوا بعد(٣).

روى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب المنكدر على صلاة بعد صلاة العصر، فقيل له: أعلى الصلاة؟ فقال: على خلاف السنة(٤).

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث/ ٢٢، واللالكائي (١٦٠) ١/١٠٥ سياق ماروي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة.

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب المدخل، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٣) الباعث لأبي شامة ١/٦٨ وعزاه للدارمي.

(٤) الباعث ١/٦٩.

فبركة اتباع السنة أكثر فائدة وأعظم أجراً[١].

عن طاوس قال: رآني ابن عباس رضي الله عنهما وأنا أصلي بعد العصر فنهاني، فقال: إنما كرهت لئلا تتخذ سلما، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد العصر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وما أدري تعذب عليها أم تؤجر؟

قال سفيان: أن يتخذ سلماً: يقول: يصلي بعد العصر إلى الليل[٢].

وعن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد: يعذبني الله على الصلاة؟

فقال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة[٣].

وفي ترجمة السري السقطي الزاهد رحمه الله أنه قال: عمل قليل في سنة، خير من كثير في بدعة، كيف يقل مع عمل تقوى[٤]!؟

وعن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: إذا صلى الرجل في بيته فإنه يقيم إقامة، فقال يزيد الرقاشي: أفلا يؤذن ويقيم فيكون له أجران؟

فقال الحسن: السنة أفضل[٥].

روى القاضي أبو الوليد في المنتقى: أن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة الشافعي رحمه الله.

(٢) الباعث ١/ ٦٩.

(٣) الباعث ١/ ٧٠.

(٤) الباعث ١/ ٧٠.

(٥) الباعث ١/ ٧٠.

حضر جنازة فقال: لتسرعن بها وإلا رجعت.

قال أبو بكر: انظروا: لما ترك الإسراع وهو السنة، همّ ابن عمر رضي الله عنهما بالانصراف، ولم ير أن قيراطين من الأجر بقيا بترك سنة من سنن رسول الله ﷺ(١).

عن صفوان بن محرز قال: سألت ابن عمر رضي الله عنهما عن صلاة السفر، قال: ركعتان، من خالف السنة كفر(٢).

يعني من غير مصلحة تأولها كما تأول عثمان رضي الله عنه. وقوله «كفر» يعني: لمخالفة السنة، لأنه سلك غير سبيل المؤمنين، كقوله ﷺ: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**(٣).

والمراد بالكفر هنا كفران النعمة التي أنعم الله بها من التخفيف.

فلله در أقوام دقت فطنهم، وصفت أذهانهم، وتعالت بهم الهمم في اتباع نبيهم، وتناهت بهم المحبة حتى اتبعوه هذا الاتباع، فبمثل هدي هؤلاء العقلاء إخواني فاهتدوا، ولآثارهم اقتفوا، ترشدوا وتنصروا وتجبروا(٤).

وروى ابن بطة بإسناده إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: إنكم لن تروا من الأمر إلا بلاءً وفتنة، ولن يزداد الأمر إلا شدة، ولن تروا من

---

(١) الباعث (٧١) فصل في إنكار من أنكر من البدع.

(٢) عبد الرزاق في المصنف (٤٢٨١) ٢/ ٥١٩ باب الصلاة في السفر، وأبو شامة في الباعث (٧٣) فصل: في إنكار الصحابة رضي الله عنهم مخالفة السنة، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٤٠ (٥٢٠٢) باب ترك التقصير والمسح على الخفين وما يكون رخصة رغبة عن السنة، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٨٥.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣) كتاب النكاح / باب الترغيب في النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح / باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) ابن بطة ١/ ٢٤٥.

الأئمة إلا غلظة، ولن تروا أمراً يهولكم ويشتد عليكم إلا حقره بعد ما هو أشد منه(١).

قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: اللهم رضنا، مرتين(٢).

قال ابن بطة رحمه الله: إخواني: فاستمعوا إلى كلام هؤلاء السادة من الماضين، والأئمة العقلاء من المسلمين، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، هذه أقوالهم والإسلام في طرافة ومطاوعة، وعنفوان قوته واستقامته، والأئمة راشدون، والأمراء مقسطون، فما ظنكم بنا وبزمان أصبحنا فيه وما نعانيه ونقاسيه، ولم يبق من الدين إلا العكر، ومن العيش إلا الكدر، ونحن في دردى الدنيا وثمادها.

قال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان، القابض على دينه كالقابض على الجمر**»(٣).

وهذا الحديث يقتضي خبراً وإرشاداً:

أما الخبر: فإنه ﷺ أخبر أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة، كحالة القابض على الجمر، من قوة المعارضين وكثرة الفتن المضلة، فتن الشبهات والشكوك والإلحاد، وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا، وانهماكهم فيها ظاهراً وباطناً، وضعف الإيمان وشدة التفرد لقلة المعين والمساعد.

ولكن المتمسك بدينه، القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي

---

(١) المروزي في الفتن ١/ ٤٠ ما كان من رسول الله ﷺ من التقدم ومن أصحابه في الفتن التي هي كائنة.

(٢) إسناده صحيح وهو موقوف على معاذ.

(٣) رواه أحمد ٢/ ٣٩٠، والترمذي (٢٢٦٠) كتاب الفتن / باب وقال: حديث غريب، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني.

لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين، وأهل الإيمان المتين، من أفضل الخلق وأرفعهم عند الله درجة وأعظمهم عنده قدراً.

وأما الإرشاد: فإنه أرشد أمته أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة، وأن يعرفوا أنه لابد منها، وأن من اقتحم هذه العقبات وصبر على دينه وإيمانه ـ مع هذه المعارضات ـ فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه، فإن المعونة على قدر المؤنة.

وما أشبه زماننا هذا بهذا الوصف الذي ذكره النبي ﷺ، فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات متشتتة، وعداوات وبغضاء للقضاء على الدين، وإلحاد وماديات جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على بقية الرمق، ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا، بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم وأكبر همهم، ولها يرضون ويغضبون، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا، وتدمير الدين، واحتقاره والاستهزاء بأهله وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفخة، واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشررها وشرورها قد شاهده العباد.

فمع هذه الشرور المتراكمة، والأمواج المتلاطمة، والمزعجات الملمة، والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة ـ مع هذه الأمور وغيرها ـ تجد مصداق هذا الحديث.

ولكن مع ذلك، فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصوراً على الأسباب الظاهرة، بل يكون ملتفتاً في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد العسر يسراً، وأن الفرج

مع الكرب، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات وحلول المفظعات.

فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» و«**حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا، اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة، ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير، وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣-٤][1].

جعلنا الله وإياكم ممن يحيى به الحق والسنن، ويموت به الباطل والبدع، ويستضيء بنور علمه أهل زمانه، ويقوي قلوب المؤمنين من إخوانه.

وانظروا رحمكم الله من تصحبون وإلى من تجلسون، واعرفوا كل إنسان بخدنه، وكل أحد بأصحابه، أعاذنا الله وإياكم من صحبة المفتونين، ولا جعلنا وإياكم من إخوان العابثين ولا من أقران الشياطين، واستوهب الله لي ولكم عصمة من الضلال وعافية من قبيح الفعال[2].

فهذه مقتطفات من كلام العلماء، وسادة الدين الفقهاء، بينوا فيها مكانة السنة، وعظيم فضل الله عليهم فيها والمنة، وحذروا أمة الإسلام من الشقاق والمخالفة، وذلك بالتزام ما كانت عليه القرون المفضلة السالفة.

فالواجب السير على طريقتهم، والاقتداء بهم في سيرتهم، عل الله أن يحشرنا في زمرتهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (١٨١-١٨٢).

(٢) الإبانة لابن بطة.

ثم إن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي من الكتب التي صنفت على معتقد سلفي، وكان من خير من شرحها هو الإمام ابن أبي العز الحنفي فأجاد وأفاد وأكثر في النقول، وتلقاها أهل السنة بالتسليم والقبول، وكل بني خطاء، والمعصوم من عصمه رب الأرض والسماء.

وقد اعتنى بشرحها وتدريسها جمع من أهل الفن، من الذين عرفوا بالتمسك بالأثر والسنن، ومن جملة من شرحها واعتنى بها؛ حبر زمانه، ونادرة عصر وأوانه، العلم العلاّمة، والبحر الفهّامة، صاحب الدين والديانة، والزهد والصدق والأمانة، والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر، إمام المسلمين، والذاب عن الدين، العالم المجاهد القائد، وسماحة شيخنا الوالد، فقيه نجد والحجاز: أبوعبدالله عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رحمه الله، وجعل الفردوس الأعلى منقلبه ومثواه، آمين.

الشيخ ابن باز ومنهجه في شرح الطحاوية:

لا يخفى اهتمام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في شرح كُتب العقائد التي ألَّفها أئمة الإسلام، ومن جملة هذه الكتب: العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز الحنفي.

وقد طُبعت تعليقات بسيطة لسماحة شيخنا رحمه الله على متن الطحاوية استدرك على مؤلفها بعض الأخطاء.

أما هذا السفر العظيم فقد حوى تعليقاته وتقريراته شاملة للمتن مع تعليقاته على شرح ابن أبي العز وبالاختصار تتلخص تعليقاته على النحو الآتي:

١- الاستدراك على المؤلف والشارح في بعض الأخطاء التي لم يوفقوا فيها لإصابة منهج أهل السنة والجماعة.

٢- التعليق على المسائل التي جرى فيها خلاف بين أهل السنة والجماعة وغيرهم من الفرق والتدليل على صحة منهج أهل السنة.

٣- وكعادة الشيخ رحمه الله نجد نفسه واضحاً في الحرص على جمع كلمة المسلمين على عقيدة واحدة ونبذ الاختلاف العقدي وحرصه على أن يتناصح المسلمون فيما بينهم في بيان أمر العقيدة.

٤- يتطرق الشيخ رحمه الله في بعض الأحيان إلى الكلام على فرق ضالة معاصرة وما استجد لديها من اعتقادات وأقوال كالصوفية والرافضة مما يدل على متابعة الشيخ رحمه الله لهذه الفرق.

٥- يقرر الشيخ رحمه الله مسائل في عقيدة أهل السنة والجماعة حتى تكون واضحة جلية لكثرة ما يسوقه من الأدلة حتى يصبح قوله معتمداً عند العلماء وطلاب العلم.

٦- سهولة ألفاظ الشيخ رحمه الله وتسهيله للمسائل الصعبة حتى تكون قريبة إلى الأفهام، وابتعاده رحمه الله عن التعمق حتى لا تكون المسائل صعبة ومعقدة، يلاحظ هذا في تعليقه على المسائل الكلامية والفلسفية.

٧- يقرر الشيخ رحمه الله في طيات الكتاب أن منهج التلقي للعقيدة هو الكتاب والسنة على فهم الصحابة رضوان الله عليهم وما كان عليه أئمة القرون الثلاثة، ويدلل على هذا بما يزيد النفس طمأنينة.

٨- الشيخ ابن باز يدلي بدلوه في الحكم على الأحاديث ويعلق على تخريجات أحمد شاكر والألباني رحمهما الله ويعطي رأيه في الحكم على درجة الحديث.

وسماحة شيخنا رحمه الله بحر لا ساحل له، يعجز القلم في هذه العجالة أن يحيط بميزات الشيخ في شروحه، ولعل القارئ يجد أكثر مما قلت أثناء تصفحه وقراءته.

عملي في الكتاب:

١- تفريغ شرح الشيخ من الأشرطة وعددها (٣٣) شريطاً.

٢- الجمع بين تخريجات الشيخين أحمد شاكر والألباني رحمهما الله ورمزت لتخريجات أحمد شاكر بـ: «قال شاكر». وتخريجات الألباني: «اهـ. ألباني».

٣- خرجت الآثار التي لم يخرجها الشيخ شاكر والشيخ الألباني وعزوتها إلى مصادرها.

٤- خرجت الأحاديث والآثار التي ذكرها الشيخ ابن باز في تعليقاته.

٥- عزو الآيات إلى مصادرها.

٦- أثبت الأمثلة والمناقشة التي يناقش فيها الشيخ كل في بابه.

وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأن يجزي المؤلف الطحاوي وشارحه ابن أبي العز وسماحة والدنا الشيخ ابن باز خير الجزاء، وأن يكتب لنا معهم الأجر والثواب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أبو سفيان

غزاي بن حمدان الوهبي الأسلمي

* * *

ترجمة الإمام الطحاوي رحمه الله، صاحب العقيدة

هو أبو جعفر أحمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي - نسبة إلى قرية بصعيد مصر - الإمام المحدث الفقيه الحافظ.

ولد رحمه الله سنة تسع وثلاثين ومائتين، وعندما بلغ سن الإدراك تحول إلى مصر لطلب العلم، وأخذ يتلقى العلم عن خاله إسماعيل بن يحيى المزني، أفقه أصحاب الإمام الشافعي، وكان كلما اتسعت دائرة أُفقه يجد نفسه حائراً أمام كثير من المسائل الفقهية، ولم يكن ليجد عند خاله ما يشفي غليله عنها، فأخذ يتقرب ما يصنعه خاله عندما تعترضه تلك المسائل ،فإذا هو كثير التعريج على كتب أصحاب أبي حنيفة، وإذا هو يختار ما ذهب إليه أبو حنيفة في كثير منها، وقد أودع هذه الاختيارات في كتابه «مختصر المزني».

فلم يسعه بعد ذلك إلا أن ينظر في كتب أصحاب أبي حنيفة، ويطلع على منهجهم في التأصيل والتفريع، حتى إذا اكتملت معرفته بمذهب الإمام أبي حنيفة تحول إليه واقتدى به وأصبح من أتباعه.

ولم يمنعه ذلك من مخالفته لبعض أقوال الإمام وترجيح ما ذهب إليه غيره من الأئمة، لأنه رحمه الله لم يكن مقلداً لأبي حنيفة، وإنما كان يرى أن منهجه في التفقه أمثل المناهج في نظره، فكان يسير عليه ويأتم به، ولذلك تجده في كتابه «معاني الآثار» يرجح ما لم يقل به إمامه.

ومما يؤيد ما ذكرناه؛ ما قاله ابن زولاق: سمعت أبا الحسن علي بن أبي جعفر الطحاوي يقول: سمعت أبي يقول وذكر فضل أبي عبيد حربويه وفقهه فقال: كان يذاكرني في المسائل، فأجبته يوماً في مسألة

فقال لي: ما هذا قول أبي حنيفة، فقلت له: أيها القاضي: أو كل ما قاله أبوحنيفة أقول به؟

فقال: ما ظننتك إلا مقلداً، فقلت له :وهل يقلد إلا عصبي، فقال لي: أو غبي.

قال: فطارت هذه بمصر حتى صارت مثلاً وحفظها الناس.

وقد تخرج على كثير من الشيوخ وأخذ عنهم وأفاد منهم، وقد أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ، وكان شديد الملازمة لكل قادم إلى مصر من أهل العلم من شتى الأقطار، حتى جمع إلى علمه ما عندهم من العلوم، وهذا يدلك على مبلغ عنايته في الاستفادة، وحرصه الأكيد على العلم.

وقد أثنى عليه غير واحد من أهل العلم ،ووصفوه بأنه ثقة ثبت فقيه عاقل حافظ ديّن، له اليد الطولى في الفقه والحديث.

قال ابن يونس: كان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً لم يخلف مثله.

وقال الذهبي في «**تاريخه**» الكبير: الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام، وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً.

وقال ابن كثير في «**البداية والنهاية**»: هو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة.

وأما تصانيفه رحمه الله فهي غاية في التحقيق والجمع وكثرة الفوائد وحسن العرض.

فمن تصانيفه: «**العقيدة الطحاوية**» وهي على صغر حجمها غزيرة النفع سلفية المنهج، تجمع بين دفتيها كل ما يحتاج إليه المسلم في عقيدته.

ومنها كتاب «**معاني الآثار**» وهو كتاب يعرض فيه الأبحاث الفقهية مقرونة بدليلها، ويذكر في غضون بحثه المسائل الخلافية، ويسرد أدلتها

ويناقشها، ثم يرجح ما استبان له الصواب منها، وهذا الكتاب يدرب طالب العلم على التفقه، ويطلعه على وجوه الخلاف، ويربي فيه ملكة الاستنباط، ويكون له شخصية مستقلة.

ومنها كتاب «**مشكل الآثار**» في نفي التضاد واستخراج الأحكام منها.

ومنها «**أحكام القرآن**»و «**المختصر**» و«**شرح الجامع الكبير**» و«**شرح الجامع الصغير**» وكتاب «**الشروط**» و«**النوادر الفقهية**»و «**الرد على أبي عبيد**» و«**الرد على عيسى بن أبان**» وغير ذلك من التصانيف الجليلة المعتبرة.

توفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ليلة الخميس، مستهل ذي القعدة بمصر، ودفن بالقرافة[(١)].

* * *

(١) مقدمة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

رَفْعُ عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

ترجمة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله

هو العلاّمة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن أحمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، ولد سنة ٧٣١، اشتغل بالعلوم، وكان ماهراً في دروسه وفتاويه، وخطب بحسبان قاعدة البلقاء مدة، ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة ٧٧٩، ثم ولي قضاء مصر، فأقام شهراً ثم استعفى، ورجع إلى دمشق على وظائفه.

وذكر ابن عماد خبر اعتقاله لبيانه ما في قصيدة ابن أيبك من الشرك، وأنه أقام مقتراً عليه، إلى أن جاء الناصري فرفع أمره، فأمر برد وظائفه، ولم تطل مدته، فقد توفاه الله بعد ذلك.

وكانت وفاته بدمشق سنة ٧٩٢ عليه رحمة الله[١].

* * *

(١) مقدمة شرح الطحاوية، طبع المكتب الإسلامي.

نبذة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

تفضل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بإملاء نبذة عن حياته:

أنا عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز.

ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكنت بصيراً في أول الدراسة، ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ، فضعف بصري بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ، والحمد لله على ذلك، وأسأل الله جل وعلا أن يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيه محمد ﷺ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة.

وقد بدأت الدراسة منذ الصغر، وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأت في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، من أعلامهم:

١ـ الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله.

٢ـ الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قاضي الرياض، رحمهم الله.

٣ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض).

٤ـ الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض).

٥ـ الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) أخذت عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ.

٦ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، وقد لازمت حلقاته [صباحاً ومساءً، وحضرت كل ما يقرأ عليه، ثم قرأت عليه جميع المواد التي درّسها في الحديث والعقيدة والفقه والنحو والفرائض، وقرأت عليه شيئاً كثيراً من التفسير والتاريخ والسيرة النبوية] نحواً من عشر سنوات، وتلقيت عنه جميع العلوم الشرعية، ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشحت للقضاء من قبل سماحته.

جزى الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه، وتغمدهم جميعاً برحمته ورضوانه.

[مذهب الشيخ رحمه الله]

مذهبي في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وليس على سبيل التقليد، ولكن على سبيل الاتباع في الأصول التي سار عليها، أما في مسائل الخلاف، فمنهجي فيها هو ترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه والفتوى بذلك، سواء وافق مذهب الحنابلة أم خالفه، لأن الحق أحق بالاتباع، وقد قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

[أعمالــه]

وقد توليت عدة أعمال هي:

١ـ القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عاماً وأشهراً، وامتدت بين سنتي ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٧١هـ، وقد كان التعيين

في جمادى الآخرة من عام ١٣٥٧هـ، وبقيت إلى نهاية ١٣٧١هـ.

٢ـ التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ، وبكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ في علوم الفقه والتوحيد والحديث، واستمر عملي على ذلك تسع سنوات، وانتهت في عام ١٣٨٠هـ

٣ـ عينت في عام ١٣٨١هـ نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقيت في هذا المنصب إلى عام ١٣٩٠هـ

٤ـ توليت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة ١٣٩٠هـ بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رمضان عام ١٣٨٩هـ، وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٣٩٥هـ

٥ـ وفي ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة «وزير» ولا أزال إلى هذا الوقت في هذا العمل.

أسأل الله العون والتوفيق والسداد.

وإلى جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية، من ذلك:

١ـ عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة.

٢ـ رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة.

٣ـ عضوية رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤ـ رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥ـ رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦ـ عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٧ـ عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة.

[مؤلفاته]

أما مؤلفاتي فمنها :

١ـ الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٢ـ التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك» [وهو أهمها وأنفعها، كنت جمعته في عام ١٣٦٣هـ وأنا في قضاء الخرج، ثم زدته وبسطته بعد ذلك، وطبع مرات كثيرة، وهو الآن في أيدي الناس، وقد نفع الله به كثيراً، وقد ترجم إلى عدة لغات].

٣ـ التحذير من البدع، ويشتمل على أربع مقالات:

- حكم الاحتفال بالمولد النبوي .
- وليلة الإسراء والمعراج.
- وليلة النصف من شعبان.
- وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى: الشيخ أحمد.

٤ـ رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.

٥ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها.

٦ـ وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها.

٧ـ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.

٨ـ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

٩ـ حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.

١٠ـ نقد القومية العربية.

١١ـ الجواب المفيد في حكم التصوير.

١٢ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب «دعوته وسيرته».

١٣ـ ثلاث رسائل في الصلاة :

أ ـ كيفية صلاة النبي ﷺ.

ب ـ وجوب أداء الصلاة في جماعة.

ج ـ أين يضع المصلي يديه حين يرفع من الركوع.

١٤ـ حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في الرسول ﷺ.

١٥ـ حاشية مفيدة على فتح الباري، وصلت فيها إلى كتاب الحج.

١٦ـ رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب.

١٧ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

١٨ـ الجهاد في سبيل الله.

١٩ـ الدروس المهمة لعامة الأمة.

٢٠ـ فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.

٢١ـ وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة.أهـ[١]

أضف إلى ذلك السفر النفيس: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة.

[أعمال إسلامية أخرى لسماحته رحمه الله]

ولسماحة الشيخ رحمه الله أعمال جليلة أخرى، واهتمامات بأمور المسلمين في كل مكان، منها :

وقوفه إلى جانب المؤسسات والمراكز التي تقوم بأمر التعليم

---

(١) من كتاب: فتاوى وتنبيهات ونصائح لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

والدعوة إلى الله في شتى بقاع العالم، وتعضيده للمسلمين المجاهدين في فلسطين وأفغانستان والفلبين وغيرها، مع دعوته المسلمين القادرين إلى مساعدتهم.

ومن أعماله المهمة: عنايته بالتوحيد والعقيدة التي التبس على كثير من المسلمين فهمها، يدرك ذلك كل من حضر إلى دروسه أو استمع إلى محاضراته وأحاديثه وقرأ مؤلفاته.

يولي سماحته تعليم القرآن العظيم اهتماماً خاصًّا، ويحث إخوانه وتلاميذه رؤساء وأعضاء الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم على مضاعفة الجهود، ويشاركهم في كل ما من شأنه تقوية هذه الجماعة واستمرارها.

[أخلاقه وسجاياه]

من أبرز صفات الشيخ رحمه الله السكينة والوقار والسماحة والرفق والكرم والزهد فيما أيدي الناس، إلى جانب الشجاعة في قول الحق، وهذا ما يفسر حب الجميع له وازدحام الناس حوله أينما حل للاستفادة من علمه وفضله[١].

لم ينقطع عن طلب العلم - إلى حين وفاته - حيث لازم البحث والتدريس ليل نهار، ولم تشغله المناصب عن ذلك، مما جعله يزداد بصيرة ورسوخاً في كثير من العلوم، وقد عني عناية خاصة بالحديث وعلومه، حتى أصبح حكمه على الحديث من حيث الصحة والضعف محل اعتبار، وهي درجة قل أن يبلغها أحد، خاصة في هذا العصر، وقد ظهر أثر ذلك على كتاباته وفتواه، حيث كان يتخير من الأقوال ما يسنده الدليل.

(١) كتاب الدعوة، الجزء الأول.

كانت حلقاته مستمرة، ولديه طلاب متفرغون لطلب العلم، من أبرزهم:

١ـ الشيخ عبدالله الكنهل.

٢ـ الشيخ راشد بن صالح الخنين.

٣ـ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك.

٤ـ الشيخ عبداللطيف بن شديد.

٥ـ الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود.

٦ـ الشيخ عبدالرحمن بن جلال.

٧ـ الشيخ صالح بن هليل[١].

وغيرهم كثير.

[وفاتـــه]

ألم به مرض في آخر أيامه رحمه الله، إلا أن ذلك لم يثنه عن مواصلة مسيرة الخير والبذل والعطاء، رغم توصيات الأطباء له عن التوقف عن جميع الأعمال والخلود إلى الراحة التامة، خاصة مع تقدمه في السن، ولكنه ـ رحمه الله ـ أصر على الاستمرار في جميع أعماله، من تدريس وفتيا وتوجيه وشفاعات للناس، غير مكترث بقول الأطباء، ولله در القائل:

إذا حلـــت الهدايـــة قلبـــاً نـــشطت في العبـــادة الأعـــضاء

اختاره الله إلى جواره فجر يوم الخميس في الثامن والعشرين من شهر الله المحرم لعام عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة في مدينة

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة.

الطائف، وأعلنت الصلاة عليه يوم الجمعة في المسجد الحرام، فازدحمت المطارات بالناس للسفر إلى مكة المكرمة للصلاة على الشيخ، وتهافت أهل الفضل على العلماء في بيوتهم يعزونهم، فكأني بالناس يوم ذاك وهم يعزون أنفسهم ومن يرونه بوفاة الشيخ، أعظم الله أجرك، ولله ما أخذ وله ما أعطى، وكأن الناس لم يرزؤا بمصيبة قبل هذا، وصلي على الشيخ رحمه الله بعد صلاة الجمعة في المسجد الحرام، وأمّ المصلين إمام المسجد الحرام فضيلة الشيخ محمد السبيل حفظه الله، فلو رأيت بكاء الناس ونحيبهم آنذاك لعلمت مقدار حبهم لهذا العالم الجليل، فالله يرحمه ويغفر له، ولو رأيت نعشه إذ حمل ولا يكاد يثبت على الأيدي لاستبان لك صدق قول الإمام أحمد رحمه الله حين قال: يا أهل البدع: بيننا وبينكم شهود الجنائز، وصلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد البلاد وكذا في بعض البلدان الأخرى، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه على ما قدّم للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❊ ❊ ❊

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

والثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا المقام مقام عظيم، وهو مقام التعريف بالله وصفاته وعظيم حقه على عباده، والرسل بهذا بعثوا ولهذا خلق الله الخليقة وبها أمر الله الخليقة، وهو أن يعبدوه وحده لا شريك له، بعد معرفتهم إياه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا يسمى هذا الأصل العظيم، يسمى الفقه الأكبر، لأن الأحكام تابعة لذلك، الواجبات والمحرمات تابعة لهذا الأصل، فمن أتى بها بدون الأصل ما نفعته، وإنما تنفعه في هذا الأصل.

فالأصل العظيم هو توحيد الله والإخلاص له ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة حقه الذي أوجب، حتى تسير إليه على بصيرة، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن الشهادة أن لا إله إلا الله تعريف به سبحانه بصفاته وعظيم حقه، والشهادة بأن محمداً رسول الله فيه الإيمان بالرسول المبين والموجه إلى الطريق السوي، والموضح لما للسامعين والمنقادين من العاقبة الحميدة.

فالرسل جاءت بأمور ثلاثة:

الأول: جاءت بالتعريف بالله وبيان أسمائه وصفاته، وهكذا جاءت الكتب المنزلة من السماء.

الثاني: تعريف الطريق الموصل إليه، والسبيل الموصل إليه من الأحكام والأحوال فعلاً وتركاً.

الثالث: بيان ما لهم عنده إذا وصلوا إليه، ما هو الجزاء؟ ما هو الغاية؟ ما هو الثمرة لمن سلك السبيل وأخذ في الطريق ؟

وأن الثمرة والغاية هي الوصول إلى الله ودخول جنته ونيل كرامته، والسلامة من غضبه وعقابه، هذه وظيفة الرسل.

مما جاءت به الرسل هذه الأمور الثلاثة:

الأول: التعريف بالله وبأسمائه وصفاته وعظيم حقه سبحانه وتعالى.

الثاني: بيان الطريق الموصل إليه، وهي الشريعة المطهرة التي جاءت بها الرسل.

الثالث: مالهم عنده؟ ما جزاؤهم؟ ماذا يحصل لهم إذا ماتوا وانتقلوا إليه وماذا يكون؟

وأنهم يجازون بالجزاء الحسن، ويجازون بغفران الذنوب وحط الخطايا، ويجازون بدخول الجنة والنجاة من النار، والمقصود بالفقه هنا: الأحكام الكبرى ليست القابلة للاجتهاد، وهو الاستفادة من العلوم والأصول.

واستفقه يعني تعلم واستفاد، فقه هذا يعني فهمه، والمراد بالفقه: معرفة الأحكام الشرعية نفسها، والمراد بالفقه الأكبر معرفة أصل الدين وأساس الملة، فالإنسان يعرف توحيد الله وأسمائه وصفاته، هذا هو الأساس، وهو الفقه الأكبر، وهو الأحكام الكبرى، ثم بعد ذلك تأتي أمور أخرى، أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج والطلاق والنكاح والعتاق والجنايات وأشباهها، كل هذه تابعة.أهـ

❊ ❊ ❊

فأعرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمى الله ما أنزله على رسوله روحاً، لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه فقال الله تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] وقال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

ولا روح إلا فيما جاء به الرسول، ولا نور إلا في الاستضاءة به،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر عظيم، يبين لك أن ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من الهدى ودين الحق قد اجتمع فيه أمران:

الأمر الأول: أنه روح تحصل به الحياة، فمن فقد هذا الإيمان وهذا الهدى فهو مع الأموات، ولو كان يعيش مع الناس ويتصرف، فهو مع الأموات، لأنه لم يعرف ربه ولم يعرف ما بعث به رسوله عليه الصلاة والسلام، بل هو في ضلاله وظلمته التي خلق عليها، ليس عنده علم ولا هدى ولا نور.

الأمر الثاني: أنه يحصل به النور والبصيرة والهداية، فمن لم تحصل له هذه الروح لم يحصل له النور والهداية، بل كان في ضلاله وعماه وفي ظلمة جهله وطبعه حتى يُهدى لهذا الحق، وحتى يتبصر بما جاء به الرسول ﷺ، وحتى يستنير به، ولهذا قال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] الروح الحياة، الكتاب والسنة هما الروح، قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢] فجعل الله ما جاء به من الروح نوراً يهدي به من يشاء سبحانه وتعالى.

فالعلم الشرعي المحتوي على علم الأصول والفروع؛ هو الروح وهو الهدى، وهو الهدى ودين الحق، وهو طريق النجاة وسبيل السعادة، فمن خلا منهما وفقدهما فهو ميت مع الأموات، في ظلمات الجهل والضلال، كما قال سبحانه: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢] فالكافر ميت القلب، في ظلمته وفي جهالته، ليس له بصيرة وليس عنده بصيرة توصله إلى السعادة والنجاة، والمؤمن الموفق المتبصر قد يُعطى النور والروح جميعاً، الذي قد وفقه الله وتبصر في دينه وأسلم؛ فهو على نور وعلى هدى وعلى حياة طيبة تطمئن بها القلوب وترتاح لها النفوس، وتصير يشتد بها العزم إلى ربه على غاية من الهدى والثبات والراحة والأنس بما هو عليه وبما يستقبله.أهـ.

* * *

وسماه الشفاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] فهو وإن كان هدى، وشفاء مطلقاً، لكن لما كان المنتفع بذلك هم المؤمنين، خصوا بالذكر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الكتاب والسنة هدى وروح وسعادة لأهل الإيمان، وهو في الحقيقة روح للجميع ونور للجميع لو أخذوا به، وهدى لهم وشفاء لهم، لكن من أخذ به حصل له الهدى والشفاء والروح والنور، ومن لم يأخذ به فلا هدى ولا شفاء ولا حياة ولا نور، بل فقد هذا كله بإعراضه وكبره وغفلته وعدم أخذه بهذا الخير، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾

[فصلت:٤٤] هو لهم هدى وشفاء، ولغيرهم لو أخذوه، فهو هدى وشفاء لجميع أهل الأرض، لجميع العرب والعجم والجن والإنس هو هدى وشفاء، لكن لما كان أهل الإيمان هم الذين أخذوا به واستضاءوا به وانتفعوا به؛ صار كأنه خاص بهم، وهو غير خاص بهم، كل من أسلم ودخل في الدين دخل معهم، فهو نور للجميع وهدى للجميع ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣] فهو مرسل للجميع بالهدى ودين الحق، فالهدى هو العلم والبصيرة وما جاء به من الأخبار الصادقة، ودين الحق ما جاء به من الشرائع المستقيمة والأحكام العادلة.أهـ.

* * *

والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به.

ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

وأما ما يجب على أعيانهم: فهذا يتنوع بتنوع قُدَرِهم، وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها،

ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك.

وينبغي أن يُعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق، فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآيات.

وكما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»(١) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث، الدالة على مثل هذا المعنى.

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله: هذا حديث جميل المعنى، ولكن في إسناده ضعف، فيه الحارث الأعور وهو لين، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب، ولعل أصله موقوف على علي رضي الله عنه، فأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي ﷺ، وقد ضعفه مخرجه الترمذي نفسه فقال: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال». أهـ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث رواه الترمذي بإسناد ضعيف، وقال فيه الحافظ الذهبي رحمه الله: إن الأشبه أنه موقوف على علي.

وهذا الكلام كلام عظيم تشهد له النصوص بالحق، جاءت النصوص تشهد لهذا المعنى في وصف كتاب الله جل وعلا بوصوف أخرى تشهد لمعناه بالحق، وأنه من كلام الرسول ﷺ، ومما دلت عليه النصوص الأخرى، فهو كلام عظيم، وشواهده في الكتاب والسنة كثيرة، وإن كان هذا الطريق فيه ضعف، لأنه من رواية الحارث الأعور، وهو ضعيف عن علي، ولكن مثل ما قال الحافظ الذهبي رحمه الله: أشبه أنه من كلام علي، قاله من الأدلة الأخرى والنصوص الأخرى التي تشهد له بالصحة.أهـ.

* * *

ولا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً يدينون به، إلا أن يكون موافقاً لدينه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم السلام.

وقد نزه الله تعالى نفسه عما يصفه العباد، **إلا ما وصفه به المرسلون** بقوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] **فنزه نفسه سبحانه عما يصفه به الكافرون، ثم سلم على المرسلين، لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: سبق في كلام المؤلف أن الله بعث الرسل وأنزل الكتب لأمور ثلاثة:

الأمر الأول: التعريف بنفسه، والدلالة على أنه سبحانه هو المسمى بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه المستحق لأن يعبد دون كل ما سواه، وأن المعبودات من سواه باطلة، هذا الأمر الأول، يبين أسماءه وصفاته حتى يعرفه العباد ويعبدوه على بصيرة، ويبين حقه لهم وأنه المستحق لأن يعبد جل وعلا دون كل ما سواه، ومن هذا الباب وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] وقوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] وما جاء في هذا المعنى من آيات الصفات.

والأمر الثاني: بيان الطريق الذي يجب على العباد أن يسلكوه وأن يسيروا عليه وأن يلزموه حتى يصلوا إلى ربهم جل وعلا، وهذا هو الصراط المستقيم، وهو الشرائع التي بعث الله بها الرسل، وهي الطريق الموصل إلى الله، فالرسل والكتب رسمت الطريق وأوضحت الطريق، وهو طاعة الأوامر وترك النواهي إخلاصاً لله ومحبةً له وتعظيماً له، هذا هو الطريق، هذا الأول الذي هو توحيد الله والإيمان بأسمائه وصفاته، والشرائع التي أمر بها عباده من الأوامر والنواهي والحلال والحرام، من اعتقاد وقول وعمل، هذا الطريق الموصل إلى الله، وسماه الله الصراط المستقيم، سماه طريقاً، قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة:٦] وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].

والأمر الثالث: ما هو الجزاء لمن سلك هذا الطريق؟ وما عاقبته وما نهايته؟ وما هو الجزاء لمن خالف هذا الطريق ولم يسلكه ؟

فبينت الرسل والكتب أن جزاء من سلك الطريق الجنة والكرامة والفوز بالنعيم المقيم والرضا من الله والنظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة، هذا جزاء من استقام على الصراط وسار على الطريق، الإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته عن إخلاص له في العبادة وتوحيد له سبحانه، وأن جزاء من خالف الطريق وحاد عن السبيل المرسوم، جزاؤه النار وغضب الله عز وجل والعذاب المهين الدائم والمستمر أبد الآباد ودهر الداهرين.

هذه الأمور الثلاثة هي الزبدة، زبدة ما جاءت به الرسل، وحقيقة ذلك هذه الأمور الثلاثة:

الأمر الأول: ما يتعلق بالتعريف به سبحانه وتعالى وبيان أسمائه وصفاته وأنه المستحق للعبادة.

الأمر الثاني: بيان الشرائع التي يسلكها الناس ويستقيم عليها الناس ويلزمونها في هذه الدنيا، وبها تصلح أحوالهم في الدنيا وتحصل لهم النجاة في الآخرة، كل رسول على حسب ما جاء به من الشرائع.

والأمر الثالث: جزاء هؤلاء السالكين للصراط وجزاء من خالف الصراط، جزاء من استقام على طاعة الله ولزم الطريق واستقام على السبيل، وجزاء من حاد عن ذلك واستكبر عن ذلك وأعرض عن ذلك.

فيدخل في الأول كل ما يتعلق بالتوحيد وأسماء الله وصفاته.

ويدخل في الثاني كل الشرائع، من الأوامر والنواهي والحلال والحرام والبدع وغيرها.

ويدخل في الثالث كل ما وعد في الجنة والنار والحساب والجزاء إلى غير ذلك.

وبهذه الأمور الثلاثة يدخل جميع ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكل ما جاءت به الرسل وكل ما دلت عليه الكتب، كله داخل في هذه الأمور الثلاثة.أهـ.

* * *

ومضى على ما كان عليه الرسول ﷺ خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يوصي به الأول الآخر ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] فإن كان قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ معطوفاً على الضمير في ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة إلى الله، وإن كان معطوفاً على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حق.

وقد بلغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمستبصرين، وسلك سبيله خير القرون.

ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم، وافترقوا، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها، كما أخبر الصادق ﷺ بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم»[1].

وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين: الإمام أبو جعفر أحمد

---

(١) متفق عليه من حديث جمع من الصحابة، الصحيحة (٢٧٠).أهـ. ألباني.

ابن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تغمده الله برحمته، بعد المائتين، فإن مولده سنة تسع وثلاثين ومائتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة[١].

فأخبر رحمه الله عما كان عليه السلف، ونقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم، ما كانوا يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين.

وكلما بعد العهد، ظهرت البدع، وكثر التحريف، الذي سماه أهله تأويلاً ليقبل، وقل من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد يسمى صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثم قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سموه تأويلاً قبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني وهو تحريف، تحريف الكلم عن مواضعه، وتغيير اللفظ عن وجهه وصرفٌ له عن مقتضاه، لكن سموه تأويلاً حتى يقبل، وحتى يحصل به التلبيس.

والتأويل أقسام ثلاثة:

القسم الأول: التأويل بمعنى التفسير، كما يقول ابن جرير رحمه الله: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا يعني تفسيره، وهو بيان معنى

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: تجد ترجمته مفصلة في تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٨-٢٩، وتاريخ ابن كثير ١١/ ١٧٤، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ٢٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨٨، واللباب لابن الأثير ٢/ ٨٢، والجواهر المضيئة لا أبي الوفاء ١/ ١٠٢-١٠٥، والفوائد البهية ٣١-٣٤، ولسان الميزان ١/ ٢٧٤-٢٨٢، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ٥٤-٥٥ وابن خلكان ١/ ٥٣-٥٥ طبعة مكتبة النهضة بمصر .أهـ.

الألفاظ، وإيضاح معنى الألفاظ، يقال له تأويل ويقال له تفسير.

والمعنى الثاني: التأويل بمعنى العاقبة، بمعنى الشيء الذي يؤول إليه الشيء وينتهي إليه، مثل تأويل الشرائع؛ الأوامر والنواهي تأويلها ما يحصل لأهلها من الجنة والسعادة، وما يحصل لمن خالفها من النار، كما قال عز وجل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف:٥٣] يعني نهايته وما يؤول إليه، فنهاية هذه الأمور الجنة للمتقين والنار للكافرين، هذا تأويلها ونهايتها، ومنه تأويل الأحلام، يعني ما تؤول إليه الأحلام وما تنتهي إليه، عاقبتها.

والتأويل الثالث: هو التأويل الذي تستعمله المبتدعة من نفاة الصفات، يسمون تحريفهم وصرفهم الكلام عن ظاهره تأويلاً، فالتأويل المبتدع المذموم؛ هو صرف الألفاظ عن ظاهرها والأدلة عن ظاهرها إلى معانٍ أخرى توافق ما أرادوا من التحريف وتوافق ما أرادوا من الباطل، فيسمون هذا تأويلاً للتلبيس، وليدسوه على الناس ويلبسوا به الأمر، وهو ليس في الحقيقة تأويل ولكنه تحريف.

ولا يجوز هذا التأويل الثالث إلا بدليل ـ يعني صرف الكلام عن ظاهره ـ إلا بدليل يدل على ذلك، فإن جاء دليل من الكتاب والسنة أنه يجوز صرف ذلك النص عن ظاهره حتى يوافق أدلة أخرى صحيحة عن الله وعن رسوله؛ فهذا تفسير وتأويل بمعنى صحيح، حتى لا يحصل اختلاف النصوص وتضارب الأدلة، وإلا فهو باطل وتحريف وتغيير للكلام عن حقيقته، حتى يقبل ممن ضعفت بصيرته، وهذا الذي سلكه أرباب الكلام وأهل البدع.أهـ.

❊ ❊ ❊

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة، ودفع الشبه الواردة عليها، وكثر الكلام والشغب، وسبب ذلك إصغاؤهم إلى شبه المبطلين، وخوضهم في الكلام المذموم الذي عابه السلف، ونهوا عن النظر فيه والاشتغال به والإصغاء إليه، امتثالاً لأمر ربهم حيث قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] فإن معنى الآية يشملهم.

وكل من التحريف والانحراف على مراتب: فقد يكون كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ.

فالواجب اتباع المرسلين، واتباع ما أنزله الله عليهم، وقد ختمهم الله بـ محمد ﷺ، فجعله آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد على الله، وقد بين الله به كل شيء، وأكمل له ولأمته الدين خبراً وأمراً، وجعل طاعته طاعة له، ومعصيته معصية له، وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم، وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره، وأنهم إذا دعوا إلى الله والرسول - وهو الدعاء إلى كتاب الله وسنة رسوله - صدوا صدوداً، وأنهم يزعمون أنهم إنما أرادوا إحساناً وتوفيقاً، كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم: إنما نريد أن نحس الأشياء بحقيقتها، أي ندركها ونعرفها، ونريد التوفيق بين الدلائل التي يسمونها العقليات، - وهي في الحقيقة: جهليات - وبين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

وكما يقوله كثير من المبتدعة، من المتنسكة والمتصوفة: إنما نريد

الأعمال بالعمل الحسن، والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل، الذي يسمونه: حقائق وهي جهل وضلال، وكما يقوله كثير من المتكلمة والمتأثرة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة، ونحو ذلك .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وغالب الكلام هذا منقول من كلام ابن القيم رحمه الله، المؤلف نقل كثيراً من كلام ابن القيم رحمه الله في هذا الكتاب.

قوله: «**وكما يقوله كثير من المتكلمة**» الظاهر المتملكة، أما المتملكون فمعناه الذين لهم الحكم والملك، الذين تأثروا بالأشياء التي يزعمونها سياسة وهي ليست سياسة، وإنما هي اتباع للهوى وتحريف للحق، وكثيراً ما يفعل أهل الكلام التحريف من الصوفية وغيرهم، ويفعلها من الملوك والرؤساء ومن يزعمون أنهم يريدون سياسة الملك وسياسة الدولة بما ينفع الدولة ونحو ذلك، قد يعصون الأوامر بزعمهم أن هذا من السياسة.

والحاصل من هذا كله أن أصناف المخالفين للشرع، من ممتنعة ومن إباحية ومن أصحاب الهوى والملك والرئاسة وغير ذلك؛ كلهم إذا حادوا عن الحق يسمون بعدهم عن الحق وتأويلهم للحق شيئاً يزهده على الناس ويلبسون به على الناس؛ هؤلاء يسمون عملهم إحساناً وتوفيقاً، جمعاً بين الأدلة وتوفيقاً للأدلة التي زعموا أنها أدلة من خواطرهم وأوهامهم، وما يسمونه حقيقة أو باطنياً، الأدلة الباطنية أو ما أشبه ذلك، وبين ما هو الظاهر من الشرع، فالصوفية لهم بحث، والمبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والفلاسفة وغيرهم لهم بحث وتأويل،

والذين يعصون الرسول ﷺ ويخالفون الأوامر من الملوك والرؤساء لتحصيل مآربهم قد يخطئون في هذا عمداً، وقد يخطئون جهلاً، وقد يتأوله لهم غيرهم، فيزعمون أنهم إنما أرادوا إحساناً وتوفيقاً، إلى غير ذلك، فهذه أشياء واقعية من دهر طويل، من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، ولكن الصراط المستقيم والحق الواضح المبين؛ هو لزوم الطريق السوي الذي رسمه الله لعباده ودعت الرسل إليه، وهو الأخذ بالأوامر على ظاهرها، وترك النواهي على ظاهرها، والوقوف عند الحدود على ظاهرها، وترك التأويل والتلبيس الذي لا وجه له ولا دليل عليه.أهـ.

* * *

فكل من طلب أن يحكم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول، ويظن أن ذلك حسن، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه؛ فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كاف كامل، يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة السياسية، أو نسبوا إلى شريعة الرسول، بظنهم وتقليدهم، ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها.

فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم، كثر النفاق، ودرس كثير من علم الرسالة.

بل إنما يكون البحث التام، والنظر القوي، والاجتهاد الكامل، فيما جاء به الرسول ﷺ، ليعلم ويعتقد، ويعمل به ظاهراً وباطناً، فيكون قد تلي حق تلاوته، وأن لا يهمل منه شيء .

وإن كان العبد عاجزاً عن معرفة بعض ذلك، أو العمل به، فلا ينهى عما عجز عنه مما جاء به الرسول، بل حسبه أن يسقط عنه اللوم لعجزه، لكن عليه أن يفرح بقيام غيره به، ويرضى بذلك، ويود أن يكون قائماً به، وأن لا يؤمن ببعضه ويترك بعضه، بل يؤمن بالكتاب كله،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا عجز عن إيضاح الحق لقصور علمه أو لمشاغله أو نحو ذلك مما قد يصعب له الحق؛ فالواجب عليه أن يفرح بمن أظهر الحق ونصر الحق وبيّنه وتفرغ لذلك، وأن لا يحمله الحسد والبغي على معاداة ذلك أو تكفير ذلك أو تجهيله أو ما أشبه ذلك، ظلماً وعدواناً وحسداً وبغياً.

فالمؤمن إما أن ينصر الحق بنفسه ويقوم بما يجب، وإما أن يساعد من قام بذلك ويفرح بمن قام بذلك ويكون عوناً له على الخير، ولا يكون ضداً لذلك جهلاً وحسداً وبغياً ونحو ذلك، أو لئلا يقال إن غيره أظهر الحق وعمل ما لم يعمله هذا الشخص أو ما أشبه ذلك.

فالمؤمنون فيما بينهم يتعاونون ويتناصرون في اتباع الحق، ويفرح كل واحد بما يقوم به أخوه من نصر الحق وتأييد الحق وإظهاره في بلده أو في ناحيته أو في قبيلته أو في أي مكان كان، فينبغي له أن يشجعه على ذلك بالمكاتبة والكلام ونحو ذلك مما يعينه، ويشفق على إظهار الحق والدعوة إليه، وإيضاح الباطل والتحذير منه.أهـ.

* * *

وأن يصان عن أن يدخل فيه ما ليس منه، من رواية أو رأي، أو يتبع ما ليس من عند الله، اعتقاداً أو عملاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢].

وهذه كانت طريقة السابقين الأولين، وهي طريقة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وأولهم السلف القديم من التابعين الأولين، ثم من بعدهم، ومن هؤلاء أئمة الدين المشهود لهم عند الأمة الوسط بالإمامة.

فعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي[١]: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة[٢].

أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره، فإن ذلك يصون علم الرجل وعقله فيكون علماً بهذا الاعتبار، والله أعلم.

وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب[٣].

---

(١) هو بشر غياث المريسي أبو عبد الرحمن، فقيه معتزلي يرمى بالزندقة، أخذ الفقه عن أبي يوسف، وهو رأس الطائفة المريسية، قال عنه في «اللسان»: مبتدع ضال لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة.

(٢) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١٠١٠) ٤/ ٢١٠، وابن بطة في الإبانة (٦٦٨) ٢/ ٥٣٦، وذكره ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤/ ٦٤.

(٣) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١٠٠٩) ٤/ ٢١٠، وابن بطة في الإبانة (٦٧١) ٢/ ٥٣٨، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣٠٥) ١/ ١٤١ سياق ما روى عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة، وكذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ١/ ٢٥٨، ومجموع الفتاوى ٤/ ٦٤ والخطيب البغدادي في الكفاية (٢٢٥).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، يطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[1].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى (شعراً):

كل العلوم سوى القرآن مشغلة — إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا — وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وذكر الأصحاب في الفتاوى: أنه لو أوصى لعلماء بلده: لا يدخل المتكلمون، وأوصى إنسان أن يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم، فأفتى السلف أن يباع ما فيها من كتب الكلام، ذكر ذلك بمعناه في الفتاوى الظهيرية.

فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول، بغير اتباع ما جاء به الرسول؟! ولقد أحسن القائل:

أيها المغتدي ليطلب علماً — كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع تصحح أصلاً — كيف أغفلت علم أصل الأصول

ونبينا ﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيراً، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلتهم: إن طريقة القوم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالاً منهم بغيره!

---

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١١٤٢) ٤/ ٢٩٤، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه!!

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

وقد شرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء، ولكن رأيت بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم، وتكلم بعباراتهم.

والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحاً جديداً على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضاً الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها الكتاب والسنة، ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين، فضلاً عن علمائهم.

ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل، كثر المراء والجدال، وانتشر القيل والقال، وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: «فمن رام علم ما حظر عنه علمه».

وقد أحببت أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في

عدادهم، وأحشر في زمرتهم ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] ولما رأيت النفوس مائلة إلى الاختصار، آثرته على التطويل والإسهاب، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

[هو حسبنا ونعم الوكيل]

قوله: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تكلم عن توحيد العبادة، شيء بدأ به كل رسول دعوته يدل على أهميته، شيء اتفقت عليه الرسل يدل على أهميته.أهـ .

* * *

ش: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً

رسول الله»[١] ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا مكث رسول الله عشر سنين في مكة يدعو إلى تحقيق لا إله إلا الله، وتصديق أنه رسول الله. أهـ.

* * *

لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: بعضهم يقول: أول واجب الشك، صحيح أن الله أمر بالنظر، يدعى إليه لأجل الاقتناع، يدعى من شك وتوقف، فهو حجة للمعاند، وقولهم: يشك ثم يسعى لإزالة الشك، غلط.أهـ.

* * *

كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يكفيه في صلاته وترديده الأذان.أهـ.

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الأصحاب، وهو مخرج في الصحيحة (٤٠٦).أهـ ألباني.

بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لو أدى الصلاة قبل البلوغ ثم بلغ لا يعيدها، خلافاً لبعض العلماء.أهـ.

* * *

ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الذي قاله الشارح - من أن التوحيد هو زبدة قول الرسل، وهو الخلاصة، وهو المهمة الأولى من مهمات الرسل - هو الحق، فإن أول ما يجب على المكلف هو توحيد الله والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا هو معنى الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هذا أول واجب، فإذا نشأ عليها الولد من صغره يقولها ويعتقد معناها فقد أدى ما عليه، فلا يؤمر بالتجديد، بل هو مستمر على ذلك، يؤمر بالاستمرار والثبات على هذا الخير العظيم، وهو الإيمان بالله وتوحيده والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ وأتباعه.

ومن قال من أهل الكلام: إن الواجب النظر في الموجودات والمخلوقات والاستدلال بالعقل، أو قال: الواجب القصد إلى النظر قبل كل شيء، قبل أن يشهد أن لا إله إلا الله .. إلخ، أو قال: الواجب الشك، يشك في كل شيء ثم بعد ذلك ينظر في التوحيد وفي حق الله؛ كل هذه أقوال فاسدة، كلها أقوال باطلة، بل هو مأمور بداراً بغاية المبادرة وبغاية

الفورية أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كما جاءت الرسل بذلك، فهم مأمورون، وغيرهم من المكلفين مأمورون بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بداراً، ويتفقهوا في معناهما ويعلموا معناهما، هذا هو الواجب قبل كل شيء، ثم الصلاة والزكاة والصيام والحج وفروع الشريعة، هذا هو الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كما في الآيات، كل نبي يقول لقومه: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ أول شيء، ونبينا خاتم النبيين والمرسل إلى جميع الناس عليه الصلاة والسلام بدأ قومه بقوله: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(١) هكذا بدأهم، ما قال لهم انظروا في هذا وانظروا في هذا، أو اطلبوا للنظر في هذا، أو كونوا شاكِّين في كل شيء ثم بعد هذا انظروا، كل هذه أشياء لا أساس لها، دخلت على أهل الكلام ممن قبلهم من الفلاسفة وأرباب الكلام الباطل وأرباب الفطر المنحرفة والعقول الفاسدة فظنوها صواباً.

والله جل وعلا إنما خاطبنا أول شيء بالأمر بالتوحيد ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥] ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٢ و٤/ ٣٤١، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٢١٦ ذكر دعاء الرسول ﷺ قبائل العرب في الموسم، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ باب قول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ قال الذهبي في التاريخ: إسناده قوي، وقال الأرنؤوط في حاشية الهدي: وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان (١٦٨٣) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي.

ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢] إلى غير ذلك.

فالواجب في هذا على جميع المكلفين من جن وإنس وعرب وعجم وذكور وإناث، الواجب عليهم قبل كل شيء وأول شيء أن يخصوا الله بالعبادة ويؤمنوا به، وأنه ربهم وإلههم، وهذا يتضمن النظر والتفكير بهذه المعاني، لا يبدأوا بها، بل يجب أن يبدأوا بتوحيد الله والمبادرة إلى عبادته وحده دون كل ما سواه، وينظروا بعد ذلك في هذه المعاني، وفي خصوص هذه المعاني، وينظروا فيها حتى يكون إيمانهم على بصيرة.أهـ.

❊ ❊ ❊

وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء:

كمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه مسألة فرضها غير صحيح.أهـ.

❊ ❊ ❊

والصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(١)] وهو أول واجب وآخر واجب.

(١) حسن أو صحيح، رواه الحاكم وغيره، وقد خرجته في «إرواء الغليل» رقم (٦٨٧).أهـ ألباني.

فالتوحيد أول الأمر وآخره، أعني: توحيد الإلهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الأقسام أحيلت بالاستقراء والنظر في الأدلة، استنبط توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، استنبطت من الأدلة، والنظر فيها بالأدلة، ولهذا قسم العلماء التوحيد إلى هذه الأقسام، فإذا درس طالب العلم الأدلة الواردة في الكتاب والسنة نتج له هذه الأقسام الثلاثة.

أما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، هذان توحيدان أقر بهما المشركون، وعرفوا أن الله ربهم وخالقهم ورازقهم ونحو ذلك، وأنه له الكمال في صفاته جل وعلا وأسمائه، هذا أقر به المشركون، وإن وجد من بعضهم جحد لشيء من الصفات، فهو من باب المكابرة ومن باب الجهل الذي قد قبض لعلم غيره، كما أنكرت قريش الرحمن مكابرة وهم يعرفون ذلك.

فالحاصل أن هذين التوحيدين أمرهما معلوم عند الأمم، قد أقرت بهما الأمم، وكل من شذ ممن لا يعتبر بخلافه وشذوذه.

أما توحيد العبادة فهو الأمر الذي تنازعت فيه الأمم ولم يقر به إلا القليل، وجعلوا لهم آلهة يعبدونهم من دون الله، منهم من جعل الشمس والقمر، ومنهم من جعل بعض النجوم، ومنهم من جعل الأصنام، ومنهم

من جعل الأموات، ومنهم من جعل بعض الأشجار، إلى غير ذلك، وهم في عباداتهم متفاوتون ومتعددون ومتنوعون أنواعاً لا تحصى، فبعث الله الرسل لهذا القسم، لتوحيد الإلهية والعبادة، وأمر الناس بأن يعبدوا الله وحده، كما أنه خالقهم وربهم يجب أن يكون هو معبودهم سبحانه وتعالى، وكما أنهم يعلمون أنه ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه الكامل؛ فالواجب أن يعبدوه وحده دون كل ما سواه.

هذه دعوة الرسل تذكرهم بما أقروا به، فالرسل مذكرون: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية:٢١] يعني يذكرونهم ما فطر الله عليه عباده من الإيمان بالله وأنه رب الجميع وخالق الجميع ورازق الجميع، فيذكرونهم بهذا الإيمان وبهذا الأساس الذي خلقوا عليه وفطروا عليه، ليعبدوا الله وحده ويخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، فهم مفطورون على توحيد العبادة وعلى توحيد الأسماء والصفات وعلى توحيد الربوبية، هم مفطورون على هذه الأمور، فالرسل جاءت تذكرهم بما فطروا عليه وبما خلقوا عليه من التوحيد والإيمان، كما قال النبي ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة** - يقصد إلا على هذه الملة - **فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**(١) فالشيطان دخل عليهم في باب توحيد العبادة، دخل عليهم بأشياء، وقال لهم: هذا ربكم وهو العظيم وهو ذو الأسماء والصفات، وأنتم ضعفاء مذنبون محل الجرائم محل كذا محل كذا، فلا يليق بكم أن

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨، ١٣٥٩) كتاب الجنائز/ باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ و(١٣٨٥) باب: ما قيل في أولاد المشركين، و(٤٧٧٥) كتاب التفسير/ باب: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ و(٦٥٩٩) كتاب القدر/ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب القدر / باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تباشروه بالعبادة، بل يجب أن تتخذوا وسائط وشفعاء بينكم وبينه، لأنكم لستم أهلاً لأن تباشروا العبادة بأنفسكم، ولستم أهلاً لأن تقرّبوا إليه بأنفسكم، لأن عندكم من الجرائم والظلم وكذا وكذا، وكذا وكذا، فيلبس عليهم هذه الأمور، وأن هذا من باب التأدب ومن باب التنقص للنفس، حتى لا نتوجه إلى الله بأنفسنا، بل نتوجه إلى الأموات أو الأشجار أو الأحجار أو الكواكب أو الأصنام للواسطة بيننا وبين ربنا، هذا عمل الشيطان الذي زين لهم، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] فجعلوا الأصنام والأشجار والأحجار وغير ذلك وسائط ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس:١٨] فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يعلم شيئاً في السماوات ولا في الأرض شريكاً لله عز وجل، فشيء لا يعلمه الله لا وجود له، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] فهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ فهم يزعمون أنهم عبدوا هذه الأشياء للتقريب والشفاعة، لا لأنها تخلق أو ترزق أو تدبر أو تتصرف في الكون، لا، يعلمون أن هذا لله وحده، ولكنهم عبدوها لأنها تشفع، لأنها تقربهم إلى الله زلفى، فزعموا أنهم ناقصون وأنهم يذنبون وأنهم ضعفاء وأنهم مذنبون، وأنهم يحتاجون إلى أن يتخذوا هذه الوسائط من الأصنام والأموات، فأبطل الله ذلك عليهم وقال: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ يعني

تخبرون الله ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨] وفي الآية الأخرى قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣] فجعلهم كذبة وكفرة بهذه الدعوى، كذبة بقولهم تقربنا زلفى وأنها تشفع، وكفرة بهذا العمل وبهذا الإجراء وبهذا الاعتقاد.

وبهذا يعلم أنه كما أنه ربنا وخالقنا ورازقنا .... [1].أهـ.

* * *

أما الأول: فإن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، كجهم بن صفوان ومن وافقه، فإنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني تعدد الواجب في الوجود، يعني الله هو الواجب في الوجود الذي قبل كل شيء سبحانه وتعالى، فإذا أثبت الصفات وأنه حي قيوم وأنه سميع بصير، سمعه قديم وبصره قديم، لم يزل سميعاً لم يزل بصيراً، تعددت الواجبات، هذا واجب السمع وهذا واجب البصر وهذا واجب الحياة وهذا واجب القيومية وهذا واجب القدرة، تكون الصفات نوعاً من الآلهة الأخرى، لأنها واجبة الوجود، فنجرده من جميع ذلك ونجعلها منفية باطلة، كأنه ذات مجردة عن الصفات.

---

(١) فراغ، ولعل تتمة الجملة: وبهذا يعلم أنه كما أنه ربنا وخالقنا ورازقنا فهو المستحق لأن يعبد وحده دون كل ما سواه. والله أعلم.

وهل يعقل هذا؟ هذا لا يعقله عاقل، أهنا ذات مجردة عن الصفات؟ بل هو العدم، ولهذا قالوا بالعدم، أفضى بهم هذا القول إلى عدم إثبات الله عز وجل، أقوال شنيعة نسأل الله العافية، حتى قال خواصهم: لا داخل العالم ولا خارجه ولا مبايناً ولا محايثاً ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله إلى آخر ذلك، هذا لو أن أحداً أراد أن يعرّف العدم ما استطاع أن يأتي بأكثر من هذا.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إنه سبحانه وتعالى موجود بصفاته، يعني كامل بصفاته، يعني قديم بصفاته، لم يزل موصوفاً بصفات الكمال أبداً، وأنه فوق الخلق مستغن عن الخلق بائن من خلقه فوق العرش، ليس في خلقه شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من خلقه سبحانه وتعالى، فهو فوق الجميع وهو خالق الجميع ورازق الجميع، وهو فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، كما قال ابن المبارك رحمه الله: «**نعرف ربنا فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه**»[(١)] سبحانه وتعالى. أهـ.

سؤال/ التقسيم إلى واجب الوجود وجائز الوجود ؟

أجاب سماحته/ هذا من اصطلاحاتهم ـ أهل الكلام ـ ولكن معناه صحيح، معناه أن الموجودات قسمان:

القسم الأول: واجب لا يزال أبداً ولا يمكن فناؤه ولا عدمه، هذا هو

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ١/ ١١١ قول ابن المبارك في الجهمية، وقال محققه: إسناده صحيح وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٨) والدارمي في الرد على الجهمية (٢٣) وصححه ابن تيمية في الحموية (٤١) وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٤) انتهى، وكذا أورده ابن القيم كما في تهذيب السنن ٧/١٠٨و ١١٤ وعزاه إلى الحاكم والأثرم، ورواه ابن بطة في الإبانة (١١٢) ٣/ الرد على الجهمية، باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه.

صفة الرب عز وجل، بل هو واجب لم يزل موجوداً حياً قيوماً سميعاً بصيراً، لم يكن عدماً محضاً سابقاً، ولا يكون عدماً في اللاحق، فهو موجود دائماً ولم يزل موجوداً.

والقسم الثاني: يعتريه العدم، فهو كان عدماً ثم وجد، كبقية المخلوقات، فهي غير واجبة الوجود بل ممكنة الوجود، فلهذا يتجدد وجودها شيئاً فشيئاً، الحيوانات والأشجار والأحجار والجبال، وغيرها كلها موجودة بعدما كانت عدماً.أهـ.

سؤال/ القول بأنه واجب الوجود ألا يلزم منه أن واجب الوجود تابعة للوجود؟

أجاب سماحته/ لا، معنى أن الوجود له واجب لم يزل، واجب الوجود من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، فالمعنى أنه واجب الوجود لم يزل ولن يزال في المستقبل.أهـ.

سؤال/ أول من قال به ؟

أجاب سماحته/ الظاهر أنه من عمل الفلاسفة القدامى، دخل على الناس من هذا الشيء، فاحتاجوا أن يتكلموا بها لرد الباطل، والرب جل وعلا قال: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد:٣] سبحانه وتعالى.أهـ.

* * *

وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة، فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله، وهذا غاية التعطيل، وهذا القول قد أفضى بقوم إلى

القول بالحلول والاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

ومن فروعه: أنه لا فرق في النحريم التحلبل بين الأم والأخت والأجنبية،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا قالوا: إن الله حال في كل شيء، وإن الموجودات بذاتها في الإله، يعني ماهنا افتراق بين الأنبياء وغيرهم، نسأل الله العافية، لأنهم قالوا بالحلول.أهـ.

❊ ❊ ❊

ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، والكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من فروع القول بوحدة الوجود، قول أهل الاتحاد، نسأل الله العافية.أهـ

❊ ❊ ❊

ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس.

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأما الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا

ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضة طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ولهذا لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤-٢٨].

وقد زعم طائفة أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية عجز موسى عن الجواب، وهذا غلط، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحداً لله نافياً له، لم يكن مثبتاً له طالباً للعلم بماهيته .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] منكراً لوجود الله سبحانه وتعالى، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] ويعلم في الباطن أنه كاذب،

وأن رب العالمين هو الله وحده سبحانه وتعالى، ولكن وجد همجاً رَعاعاً لا بصيرة لهم فكذب عليهم وقال هذا الكلام، وهكذا يحكى عن النمرود أنه فعل ذلك أيضاً.أهـ.

❊ ❊ ❊

فلهذا بين لهم موسى أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: أن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، فإن الثنوية من المجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما: متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وكلامهم كلام من لا يعقل، كلام المجوس كلام من لا يعقل، فإن النور والظلمة وصفان وليسا إلهين، ليسا إلهين ولا ذاتين، وإنما النور والظلمة وصفان، كل واحد يأتي عن غيره وينوب عن غيره، النور يأتي بأسباب النور، والظلمة تأتي بأسباب الظلمة وهو عدم النور، فليسا أصلين وليسا ذاتين، وإنما يكونان أوصافاً، فمن جهلهم وضلالهم قولهم إن أصل الأشياء النور والظلمة، وأن النور هو الإله المحمود، والظلمة إله الشر، هذا كلام فاسد قد صدر من عقول فاسدة، ولهذا فطر الله العباد على الإيمان بوجود الله، وأن هذا العالم له رب وله صانع وله خالق وله مدبر يصرف شؤونه، هكذا فطر الله العالم على ذلك.أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الإبن والأب وروح القدس إله واحد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا ضحك بهم العقلاء، وقالوا عنهم إنهم فاسدوا العقول فاسدوا التصرف، كيف يكون إلهاً واحداً وهو مكون من ثلاثة أشياء؟

هذه مكابرة، فعيسى ومريم والله هذا ليس واحداً، هذا ثلاثة، ولهذا صار دين النصارى الذي أحدثوه من أفسد الأديان ومن أبينها بطلاناً، ولهذا كل عاقل يربأ بعقله وبنفسه عن هذا الدين، ويعلم أنه دين فاسد باطل، ولكن يحمله على البقاء عليه إما طلب الرئاسة، وإما خوف القتل، وإما أموال يأخذها، وإما أشياء أخرى، فلهذا يسعى للبقاء عليه، وإلا فكل عاقل يعلم فساد هذا الدين.أهـ.

* * *

وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال العلماء: لو اجتمع عشرة من النصارى في درس إلههم لتفرقوا على أحد عشر قولاً[1]، يعني أن المبالغة في اختلافهم أنهم قد ينقسمون إلى أقوال أكثر

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسير سورة النساء، آية (١٧١) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾.

من عدد الموجودين، من باب المبالغة في اختلافهم.

وممن لخص هذا وبين أباطيلهم أبوالعباس ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وكذلك ابن القيم رحمه الله في «هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى» وكذلك ملخص كتاب ابن معمر، كتاب «رد ابن معمر النفيس على عباد الصليب» عبدالعزيز بن معمر رحمه الله، أحد علماء الدعوة في الدرعية في القرن الثالث عشر، قد طبع.أهـ.

* * *

فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: بالخواص يعني ما يختص به كل واحد من الأقانيم، هذا خاصته كذا، وهذا خاصته كذا، يعني روح القدس خاصته كذا، ومريم خاصتها كذا، وعيسى خاصته كذا، مما يتخذون في كتبهم.أهـ.

* * *

وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وبالجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين .

والمقصود هنا: أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع.

والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع، وهو: أنه لو كان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية.

وتمام الكلام على هذا الأصل معروف في موضعه، وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥] ومثل هذا كثير في القرآن، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب، قال تعالى حكاية

عن قوم نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] وقد ثبت في صحيح البخاري، وكتب التفسير، وقصص الأنبياء وغيرها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من السلف، أن هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائل العرب، ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما قبيلة قبيلة(١)، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الأصنام والأوثان التي درجت عليها الأمم، كلها أخذوها بالتقليد الأعمى وعدم النظر بما جاءت به الرسل، كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣] فتأسى آخرهم بأولهم في عبادتها من دون الله، على أنها شفعاء، على أنها وسائط، لا أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فإنهم لا يعتقدون هذا، بل يعلمون أن الله سبحانه هو الخالق الرازق، مدبر الأمور، منزل الأمطار، المحيي المميت، إلى غير ذلك، ولكنهم زعموا أن هذه الأصنام والأوثان تشفع لهم عند الله وتقربهم لديه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]

---

(١) صحيح، وهو موقوف في حكم المرفوع.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما، وله طرق ذكرتها في «إرواء الغليل» و«أحكام الجنائز» ص (٢٠٧).أهـ ألباني.

فاستوى هذا عند أولهم وآخرهم، وتبع آخرهم في ذلك أولهم، وصار ذلك شائعاً فيهم مستحسناً فيهم، حتى قاتلوا عليه وناضلوا عليه، وجرى لقريش مع نبينا ﷺ ما جرى على هذه الشركيات وهذه الأوثان والأصنام التي لا أساس لها إلا الباطل، فانظر كيف كانت عقول الناس؟

هذه العقول التي أصابها الدمار والخراب بسبب التقليد الأعمى، حتى قاتلوا وسفكوا الدماء وأتلفوا نفوسهم وأموالهم على باطل، هذه حال الأمم فيما يقع منها من الشر والفساد والشرك والكفر، كله بالتقليد الأعمى وعدم النظر بما جاءت به الرسل وعدم التواصي بالحق، فجرهم إلى هذا الشرك العظيم والبلاء الوخيم، تقليد لا أساس له، واتباع باطل، وإحسان ظن بالأولين على غير هدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا ما جرى لهذه الأمة من تعظيم القبور التعظيم غير الشرعي، واتخاذ المساجد عليها والقباب عليها والبناء عليها، حتى عظمها العامة وحتى طافوا بها واستغاثوا بها وطلبوها المدد، كل هذا من التقليد الأعمى.

وهكذا ما وقع الآن من احتفالات الموالد وتعظيمها وجعلها أعياداً أعظم من عيد الأضحى والفطر، كله بسبب التقليد الأعمى وعدم البصيرة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣] وقد كان السلف الصالح في عهد نبينا ﷺ وفي عهد صحابته وفي عهد القرون المفضلة الثلاثة؛ لا يعرفون هذه الاحتفالات وهذه الموالد التي زعموها، ولكن بسبب التقليد الأعمى الذي وقع من المتأخرين ممن فعل ذلك من الشيعة وغير الشيعة، شاع هذا الشيء وانتشر واستمر الناس عليه حتى ظنوه سنة، وظنوا من أنكره وبين بطلانه

أنه هو المخطئ وهو الغالط، هذه حال الناس، هذه حال الناس إذا اعتادوا شيئاً ومشوا عليه وساروا عليه، تبع آخرهم أولهم، وظنوا أن ما فعلوه هو الصواب والخير، وأن هذا هو الطيب، وأنه أحسن مما كان عليه السلف الصالح، ثم تعللوا لذلك بالعلل الفاسدة.

ثم الآن زاد الأمر، حتى صار كل واحد يجعل لأمه عيداً أو لولده عيداً أو لبنته عيداً أو لأبيه عيداً أو لنفسه عيداً بالسنة، تقليداً للنصارى واليهود، والله المستعان.أهـ

* * *

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض قبل موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1] يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً، وفي الصحيحين أنه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[2] وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال قبل أن يموت بخمس: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[3].

ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب واتخاذ الأصنام.

---

(١) صحيح، وهو من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنه، وله شواهد كثيرة خرجتها في «تحذير الساجد» وفي «أحكام الجنائز» ص (٢١٦).أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وهو من حديث عائشة، خرجته في المصدر المذكور ص (٢١٨).أهـ ألباني.

(٣) صحيح، ورواه أبو عوانة في صحيحه أيضا وغيره، وهو مخرج فيه أيضا ص (٢١٧).أهـ ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: العبارة هذه فيها نظر، الصواب أن يقال: ومن أنواع الشرك، بدلاً من أسباب، الصواب: ومن أنواع الشرك، هذه ليست أسباباً، بل هذا هو نفس الشرك، فالعبارة هذه فيها نظر فالصواب: ومن أنواع الشرك بدل: ومن أسباب الشرك... إلخ.أهـ.

* * *

بحسب ما يظن أنه مناسب للكواكب من طباعها.

وشرك قوم إبراهيم ـ كان فيما يقال ـ من هذا الباب وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من جهلهم، لما رأوا الكواكب وعظمتها وسبحها في الفضاء، فبعدها وقع في قلوبهم أن لها شيئاً، ولهذا عبدوها من دون الله، هذا هو الجهل الشديد الذي وقع فيه غالب الصابئة.أهـ

* * *

وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالم صانعان، ولكن اتخذوا هؤلاء شفعاء، كما أخبر عنهم تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا نص واضح في أن المشركين الأولين ما كانوا يعتقدون أن هذه المخلوقات لها تصرف ولها تدبير في الكون، بل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، كما اعترفوا بهذا في مواضع، وأنهم إنما تعلقوا بها يزعمون أنها وسائط وأنها شفعاء، وبهذا تعلم أن ما يقوله بعض مشركي العصر، وما يتعلق به مشركوا العصر، من أنا لا نعتقد فيها النفع والضر، وإنما هي وسائط، أن هذا هو نفس ما قاله المشركون الأولون، فليس العلة في الشرك الأول أنهم اعتقدوا النفع والضر، لا، العلة أنهم اتخذوها وسائط وصرفوا لها العبادة، فالذي فعله أولئك وقصده أولئك، هو الذي قصده الآن عباد البدوي وعباد الحسين وعباد الكاظم وعباد عبدالقادر وعباد كذا وعباد كذا، هو القصد، قصدهم أنهم يشفعون لهم وأنهم يتوسطون لهم، وأنهم ليسوا بذاك حتى يتقدموا بالعبادة لله، وهم منافقون وهم مذنبون، وهؤلاء صلحاء فنجعلهم وسائط، وقد وقع هؤلاء المتأخرون فيما هو أشد من هذا، فزادوا على الأولين، حتى اعتقد بعض المتأخرين أن هذه الوسائط تنفع وتضر وتصرف الكون وتدبر أمر العالم، فصاروا بهذا أقبح من الأولين، صاروا بهذا الاعتقاد الأخير أقبح من شرك الأولين بشركهم وضلالهم، لكن قصراء هؤلاء، قصراؤهم إذا تحسنوا بعض التحسن ـ قصراؤهم ـ أن يكونوا مثل الأولين، يعتقدون في هذه الوسائط أنها تشفع وأنها تقرب، لا أنها تدبر ولا أنها تتصرف في الكون، أما بعض هؤلاء الصوفية المتأخرين وعباد القبور فلهم اعتقادات عريضة في هؤلاء المعبودين من دون الله، من تصريف الكون وتدبير الأمور والتصرف في ذرات الدنيا، هذه من المسائل الكبيرة، نسأل الله العافية، والله المستعان.

حتى ذكر الخميني الآن المعروف الذي هو رئيس الدولة الإيرانية، ذكر في كتابه «الحكومة الإسلامية» قال: إن أئمتنا ـ يعني الإثنا عشر، الذين أولهم علي وآخرهم تحت السرداب ـ إن أئمتنا بلغوا منزلة ما بلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأنهم يتصرفون في الذرات ـ ذرات الكون ـ.

هذا شرك في الربوبية، وجعلهم فوق الرسل أيضاً، وجعلهم يعلمون الغيب، نسأل الله العافية، قد صرح بهذا في كتابه.أهـ.

سؤال/ الصوفية كذلك يقولون: هناك العامة ومنهم الأنبياء والرسل، وهناك الخاصة ؟

أجاب سماحته/ هذا قول كثير من الصوفية، أن الولي متوسط فوق الرسول ودون النبي، لهم اعتقادات خبيثة ومتناقضة.أهـ.

* * *

وكذلك كان حال الأمم السالفة المشركين الذين كذبوا الرسل، كما حكى الله تعالى عنهم في قصة صالح عليه السلام عن التسعة الرهط الذين تقاسموا بالله، أي تحالفوا بالله، لنبيتنه وأهله، فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا بالله عند قتل نبيهم وأهله، وهذا بين أنهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين .

فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية، الذي يتضمن توحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا

لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٦].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: العلماء يقولون: إن توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، يعني يلزم وجوباً من الإقرار بهذا الإقرار بهذا، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فيستلزمان توحيد الإلهية ويوجبان ذلك ويقتضيانه، ولهذا يحتج بهما على من كفر بالله وأشرك به، فيقال لهم، يقال لكثير من الغالين الذين قصدوا القربة والشفاعة من الآلهة، يقال لهم: إذا كنتم مقرين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وأنه ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ فإنه يلزمكم بذلك توحيد المعبود، هذا الإقرار يستلزم ويقتضي ويوجب أن يكون المقصود بهذه الصفات هو المستحق لأن يعبد ويطاع ويعظم ويخضع له ويمتثل لما أمر به وما نهى عنه، لأن كونه يتصرف في الكون ويدبر الأمور، هذا يوجب الخضوع له والتعلق به، فتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يستلزمان ويقتضيان ويوجبان توحيد الله بالعبادة، ولهذا احتج الله على المشركين بما أقروا به في توحيد الربوبية ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٥] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ [العنكبوت:٦١] ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ﴾ [يونس:٣١] كل هذا احتجاج عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية والأسماء والصفات، احتجاج عليهم أن يقروا بما جاءت

به الرسل من توحيد العبادة، ولا يتوقفوا في ذلك.

وأما توحيد الإلهية فيتضمن، يعني في ضمنه توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأن الإله الذي يعبد ويستحق أن يدعى ويصلى له ويسجد له ويتعلق به؛ لابد أن يكون متصفاً بأنه خلاق رزاق مدبر عالم للغيب إلى غير ذلك، فيتضمن توحيد الإلهية الإيمان بهذه الأشياء التي هي من حقيقة توحيد الربوبية والأسماء والصفات، إذ لا يكون إلهاً صالحاً لأن يعبد وهو عاجز لا يقدر على دفع ضر أو جلب خير، لا يصلح أن يكون إلهاً يعبد وهو لا يسمع دعاء الداعين، كيف يجيب دعاءهم وهو لا يسمعهم؟

فمن مقتضى هذا التوحيد أن يكون هذا المدعو وهذا المرجو يعلم المغيبات ويعلم ما في القلوب ويسمع الدعاء، حتى يقضي حاجة المحتاجين العابدين له.

فعلم بذلك أن الإيمان بتوحيد الإلهية يقتضي أن يكون المألوه عليماً سميعاً بصيراً قادراً خالقاً رازقاً، إذ يتمكن بهذه الصفات من قضاء حوائج المحتاجين ودعاء الداعين واستغفار المستغفرين واسترزاق المسترزقين إلى غير ذلك.

وهذا هو الفرق بين التضمن وبين الالتزام والاقتضاء والإيجاب.

نعيدها مرة أخرى: توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، إذ يستحيل أن يكون إلهاً صحيحاً وإلهاً مستحقاً للعبادة وهو لا يعلم ولا يقدر ولا يدبر الأمور ولا يسمع، إلى غير ذلك.

وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فيستلزمان ويوجبان ويقتضيان توحيد الإلهية والعبادة، وبهذا احتج الله على المشركين بهذين النوعين.

وقد يسميان نوعاً واحداً، لأن الناس انقسموا، المعرفين للتوحيد منهم من جعله قسمين، ومنهم من جعله ثلاثة أقسام بالاستقراء، بالاستقراء للكتاب والسنة، فمن جعلهما نوعين، جعل توحيد الربوبية والأسماء والصفات نوعاً واحداً، وجعل توحيد الألوهية نوعاً مستقلاً، فيقول: توحيده بالقصد والطلب، هذا توحيد الإلهية والعبادة، وتوحيد في المعرفة والإثبات، وهذا توحيد الربوبية والأسماء والصفات، بمعرفة الله وإثبات أسمائه وصفاته وكونه سميعاً بصيراً، بالنسبة لكونه مدبراً خالقاً رازقاً فكلها صفات له، كلها صفات له، فلا مانع من أن تكون قسماً واحداً مستقلاً، ويكون توحيد الألوهية قسماً واحداً، فعلى هذا يكون التوحيد قسمين:

القسم الأول: يسمى توحيد الإلهية، وهو توحيد القصد والطلب.

والقسم الثاني: يسمى التوحيد العلمي الخبري، توحيد المعرفة والإثبات، توحيد الربوبية والأسماء والصفات، عبارات متقاربة.

القول الثاني من تقسيم أهل السنة، يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام من باب الإيضاح، من باب الإيضاح ومن أجل التفسير.

توحيد الربوبية: هو الإيمان بأن الله الخلاق الرزاق المدبر للأمور.

توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات أسمائه وصفاته الأخرى، ويشمل الخلاق والرزاق .. إلخ.

وتوحيد الإلهية والعبادة: هو كونه المستحق لأن يعبد وأن يدعى وأن يصلى له وأن يسجد له وأن يتقرب إليه.

هذا هو التوحيد على أقسام ثلاث من باب الإيضاح، وإلا فتوحيد الأسماء والصفات داخل في الربوبية وهو جزء منه، ولهذا جُعلا قسماً واحداً، فعبر عنهما بالتوحيد العلمي الخبري، التوحيد في المعرفة

والإثبات، توحيد الربوبية والأسماء والصفات كقسم واحد.أهـ

سؤال/ من أول من قسم التوحيد إلى هذا التقسيم ؟
أجاب سماحته/ ما أعرف أول من قال بهذا.أهـ.

سؤال/ أقسام التوحيد مرة ثانية ؟
أجاب سماحته/ التوحيد يُقسَّم إلى قسمين، بمعنى أن توحيد الإلهية والعبادة هو التوحيد الذي جاءت به الرسل وحصل به النزاع، حصل به النزاع بين الرسل والأمم، وهو تخصيص الله بالعبادة وإفراده بها، وهو معنى لا إله إلا الله، هذا واحد.

القسم الثاني: توحيد المعرفة والإثبات، وإن شئت قلت: التوحيد العلمي الخبري، وهو التوحيد لله في أفعاله من خلقه ورزقه وتدبيره، وفي صفاته من كونه سميعاً بصيراً عليماً قادراً رحيماً جواداً كريماً إلى غير ذلك.

هذا التوحيد الواحد يسمى التوحيد بالمعرفة والإثبات، ويسمى التوحيد العلمي الخبري، والأول يسمى توحيد العبادة، ويسمى توحيد الألوهية، ويسمى التوحيد في القصد والطلب، وهو معنى لا إله إلا الله، وهو التوحيد الذي أنكره المشركون وأشركوا فيه، وهو التوحيد الذي جاءت الرسل بالدعوة إليه وبيانه للناس، وكان النزاع بينهم وبين الأمم في ذلك.

ومن درج على أقسام ثلاثة قال: التوحيد ثلاثة أقسام:
توحيد في الإلهية والعبادة والقصد والطلب، وتوحيد من جهة إثبات أفعال الرب وتدبيره للعالم وخلقه للعالم، وتوحيد في بيان أسمائه

وصفاته كلها وأنه موصوف بها، وأنه لا شبيه له فيها سبحانه وتعالى.أهـ

سؤال/ ألا يقال إن توحيد الإلهية يستلزم الإقرار ؟

أجاب سماحته/ يتضمن، لا يقتضي، يتضمن يعني في ضمنه ذلك، لأنهم إنما وحدوه لإيمانهم بهذه الأشياء.أهـ

❊ ❊ ❊

وقال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[١] ولا يقال: أن معناه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً، كما قال بعضهم ـ لما تلونا، ولقوله ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: «خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين» الحديث[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث رواه مسلم في الصحيح من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن النبي ﷺ قال: **«يقول الله تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وأحلت لهم ما حرمت عليهم»** هذا الحديث القدسي عظيم، رواه مسلم في الصحيح في آخر الصحيح، وهو من رواية عياض بن حمار، بعض الكتّاب يصحفه ويجعله «حماد»، لا، غلط، عياض بن حمار بالراء.أهـ

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «إرواء الغليل» (١٢٢٠).أهـ ألباني.

(٢) رواه مسلم وأحمد من حديث عياض بن حمار.أهـ ألباني.

وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك، حيث قال: «يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ولم يقل: ويسلمانه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله : لأن الأصل إسلامه.أهـ

* * *

وفي رواية «يولد على الملة»(١) وفي أخرى: «على هذه الملة».

وهذا الذي أخبر به ﷺ هو الذي تشهد الأدلة العقلية بصدقه، منها، أن يقال: لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وتارة ما يكون باطلاً، وهو حساس متحرك بالإرادات، ولا بد له من أحدهما، ولا بد له من مرجح لأحدهما، ونعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق وينتفع وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق وينتفع، وحينئذ فالاعتراف بوجود الصانع الإيمان به هو الحق أو نقيضه، والثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول، فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به، وبعد ذلك: إما أن يكون في فطرته محبته أنفع للعبد أو لا، والثاني فاسد قطعاً، فوجب أن يكون في فطرته محبة ماينفعه.

ومنها: أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسه، وحينئذ لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين للفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع استجابت لما فيها من المقتضي لذلك.

* * *

---

(١) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧/ ٣٥٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٠) وسنن الترمذي ٤/ ٤٤٧ وقال الترمذي: حسن صحيح.

سؤال/ إطلاق الصانع على الله؟

أجاب سماحة الشيخ: يعني صانع العالم، من باب الإثبات لا من باب أنه موصوف، يقال: الصانع، ولو قال الخالق لكان أفضل، لأن الشريعة جاءت بالخالق، وجاءت بالفعل للصانع ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٨٨] لكن الصانع ما نعلم أنه جاء ذكره، لكن عبروا به، مثل ما يقال الموجود، والشيء من باب نفي الحجة.

وقد يقال من باب الإيضاح للعقول، الله جعل للناس عقولاً يفهمون بها ويعقلون بها ما ينفعهم وما يضرهم، فالعباد يعرفون أي يخضعون، يخضعون لهذا المدبر لهذا الكون والقائم بهذا الكون، ففي فطرة الإنسان تعظيم هذا الذي خلق هذا الكون ودبر هذا الكون وجعل فيه ما جعل، فلا يزال هذا العقل ينمو ويزداد خضوعاً ويزداد ذُلاً لهذا الذي خلق هذا العالم، والإنابة إليه والتعلق به إلى أن تكمل المعرفة، فجاءت الرسل لتكميل هذه المعرفة وتأييدها ونصرها وتفصيلها، حتى يكون هذا الإنسان العاقل وهذا الجني العاقل أكمل ما كان في بصيرته بخالقه وصانعه، وأداء حقه وترك ما يغضبه، فإن نفوس العباد وعقولهم مفطورةٌ على هذه الأشياء، على الخضوع وعلى الذل والتقرب لمن بيده التدبير والإعطاء والمنع، فالعقل يخضع لهذا الشيء، فليس هناك إلا صانع هذا العالم وهو الله سبحانه وتعالى.أهـ

سؤال/ هذه الأدلة العقلية كأن فيها ضعفاً ؟

أجاب سماحته/ إليها جاءت الرسل، لضعفها وعدم تفصيلها جاءت الرسل.أهـ

❊ ❊ ❊

ومنها: أن يقال: من المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم الجهال والبهائم وحضضا لم يقبلا .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: صوابه الجمال، لأن الجاهل لو علم فإن فيه قوة تقبل، لكن الجمال وبقية البهائم، الجمال والغنم والبقر وسائر الحيوانات، ما فيها أهلية لأن تقبل العلوم، فلعل صوابها (الجمال) أهـ.

* * *

ومعلوم أن حصول إقرارها بالصانع ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي قائماً في النفس وقدر عدم المعارض، فالمقتضي السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقره بالصانع عابدة له .

ومنها: أن يقال، إنه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضية للصلاح، لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم، والمانع منتف.

ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!! وتحكى هذه الحكاية أيضاً عن غير أبي حنيفة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا العالم الذي يسير بنظام متقن، شمس وقمر ونجوم وسماء ثابتة وأرض مستقرة وحيوانات مصرفة مدبرة، تذهب وتأتي في مصالحها وحاجاتها، وعالم مختلف متنوع بعلومه وعقله وغير ذلك لا يكون له مدبر ولا يكون له صانع ولا يكون له مسير، وأما السفينة فيمتنع في حقها ذلك ؟!! هذا من أمحل المحال ومن أعظم البلاء، والله المستعان.

بل أقل من السفينة، لو سئل عاقل عن ملعقة أو كوب من أكواب الشاي أو القهوة أو غير ذلك، هل هذا أوجد نفسه؟

لقال: هذا مستحيل، هذا له صانع على هذه الكيفية، هذه ملعقة وهذا كوب وهذا إبريق وهذا إناء آخر معين، لابد أن يكون له صانع صنعه على هذه الكيفية، فكيف بصانع السماوات وخالق السماوات والأرض وخالق الجبال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار وغير ذلك، تدل عن خالق عظيم قادر حكيم عليم سبحانه وتعالى.

ولكن الرسل وضحوا هذا الصانع وبينوا صفاته، وأنه الله الحكيم العليم القادر على كل شيء، فكانت البيانات والإيضاحات التي جاءت بها الرسل أكمل بيان وأوضح بيان وأصدق بيان.أهـ.

* * *

فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية، الذي يقر به هؤلاء النظار، ويفنى فيه كثير من أهل التصوف، ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب «منازل السائرين» وغيره،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تعبير الصوفية بالفناء معناه الشغل بالشيء دون غيره، فني بهذا يعني شغل به دون غيره، فكأنه

عدم إلا في هذا الشيء، يفنى بمشاهدة الخالق عن المخلوقين، ويفنى بمشاهدة حبه وجماله وصفاته عن كل شيء سواه، حتى وقعوا في الوحدة، وحدة الوجود، يعني شغلوا بالنظر في صفة الخالق وتدبيره لهذا العالم وفنوا به، يعني فنوا عن كل شيء، كأنهم حجبوا عن كل شيء إلا من هذا النظر والمشاهدة، وصار هذا من أسباب كفرهم وضلالهم وارتدادهم، ونسيانهم الأوامر والنواهي والفرض الذي بعث الله به الرسل، فنشأ عن هذا وحدة الوجود، وأن العالم واحد ليس هناك عابد ومعبود، وليس هناك آمر ومأمور، وليس هناك خالقٌ ومخلوق، ففنوا في مشاهدة الخالق والصانع والمدبر عن المخلوقين والمصنوعين والمدبرين، وعن الأوامر وعن الرسل وعن كل شيء، فصاروا إلى وحدة الوجود، وصاروا إلى الكفر والضلال والإلحاد والفساد.

هذه ثمرة هذا الفناء الذي شرعوه وسموه فناءً ودعوا إليه وزعموا أنه غاية التوحيد، فالله المستعان.

والواجب أن يكون للإنسان مشاهدتان:

يشهد الخالق بتبجيله وعظمته وقدرته واستقلاله بالأمور فيعظمه ويعبده.

وينظر إلى ما جاءت به الرسل، مما أمر به هذا الواحد الخالق سبحانه وتعالى، ويعظم ذلك أيضاً ويأخذ به، ويفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين الأوامر والنواهي وبين الخالق والمخلوق.

فلا يستقل ويكتفي بمشاهدة الخالق فقط وصفاته وعظمته عن مشاهدة أمره ونهيه وما جاءت به الرسل، ولا يستقل بمشاهدة ما جاءت به الرسل من الأوامر والنواهي عن مشاهدة عظمة الخالق والتفكر بما يجب له وما هو من صفاته العظيمة، فلا يشغل بهذا عن هذا ولا بهذا عن

هذا، وهذا هو طريق النجاة وهو الذي جاءت به الرسل.

يقول ابن القيم رحمه الله في النونية:

فلواحد كن واحداً في واحد أعني طريق الحق والإيمان

فلواحد: وهو الله سبحانه وتعالى المستحق للعبادة جل وعلا.

كن واحداً: يعني: اجمع نفسك في طاعته وتوحيده والاستقامة على أمره، ولا تكن متفرقاً ولا موزعاً، بل كن صادق العبادة صادق اللهجة صادق الاستقامة، فإذا وحدت جهدك وخلقك وخُلُقك وعبادتك وجميع تصرفاتك.

في واحد: يعني في سبيل الحق والإيمان، واحد وهو الصراط المستقيم، الطريق الذي رسمه الله لك وهو سبيل الله، حتى تقوم بذلك وقد عبدته وأديت حقه، وبعدت عما يغضبه سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وهو مع ذلك إن لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه ـ كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟

كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ الآيات [النمل: ٥٩-٦٠] يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ﴾ أي أإله مع الله فعل هذا؟

وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام هل مع الله إله، كما ظنه بعضهم، لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى، كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] وكانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] لكنهم ما كانوا يقولون: أن معه إلهاً ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ [النمل: ٦١] بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وكذلك قوله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ [الأنعام: ٤٦] وأمثال ذلك.

وإذا كان توحيد الربوبية، الذي يجعله هؤلاء النظار، ومن وافقهم من الصوفية هو الغاية في التوحيد ـ: داخلاً في التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فليعلم أن دلائله متعددة، كدلائل إثبات الصانع ودلائل صدق الرسول، فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر، رحمة من الله بخلقه.

والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقاً عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها .

والطريقة الصحيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني تحذف المقدمتان وتبقى النتائج، بخلاف ما عليه أرباب أهل الكلام والمناطقة، فهم يأتون بالمقدمات ثم يعطون النتيجة، ليستدلوا على نتيجتهم بالمقدمات، فجعلوا العالم حادثاً، وكل حادث مخلوق، فالعالم حينئذ مخلوق، العالم حادث وكل حادث مخلوق، فالعالم حينئذ مخلوق، يعني النتيجة.أهـ.

* * *

بخلاف ما يدعيه الجهال، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، بخلاف ما قد يشتبه ويقع فيه نزاع، فإنه يبينه ويدل عليه .

ولما كان الشرك في الربوبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم، باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقاً خلق بعض العالم، كما يقوله الثنوية في الظلمة، وكما يقوله القدرية في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفه الدهرية في حركة الأفلاك أو حركات النفوس، أو الأجسام الطبيعية، فإن هؤلاء يثبتون أموراً محدثة بدون إحداث الله إياها، فهم مشركون في بعض الربوبية، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئاً

من نفع أو ضر، بدون أن يخلق الله ذلك .

فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس، بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره، من أدل دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا واضح كل الوضوح من أمر العالم وتدبيره وتسييره لهذا العالم الذي خلقه الله إلى يومنا هذا من نظام وإحكام في كل شيء، وما فطر الله عليه العباد من

الخضوع لإله واحد وخالق واحد ومدبر واحد سبحانه وتعالى.أهـ.

* * *

كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد، لا رب غيره ولا إله سواه، فذلك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقر في الفطر معلوم بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين، فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وهو أنه لو كان للعالم صانعان إلخ، وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل أرباب.

وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا .

وأيضا فإنه قال: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا، ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحد، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد

نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السموات والأرض.

وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد.

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧] وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

وفيها للمتأخرين قولان: أحدهما: لا تخذوا سبيلاً إلى مغالبته، والثاني، وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير ولم يذكر غيره ـ: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٩] وذلك أنه قال: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢] وهم لم يقولوا: إن العالم له صانعان، بل جعلوا معه آلهة اتخذوهم شفعاء، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] بخلاف الآية الأولى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كما تقوله العرب وأشباههم، إنهم اتخذوا الوسائط والشفعاء، لو كانت صحيحة لتقربت إليه وخضعت له سبحانه وتعالى، وصارت واسطة واضحة بينة لأولئك، يستمدون منه لهم ويشفعون لديه، فعلم بذلك بطلان هذه الأشياء، لأن هذا لا وجود له، والله جل وعلا أمر بأن يعبد وحده، ولم يقل لعباده بأن يتخذوا إلهاً آخر لقضاء حاجاتهم، ولم يقل لهم إن هناك وسطاء بيني

وبينكم فاتصلوا بهم، فعلم بذلك أنه ليس هناك شيء، ولهذا نبه سبحانه وتعالى في الآية الأخرى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨] وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣] كاذب فيما قال في دعوى الآلهة، كفار بما فعل من عبادتها والتعلق بها والخضوع لها ونحو ذلك.

والأرباب هم الخالقون الرازقون المدبرون، والآلهة يعبدون، يخضع لهم بقصد الشفاعة وبالقرب، فالإله هو المعبود والرب هو المدبر الخالق.

فلو قال الأرباب هنا، لكان في الخلق والرزق وتدبير الأمور، وهم ما يقولون هذا، يقولون آلهة الشفاعة فقط والتقرب إليه، والمشركون إنما قالوا ما قالوا من جهة التقرب إليه، وهذا ألصق بالآلهة، وإن سموا أرباباً في بعض الأحيان، لكنه ألصق بالآلهة، ولهذا في الآية الأخرى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] يعني آلهة، فالأرباب قد تأتي بمعنى الآلهة، لأن المشركين معروف أنهم لم يعبدوا معه ربًّا يعتقدون أنه يضر وينفع ويخلق ويرزق، بل يعلمون أن هذا كله لله وحده، وإنما عبدوهم بمعنى أنهم شفعاء ووسطاء.أهـ.

سؤال/ هناك شبهة على قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ يقتضي أن هناك آلهة تعبد من دون الله؟!

أجاب سماحة الشيخ: لو كان فيهما آلهة حق في السماوات، وإلا فالمعبودات كلها باطلة، لو كان فيهما آلهة بحق لتنازعوا واختلفوا، أما

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الآلهة التي يدعون كلها باطلة مالها من الأمر شيء، فالآية حجة عليهم وعلى بطلانها.أهـ

* * *

[أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل]

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (آلم تنزيل السجدة) وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص) بكمالها، وغير ذلك.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها، وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها، وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي .

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله كلام ابن القيم رحمه الله في المدارج وغيرها، والمقصود أن هذا الكلام من أحسن الكلام وأوضحه وأبينه لمن يريد أن يفهم جيداً حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الله به الكتب، وصارت الخصومة بين الرسل والأمم في شأنه، فالتوحيد أقسام ثلاثة من وجه، وقسمان من وجه.

فالخلاصة أن الرسل جاءت بالدعوة إلى توحيد الله، هذا أهم مقاصد الدعوة وأعظمها ولبها، الدعوة إلى توحيد الله، فما يتعلق بتوحيد العبادة فهو المقصود بالذات، وما يتعلق بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات هو داخل في ضمن ذلك، لأنهم مقرون به، لكن يدعون إليه لكونه حجة عليه، ولأنهم أقروا به، فهو حجة عليهم في إلزامهم بتوحيد الله جل وعلا في العبادة، وإبطال ما هم عليه من الشرك في عبادة الأصنام والأوثان، إذ كيف يكون رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء، الذي يعرفون أنه خالقهم ورازقهم؛ كيف يكون هذا الخالق العظيم والرب العظيم شريكاً للمخلوق الذليل الضعيف ؟

وكيف يتقرب إلى هذا وإلى هذا؟ أو يقصد الضعيف بالعبادات بزعم أنه واسطة أو شفيع ؟

هذا من أبطل الباطل.

ولهذا قال: التوحيد قسمان: توحيد المعرفة والإثبات، ويقال لهذا: التوحيد العلمي الخبري، يعني مداره العلم والخبر من الله عز وجل ومن رسوله عليه الصلاة والسلام، وذاك يقتضي الإيمان والتصديق.

وهناك قسم آخر وهو التوحيد القصدي الطلبي، وهو توحيد العبادة، وهو تخصيص الله بعباداتك وأفعالك التي هي محض التقرب إلى الله، وهذا يقال له توحيد العبادة، ويسمى التوحيد القصدي الطلبي، يعني مضمونه إخلاص القصد لله وإخلاص الطلب لله، يقال: القصدي الطلبي، ويقال: الإرادي الطلبي، والمعنى واحد، الإرادي والقصدي واحد، هذا إذا جعلته قسمين، وأدخلت توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية، وجعلتهما جميعاً التوحيد في المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي الخبري.

وإن شئت جعلتها أقساماً ثلاثة:

الأول: توحيد العبادة الذي جاءت به الرسل وعنيت به وصارت الخصومات فيه بينها وبين الأمم.

والثاني: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأفعال الرب وتدبيره العوالم.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات، يعني أن تؤمن بأن الله جل وعلا موصوف بصفات عظيمة كثيرة، ومسمى بأسماء حسنى معروفة معلومة، تؤمن بها على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى.

هذه أنواع التوحيد الثلاثة، وإن شئت قلت نوعا التوحيد، هذه تحتاج إلى عناية وتحتاج إلى تدبر وتعقل، حتى تعرف الفرق بين أهل الشرك وبين أهل الإيمان وأهل التوحيد، وحتى تعرف الفرق بين أهل السنة وبين أهل البدعة في هذا الباب، فإن من أتى بهذه الأنواع على الوجه الذي

يجب، فارق أهل الشرك من عباد الأوثان والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم، وفارق أهل البدع الذين منهم من نفى الصفات، ومنهم من نفى الأسماء والصفات، ومنهم من نفى بعضها دون بعض وتأول بعضها دون بعض، فبإثباتها كلها والإيمان بها كلها على الوجه اللائق بالله، فارقت جميع أهل البدع، وبالإيمان بتوحيد العبادة وبأنه المستحق للعبادة سبحانه، فارقت جميع أهل الشرك، وبالإيمان بأن الإيمان يزيد وينقص ويضعف ويقوى وأن الطاعات تزيده والمعاصي تنقصه، فارقت بقية أهل البدع من المرجئة والخوارج والمعتزلة في هذا الباب، فأهل السنة والجماعة وسط في الأبواب التي تصرف بها قوم جفاء وتفريطاً، وقصر فيها آخرون إفراطاً وغلواً، وأهل السنة والجماعة وفقوا للوسط، فلا غلو ولا إفراط، ولا تقصير وجفاء وتفريط، ولكنهم توسطوا، وهكذا الأمة هي الوسط، وهم أهل السنة والجماعة، فآمنوا بالله وآمنوا بأسمائه وصفاته وآمنوا بأنه ربهم وإلههم الحق، وآمنوا بكل ما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام بما يتعلق بجميع أبواب الدين، باب الإيمان والعمل، باب القدر، باب الأسماء والصفات، أبواب ما يتعلق بأصحاب الرسول ﷺ، إلى غير ذلك من الأبواب الدينية التي وفق فيها أهل السنة والجماعة للحق واستقاموا عليه وثبتوا عليه، وحاد فيها قوم آخرون عن الحق والصواب، فما بين غال كالخوارج في تكفير أهل الذنوب، والمعتزلة في جعلهم خالدين في النار، وكالخوارج أيضاً في جفائهم في حق الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجفاء المعتزلة في حق أهل التوحيد وأهل الإسلام الذين عندهم بعض المعاصي، وكغلو الشيعة في أهل البيت وإفراطهم حتى عبدوهم من دون الله، وحتى جعلوهم يعلمون الغيب مع الله عز وجل، وكجفاء الذين نفوا الصفات وفرطوا فيها وعطلوها، وغلو الذين

أثبتوها حتى شبهوا الله بخلقه، فالطريق الوحيد السليم الموافق للعلم والفضل والحكمة والنصوص كلها، هو طريق أهل السنة والجماعة، بإثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بتوحيده والإخلاص له في العبادة، والإيمان بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بالله عز وجل، والإيمان بما تقتضيه الأدلة من زيادة الإيمان ونقصانه وضعفه وقوته، ومن عدم خروج المسلم من التوحيد والإسلام بمجرد المعصية، وعدم تخليد المسلم بالمعصية النار، بل الإيمان يزيد وينقص ويضعف ويقوى، والعاصي لا يخلد في النار إذا مات على التوحيد والإسلام، ولكنه يعذب على قدر معاصيه ثم يخرج منها إلى الجنة.

فهذه جملة عظيمة يجب على أهل العلم والإيمان أن تكون منهم على بال، وأن يحذروا ما دخل على كثير من الناس من أبواب الشر بسبب أهل البدع والغلو والتفريط والجفاء، فإنهم بين أمرين: بين غال مفْرط زائد، وبين جاف مفرّط مضيع خاطئ، نسأل الله السلامة.أهـ.

* * *

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ توحيد، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد؛ بمعنى أنك وحدت ربك إذ أثنيت عليه وخصصته بالحمد والثناء، وآمنت بأنه رب العالمين، وهذا حق، بخلاف من شرّك مع الله غيره بالتصرف والتدبير.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد؛ لأنك أخصصت ربك بأنه موصوف بهذه الصفات العظيمة، خلافاً لأهل البدع من الغلاة الذين شبهوا الله بخلقه، وجعلوا صفاته كصفات خلقه، ومن الجفاة الذين سلبوا الرب صفة الرحمة، وقالوا: إن الرحمة المراد بها إرادة الإنعام، ونفوا وجود الرحمة.

وكذلك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد، لإيمانك بأنه رب الجميع ومدبر الأمور.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد؛ لأنك خصصته بالعبادة والاستعانة.

و﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد؛ لأنك خصصته بالدعاء، وطلبت منه أن يهديك صراط أهل التوحيد، وهو صراط المنعم عليهم الذين عبدوا الله وحده وسلكوا سبيله وحده، وتركوا سبيل المغضوب عليهم والضالين، هذا وجه هذا التقسيم.أهـ.

* * *

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ يدخل فيه الأنبياء والرسل ثم العلماء بعدهم، كلهم شهدوا له سبحانه وتعالى بالوحدانية، كما شهدت الملائكة بجبلتهم على اختلاف طبقاتهم، شهدوا له سبحانه بالوحدانية، فهكذا أهل العلم من الرسل والأنبياء وأتباعهم وورثتهم من أهل العلم، كلهم شهدوا له بالوحدانية سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد، بأجل مشهود به.

وعبارات السلف في ﴿شَهِدَ﴾ تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها: فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه.

فلها أربع مراتب: فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع: علمه بذلك سبحانه، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به .

فأما مرتبة العلم، فإن الشهادة تضمنتها ضرورة، وإلا كان الشاهد

شاهداً بما لا علم له به، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وقال ﷺ: «على مثلها فاشهد»[١] وأشار إلى الشمس.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: استدلاله بهذا فيه نظر، لأن الحديث ضعيف، ولو قال: وروي عنه ﷺ أنه قال: «على مثلها..» لكان أليق به وأنسب، فحديث ابن عباس ضعيف في هذا الباب.أهـ.

* * *

وأما مرتبة التكلم والخبر، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

وأما مرتبة الإعلام والإخبار فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه به بقوله، وتارة بفعله، ولهذا كان من جعل داره مسجداً وفتح بابها وأفرزها بطريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها ـ: معلماً أنها وقف، وإن لم يتلفظ به، وكذلك من وجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسار، يكون معلماً له ولغيره أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس، وكذلك شهادة الرب عز وجل وبيانه وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله أخرى، فالقول ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه، وأما بيانه وإعلامه بفعله فكما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره

---

(١) ضعيف، أورده الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام بلفظ: «على مثلها فاشهد، أو دع» وقال: «أخرجه ابن عدي بإسناد ضعيف، وصححه الحاكم فأخطأ» وقد خرجته في «الإرواء» (٢٦٦٧).أهـ ألباني.

العجيب وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو(١).

وقال آخر:

وفي كـل شيء لـه آيـة تـدل عـلى أنـه واحـد

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله كلام جيد عظيم فيما يتعلق بالشهادة، فإن الله عز وجل في كتابه العظيم في آيات كثيرة جداً، يخبر عن نفسه بأنه لا إله إلا هو، وأنه مستحق العبادة جل وعلا، وأن عبادة غيره باطلة، وأن المعبودات من سواه باطلة، هذا كله يتضمن هذه الأمور الأربعة التي ذكرها المؤلف، تتضمن الإخبار عن نفسه بذلك، وعلمه بذلك، وإعلامه لعباده بذلك، وإلزامه لهم بذلك، وهكذا الرسل جاءت بهذا، وهكذا الدعاة إلى الله عز وجل، هذه الأمور الأربعة كلها معلومة مما أخبر الله به في كتابه العظيم، وإما جاء على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام، وهكذا الناس في أمورهم فيما بينهم التي يأمرون بها ويلزمون بها، سواء كانوا ملوكاً أو أمراء، أو من له شأن من الشئون فيما بينه وبين التابعين من ذرية وأهل وغير ذلك، فإن المتكلم عما لا يعلم يعد كاذباً، فالله عز وجل أخبر عن نفسه بأنه هو الواحد الأحد، وبأنه هو المستحق للعبادة، وهذا يتضمن العلم بذلك وأنه يعلم سبحانه وتعالى أنه الواحد الأحد، وأنه مستحق لأن

---

(١) ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٣٦٢ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وذكره ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٤، وابن القيم في مدراج السالكين ٣/ ٤٥٤ باب التوحيد: قال الله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾.

يعبد جل وعلا، وما ذاك إلا لكمال أسمائه وصفاته وكمال أفعاله، فهو الخلاق العليم وهو الرزاق للعباد، وهو الذي خلق هذا الكون وأوجده على ما فيه من العجائب والغرائب والحكم والأسرار، هذا يدل على علمه العظيم، ولهذا قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وهكذا تكلمه بذلك وإخباره لعباده بذلك: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المؤمنون:١١٦] ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل:٩] إلى غير ذلك، فهو يخبر عباده أنه المستحق للعبادة جل وعلا، وأن العبادات الأخرى باطلة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢] وفي إخباره وتكلمه بذلك إعلام في هذا الكلام، والإخبار في ضمنه الإعلام للأمة والتوجيه لهم وإرشادهم إلى هذا الخير العظيم قولاً وفعلاً، قولاً بما تكلم به سبحانه وتعالى في كتابه العظيم وما نقلته عنه الرسل، وفي الكتب السماوية الماضية، وفعلاً بما أوجد سبحانه وتعالى من الدلائل الخلقية الفعلية على وحدانيته، ما وجد في السماوات وفي الأرض وما بينهما، وفي هذه العجائب الأرضية التي يشاهدها الناس، وفي أنفس الناس، وما خلق فيهم من عقول وأسماع وأبصار وأدوات وغير ذلك شيء لا يحصى ولا يعد، إذا تأمله العبد عرف أنه دال على قدرة الله وعظمته، وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى، ولهذا أكثر الشعراء المتبصرون في هذا المعنى:

فوا عجبا كيف يعصى الإله … أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية … تدل على أنه واحد

ويقول آخر:

تأمل في نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك

إلى آخره، فالمقصود أن هذه الأشياء إذا تأملها العاقل وتبصر فيها عرف أنها صنع الله عز وجل، وأنه الواحد الأحد، وأنه المستحق لأن يعبد سبحانه وتعالى، هذه المخلوقات المتقنة المتنوعة المشتملة على أنواع من العجائب والغرائب والأسرار والحكم، والعجائب التي لا تحصى في كثرة المخلوقات وخصائصها، وبين جمادها وناطقها ونافعها وضارها ونفيسها وما هو أدنى من ذلك، كلها حجج وكلها بينات على أنه سبحانه هو المستحق لأن يعبد جل وعلا.

وأما أمره للعباد وإلزامه لهم فهذا أمر واضح، فقد أمرهم وألزمهم بحقه في كتبه وعلى ألسنة رسله، أمرهم بما ينفعهم وألزمهم به وفرضه عليهم، ونهاهم عما يضرهم وحذرهم منه، فهو سبحانه وتعالى يأمر بما فيه صلاحهم وينهى عما فيه مضرتهم، يأمر بما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وينهاهم عما يضرهم في الدنيا والآخرة.أهـ.

* * *

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل، قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧] فهذه شهادة منهم على أنفسهم(١) بما يفعلونه.

والمقصود أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، ودلالتها إنما هي بخلقه وجعله .

---

(١) أسقطت هذه العبارة وكلمة: (بالكفر) من الآية، من الأصل.أهـ ألباني.

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به، وأن مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر وألزم عباده به، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١] وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢ و٣٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨] والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، أو إلهية ما سواه باطلة، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلها، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يفهمه المخاطب الفاهم العاقل للغة التي يسمعها.أهـ.

* * *

كما إذا رأيت رجلاً يستفتي رجلاً أو يستشهده أو يستطبه وهو ليس أهلاً لذلك، ويدع من هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفت ولا شاهد ولا طبيب، المفتي فلان، والشاهد فلان، والطبيب فلان، فإن هذا أمر منه ونهي.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أمر منه أي من القائل.أهـ.

❊ ❊ ❊

وأيضاً: فالآية دلت على أنه وحده المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة، تضمن هذا الإخبار أمر العباد وإلزامهم بأداء ما يستحق الرب تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا لو تجردت النصوص عن الأوامر وكانت مجرد أخبار لكان ما ذكره المؤلف واضحاً، ولكن مع هذا كله جاءت الأوامر صريحة بذلك، مع ما تقتضيه الأخبار من وجوب إخلاص العبادة له سبحانه وتعالى، فلم يكتف، فقد أمر ونهى ولم يكتف بهذا الشيء، بل جمع الأدلة ونوعها وكثرها حتى لا تبقى حجة للناس، فقد جاءت الأوامر بعبادته، وجاء النهي عن الشرك به ومعصيته، وجاءت الأخبار بأنه مستحق لهذا، وجاءت الأخبار بأنه أهلك من عصى وخالف الرسل في هذا الأمر، وجاءت النصوص بأنه نصر من أطاع الله في هذا ووحده وأيدهم ووعدهم بالجنة والكرامة، فالأنواع التي تدل على الإلزام بهذا الشيء متنوعة كثيرة.أهـ.

❊ ❊ ❊

وأيضا: فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجملة الخبرية، ويقال للجملة الخبرية: قضية، وحكم، وقد حكم فيها بكذا، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٤] فجعل هذا الإخبار

المجرد منهم حكماً، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] لكن هذا حكم لا إلزام معه.

والحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو متضمن الإلزام، ولو كان المراد مجرد شهادة لم يتمكنوا من العلم بها، ولم ينتفعوا بها، ولم تقم عليهم بها الحجة، بل قد تضمنت البيان للعباد ودلالتهم وتعريفهم بما شهد به، كما أن الشاهد من العباد إذا كانت عنده شهادة ولم يبينها بل كتمها، لم ينتفع بها أحد، ولم تقم بها حجة .

وإذا كان لا ينتفع بها إلا ببيانها، فهو سبحانه قد بينها غاية البيان بطرق ثلاثة: السمع، والبصر، والعقل.

أما السمع: فبسمع آياته المتلوة المبينة لما عرفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها، غاية البيان، لا كما يزعمه الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة ومعطلة بعض الصفات من دعوى احتمالات توقع الحيرة، تنافي البيان الذي وصف الله به كتابه العزيز ورسوله الكريم، كما قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١] ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩] وقال في سورة الزمر:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٥] معنى مبين أي يبين ما يجب، أي يبين المطالب، من أبان يبين، اسم الفاعل من أبان من الرباعي، ما قال بيّن، بل قال: مبين، أي يبين ما يحتاجه العباد، يبين المطالب العالية، يوضح المقاصد التي قصدها الرب عز وجل في كتابه العظيم، يبين الشرائع، يبين الأحكام، يبين الأسماء، يبين الصفات، يبين كل المطالب المطلوبة، ولهذا عدل الرب عن كتاب بين إلى كتاب مبين، كتاب عربي مبين.

والمقصود من هذا هو أنه يُوضح، ولو قال كتاب بيّن فقط، فهو بيّن في نفسه، ومع ذلك يبين غيره، يبين للناس ما يحتاجون إليه.أهـ.

* * *

وكذلك السنة تأتي مبينة أو مقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان، ولا إلى ذوق فلان ووجده في أصول ديننا.

ولهذا نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه ما عندهم أصول، ولهذا من خالف الأصول حرم الوصول ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [ق:٥] مختلف، فمن تمسك بالأصول استقام أمره واتحدت كلمته، ومن خالف الأصول واعتمد الرأي أو القياس ومجرد ما في النفوس أو الذوق والوجد وما أشبه ذلك ـ كما قالت الصوفية، أو ما أشبه ذلك ـ مرج أمره واختلف ولم يرجع إلى قاعدة، فلهذا تجد المتصوفين والمتكلمين في أمر مريج مخالفين مختلفين ،لأن أصولهم مضطربة مختلفة، فهكذا اختلفت الفروع، لأن اختلاف الأصول

يوجب ذلك، نسأل الله السلامة، وليس هناك عصمة من هذا البلاء إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، الرجوع إلى الآيات الواضحات المحكمات في باب الأسماء والصفات، وفي باب التوحيد والشرك، وفي باب الأحكام، وهكذا السنة المطهرة الرجوع إليها، لأنها المفسرة المبينة لمعاني كلام الله، والموجهة لما قد يخفى من ذلك، فمن رجع إلى هذين الأصلين واعتمد عليهما، وبذل وسعه في التعرف على كل ما يشكل عليه من ذلك بالطرق المعروفة التي رسمها أهل العلم في كتبهم العظيمة؛ هدي إلى الصراط المستقيم، مع صلاح النية ومع بذل الوسع، أما من أراد أن يذهب إلى أصول أخرى وإلى مراجع أخرى، ويحكّم رأيه وعقله وشيخه وجده وعمه؛ فإنه يهلك ويضطرب ويقع في الحيرة، نسأل الله السلامة.أهـ.

* * *

بل قد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وكثير من هؤلاء الذين يخالفون الكتاب والسنة تجدهم يحتجون بالمجملات وعلى العمومات، ويتركون الواضحات المفصلات، وهذا شأن أهل الزيغ، فإن أهل الزيغ يتبعون ما تشابه منه ويتركون المحكم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] وأما أهل البصائر والإيمان والتقوى فإنهم يرجعون إلى المحكمات

الواضحات، وما خالفها فيما قد يظهر أو فيما قد يدعيه بعض الناس رد إلى المحكم، ولا يخالف المحكم من أجل رأي فلان أو رأي فلان، بل يجب رد ما اختلف إلى المحكمات الواضحات التي ليس فيها لبس ولا شبهة.أهـ.

* * *

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ أبوجعفر الطحاوي فيما يأتي من كلامه من قوله: «لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ».

وأما آياته العيانية الخلقية:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مصدر عاين عياناً، مثل جادل جدالاً، قاتل قتالاً، وهذه القاعدة في هذه المصادر، لها مصدران: فعال ومفاعلة، عاين عياناً ومعاينة، قاتل قتالاً ومقاتلة، جادل جدالاً ومجادلة، عاينته عياناً وعاينته معاينة.أهـ

* * *

فالنظر فيها والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما يشاهده الناس ويعاينونه من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة وحكمته سبحانه وتعالى، ما يشاهدونه في أنفسهم، لماذا جعل هذه العين في الوجه؟ لماذا جعل هذا الأنف مقدم؟ لماذا جعل هذا اللسان ينطق؟ لماذا جعل الأذن

هنا وهنا تسمع؟ لماذا ما جعل لها غطاء يغطيها؟

حتى تسمع الأصوات من حين يقع الصوت، لو كان لها غطاء محكم ربما فاتت الأصوات قبل أن يرفع الغطاء، فجعلها مفتوحة تسمع الصوت من حين يقع الصوت، وجعل العين ميسرة فتحها وتغميضها بسهولة، حتى ترى وتبصر ما أمامها وعن يمينها وشمالها وخلفها، لماذا جعل الأسنان، ما هي الحكمة؟ لماذا جعل هذه الأسنان بعضها كذا وبعضها كذا؟ بعضها يقطع وبعضها يطحن لماذا جعلها؟ الحكمة ظاهرة، لماذا جعل هذا اللسان يتكلم ويعبر عما في الجوف؟ لماذا جعل العقل في القلب يعقل به الأشياء؟ لماذا جعل الأصابع؟ لماذا جعل للأصابع أظفاراً؟

للأظفار تشبه بالحجر والظفر، كل يعرف هذه الأمور، إذا تأملها عرف أنها حاجة، وكذلك في أصابع الرجلين، لماذا جعلها هكذا مفرجة؟ لماذا جعل فيها أظفاراً؟

وهكذا بقية الأشياء في نفس الإنسان ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١] كذلك ما جعل في هذه الجبال، من دخل فيها من ناس أو حشرات على حسب قوتها، تقيهم الحر تقيهم الشمس تقيهم المطر، لماذا جعل هذه الأنهار وهذه العيون الجاريات في أنحاء الأرض؟ لماذا جعل هذه الأشجار العظيمة في أنحاء الأرض في الصحراء؟ لماذا جعل فيها هذه الفواكه؟ وجعل فيها الفوائد؟ الرمان كذا العنب كذا التمر كذا النوع الآخر كذا؟ تجد ستة ألوان من الطعوم والفوائد، هذه خلقت عن عبث؟ عن صدفة؟

كلها لحكمة عظيمة، وعن علم وعن بصيرة وعن قدرة، إذا فكر

الإنسان في هذه الأمور يعجب العجب العظيم، يعرف أن هذا الشيء صدر عن حكيم عليم بصير بأحوال العباد، بصير بمصالحهم، عالم بما ينفعهم وما يضرهم، له الحكمة البالغة والحجة الدامغة والقدرة الكاملة والعلم الكامل، سبحان الله ما أعظم شأنه.أهـ.

* * *

فهو سبحانه لكمال عدله ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر وإقامة الحجة؛ لم يبعث نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤] **وقال تعالى:** ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٣] **وقال تعالى:** ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤] **وقال تعالى:** ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] **حتى إن من أخفى آيات الرسل آيات هود، حتى قال له قومه:** ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ **ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبرها، وقد أشار إليه بقوله:** ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦] **فهذا من أعظم الآيات: أن رجلاً واحداً يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع ولا خوار، بل هو واثق بما قاله، جازم**

به، فأشهد الله أولاً على براءته من دينهم وما هم عليه، إشهاد واثق به معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره وغير مسلط لهم عليه. ثم أشهدهم إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة أنه بريء من دينهم وآلهتهم التي يوالون عليها ويعادون عليها ويبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكد ذلك عليهم بالاستهانة لهم واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلونه ولا يمهلونه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه ثم قرر دعوتهم أحسن تقرير، وبين أن ربه تعالى وربهم الذي نواصيهم بيده هو وليه ووكيله القائم بنصره وتأييده، وأنه على صراط مستقيم، فلا يخذل من توكل عليه وأقر به، ولا يشمت به أعداءه.

فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلتهم؟

وهي شهادة من الله سبحانه لهم بينها لعباده غاية البيان.

ومن أسمائه تعالى المؤمن وهو في أحد التفسيرين: المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فإنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغه رسله حق قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] أي القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٥٢] ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] فشهد سبحانه لرسوله بقوله أن ما جاء به حق، ووعد أنه يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك كله وأجل، وهو شهادته سبحانه بأنه على كل شيء

شهيد، فإن من أسمائه الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله، وهذا استدلال بأسمائه وصفاته، والأول استدلال بقوله وكلماته، واستدلاله بالآيات الأفقية والنفسية استدلال بأفعاله و مخلوقاته.

فإن قلت: كيف يستدل بأسمائه وصفاته، فإن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح ؟

فالجواب: أن الله تعالى قد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه، ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء واطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السموات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب غير مفتر؟!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب: كاذب عليه مفتر، يعني ما يليق بالرب عز وجل أن ينصر من هذا شأنه، لا يليق به أن ينصر ويقر ويظهر على دينه كذا وكذا، وهو في نفس الأمر كاذب عليه مفتر، يعني لا يليق بحكمة الله ذلك، بل من كان بهذه المثابة فهو جدير بأن يعاقب وتعجل له العقوبة ويذهب، ويُظهر الله على كذبه وباطله من

الدلائل ما يعلم العقلاء أنه كاذب، كما جرى لمسيلمة والمختار بن أبي عبيد والأسود العنسي وأشباههم، مما ظهر من دلائل الكذب والفساد والاضطراب والبهرج ما دل على باطلهم وكذبهم.

والمقصود من هذا أن أسماءه الحسنى وصفاته العلى تدل على عظمته واستحقاقه العبادة وأنه رب العالمين، فيستدل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى لمن فطره الله على الحق، على أنه الحق سبحانه وتعالى، وما فطر العباد على الإيمان بهذا الذي كوّن هذا الكون وأبدع فيه ما أبدع وجعل فيه ما جعل، فالقلوب مفطورة على الإيمان بهذا العظيم الذي خلق هذا الكون ودبر شؤونه وأحكمه، وجعل فيه من المنافع والمصالح ما جعل، فالله فطر القلوب والعقول على الإيمان بهذا وتعظيم من هذا شأنه، فجاءت الرسل تذكرهم بهذا الشيء وتؤيد هذا الشيء، وتبين أن هذا الذي خلق العالم وجعل فيه ما جعل، وجعل في نفس الإنسان ما جعل أيضاً، هو المستحق لأن يعبد ويعظم، وهو رب العالمين وهو خالق العالمين، ولا يليق بعاقل أن يعبد معه سواه، أو يشرك معه في خلقه وتدبيره أو في عنايته أو في أسمائه وصفاته غيره سبحانه وتعالى.

العقول عاجزة عن التفصيل، فجاءت الرسل تبين أن هذا الذي خلق العالم هو الله، يسمى الله، يسمى الرحمن، يسمى الرحيم، يسمى الخلاق، يسمى الخالق، يسمى الرازق، يسمى الغفور، يسمى المصور، يسمى الباري، يسمى السميع، يسمى البصير، يسمى رب العالمين، يسمى مالك يوم الدين، جاءت الرسل بهذه الأشياء التي تقر بها العقول والفطر السليمة وتشهد بها، لما وقع فيها ولما فطرت عليه من تعظيم مكون هذا الكون وخالقه ومدبره، ولما فطرت عليه من تعظيم خالقها وبارئها، الذي جعل فيها ما جعل من عقل وسمع وبصر، وجعل فيها مخارج ومداخل

لحاجتها، وجعل فيها ما جعل من العقل للأمور والتمييز بين الضار والنافع، وبين الخير والشر، وبين ما يناسبها وما لا يناسبها، إلى غير ذلك سبحانه وتعالى.

ثم اللغات مختلفة، فلغات العرب جاءت بهذه العبارات الصريحة، واللغات الأخرى جاءت بذلك، بما يعقله أصحابها في عبرية سيريانية، اللغات الأخرى القديمة في عهد إبراهيم، وعهد هود، وعهد صالح، إلى غير ذلك، جاءت الرسل وجاءت الرسالات بلغات تناسب أهل ذاك الزمان، ويعقلونها ويفهمونها ويستفيدون منها ما تقوم به الحجة عليهم.أهـ.

* * *

ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك، ومن جوز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته.

والقرآن مملوء من هذه الطريق، وهي طريق الخواص،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: طريق الخواص من عباده وأوليائه، بخلاف الجهمية والمعتزلة وأشباههم الذين نبت قلوبهم وعقولهم، تعرت قلوبهم وعقولهم من إثبات الصفات والأسماء، فصارت عقولهم وفطرهم منحرفة زائغة، رأوا أن الكمال في نفي هذه الصفات وعدم الإقرار بها، هذه عقول زاغت وقلوب فسدت وزاغت، فلا عبرة بها ولا يلتفت إليها، وكذلك عقول وقلوب من رأى التشبيه لله بخلقه، وقال في أسماء الله وصفاته ما يقوله في صفات المخلوقين، كالجواربي وأشباهه ممن مالوا إلى التشبيه وجعلوا الله كخلقه، هؤلاء كفار وهؤلاء كفار، ولم يسلم من هذا البلاء وهذا الفساد وهذا التعطيل

والتشبيه إلا الحنفاء، إلا اتباع الرسل، إلا أهل السنة والجماعة، الذين قبلوا عن الله ما أخبر به وحملوه على أحسن المحامل، ولم يذهبوا مذهب المشبهة ولا مذهب المعطلة، بل أثبتوا لله صفات كماله وأسماءه الحسنى، إثباتاً بريئاً من التعطيل وبريئاً من التشبيه والتمثيل، أما أولئك المشبهون فغلوا في الإثبات، وأما أولئك المعطلون فغلوا في التنزيه وهلكوا، ولكن أهل السنة والجماعة أثبتوا بلا تمثيل ونزهوا بلا تعطيل، ففازوا بالسلامة وفازوا بالتوفيق.أهـ

* * *

يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعل ولا يفعله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

ويستدل أيضاً بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من خلق هذا العالم وهو الله؛ جدير بأن يكون سميعاً بصيراً حكيماً عليماً قادراً، ومن كان بهذه الصفات فهو جدير أيضاً بأن يستحق العبادة سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] وأضعاف ذلك في القرآن، وهذه الطريق قليل سالكها، لا يهتدي إليها إلا الخواص، وطريقة الجمهور الاستدلال

بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يفضل بعض خلقه على بعض.

فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود له، قال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولاشك أن القرآن العظيم فيه الحجة البالغة والآية العظمى والمعجزة الكبرى على أنه من عند الله، وعلى أن محمداً رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإنه كتاب عظيم مشتمل على أخبار صادقة وعلوم نافعة وأحكام عادلة، وتوجيه إلى الخير وإرشاد إلى أسباب النجاة، وبيان ما ينبغي للعبد أن يسير عليه، فمن تدبره وتعقله عرف أنه أنزل بالحق وأنه كلام الرب عز وجل، وأنه ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ﴾ [فصلت:٤٤] ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:٥١] ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥] ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] فمن تعقله وتدبره عرف حقًا

أنه كتاب الله، وأنه منزل من عند الله، وأنه كلام الله، وأنه بعيد عن كل ما رماه به أعداء الله وافتراه عليه أعداء الله، ولكن الهوى والحسد والبغي والعناد، كلها تحمل أهلها على ما لا ينبغي، وعلى ما يعلم كل عاقل بطلانه ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام:٣٣] فالأهواء المنحرفة والنفوس الظالمة والمقاصد الخبيثة كلها تحمل على كل شر، وعلى ما هو معلوم بالبداهة بطلانه، نسأل الله السلامة.أهـ.

* * *

وإذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، كما تقدمت إليه الإشارة، فلا يلتفت إلى قول من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، وجعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق، والنوع الثالث توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كلام ليس بمظهور، بل نهايته الإلحاد والتعطيل، فمن جعل توحيد الرسل توحيد العامة، فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته، فإن هذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل وهو الذي نزلت به الكتب، فمن جعله توحيد العامة، وأن هناك توحيداً آخر للخاصة؛ فما عرف الشريعة وما عرف ما جاءت به الرسل، وتوحيد العامة هو توحيد الرسل، وهو إفراد الله بالعبادة، والإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، وأنه الحق، وأنه المعبود بالحق، وأنه مدبر الأمور، وأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة لغيره، وما سواه مخلوق مربوب.

أما توحيد القدم والتوحيد الذي يثبت بالحقائق أو يثبت بالحقائق الباطنية، التي معناها تعطيل الصفات، ويشابه الفناء المطلق ولا يشاهد إلا الله وحده، وأن ما سواه ليس بشيء، فهذا يفضي بأهله إلى الإلحاد الكامل وإلى وحدة الوجود، وإلى إنكار ما جاءت الرسل بإثباته من الفرق بين العابد والمعبود وبين الإله والآله العابد، وبين الحق والمخلوق الذي هو عابد مربوب مدبر مصرف، وكذلك فيه أيضاً صد عن سبيل الله وتكذيب للرسل وإنكار لما جاءوا به، فإنهم جاءوا بأحكام وأوامر ونواهي، وبيان الإله الذي يستحق العبادة، وبيان للعباد أنهم يستحقون أن يعبدوا ربهم ويقوموا بحقه وأن يخضعوا له، فهذا التوحيد الذي عندهم، الذي هو الفناء في الخالق ونسيان المخلوقين والشغل عنهم وعدم الالتفات إليهم، وألا يشاهد إلا ذاتاً مجردة؛ كل هذا من أبطل الباطل، نسأل الله العافية. أهـ

* * *

فإن أكمل الناس توحيداً الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وأكملهم توحيداً الخليلان: محمد وإبراهيم، صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً، ومعرفة، وحالاً، ودعوة للخلق وجهاداً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد استنبط العلماء أن هؤلاء الخمسة هم أولو العزم، استنبطوا من آيتين من كتاب الله، من قوله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب:٧] ومن قوله

في سورة الشورى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ [الشورى:١٣] قالوا: فذكرهم بهاتين الآيتين الكريمتين دليل على الخصوصية، وأنهم أولو العزم من الرسل، يعني أولو القوة الكاملة التي يعطاها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم الخليلان: إبراهيم أبوالأنبياء خليل الرحمن، وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، فكل من الرسل والأنبياء له فضله وله منزلته عند الله العظيمة وله خصائصه، عليهم الصلاة والسلام.أهـ.

* * *

فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه، كما قال تعالى، بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد وذكر الأنبياء من ذريته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] فلا أكمل من توحيد من أمر رسول الله ﷺ أن يقتدي بهم، وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»(١) فملة إبراهيم: التوحيد، ودين محمد ﷺ: ما جاء به من

---

(١) حديث صحيح، أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٢٣) عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبي بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا: **أصبحنا على فطرة الإسلام..الحديث**». وفي آخره: وإذا أمسينا مثل ذلك. وسنده ضعيف، لكن أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦-٤٠٧) والدارمي (٢/ ٢٩٢) وابن السني في «اليوم والليلة» رقم (٣٢) من طريقين آخرين عن عبد الرحمن بن أبزى قال: «كان النبي ﷺ إذا أصبح قال» فذكره، وسنده صحيح.أهـ ألباني

عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسلام: هي ما فطر عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبودية وذلاً وانقياداً وإنابة.

فهذا توحيد خاصة الخاصة، الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١] وكل من له حس سليم وعقل يميز به، لايحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل واصطلاحهم وطرقهم البتة، بل ربما يقع بسببها في شكوك وشبه يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة، فإن التوحيد إنما ينفع إذا سلم قلب صاحبه من ذلك، وهذا هو القلب السليم الذي لا يفلح إلا من أتى الله به.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يشير إلى قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] أهـ.

* * *

ولا شك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر، يفضي إلى الاتحاد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني اتحاد الخالق والمخلوق، وهو الإلحاد، وهو وحدة الوجود، نسأل الله العافية.

ومعنى الفناء: هو أن يفنى عن غير الخالق بالخالق، ويفنى بتوحيده عن اسم غيره وعن مشاهدة غيره، فلا يشاهد إلا الله وحده فقط، ولهذا يفضي إلى وحدة الوجود وعدم الفرق، والله بعث الرسل بالفرق بين الله والمخلوقين، وبين توحيد العبادة وبين المعصية والشرك، وبين الطاعات والمعاصي، وبين الخير والشر، فهؤلاء الذين يزعمون أن الفناء هو الغاية؛ معناه أنهم ضيعوا كل شيء ولم يشاهدوا إلا واحداً، والرسل جاءت بالفرق، جاءت بالأمرين، بالخالق والمخلوق، بالهدى والضلال، بالخير والشر، بالنافع والضار، بالتوحيد والشرك، بالطاعة والمعصية، فمن فني عن الفرق بالجمع، ويسمونه الجمع، وهو جمع الهمة وجمع القلب على الله وحده، من دون أن يشاهد غيره ومن دون أن ينظر إلى غيره مما جاءت به الرسل؛ فقد هلك وأهلك، نسأل الله العافية.أهـ.

* * *

انظر إلى ما أنشد شيخ الإسلام أبوإسماعيل الأنصاري رحمه الله تعالى حيث يقول:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: توحيد من عن نعته ينطق، أقرب إلى إقامة شعره.أهـ

* * *

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من أبياته الفاسدة

والخبيثة، قد تُوهِم الشر، وقد تكلم عليها ابن القيم رحمه الله وأطال عليها المداري، تعذّر عن أبي إسماعيل بعض الأعذار، هي أبيات لا وجه لها وموهمة شرًّا.أهـ.

***

وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً محتملاً جذبه به الاتحادي إليه، وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه، ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا إجمال فيها كان أحق، مع أن المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوباً منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس إليه وبينه، فإن على الرسول البلاغ المبين، فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة؟ أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إلى هذه النقول والعقول حاضرة؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما أتى بهذه النقول الفاسدة ولا بهذه العقول الفاسدة، فإن المقام يقتضي هذا، هذه العقول التي رأت هذا الشيء، وهذه النقول التي أُبهم بأنهم نقلوها، لم يأت بها النبي ﷺ، ولم يأت بها الصحابة ولم يعرفوها، وهم خير الأمة وأفضلها وأعلمها، ثم كلام الله ورسوله من شأنه البيان وعدم الإفضاء إلى الباطل، وهذه كلمات أقرب إلى الألغاز وأشبه بالألغاز، تفضي إلى كل باطل، ويجرها المبطل إلى ما يريد، فليس هذا من شأن أهل البيان، وليس من شأن أهل الحق، فإن أهل الحق يوضحون ويبينون ولا يلغزون.

(أو أشار إلى هذه النقول والعقول حاضرة) العبارة فيها نظر.أهـ.

***

فهذا كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، وهذه سنة الرسول، وهذا كلام

خير القرون بعد الرسول، وسادات العارفين من الأئمة، هل جاء ذكر الفناء فيها، وهذا التقسيم عن أحد منهم؟

وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين، المشبه لغلو الخوارج، بل لغلو النصارى في دينهم، وقد ذم الله تعالى الغلو في الدين ونهى عنه، فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقال ﷺ: «لا تشددوا فيشدد الله عليكم، فإن من كان قبلكم شددوا فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» رواه أبوداود[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ويناسب المقام أيضاً حديث ابن عباس «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» أخرجه أحمد وبعض أهل السنن بإسناد جيد، وهو أظهر في هذا المقام «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» لما لقط له الحصى مثل حصى الخذف وقال: «**أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» خرجه أحمد وغيره بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)]،

---

(١) رقم (٤٩٠٤) وفيه سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه سوى اثنين، وقد خرجته في «الضعيفة» (٣٤٦٨).أهـ ألباني

(٢) رواه أحمد١/ ٢١٥، ٣٤٧ والنسائي ٥/ ٢٦٨ المناسك/ باب التقاط الحصى، وابن ماجه (٣٠٢٩) المناسك/ باب قدر حصى الرمي، وصححه ابن خزيمة (٢٨٦٧) وابن حبان (٣٨٧١) والحاكم ١/ ٤٦٦ وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، لكن قال النـووي =

وهذا يدل على أن الغلو في الدين منكر، وأنه وسيلة إلى الشرك، ووسيلة إلى الوقوع في البدع والمنكرات، والغلو هو الزيادة، من غلت القدر إذا زادت، اشتد غليانها بسبب النار، والغالي الزائد الذي يزيد ما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى، ومنه الإطراء، لكن الإطراء يكون في الأقوال، والغلو أعم **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»**(١).

وحب الأنبياء وحب الصالحين دين، حب الأنبياء وحب الصالحين من الدين، فالغلو فيه غلو في الدين، فمن الغلو أن يوصفوا بما لا يليق بهم، أو يعارضوا بما لا يليق بهم، فيوصفوا بأنهم غوث الأمة، بمعنى أنه يستغاث بهم، أو أنهم قطب الأقطاب، أو أنهم أقطاب، يعني يستغاث بهم وينذر لهم ويذبح لهم، كما قال الصوفية وأشباههم، ومن الغلو فيهم أن يبنى على قبورهم، ويبنى عليها القباب والمساجد، هذا من الغلو ومن وسائل الشرك، ومن الغلو فيهم أن يُدعوا مع الله، وأن يستغاث بهم، وأن ينذر لهم، وأن يذبح لهم، وأن يطلب منهم المدد، كل هذا من الغلو الذي ذمه الله، ومن هذا الباب حديث ابن مسعود الذي عند مسلم **«هلك المتنطعون هلك المتنطعون قالها ثلاثاً»**(٢) هذا يوجب

= في المجموع ٨ / ١٣٧: إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم (١٠٦) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٨) والطبراني في الكبير (١٢٧٤٧) والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٢٧ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ٢٧٨.

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ و(٦٨٣٠) كتاب الحدود / باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٧) كتاب العلم/ باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعه والنهي عن الاختلاف في القرآن، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

على أهل الإسلام الحذر من الغلو.

ومن الغلو الاحتفال بالموالد، للرسول وغيره، فإنه زيادة لم يشرعها الله، يدعو إليها الحب، فهي زيادة لم يشرعها الله، فتكون من البدع ومن الغلو.

ويدل على معنى سددوا، الحديث في الصحيحين «سددوا وقاربوا وأبشروا، واعلموا أنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[1]. أهـ

❊ ❊ ❊

قوله: (ولاشيء مثله).

ش: اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ رد على الممثلة المشبهة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ رد على النفاة المعطلة، فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق، فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نظير النصارى في كفرهم، ويراد به أنه لا يثبت لله شي من الصفات، فلا يقال: له قدرة، ولا علم، ولا حياة، لأن العبد موصوف بهذه الصفات! ولازم هذا القول أنه لا يقال له: حي، عليم، قدير، لأن العبد يسمى بهذه الأسماء،

---

(١) رواه البخاري (٣٩) كتاب الإيمان/ باب: الدين يسر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفات المنافقين/ باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكذلك كلامه وسمعه وبصره وإرادته وغير ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو التعطيل، هذا هو التعطيل الذي ذمه السلف وعابوه، وصار الناس الآن طرفين ووسطاً، طرفين على الباطل، ووسطاً على الحق.

وهذه قاعدة: أن أهل السنة والجماعة بين باطلين وبين طرفين، والحق هو الوسط.

فالباطل الأول باطل أهل التشبيه، يشبهون الله بخلقه، كداود الجواربي وأشباهه ممن سار على نهجه من المشبهة.

والطرف الثاني طرف التعطيل نفاة الصفات، ليس بكذا وليس بكذا بزعمهم، يفرون من التشبيه فيقعون في التعطيل.

أما أهل السنة والجماعة فقد أثبتوا صفات الله وأسماءه كما جاء في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة، إثباتاً بريئاً من التمثيل، يثبتونها لله من دون أن يشبهوا الله بخلقه، يثبتونها على الوجه اللائق به، كما أخبر عن نفسه سبحانه وتعالى، وينزهون الله عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل، فلا هم مع هؤلاء ولا هم مع هؤلاء، ولكنهم توسطوا الحق، كما قال جل وعلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ونبه أبوالعباس ابن تيمية رحمه الله في كتابه العقيدة الواسطية على هذا، قال: «**فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة**» هذا شأنهم في كل باب من أبواب الحق يكونون وسطاً، لا مع الغالين ولا مع الجافين، والناس في أمور الدين بين غلو وبين جفاء، وأهل الحق وهم الصحابة، أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان هم الوسط، فليسوا مع الغالين المفْرطين، وليسوا مع الجفاة المفرطين،

ولكنهم على الحق والهدى والتوسط الذي شرعه للأمة ومدحهم به سبحانه وتعالى.

الجفاء التقصير، الجافي المقصّر المُفَرط.أهـ

* * *

وهم يوافقون أهل السنة على أنه موجود، عليم قدير، حي، والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه عاقل، فإن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى صفات خلقه، وليس المسمى كالمسمى، فسمى نفسه: حياً، عليماً، قديراً، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً، جباراً، متكبراً، وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، وكذلك سائر الأسماء، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني

أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به» قال: ويسمي حاجته[١]، رواه البخاري.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمراد بالأمور هنا، التي عنده فيها شيء من الريب والشك، أو في كيفية السبيل إليها، أو في وسائلها أو ما أشبه ذلك، أما الأمور التي ليس فيها ريب ولا شك، بل هي مطلوبة مأمور بها، فليست محل الاستخارة.

قوله: «**في الأمور كلها**» في الأمور كلها التي فيها شيء من التردد، أو في الطريق إليها أو في عواقبها أو ما أشبه ذلك، وأما الشيء الواضح الذي ليس فيه شيء، بل معروف أنه خير محض، كالصلاة وصوم رمضان والحج والجهاد الذي يعرف أنه مشروع، وما أشبه ذلك كبر الوالدين وصلة رحمك والصلاة الراتبة والوتر، لا يصلي الاستخارة.أهـ

* * *

وفي حديث عمار بن ياسر الذي رواه النسائي وغيره، عن النبي ﷺ،

---

(١) صحيح، وحسبك أن البخاري أخرجه في صحيحه، وقول أحمد في أحد رواته: «روى حديثاً منكراً» يعني هذا، لا يضره بعد قول أحمد فيه «لا بأس به» وإنما يضر ذلك فيما إذا خالف من هو أوثق منه، وليس شيء من ذلك هنا، ثم وجدت له شاهدا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صححه ابن حبان، وقد خرجته في «الضعيفة» (٢٣٠٥) لزيادة فيه عنده.أهـ ألباني.

أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا حديث عظيم جليل، ودعوات عظيمة ينبغي حفظها والدعاء بها، فإنها دعوات عظيمة ينبغي للمؤمن حفظها.أهـ

* * *

فقد سمى الله ورسوله صفات الله علماً وقدرة وقوة، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة، وهذا لازم لجميع العقلاء، فإن من نفى صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه، كالرضى والغضب، والحب والبغض، ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم!

قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته

---

(١) حديث صحيح، وأخرجه الحاكم أيضا وصححه ووافقه الذهبي، وهو مخرج في «الكلم الطيب» (١٠٥) و«ظلال الجنة في تخريج السنة» (١٢٩).أهـ ألباني

له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبته، إذ لا فرق بينهما.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من باب التناقض، هذا رد على الأشاعرة، وهو في الحقيقة رد على جميع المعطلة، فإنه لابد لهم من شيء يثبتونه، فيقال لهم فيما أثبتوا نظير ما فروا منه سواء بسواء، فإذا أثبتوا شيئاً ولو صفة واحدة، ولو صفة الوجود، يقال لهم هل وجوده كوجود غيره؟

سيقولون: لا، فهكذا بقية الصفات سواء بسواء، فلازمهم أن يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه سواء بسواء، قلّ ما أثبتوه أو كثر ما أثبتوه.

فالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم كلهم مفلوجون وكلهم متناقضون، ولا يسلم من ذلك إلا أهل السنة والجماعة، كل من خالف الحق فهو مفلوج ومتناقض ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝ ﴾ [ق:٥] وأبو العباس ابن تيمية رحمة الله عليه في بعض كلامه، إنه يلتزم أن كل صاحب باطل يحتج بحجة صحيحة على باطله؛ أن في نفس الحجة ما يدل على بطلان ما ذهب إليه، نفس حجته التي احتج بها.أهـ

❊ ❊ ❊

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات! قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى، مثل: عليم، حي، قادر، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما يثبت للعبد فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود وحق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه، وليس هو مماثلاً له .

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً، بل أنكر وجود الواجب .

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك، وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجباً بنفسه، ولا قديماً أزلياً، ولا خالقاً لما سواه، ولا غنياً عما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب، والآخر ممكن، أحدهما قديم، والآخر حادث، أحدهما غني، والآخر فقير، أحدهما خالق، والآخر مخلوق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئاً موجوداً ثابتاً، ومن المعلوم أيضاً أن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته، إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع، وأحدهما يجب قدمه وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه، وأحدهما خالق والآخر ليس بخالق، وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب القدم،

موجوداً بنفسه غير موجود بنفسه، خالقاً ليس بخالق، غنياً غير غني، فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتف بصريح العقل، كما هو منتف بنصوص الشرع .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله على سبيل التنزل مع أهل الكلام والخوض معهم، وإلا فعلى ما قال أهل السنة لا خوض معهم ولا كلام معهم، بل يجب إنكار ما يقولون والإعراض عنهم، وأن خوضهم في هذه المسائل من أسباب شكهم وريبهم وضلالهم وبعدهم عن الهدى، ونصوص الكتاب والسنة ونصوص الأئمة كلها واضحة فيما دلت عليه النصوص من وجوب وجود الله جل وعلا واتصافه بالصفات العلى وتسمّيه بالأسماء الحسنى.

والعقول الصحيحة الصريحة والفطر السليمة كلها مؤمنة بأن هذا العالم له موجد خالق رازق مستقل قائم بنفسه ليس قبله شيء ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد:٣] سبحانه وتعالى، فهذه الأمور المعلومة المقطوع بها التي دلت عليها الرسالات، ودلت عليها الكتب السماوية، كافية شافية لمن له أدنى عقل وبصيرة، ولا حاجة للخوض مع هؤلاء فيما يخوضون فيه.أهـ

* * *

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً بالباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهاً قائلاً بالباطل، والله أعلم.

وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك،

والعبد أيضاً مختص بوجوده وعلمه وقدرته، والله تعالى منزه عن مشاركة العبد في خصائصه.

وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني جنس الموجود مشترك، مثل الوجود مشترك، هذا سمع وهذا سمع، هذا بصر وهذا بصر، هذه حياة وهذه حياة، ولكن الموجود في الأعيان والبارز في الأعيان مختص، فالذي لله والذي للمخلوق للمخلوق ليس مشتركاً، فوجود الله وحياته وعلمه وسمعه وبصره ونحو ذلك، كلها صفات مستقلة لائقة به سبحانه وتعالى، مختصة به عز وجل، ليس للمخلوق فيها شركة، وكذلك صفات المخلوق من حياته وعلمه وقدرته ونحو ذلك صفة مختصة به، ناقصة ضعيفة لائقة بالمخلوق، الله الذي خلقها وأوجدها له سبحانه وتعالى، فليست صفات الخالق هي صفات المخلوق، أما صفات الخالق الموجودة التي هو متصف بها، فهي صفات مستقلة ليس للمخلوق فيها شركة، بل صفات كاملة لها الكمال من كل الوجوه، وصفات المخلوقين لها النقص ويطرأ عليها الزوال والذهاب والاضمحلال، كما قد يعمى الإنسان ويصيبه عور ويصيبه صمم ويصيبه الأمراض، وتختل قوته وقدرته، وتذهب حياته بالموت، فصفات المخلوقين يعتريها ما يعتريها من هذه الآفات، بخلاف صفات الخالق فإنها كاملة سالمة لا يأتيها نقص بوجه من الوجوه، فلها البقاء التام والاستمرار.أهـ

❊ ❊ ❊

وهذا موضع اضطراب فيه كثير من النظار،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب: وهذا موضع اضطرب فيه كثير من النظار.أهـ

* * *

حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني التبس عليهم الوجود الذهني بالوجود الخارجي، فالوجود الذهني شيء والوجود الخارجي شيء ثان.أهـ

* * *

وطائفة ظنت أن لفظ الوجود يقال بالاشتراك اللفظي، وكابروا عقولهم، فإن هذه الأسماء عامة قابلة للتقسيم، كما يقال: الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم وحادث، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام، واللفظ المشترك كلفظ المشتري الواقع على المبتاع والكوكب، لا ينقسم معناه، ولكن يقال: لفظ المشتري يقال على كذا أو على كذا، وأمثال هذه المقالات التي قد بسط الكلام عليها في موضعه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا اشتراك لفظي، معروف أن الكلمات المشتركة باللفظ والمعاني غير، ولكن ما بين صفات المخلوقين وصفات الخالق فيها اشتراك لفظي وفيها اشتراك معنوي أيضاً، لكن ذلك الاشتراك المعنوي لا يلزم منه التماثل، فإن جنس

السمع مشترك في المعنى، سمع وسمع للأصوات، بصر وبصر للمرئيات، حياة ضد الموت مشتركة، لكن المعنى الذي لله ليس المعنى الذي للمخلوق بل هو أكمل، فالمعنى الذي للمخلوق معنى ضعيف قاصر، والمعنى الذي لله أكمل وأعظم، فليس بينهما تماثل، بخلاف لفظ المشتري للكوكب، والمشتري الذي هو مقابل البائع، هؤلاء ليس بينهما اشتراك، هذا اسم جامد، المشتري، وهذا اسم له معنى، وهو كونه أخذ السلعة وتقبل السلعة بالثمن، فليس بينهما اشتراك في المعنى، وإنما هو مجرد اشتراك في اللفظ فقط، يقال هذا مشتري وهذا مشترٍ، وليس بينهما معنى مشترك، لكن ما بين أسماء الرب وصفاته وبين أسماء المخلوقين وصفاتهم؛ بينهما أصل المعنى، أصل المعنى موجود، جنس الحياة، جنس الوجود، جنس السمع، جنس البصر، الغضب، إلى غير ذلك، لكن المعنى الذي للمخلوق ليس هو المعنى الذي لله، المعنى الذي لله له الكمال والتمام، والمعنى الذي للمخلوق ضعيف ناقص، ولولا هذا المعنى المشترك لما فهمت الصفات، لما علمت الصفات ولما فهمت الصفات، فكما أن هذا له وجود وهذا له وجود، فكذلك هذا له حياة وهذا له حياة، وهذا له سمع وهذا له سمع، ولكن ليس الحي كالحي، وليس الوجود كالوجود، وليس البصر كالبصر، وليس السمع كالسمع، وما أشبه ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وأصل الخطأ والغلط: توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس

كذلك، فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، بل لا يوجد إلا معيناً مختصاً، وهذه الأسماء إذا سمي الله بها كان مسماها معيناً مختصاً به، فإذا سمي بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟ ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك، فالمشار إليه واحد لكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه، وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا، وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.

فالنفاة أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه، ولكن أساؤوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني غلوا في النفي حتى عطلوا صفات الله، والمشبهة غلوا في الإثبات حتى مثلوا الله بخلقه، كلاهما غلا، وأهل السنة والجماعة سلموا من هذا الغلو، فأثبتوا لله ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، ونزهوا الله عما نزه نفسه عنه من مشابهة المخلوقات.أهـ

* * *

المشبهة أحسنوا في إثبات الصفات ،ولكن أساؤوا بزيادة التشبيه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: زادوا، يعني أثبتوا سمعاً وبصراً وحياة، لكن زادوا قولهم إنه مشابه لخلقه، فلو سلموا من هذا ووقفوا عند إثبات الصفات، وأنه لا شبيه له سبحانه وتعالى ولا شريك له في ذلك؛ لكان قولهم صحيحاً كما قاله أهل السنة والجماعة، لكنهم زادوا وغلوا حتى قالوا إنه مشابه لخلقه، وأن هذا مثل هذا، هذه الزيادة هي التشبيه، والزيادة في حق المعطلة هي التعطيل، ولهذا قال أهل السنة: يجب إثبات الصفات إثباتاً بريئاً من التشبيه والتمثيل، ويجب تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات تنزيهاً بريئاً من التعطيل، فلا هذا ولا هذا.أهـ

* * *

واعلم أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها، ويكون بينها قدر مشترك ومشابهة في أصل المعنى، وإلا فلا يمكن تفهيم المخاطبين بدون هذا قط، حتى في أول تعليم معاني الكلام بتعليم معاني الألفاظ المفرده، مثل تربية الصبي الذي يعلم البيان واللغة، ينطق له باللفظ المفرد ويشار له إلى معناه إن كان مشهوداً بالإحساس الظاهر أو الباطن، فيقال له: لبن، خبز، أم، أب، سماء، أرض، شمس، قمر، ماء، ويشار له مع العبارة إلى كل مسمى من هذه المسميات، وإلا لم يفهم معنى اللفظ ومراد الناطق به، وليس أحد من بني آدم يستغني عن التعليم السمعي، كيف وآدم أبوالبشر وأول ما علمه الله تعالى أصول الأدلة السمعية وهي الأسماء كلها، وكلمه وعلمه بخطاب الوحي ما لم يعلمه بمجرد العقل.

فدلالة اللفظ على المعنى هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم وأراده، وإرادته وعنايته في قلبه، فلا يعرف باللفظ ابتداء، ولكن لا يعرف المعنى بغير اللفظ حتى يعلم أولاً أن هذا المعنى المراد هو الذي يراد

بذلك اللفظ ويعنى به، فإذا عرف ذلك ثم سمع اللفظ مرة ثانية، عرف المعنى المراد بلا إشارة إليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا كله بيان أن أسماء الرب عز وجل وصفاته لها أصول لبني آدم معروفة، ولهذا عرفوا المعنى، فالسميع معروف عند بني آدم ما هو السميع؟ والعليم كذلك والبصير والقادر، أراد، شاء، اليد، الوجه، جنس هذه الأصول معروفة، فإذا جاء في صفات الله جل وعلا السميع العليم، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧] ظهر للمخاطب هذه المعاني مما عرفه سابقاً في لغة العرب التي يخاطب بها قومه ويخاطبه بها قومه، وهكذا في اللغات الأخرى التي يتخاطبون بها، فإن لها أناساً يعرفون هذه المعاني، ولكن لا يلزم أن تكون المعاني في مثل تلك المعاني من كل الوجوه، لكن فيه التشابه في الأصل، أصل المعنى، ولا يلزم إذا قلت أن الذرة سميعة بصيرة، وأن الإنسان سميع بصير، لا يلزم من هذا أن يكون الإنسان شبيهاً بالذرة أو الذرة شبيهة بالإنسان، وهكذا أشباه ذلك، فإن أكمل التفاوت موجود حتى في المخلوقات، تفاوت عظيم بين الذرة وبين الإنسان، وبين البعير وبين الذرة وأشباه ذلك، فالتفاوت الذي بين أسماء الله وصفاته وبين صفات المخلوقين أعظم وأكبر، فلا يلتقي هذا مع هذا، بل بينهما بون عظيم، وإن كان أصل الاشتراك في المعاني معروفاً، إذ به عرف المعنى، فالسمع معروف للأصوات، والبصر للمرئيات، بهذا يعرف المعنى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١] معناه أنه يسمع الأصوات ويرى الأشياء، كما أن

ابن آدم يسمع ويرى، ولكن ليس السميع كالسميع وليس البصير كالبصير، وهكذا كونه عليماً والإنسان عليم، فالله يسمى عالما، والله جل وعلا قال: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:١٨] والعلماء لكن ليس العليم كالعليم، وهكذا العبد له إرادة ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [آل عمران:١٥٢] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠] هذا له مشيئة وهذا له مشيئة، هذا له إرادة وهذا له إرادة، معروف المعنى ما هو المعنى، لكن ليست إرادة الله التي فيها كل شيء وهو قادر على كل شيء مثل إرادة المخلوق الضعيفة المحدودة، وهكذا بقية الصفات.

وهذا الذي اشتبه على الجهمية والمعتزلة، وظنوا أن هذا القدر المشترك، وأن هذا الأصل الذي هو المضاف، أن هذا يوجب التشبيه، فأبطلوا هذا ونفوه، حتى عطلوا الله من صفاته حذراً من هذا التشبيه بزعمهم، وأولئك الجهلة الآخرون المشبهة ظنوا أن هذا الأصل المشترك وهذا القدر المشترك يوجب التشبيه، فقالوا يد كأيدينا ووجه كوجوهنا وعلم كعلومنا وسمع كأسماعنا، فوقعوا في التشبيه الباطل الذي أبطله الله بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:٤] ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] فهؤلاء حادوا عن الصواب لغلوهم في الإثبات، والجهمية وأشباههم حادوا عن الصواب لغلوهم في التنزيه، فلا أفلح هؤلاء ولا هؤلاء، أما أهل السنة ففازوا بالتوفيق وفازوا بالفلاح، وأثبتوا القدر المشترك، وأثبتوا الأصول ونفوا المشابهة والتمثيل.اهـ

* * *

وإن كانت الإشارة إلى ما يحس بالباطن، مثل الجوع والشبع والري والعطش والحزن والفرح، فإنه لا يعرف اسم ذلك حتى يجده من نفسه، فإذا وجده أشير له إليه، وعرف أن اسمه كذا، والإشارة تارة تكون إلى جوع نفسه أو عطش نفسه، مثل أن يراه أنه قد جاع فيقول له: جعت، أنت جائع، فيسمع اللفظ ويعلم ما عينه بالإشارة أو ما يجري مجراها من القرائن التي تعين المراد، مثل نظر أمه إليه في حال جوعه، وإدراكه بنظرها أو نحوه أنها تعني جوعه، أو يسمعهم يعبرون بذلك عن جوع غيره.

إذا عرف ذلك فالمخاطب المتكلم إذا أراد بيان معان، فلا يخلو إما أن يكون مما أدركها المخاطب المستمع بإحساسه وشهوده، أو بمعقوله، وإما أن لا يكون كذلك، فإن كانت من القسمين الأولين لم يحتج إلا إلى معرفة اللغة، بأن يكون قد عرف معاني الألفاظ المفردة ومعنى التركيب، فإذا قيل له بعد ذلك: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، أو قيل له: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ونحو ذلك، فهم المخاطب بما أدركه بحسه، وإن كانت المعاني التي يراد تعريفه بها ليست مما أحسه وشهده بعينه، ولا بحيث صار له معقول كلي يتناولها حتى يفهم به المراد بتلك الألفاظ، بل هي مما لا يدركه بشيء من حواسه الباطنة والظاهرة، فلا بد في تعريفه من طريق القياس والتمثيل والاعتبار بما بينه وبين معقولات الأمور التي شاهدها من التشابه والتناسب، وكلما كان التمثيل أقوى، كان البيان أحسن، والفهم أكمل.

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه لما بين لنا أموراً لم تكن

معروفة قبل ذلك، وليس في لغتهم لفظ يدل عليها بعينها، أتى بألفاظ تناسب معانيها تلك المعاني، وجعلها أسماء لها، فيكون بينها قدر مشترك، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والإيمان، والكفر، وكذلك لما أخبرنا بأمور تتعلق بالإيمان بالله وباليوم الآخر، وهم لم يكونوا يعرفونها قبل ذلك حتى يكون لهم ألفاظ تدل عليها بعينها، أخذ من اللغة الألفاظ المناسبة لتلك بما تدل عليه من القدر المشترك بين تلك المعاني الغيبية، والمعاني الشهودية التي كانوا يعرفونها، وقرن بذلك من الإشارة ونحوها ما يعلم به حقيقة المراد، كتعليم الصبي، كما قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن: الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم[1].

وأما ما يخبر به الرسول من الأمور الغائبة، فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم، كإخبارهم بأن الريح قد أهلكت عاداً، فإن عاداً من جنسهم والريح من جنس ريحهم، وإن كانت أشد، وكذلك غرق فرعون في البحر، وكذا بقية الأخبار عن الأمم الماضية، ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عبرة لنا، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنى مشتركاً وشبهاً بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم.

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٥٩، وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ١٩٦.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مثل ما تقدم في السميع والبصير والقدير والعليم، فإن جنس هذه الأشياء معروفة معلومة لهم، ويعرف قدراً مميزاً بين هذه الأسماء، مشتركاً بين هذه الأسماء، وإن كان الذي يختص بالله سبحانه خاصاً به، وكذلك ما يكون للمخلوقين خاصاً بهم، ولكن بين الجميع قدراً مشتركاً به فُهِمَ المعنى، كذلك ما في الجنة من الحرير والحور العين والرمان والعنب وأشباه ذلك له وجوده في الدنيا، هذا القدر مشترك، رمان ورمان، نخل ونخل، حرير وحرير، وإن كان الذي في الجنة لا يشبه ما في الدنيا في الحقيقة، الذي في الجنة أعظم وأكمل مما في الدنيا وأحسن وأنفع، ولكن جنس القدر المشترك عرف به هذا من هذا، نعرف أن الحرير غير الصوف وغير القطن، وكذلك يعرف أن ما في الجنة من العنب والرمان وأنواع الفواكه ليس من مثله في الدنيا، كما قال ابن عباس: «**ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء**»[1] الأسماء مشتركة، أما الحقائق فغير الحقائق، الحقائق التي في الجنة أكمل وأعظم، فلبن الجنة غير لبن الدنيا، حور الجنة غير حور الدنيا، عسلها غير عسل الدنيا وهكذا، إنما هي أسماء تجانس في اللفظ، ما في الدنيا، وهناك بينهما قدر مشترك، فالعسل شيء حلو واللبن شيء معروف والخمر شيء معروف، لكن ما في الدنيا غير ما في الآخرة، في الجنة لا يقتضي بولاً ولا غائطاً ولا مضرة، والخمر لا تضر العقول ولا تضر الأبدان، أما خمر الدنيا فيضر الأبدان والعقول، ولبن الدنيا وعسلها وفواكهها كلها تسبب في الدنيا بولاً وغائطاً وأشياء أخرى، والذي في

(١) تفسير ابن كثير: سورة البقرة، آية (٢٥) وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٧٣: رواه البيهقي موقوفاً بسند جيد.

الجنة لا يسبب ذلك، بل كله نعيم دائم ليس فيه أذى، ولا يفضي إلى غائط ولا بول ولا بصاق ولا مخاط ولا غير ذلك، بل إنما هو جشاء ورشح المسك بدون أي أذى.أهـ

❊ ❊ ❊

فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل قولاً يكون حكاية له وشبهاً، به يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة.

فينبغي أن يعرف هذه الدرجات:

أولها: إدراك الإنسان المعاني الحسية المشاهدة.

وثانيها: عقله لمعانيها الكلية.

وثالثها: تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.

فهذه المراتب الثلاث لا بد منها في كل خطاب، فإذا أخبرنا عن الأمور الغائبة فلا بد من تعريفنا المعاني المشتركة بينها وبين الحقائق المشهودة والاشتباه الذي بينهما، وذلك بتعريفنا الأمور المشهودة، ثم إن كانت مثلها لم يحتج إلى ذكر الفارق، كما تقدم في قصص الأمم، وإن لم يكن مثلها بين ذلك بذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كما قال في حق ذاته وصفاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]أهـ.

* * *

وإذا تقرر انتفاء المماثلة كانت الإضافة وحدها كافية في بيان الفارق،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا أضفت الشيء إلى الله فإن العبد كاف، فقد تقرر انتفاء المماثلة، وقد تقرر أن ما في الدنيا لا يشبه ما في الآخرة، فإذا عرف هذه الأصول فنسبة الشيء إلى الله كافية في أنه ليس مجرد ذات، لأنه قد تقرر في الأصول أنه سبحانه لا يشابه خلقه لا في ذاته ولا في صفاته، وهكذا ما في الجنة لا يشبه ما في الدنيا، وإنما هو الأسماء والقدر المشترك، فإذا قيل هذا من لبن الجنة، أو في الجنة كذا وكذا؛ فهو غير ما في الدنيا من ريح ذلك الشيء، فنعيم الدنيا غير نعيم الآخرة، ونساء الدنيا غير نساء الآخرة، ورمان الدنيا غير رمان الآخرة، وخمر الدنيا غير خمر الآخرة وهكذا، فنسبتها إلى الجنة كافية في بيان الفرق.أهـ

* * *

وانتفاء التساوي لا يمنع وجود القدر المشترك الذي هو مدلول اللفظ المشترك، وبه صرنا نفهم الأمور الغائبة، ولولا المعنى المشترك ما أمكن ذلك قط.

قوله: (ولا شيء يعجزه) .

ش: **لكمال قدرته، قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ لا يؤده أي: لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفي

لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لكمال عدله ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لكمال علمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ لكمال قدرته ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لكمال حياته وقيوميته ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لكمال جلاله وعظمته وكبريائه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني جميع النفي في الكتاب والسنة في حق الله ليس نفياً محضاً، ولكنه نفي يستلزم إثبات الكمال، نفي يستلزم إثبات الكمالات «ولا شيء يعجزه» معناه إثبات كمال القدرة ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] معناه إثبات كمال الحياة والقيومية، نفي المشابهة معناه إثبات صفة الكمال التام الذي لا يشبهه شيء.أهـ

* * *

وإلا فالنفى الصرف لا مدح فيه، ألا ترى أن قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة[(١)]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لعجزهم وخوفهم لا يقع منهم شيء من هذا.أهـ

* * *

---

(١) بيت لقيس بن عمرو بن مالك، ويسمى النجاشي، وفيه:

إذا الله جازى أهل لؤم بذمة ... فجازى بني العجلان رهط ابن مقبل

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

الإصابة لابن حجر ٥/ ٢٦٤ (٨٨٥٤) النجاشي.

لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيرهم بقوله قبيلة علم أن المراد عجزهم وضعفهم، لا كمال قدرتهم.

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم، علم أن المراد عجزهم وضعفهم أيضاً.

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً، عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم، ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين ولا شمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا يجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار إلى آخر ما نقله أبوالحسن الأشعري رحمه الله عن المعتزلة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذا من النفي الذي لا أصل له، بل هذا من التكلف والتنطع الذي لا أصل له، أما قاعدة أهل السنة والجماعة، أنهم لا ينفون عن الله عز وجل ما لم يجيء الشرع بنفيه،

ولا يثبتون له ما لم يرد إثباته، بل أسماؤه وصفاته كلها توقيفية، ويجب أن يثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وأن ينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وأن يمسك عما سوى ذلك، فلا يأتي الإنسان بشيء من كيسه لا بنفي ولا بإثبات، بل يتوقف عما لم ترد به النصوص، فينفي ما نفاه الله ورسوله، ويثبت ما أثبته الله ورسوله، ويسكت عما سوى ذلك، قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام، لا يتجاوز القرآن والحديث»(١) وأهل الكلام لما ضيعوا الأصول حرموا الوصول إلى الخير، ووقعوا في أشياء أوجدت في النفس الشر والقيل والقال، وهم في غنية عن ذلك، قد حملهم جهلهم وضلالهم وغلوهم في التنزيه حتى وقعوا في التعطيل.

ولا مجسة معناه لا يمس.أهـ.

* * *

وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة، وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٧٥-١٨٥، وابن بطة في الإبانة (٢٥٢) ٣/ الرد على الجهمية - باب جامع من أحاديث الصفات رواها الأئمة والشيوخ الثقات، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤١-٢٤٦.

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جملياً، أو يبينوا حاله تفصيلاً، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة.

والمقصود: أن غالب عقائدهم السلوب، ليس بكذا، ليس بكذا، وأما الإثبات فهو قليل، وهي أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات، فإن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، مما أخبرنا به من صفاته، وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه، كما قال رسوله الصادق ﷺ في دعاء الكرب: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي»[1]، وسيأتي التنبيه

---

(١) صحيح، وإن أعله الذهبي بجهالة أبي سلمة، وتبعته عليه برهة من الزمن، فقد تبين لي فيما بعد أن أبا سلمة هذا ثقة معروف، وأن إسناده متصل صحيح، في تحقيق أجريته عليه، لا أظن أحدا سبقني إليه، وأودعته في «الأحاديث الصحيحة» (١٩٩).أهـ ألباني.

على فساد طريقتهم في الصفات إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجِلاء: الصقل، وهذا الذي قاله الشارح كلام جيد، قد نبه عليه أهل العلم قبله، وقد رد في ذلك أيضاً أبوالعباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ورد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهكذا العلامة ابن القيم رحمه الله في كتبه، كالصواعق وغيرها، هذه عادتهم، السلوب في وصفهم ربهم، السلوب والنفي، والإثبات قليل، ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا، ضد طريقة الكتاب والسنة، أما الكتاب والسنة فطريقتهما الإثبات المفصل والنفي المجمل ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢] والذي يختص بالنفي قليل ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:٣-٤] ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١] في الغالب كله النفي المجمل المتضمن إثبات صفات الكمال، ليس نفياً مجرداً، بل نفي يتضمن إثبات الكمالات لله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] يعني لكماله وكونه موصوفاً بالمثل الأعلى، يعني في أكمل الصفات، في علمه وقدرته وسمعه وبصره وحياته وقيوميته وغير ذلك، فإذا تأملت القرآن العظيم وجدته يصف الرب عز وجل بالصفات المفصلة ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤] وهكذا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٢٨] ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٣٩] إلى غير ذلك، أما النفي المجمل فهو قليل ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:٢٢] يعني لكماله ما له مثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] لكماله ما له مثيل ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٣-٤] لكماله ليس له ولد وليس بمولود وليس بوالد وليس له كفؤ، فهذا نفي يتضمن إثبات غاية الكمال لله سبحانه وتعالى، وبهذا تعلم أن أهل الكلام ونفاة الصفات والملحدين فيها في طريق آخر غير طريق الكتاب والسنة، لهم طريق آخر، طريق مفضٍ إلى الهلاك وإلى التعطيل والإلحاد وإنكار الذات بالكلية، نسأل الله العافية، إذ من لا صفة له لا وجود له.أهـ.

* * *

وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: «ولا شيء يعجزه» من النفي المذموم، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة، فإن العجز إنما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير، وقد علم ببدايه[1] العقول والفطر

---

(١) قال شاكر: «بدايه» جمع بديهة، وأصلها بالهمزة «بدائه» ثم سهلت الهمزة فجعلت ياء.

كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجز، لما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذكر ذلك علواً كبيراً .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا تخلف المطلوب فهو إما لعجز وإما لجهل، والله منزه عن ذا وذا، ليس بجاهل بل يعلم كل شيء، وليس بعاجز من جهة القوة، بل هو القوي العظيم القادر على كل شيء، فلهذا إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، لكمال العلم وكمال القدرة، فلا راد للإرادة والمشيئة، فإذا شاء الشيء كان ولا يتخلف، بخلاف المخلوق فإنه يتخلف مراده كثيراً، إما لجهله بالمطلوب وعدم علمه به أو عدم إحاطته بعلمه، وإما لضعف وعجز في القوة، لو أراد وعلم ما يستطيع، فلهذا يتخلف كثير من مراده.أهـ.

* * *

قوله: (ولا إله غيره) .

ش: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، كما تقدم ذكره، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا ـ والله أعلم ـ لما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، قال بعده: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لا إله حق، الناس لهم آلهة كثيرة، قريش لها آلهة، الفرس لهم آلهة، الروم لهم آلهة، بقية

الوثنين لهم آلهة لا يحصيها أحد إلا الله، آلهتهم لا تحصى من الجماد والحيوان، لكنها كلها باطلة، سوى الإله الحق وهو الله وحده سبحانه وتعالى، ولهذا قال جل وعلا عن المشركين لما قال لهم الرسول: «**قولوا لا إله إلا الله**»(١) قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص:٥] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝﴾ [الصافات:٣٦] وقال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [هود:١٠١] فسمى معبوداتهم آلهة، هناك آلهة، العزى إله عندهم، اللات إله عندهم، مناة إله عندهم، بقية الأصنام التي حول الكعبة، هبل إله عندهم «أعل هبل» كما قال أبوسفيان(٢)، لكنها آلهة لا أساس لها، باطلة، هم الذين صنعوها، هم الذين ألهوها ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣] أما الإله الحق فهو الله، ولهذا قدر العلماء في خبر «لا» حق، لا إله حق، وبهذه الكلمة «حق» تنتهي الآلهة كلها وتبطل، ومن فسرها بغير موجود فهو باطل، كلامه ليس بصحيح.أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد اعترض صاحب المنتخب على النحويين في تقدير الخبر في لا

(١) أخرجه أحمد وابن سعد في الطبقات الكبرى والبيهقي في دلائل النبوة، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤٣) كتاب المغازي/ باب غزوة أحد،و (٣٠٣٩) كتاب الجهاد والسير / باب ما يكره من التنازع والاختلاف وعقوبة من عصى إمامه، وأحمد ٤/ ٢٩٣ وأبو داود (٢٦٦٢) والنسائي ٢/ ٢٦ والطيالسي (٧٢٥) وابن حبان (٤٨٣٨) وابن سعد ٢/ ٤٧ عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

إله إلا هو، فقالوا: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله(١)، فقال:

يكون ذلك نفياً لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود؛ فكان إجراء الكلام على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار أولى.

---

(١) كتب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جزاه الله كل خير، على هذا الموضع بالتعليق التالي:

ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد، وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبد الله المرسي من تقدير الخبر بكلمة «في الوجود» ليس بصحيح، لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة، وتقدير الخبر بلفظ «في الوجود» لا يحصل به المقصود من بيان حقيقة ألوهية الله سبحانه، وبطلان ما سواها، لأن لقائل أن يقول: كيف تقولون لا إله في الوجود إلا الله، وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ ﴾ الآية؟

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض وبيان عظمة هذه الكلمة وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله، إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة، وهو كلمة «حق» لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود هو الله وحده، كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم، منهم أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون رحمهم الله.

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق وأن ما ادعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم، لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله سبحانه، ولهذا قالوا جواباً لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله» ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ وقالوا أيضاً: ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ وما في معنى ذلك من الآيات.

وبهذا التقدير يزول جميع الإشكال ويتضح الحق المطلوب.

والله ولي التوفيق. أهـ ألباني.

وأجاب أبوعبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي[١] في ري الظمآن فقال: هذا كلام من لا يعرف لسان العرب، فإن إله في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم لا، وعلى التقديرين فلا بد من خبر المبتدأ، وإلا فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وإلا» زائدة لا محل لها، ولكن: «فما قاله من الاستغناء..إلخ».

وقد صدق، فلا بد من خبر، لأننا إذا قلنا ما هنا خبر، معناه ما هنا آلهة موجودة، مثل لا شمس إلا الشمس، ما هنا ثبوت بالنسبة إلى علمنا، بالنسبة إلى هذه الشمس الموجودة ليس هناك شمس مشرقة، فإذا قلنا لا إله إلا الله يعني ما فيه آلهة موجود، معناه أن آلهة المشركين باطلة غير موجودة، وهي باطلة لكن لها وجود، معناه أن آلهة المشركين غير موجودة، وهذا لا يستقيم، آلهة المشركين موجودة، لكن النفي يتوجه إلى

---

(١) في الأصل: المرشي، وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله والمرسي هذا: هو شرف الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسي الأندلسي، «الأديب النحوي المفسر المحدث الفقيه» كما وصفه ياقوت. لقيه ياقوت بمصر سنة ٦٢٤هـ، وأخبره أن مولده سنة ٥٧٠ هـ، وذكر كثيراً من مؤلفاته: منها: «تفسير القرآن، سماه: ري الظمآن في تفسير القرآن، كبير جداً، قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض». انظر ترجمته في «معجم الأدباء» ٧: ١٦-١٧. وتوفي شرف الدين هذا في طريق العريش سنة ٦٥٥هـ. وترجمه ابن كثير في التاريخ ١٣: ١٩٧، وابن العماد في «الشذرات» ٥: ٢٦٩. وهو الذي سمع منه رضي الدين الطبري «صحيح ابن حبان»، كما أثبتنا ذلك في مقدمة «صحيح ابن حبان» ص: ٢٧. ومما يستغرب من شأنه، ما ذكره ياقوت: أنه «كانت له كتب في البلاد التي ينتقل فيها، بحيث لا يستصحب كتباً في سفره، اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه» رحمه الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وهذا يدل على عناية عظيمة بجمع الكتب، حتى لا يتكلف نقل كتب، هذا من العناية العظيمة والشغف العظيم بالكتب والحرص عليها دائماً. أهـ

بطلانها لا إلى وجودها، النفي يتوجه إلى إبطال عبادتهم لها، لأنها آلهة باطلة، ولا يتوجه النفي إلى إنكار ذواتها وأنها غير موجودة، بل هي موجودة.أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما قوله: «إذا لم يضمر يكون نفياً للماهية» فليس بشيء، لأن نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود، فلا فرق بين «لا ماهية ولا وجود». وهذا مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة، فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود، «وإلا الله» مرفوع، بدلاً من «لا إله» لا يكون خبراً لـ «لا»، ولا للمبتدأ. وذكر الدليل على ذلك.

وليس المراد هنا ذكر الإعراب، بل المراد رفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، وبيان أنه من جهة المعتزلة، وهو فاسد، فإن قولهم: «نفي الوجود» ليس تقييداً، لأن العدم ليس بشيء، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ولا يقال: ليس قوله: «غيره» كقوله: «إلا الله»، لأن «غير» معرب بإعراب الاسم الواقع بعد «إلا»، فيكون التقدير للخبر فيهما واحداً، فلهذا ذكرت هذا الإشكال وجوابه هنا .

قوله: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء)

ش: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ وقال ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»[1]، فقول الشيخ «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء»، هو معنى اسمه الأول والآخر، والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطر، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى

(١) أخرجه مسلم ٨/ ٧٨-٧٩ في حديث أوله: «وكان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول..» فذكره.أهـ ألباني.

واجب الوجود لذاته، قطعاً للتسلسل، فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟

ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجوداً بنفسه، بل إن حصل ما يوجده وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه وعدمه بدلاً عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له.

وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

ولا نقول: لا ينفع الاستدلال بالمقدمات الخفية والأدلة النظرية: فإن الخفاء والظهور من الأمور النسبية، فربما ظهر لبعض الناس ما خفي على غيره، ويظهر للإنسان الواحد في حال ما خفي عليه في حال أخرى.

وأيضاً فالمقدمات وإن كانت خفية فقد يسلمها بعض الناس وينازع فيما هو أجلى منها، وقد تفرح النفس بما علمته من البحث والنظر ما لا

تفرح بما علمته من الأمور الظاهرة، ولا شك أن العلم بإثبات الصانع ووجوب وجوده أمر ضروري فطري، وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجه إلى الطرق النظرية.

وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى «القديم»، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القران: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد، ولم يستعملوا هذا الإسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي متقدم في الزمان، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾. فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه: القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله تعالى، وقال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي يتقدمهم، ويستعمل منه الفعل لازماً ومتعدياً، كما يقال: أخذت ما قدم وما حدث،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب «أخذني» يعني بهرني وشوش عليّ ما قدم وما حدث، يقال قدَم يقدُم قومه هذا متعد، كما في الآية الكريمة ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ [هود:٩٨] هذا متعد، قدم يقدم من باب نصَر، ويقال قَدِم إذا ورد البلد، قَدِم يَقدَم، ويقال قدُم بضم الدال إذا صار قديماً، هذه ثلاث لغات.

قدُم صار قديماً، قَدَم قومه، قدَم الناس يعني تقدمهم، قَدِم بمعنى ورد ودخل.

والقديم مثل ما قال المؤلف: يعبر به عن الشيء العتيق ضد الجديد، ولهذا لم يرد في أسماء الله الحسنى القديم، لكن ذكروه لأنه ضد الحادث في اعتقادهم وفي اصطلاحهم، فلهذا قال: «قديم بلا ابتداء» وجاء القرآن بالأول الذي لم يسبق ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد:٣] فالمعنى أنه سبحانه لم يزل موجوداً، وهو الذي أحدث الأشياء وخلق الأشياء سبحانه وتعالى، وهو واجب الوجود بنفسه، فهو أول بلا ابتداء، يعني لم يزل موجوداً قائماً بنفسه مستغن عن خلقه سبحانه وتعالى، وغيره مخلوق موجَد، وهو الموجِد الخالق سبحانه وتعالى، فمن أسمائه الأول الذي لم يسبقه شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، يعني الدائم الذي لا يعتريه عدم ولا فناء، بخلاف المخلوقين فإنهم يعتريهم ما يعتريهم، فهم وجدوا بعد أن كانوا معدومين، ويعتريهم ما يعتريهم من الموت والفناء والزوال والتغير والنقص والزيادة، فالله سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، الموصوف بالصفات العلى، المسمى بالأسماء الحسنى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] سبحانه وتعالى، فله كل كمال ومنزه عن كل نقص سبحانه وتعالى.أهـ.

* * *

سؤال/ ورد في الدعاء:«وسلطانك القديم»؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا ليس من أسمائه، هذا وصف للسلطان **«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان**

الرجيم»[١] عندما يدخل المسجد، هذا وصف للسلطان، وصف لقدرته العظيمة، وأنها سلطة قديمة ليست حادثة، لم يزل قوياً عظيماً سبحانه وتعالى.أهـ.

* * *

ويقال: هذا قدم هذا وهو يقدمه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني سبقه.أهـ.

* * *

ومنه سميت القدم قدماً، لأنها تقدم بقية بدن الإنسان، وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم، ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به ،والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأيضاً أسماء الله توقيفية، ليس للناس أن يحدثوا فيها أشياء، أسماء الله توقيفية وصفاته كذلك، فليس للعبد أن يحدث أشياء لم تأت بها النصوص، وإنما يوصف الله جل وعلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام، لا يتجاوز القرآن والحديث، ليس للناس أن يحدثوا من عند أنفسهم أشياء،

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٦) كتاب الصلاة / باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ١٢٧.

هذا معنى كلام السلف رحمة الله عليهم، قال أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام لا يتجاوز القرآن والحديث»[١] المعنى لا يتعدى بل يقتصر على ما جاء به القرآن وعلى ما جاءت به السنة، وهذا معنى كلام غيره من السلف.

سرد الأسماء الحسنى ضعيف، رواه الترمذي وابن حبان وجماعة[٢].أهـ.

* * *

وجاء الشرع باسمه الأول، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أحسن الأسماء له، الأكمل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ سبحانه وتعالى، الحسن ثابت لها بنص القرآن، لأن الحسن أكمل، حسنى وأحسن، الأحسن أكمل من الحسن، والأفضل أفضل من الفاضل، والأعلم أفضل من العالم وهكذا، لأن له الوصف الأعلى سبحانه وتعالى، هي حسنة في نفسها وهي أحسن من

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ١/ ١٧٥-١٨٥، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤١-٢٤٦، وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٢) كتاب الدعوات/ باب أسماء الله الحسنى بالتفصيل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى٦/ ٣٨٢: تعيينها ليس من كلام النبي باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح.

غيرها، يعني مراده أنها ليست مجرد الحسنة، هي حسنة في نفسها، بل له وصف أعلى وهو الحسنى التي هي مؤنثة أحسن.أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (لايفنى ولايبيد) .

ش: إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ والفناء والبيد متقاربان في المعنى،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال باد يبيد بيداً يعني فني، وهو محل لفظ زال.أهـ.

❊ ❊ ❊

سؤال/ ألا يقال: إن القيوم يشمل القديم وإنه أعم من القديم ؟

أجاب سماحة الشيخ: القيوم القائم بنفسه سبحانه وتعالى، غير القديم.أهـ .

❊ ❊ ❊

والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضاً مقرر ومؤكد لقوله: «دائم بلا انتهاء».

قوله: (ولا يكون إلا ما يريد) .

ش: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود، لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر

رَقْمُ عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

المشهورة، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى هذا هو معنى الكلمة العظيمة المعروفة «**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**»(١) ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١١٢] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ [البقرة:٢٥٣] ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ [يس:٨٢] فأهل السنة والجماعة مجمعون على أنه سبحانه وتعالى نافذ المشيئة نافذ الإرادة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩] هذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، يدل عليه الكتاب والسنة، أن الله سبحانه ذو مشيئة نافذة وإرادة نافذة، أما المعتزلة والقدرية الذين قالوا إن العبد يخلق فعله؛ هؤلاء قد ضلوا عن سواء السبيل، وخالفوا الكتاب والسنة، ووقعوا في باطل عظيم، غرهم شيطانهم فيه وتأويله الباطل.

والإرادة إرادتان: إرادة شرعية، هذه بمعنى المحبة والرضا، قد يقع مرادها وقد لا يقع، مثل ما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء:٢٨] ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء:٢٧] هذه إرادة شرعية، فهو يحبها ويرضاها سبحانه وتعالى، فقد يتوب عليهم وقد لا يقع منهم العمل الصالح، هذا إليه سبحانه وتعالى، له التصرف كما يشاء جل وعلا، هذه الإرادة الشرعية، مثل ما في الحديث: «**أردت منك ألا**

---

(١) قطعة من حديث رواه أبو داود (٤٩١٠) كتاب الأدب/ باب ما يقول إذا أصبح، عن عبدالحميد مولى بني هاشم عن أمه عن بعض بنات النبي ﷺ، وهو من أدعية الأذكار.

تشرك بي فأبيت إلا الشرك»[1] هذه الإرادة الشرعية، يعني أمرتك وأحببت منك وأردت منك أن تدع الشرك.

أما الإرادة الكونية فهي بمعنى المشيئة النافذة، لا يخرج عنها شيء، وهذا قول المؤلف: «ولا يكون في ملكه إلا ما يريد» يعني الإرادة الكونية التي هي بمعنى المشيئة، وقد وردت في آيات كثيرات مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] هذه إرادة كونية، ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥] هذه إرادة كونية نافذة لا محالة.أهـ.

* * *

وسموا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كلتاهما يقال لهما قدرية، وهما طائفتان: القدرية المجبرة ويقال لهم الجبرية، والقدرية النفاة، والاسم على النفاة أكثر، يقصد بالقدرية النفاة أكثر، ويقال لأولئك الجبرية، وهم أصحاب جهم الذين قالوا: إن العبد مجبور، وأنه كالريشة في مهب الرياح، تلعب به الرياح كما تشاء، وليس له تصرف

---

(١) رواه البخاري (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء / باب خلق آدم وذريته، و(٦٥٣٨) كتاب الرقاق/ باب: من نوقش الحساب عذب و(٦٥٥٧) باب صفة الجنة والنار.
ومسلم (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وليس له إرادة وليس له فعل، هذا قول الجهمية، وهو قول فاسد، وهو غلو في القدر، هؤلاء غلوا في القدر حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، وجعلوه كاليد المرتعشة وكالريشة في مهب الهواء وأشباه ذلك.

أما القدرية النفاة فضدهم، غلوا في إثبات إرادة العبد ومشيئته، حتى قالوا: إن الأمر أنف، وأن العبد يشاء ويختار ما يريد من دون أن يكون الله شاء شيئاً من ذلك، وقالوا: إن هذا هو أقرب إلى العدل، فنفوا القدر وأساءوا الفهم عن الله وعن رسوله، نسأل الله العافية.أهـ.

* * *

أما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله ـ لم يحنث ـ إذا لم يفعله وإن كان واجباً أو مستحباً، ولو قال: إن أحب الله ـ حنث ـ إذا كان واجباً أو مستحباً.

والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثال للإرادة

الكونية، بمعنى المشيئة.أهـ.

* * *

وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه كلها إرادة شرعية، قد يظن بعض الرافضة والصوفية أن أهل البيت مطهرون كلهم لا يقع منهم رجس ولا معصية، وهذا من جهلهم، فالإرادة شرعية، يعني منهم من طُهِّر ومنهم من لم يطهر، ومنهم من ذهب عنه الرجس ومنهم من لم يذهب عنه الرجس، هذه إرادة شرعية، أبولهب من أهل البيت وهو رجس، وأبو طالب كذلك من أهل البيت ولم يطهر ومات على الشرك، وكثير من أهل البيت بعد ذلك بعقود كثيرة كانوا من أعدى الناس للشريعة، قاموا بأعمال شنيعة ضد الإسلام وأهله وهم من بني هاشم،

والمقصود أن هذه إرادة شرعية، منهم من طهر ومنهم من لم يطهر ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] يعني إذا شاء ذلك، فتكون الإرادة الشرعية.أهـ.

* * *

سؤال/ الله سبحانه أراد من أبي لهب الإيمان كوناً أم شرعاً؟

أجاب سماحة الشيخ: شرعاً لم يرده كوناً، لو أراده كوناً لوقع، لكنه ما أراده كوناً، أراده شرعاً من جميع الناس، لكن من أراده منهم كونا وقع ومن لم يرده كوناً لم يقع، فأبو طالب وأبو لهب أريد منهما الإسلام شرعاً فلم يفعلا، وأما الإرادة الكونية فقد مضت بعلم الله أنهما لا يسلمان.

فهو سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه ما لا يريد، المعاصي والطاعات كلها بإرادته الكونية بمشيئته، ولكنه أمر بالطاعات ونهى عن المعاصي، ولكن لا يقع في ملكه ما لا يريد، فالعاصي لم يخرج عن قدر الله ولم يخرج عن قدرة الله، هكذا شاء، ولهذا قال الصحابة يا رسول الله: إذا كان كل شيء بقدر ففيم العمل؟ يعني ما وجه العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة**»(١) نسأل الله العافية.أهـ.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤٥ـ ٤٩٤٦ـ٤٩٤٧) كتاب التفسير/ باب ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ و(٦٢١٧) كتاب الأدب/ باب: الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، و(٦٦٠٥) كتاب القدر/ باب ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ و(٧٥٥٢) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾.

ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر/ باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وأبو داود (٢٦٤٧) كتاب السنة / باب في القدر، من حديث علي رضي الله عنه.

فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن.

والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل، فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة معلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله.

وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أن هذا مستلزم لإرادته الشرعية، أمره يستلزم إرادته الشرعية، فإذا أمر بأمر فذلك يستلزم أنه يحبه ويرضاه ويريده شرعا، ولكن لا يستلزم أنه أراده كوناً، فقد يأمر بشيء ولكن لا يريده من العبد كوناً، فقد سبق في علم الله أنه لا يفعل هذا الشيء، كما تقدم في أبي طالب وأبي لهب وأشباههم، وهم ماتوا على الشرك بالله، كلهم مراد منهم شرعاً أن يسلموا، وقد سبق في علم الله وإرادته الكونية أنهم لا يسلمون.أهـ.

* * *

فهو سبحانه أمر الخلق على ألسن رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أراد الله، أن يخلق الله، والخلق يطلق بمعنى التقدير، أما معنى الإيجاد فهو إلى الله سبحانه وتعالى، يعني ذات الإيجاد من العدم.أهـ.

* * *

فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلاً له، ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة، وهو سبحانه ـ إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان ـ كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم، بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعله، أن يكون مصلحة للآمر إذا فعله هو أو جعل المأمور فاعلاً له، فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟ فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريداً النصيحة ومبيناً لما ينفعه، وإن كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل، إذ ليس كل ما كان مصلحتي في أن آمر به غيري وأنصحه، يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده، فجهة أمره لغيره نصحاً غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يكون فيه حكمة أنه لو فعل هذا تقع المفسدة لو حصل عليه، قد يكون كفره وشركه بالله سبحانه وتعالى، بخلاف ما لو أسلم لصار مفسدة، ونظير هذا ما ذكره العلماء عن أبي طالب، لو أسلم أبوطالب لاحتقروه ولم يبالوا به ولم

يكترثوا به، لكن لما بقي على كفره خافوا أنه يسلم، فيراعون خاطره، فكانوا يهتمون به ويكفون عن أذى النبي ﷺ لئلا يغضب أبوطالب فيسلم، فإسلامه كان مفسدة بالنسبة إلى حماية النبي ﷺ واحترامه بالنسبة إلى قريش، فمن حكمة الله أنه لا يسلم ويبقى على دين قومه، حتى يعظم ويجل عندهم ويحترموا محمداً من أجله ويكفوا عن أذاه، فهو من هذا الباب.

وكثيراً ما يقع هذا من المخلوق، فالمخلوق أقل وأحقر في بيان مقاصده، ومع هذا قد يقع، قد يأمر ويكون مصلحة في الأمر ولكن لا يكون مصلحة في الإعانة، مثل إنسان يشير عليك، يقول: فلانة لا بأس بها ينبغي أن تتزوجها، وأنا آمرك وأشير عليك أن تتزوجها، وفي نفس الأمر هو يريد أن يتزوجها، لكن لا يحب أن يعينك ويعطيك المهر حتى تتزوج، فلو تخليت عنها قال: أحب أن تتخلى عنها، حتى يتزوجها هو، لكن دينه يأمره بالنصيحة لك، نصحك أن تتزوجها وأحب لك ذلك لأنها طيبة ولأنها صالحة، ولكن لوتخليت عنها فهو أحب إليه حتى يتزوجها هو، لكن دينه أمره أن ينصحك ويحب لك هذا الشيء.أهـ .

* * *

والقدرية تضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمره، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالبشر والطلاقة وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك.

فيقال لهم: هذا يكون على وجهين: أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود إلى الآمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شريكه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الآمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى فإنه قد علم أن الله يثيبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فأما إذا قدر أن الآمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الآمر من فعل المأمور، كالناصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للآمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرة على الآمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقال لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج، لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه، ومثل هذا كثير.

وإذا قيل: أن الله أمر العباد بما يصلحهم، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لاسيما وعند القدرية لا يقدر أن يعين أحداً على ما به يصير فاعلاً، وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها، فلا يلزم إذا كان نفس الآمر له حكمة في الأمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك: فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

والمقصود: أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمر ولا يعينه عليه، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته، فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره

إنشاء وخلقاً و محبة، فكان مراداً بجهة الخلق ومراداً بجهة الأمر، ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه، لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده، وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر، فإن خلق المرض ـ الذي يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياه ويرق به قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان ـ يضاد خلق الصحة التي لا تحصل معها هذه المصالح، ولذلك كان خلق ظلم الظالم ـ الذي يحصل به للمظلوم من جنس ما يحصل بالمرض ـ يضاد خلق عدله الذي لا يحصل به هذه المصالح، وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل.

وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره، يعجز عن معرفته عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة: مثلوا الله فيها بخلقه، ولم يثبتوا حكمة تعود إليه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: والقدرية دخلوا في التعليل، التعليل أو التعطيل، الأمر محتمل، يحتمل التعليل، دخلوا في التعليل، تعليل أفعال الرب وأفعال العباد.

والتعطيل، دخلوا في تعطيل الرب عن الحكمة، حتى ألجأهم هذا الدخول إلى أن قالوا: إن العبد يخلق فعله، تعليل حكم الله، وارتفعت صدورهم في أن يكون في حكمة الله دخلٌ في عدم تمكينهم وعدم توفيقهم إلى طاعة الله ورسوله، فهم عطلوا من هذه الحيثية، يعني عطلوا الله من الصفات والحكمة المقتضية عدم توفيق هؤلاء وعدم هدايتهم.

والتعليل: يعني دخلوا في التعليل، تعليل حكم الله، وتعليل حكمة

الرب جل وعلا، وتعليل حكمته في أفعال العباد، فقاسوا الله على خلقه، وهذا منهم غلط قبيح، لأن الرب عز وجل له حكم وأسرار يطلع على بعضها البشر وبعضها لا يطلع عليها البشر، لكونه سبحانه هدى من شاء وأضل من شاء.

قالوا: لو قلنا إنه هو الذي أضلهم لكان ضد العدل، فالمعنى أنهم هم الذين أضلوا أنفسهم، ما أضلهم الله، وهذا ينافي ما جاء في نصوص القرآن ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ [الزمر:٣٧] وأخبر عن نفسه أنه أضل من شاء وهدى من شاء، ولا يلزم من هذا نفي العدل، فهو سبحانه الحكم العدل، وإن اقتضت حكمته أن لا يهدي هؤلاء وأن يضل أولئك، فهم قالوا: المخلوق لو فعل كذا وكذا، لو فعل ما يقتضي فعله شيئا يضره يكون ظالماً له، فقاسوا الرب على المخلوق.

والجبرية ما اتسعت صدورهم ولا عقولهم لهذا، ولم يروا محيصاً عن هذا الأمر إلا أن يقولوا: العبد مجبور، وليس لله حكمة وليس لله أسرار في هذا، وإنما هو يفعل ما يشاء، فالعبد مجبور بمثابة الرعدة، كيد المرتعش، يد المرتعش ليس له فيها تصرف، وبمثابة الريشة في مهب الرياح تلعب بها هكذا وهكذا، وأغصان الشجرة، وهذا غلو في إثبات القدر، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، وسلبوا الرب حكمته.

والأولون وهم القدرية النفاة غلوا في النفي، وهو إثبات العدل في زعمهم، حتى سلبوا الرب حكمته في إضلال من شاء وإذلال من شاء، وزعموا أنه لا حق له في ذلك، فدخلوا في التعطيل، تعطيل الرب جل وعلا من خلق أفعال العباد، وصاروا مشاركين للثانوية الذين قالوا بالشرك في الربوبية، بهذا المعنى، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة، سموا مجوس

هذه الأمة لكونهم أثبتوا خالقين، خلق العبد لأفعاله، هذا نوع مشاركة في الربوبية.

وإن كان التعطيل؛ دخلوا في تعطيل الرب عن الحكمة ونفيها عنه في هذا، حتى ألجأهم هذا الدخول إلى أن قالوا: العبد يخلق فعله، واتسعت صدورهم إلى أنه ليس لله دخل في عدم توفيقهم لطاعة الله وتوحيده، فهم عطلوا من هذه الحيثية، يعني عطلوا الله من الصفات والحكمة المقتضية عدم توفيق هؤلاء وعدم هدايتهم.أهـ .

* * *

قوله: (لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام)

ش: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ قال في الصحاح: توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته، فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهي إليه وهم، ولا يحيط به علم.

قيل: الوهم ما يرجى كونه، أي: يظن أنه على صفة كذا، والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذاك إلا لأن الشيء إنما يدرك فهمه وتبلغه الأوهام إذا كان له نظراء، فيقاس هذا على هذا، يقاس النظير على النظير، فإذا عرفت زيداً وعمرواً وخالداً وغيرهم من البشر؛ توهمت أن فلاناً مثلهم في كذا أو مثلهم في كذا أو كذا، وما يتعلق

بالإبل أو في البقر أو في الغنم أو في أنواع الطيور؛ عرفت من هذا ما هو معروف بصفاته، فتقيس عليه الآخر، وأنه يقاربه أو يدانيه أو مثله، والرب ليس له شريك ولا مثيل ولا جنس حتى يمكن أن تبلغه الأوهام أو تدركه الأفهام، فبهذا لا يمكن أن تبلغه أوهامك، وما تتوهمه أنه على كذا وأنه كذا، ليس لك قدرة على هذا، ولا يحيط به فهمك وعلمك، لأن علمك وفهمك لم يدرك له ربًّا حتى تقيسه عليه، فلم يبق عندك إلا السمع والنقل، وهو أنك تعلمه بما نقل وبما سمعت من آيات ومن أحاديث الصفات، فليس لك قدرة إلا هذا، فلا تعلم من ربك إلا ما جاء به النقل من صفات تفصيلية، ولكن تعلم بعقلك وفهمك أنه كامل وأنه قادر وأنه على كل شيء قدير وأنه عالم، بما عرفت من خلقك وبرؤية غيرك، لأن هذا الخلق بهذا التصوير وهذا التفصيل وهذه الحكم وهذه الأسرار وهذه المنافع؛ إنما صدرت عن حكمة وعن علم وعن قدرة، ولهذا قال العلماء: الصفات توقيفية، أسماء الرب وصفاته توقيفية ليس للعقول دخل في إثباتها بالتفصيل.أهـ.

❊ ❊ ❊

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قوله: (ولا يشبهه الأنام).

ش: هذا رد لقول المشبهة، الذين يشبهون الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **وليس**

المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر: لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا. انتهى.

وقال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه[(١)].

وقال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم[(٢)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله موافق للنصوص، لأن الله عز وجل أثبت لنفسه الصفات ونفى عن نفسه المماثلة، فدل ذلك على الأمر الوسط، وهو أنه سبحانه موصوف بالصفات الكاملة، منزه عن صفات النقص والعيب، فالذين شبهوا الله بخلقه غلوا في الإثبات، والذين عطلوا الصفات غلوا في التنزيه، وكلا الطرفين باطل وضلال، والحق الوسط، وهو أنه سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص والعيب، ولهذا قال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فنفى وأثبت، نفى عن نفسه المماثلة للمخلوقات، وأثبت لنفسه صفات لا تشابه صفات المخلوقين، وهكذا قال أهل العلم كأبي حنيفة وغيره، يعلم لا كعلمنا

(١) رواه اللالكائي ١/ ٥٨٧ (٩٣٦) سياق ماروي في تكفير المشبهة، والذهبي كما مختصر العلو (٢١٧) ص ١٨٤.

(٢) رواه اللالكائي ١/ ٥٨٨ (٩٣٧) سياق ما روي في تكفير المشبهة.

ويقدر لا كقدرتنا ويسمع لا كسمعنا ويبصر لا كبصرنا وهكذا، لأن صفاته كاملة لا تشابه صفات المخلوقين، وصفات المخلوقين ناقصة، يعتريها الزوال والذهاب والنقص، فالبصير يكون أعمى، والسميع يكون أصم، والناطق يكون أخرس، وغير هذا من الآفات، بخلاف صفات ربنا، فإن لها الكمال المطلق من كل الوجوه.أهـ.

* * *

وقال: علامة جهم وأصحابه، دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب: أنهم مشبهة، بل هم المعطلة[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هم معطلة ومشبهة أيضاً، هم معطلة في نفس الأمر، وهم مشبهة أيضاً، لأنهم شبهوا الله بالناقصات والمعدومات والجمادات، فلهم تشبيه أقبح من تشبيه أولئك المشبهة.أهـ.

* * *

وكذلك قال خلق كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة[٢]، فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبهاً، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الزنادقة، القرامطة والفلاسفة، وقال: إن الله لا يقال له: عالم ولا قادر: يزعم أن من سماه بذلك فهو مشبه، لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه، ومن أثبت الاسم وقال: هو مجاز، كغالية الجهمية، يزعم أن من قال: إن الله عالم حقيقة، قادر حقيقة: فهو مشبه، ومن أنكر

---

(١) رواه اللالكائي ١/ ٥٨٨ (٩٣٨) سياق ما روي في تكفير المشبهة.

(٢) رواه اللالكائي ١/ ٥٨٨ (٩٣٩) سياق ما روي في تكفير المشبهة.

الصفات وقال: إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا محبة ولا إرادة قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، وإنه: مجسم، ولهذا كتب نفاة الصفات، من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم، كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة و مجسمة، ويقولون في كتبهم: إن من جملة المجسمة قوماً يقال لهم: المالكية، ينسبون إلى رجل يقال له: مالك بن أنس، وقوماً يقال لهم الشافعية، ينسبون إلى رجل يقال له: محمد بن إدريس!! حتى الذين يفسرون القرآن منهم، كعبد الجبار، والزمخشري، وغيرهما، يسمون كل من أثبت شيئاً من الصفات وقال بالرؤية، مشبهاً، وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من غالب الطوائف .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله من التنفير من الصفات وللدعوة إلى مذهبهم الباطل، وهكذا سنة الله في عباده، كل من أثبت شيئاً رمى مقابله بما لا ينبغي، ليدعي لنفسه أنه هو الذي أصاب، فمن تجرد لتأييد الدليل والأخذ بالدليل وعدم التقليد الأعمى؛ قالوا: إنه خرج عن المذاهب، وإنه يسب المذاهب، وإنه مذهب خامس وإنه وإنه، وهكذا كل من ادعى شيئاً من الأمور التي يزعم أنها هي الحق؛ يرمي مخالفه بضد ذلك، فالجهمية والمعتزلة والأشعرية والقدرية وغيرهم كلهم يرمون مقابلهم بالتجسيم والتشبيه، ليزعموا لأنفسهم أنهم هم المصيبون، وأنهم الذين نزهوا الله، وقد غلطوا وخسروا وباءوا بالكذب على الله وعلى عباده.أهـ.

* * *

ولكن المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة

المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات، بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة رحمه الله، أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فنفى المثل وأثبت الصفة.

وسيأتي في كلام الشيخ إثبات الصفات، تنبيهاً على أنه ليس نفي التشبيه مستلزماً لنفي الصفات.

ومما يوضح هذا: أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها، ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافيها.

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مثل أن يعلم أن كل كمال للممكن أو للمحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه ؛: فالواجب القديم أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر؛ فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره، وهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال، إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ؛: فإنه يجب نفيه

عن الرب تعالى بطريق الأولى.

ومن أعجب العجب: أن من غلاة نفاة الصفات الذين يستدلون بهذه الآية الكريمة على نفي الصفات والأسماء، ويقولون: واجب الوجود لا يكون كذا ولا يكون كذا، ثم يقولون: أصل الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: التشبه أحسن، التشبه بالإله، يعني بالكرم والجود والعلم وكذا وكذا.أهـ.

* * *

ويجعلون هذا غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني، ويوافقهم على ذلك بعض من يطلق هذه العبارة، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلقوا بأخلاق الله»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا لا أصل له، هكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولو صح لكان هذا في الصفات التي يحبها الرب من المخلوقين، لا يحمل على العموم، لو صح لكان المعنى في الصفات التي يحب الرب أن يتخلق بها المخلوق، وهكذا التشبه بالإله فيما يحبه ويرضاه، مثل الكرم والجود والعلم والإحسان ونحو ذلك، لأنه يحب المحسنين يحب المقسطين يحب الأجواد، التشبه بالله في هذا معناه الامتثال لأوامره التي يحبها، والمبادرة إلى الصفات التي يرضاها، لا في كل شيء، فلا يتشبه بالإله بأنه يؤله ويعبد،

(١) لا نعرف له أصلا في شيء من كتب السنة، ولا في الجامع الكبير للسيوطي، نعم أورده في كتابه «تأييد الحقيقة العلية» (ق٨٩/ ١) لكنه لم يعزه لأحد!.أهـ ألباني.

ولكن في أنه يجود على العباد ويحسن ويتكرم ويرحم ويعطف، إذا عطف على أخيه وأحسن إليه ورأف به، هذا شيء مطلوب، هكذا إذا عدل في أحكامه شيء مطلوب.أهـ .

❊ ❊ ❊

فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على زعمهم ؟! وكما أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته تعالى، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن المخالف في هذا النصارى والحلولية والاتحادية لعنهم الله تعالى، ونفي مشابهة شيء من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: «ولا يشبهه الأنام»، والأنام: الناس، وقيل، كل ذي روح، وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ يشهد للأول أكثر من الباقي، والله أعلم .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: آيات الصفات وأحاديثها أوضح من الشمس في رابعة النهار، ومعانيها أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن أصحاب البدع من المشبهة والمعطلة هم الذين شوشوا على الناس وأدخلوا ما لا ينبغي، وإلا فأمر الصفات أوضح الأشياء وأبينها، وليس في الكتاب والسنة شيء أوضح من ذلك، لكن نعوذ بالله من الخذلان ومن طاعة الهوى والشيطان.أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (حي لا يموت قيوم لا ينام).

ش: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ فنفي السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ١﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقال ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» الحديث[(١)].

لما نفى الشيخ رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى، دون خلقه، فإنهم يموتون، ومنه: أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة، دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته، فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة، ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعاً ولهواً ولعباً وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، فالحياة الدنيا كالمنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة، وهي للمخلوق؛ لأنا نقول: الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللازمة لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدامة الله لها، لا أن الدوام وصف لزم لها لذاتها، بخلاف حياة الرب تعالى، وكذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

واعلم أن هذين الاسمين، أعني: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ مذكوران في القرآن معاً في ثلاث سور كما تقدم، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل: إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» وهو طرف من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وسيأتي بتمامه.أهـ ألباني.

تضمن وأصدقه، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل عليه لفظ القديم، ويدل أيضاً على كونه موجوداً بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود، والقيوم أبلغ من القيام لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه، باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة.

وهل تفيد إقامته لغيره وقيامه عليه؟

فيه قولان، أصحهما: أنه يفيد ذلك، وهو يفيد دوام قيامه وكل قيامه، لما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزول ولا يأفل، فإن الآفل قد زال قطعاً، أي: لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، موصوفاً بصفات الكمال، واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على دوامها وبقائها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبداً، ولهذا كان قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ[1]، فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها.

فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.

قوله: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)

ش: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم

---

(١) رواه مسلم ٢/ ١٩٩ عن أبي بن كعب رضي الله عنه. أهـ ألباني.

مِن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ وقال ﷺ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر الحديث، رواه مسلم[(١)].

وقوله بلا مؤنة: بلا ثقل ولا كلفة.

قوله: (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة)

ش: الموت صفة وجودية، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث: «أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار»[(٢)].

وهو وإن كان عرضاً فالله تعالى يقلبه عيناً، كما ورد في العمل الصالح: أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة[(٣)]، وورد في القرآن: أنه يأتي على صورة الشاب

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ١٧) ورواه أحمد أيضا ٥/ ١٦٠. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري وغيره. أهـ ألباني.

(٣) يشير إلى حديث البراء رضي الله عنه في عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، وهو حديث طويل سيأتي في آخر الكتاب بتمامه في بحث عذاب القبر. أهـ ألباني.

الشاحب اللون، الحديث(١).

أي قراءة القارئ، وورد في الأعمال: أنها توضع في الميزان، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض، وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف(٢)، وفي الصحيح: أن أعمال العباد تصعد إلى السماء(٣) وسيأتي الكلام على البعث والنشور إن شاء الله تعالى.

قوله: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً).

---

(١) رواه الدارمي (٢/ ٤٥٠-٤٥١) وابن ماجه (٣٧٨١) وأحمد (٥/ ٣٤٨و ٣٥٢) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٥) والحاكم (١/ ٢٥٦) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول لصاحبه: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك» وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» وبيض له الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح». قلت: لا، فإن فيه بشير بن المهاجر، وهو صدوق لين الحديث، كما قال الحافظ في «التقريب» فمثله يحتمل حديثه التحسين، أما التصحيح فهو بعيد. أهـ ألباني.

(٢) رواه مسلم عن أبي أمامة، والحاكم عن بريدة رضي الله عنه.أهـ ألباني.

(٣) روى البخاري (١/ ٢٠٥) عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي يوما وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال: «سمع الله لمن حمده» قال رجل من ورائه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول» ورواه الترمذي (٢/ ٢٥٤-٢٥٥) والنسائي (١/ ١٤٧) من طريق أخرى عن رفاعة به نحوه بلفظ: «لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعد بها» وقال الترمذي: حديث حسن.

قلت: وإسناده جيد، وله شاهد من حديث عبدالله بن أبي أوفى نحوه وفيه: «والله لقد رأيت كلامك يصعد في السماء حتى فتح باب فدخل فيه» أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥-٣٥٦) وابنه في الزوائد، ورجاله ثقات غير عبدالله بن سعيد، ذكره ابن حبان في «الثقات» (١/ ١٠٤-١٠٥).أهـ ألباني.

ش: أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء، والنزول، والغضب والرضى، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وغيرها: كيف استوى؟

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول(١).

وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»(٢)، لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: أنه حدث له الكلام، ولو كان غير متكلم، لأنه لآفة كالصغير والخرس، ثم تكلم يقال: حدث له الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى

---

(١) اقتصر المؤلف في جواب الإمام مالك على هذا، وتتمته: «والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» يعني السؤال عن كيفية الاستواء، وقوله «معلوم» هذا هو الثابت في جواب مالك رحمه الله، وأما ما يلهج به بعض المبتدعة أنه بلفظ: «مذكور» فلا أصل له، كما بينته في مختصر العلو، ص (١٤٢).أهـ ألباني.

(٢) هو في الصحيحين وغيرهما، وسيأتي تمامه.أهـ ألباني.

متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته الكتابة .

وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل.

وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له، وإنما أتي السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه.

وكذلك مسألة «الصفة»: هل هي زائدة على الذات أم لا؟

لفظها مجمل، وكذلك لفظ «الغير» فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له.

ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه «غيره» ولا أنه «ليس غيره» لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، إذ كان لفظ «الغير» فيه

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وان أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، فهذا حق، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال، ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتاً ووجوداً، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج .

وقد يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره، هذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد، فإذا قلت: «أعوذ بالله» فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه، وإذا قلت: «أعوذ بعزة الله»، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى، ولم أعذ بغير الله، وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات، فإن «ذات» في أصل معناها لا تستعمل إلا مضافة، أي: ذات وجود، ذات قدرة، ذات عز، ذات علم، ذات كرم، إلى غير ذلك من الصفات، فذات كذا بمعنى صاحبة كذا: تأنيث ذو، هذا أصل معنى الكلمة، فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتاً مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال، وقد قال ﷺ: «أعوذ بعزة الله

وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[١] وقال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[٢]، ولا يعوذ ﷺ بغير الله، وكذا قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك»[٣] وقال ﷺ: «ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا»[٤] وقال ﷺ: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات»[٥].

وكذلك قولهم: الاسم عين المسمى أو غيره؟ وطالما غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلو الصواب فيه: فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال.

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم رقم (٢٢٠٢) ونصه بتمامه: عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا في جسده منذ أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» ورواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٢/ ٩) وعنه أبو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، بلفظ «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» دون لفظة «وأحاذر» وكذلك رواه أحمد (٤/ ٢١٧و٦/ ٣٩٠) والحاكم (١/ ٣٤٣) وزاد «في كل مسحة» وقال: «صحيح الإسناد» وهو كما قال.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، أخرجه مسلم (٢٧٠٨) وأبو داود (٣٨٩٨-٣٨٩٩) وغيره، وسنده صحيح.أهـ ألباني

(٣) رواه مسلم وغيره، وهو من أدعية السجود.أهـ ألباني.

(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٠٤٧) وأحمد (٢/ ٥٢) بسند صحيح، وهو من أدعية الصباح والمساء.أهـ ألباني.

(٥) ضعيف، رواه ابن إسحاق بسند ضعيف معضل، وقد رواه بعضهم عنه بإسناده موصولاً، لكن فيه عنعنته، وهو مخرج في «تخريج فقه السيرة» ص(١٣٢) وفي «الضعيفة» (٢٩٣٣).أهـ ألباني.

فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم: فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى.

والشيخ رحمه الله أشار بقوله: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه» إلى آخر كلامه، إلى الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي! ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه، وأما الكلام عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة، بل هو شيء واحد لازم لذاته.

وأصل هذا الكلام من الجهمية، فإنهم قالوا: إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ، لامتناع حوادث لا أول لها، فيمتنع أن يكون الباري عز وجل لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئة، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك، لأن القدرة على الممتنع ممتنعة!

وهذا فاسد، فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث، والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً فلا بد أن يكون ممكناً، والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت فيه، وليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم يزل الفعل ممكناً جائزاً صحيحاً، فيلزم أنه لم يزل الرب قادراً عليه، فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها.

قالت الجهمية ومن وافقهم: نحن لا نسلم أن إمكان الحوادث لا بداية له، لكن نقول، إمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية

له، وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع، بل يجب حدوث نوعها ويمتنع قدم نوعها، لكن لا يجب الحدوث في وقت بعينه، فإمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لأوله، بخلاف جنس الحوادث.

فيقال لهم: هب أنكم تقولون ذلك، لكن يقال: إمكان جنس الحوادث عندكم له بداية، فإنه صار جنس الحدوث عندكم ممكناً بعد أن لم يكن ممكناً، وليس لهذا الإمكان وقت معين، بل ما من وقت يفرض إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم دوام الإمكان، وإلا لزم انقلاب الجنس من الامتناع إلى الإمكان من غير حدوث شيء، ومعلوم أن انقلاب حقيقة جنس الحدوث أو جنس الحوادث، أو جنس الفعل، أو جنس الأحداث، أو ما أشبه هذا من العبارات، من الامتناع إلى الإمكان، وهو مصير ذلك ممكناً جائزاً بعد أن كان ممتنعاً من غير سبب تجدد، وهذا ممتنع في صريح العقل، وهو أيضاً انقلاب الجنس من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، فإن ذات جنس الحوادث عندهم تصير ممكنة بعد أن كانت ممتنعة، وهذا الانقلاب لا يختص بوقت معين، فإنه ما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم أنه لم يزل هذا الانقلاب ممكناً، فيلزم أنه لم يزل الممتنع ممكناً! وهذا أبلغ في الامتناع من قولنا: لم يزل الحادث ممكناً، فقد لزمهم فيما فروا إليه أبلغ مما لزمهم فيما فروا منه! فإنه يعقل كون الحادث ممكناً، ويعقل، أن هذا الإمكان لم يزل، وأما كون الممتنع ممكناً فهو ممتنع في نفسه، فكيف إذا قيل: لم يزل إمكان هذا الممتنع؟! وهذا مبسوط في موضعه.

فالحاصل: أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟

فيه ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم.

أضعفها: قول من يقول، لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف.

وثانيها قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

والثالث: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث، وهي من المسائل الكبار، ولم يقل أحد يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم :

ومن المعلوم بالفطرة أن كون المفعول مقارناً لفاعله لم يزل ولا يزال معه، ممتنع محال، ولما كان تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء، فإن الرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال، يفعل ما يشاء ويتكلم إذا يشاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود، وحينئذ فإذا كان النوع

دائماً فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لا يكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه.

وأما دوام الفعل فهو أيضاً من الكمال، فإن الفعل إذا كان صفة كمال فدوامه دوام كمال.

قالوا: والتسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن: فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية.

والتسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت: الفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال.

وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله، من الكلام والإرادة والفعل(١).

وأما التسلسل الممكن: فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً، وذلك من لوازم ذاته، فالفعل ممكن له بموجب هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه

---

(١) ذكره عنه ابن القيم كما في شفاء العليل ١/ ١٥٦.

متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن.

قالوا: وكل قول سوى هذا فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه، وكل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل لزمه أحد أمرين، لا بد له منهما: إما أن يقول بأن الفعل لم يزل ممكناً، وإما أن يقول لم يزل واقعاً، وإلا تناقض تناقضاً بيناً، حيث زعم أن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضاً.

والمقصود: أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن، أما كون الرب تعالى لم يزل معطلاً عن الفعل ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه.

وقد أورد أبوالمعالي في إرشاده وغيره من النظار على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيك درهماً إلا أعطيك بعده درهماً، كان هذا ممكناً، ولو قلت: لا أعطيك درهماً حتى أعطيك قبله درهماً، كان هذا ممتنعاً.

وهذا التمثيل والموازنة غير صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول: ما أعطيتك درهماً إلا أعطيتك قبله درهماً، فتجعل ماضياً قبل ماض، كما جعلت هناك مستقبلاً بعد مستقبل، وأما قول القائل: لا أعطيك حتى أعطيك قبله، فهو نفي للمستقبل حتى يحصل في المستقبل ويكون قبله، فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع، أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماض، فإن هذا ممكن، والعطاء المستقبل

إيتاؤه من المعطى، والمستقبل الذي له ابتداء وانتهاء لا يكون قبله ما لا نهاية له، فإن ما لا نهاية له فيما يتناهى ممتنع.

قوله: (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري).

ش: ظاهر كلام الشيخ رحمه الله أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان» وهذا مذهب الجمهور كما تقدم، ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه، وقال بفناء الجنة والنار، لما يأتي من الأدلة إن شاء الله تعالى.

وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، فأظهر في الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلاً لما يريد، كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

والآية تدل على أمور:

أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

الثاني: أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن ما موصوله عامة، أي: يفعل كل ما

يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر: فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه عليه ويجعله فاعلاً لم يوجد الفعل وإن أراده حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلاً(١).

وهذه هي النكتة التي خفيت على القدرية والجبرية، وخبطوا في مسألة القدر، لغفلتهم عنها، وفرق بين إرادته أن يفعل العبد وإرادة أن يجعله فاعلاً، وسيأتي الكلام على مسألة القدر في موضعه إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعل فعل، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريده، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد.

السادس: أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وأن يري عباده نفسه، وأن يتجلى لهم كيف شاء، ويخاطبهم، ويضحك إليهم، وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمتنع عليه فعله، فإنه تعالى فعال لما يريد، وإنما يتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به، فإذا أخبر وجب التصديق، وكذلك محو ما يشاء، وإثبات ما يشاء، كل يوم هو في شأن، سبحانه وتعالى.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: في الكلام هنا نقص ظاهر، ولعل أصله: «وإن أراده حتى يريد من نفسه أن (يعينه عليه و) يجعله فاعلاً، (وجد الفعل)».أهـ

والقول بأن الحوادث لها أول، يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلاً، ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.

وللناس قولان في هذا العالم: هل هو مخلوق من مادة أم لا؟ واختلفوا في أول هذا العالم ما هو؟

وقد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾.

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله»[(١)]، وفي رواية: «ولم يكن شيء

(١) صحيح، ورواية «معه» لم أجدها عند البخاري، وقد أخرج الحديث في موضعين من صحيحه: «بدء الخلق» و«التوحيد» بالروايتين الأخيرتين: «قبله»و«غيره» وبالأخرى منهما أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦و٢٧٠) ورواه أحمد (٤/ ٤٣١) بالرواية الأولى منهما، لكن بلفظ «كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء» وعزاه الذهبي في مختصر العلو (٩٨/ ٤٠) للبخاري وقال: «حديث صحيح»! انظر المقدمة (٢٧) وكلام الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث يشعر بأن هذه الرواية «معه» لم يقف عليها، فقد قال (٦/ ٢٠٦): «تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلم في قوله: «وهو الآن إلى آخره» وأما لفظ: «ولا شيء معه» فرواية الباب بلفظ «ولا شيء غيره» بمعناها.

قلت: فلو كان عند الحافظ علم بهذه الرواية لذكرها، واستغنى بذلك عن الاحتجاج عليها بمعنى الرواية التي ذكرها، كما هو الظاهر، والله أعلم.أهـ ألباني.

معه» وفي رواية غيره: «وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض» وفي لفظ: «ثم خلق السماوات والأرض».

فقوله كتب في الذكر، يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ يسمى ما يكتب في الذكر ذكراً، كما يسمى ما يكتب في الكتاب كتاباً.

والناس في هذا الحديث على قولين: منهم من قال: إن المقصود إخباره بأن الله كان موجوداً وحده ولم يزل كذلك دائماً، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان، وأن الله صار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً من الأزل إلى حين ابتداء الفعل كان الفعل ممكناً.

والقول الثاني: المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»(١). فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه السماوات بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذ على الماء.

(١) صحيح، وأخرجه أيضا أحمد (٢/ ١٦٩) والترمذي وصححه دون قوله «وكان عرشه..» وهو رواية لمسلم، ورواه البيهقي في «الأسماء» (٢٦٩) وفي رواية له «وفرغ الله عز وجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة». أهـ ألباني.

دليل صحة هذا القول الثاني من وجوه: أحدها: أن قول أهل اليمن جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر، وهو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور، أي الذي كونه الله بأمره، وقد أجابهم النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود، لا عن جنس المخلوقات، لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض.

وأيضاً فإنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» وقد روي «معه» وروي «غيره» والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى، ولفظ القبل ثبت عنه في غير هذا الحديث، ففي حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء» الحديث[1]، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القبل، كالحميدي والبغوي وابن الأثير، وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

وأيضاً: فإنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» أو «معه» أو «غيره» «وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء» فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو «وخلق السماوات والأرض» روي بالواو وبثم، فظهر أن مقصوده إخباره إياهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك، وذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقهما، وذكر ما قبلهما بما يدل على

(١) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني.

كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه له.

وأيضاً: فإنه إذا كان الحديث قد ورد بهذا وهذا، فلا يجزم بأحدهما إلا بدليل، فإذا رجح أحدهما فمن جزم بأن الرسول أراد المعنى الآخر فهو مخطئ قطعاً، ولم يأت في الكتاب ولا في السنة ما يدل على المعنى الآخر، فلا يجوز إثباته بما يظن أنه معنى الحديث، ولم يرد «كان الله ولا شيء معه» مجرداً، وإنما ورد على السياق المذكور، فلا يظن أن معناه الإخبار بتعطيل الرب تعالى دائماً عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض.

وأيضاً: فقوله ﷺ: «كان الله ولاشيء قبله»، أو «معه»، أو «غيره»، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، لا يصح أن يكون المعنى أنه تعالى موجود وحده لا مخلوق معه أصلاً، لأن قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، يرد ذلك، فإن هذه الجملة وهي «وكان عرشه على الماء» إما حالية، أو معطوفة، وعلى كلا التقديرين فهو مخلوق موجود في ذلك الوقت، فعلم أن المراد ولم يكن شيء من هذا العالم المشهود.

قوله: (له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق).

ش: يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه خالق قبل أن يوجد مخلوق، قال بعض المشايخ الشارحين: وإنما قال: له معنى الربوبية ومعنى الخالق دون الخالقية، لأن الخالق هو المخرج للشيء من العدم إلى الوجود لا غير، والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي: الملك والحفظ والتدبير والتربية وهي تبليغ الشيء كماله بالتدريج، فلا جرم أتى بلفظ يشمل هذه المعاني، وهي الربوبية. انتهى.

وفيه نظر، لأن الخلق يكون بمعنى التقدير أيضاً .

قوله: (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم).

ش: يعني: أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزاماً للمعتزلة ومن قال بقولهم، كما حكينا عنهم فيما تقدم، وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء .

قوله: (ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير).

ش: ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه، والكلام على «كل» وشمولها وشمول «كل» في كل مقام بحسب ما يحتف به من القرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله تعالى .

وقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ فقالوا: إنه قادر على كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا: هل يقدر على مثلها أم لا؟!

ولو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه وخالق لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء.

وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً، باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب: خلق مثل نفسه، وإعدام نفسه

وأمثال ذلك من المحال.

وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير، وإنما تنازعوا في المعدوم الممكن: هل هو شيء أم لا؟

والتحقيق: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾، أي: لم تكن شيئاً في الخارج وإن كان شيئاً في علمه تعالى، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على المشبهة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيه، إذ صفات المخلوق كما يليق به، وصفات الخالق كما يليق به.

ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه وما وصفه به أعرف الخلق بربه وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم وأقدرهم على البيان، فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك كنت كافراً بما أنزل على محمد ﷺ،

وإذا وصفته بما وصف به نفسه فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه كنت كافراً به.

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري:

من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً[(١)].

وسيأتي في كلام الشيخ الطحاوي رحمه الله «ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه».

وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فجعل سبحانه مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمال كله لله وحده، فمن سلب صفة الكمال عن الله تعالى فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافآ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

واختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى، ووفق بين أقوالهم

---

(١) رواه اللالكائي (١/ ٥٨٧) وسيأتي إن شاء الله.

من وفقه الله وهداه، فقال: المثل الأعلى يتضمن: الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه.

فها هنا أمور أربعة:

الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى، سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى قول من فسرها بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: أنه ما في قلوب عابديه وذاكريه، من معرفته وذكره، ومحبته وجلاله، وتعظيمه، وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه.

وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشركه فيه غيره أصلاً، بل يختص به في قلوبهم، كما اختص به في ذاته، وهذا معنى قول من قال من المفسرين: إن معناه: أهل السماوات يعظمونه ويحبونه ويعبدونه، وأهل الأرض كذلك، وإن أشرك به من أشرك، وعصاه من عصاه، وجحد صفاته من جحدها، فأهل الأرض معظمون له، مجلون، خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته وجبروته، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها من العيوب والنقائص والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

فعبارات السلف كلها تدور على هذه المعاني الأربعة، فمن أضل

ممن يعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؟

ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾! حتى أفضى هذا الضلال ببعضهم، وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير كما قال الضال الآخر، جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (١) فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بمنه وكرمه.

وفي إعراب ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾ وجوه، أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد، قال أوس بن حجر:

ليس كمثل الفتى زهير　　　خلق يوازيه في الفضائل

وقال آخر: ما إن كمثلهم في الناس من بشر

وقال آخر: ومثلي كمثل جذوع النخيل

فيكون «مثله» خبر «ليس شيء» وهذا وجه قوي حسن، تعرف العرب معناه في لغتها، ولا يخفى عنها إذا خوطبت به، وقد جاء عن العرب أيضاً زيادة الكاف للتأكيد في قول بعضهم:

وصاليات ككما يؤثفين

وقول الآخر: فأصبحت مثل كعصف مأكول

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٩٢ (٣٢٢-٣٢٣) ٣/ باب ما روي في جهم وشيعته الضلال.

الوجه الثاني: أن الزائد «مثل» أي: ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد، لأن «مثل» اسم والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا: أي: ليس كمثله مثل لو فرض المثل، فكيف ولا مثل له.

وقيل غير ذلك، والأول أظهر .

قوله: (خلق الخلق بعلمه)

ش: خلق: أي: أوجد وأنشأ وأبدع، ويأتي خلق أيضاً بمعنى: قدر، والخلق: مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق.

وقوله: بعلمه في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ وفي ذلك رد على المعتزلة.

قال الإمام عبدالعزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه، في كتاب الحيدة[1]، الذي حكى فيه مناظرته بشراً المريسي عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى: فقال بشر: أقول: لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم، تقريراً له، وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف له أنه عالم بعلم.

---

(١) قلت: في ثبوت نسبة الكتاب للمكي نظر.أهـ ألباني ـ وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله ـ.

فقال الإمام عبدالعزيز: نفي الجهل لا يكون صفة مدح، فإن هذه الأسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم، لا بنفي الجهل، فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه، وينفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه .

والدليل العقلي على علمه تعالى: أنه يستحيل إيجاده الأشياء بالجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم، ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً.

وهذا له طريقان:

أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالماً لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات ـ التي هي المخلوقات ـ فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق به، والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي، ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى .

قوله: (وقدر لهم أقداراً).

ش: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»(١).

قوله: (وضرب لهم آجالاً)

ش: يعني: أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: «قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل أجله، ولن يؤخر شيئاً عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيراً وأفضل»(٢).

فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب

---

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وهو عند مسلم في «القدر» وأحمد في المسند (١/ ٣٩٠-٤١٣-٤٣٣-٤٤٥-٤٤٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦٢-٢٦٣).أهـ ألباني.

الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب.

والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة، وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلان، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص والضمان على القاتل، لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرج قوله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»(١) أي: سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

فإن قيل: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا ؟

فالجواب: أن ذلك غير لازم، لقوله ﷺ لأم حبيبة رضي الله عنها: «قد سألت الله تعالى لآجال مضروبة» الحديث، كما تقدم، فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغيرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق

---

(١) صحيح، وهو قطعة من حديث رواه أبو يعلى عن أنس بسند ضعيف، لكن معناه صحيح، ويشهد له أحاديث كثيرة، منها حديث أنس أيضا مرفوعا: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» متفق عليه. أهـ ألباني.

أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[١]، إلى آخر الدعاء.

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه[٢] من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[٣].

وفي الحديث رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: إنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»[٤].

واعلم أن الدعاء يكون مشروعاً نافعاً في بعض الأشياء دون بعض، وكذلك هو، وكذلك لا يجيب الله المعتدين في الدعاء، وكان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر قد فرغ منه[٥].

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾

---

(١) صحيح، وقد تقدم بتمامه.أهـ ألباني.

(٢) إطلاق لفظة الصحيح على المستدرك فيه تسامح ظاهر، لكثرة الأحاديث الضعيفة والمنكرة الواقعة فيه، بل وبعض الموضوعات، ولذلك تجد الحذاق من المحدثين يقولون: رواه الحاكم في المستدرك.أهـ ألباني.

(٣) حسن، دون قوله: «وإن الرجل ليحرم...» وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وفيه راو مجهول، لكن له شاهد دون الزيادة المذكورة، فالحديث حسن بدونها، وقد تكلمت على الحديث في «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٥٤).أهـ ألباني.

(٤) أخرجاه من حديث ابن عمر، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئا وإنما يستخرج به من البخيل» وقد خرجته في كتاب السنة لابن أبي عاصم برقم (٣١٢-٣١٤) والإرواء (٢٥٨٥).أهـ ألباني.

(٥) ذكره عنه ابن تيمية في الاستقامة ١/ ١٥٧.

فقد قيل في الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنْ عُمُرِهِ﴾ أنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه، أي: ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر، وقيل: الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة، وحمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة وأن قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ.

ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي: من ذلك الكتاب، وعنده أم الكتاب، أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ.

وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فأخبر تعالى أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي: أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشريعة الأخرى، فينسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء، وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.

قوله: (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم).

ش: فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف

يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وإن كان يعلم أنهم لا يردون، ولكن أخبر أنهم لو ردوا لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية، الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

قوله: (وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته).

ش: ذكر الشيخ الأمر والنهي، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قوله: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن)

ش: قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،

وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فإن قيل: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ فقد ذمهم الله تعالى حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، وكذلك ذم إبليس حيث أضاف الإغواء إلى الله تعالى، إذ قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

قيل: قد أجيب على هذا بأجوبة، من أحسنها: أنه أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك، أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به، أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره.

يشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يقدره؟ أطلع الغيب؟

فإن قيل: فما يقولون في احتجاج آدم على موسى عليهما السلام بالقدر، إذ قال له: «تلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاماً»؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حج موسى، أي: غلب عليه بالحجة؟

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاه بالرد والتكذيب لراوية، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة، بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب.

وهذا لمعنى أحسن ما قيل في الحديث، فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له، فإنه من تمام الرضى بالله ربًّا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

وأما قول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ إنما ذم على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالمقدر وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولقد أحسن القائل:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه

فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به[١].

قوله: (يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي، فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي، عدلاً).

ش: هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال، قالت المعتزلة:

الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه، وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

والدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ولو كان الهدى من الله البيان ـ وهو عام في كل نفس ـ لما صح التقييد بالمشيئة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ وقوله: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

قوله: (وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله).

ش: فإنهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فمن هداه إلى الإيمان فبفضله، وله الحمد، ومن أضله فبعدله، وله

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٣٨٨ كتاب القدر / باب النهي عن القول في القدر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح، إن شاء الله تعالى، فإن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في القدر في مكان واحد، بل فرقه، فأتيت به على ترتيبه .

قوله: (وهو متعال عن الأضداد والأنداد) .

ش: الضد: المخالف، والند: المثل، فهو سبحانه لا معارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مثل له، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ويشير الشيخ رحمه الله بنفي الضد والند إلى الرد على المعتزلة، في زعمهم أن العبد يخلق فعله .

قوله: (لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره) .

ش: أي: لا يرد قضاء الله راد، ولا يعقب، أي لا يؤخر حكمه، مؤخر، ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار .

قوله: (آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده)

ش: أما الإيمان فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

والإيقان: الاستقرار، من قر الماء في الحوض إذا استقر، والتنوين في «كلا» بدل الإضافة، أي: كل كائن محدث من عند الله، أي: بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه، وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى .

قوله: (وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى).

ش: الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى.

واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق

يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: «اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[(١)]، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

وقوله: وإن محمداً بكسر الهمزة، عطفاً على قوله: إن الله واحد لا شريك له، لأن الكل معمول القول، أعني: قوله نقول في توحيد الله.

والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما

(١) متفق عليه، وهو قطعة من حديث سيأتي بطوله في الكتاب. أهـ ألباني.

دون دعوى النبوة، فكيف بدعوة النبوة؟

وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه :

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمراً - أحدهما صادق والآخر كاذب - لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً»(١) ولهذا قال تعالى:

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: الزيادتان ثابتتان في رواية مسلم ٢/ ٢٨٩ وكان في المطبوعة «ولا يزال» في الموضعين، وأثبتنا ما في مسلم أيضا، لأن الرواية التي نقلها المؤلف أقرب الألفاظ على رواية مسلم، من طريق وكيع وأبي معاوية، وكلاهما عن الأعمش، وكذلك رواه أحمد (٤١٠٨) عن وكيع وأبي معاوية بنحوه، وقد تساهل المؤلف في نسبة الحديث بهذا اللفظ للصحيحين، لأن البخاري إنما روى بعضه بنحو معناه مختصراً من طريق آخر، ولعله تبع في ذلك المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٦-٢٧ فقد تساهل أيضا ونسبه للبخاري، انظر فتح الباري ١٠/ ٤٢٢-٤٢٣.

قال ناصر الدين: صحيح، وهو في «الأدب» من صحيح البخاري مختصراً، كما ذكر الشيخ شاكر رحمه الله تعالى، لكنه في «الأدب المفرد» له رقم (٣٨٦) أتم منه. أهـ ألباني.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۝٢٢٣ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات، ويكون صدقاً فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء، ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: «قد خبأت لك خبأ» فقال: هو الدخ ـ قال له النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»[1].

يعني: إنما أنت كاهن، وقد قال للنبي ﷺ: «يأتيني صادق وكاذب»[2]، وقال: «أرى عرشاً على الماء»[3]، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك، والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟

ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة: قد

---

(١) صحيح، وهو من حديث ابن عمر، أخرجاه في الصحيحين.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وهو قطعة من حديث ابن عمر الذي قبله.أهـ ألباني.

(٣) صحيح، أخرجه مسلم ٨/ ١٩٠ من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «ترى عرش إبليس على البحر».أهـ ألباني.

يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه، بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ وقد قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفات وجهه وفلتات لسانه[١].

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله، كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟

وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟

ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: «إني قد خشيت على نفسي»[٢]،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الظاهر والله أعلم أنه خشي على نفسه الموت، لأن جبرائيل غطه غطًّا قويًّا، قال العلماء: حتى يعده لتحمل المشاق في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، غطه ثم غطه ثم

---

(١) ابن كثير في تفسيره، سورة الفتح، عند قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ وعزاه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) صحيح، وهو قطعة من حديث بدء الوحي الطويل في أول صحيح البخاري، رقم (٣) مختصر البخاري، وكان في الأصل وفي مطبوعة مكة: «على عقلي»! وقد قال الشيخ أحمد شاكر في ذلك: «هو خطأ فاحش، لعله من الناسخ، بل هو كلام غير معقول، وحاشا رسول الله ﷺ أن يقول هذا، بل أن بعض العلماء فسر خشيته على نفسه في هذا الحديث، بأنه خشي الجنون! واستنكره الحافظ في الفتح ١/ ٢٣، قال: «وأبطله أبو بكر ابن العربي، وحق له أن يبطل». أهـ ألباني.

غطه ثم قال اقرأ ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق:١] علمه أول سورة العلق.

فالمقصود أنه عليه الصلاة والسلام خاف من هذا الأمر العظيم لشدة ما أصابه من جبرائيل عليه الصلاة والسلام، قد يبتلى المؤمن بالشدائد ليكون معدًّا لها وأهلاً لها بعد ذلك، فهو أعد لتحمل المشاق والأثقال والعظائم من أول ما أوحى الله إليه، ولهذا لما جاء إلى خديحة قال زملوني زملوني دثروني دثروني لشدة ما أصابه، فقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، عرفت منه الأخلاق العظيمة والصفات الحميدة، التي صاحبها من سنة الله في عباده أنه لا يخزى، بل يكون له فضل من الصفات الحسنة والذكر الجميل والفضل بين الناس لأعماله العظيمة، إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، فذكرت هذه الصفات العظيمة التي من شأنها أن صاحبها يرفع الله ذكره ويعلي قدره ويكون له شأن بين الناس.أهـ.

* * *

فقالت: كلا والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق(١).

فهو لم يخف من تعمد الكذب، فهو يعلم من نفسه ﷺ أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولاً عليه من مكارم

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة، وهو طرف من الحديث الذي قبله.أهـ ألباني.

الأخلاق و محاسن الشيم، وقد علم من سنة الله أن من جبله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة؛ فإنه لا يخزيه .

وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤوا عليه: إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة[١]، وكذلك ورقة ابن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي: عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺبما رأى فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى[٢].

وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبوسفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار، سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقالوا: لا، قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فقالوا: لا، وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟ فقالوا: نعم، وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذباً، وسألهم: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه؟ وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكروا أنهم يزيدون، وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقالوا: لا، وسألهم: هل قاتلتموه؟ قالوا: نعم، وسألهم

---

(١) حسن، وهو طرف من حديث أم سلمة في هجرتها إلى الحبشة الهجرة الأولى، أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٣٥٧-٣٦٣) ابن هشام، وعنه أحمد (٢٠١-٢٠٣) وسنده حسن.أهـ ألباني.

(٢) أخرجه البخاري، وهو من تمام حديث عائشة الذي قبله.أهـ ألباني.

عن الحرب بينهم وبينه؟ فقالوا: يدال علينا مرة وندال عليه أخرى، وسألهم: هل يغدر؟ فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم: بماذا يأمركم؟ فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال: سألتكم هل كان في آبائه من ملك؟ فقلتم: لا، قلت: لو كان في آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتكم هل قال هذا القول فيكم أحد قبله؟ فقلتم: لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله لقلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله تعالى، وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هذا الوصف الأغلبي، لأن أبا بكر رضي الله عنه من أشراف الناس، وهكذا عمر وهكذا عثمان، لكن في الأغلب اتبعه الضعفاء.أهـ.

* * *

ثم قال: وسألتكم هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم، بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا، وكذلك الإيمان، إذا خالطت بشاشته

القلوب لا يسخطه أحد[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه دين الله، دين الفطرة والعدالة، دين الخير والسعادة، إذا باشر القلوب وعرفته القلوب لا تصد عنه.

وهذا يدل على أن الرجل قد درس أمور الأنبياء وأخلاق الأنبياء وما كانوا عليه، مما وصل إليه من الكتب السابقة، ومما عرفه من أعيان الناس وجلسائه ومن له دراية بأحوال الماضين، ولهذا سأل عن الأسئلة التي تعينه وتقرب إليه ما يريده من معرفة نبوته ﷺ أو عدم ذلك، ولهذا لما سألهم الأسئلة؛ عرف وأيقن أنه رسول الله، وقال: ولو أمكنني أن أصل إليه لفعلت ذلك، ولو كنت بين يده لغسلت عن قدمه، ولئن كان كما قلتم ليملكن موضع قدمي هاتين[٢]، وكل هذا وقع.أهـ.

* * *

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول، وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لها، قال: وسألتكم هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وأنهم لا يغدرون علم أن هذه

---

(١) البخاري، من حديث أبي سفيان بطوله، وله عنده تتمة.أهـ ألباني.

(٢) رواه البخاري (٧) كتاب بدء الوحي/ باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا رواه مسلم في الصحيح من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه، وما ذاك إلا لأن العبد بين أمرين: بين شدة ورخاء، وبين النعم والمصائب، فالله يمتحن العباد بهذا وهذا، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥] والصبار كثير الصبر عند البلايا، والشكور كثير الشكر عند النعم والفضائل والمسرات، والمؤمن هكذا صبور عند المحن والبلاوي والشدة كالفقر والمرض ونحو ذلك، وشكور عند النعم كالصحة والعافية والمال والسلطان وغير ذلك.

فالواجب على المؤمن أن ينتبه لهذا، وأن يحذر الجزع عند البلاء والبطر عند الرخاء، بل يكون في الرخاء شكوراً مستقيماً على أمر الله، وفي البلايا والمحن صبوراً عارفاً بأن ربه حكيم عليم، فلا يجزع ولا

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ٢٢٧) وأحمد (٤/ ٣٣٢-٣٣٣و ٦/ ١٥-١٦) بلفظ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد» الحديث، والباقي مثله سواء، وفي رواية لأحمد: «بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ ضحك، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: يا رسول الله ومم تضحك؟ قال: عجبت لأمر المؤمن..» الحديث، وسنده صحيح على شرط مسلم، وله شاهد مختصر، خرجته في «الصحيحة» (١٤٧). أهـ ألباني.

يتعاطى ما لا ينبغي عند حلول المصائب، وأغلب الخلق لا يصبر عند البلاء ولا يشكر عند الرخاء، هذا حال الأكثر نسأل الله السلامة، ولهذا قال: «**وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له**» فينبغي للمؤمن أن يكون على ذلك دائماً، لأنه يتنقل بين السراء والضراء.

وهناك أمر ثالث أيضاً يصيبه وهو الذنوب والمعاصي، فهو بين النعم وبين المصائب وبين الذنوب يقترفها، والواجب عند الذنب التوبة والاستغفار، وعند النعم الشكر، وعند البلايا والمحن الصبر، ومن رزق هذه الأمور الثلاثة وما شرعه الله فيها، وهو الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والتوبة عند الذنب؛ تمت سعادته وأفلح غاية الفلاح، والله المستعان.أهـ.

* * *

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآيات، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على سننه في خلقه وحكمته التي بهرت العقول.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي هذا المعنى بخصوصه يقول عز وجل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥] يعني من أين أتينا؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] بسبب ما فعلتم من

الفشل والنزاع ومخالفة الرماة، تنازعوا واختلفوا وعصوا ولم يثبتوا كما أمرهم الرسول ﷺ، ولهذا قال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران:١٦٥] يعني يوم بدر، يوم بدر أسروا سبعين وقتلوا سبعين ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران:١٦٥] بسبب أعمالكم وذنوبكم، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى:٣٠] ثم قال بعده: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران:١٦٦-١٦٨] فبين سبحانه وتعالى الحكم في الابتلاء.أهـ.

* * *

قال: وسألتكم عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبوسفيان بن حرب، وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوة للنبي ﷺ.

قال أبوسفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج، لقد أَمِرَ أَمْرُ

ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحمد لله، اللهم ارض عنه، أسلم وحسن إسلامه.أهـ.

* * *

ومما ينبغي أن يعرف: أن ما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم فأمور مجتمعة (١)، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ببعضها قد يحصل بعض الأمر، لكن ما يحصل بمجموعها لا يحصل ببعضها، لكن قد يحصل ببعضها بعض المطلوب، ما يحصل للإنسان من شكر أو جزع أو فرح أو غم أو مسار أو كسل في أمور مجتمعة؛ لا يحصل ببعضها لو انفرد، لكن بحسب مجموعها، يعني حصل لك نعم متعددة من صحة ونصر وتوفر أولاد وأشباه ذلك، ما يحصل هذا الذي حصل لك بوجود بعضها، فالذي يحصل بالنعم والولاية والأولاد، يحصل من هذا نعم كثيرة وسرور كثير وراحة وطمأنينة وقضاء حاجات ونصر على أعداء، لو تخلى بعضها عنك ـ هذه الأمور ـ ولم يحصل لك إلا بعضها، ما حصل لك ذاك المجموع الذي حصل سابقاً، وإن حصل لك أشياء مترتبة على أمور

---

(١) الفاء غلط.أهـ ابن باز.

متعددة، لو فات بعضها لم يحصل ذلك الشيء الذي ذهب، لكن قد يحصل ببعضها بعض الشيء.

هذه المسائل التي جمعها هرقل وسأل عنها، هل كان في آبائه من ملك؟ هل قال هذا القول أحد قبله؟ هذه الأمور لما اجتمعت غلب على الظن، وتفيد فائدة عظيمة فيما سأل عنه هرقل، لكن وحدها لا تكفي، هل كان في آبائه من ملك؟ لا يدرى عن صحة ما ادعاه من النبوة، كون ليس في آبائه من ادعى النبوة لا يكفي، لكن لما اجتمعت هذه الأمور، لم تعهدوا عليه الكذب، ولا قال هذا القول أحد قبله، ومن دخل في دينه لم يخرج عنه، يزيدون ولا ينقصون، إلى آخر ما سأل عنه، هذه المجموعة توجب لمن تأملها بقطع صحة النبوءة.أهـ.

* * *

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا واضح، من سمع شيئاً ثم جاء الثاني وأيد الخبر ثم جاء الثالث وأيد الخبر، كلما جاء واحد زاد الخبر ثقة وطمأنينة حتى يبلغ العلم واليقين بأن هذا حصل، وهكذا إذا روى الإنسان حديثاً جيداً أن النبي قال كذا، ثم جاء حديث آخر فروى مثله ثم ثالث، كل واحد يقوي الخبر ويقوي الإيمان بصحته، فالأمور تحتاج إلى مجموع حتى لا يحصل ذلك الشيء لبعضها إذا انفرد، فالأدلة تقوى بكثرتها وتضعف بقلتها، هكذا الغموم والهموم والفرح والسرور والطمأنينة واليقين وغير ذلك، كلما كثرت أسبابها حصل مقتضاها،

وكلما قلت الأسباب ضعف المقتضى.أهـ.

❋ ❋ ❋

وأيضاً: فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كثبوت الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبياً بعد نبي، في سورة الشعراء، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وبالجملة: فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول إنه رسول الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم: هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها، ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك الفرس وعلماء الطب، كبقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وأتباعه.

ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة:

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل

أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم، ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

ولذكر دلائل نبوة محمد ﷺ من المعجزات وبسطها موضع آخر، وقد أفردها الناس بمصنفات، كالبيهقي وغيره.

بل إنكار رسالته ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبة له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم ويغنم أموالهم وذراريهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدلها وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين، فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه ولقابله

أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره، ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، وقطعوا دابره واستأصلوه، هذه سنة الله التي قد خلت من قبل،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كما جرى للأسود العنسي وطلحة وسجاح وغيرهم ممن ادعى النبوة كاذباً، سلط الله عليه من أهلكه وقاطع دابره، هكذا سنة الله في العباد، فهو سبحانه يملي بعض الإملاء لمن غلا وتعدى، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر سبحانه وتعالى، فإملاء الله لنبيه ﷺ وإظهار الله لدعوته وشريعته وتأييده ونصر أتباعه؛ كله من أظهر الدلائل القطعية الواضحة والبراهين الساطعة على صدقه وأنه رسول الله حقًّا، بخلاف من ادعى النبوة كاذباً وكان من المفترين الضالين، وتسليط الله عليهم وبيان كذبهم، كل هذا من الدلائل على كذبهم، وعلى أنه سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم، وهو العزيز الحكيم، وهو القادر على كل شيء وهو فوق العباد سبحانه وتعالى.

فسنة الله في العباد هكذا، تأييد الصالحين المتقين ورفع شأنهم، وإن جرى عليهم ما جرى فالعاقبة لهم، بخلاف الظالمين والمجرمين، وإن صار لهم شوكة وصار لهم رياسة؛ فإن مآلها إلى أن ينتقم منهم وإلى أن يصيروا عبرة لمن ظلم وافترى، كما جرى للأمم الماضية، أمة نوح، أمة هود، أمة صالح، أمة شعيب، أمة لوط، وما جرى لفرعون وقارون

ولغيرهم ممن ظلم وتعدى، صارت العاقبة السيئة عليهم والدائرة عليهم.أهـ.

* * *

حتى إن الكفار يعلمون ذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أفلا تراه يخبر أن كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل، لا بد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ وهنا انتهى جواب الشرط، ثم أخبر خبراً جازماً غير معلق: أنه يمحو الباطل ويحق الحق، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره.

وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها:

أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو المشهور، أن الرسول هو الذي يأتيه الوحي من السماء بالشرائع والأحكام ويؤمر بالتبليغ، كمحمد ﷺ وهود وصالح ونوح وموسى وعيسى وغيرهم، وأما

النبي فلم يؤمر، بل يأتيه الوحي من السماء من صلاة وغيرها، لكن لا يؤمر بالتبليغ، بل يشرع الله له أعمالاً، وقد يكونون متعددين، قد يكون في بلد وإقليم عدة أنبياء لهم شرائع شرعها الله سبحانه وتعالى، ولكن لم يؤمروا بتبليغها للناس، بل يعملون بها بأنفسهم، ومن شاء تبعه في ذلك، هذا قول مشهور عند أكثر الناس.

والقول الثاني: أن النبي هو الذي يتبع شريعة غيره ويسمى رسولاً أيضاً، كل نبي وكل رسول يوحى إليهم ويؤمرون بالتبليغ، كلهم مأمورون بالتبليغ وكلهم يرشدون الناس وكلهم موجهون ومأمورون بأن يعلموا ويرشدوا، لكن من كان تابعاً لغيره بشريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل بعد التوراة؛ فهو تابع للتوراة، من جاء بعد موسى فهو تابع للتوراة، وإن شرع له بعض التخفيف، كما شرع لعيسى بعض التخفيف، لكن عيسى ومن قبله من أنبياء بني إسرائيل كلهم تابعون لشريعة التوراة، بعدما أنزل الله التوراة، هؤلاء يسمون أنبياء ويسمون رسلاً، أنبياء لأن الله أوحى إليهم، ورسلاً لأنهم مأمورون بالتبليغ، ومن كان رسولاً مستقلاً جاء بشريعة مستقلة، هذا أخص باسم الرسول ويسمى نبيًّا، لكنه أخص باسم الرسول، معنى هذا أن الرسول أعظم وأكبر شأناً، لأنه يأتي بشرائع مستقلة يعمل بها ويدعو إليها، كهود ونوح وصالح وإبراهيم ولوط وموسى و محمد عليهم الصلاة والسلام، هؤلاء جاءوا بشرائع عظيمة مستقلة ليست تابعة لغيرها، هؤلاء رسل وأنبياء، أما داود وسليمان وعيسى وزكريا ويحيى وأشباههم ممن جاءوا بعد موسى، هؤلاء أنبياء ويسمون رسلاً أيضاً، لكن يغلب عليهم اسم النبوة، لأنهم جاءوا تابعين لشريعة التوراة، فهم أنبياء بما جاءهم من الوحي، ورسل لأنهم مأمورون بتبليغ هذه الشريعة، شريعة التوراة، والأخذ بها والإلزام بها، فهم رسل وأنبياء.

وهذا القول أظهر وإن كان ليس هو الأشهر، بل الأول، لكن هذا القول الثاني أوضح، أوضح وأقرب للمعنى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢] فدل على أن الأنبياء يرسلون، فالرسول هو الرسول المستقل الذي جاء بشريعة مستقلة، ليس تابعاً لنبي قبله، والنبي تابع لما أنزل قبله، ولكنه أيضاً مأمور بالتبلغ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] في سورة الحج، هذا يدل على أن النبي يسمى مرسلاً، رسول مرسل ونبي مرسل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢] فدل على أن النبي يرسل.

فمن قال إن النبي لا يرسل ولا يؤمر بالتبليغ، ليس بجيد للتعليل السابق، بل الأظهر والأبين والأصح أن كلمة الرسول تنطبق على جميع الأنبياء وعلى جميع الرسل المستقلين، كلهم مرسلون، ثم أي فائدة صغيرة أو كبيرة إذا كان يوحى إليه لنفسه فقط ولا يؤمر بالتبليغ؟

فإن الفائدة تكون أقل، بخلاف ما إذا أمر بالتبليغ، فإن الفائدة تكون أعظم وأنفع للعالم، فكيف يقال إن النبي هو المقتصر على نفسه الذي لا يؤمر بتبليغ الناس إلا من تابعه باختياره فقط؟

فمن تأمل هذا عرف أن القول بأن الرسول يشمل من استقل ومن كان تابعاً لشريعة قبله، كلهم يسمون رسلاً، فليس هناك نبي لا يسمى رسولاً، بل جميع الأنبياء يسمون رسلاً كلهم، لكن من كان مستقلاً كنوح وهود وصالح ومحمد عليه الصلاة والسلام وأشباههم؛ هؤلاء أخص باسم الرسالة، وتطلق عليهم الرسالة أكثر، ومن كان تابعاً لغيره ولشريعة غيره فهو أخص باسم النبوة، ويسمى رسولاً أيضاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَآ

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢].أهـ.

سؤال/ إنزال الزبور على داود والإنجيل على عيسى؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا كالتفصيل من التوراة، ولهذا قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠] ليبين لهم بعض ما اختلفوا فيه، وليحل لهم بعض ما حرم عليهم في شريعة التوراة.أهـ.

* * *

وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إنما كان بعثة محمد عليه الصلاة والسلام أعظم لأن رسالته عامة، وفيها من التبشير والتيسير والتخفيف ما فيها، فهي لعمومها وتفصيلها وتيسيرها صارت أعظم نعمة وأكبر نعمة، فإن الله جعله رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧] كان كل رسول يبعث في قومه خاصة، فبعث الله محمداً ﷺ إلى الناس عامة، وجعل شريعته كاملة أكمل الشرائع، وجعلها منتظمة لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وإن غلط فيها من غلط وإن جهل من جهل، ولكنها رسالة عامة مضمونها الرحمة

والإحسان وتنظيم شئون العباد في دنياهم وفي أخراهم، وتوجيههم إلى أسباب النجاة فيما يتعلق بعبادتهم لله، وبما يتعلق فيما بينهم من الحقوق والمعاملات وغير ذلك، مضمونها الإنصاف والعدالة وإلزام الناس بذلك، ومنعهم من الجور والظلم، وجعلهم سواسية، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، إلى غير ذلك مما فيه سعادة المجتمع ونجاته وصلاحه، ووقوف كل فرد وجماعة عند حده الذي حد له.

وتقدم في الفرق بين الرسول والنبي، أن القول الثاني لعله هو الأظهر والأبين، أن الرسول هو المستقل، الذي ليس بتابع لشريعة قبله، هذا أخص باسم الرسول، كهود وصالح وموسى وإبراهيم ومحمد عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء مستقلون وأخص باسم الرسالة ويسمون أنبياء وهم أنبياء، كل من أمر بشرع فهو نبي ورسول أيضاً، لكن إن كان مستقلاً فهو أخص باسم الرسالة، وإن كان تابعاً لشريعة قبله فهو أخص باسم النبوة، كأنبياء بني إسرائيل، فإنهم تابعون لشريعة التوراة، وإن جاء بعضهم ببعض التخفيف، كما جاء في شريعة عيسى الإنجيل، ولكنه جاء مقرراً لشريعة التوراة وآمراً بها وحاكماً بها، ما عدا ما نسخ منها ...

ومحمد جاء مستقلاً غير تابع للتوراة ولا تابع للإنجيل، بل جاء برسالة مستقلة، وهو تشريع خاص وأحكام خاصة، قد توافق بعض ما في التوراة وقد لا توافق، ومما وافقت فيه التوراة قوله جل وعلا: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة:٤٥]، فيكون في التوراة وجاء القرآن بموافقة ذلك، لأن النفس

بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن كما في التوراة وكما في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

وزادت شريعة محمد ﷺ بأنها مخففة ميسرة، قد وضع الله عنهم الآصار والأغلال التي كانت في التوراة، وقد جعلها عامة للعرب والعجم، ليست خاصة في بني إسرائيل، بل عامة للعرب والعجم والجن والإنس والحاضرة والبادية والذكور والإناث، هذا هو الفرق بين الرسول والنبي، ويؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج:٥٢] فيدل على أنهم كلهم مرسلون، الأنبياء والرسل كلهم مرسلون ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] فجعل الرسالة عامة للأنبياء والمرسلين، وبين أن هناك نبيًّا وهناك رسولاً، فالنبي مرسل والرسول مرسل، لكن إن كان هذا النبي مستقلاً كان أخص باسم الرسالة، وإن كان تابعاً لرسالة قبله وشريعة قبله فهو أخص باسم النبوة.أهـ.

سؤال/ هذا القول الأول والثاني ينسب لمن؟

أجاب سماحة الشيخ: كلها لأهل السنة والجماعة.أهـ.

سؤال/ قوله: فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها !!

أجاب سماحة الشيخ: الرسالة أعم من جهة نفسها تشمل أمرين: تشمل بعثه إلى الناس والإيحاء إليه بشرع، والنبوة أخص، لأنها وحي له بشرع فقط، ما فيها أمر له بإبلاغ الناس على هذا التعريف، فصارت الرسالة فيها أمران: الوحي والأمر بالتبليغ، والنبوة لها أمر واحد وهو

الوحي فقط، هذا معنى كون الرسالة أعم من جهة نفسها، ولكنها أخص من جهة أهلها.أهـ .

* * *

قوله: (وإنه خاتم الأنبياء)

ش: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يسمى خاتم النبيين ... حتى لا يبقى شبهة، خاتم النبيين خاتم أي رسالة، كل رسول نبي، إذا قال خاتم النبيين عم جميع من بعث بشرع، سواءً سمي نبيًّا بشرع من قبله أو سمي رسولاً بشرع جديد، فالرسول محمد خاتمهم ليس بعده نبي ولا رسول.أهـ.

* * *

وقال ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل»[1]، أخرجاه في الصحيحين[2].

---

(١) صحيح، غير أن عزوه بهذا اللفظ للصحيحين وهم، وإنما هو عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» من حديث أبي هريرة، كما في «الجامع الكبير» للسيوطي(٢-٢٠٧-١) وأخرجه الشيخان عنه وعن جابر نحوه، وكذا رواه أحمد (٢/ ٢٤٤-٢٥٦-٣١٢-٣٩٨-٤١٢ و٣/ ٣٦١) ورواه أيضا (٣/ ٩) عن أبي سعيد الخدري.أهـ ألباني.

(٢) قال أحمد شاكر: كتب مصححوا الطبعة السلفية استدراكا في آخر الكتاب على هذا الموضع، نصه: قد اطلعنا في الصحيحين - كما نبه الشارح - على مظان الحديث، فوجدنا أنه روي بعدة وجوه، ليس فيها ما ذكره الشارح، ومما هو في البخاري في خاتم النبيين؛ ما نصه: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من باب التحقيق، تحقيق الخاتيمة، وأنه خاتمهم ليس بعده نبي ولا رسول، وأن الله قد أحكم كل شيء وأحسن إلى عباده قبل محمد ﷺ وبعده، قد أرسل لهم الرسل وأنزل الكتب ولم يبق إلا موضع اللبنة، فختم الله بعثة الرسل بهذا النبي العظيم الذي به كمل البناء وتمت رحمة الله على عباده جل وعلا. أهـ.

* * *

وقال ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»[(١)].

وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: « وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»، الحديث[(٢)].

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[(٣)].

قوله: (وإمام الأتقياء)

ش: هو ﷺ، الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث جبير بن مطعم. أهـ ألباني.

(٢) وأخرجه أبو داود أيضا وأحمد وغيرهما. أهـ ألباني.

(٣) صحيح، وهو من حديث أبي هريرة، وأخرجه الترمذي أيضا١/ ٢٩٣ وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد٢/ ٤١٢ وله عنده طرق بألفاظ أخرى، وهو مخرج في «الإرواء»(٢٨٥). أهـ ألباني.

بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي الآية الأخرى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١] في أخباره وصفاته.أهـ.

* * *

قوله: (وسيد المرسلين)

ش: قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»(١) رواه مسلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي هذا دلالة على أنه لا يخرج من قبره إلا يوم القيامة، أول من ينشق عنه قبره يوم القيامة هو محمد ﷺ، هذا يدل على أنه لا يخرج من قبره أبداً، وأن ما تقوله الصوفية الآن من أنه يحضر تجمعاتهم وحفلاتهم ويحضر موالدهم، ويقومون، يقولون: جاء النبي جاء النبي وهو لا يرى، هذا من خرافاتهم ومن كذبهم ومن ضلالاتهم، فهو ﷺ لا يخرج إلا يوم القيامة مع الناس، فهو أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، دل ذلك على أنه من جنس غيره في هذا الباب، مع الأموات، حتى يبعث الله الجميع يوم القيامة، ويكون أولهم عليه الصلاة والسلام، وهذا مصداق قوله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ

---

(١) مسلم (٧/ ٥٩) وكذا أبو داود (٣/ ٤٦٧) وابن سعد في «الطبقات»(١/ ٢٠) وأحمد (٢/ ٥٤٠) من حديث أبي هريرة، ولو شواهد كثيرة، خرجت بعضها في «ظلال الجنة» (٧٩٦،٧٩٢).أهـ ألباني.

ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون:١٥-١٦] فجعل بعثهم يوم القيامة لا قبله.

فدعوى هؤلاء الصوفية الذين يزعمون أنه يحضر حفلاتهم واجتماعاتهم ويقرها، هذاتخريف باطل لا أساس له، وهو قول على الله بغير علم وافتراء لا سبيل إلى صحته.أهـ .

* * *

وفي أول حديث الشفاعة: «أنا سيد الناس يوم القيامة»(١) وروى مسلم و الترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»(٢).

فإن قيل: يشكل على هذا قوله ﷺ: «لاتفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري هل أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله»(٣)؟ خرجاه في الصحيحين، فكيف يجمع بين هذا وبين قوله: «أنا سيد ولد

---

(١) مسلم (١/ ١٢٧) وكذا البخاري (٢/ ٢٣٤و٣/ ٢٧٢) وأحمد (٢/ ٤٣٥) من حديث أبي هريرة أيضاً، والدارمي (١/ ٢٨.٢٧) وأحمد (٣/ ١٤٤) بسند صحيح عن أنس، وزاد: «ولا فخر» والترمذي عن أبي سعيد، وسيأتي.أهـ ألباني.

(٢) وقال الترمذي (٢/ ٢٨١) «حديث حسن صحيح» واللفظ لمسلم، ولفظ الترمذي أتم، لكن فيه من هو كثير الغلط، كما بينته في «الصحيحة»(٣٠٢).أهـ ألباني.

(٣) البخاري في «الخصومات»(٢/ ٢٨١) و«الأنبياء» (١٢/ ٣٥٩) و«الرقاق» (٤/ ٢٣٤) و«التوحيد» (٤/ ٤٧٤) ومسلم في «الفضائل» (١٧/ ١٠١) وكذا أحمد (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ «لاتخيروني» وأما لفظ «لا تفضلوني» فإنما هو عند الشيخين من طريق الأعرج عنه في سياق آخر يأتي بعد حديث، وفي حديث أبي سلمة: «فإذا موسى باطش بجانب العرش» وقال الأعرج «فإذا موسى آخذ بالعرش» ورواية أحمد من طريق الأعرج وأبي سلمة معا «فأجد موسى ممسكاً بجانب العرش».أهـ ألباني.

آدم ولا فخر»(١).

فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموماً، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين الأنبياء»(٢)، إن كان ثابتاً، فإن هذا قد روي في نفس حديث

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي (٢/ ٢٨٢) وابن ماجه (٤٣٠٨) وأحمد (٣/ ٢) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» ورواه أحمد (١/ ٢٨١-٢٩٥) من هذا الوجه عن ابن عباس، وله شاهد من حديث أبي هريرة بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» أخرجه مسلم (٧/ ٥٩) وأبو داود (٤٦٧٣) وابن سعد (١/ ٢٠) وهو في الصحيحين نحوه، وتقدم قريباً، وذكرنا له هناك شاهد آخر، وله في «الصحيحة» (١٥٧١) شاهد ثالث عن سلمان. أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وهو رواية من حديث أبي هريرة المتقدم من طريق عبدالرحمن الأعرج عنه قال: «بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئا كرهه أو لم يرضه، قال: لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فلطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم: إن لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: لم لطمت وجهه؟ قال: قال يارسول الله: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض =

موسى، وهو في البخاري وغيره، لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة، بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ: «لا تفضلوني على موسى»[1]، وقوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء» نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2] فإنه تفضيل عام فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل: فلان أفضل أهل البلد، لا ينصب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل لأحدهم: فلان أفضل منك، ثم إني رأيت الطحاوي رحمه الله قد أجاب بهذا الجواب في شرح معاني الآثار.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفيه جواب آخر، أن النبي ﷺ قال هذا من باب التواضع ومن باب سد باب النزاع والخصام والتفضيل بغير الطرق الشرعية، فأراد بهذا سد باب النزاع والخصام والتفضيل الذي يفضي إلى التعصب والحمية، كما في الجواب الأول، وفيه أيضاً التواضع منه ﷺ لئلا يقع الناس في الغلو المذموم «لا تفضلوا

= إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أو بعث قبلي، ولا أقول: «إن أحداً أفضل من يونس بن متى عليه السلام «أخرجه البخاري (٢/ ٣٦٠-٣٦١) ومسلم (٧/ ١٠٠-١٠١) وقد غمز الشارح من صحته، ولا أعلم له علة، ولم يتكلم عليه الحافظ في «الفتح»(٦/ ٣١٨) وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا بلفظ: «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون** ..» الحديث نحوه، أخرجه البخاري (٢/ ٨٩) ومسلم (٧/ ١٠٢) وأحمد (٣/ ٣٣) وروى أبو داود (٤٦٦٨) الجملة الأولى منه، وهي رواية لأحمد (٣/ ٣١).أهـ ألباني.

(١) صحيح، وقد تقدم قريبا.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وتقدم قريبا.أهـ ألباني.

بين الأنبياء» «لا تفضلوني على موسى» وفي الحديث الآخر لما قيل له يا خير البرية قال: «ذاك إبراهيم»[١] والحديث الرابع: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى».

هذه الأحاديث كلها من باب التواضع ومن باب التحذير من الحط من بعض الأنبياء أو التنقص لبعض الأنبياء أو إيهام ما يدل على ذلك، فأراد بهذا سد الباب عليه الصلاة والسلام، وأن يكون التفضيل على النصوص فقط، ما جاءت به النصوص وجب الأخذ به وما لا فلا، فلا يفضل بين الأنبياء إلا بنص واضح بتفضيل فلان على فلان، وإلا فالتفضيل لمجرد التعصب أو الهوى أو الحمية أو ما أشبه ذلك هذا هو الممنوع، فأراد أن يبين ﷺ أن هذه الأمور لله، هو الذي يفضل من يشاء، وهو الذي يعلم أحوالهم سبحانه وتعالى ويعلم منازلهم، فلا يفضل أحد على أحد إلا بالنص، وإلا فقد يؤدي إلى التعصب والحمية ويفضي إلى النزاع والخصام، فدخل في ضمنه التواضع منه عليه الصلاة والسلام، وفي ضمنه أيضاً سد الباب للتفضيل الذي قد يقع بغير نظر وبغير أدلة شرعية، بل بمجرد ما في نفس الإنسان من تعصب وهوى وحمية على غير أساس. أهـ

* * *

وأما ما يروى أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس بن متي»[٢]، وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالاً جزيلاً،

---

(١) رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل / باب: من فضائل الخليل ﷺ، وأبو داود (٤٥٠٧) كتاب السنة / باب: في التخيير بين الأنبياء، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) لا أعرف له أصلا بهذا اللفظ، وتقدم قريبا في حديث أبي هريرة: «**ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متي**». أهـ ألباني

فلما أعطوه فسره بأن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً، وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى، فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متي»[1] وفي رواية: «من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب».

وهذا اللفظ يدل على العموم، لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: (فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه) هذا الكلام فيه شيء، قد يظن بعض الناس أنه أفضل من يونس لأنه لم يفعل ما يلام عليه، لأنه مستقيم ما فعل شيئاً يلام عليه، فيقع في نفسه أنه خير من يونس بن متى، فالنبي قطع هذا وقال: «**لا ينبغي لعبد** - أي عبد - **أن يقول أنا خير من يونس بن متى**» ولو كان يونس قد فعل

---

(١) مسلم وأحمد وغيرهما، ولفظه عند مسلم (٢٣٧٦) قال: «يعني الله تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبد لي (وفي لفظ: لعبدي) والرواية الأخرى للبخاري في «التفسير». اهـ ألباني.

ما فعل مما حصل به المغاضبة وصار به ملوماً، لكنه نبي كريم له أعمال أخرى وله صالحات ودعوة عظيمة، فهو من جملة الرسل الذين هم خيرة عباد الله، وإن جرى منه ما جرى، فهو لدين الله غَيْرة لله سبحانه وتعالى، فالحاصل أن هذا الكلام فيه شيء.

الأَولى: فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس في هذا المقام إذ لم يفعل ما يلام عليه.أهـ

* * *

ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم: آدم، قد قال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وآخرهم وأفضلهم وسيدهم: محمد ﷺ، قال في الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح، من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، بعد قوله: «وجهت وجهي» إلى آخره: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1]، إلى آخر الحديث، وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وأيضاً: فيونس ﷺ لما قيل فيه: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ فنهى نبينا ﷺ عن التشبه به، وأمره بالتشبه بأولي العزم حيث قيل له: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فقد يقول

(١) مسلم وأحمد وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه، وهو قطعة من دعاء التوجه بعد الإحرام، وهو مخرج في «صفة الصلاة» ص(٨٥) الطبعة السادسة.أهـ ألباني

من يقول: أنا خير من يونس: للأفضل أن يفخر على من دونه، فكيف إذا لم يكن أفضل، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «أوحي إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(١).

فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم؟ فلهذا قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متي» فهذا نهي عام لكل أحد أن يتفضل ويفتخر على يونس، وقوله: «من قال إني خير من يونس بن متي فقد كذب» فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير نقصاً، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

ولهذا أتبعه بقوله «ولا فخر» كما جاء في رواية، وهل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر: إن مقام الذي أسري به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم كمقام الذي ألقي في بطن الحوت وهو مليم؟! وأين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب ؟!

فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب.

---

(١) مسلم (٨/ ١٦٠) من حديث عياض بن حمار، وله شاهد من حديث أنس، وقد خرجتهما في «الصحيحة»(٥٧٠). أهـ ألباني.

فانظر إلى هذا الاستدلال، لأنه بهذا المعنى المحرف اللفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل، كما يأتي الإشارة إليها عند قول الشيخ رحمه الله «محيط بكل شيء وفوقه» إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا رد على من قال: لما كان في بطن الحوت في قعر البحر شابه محمداً ﷺ لما كان في الملأ الأعلى فوق السماء السابعة، جاهل مركب، هذا صوفي جاهل لا يدري ما يقول.أهـ

سؤال/ بالنسبة لكلامه على العلو وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه؟

أجاب سماحة الشيخ: مقصوده الإيهام، أنه لما كان في قاع البحر أسفل أن هذا فيه القرب إلى الله من جهة السفل، كما أن من صعد إلى السماء وصار فوق السماء السابعة في جهة العلو...يعني أن الله كما يوصف بالعلو يوصف بالسفل، هذا جهل واضح.أهـ

* * *

قوله: (وحبيب رب العالمين).

ش: ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ أنه

قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»(١) وقال: «ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن»(٢).

والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنهما خليلان، والمحبة مشتركة، فهما حبيبا الرب عز وجل وهما خليلاه، والمحبة مشتركة بين أهل الإيمان كلهم، يقول سبحانه: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤] جل وعلا، والخلة خاصة بالخليلين لإبراهيم وحفيده محمد عليه الصلاة والسلام، هذان هما الخليلان وليس لغيرهما خلة، وهي أعلى المحبة ونهايتها، والله جل وعلا يحبهما أكثر من غيرهما، والمحبة مشتركة لجميع الرسل وجميع الأنبياء والمؤمنين جميعاً، فهو يحب أولياءه وأهل طاعته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة:٤٢] لكن محبة الأنبياء والرسل محبة خاصة أكثر من غيرهم، ومحبة الخليلين محبة زائدة بلغت الخلة عليهما الصلاة والسلام.أهـ

* * *

(١) مسلم وأبو عوانة من حديث جندب، وهو طرف منه مخرج في «أحكام الجنائز» (٢١٧).أهـ ألباني.

(٢) مسلم من حديث عبدالله بن مسعود بلفظ: «خليل الله» وكذا رواه الترمذي (٢/ ٢٨٩) وصححه، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٦).أهـ ألباني.

وفي الصحيح أيضاً: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته»[١] والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي الذي فيه: «إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر»[٢]: لم يثبت[٣].

والمحبة مراتب: أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم، لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه،

---

(١) هو من حديث ابن مسعود الذي قبله.أهـ ألباني.

(٢) ضعيف لضعف زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام أيضاً.أهـ ألباني.

(٣) قال شاكر: هذا جزء من حديث طويل، رواه الدارمي في سننه ١/ ٢٦ عن عبيد الله بن عبدالمجيد، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورواه الترمذي ٤/ ٢٩٤-٢٩٥ عن علي بن نصر بن علي الجهضمي، عن عبيد الله بن عبدالمجيد بهذا الإسناد، وقال: «هذا حديث غريب» وحق للشارح رحمه الله أن يقول هنا إنه «لم يثبت»، لأن زمعة بن صالح راويه: ضعيف.أهـ

ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم، واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه: أن العشق محبة مع شهوة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأمر الأول: عدم وروده في النصوص في محبة الله لعباده وفي محبتهم له سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني: ما أشار إليه الشارح من أن العشق في الغالب يكون مع شهوة، شهوة الرجل للمرأة أو المرأة للرجل، شهوة الأنوثية المعروفة، فلا تليق بالله سبحانه وتعالى، ولهذا لا يقال عشقت الله ولا عشقني الله، وإنما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] سبحانه وتعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤] ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] هذه المراتب معروفة عند العرب، مراتب المحبة معروفة عند العرب وعند غيرهم بلغتهم.أهـ

* * *

الثامنة: التيم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يعبده، يتخذ الصاحبة معبوداً، يقول الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإن ذلك أحب أسمائي

يعني لزوم التذلل لها، التذلل للمحبوب والالتصاق به والخضوع له، وهذا لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى، فهو المستحق لأن يعبد ويذل له

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الذل الكامل، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما القطبان

فغاية الحب لله مع كمال الذل لله هذا هو العبادة الحقيقة، صادرة عن ذل وخضوع ومحبة في أداء الأوامر، فإذا أدى الأوامر وترك النواهي لله عن غاية حب مع غاية الذل، فهذا كمال العبادة، فالتعبد لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى، ولكن الشعراء والعشاق يطلقون هذا على أنفسهم، ومنه الحديث الصحيح: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم»[1] لأنه ذل له وانقاد له، فصار يرضى له ويغضب له، فصار عبداً له، نسأل الله السلامة.أهـ

* * *

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه.

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة، حسبما ورد النص.

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء.

وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٥) كتاب الجهاد/ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، و(٦٤٣٥) كتاب الرقاق/ باب: ما يتقى من فتنة المال، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: محبة العبد لغيره واضحة، لكن يجب أن يكون حبه لله فوق كل شيء، وأن يكون حبًّا متضمناً للخضوع له والذل له وطاعة أوامره وترك نواهيه وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالى، فأحب حبيب وأولى حبيب وأحق حبيب بالطاعة والامتثال والقيام بالواجب والكف عما لا ينبغي هو الرب عز وجل، وتعريفها لا يزيدها إلا جهالة، فمعناها واضح، ولكن كسائر الصفات، لا يعلم كيفية الحب من الله لعباده إلا هو سبحانه وتعالى، فليست صفاته مثل صفات خلقه، فصفاته تليق به سبحانه وتناسبه، ولا يشابه فيها خلقه جل وعلا، كاستوائه وسمعه وبصره وإرادته وعلمه وغير ذلك، كلها صفات حق ثابتة لله جل وعلا، صفاته سبحانه وتعالى لا تحصى، قد دل عليها الكتاب والسنة كما في حديث أبي هريرة وغيره، وإن كان تعدادها مدرج كما هو المحفوظ[1]، لكن المقصود أن لله أسماء كثيرة، معانيها ثابتة لله سبحانه وتعالى مشتقة، أخبرنا بها جل وعلا لكن لا يعرف كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى، يعلم العلماء معانيها في اللغة العربية، كما قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول[2]، وقد جاء معنى ذلك عن أم سلمة[3] وربيعة بن أبي عبدالرحمن من أجلِّ

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢) كتاب الدعوات/ باب أسماء الله الحسنى بالتفصيل، وقال: هذا حديث غريب، وقال شيخ الإسلام: تعيينها ليس من كلام النبي باتفاق أهل المعرفة بحديثه. أهـ الفتاوى ٦/ ٣٨٢.

(٢) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤) ١/ ٤٤١ سياق ما روي في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦) وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٥-٣٢٦، والذهبي في مختصر العلو ١٣١ -١٣٢، وصححه وقال: هذا ثابت عن مالك. وقواه الألباني، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٣) ١/ ٤٤٠ وابن بطة في الإبانة (١٢٠) ٣/ =

شيوخ مالك[1]، ولكن نفس الكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، الاستواء معلوم والسمع معلوم والعلم معلوم والإرادة معلومة والحب معلوم، وهكذا السمع والبصر، وهكذا الضحك، وهكذا الرضى، كلها صفات معلومة، لكن كيفية وقوعها من ربنا عز وجل لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، لا يشبّه بخلقه كما قال عز وجل: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص:٤] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وقد أشكل هذا المعنى على طوائف كثيرة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم، فضلوا عن سواء السبيل وحرفوا هذه الأسماء ونفوا معانيها عن الله عز وجل، وأثبت بعضهم أسماء مجردة، وبعضهم نفى الأسماء والصفات جميعاً فضل وأضل، وقوم تناقضوا فأثبتوا بعضاً ونفوا بعضاً وأوّلوا في الغالب كالأشاعرة.

أما أهل السنة والجماعة فوفقهم الله إلى الحق الذي جاء به رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام، فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله عزوجل، وقالوا: إن معانيها معلومة وأنها لائقة بالله، وأنها حقيقة ثابتة

= الرد على الجهمية، كلاهما عن أم سلمة رضي الله عنها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة موقوفا ومرفوعا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» انتهى، مجموع الفتاوى ٥/ ٣٦٥.

(١) رواه اللالكائي (٦٦٥) ١/ ٤٤١ سياق ما روي في قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ و(٩٢٨) ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن التفكر في ذات الله، وابن بطة (١٢١) ٣/ الرد على الجهمية، عن ربيعة، وقال شيخ الإسلام بعد إيراد أثر مالك في الاستواء: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك». الفتاوى ٥/ ٣٦٥.

ليست مجازاً، ولكن كيفيتها وكنهها ليس إلينا، بل هذا إلى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يعلم كيفيتها وكنهها جل وعلا، وإنما نعلم جنس المعنى، وأن يحب غير الكراهة، نعلم هذا من لغة العرب، ونعلم أن الرضى غير الغضب، ونعلم أن السمع والبصر غيران ليسا شيئاً واحداً، ونعلم أن الكلام غير المحبة، وأن المحبة غير الكلام وغير السمع والبصر، هذه صفات معلومة، الله خاطب الناس بما يعرفون وكلمهم بما يعقلون، ولكن طوى عنهم الكيفية ولم يخبرهم بالكيفية سبحانه وتعالى، فعلى العباد أن يسلموا لله سبحانه وتعالى ما أخبرهم به وما طوى عنهم، وأن لا يخوضوا فيما لا يعلمون، وكفاهم بهذا علماً وكفاهم بهذا أدباً وكفاهم بهذا استقامة، ولهذا لما خاض قوم في هذا الباب ضلوا، ما بين محرف معطل مأول، وما بين غال مشبه لله بخلقه كالمشبهة.

ولكن أهل السنة والجماعة ـ وهم الأمة الوسط ـ هداهم الله إلى خير الأمور وإلى الحق في جميع الأبواب، فصاروا وسطاً بين أهل الضلالات وبين الأطراف المنحرفة، فالحمد لله.

وهناك طائفة أخرى قد يشتبه أمرهم وهم المفوضة، وقد يظن بعض الناس أن هؤلاء هم السلف، وهذا غلط، المفوضة معناه أنهم قالوا: نفوض معانيها، يعني لا ندري ما هو المعنى، لا نعرف الكراهة هي المحبة أو غير المحبة؟ ولا نعرف ما معنى السمع ولا معنى البصر؟ نفوض هذا إلى الله، هذا جهل شديد، حتى روي عن أحمد وغيره أنهم شر من المأولة، لأنهم اعتقدوا أن الله خاطب الناس وكلمهم بما لا يعقلونه ولا يفهمونه، وكيف يعقل أن يكون معنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥] لا يعقل ولا يفهم؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؟

[البقرة:١٧٣] إن الله جواد كريم؟

هذا لا يقوله من يعقل ويفهم.

الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بصفات تعلم وتعقل، كي يرى بها كماله وعظمته سبحانه وتعالى وأنه المستحق للعبادة، فالتفويض باطل، وليس أهل السنة والجماعة مفوضة، أهل السنة والجماعة يؤمنون بالمعاني، ويعقلون أن لها معانٍ تليق بالله وأنها حق، ولكنها ليست من جنس صفات المخلوقين ولا معاني المخلوقين، بل هي أعلى وأكمل وأعظم، فالله سميع والعبد سميع، والله بصير والعبد بصير، لكن سمع الله غير سمع المخلوق وبصره غير بصره، وبينهما ما لا يخفى من الفضل والفوت، سمع الله لا يداني ولا يقارب سمع المخلوقين، وهكذا بصره وهكذا علمه وهكذا جوده وكرمه، وهكذا علوه فوق جميع خلقه، إلى غير ذلك، فصفاته سبحانه لها الكمال المطلق فهي تليق بالله، وصفات المخلوقين لها النقص اللائق بها واللائق بأهلها، فلا يساوي هذا هذا ولا يشبه هذا هذا، والعبد محل النقص والموت والمرض، تكون عليه آثام، والله له البقاء والدوام والحياة الكاملة سبحانه وتعالى، فهو الحي الذي لا يموت ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٧] فكيف يقال إن هذه الصفات تفوض ولا تعقل ولا يدرى ما هي؟

لا يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر حقًّا، لا يقول هذا من يعقل أن الله أنزل كتابه هداية للناس ورحمة وذكرى وموعظة، كيف يكون هداية وهو ما بيّن هذه الأمور؟.

فينبغي أن يعلم هذا، ويكون منه على بال، فإن في كتب العقائد أغلاطاً بين المتكلمين ينبغي الحذر منها، وأن لايقع فيها طالب العلم عن غرة وعن حسن ظن بأحد، بل يحذر ويعلم أن أسماء ربي وصفاته أمر

معلوم معقول مفهوم دال على معان عظيمة جليلة كاملة تليق بالله، لكن لا يعلم كيفيتها إلا هو، ولا يشبه بخلقه بشيء، بل هو الكامل بكل شيء، والعبد هو الناقص بكل أموره، محل النقص في كل الأمور، سمعه وبصره وحياته وكلامه، بعض الناس أخرس لا يتكلم، بعض الناس لا يسمع أصلاً، بعض الناس لا يحسن الكلام كما يريد بالكلام، إلى غير ذلك، والمخلوقون في نهاية أمرهم الضعف ثم الموت، والله ليس ينتهي إلى ضعف ولا إلى موت، بل هو القوي العظيم دائماً، والحي القيوم دائماً سبحانه وتعالى.أهـ

سؤال/ ما الفرق بين التفويض والقول بأن الكيفية مجهولة؟

أجاب سماحة الشيخ: الفرق مثل ما بين السماء والأرض والليل والنهار.

التفويض معناه: ما يُعرف معناه، ما يعرف شيء، يعني يمكن أن يكون السمع هو البصر والبصر هو الكلام والكلام هو الكراهة والكلام هو اليد وهو القدم وغير ذلك، هذا معنى التفويض، يعني لا يدرك شيء.

وأما نفي الكيفية فأعرف السمع أنه سمع الأصوات، وأعرف البصر أنه بمعنى يبصر الأشياء، وأعرف الكلام أنه الله يتكلم به ويُسمع، لكن ما أدري كيفية الكلام، كيف يتكلم كيف يسمع كيف يبصر ..؟ ما أعرف هذا.أهـ

* * *

قوله: (وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى)

ش: لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين

الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟

لأنا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة ولا يظهر أمارة كذبه في دعواه.

والغي: ضد الرشاد.

والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوى بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كلام واضح، فإن الله سبحانه وتعالى يقيم على كل شيء دليلاً وبرهاناً، فلما سبق في علمه واقتضت حكمته أن هذا الخلق يحتاج إلى رسالة ويحتاج إلى تعريف بحقه سبحانه، بعث الرسل وأنزل الكتب لإقامة الحجة وقطع المعذرة، وأقام الدلائل والبراهين على ذلك، حتى يصدق الناس ويعملوا بمقتضى ما جاءت به الرسل، فلما بين سبحانه أن محمداً خاتم النبيين، فإنه سبحانه وتعالى لا يقيم على دعوى فيدعى النبوة بعده، لا يصدقها، لأنه حكيم عليم جل وعلا، فهو لا يصدق الكاذب ولا يكذب الصادق سبحانه وتعالى، بل يقيم الدلائل على صدق الصادق وعلى كذب الكاذب، فإذا جاء من يدعي النبوة بعد محمد ﷺ أو في أي مكان كان، أو في أي وقت كان وهو كاذب، فلا بد أن تكون هناك دلائل وبراهين وحجج على بطلان دعواه، يقيمها سبحانه وتعالى في نفس الشخص وفي نفس ما يدعو إليه، وفيما يحتف به بعد ذلك. أهـ

* * *

قوله: (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى،

وبالنور والضياء).

ش: أما كونه مبعوثاً إلى عامة الجن، فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ الآية، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً، قال مقاتل: لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبله، وهذا قول بعيد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو قول على الله بغير علم، الله سبحانه وتعالى خلق الجن ليعبدوه، فهم في حاجة إلى بيان كما أن الإنس في حاجة إلى بيان.أهـ

* * *

فقد قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ الآية، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأن الله قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف:١٠٩] فعند الإطلاق ظاهره الإنس، ظاهر الإطلاق الإنس، لكن قد يكون ﴿ مِنكُمْ ﴾ يقتضي تقوية من قال إن فيهم رسلاً.أهـ

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره، سورة الأنعام (١٣٠) ١٢/ ١٢٢، وابن كثير في تفسيره، الأنعام، الآية نفسها.

وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ الآية: تدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً، والله أعلم.

وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة(١)، وفي الاستدلال بها على ذلك نظر لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ والمراد: من أحدهما.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ليس ببين، قول من قال إن منهم رسلاً على ظاهر الآية أقوى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ [الأنعام:١٣٠] هذا ظاهر صريح، وجعله لأحداهما يحتاج إلى دليل، وهكذا قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن:٢٢] القول بأنه من المالح فقط ليس بجيد أيضاً، قول ضعيف، الله أخرج للناس اللؤلؤ والمرجان منهما جميعاً، فقول من قال من الناس: إن هذا في البحر المالح خاصة، غلط، بل هو منهما جميعاً، وقد صرح بهذا كثير من أهل العلم.

وحدثني من لا أتهم من أهل البحر الذين كانوا يغوصون للآلئ، أنهم يجدون في البحر المالح والحلو من اللآلئ، في هذا وفي هذا، وليس خاصًّا بالبحر المالح.

---

(١) تفسير الطبري، الأنعام (١٣٠) ١٢/ ١٢٠، سئل الضحاك عن الجن، هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ يعني بذلك: رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن؟ فقالوا: بلى.

فالحاصل أن الآية التي اعتمدوا عليها وجعلوها كآية الأنعام، أخطأوا في هذه وفي هذه، وقول من قال إن الرسل من الجن والإنس جميعاً - وإن كانوا قليلين - قولهم أظهر للأدلة. أهـ

❊ ❊ ❊

وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى، فقد قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ **وقد قال تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ **وقال تعالى:** ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ **أي: وأنذر من بلغه، وقال تعالى:** ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ **وقال تعالى:** ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ **الآية، وقال تعالى:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ **وقد قال تعالى:** ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾.

وقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(١)، أخرجاه في الصحيحين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ما هي هذه الشفاعة الخاصة التي أعطيها؟

---

(١) صحيح، وهو من حديث جابر، وقد خرجته في «إرواء الغليل» (٢٨٥). أهـ ألباني.

الشفاعة العظمى، هي المقام المحمود بين الأمم بين أهل الموقف كلهم.

فيه شفاعة غيرها بما يخصه هو: الشفاعة العظمى، والشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة، والشفاعة في أبي طالب خاصة به وبأبي طالب، والباقي مشتركة، يعني من دخل النار يخرج، له وللملائكة والمؤمنين والأفراط.أهـ

* * *

وقال ﷺ: «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»[١]، رواه مسلم.

وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة.

وأما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصه: فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا واضح، من صدقه في أنه رسول ولو للعرب لزمه أن يصدقه في كل شيء، لأن الرسول لا يكذب، لأنه إن اعترف بأنه ولو للأميين ولو للعرب لزمه أن يصدقه في كل شيء، ولكن الغالب على اليهود والنصارى الجحد وعدم الإيمان بالنبوة جميعاً، فإنه من أقر منهم بأنه رسول إلى العرب والأميين، فهذا يلزمه أن يصدقه في كل شيء، وأن يعترف برسالته العامة للثقلين جميعاً، لأنه لما اعترف بأنه رسول لزمه أن يصدقه في كل شيء .أهـ

* * *

(١) صحيح، وهو من حديث أبي هريرة، وهو في مسلم (١/ ٩٣) ولكنه مغاير في بعض الأحرف لسياق الكتاب، وقد رواه ابن منده في «التوحيد» (ق٤٤/ ١) ولفظه أقرب، وقد خرجته في «الصحيحة» (١٥٧).أهـ ألباني.

وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتماً، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

وقوله: «وكافة الورى» في جر «كافة» نظر، فإنهم قالوا: لم تستعمل كافة في كلام العرب إلا حالاً، واختلفوا في إعرابها في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها حال من الكاف في ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ وهي اسم فاعل والتاء فيها للمبالغة، أي: إلا كافاً للناس عن الباطل، وقيل: هي مصدر كف، فهي بمعنى كفا أي: إلا أن تكف الناس كفاً، ووقوع المصدر حالاً كثير.

الثاني: أنها حال من الناس، واعترض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيراً فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله، أي: وما أرسلناك إلا للناس كافة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الأرجح، القول الثاني هذا هو الأظهر ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] والمعنى وما أرسلناك إلا للناس كافة، إلا للناس جميعاً، هذا مثل قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]مثلها في المعنى.أهـ

* * *

الثالث: أنها صفة لمصدر محذوف، أي: رسالة كافة، واعترض بما تقدم أنها لم تستعمل إلا حالاً.

وقوله: بالحق والهدى وبالنور والضياء، هذه أوصاف ما جاء به

رسول الله ﷺ من الدين والشرع المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة، والضياء: أكمل من النور، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: النور في الغالب لا حرارة فيه، والضياء نور معه حرارة، معه قوة، ولهذا الشمس ضياء، فيها قوة، لما فيها من الحرارة المحرقة، وفيها نور، والضياء نور بلا حرارة، فالقرآن العظيم والشريعة فيها نور وفيها حرارة، إقامة الحدود وردع المجرمين وقتل من يستحق القتل، فهو نور معه قوة، معه ضياء معه حرارة، تردع المجرمين وتقيم الحدود على مستحقيها، ولهذا أتي بالجميع بالنور والضياء، ففيها النور وهي نور، وفيها ضياء يحرق أهل الباطل، ويحرق من يستحق الإحراق، ويدمغ من يستحق العقوبة، وفي الحديث قال: «**الصدقة نور والصبر ضياء**»(١)، سمي ضياءً لأن فيه نوراً لكن فيه حرارة، ما كل أحد يتحمل الصبر، بل يحتاج إلى جهد وإلى تعب على ما يخالف ما في النفوس، سواء المصائب، سواء الطاعات، الصبر عن المعاصي، ما كل أحد يقوى عليه، ولهذا قال: «**وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**»(٢).

فالصبر له شدة وله قوة، ولهذا ليس كل أحد يتحمله، ولهذا تجد

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣)كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم (١٠٥٣)كتاب الزكاة/ باب: فضل التعفف والصبر والقناعة والحث على ذلك، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أكثر النفوس ليس عندها تحمل، فتستلذ الباطل ومتابعة الهوى بما تريد. أهـ

* * *

قوله: و(وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر).

ش: هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معان، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانيه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أبو الحسن الأشعري في مقاله الأول قبل أن يرجع إلى كلام أهل السنة، يعني يقولون: إنه معنى

قائم بالله، وأن الله لا يتكلم بشيء سبحانه وتعالى، وإنما هو معنى قائم بالله، فإن عبر عنه من طريق الرسل بالعربية صار قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية صار توراة، وإن عبر عنه بالسريانية صار إنجيلاً، وإن عبر عنه بلغة داود كان زبوراً وهكذا، وهذا من أبطل الباطل وأضل الضلال، فإن القرآن هو كلام الله منزل غير مخلوق، سمعه جبرائيل من الله عز وجل، وسمعه محمد من جبرائيل، وألقاه إلى الأمة عليه الصلاة والسلام، فالله يتكلم إذا شاء بالقرآن وغير القرآن، تكلم ويتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى، وليس في كلامه نقص ولا عيب ولا مشابهة لكلام البشر، بل كذاته، ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، وهي قائمة بنفسها، مصرف الأكوان مدبر الأكوان بذاته جل وعلا، ولا تشبه ذاته ذوات المخلوقات، هكذا كلامه وسمعه وبصره، وهذا من صفاته، كلها حق لا يشبه فيها صفات البشر، ولكن يؤتى الناس من جهلهم وضلالهم وقلة بصيرتهم، يؤتون من عجمتهم وقلة البصيرة وقلة العلم، وإلا فالرب عز جل من كماله ومن صفات كماله ومن أسباب استحقاقه للعبادة ومن أدلة أنه رب العالمين كونه يتكلم.

وقد عاب الله الأصنام لأنها لا تتكلم، عاب الله الأصنام وآلهة المشركين من الأصنام والكواكب وأشباه ذلك بأنها لا تتكلم، لا ترجع إليهم قولاً ولا تملك لهم ضرًّا ولا نفعاً، فعابها بهذا، عابها بكونها لا تنطق ولا تتكلم، ولكن أهل الشرك وأهل الباطل وأهل البدع في ضلال وعمى.أهـ

* * *

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا باطل أيضاً، هذا الكلام لا يستقل بنفسه، الكلام لابد له من متكلم، حروف ومعان مستقلة!! هذا غير معقول! ما هنا صوت إلا من متكلم، ولا حرف ولا معنى إلا من صاحب معنى، فهم يتكلمون عن عالم آخر، لا يعقلون، والله سماه كلاماً ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥].أهـ

* * *

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا باطل أيضاً، كلها باطلة، ما عدا قولاً واحداً وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وأنه كلام الله، الله يتكلم إذا شاء، وأنه كلم من شاء من رسله ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣] وأنه أنزل عليهم الكتب التي تكلم بها سبحانه وتعالى، وأنه يكلم الناس يوم القيامة ويكلم أهل الجنة وكلم آدم سابقاً، وهو سبحانه وتعالى كلم موسى أيضاً، وكلم محمداً ﷺ وفرض عليه الصلوات الخمس، هذا حق، فينبغي ألا تذكر هذه الأقوال إلا بالرد والإبطال والتشنيع على قائليها.أهـ

* * *

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، أن جنس الكلام قديم، الله تكلم به، والقرآن من كلامه سبحانه، وهكذا التوراة من كلامه، وهكذا ما يكون يوم القيامة حين يقول لآدم: «أخرج بعث النار»[1] من كلامه، هكذا ما يقوله لأهل الجنة، يقول لأهل الجنة: «يا أهل الجنة هل رضيتم»[2] إلخ، وهكذا كل ما يقع في الجنة، وحين يقول لأهل النار: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝ ﴾ [المؤمنون:١٠٨] كل هذا من كلامه سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وقول الشيخ رحمه الله «وإن القرآن كلام الله» «إن» بكسر الهمزة - عطف على قوله: «إن الله واحد لا شريك له».

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨٣)كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿ لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ ومسلم (٢٢٢)كتاب الإيمان/ باب: بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار،و (٧٥١٨)كتاب التوحيد/ باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم (٢٨٢٩)كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب ما في الجنة من النعيم وما يكون لأهلها من الرضوان، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني نقول: إن الله واحد لا شريك له، ونقول: إن القرآن كلام الله، لأن ما بعد القول يكسر ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٣٠] ذكر أهل العلم بالنحو واللغة أن «إن» بعد «قال ويقول» تكسر ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٣٠].أهـ

* * *

ثم قال: «وإن محمداً عبده المصطفى» وكسر همزة «إن» في المواضع الثلاثة، لأنها معمول القول، أعني قوله في أول كلامه: «نقول في توحيد الله».

وقوله: «كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً»: - رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القران لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، يحرفون الكلام عن مواضعه!

وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وخلاصة هذا أن المضاف إلى الله على قسمين:

أحدهما معان لا تقوم بذاتها إنما تقوم بغيرها كالعلم والكلام ونحو ذلك، فإضافتها إلى الله من باب إضافة الصفة إلى موصوف، لا من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، بل من باب إضافة الصفة إلى الموصوف،

مثل كلام الله، علم الله، عزة الله، علو الله، قدرة الله، هذا إضافة وصف إلى موصوفه، مثل كلام زيد، كلام عمرو، كل هذا وصف إلى موصوفه.

الثاني: إضافة عين قائمة إلى الله، مثل بيت الله الكعبة، ومثل رسول الله ومثل ناقة الله، هذا إضافة مخلوق إلى خالقه إضافة تشريف وتكريم، كقوله في عيسى إنه روح الله، هذا من إضافة التشريف ومن باب إضافة مخلوق إلى خالقه.

فالأعيان إذا أضيفت إلى الله فهي من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وإذا كانت مشرفة كبيت الله وناقة الله فهذا من باب التشريف، وإذا كانت غير ذلك فمن باب إضافة المخلوق إلى خالقه مثل أرض الله وسماء الله، يعني الأرض التي خلقها الله والسماء التي خلقها الله سبحانه وتعالى، ويقال في الخمس لأنه مال الله، ويقال في الكعبة على سبيل التشريف بيت الله، فهي إضافة مخلوق إلى خالقه على سبيل التشريف والتكريم، وهكذا ناقة الله التي هي ناقة صالح .

إضافة المعاني من باب إضافة صفة إلى موصوفها، وأما إضافة الأعيان فمن باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

لكن الأعيان قسمان :

أعيان ليس لها تشريف خاص، مثل أرض الله وسماء الله، هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه فقط.

وأعيان لها شرف ولها فضل، هذه إضافتها إلى الله من باب إضافة التشريف والتكريم وإظهار الفضل، مع كونها إضافة مخلوق إلى خالقه، فهي تجمع الأمرين، مثل ناقة الله، مثل رسول الله، مثل بيت الله، مثل مال الخمس مال الله.أهـ

❊ ❊ ❊

والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني عابهم لأنهم عبدوا من لا يتكلم، فدل على أن الله يتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه:٨٩] يعني العجل، فعابه بأنه لا يرجع قولاً، لا يتكلم ولا يملك ضرًّا ولا نفعاً. أهـ

* * *

فكان عباد العجل ـ مع كفرهم ـ أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً، وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم؟ فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ﴾ فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وكذلك تسبيح الحصا[1] والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت

---

(١) رواه اللالكائي (١٤٨٥) ٤/ ٨١٦، وابن أبي عاصم في السنة (١١٤٦) وقال الألباني: حديث صحيح.

الصاعد من لديه المعتمد على مقطع الحروف .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: من لديه يعني من لدي المخلوق، يعني ما يلزم من الكلام أن يكون المخلوق مثل الخالق، وأن يكون الخالق مثل المخلوق، هذا كالحجر يتكلم، كما قال النبي ﷺ: إنه يعرف حجراً بمكة كان يسلم عليه قبل أن يوحى إليه(١)، ما يلزم من كون الحجر يتكلم أنه مثل كلامنا وأنه يشبهنا، كذلك الجذع حين حن حنينه المعروف لما تركه النبي ﷺ وخطب على المنبر(٢)، ما يلزم أن يكون الجذع مثل بني آدم أو مثل الله عز وجل، بل الجذع له حنينه والحجر له حنينه، وهكذا بقية المخلوقات لها كلامها وعلمها وإحساسها وغير ذلك، ولا يلزم من هذا أن يكون الله مُشْبِهاً لها إذا تكلم أو علم أو قدر أو غير ذلك من صفاته سبحانه وتعالى، وإذا قلنا بهذا معناه لزم نفي جميع الصفات، وأن يجرد سبحانه من جميع الصفات، هذا لازم هذا القول الشنيع.أهـ

❊ ❊ ❊

وإلى هذا أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «منه بدا بلا كيفية قولاً» أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله «قولاً» أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل/ باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٩١٨) كتاب الجمعة/ باب الخطبة على المنبر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه،و (٣٥٨٣ ـ ٣٥٨٤ـ٣٥٨٥)كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وجابر رضي الله عنه، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٩٣).

النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهكذا قوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت:٢] ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ ﴾ [الزمر:١] فهو يبين أن هذا منزل من عنده، وأنه صدر منه، ابتدأ منه جل وعلا.أهـ

* * *

ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء – أحد القراء السبعة –: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله!

فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾؟! فبهت المعتزلي(١)!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لا يمكن في هذا التغيير لأنه مفعول مقدر ﴿ وَكَلَّمَهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣] فالمعتزلة شبه عليهم، قد يكون بعضهم عاند من أجل التشكيك في الإسلام، وقد يكون بعضهم ملحداً، يعرف أنه مبطل ولكنه أراد التشكيك، وبعضهم لبس عليه، يشير بهذا إلى اعتقاده الفاسد ،كيف يكلِم من لا يتكلم، حتى من لا يتكلم لا يكلَم، الجمادات لا تخاطب، ما يقال لها ماذا عندك وماذا قلت وماذا تريدين؟ لأنها لا تتكلم، فالذي فر منه يلزمه، لو قرأ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

(١) أورده ابن كثير في تفسيره في سورة النساء، آية (١٦٤).

تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] هل موسى جاهل حتى يكلِم من لا يتكلم؟

مع أن قوله باطل، فالمكلِم هو الله سبحانه وتعالى، ولهذا أكد كلامه ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].أهـ

* * *

وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم، قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره»(١) رواه ابن ماجه وغيره .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (١٨٤) وكذا أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٨-٢٠٩) وإسناده ضعيف كما قال الذهبي في «العلو» (٩٩) فيه أبو عاصم العباداني، واسمه عبد الله بن عبيدالله، قال الذهبي: واه، عن الفضل الرقاشي، وهو منكر الحديث كما في «التقريب»ومنه يتبين أن قول الشيخ أحمد شاكر فيما يأتي:«إسناده جيد» غير جيد، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» من رواية ابن عدي، ثم قال: «موضوع، الفضل رجل سوء» وتعقبه السيوطي في «اللآلي» (٢/ ٤٦٠-٤٦١) بأن ابن ماجه أخرجه! وهذا لا شيء، وبأن ابن النجار أخرجه من حديث أبي هريرة نحوه، وفيه سليمان بن أبي كريمة، قال السيوطي: قال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير، ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً. قلت: وضعفه أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ١٣٨) قلت: وهذا وإن كان ينفي أن يكون الرقاشي تفرد بالحديث، فلا يرفع عنه الضعف، والله أعلم.أهـ ألباني.

يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ [الأحزاب:٤٤] جنس هذا المعنى في الصحيح، وتكليمه أهل الجنة وقوله: «هل رضيتم؟ فيقولون: ما لا نرضى ربنا؟ ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة ألم تنجنا من النار؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ما هو أفضل يا ربنا؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(١).

لكن يغني عنه الأحاديث الصحيحة، ولو أتى بها المؤلف لكفى، في الصحيحين من كلام الله لأهل الجنة ما لا يحصى، تكليم الله لأهل الجنة ثابت من غير هذا الطريق، وتكليمه لآدم في الصحيحين «يقول الله يا آدم»(٢) وغير هذا مما يتعلق بكلامه سبحانه كثير جدًّا.أهـ

* * *

ففي هذا الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، وهو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل النصوص التي فيها ولا يكلمهم ولا ولا..، معناه كلام فيه تكريم لهم وفيه خير لهم، بل كلام فيه شر عليهم، وإلا فهو سبحانه يكلم الخلق كلهم، كما جاء في الحديث

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد مضى.

في الصحيحين «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث[١]، فهو يكلم الناس جل وعلا، ولكن أولياءه وأهل طاعته يكلمهم كلام تكريم وكلام إحسان وكلام رضا، وأعداءه وأهل سخطه يكلمهم كلاماً يضرهم ولا ينفعهم، كلام غاضب عليهم، لا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، نسأل الله السلامة.أهـ

* * *

فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً، وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم ﴿كُلِّ﴾ فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب.

وذلك: أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم كل، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٢) كتاب التوحيد/ باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٠١٦)كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

مخلوقاً لزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطل، وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء، وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم ﴿كُلِّ﴾ فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا شأن أهل الباطل، لازم أقوالهم التناقض والباطل المتتابع، والله جل وعلا بين أنه خالق كل شيء، فهو بصفاته هو الخالق وما عداه مخلوق، فهو سبحانه حي قيوم متكلم إذا شاء، سميع بصير إلى غير ذلك، فهو بصفاته هو الخالق سبحانه وتعالى، هو رب العالمين بهذه الصفات العظيمة، وما سواه من البشر وغير البشر فهو مخلوق لله عز وجل، فالله هو الخلاق وما سواه مخلوق، والعباد بأفعالهم مخلوقون، العبد بفعله مخلوق، ومن جملة ذلك حسناته وسيئاته وصلواته وحركاته في الصلاة وفي الصوم وفي غير ذلك مخلوقة، وهكذا سيئاته، زناه وكفره ومعاصيه كلها مخلوقة، وهي منسوبة إليه، والله خلقها جل وعلا، مشيئة وإرادة كونية وقدرة كاملة، وهي منسوبة إليهم لأنهم باشروها وفعلوها، فهو الخلاق وما سواه مخلوق، والفعل خلقه سبحانه وتعالى، والعبد بأفعاله مخلوق ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦] وأفعالهم منسوبة إليهم، فهم المصلون وهم الصائمون وهم العاصون وهم الزناة وهم السارقون وهم الذاكرون وهم الغافلون، فصفاتهم تنسب إليهم لأنها أفعالهم، وهم بصفاهم وأفعالهم مخلوقون لله سبحانه وتعالى.أهـ

❊ ❊ ❊

وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟

ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، لا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً أو كفراً أو هذياناً!! تعالى الله عن ذلك.

وقد طرد ذلك الاتحادية، فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير! لأن البصير قد قام وصف الأعمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

وبمثل ذلك ألزم الإمام عبدالعزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون(١)، بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة

---

(١) عبد العزيز المكي: هو عبد العزيز بن يحيى الكناني، أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي، قدم بغداد أيام المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في خلق القرآن، بحضرة الخليفة المأمون، وصنف كتاب «الحيدة» أثبت فيه نص مناظرته لبشر، لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر، فإنه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث، وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها، فراجع «الميزان» (٣/ ٤٤) و«طبقات السبكي» (١/ ٢٦٥). أهـ ألباني.

وإلا فدمي حلال، قال عبدالعزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، وطمع في، فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها: إما أن تقول: أن الله خلق القرآن، وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خلقه قائماً بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها، وحاد عن الجواب، فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً فقد انقطع، فقال عبدالعزيز، إن قال خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون فيه شيء مخلوق، وإن قال خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه، فهو محال أيضاً، لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله! وإن قال خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال: لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

هذا مختصر من كلام الإمام عبدالعزيز في الحيدة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو واضح، لأن الأمور الثلاثة لا محيد عنها، فإن قال إنه قائم بنفسه وإنه خلقه في نفسه فالذي في النفس ليس هو الكلام، وإنما يسمى متكلماً إذا نطق وتكلم وسمع كلامه، ثم هو ليس محلاً للحوادث سبحانه وتعالى، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته جل وعلا ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سبحانه، بل هو منزه عن ذلك، وهو مستقل بجميع صفاته جل وعلا.

وإن قال خلقه قائماً بنفسه فالكلام لا يقوم بنفسه، الكلام عرض لا يقوم بنفسه، بل لابد أن يكون من متكلم، وإن قال خلقه في غيره فلزم أن

يكون كل كلام للغير كلاماً لله، فعلم بذلك أن الصواب أنه كلامه وأنه صفته وأنه ليس واحدا من هذه الثلاث، لم يخلقه في نفسه ولا خلقه قائماً بنفسه ولا خلقه قائماً بغيره، بل هو كلامه سبحانه وتعالى يتكلم به إذا شاء، ليس بمخلوق.أهـ

* * *

وعموم «كل» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره، لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى عند قوله: «ما زال قديماً بصفاته قبل خلقه».

بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مخلوقاً، لا يصح أن يكون دليلاً.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ وما أفسده من

استدلال! فإن جعل إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾.

وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني بيناه وأنزلناه قرآناً عربياً، يعني أنزلناه بهذا الوصف وتكلمنا به بهذا الوصف بلغة العرب، لأن كل رسول يرسل بلسان قومه، فالله جعل كتابه بلسان العرب ليفقهوه ويفهموه وتقوم عليهم الحجة به، فهو كلامه سبحانه وتعالى، فأنزله بلغة اليهود التوراة، توراة بني إسرائيل، والتي ينطق بها النصارى الإنجيل، فأنزل كل كتاب باللغة التي ينطق بها القوم الذين أرسل إليهم النبي، فلما كانت العرب لها لسان والرسول منهم نزل بلغتهم، وإن كان يعمهم ما يعم غيرهم، فهو منهم وبينهم فنزل بلغتهم، ثم تترجم المعاني من اللغة التي نزل بها إلى اللغات الأخرى، للتفسير والتوجيه والإرشاد وإقامة الحجة.أهـ

سؤال/ ما معنى إذا كان متعد لمفعولين؟

أجاب سماحة الشيخ: يعني بمعنى صيّر وأنزل ونحو ذلك، ليس بمعنى خلق، قد يقول قائل: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٤] أي تخلقوا الله؟

هذا لا يقوله عاقل ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف:١٩] جعلوا الملائكة أي خلقوا الملائكة إناثا؟ ..

لا يصلح.

المقصود أنه إذا كان متعد لمفعولين فمعناه التصيير والاعتقاد ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ [الزخرف:١٩] يعني اعتقدوهم وصيروهم في أذهانهم وفي اعتقادهم كذا وكذا، ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة:٢٢٤] يعني لا تصيروا الله في أيمانكم، فتحتجوا بالأيمان التي تقولونها ضد الخير، تأتي صيّر بمعنى اعتقد على حسب المقال.أهـ

* * *

وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها! وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم! ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة،

لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهل قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله!

وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله، وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم في أنفسهم فرّقوا، فقالوا ذاك كلام الشجرة وهذا كلام فرعون، فتناقضوا.

يعني يلزمون أنه كلام الشجرة، فإذا قالوا: هو بنطقها وهو كلام الله، لزم أن يكون بنطق فرعون وهو كلام الله أيضاً، فلا يسمى كلام الشجرة لو وجد، كما أن كلام فرعون وهو كلامه ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وقد كذب في ذلك، وإذا قالوا: إنه كلام الله ـ ولو صدر من الشجرة ـ لزمهم أن يكون كلام الله ما قاله فرعون كذلك، فهذا مثل هذا، ومعلوم أن الكلام الذي صدر من الشجرة في الوادي هو كلام الله سبحانه وليس كلام الشجرة ولا من نفس الوادي، وإنما هو كلام الله، فهكذا ما صدر من الرب عز وجل من القرآن الذي أنزل على محمد والتوراة التي أنزلت على موسى هو كلام الله عز وجل، وليس صادراً من موسى ولا من محمد ولا من غيرهم من المخلوقين، أما ما يصدر من فرعون أو من زيد أو من عمرو فهو منسوب إليهم، فيلزمهم إذا قالوا إن الشجرة قالت: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ أن ينسبوا ما قاله فرعون إلى الله وأنه كلامه، فإذا

كان كلام الله صار فرعون صادقاً، لأنه كلام الله ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] لأن الله هو ربنا الأعلى، وهو لا يقول هذا إنما يريد نفسه، أنه هو ربهم الأعلى.أهـ

سؤال/ قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ المناداة من الوادي الأيمن تشير إلى العلو؟

أجاب سماحة الشيخ: سمعها موسى من هذه الناحية، وهو كلام الله عز وجل، خاطبه الله من تلك الناحية، وليس كلام الناحية ولا كلام الشجرة ولا كلام الوادي، وهو قادر على كل شيء، وأن يسمعه موسى من أي مكان، كما أسمعه محمداً ﷺ مما جاء به جبرائيل وتلاه عليه جبرائيل، فجبرائيل مبلغ، وكذلك كونه سمعه من ذلك المكان هذا من قدرة الله جل وعلا، وهو كلام الله بلفظه.أهـ

سؤال/ الذين يستدلون بهذه الآية على عدم العلو؟

أجاب سماحة الشيخ: هو ممكن أن يقال: كما أنه سبحانه وتعالى يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، ينزل للقضاء بين عباده، يمكن أن يقال إنه سبحانه وتعالى نزل نزولاً خاصًّا يليق به سبحانه وتعالى وخاطبه من هناك على هيئة يعلمها سبحانه وتعالى.

ويمكن أن يقال: إنه صدر الكلام من الله جل وعلا، تكلم به وهو فوق العرش وظهر لموسى من ذلك المكان، سواء كان بيد ملك تكلم به مبلغاً عن الله عز وجل، فيكون نطق به الملك وتكلم به الملك مبلغاً، كما نطق به جبرائيل مبلغاً، وكما بلغنا محمد عليه الصلاة والسلام مبلغاً، فهو

كلام الله من حيث الابتداء وكلام الرسول أو جبرائيل أو غيره من الملائكة من جهة التبليغ، كما جاءت به السنة في النزول.

فبقي أن يقال: إنه كلام الله تكلم به ولم يشاهده موسى، ولكنه سمع الكلام من ذلك الجانب بإذن الله سبحانه وتعالى، سواء كان ذلك الجانب ملكاً تكلم هناك وسمعه موسى، أو هو نزول خاص كنزوله إلى السماء الدنيا ونزوله يوم القيامة نزولاً خاصًا، ولا يلزم منه عدم العلو، فإن النزول الخاص الذي يظهر الله به يوم القيامة لا ينافي علوه وفوقيته سبحانه وتعالى، كما أن نزوله إلى السماء الدنيا لا ينافي علوه وفوقيته، فهو فوق العرش، والنزول الذي أخبر به عن نفسه في السماء الدنيا، والنزول الذي يكون يوم القيامة لفصل القضاء لا ينافي العلو، فالعلو ثابت لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، وهذا النزول الذي أخبرنا به أيضاً لا نكيفه ولا نعرف كيفية وقع، قد يكون نزولاً خاصًّا حصل به ظهور كلام من ذلك الجانب مع علوه، فهو لا يشابه المخلوقين، ولا يلزم على صفات المخلوقين إذا صار في مكان لزم خلو المكان الآخر، هذا يلزم المخلوقين، أما في حقه سبحانه فلا يلزم، لأنه ليس مثل المخلوقين ولا صفاته مثل صفات المخلوقين، فهو سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا كما يشاء، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى، نزوله يليق به لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى، كذلك نزوله يوم القيامة للقضاء بين عباده نزولاً يليق بجلاله وعظمته لا نعلم كيفيته.

وقد راجعت كلام أهل التفسير في قصة موسى والنداء في سورة القصص وفي سورة طه وفي سورة مريم، ولم أجد كلاماً شافياً واضحاً في هذا، وإنما عموم وإطلاقات ليس فيها الكلام الشافي.

فالمقام يحتاج إلى مزيد من العناية للوقوف على الحق في قصة

موسى وخطاب الله له في السور الثلاث، في سورة طه والقصص ومريم، ولكن فيما يظهر ويتبادر هو هذا، أنه أمره الله له بذلك المكان من ناحية الوادي، ويكون هذا من تبليغ ملك قد بلغه، كما بلغ جبرائيل وكما بلغ غيره من الرسل، بعض الملائكة قد ينزلون بأشياء، وقد يكون نزولاً خاصاً سمعه موسى ولم يره، ولما طلب الرؤية قال: ﴿ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف:١٤٣] فسمع الكلام ولم ير الذات، وهذا النزول خاص، الله سبحانه وتعالى أعلم بكيفيته، هل هو نزول بالذات ولا ينافي العلو الذي هو في الغالب وهو مستقر؟ أو هو نزول بمعنى إنزال ملك تكلم بكلامه سبحانه وتعالى وأسمعه موسى ؟.أهـ

سؤال/ الذي يظهر أن موسى عليه السلام سمع كلام الله سبحانه وتعالى بغير وحي، وهذه خاصية موسى عليه السلام أنه كليم الرحمن؟

أجاب سماحة الشيخ: ليس بلازم، سمع كلام الله جل وعلا وليس بلازم من جهة الصحاري، قد يكون سمعه في مواضع أخرى، وهذا يصدق عليه أنه سمع كلام الله ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ [النساء:١٦٤] مثل ما كلم محمداً ﷺ بواسطة، لا يلزم من هذا أن يكون رؤية أو ذاتاً حضرت إليه، المقصود أنه سمع الكلام ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] سواء من فوق أو من أي مكان، كما أن محمداً سمع كلام الله وهو فوق السماوات حين فرض الله عليه الصلوات الخمس ولم ير ربه، فلا يلزم من الكلام الرؤية.

سؤال/ لا تلازم بين الكلام وبين النزول، نقول: إن موسى سمع كلام الله وهو فوق العرش وأظهره الله سبحانه وتعالى له فسمعه من حافة الوادي!!

أجاب سماحة الشيخ: الله أعلم، لا تلازم بين الكلام وبين النزول، وهذا ممكن، وهو ظاهر كلام السلف، لا يلزم من ذلك النزول عن العرش ولا مفارقة العرش، كما قالوا في غير هذا، في مسألة النزول إلى السماء الدنيا، ولكن كلامهم على الصفات ليس بواضح كما ينبغي، فإنهم ردوا على الجهمية والمبتدعة جميعاً.

ولكن ليس هناك جواب واضح كما يظهر لي في سورة طه ومريم والقصص في هذا الكلام الذي سمعه موسى، فهو كلام الله بلا شك، لكن هل هو الكلام الذي تكلم به سبحانه فوق العرش وسمعه موسى في هذه الناحية كما هو ظاهر كلامهم؟ أم هناك كيفية أخرى حصل منها هذا الكلام، كما يقال في مسألة النزول إلى السماء الدنيا؟

هذا هو محل النظر والبحث.أهـ

سؤال/ المأولة استدلوا بهذه الآية على نفي العلو؟

أجاب سماحة الشيخ: قد احتجوا بها على نفي العلو، ولكن لا يلزم من ذلك، كما لا يلزم من نزوله إلى السماء الدنيا نفي العلو، فالعلو حاصل، وما يقع من نزول إلى السماء الدنيا أو نزول يوم القيامة والمجيء يوم القيامة لا ينافي العلو.أهـ

* * *

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ وهذا يدل على أن

الرسول أحدثه، إما جبرائيل أو محمد.

قيل: ذكر الرسول معرِف أنه مبلغ عن مرسله، لأنه لم يقل إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأ من جهة نفسه.

وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبرائيل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

وأيضاً: فقوله رسول أمين(١)، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

وأيضاً: فإن الله قد كفر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعله قول محمد، بمعنى أنه أنشأه فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو ملك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً، لا من قاله مبلغاً، ومن سمع قائلاً يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»(٢) قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول:

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: الآية التي ذكرها الشارح ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ جاءت مرتين في سورة الحاقة: ٤٠ وليس فيما بعدها الوصف بلفظ ﴿أَمِينٖ﴾ والأخرى في سورة التكوير: ١٩ ثم بعدها ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ ٢٠ــ٢١ فتعبير الشارح بقوله: وأيضاً فقوله: رسول أمين. فيه شيء من التساهل، لم يرد به حكاية التلاوة، وإنما أراد المعنى فقط، ولو قال: وأيضاً فوصف الرسول بأنه ﴿أَمِينٖ ..﴾ كان أدق وأجود. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول حديث في صحيح البخاري. أهـ ألباني.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذب، ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أو كلام غيرك ؟

وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات، أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، أو أنه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والكلام الأخير هو كلام السلف، الله سبحانه وتعالى يتكلم إذا شاء متى شاء، وليس معنى واحداً بل هو معانٍ، فمعاني آيات فصلت غير معاني ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣] وهكذا هو معانٍ متعددة، أنزله الله جل وعلا لبيان الحق للناس والتشريع للناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وهكذا ما جاء في التوراة وما جاء في الإنجيل كلام متنوع، فالذي يتعلق بالقصص عن الأمم معنى، والذي يتعلق بتحريم المحرمات معنى، والذي يتعلق بالأوامر معنى، والذي يتعلق بالجنة له معنى، والذي يتعلق بالنار له معنى، فمن قال إنه معنى واحد فقد أعظم على الله الفرية، وقد أتى بقول لا وجه له عند العقلاء، بل هو من أكذب الأقوال وأضلها، فليس يقول عاقل إن قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة:٢-٣] مثل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ۝١ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] إلخ، ولا يقول عاقل إن قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] مثل قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ [ق:٣٧] ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ ﴾ [الحاقة:٤٠] وما أشبه ذلك، فهو معان متنوعة، أرسل الله بها أنبياءه ورسله لإرشاد البشر وتوجيه البشر إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم، وأكمل هذه الكتب وأعظمها القرآن العظيم، فهو أشملها وأشرفها وأكثرها وأعظمها إعجازاً.أهـ

* * *

وقد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: للتلبيس، حتى يظن الجاهل أنه موافق لهم.أهـ

* * *

بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين.

سؤال/ لو قيل إن قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إن الرسول قاله من عنده لكان أولى أن يقال إن جبريل أيضاً قاله من عند نفسه!!

أجاب سماحة الشيخ: لا يستقيم هذا، لأن الله أخبر عن هذا وهذا، فخبر عن الرسولين، ثم لا يقال هذا قول الرسول قول محمد قول جبريل، لأن الرسول مبلغ عن المرسل.أهـ

* * *

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟

وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع مسلم في بطلانه، ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع.

ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي هذا المعنى ما رواه مسلم في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»(١). أهـ

* * *

والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها/ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ورواه أحمد ٤/ ١٢٦.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: معنى نوع كلامه قديم يعني ليس كل الكلام قديم، جنس الكلام ونوع الكلام قديم، لم يزل يتكلم سبحانه وتعالى، لكن ليس جميع الكلام قديم، بل هناك كلام صار وتكلم به الرب عز وجل بعد الذي تكلم به سبحانه وتعالى، مثل كلامه مع موسى، مثل كلامه مع محمد، مثل كلامه مع آدم، ومثل كلامه يوم القيامة للناس وفي الجنة، كل هذا كلام جديد، وهذا معنى قوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢] عند جمع من أهل العلم: محدث يعني جديد، نزل وصار بعد أن لم يكن، تكلم الله به أخيراً ولم يتكلم به سابقاً.

وأما من قال: إن هذا الكلام كله قديم، وأن المعنى بالله قديم ثم أنزله بعد ذلك؛ هذا من أقبح الغلط والضلال، فالله جل وعلا لم يزل يتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى، ولم يزل يقول متى شاء وكيف شاء سبحانه وتعالى، فليس بأخرس لا يتكلم، ولو كان كذلك لكان عيباً وقدحاً في إلهيته سبحانه وتعالى، وقد عاب الله الأصنام بأنها لا تكلم ولا تعي ولا تفهم ولا تنفع ولا تضر.أهـ

سؤال/ من قال: إنه قديم بمعنى أن الله يعلم ما سيتكلم به؟

أجاب سماحة الشيخ: هو يعلم كل شيء سبحانه وتعالى، لكن ليس المعنى هكذا، يعلم ما يكون في الجنة ويعلم ما يكون يوم القيامة، ولكن العلم غير الوجود، مثل ما أنه يعلم أعمال العباد، ويعلم الشقي والسعيد والصالح من الفاسد والموحد من غيره، لكن لا يؤاخذهم بهذا العلم حتى يعملوا، فإذا عملوا تعلق بذلك الثواب والعقاب، فهو يعلم أن

أبالهب شقي وأن أبا جهل شقي، وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سعيد، ولكن بعد ما وجد منهم هذا استحق من أطاع الثواب واستحق من عصى العقاب، فهو لا يؤاخذ بما علم، ولكن يؤاخذ بما فعله المكلف بعد ذلك.أهـ

سؤال/ القديم؟

أجاب سماحة الشيخ: ليس من أسماء الله المعروفة، ولكن يؤتى به للرد على من قال بخلق القرآن، هذا المقصود، يؤتى به من باب الرد، مثل ما يقال: شيء وموجود، للرد على من أنكر وجوده.

معنى القديم، لا يلزم من القدم الكلي الأزلية، كل شيء مضى عليه دهر حتى صار بعده شيء جديد قيل له قديم، كما قال تعالى: ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس:٣٩] يقال له العرجون القديم إذا أتى العرجون الجديد، وهكذا يقال ثوب قديم إذا توسخ وحل وضعف، ولهذا جاء في النصوص الأول، والأول الذي لا يسبقه شيء ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد:٣].أهـ

سؤال/ استعمل كثيراً!.

أجاب سماحة الشيخ: استعمل كثيراً في كلام أهل البدع في الغالب.أهـ

سؤال/ القيوم ؟

أجاب سماحة الشيخ: القيوم الذي لم يزل كذلك، الأزلي

والمستقبل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].أهـ

* * *

وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر، فإنه قال: والقرآن في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني مهما كان التصرف في الصدور أو في الصحف أو من التلاوة، كله كلام الله عز وجل لا يختلف، المحفوظ في الصدور هو كلام الله، المسموع كلام الله، المقروء من القارئ كلام الله، المكتوب كلام الله، المنزل هو كلام الله جل وعلا، لكن نفس صوت المخلوق، لفظ المخلوق الذي خلقه الله، هذا هو لفظه بالمخلوق، أما المصوت به والملفوظ به؛ هو كلام الله عزوجل، وأصواتنا مخلوقة، مثل ما قال القحطاني:

أصواتنا واللفظ مخلوقان(١).أهـ

سؤال/ ذات القرآن يقال منزل؟

أجاب سماحة الشيخ: يقال: منزل، ويقال: ملفوظ به، ويقال: مكتوب، ويقال: محفوظ. أهـ

* * *

وما ذكر الله في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره، وعن فرعون

(١) نونية القحطاني.

وإبليس فإن ذلك كلام الله إخباراً عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى.

فقوله: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً يقول يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه أشياء زينها الشيطان لبعض الناس، فقالوا: إن هذا الملفوظ حكاية عن كلام الله وعبارة عن كلام الله، وكلام الله معنى قائم بالله.

هذا من أقبح الكلام وأكذبه، فالكلام القائم بالذات غير الكلام الذي يسمع، وكلام الله سمعه أنبياؤه، سمعه موسى، سمعه المسلمون، سمعه النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء، ويسمعه الناس يوم القيامة، يسمعه أهل الجنة، غير المعنى القائم بالله.أهـ

* * *

وقوله: الذي هو من صفاته لم يزل، رد على من يقول إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلماً.

وبالجملة: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيئته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله، وما يقوله من يقول: إن كلام الله قائم بذاته، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف؛ فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً، مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى»[1].

ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه، فلا يثبتوا صفة غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا، قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات.

---

(١) البخاري ومسلم في حديث طويل لها في قصة الإفك.أهـ ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه، فلا يثبتوا صفة غيره؛ يعني فليتنهوا عن هذا الشيء.

يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه، هم وغيرهم، هكذا كلهم إذا قالوا: إنا نفينا الكلام لئلا يشابه المخلوقين، قيل لهم أنتم أثبتم شيئاً، ماذا أثبتم؟ أثبتم العلم، هل علمه كعلم المخلوقين؟

قالوا: لا، يقاس الكلام كذلك، أثبتم إرادة؟ قالوا نعم، هل إرادته مثل إرادة المخلوقين؟

قالوا: لا، فهو كذلك الكلام وهكذا الاستواء وهكذا الرحمة وهكذا الغضب وهكذا الكراهة، أهل السنة والجماعة يثبتون صفاته لكن على وجه لا يساويه غيره سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] هذه آيات عظيمة محكمة قاطعة، تبطل شبه المشبهين وضلال الضالين وتشبيه الملبسين، نسأل الله العافية. أهـ

سؤال/ قولهم هذا يلزم حلول الحوادث بالرب سبحانه وتعالى وهذا قد نفي بتخصيص!.

أجاب سماحة الشيخ: هذا كلام مجمل، إذا قيل بالحوادث إنها الصفات، قيل هذه صفات والصفات ثابتة لله، ..قد يكون لها حوادث لا أصل لذلك، للتدليس والتلبيس.

وإذا أردتم بالحوادث أن صفات المخلوقين لا تقع به، وأن ما يقع بالمخلوقين من النقص لا يحل بالله من بكاء ومن كلامهم هم ومن

أفعالهم هم ومن دمائهم وما يتعلق بالمخلوقين؛ فلا حرج.أهـ

سؤال/ أو أنهم قصدوا شيئاً كان متصفاً قبل ذلك ؟

أجاب سماحة الشيخ: المقصود جنس الشيء الذي لا يليق به سبحانه وتعالى، وإلا فهو يتكلم متى شاء سبحانه وتعالى، فالحوادث لها معنيان: حوادث من صفات المخلوقين، هذه لا تحل به سبحانه وتعالى، وحوادث معناها صفات تتجدد يفعلها إذا شاء، خلق آدم بعد أن لم يخلقه، هذا وصف الخلق، كما خلق السماوات قبل ذلك، وتجدد خلق آدم، ثم خلق بعد ذلك غير آدم، هذا وصف يتجدد، وهكذا الكلام تكلم قبل خلق آدم، وتكلم حين خلق آدم، وتكلم مع موسى، وتكلم مع محمد، كل هذه صفات متجددة.أهـ

سؤال/ يقصد من بالكلام على هذا ؟

أجاب سماحة الشيخ: الأشاعرة هم المعروفون بهذا، وإلا فالمعتزلة لا يثبتون شيئاً من الصفات أبداً، لكن المعروف بهذا هم الأشاعرة.أهـ

سؤال/ ألا يثبتون الكلام ؟

أجاب سماحة الشيخ: يثبتونه لكن لهم فيه بعض التأويل، يثبتون الصفات السبع، لكن يقولون حكاية، ليس الملفوظ كلام الرب لكنه حكاية عن كلام الرب[1]، فيجعلون كلام الرب المعنى القائم بذاته، وهذا باطل، وهكذا الكلابية مثلهم اختلفوا في اللفظ، الكلابية قالوا حكاية،

(١) التعبير عن كلام الله بأنه حكاية هو قول الكلابية، فلعله سبق لسان من الشيخ رحمه الله.

رقَعْ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

والأشعرية قالوا القول الثاني - عبارة -. أهـ

* * *

وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة؟ وقد قال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»(١)، فهل يقول عاقل إنه ﷺ عاذ بمخلوق؟

بل هذا كقوله: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك»(٢)، وكقوله: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(٣)، وكقوله: «وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا»(٤)، كل هذه من صفات الله تعالى.

وهذه المعاني مبسوطة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: رحمه الله وجزاه الله

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٣/ ٤١٩) وابن السني (٦٣١) عن عبد الرحمن بن حنبش مرفوعا بسند صحيح. أهـ ألباني.

وقال شاكر: جاءت هذه الاستعاذة في حديث مرسل، رواه مالك في الموطأ: ٩٥٠-٩٥١ عن يحيى بن سعيد مرسلا، وذكر السيوطي في شرحه ٣: ١٢٦ أنه «وصله النسائي من طريق محمد بن جعفر عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش السلمي عن ابن مسعود» وأنه وصله البيهقي في الأسماء والصفات، ومراده برواية النسائي أنه في عمل اليوم والليلة لا في السنن، ووجدته من وجه آخر في مسند الإمام أحمد: ١٥٥٢٦-١٥٥٢٧ (ج٣ص٤١٩ من طبعة الحلبي) من حديث عبد الرحمن بن خنبش، ورواه من حديثه أيضاً: ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم: ٦٣١ وذكره الحافظ في الإصابة ٤: ١٥٧ في ترجمة عبد الرحمن بن خنبش. أهـ.

(٢) مسلم، وقد مضى. أهـ ألباني.

(٣) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني.

(٤) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني.

خيراً، وهذا من كلام ابن كثير، قال في مواضع: قال شيخنا ابن كثير، فهو من كلام ابن كثير، قد اعتنى به وسار على نهجه.أهـ

* * *

وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات، لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت كلام الله لدلالتها عليه وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام.

قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازاً!

وهذا الكلام فاسد، فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ هو معنى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يحتمل هذا المعنى، وعلى كل حال هذا قول فاسد، القول بأن كلام الله معنى قائم بالله، وأنه يختلف باختلاف الألفاظ والعبارات والدلائل، هذا من أفسد الأقوال عقلاً وشرعاً، فإن الواحد منا لو كان كلامه لا يتغير، بل هو كلام واحد، لكان نقصاً في حقه، وكان آية عبرة، لأن المعاني تختلف، وتختلف ألفاظها ودلائلها، فالزعم بأن الكلام معنى واحد قائم بالله، وإنما تختلف عنه التعابير، هذا من أفسد الأقوال.

ثم هو يحتمل أن يكون معنى الكلام واحداً كما قال الشارح، فيكون معنى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] في زعم هؤلاء هو معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد:١] وهو معنى ﴿وَٱلْعَصْرِ

﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر:١-٢] وهذا لا يقوله عاقل، من تأمل ما يقول يقف على هذا، إنما يقوله من لا يعقل.

والمعنى الثاني أن يقال: إن جميع الكتب متحدة في المعنى، وأن آية الغسل في القرآن موجودة في التوراة وفي الإنجيل وفي الزبور وغير ذلك، وهكذا ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد:١] وهكذا ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ [العصر:١] فإن عبر عن هذه السور وهذه المعاني بالعربية صار قرآناً، وإن عبر عنها بالعبرانية صارت توراة وهكذا، وهذا أيضاً فاسد، وإنه يلزم عليه أن تكون شرائعنا هي شرائعهم، وأن يكون ما أمرنا به هو ما أمروا به، وما نهينا عنه هو ما نهوا عنه، والله يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] فيكون في الفاتحة نظيره في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، فعلم بهذا أن هذا القول فاسد من جميع الوجوه، لا من جهة اتحاد معنى هذا الكلام، ولا من جهة تنوع الكلام، فهو فاسد.

والصواب أن الله جل وعلا يتكلم إذا شاء، وأن التوراة غير الإنجيل، وأن الإنجيل غير الزبور، والزبور غير القرآن، والقرآن غير صحف إبراهيم وموسى إلى غير ذلك، وأن الكلام معنى ولفظا تكلم الله به عز وجل، فهو تكلم بالتوراة وتكلم بالإنجيل معنى ولفظاً، حرفاً وصوتاً، وهكذا القرآن، وهكذا كلامه سبحانه يوم القيامة حين يخاطب أهل الجنة وحين يخاطب آدم «**أخرج بعث النار**»[١] كلام يسمع، كلام له معنى يسمعه آدم ويعيه،

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وقد تقدم.

وهكذا كلامه مع أهل الجنة وهكذا كلامه مع الناس «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**»[١] كلام مسموع يسأله ماذا فعلت يوم كذا وكذا وماذا صار يوم كذا وكذا؟ ويقول لأهل الجنة : «**هل رضيتم؟ فيقولون: يا ربنا ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، قال ألا أعطيكم أفضل من ذلك** ـ هذا معنى غير معنى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ ﴾ [العصر:١] **قالوا: وما هو أفضل منه يا ربنا؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»[٢].

ثم أيضاً هذا الفرار، هم ابتلوا بهذا فراراً من التشبيه، يعني إذا قلنا إنه معانٍ وإنه يتكلم بالألفاظ، كنا مشبهين له بخلقه، وهذا من ضلالهم وجهلهم، فيقال لهم أيضاً: المعاني لا تقوم إلا بمن يفهمها ويعقلها، فإذا كان كلام الله له معنى ويعبر بكذا ويعبر بكذا، هذا لا يعقل إلا فيمن يعقل، فيمن يفهم، فيمن له علم، فالحجر والشجر لا يقال إنه يفهم كذا ويفهم كذا ويعقل كذا، ويكون في نفسه معان يعبر عنها بكذا ويعبر عنها بكذا، وهكذا البهيمة لا يقال فيها إنها تفهم كذا وتعقل كذا ويعبر عنها بكذا، فإذا قلتم هذا معناه أن هذا تشبيه لله بالجمادات وبكل ما يتنزه الله عنه سبحانه وتعالى من الحيوانات. أهـ

* * *

وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فساده، وعلم أنه مخالف لكلام السلف، والحق: أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى،

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد مضى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا يتناهى ويتنوع، ليس معنىً واحداً، فمعنى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص:١] غير معنى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد:١] ومعنى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] غير معنى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ [العصر:١-٢] ومعنى ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ ﴾ [العصر:١] وأشباهها غير معنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [النساء:٢٣] كل له معنى، هذا غير المعنى الآخر ومخالف له، فلا يقول عاقل إن هذه معناها واحد أبدا، لا يقول هذا إلا من لا عقل له.

لا يتناهى يعني لا ينتهي، كلام كثير، كلام الله لا يقف عد حد.أهـ

* * *

فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب المحدث مسه، ولو كان ما يقرأه القارئ ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «المحدِث» فيه تسامح، لأن المحدث لا يمنع من قراءته، بل يقرأه المحدث عن ظهر قلب، وإنما هو على الجنب فقط، والحائض والنفساء في قول، وأما مسه المصحف فيحرم على الجميع، فكلمة «المحدث» فيها تسامح.أهـ

* * *

بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، كما قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة، وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابته: فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به: فهم منه معنى صحيح حقيقي، وإذا قيل: المداد في المصحف: كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، ونحو ذلك، وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه كلام الله، ومن لم يتنبه للفروق بين هذه المعاني ضل ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، من لم يهتد له فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا من كلام لبيد حقيقة، وهذا خط فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى.

والقرآن في الأصل: مصدر، فتارة يذكر ويراد به القراءة، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: علقه البخاري في

(١) صحيح، رواه أبو داود وغيره من أصحاب السنن، والحاكم وأحمد بسند صحيح عن البراء بن عازب «صحيح أبي داود» (١٣٢٠). أهـ ألباني.

الصحيح في كتاب التوحيد[١].أهـ

* * *

وتارة يذكر ويراد به المقروء، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وقال ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»[٢].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على كل من المعنيين المذكورين، فالحقائق لها وجود عيني وذهني ولفظي ورسمي، ولكن الأعيان تعلم، ثم تذكر، ثم تكتب، فكتابتها في المصحف هي المرتبة الرابعة، وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ولا لسان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ينقله من كتاب إلى كتاب ولو ما ...، إنما صار ينقل من كتاب إلى كتاب ومن كلام إلى كلام، وقد يكون كثيراً مما ينقله مثله، قد ينقله من كتاب إلى كتاب ومن مصحف إلى مصحف، يعني قد ينقل الكلام وهو ما خطر في باله، إنما ينقله من مصحف إلى مصحف، من أوراق إلى أوراق، ما حفظه في ذهنه ولا استقر في قلبه.

فالحاصل أنه له وجود، فقد يوجد في الأذهان وهو كلام الله، ويوجد في الصدور محفوظاً في القلب وهو كلام الله، يوجد في الكتابات في

---

(١) البخاري معلقاً، كتاب التوحيد/ باب قول النبي ﷺ «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة».

(٢) متفق عليه من حديث عمر، وتمامه: «فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» .أهـ ألباني.

المصاحف مكتوباً وهو كلام الله، مقروءاً وهو كلام الله، منظوراً إليه في المصاحف فهو كلام الله من حيث أنه المكتوب، والحرف المنظور إليه والمداد شيء آخر، فالمكتوب هو كلام الله، ونفس حرف الكاتب وصوت الكاتب ومداد الكاتب شيء آخر.أهـ

* * *

والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو لوح محفوظ، أو في كتاب مكنون: واضح، فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ذكره ووصفه والإخبار عنه، كما أن محمداً مكتوب عندهم، إذ القرآن أنزله الله على محمد، لم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال في الزبر، ولم يقل في الصحف، ولا في الرق، لأن الزبر جمع زبور والزبر هو: الكتابة والجمع، فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أي: ذكره، بخلاف قوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ و﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ و﴿كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يقدر: مكتوب في كتاب، أو في رق.

والكتاب: تارة يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى وضح له الفرق.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ

عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله، والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة، ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.

وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله يقول: كلام الله منه بدأ، وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: منه بدأ، وإليه يعود.

وإنما قالوا: منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: منه بدأ أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ومعنى قولهم: «وإليه يعود»: يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في

المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار[1].

وقوله: «بلا كيفية»: أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز، وأنزله على رسوله وحياً، أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول ﷺ من الملك، وقرأ على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

وقد أورد على ذلك أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، أو إنزاله الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام.

والجواب: أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله، قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ والسماء: العلو، وقد جاء في مكان آخر أنه منزل من المزن، والمزن:

(١) ابن بطة في الإبانة (١٧٤-١٧٥) موقوفاً على ابن مسعود/ باب بيان كفر طائفة من الجهمية، وزعموا أن القرآن ليس في صدور الرجال.

السحاب، وفي مكان آخر أنه منزل من المعصرات، وإنزال الحديد والأنعام مطلق، فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال؟!

فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل أنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود، والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم يقل نزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض.

ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفل، وعلى هذا فيحتمل قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وجهين:

أحدهما، أن تكون ﴿مِّنَ﴾ لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون ﴿مِّنَ﴾ لابتداء الغاية.

وهذان الوجهان يحتملان في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾.

وقوله: «وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً» الإشارة إلى ما ذكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله، أي هذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

وقوله: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية» رد على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر.

وفي قوله: «بالحقيقة» رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس

متكلماً، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى .

وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسميه أحد أخرس، لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه، لم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، وأن الله خلق في بعض الأجسام كالهوى الذي هو دون الملك هذه العبارة.

ويقال لمن قال إنه معنى واحد: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه؟

فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله، وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه، فقد قال يتبعض، وكذلك كل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئاً من كلامه .

ولما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولما قال لهم: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾ وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟

فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعدده.

وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق: أربعة أقوال:

أحدها: أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان

الروح والبدن معاً، وهذا قول السلف.

الثاني: اسم اللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية، ولهم قول خامس، يروى عن أبي الحسن، أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم، بخلاف كلام الله، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، وهذا مبسوط في موضعه.

وأما من قال إنه معنى واحد، واستدل عليه بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع[1] منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!

وقيل إنما قال:

إن البيان لفي الفؤاد

وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من

---

(١) انظر مختصر العلو للذهبي (٢٨٥). أهـ ألباني.

الناس! أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

وأيضاً: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه، والكلام على ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير اليه إشارة.

وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!

ويرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس: قوله ﷺ: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»[١] وقال: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة»[٢] واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب، من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وأيضاً: ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به»[٣] فقد أخبر أن الله عفا

---

(١) مسلم وغيره من حديث معاوية بن الحكم «صحيح أبي داود» (٨٦٢) و«الإرواء» (٣٩٠).أهـ ألباني.

(٢) النسائي وغيره بسند حسن، وعلقه البخاري مجزوما «صحيح أبي داود»(٨٥٧).أهـ ألباني.

(٣) متفق عليه، من حديث أبي هريرة «إرواء الغليل»(٢٠٦٢).أهـ ألباني.

عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(١).

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما، من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل: إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل ونحو ذلك.

ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق: فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر، فإن الله يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟

---

(١) رواه الترمذي وغيره بسند فيه انقطاع، وقد بين ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي في «شرح الأربعين» بيانا شافيا، فليراجعه من شاء. أهـ ألباني.

ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الله عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء بمثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟!

ويكون التالي - في زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سوراً مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ ويكتب لمن قرأ بكل حرف عشر حسنات، قال ﷺ: «أما إني لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1] وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين.

قال الشيخ حافظ الدين النسفي رحمه الله في المنار: إن القرآن اسم للنظم والمعنى. وكذا قال غيره من أهل الأصول.

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي وابن ماجه، والآجري في «آداب حملة القرآن» بسند صحيح، وهو مخرج في «المشكاة» أيضاً (٢١٣٧). أهـ ألباني.

وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه، فقد رجع عنه وقال: لا يجوز القراءة مع القدرة بغير العربية، وقالوا: لو قرأ بغير العربية إما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو زنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.

وقوله: «ومن سمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر» لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكاً كان أو بشراً، وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أول وحرف فقد وافق قول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» إن شاء الله تعالى.

وقوله: «ولا يشبه قول البشر» يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فلما عجزوا وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي بلغة العربية، فنفى المشابهة من حيث التكلم، ومن حيث التكلم به، ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبرائيل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ إلى نفي الصفات، وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ ﴾ ولم يقل فأتوا بحرف، أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبويوسف ومحمد: إن أدنى ما يجزئ في الصلاة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك، والله أعلم.

قوله: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر).

ش: لما ذكر فيما تقدم أن القرآن كلام الله حقيقة، منه بدأ، نبه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفياً للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل: باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه، والمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً، وسيأتي في كلام الشيخ: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» وكذا قوله:

«وهو بين التشبيه والتعطيل» أي دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، بما سأذكره إن شاء الله تعالى، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

وقوله: «فمن أبصر هذا اعتبر» أي من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه ووعيد المشبه اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

قوله: (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فانه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه).

ش: المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه

تأويلاً: فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم.

وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!

وإضافة النظر إلى الوجه، الذي هو محله، في هذه الآية، وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾.

وإن عدي بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وإن عدي بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾.

فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وروى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ قال: من البهاء والحسن إلى ربها ناظرة، قال: في وجه الله عز وجل(١).

عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فنضرت بنوره، وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾.

قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»(٢).

---

(١) ضعيف جداً، لأن في إسناده ثوير بن أبي فاختة، كذبه الثوري، وجزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، انظر مقدمة الطبعة الثانية ص٤-٥ .أهـ ألباني.

(٢) صحيح، ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بنحوه عن صهيب رضي الله عنه، وهو مخرج في «ظلال الجنة»(٤٧٢).أهـ ألباني.

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، روى ابن جرير ذلك عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهما.

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟

فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى(١).

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فالآيتان دليل عليهم:

أما الآية الأولى: فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

---

(١) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٨٨٣) في تفسير ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ ص: ٤٢١.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاماً فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ فإذا جاز أن يتجلى للجبل، الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته؟

ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـ ﴿لَن﴾ وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة: ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة،

فكيف إذا أطلقت؟

قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدًا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾.

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين ابن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بـ«لن» مؤبدا فقوله أردد وسواه فاعضدا

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل، المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا

تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، فمنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك»[(١)]، الحديث، أخرجاه في الصحيحين بطوله.

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضاً في الصحيحين نظيره، وحديث جرير بن عبدالله البجلي، قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته»[(٢)] الحديث أخرجاه في الصحيحين.

(١) متفق عليه، وهو مخرج في «ظلال الجنة»(٤٥٣، ٤٧٥).أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه، وهو مخرج في المصدر المذكور (٤٤٦، ٤٥١، ٤٦١) وفي ثبوت كلمة «عيانا» نظر عندي، بينته هناك فراجعه.أهـ ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: روي لا تَضامّون وروي لا تُضامُون فيه، روايتان، تُضامون من الضيم، وتَضامون من الضم، يعني بعضهم يضم إلى بعض، والمعنى أنكم ترونه عياناً واضحاً ليس هناك حاجة إلى التضام، حتى يضم بعضهم بعضاً، وليس هناك ضيم - زحمة - كل يراه وهو في مكانه ليس هناك مشقة، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فالله سبحانه لا شبيه له، ولكن هذا من باب تشبيه الرؤية بالرؤية، كما أن رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب أمر واضح، وكالقمر ليلة البدر في وقت الصحو دون غيم أمر واضح، فهكذا رؤية الله يوم القيامة، يراه المؤمنون يرونه في الجنة كما يشاء، أمر واضح.

رواية تُضامون من الضيم، ضامه يضيمه ضيماً إذا جحده وشق عليه، يعني زحمة، لصق بعضهم ببعض من شدة الزحام، ليري بعضهم بعضاً، ورواية تَضامّون يعني لا يطلب بعضهم أن ينضم إلى البعض، يعني يضم نفسه إلى الآخر ليريه إياه، وتضارون، الراء هذا معنى الشك يعني لا تشكون.أهـ

* * *

وحديث صهيب المتقدم، رواه مسلم وغيره، وحديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: «وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1]، أخرجاه في الصحيحين.

ومن حديث عدي بن حاتم: «وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس

(١) متفق عليه، وهو مخرج في «الضعيفة»(٣٤٦٥) تحت حديث آخر نحو هذا، لكن فيه زيادة على هذا، ولذلك خرجته هناك.أهـ ألباني.

بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول، بلى يا رب». أخرجه البخاري في صحيحه(١).

وقد روى أحاديث الرؤية نحوِ ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد ساقها الحافظ ابن كثير رحمه الله في مواضع كثيرة من التفسير، وساقها في البداية والنهاية في الجزء الثاني، ساق أحاديث الرؤية نحو ثلاثين حديثاً، ساقها وعزاها إلى أهلها.أهـ

* * *

ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤيةّ أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق، وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله؟

وكيف يفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسوله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، الذين نزل القرآن بلغتهم؟

---

(١) في المناقب.أهـ ألباني.

وقد قال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»(١).
وفي رواية: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهما يشهد أحدهما للآخر ويقوى أحدهما بالآخر فيكونان من باب الحسن لغيره، ولهذا جزم به الشارح.أهـ

* * *

وسئل أبو بكر رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم(٣)؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ذكره ابن القيم وذكره ابن كثير وغيره، وهذا من باب التواضع، ومن باب إظهار القاعدة الكلية في هذا الباب، وأن الواجب على العالم وطالب العلم أن لا يقول في القرآن برأيه مطلقاً، ولو كان في الشيء القريب، وإنما يقول عن نظر وتأمل.

وبعضهم استبعد هذا وقال: أستبعد هذا لأن الأب معروف، لكن

---

(١) ضعيف، أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عباس مرفوعا، وأوله «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، ومن قال في القرآن برأيه..» الحديث، ورواه ابن جرير أيضاً، وإسناده ضعيف كما ذكرت في «تخريج المشكاة» (٢٣٤).أهـ ألباني.

(٢) ضعيف، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جندب.أهـ ألباني.

(٣) رواه ابن عبد البر، رقم (٨٩٢) ص ٣١٣، وابن كثير في تفسيره، سورة عبس، وعزاه لأبي عبيد.

على سبيل صحة الأثر، لعله قاله حين لم يحضره أنه سمعه من لغة العرب، فقال هذا، إن صح الأثر.

والشاهد من هذا أن الواجب التثبت في الأمور، وعدم الجزم في التفسير بما لا يقطع به الإنسان ولا يعرف دليله.

والأب هو النبات المعروف الذي ترعاه الدواب، وإن لم تعلم عينه، لأنه اسم جنس يطلق على كل علف من شأن الدواب أن تأكله، لأنه ذكره بعد ما يتعلق بالفاكهة، فما قبله لبني آدم، والأب للبهائم.أهـ

* * *

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟

ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فإما أن يكون مكابراً أو في عقله شيء، فإما أن يكون مختل العقل وإما أن يكون من باب المكابرة، تكذيب الأشياء التي يقطع بها العقل.أهـ

* * *

وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة، وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف

عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته.

ولهذا لما تجلى الله للجبل: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا عليهم ملكاً لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا كان الملك مع كونه مخلوقاً قد يعجز المخلوق عن رؤيته، والشمس بقوتها يضعف المخلوق عن رؤيتها لأنه يضعف في ذلك؛ فلا يستغرب أن يضعف عن رؤية الله عز وجل في الدنيا، لأن الأبصار في هذه الدار ضعيفة، لا تتحمل أن تجابه النور «**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره**»(١) لكن في الآخرة يقوي الله جل وعلا أبصارهم ويجعل فيها من الأهلية ما يجعل حتى تستطيع أن تراه سبحانه وتعالى، ولأن الدنيا ليست دار نعيم وليست دار خلد ولكنها دار عمل، فكان من رحمة الله وحكمته أن جعل الرؤية في الآخرة، في دار النعيم لا في دار العمل، فادخر هذه النعمة

---

(١) رواه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وهذا الخير وهذه الرؤية، ادخرها لهم في الآخرة في دار الجزاء، لا في دار العمل ودار المشاق، فالرؤية نعيم وفضل من الله ادخرها لأوليائه في دار الكرامة، وجعل أبصارهم هناك تقوى على أن تراه سبحانه وتعالى، وأما هنا فهي تضعف عن ذلك ولم يقوها على هذا حتى ترى، لأنها ليست دار نعيم ولكنها دار زوال ودار امتحان، فاقتضت حكمته سبحانه أنه ادخرها لهم في الآخرة، وأن تكون الأبصار هنا على قدر الحال ههنا.أهـ

* * *

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول من أثبت موجوداً يرى لا في جهة أقرب إلى العقل من قول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يرى ولا في جهة .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: على كل حال كلاهما باطل، والسابق هذا أقرب، يعني كونه موجوداً يرى لا في جهة أقرب من قول من يثبت الوجود القائم بنفسه ولكنه لا يرى، كما تقوله الجهمية والمعتزلة ومن يثبتون الرب عز وجل ثم يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه ولا محايث له ولا مباين به ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه، وهذا معناه الوصف بالعدم، فلو أراد أحد أن يصف بالعدم فليس هناك وصف أكمل من هذا.أهـ

سؤال/ إثبات الرؤية من مذهب المعتزلة ؟

أجاب سماحة الشيخ: لا، هم أرادوا أن يتحدوا من أثبت العلو وقال إنه لا يرى.أهـ

سؤال/ من يقصد بقوله: «من أثبت موجوداً يرى لا في جهة»؟

أجاب سماحة الشيخ: قول بعض المتكلمين إنه يرى لا في جهة، حتى يتملقوا من إثبات العلو.أهـ

* * *

ويقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟

فإن أراد بها أمراً وجودياً كان التقرير: كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يرى، وليس العالم في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمراً عدمياً، فالمقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس في جهة بهذا الاعتبار.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني فوق العالم وفي الجهة العدمية الخالية فأمكنت رؤيته، لأنه إن أريد بالجهة الوجودية فهو منزه عنها، يعني لا يكون في داخل العالم ولا يحيط به العالم، ولكنه في جهة العلوية وهي جهة فوق العالم، ولهذا يشار إليه بالعلو سبحانه وتعالى، فوق العالم بائن من خلقه جل وعلا، فلا يمتنع أن يرى في هذه الحالة في الجهة العلوية التي فوق العالم.أهـ

* * *

وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان؟!

وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم

بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا داؤهم، داؤهم أنهم حكموا العقول والآراء وأعرضوا عن الكتاب والسنة، ولهذا وقعوا في الأخطاء والضلالات والأباطيل، بإعراضهم عن الكتاب والسنة وتحكيمهم عقولهم الفاسدة الظالمة، التي ليس عندها من النور والهدى ما يعينها على إصابة الحق، ففاتهم النور وفاتهم الهدى بإعراضهم عن كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وزعمهم أنها ظواهر ظنية لا تفيد اليقين، فضلوا وأضلوا، نسأل الله السلامة.

والخلاصة من هذا أن أهل الكلام ضلوا عن الحق ووقعوا في الباطل العظيم بسبب إعراضهم عن الأصول المعتبرة التي سار عليها أصحاب النبي ﷺ، وهي العناية بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وما تلقاه أصحاب النبي عن نبيهم عليه الصلاة والسلام، وما درج عليه سلف الأمة، هذا هو الطريق، فمن سلكه نجا ومن حاد عن هذا الطريق إلى الآراء والأقيسة الضالة، والأخذ عن شيوخ لا بصيرة لهم ولا علم عندهم بالكتاب والسنة؛ فإن هذا يهلك ويَضِل ويُضِل.

والطريقة الواحدة هي التي سلكها الرسل عليهم الصلاة والسلام وسلكها أتباعهم من أصحابهم ومن سار في نهجهم، هذه هي الطريقة

التي بها السعادة وبها العصمة، ومن ضل عنها هلك وأضل غيره، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله في هذا المعنى: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»(١).

وهذا الكلام الذي قاله الإمام مالك رحمه الله هو كلام أهل السنة والجماعة قاطبة، فلا صلاح للأمة في عقائدها وفي أخلاقها وفي أحكامها إلا بالطريقة التي صلح بها الأولون وسار عليها الأولون، وهي أخذ الأحكام من كتاب الله وعن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق الصحابة، من طريق أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان.

ولذلك أجمع أهل السنة والجماعة قاطبة ـ كما جاء في الكتاب والسنة ـ على أن الله فوق العرش، وأن الله في العلو سبحانه وتعالى، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم سبحانه وتعالى، وأنه يفعل ما يشاء ويختار سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، كما أجمعوا على أنه يرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأبصارهم رؤية حقيقية، يرونه في عرصات القيامة كما يشاء، ويرونه في الجنة كما يشاء سبحانه وتعالى، كل هذا أجمعوا عليه، وأجمعوا على أنه يتكلم إذا شاء وتكلم فيما مضى ويتكلم إذا شاء، وأنه في جميع صفاته لا يشابه خلقه جل وعلا، ولهذا قال عبدالله بن المبارك رحمه الله وغيره من السلف: نعرف ربنا بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه(٢). أهـ

* * *

(١) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى ٢٠/ ٣٧٥.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة، وقد تقدم.

وقوله: والرؤية حق لأهل الجنة، تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم، ولا شك في رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ واختلف في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف، مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار، وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: «لقد قف شعري مما قلت»، ثم قالت: «من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب»(١).

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد (٦/ ٤٩) في حديث لها معروف.أهـ ألباني.

والحديث رواه البخاري (٤٨٥٥) كتاب التفسير من سورة النجم/ باب :، ورواه مسلم (١٧٧) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟

ابن مسعود وأبي هريرة واختلف عنه.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رآه بعينه[١]، وروى عطاء عنه: أنه رآه بقلبه.

ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»[٢]، و في رواية: «رأيت نوراً».

وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٣].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» بألفاظ مضطربة عنه موقوفا.أهـ ألباني.

(٢) صحيح، أخرجه مسلم في آخر كتاب الإيمان، ويشهد له حديث ابن عمر مرفوعا بلفظ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل» رواه الدار قطني كما في «الدر» (٦/ ١٩١) وله شاهد مرسل، رواه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٧) طبع المكتب الإسلامي.أهـ ألباني.

(٣) صحيح، وقد مضى.أهـ ألباني.

فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر «رأيت نوراً»: أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «نور أنى أراه» النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟

فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، مثل ما قال أبو ذر عن النبي ﷺ، الصواب أن أحداً لم يره في الدنيا وأنه لا يرى في الدنيا، وتقدم لكم أن الرؤية من نوع النعيم، وأن هذا من نعيم أهل الجنة وليس من نعيم أهل الدنيا، والله جل وعلا أخبر أنه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝ ﴾ [الأنعام:١٠٣] واحتجت بهذا عائشة على أنه لم ير في الدنيا[(١)]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[(٢)] وقال: «رأيت نوراً»[(٣)]

---

(١) البخاري (٤٨٥٥) كتاب التفسير/ سورة والنجم، عن مسروق.

(٢) رواه أحمد في المسند٥/ ٤٣٣ عن عمرو بن ثابت الأنصاري عن بعض أصحاب النبي ﷺ بنحوه، والترمذي (٢٢٣٥) كتاب الفتن/ باب ما جاء في علامة الدجال، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٧٧)كتاب الفتن/ باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، بلفظ «حتى تموتوا» وذكره ابن كثير في تفسير سورة النساء آية (١٥٩) ذكر الأخبار الواردة في نزول عيسى، وعزاه إلى ابن ماجه وقال الألباني: صحيح ٤/ ٥٠٨ سنن الترمذي.

ورواه النسائي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٧٧٦٤) والحاكم في المستدرك من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (٨٦٢٠).

(٣) رواه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ ﴾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وقال: «أنى أراه»[١] فعلم بذلك أنه لم ير ربه عليه الصلاة والسلام.

وأما غيره فقد أجمع المسلمون على أنه لم يره أحد في الدنيا، ولما أراد موسى ذلك جرى ما جرى وقال له ما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ [الأعراف:١٤٣] أما في الآخرة فأجمع أهل السنة والجماعة بأنه يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، كما قال عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [المطففين:١٥] وهذا مجمع عليه في الجنة، أما في الموقف فهو الصواب أيضاً، أنه لا يراه إلا أهل الإيمان لعموم الآيات والأدلة ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ يعني يوم القيامة، فالكفار لا يرونه لا في المحشر ولا في الجنة، وإنما يراه أهل الإيمان كما أخبر الرحمن عز وجل وكما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما المنافقون ففيهم شبهة، لأنه جاء في بعض الأحاديث أنه يكلمهم وفيهم منافقوهم[٢]، ولكن النصوص الواضحة في حرمان الكفار من رؤيته تعم المنافقين، فإن أهل النفاق أخبث الناس وأشدهم كفراً، فهم من باب أولى، نسأل الله العافية.

أما ابن عباس فجاء عنه هذا وهذا[٣]، جاء عنه أنه رأى ربه بفؤاده،

---

(١) رواه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ ﴾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٨٠٦) كتاب الأذان/ باب فضل السجود، و(٦٥٧٣) كتاب الرقاق/ باب الصراط جسر جهنم، و (٧٤٣٧) كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾، ورواه مسلم (١٨٢) كتاب الإيمان/ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه أحمد في المسند.

(٣) الترمذي (٣٢٧٨-٣٢٧٩-٣٢٨٠) كتاب التفسير/ سورة النجم.

وهذا لا منافاة فيه، أما بعينه فلا، غير محفوظ عنه، إنما جاء عنه بفؤاده[١]، أو الرؤية مطلقة، وهذا هو المحفوظ عنه رضي الله عنه وأرضاه، أما بعين رأسه فلم يحفظ عنه رضي الله عنه وأرضاه[٢]، والرؤية المطلقة عنه تحمل على المقيدة التي بقوله في فؤاده، يعني بقلبه.أهـ

* * *

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك[٣]، ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى،

فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة.

وقوله: «بغير إحاطة ولا كيفية» هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

وقوله: «وتفسيره على ما أراد الله وعلمه» إلى أن قال: «لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا» أي كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه، فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له .

---

(١) رواه مسلم (١٧٥) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

(٢) الترمذي (٣٢٧٩) وقال: حديث حسن غريب، والآثار في مسألة رؤية النبي ﷺ ربه رواها اللالكائي في السنة ٣/ ٥٦٦-٥٧٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢/ ٤٨١، وابن أبي عاصم في السنة(٤٣٧) ١/ ١٩٠ وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦٣.

(٣) الرد على الجهمية (٦٤) وذكره ابن تيمية في الفتاوى ٦/ ٥٠٧، وابن القيم في الهدي ٣/ ٣٥.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني التأويل الصحيح ما وافق النصوص، وما خالف النصوص فهو التأويل الفاسد، ويقال للتأويل الموافق للنصوص هو التفسير، يقال له تفسيرها، تأويلها تفسيرها.

التأويل تأويلان:

أحدهما: تأويل النصوص بمعنى وقوع ما أخبرت به النصوص ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف:٥٣] يعني ما أخبرت به النصوص مما يكون في الآخرة، فرؤية النار ونعيم الجنة والمحشر يوم القيامة هذا تأويله، وقوع ما أخبر الله به ورسوله يقال له التأويل ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ ﴾ يعني مجيء ما أخبر به سبحانه وتعالى، وهو وجود الحقائق التي أخبر عنها الرب عز وجل في الجنة وفي النار وفي يوم القيامة، وجودها واطلاعك عليها هذا تأويلها يعني نهايتها، يعني ما تؤول إليه وتنتهي إليه.

الثاني: التفسير، كما يقول ابن جرير رحمه الله: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا يعني تفسيره.

الثالث: فهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر مرجوح، هذا هو الذي يسلكه أهل الكلام، وهو ليس بصحيح، صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لا يتبادر إلى الذهن وهو مرجوح؛ هذا لا يصح إلا إذا قام عليه الدليل، إذا دعت إليه الحاجة وقام عليه الدليل سير إليه .أهـ

* * *

فكل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن

تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه بياناً وهدىً، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدىً، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران:٧] أرجح القولين الوقوف على لفظ الجلالة، والمراد بالتأويل هنا نهاية الشيء وعاقبته، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن قرأ ﴿ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧] أراد التفسير، يعني يعلم تفسيره، ولكن نهايته وما أراد الله منه هذا هو الذي لا يعلمه إلا الله، كما في قوله سبحانه: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣] يعني إذا رأوا ما خبر الله به يوم القيامة من أحوال الجنة والنار وأحوال القيامة؛ حينئذ أيقنوا بالحقيقة وعرفوا الحقيقة، وعرفوا أنهم كانوا في باطلهم سائرين وغارقين والله المستعان.أهـ

❊ ❊ ❊

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عنى المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً كان كذباً على المتكلم، ويعرف مراد المتكلم بطرق متعددة: منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى، ومنها: أن

يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ و«إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب»(١) فهذا مما يقطع به السامع له بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقاً في إخباره، وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وحقيقة الأمر: أن قول القائل: نحمله على كذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه لما احتج عليه به ولم يمكنه دفع وروده، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

فإن قيل: بل للحمل معنى آخر، لم تذكروه، وهو: أن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره على أن مجازه هو المراد، فحملناه عليه دلالة لا ابتداء.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم أنه أراده، وهو إما صدق وإما كذب، كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره ولا يبين للسامع المعنى الذي أراده، بل يعرف بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة، ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك، ولكن المنكر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح وإفهام مراده! كيف والمتكلم يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال.

(١) متفق عليه، وتقدم، مع النظر في كلمة «عيانا». أهـ ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وكل هذا واضح، فإن الشارع إنما جاء بغاية البيان والإيضاح، وخاطب الأمة بما يعرفون ويفهمون، وأوضح لهم الدلائل على إثبات صفاته وأسمائه عز وجل، وأنه رب العالمين وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى، فتأويل أسمائه وصفاته على خلاف ظاهرها معناه تعطيل النصوص، ومعناه سوء ظن بالله عز وجل وسوء ظن برسوله عليه الصلاة والسلام، واعتقاد غير لائق أنهما أرادا من كلامهما ما هو خلاف ظاهر ذلك، هذا من باب التعمية ومن باب الغش والخيانة لا من باب النصح والبيان، ولكن كلام الله وكلام رسوله يتنزه عما يقوله أعداء الله من الظالمين كأهل البدع، وسوء الظن بالله عز وجل وبرسوله عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «كيف والمتكلم يؤكد كلامه بما ينفي المجاز» يعني لإيضاح الحقيقة، مثل قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الفتح:١٥] ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [فصلت:٢] كل هذا يبين أن كلام الله حقيقة.أهـ.

* * *

وقوله: «فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه» أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!! وهذا لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك: فإن كان النقل صحيحاً فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً، ويعارض كلام من يقول ذلك بنظيره،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أنه إذا توهم متوهم أن هذا العقل يعارض النقل أو مخالف له فإنه بين أمرين:

إما أن يكون ما توهمه عقلاً ليس بعقل، وإنما هو شبهات وترهات لا حقيقة لها، وإما أن يكون النقل ليس بثابت وليس بصحيح.

وأما نقل صحيح صريح فإنه لا يخالف عقلاً صحيحاً صريحاً أبداً، فإن الشريعة الكاملة جاءت بما يطابق العقول لا يخالفها ولا تنكره العقول.

نعم قد تأتي بما تحار به العقول، لكن عند التأمل يظهر لها صحته ويتبين لها موافقته للعقل، وإن كان قد تحاره بعض العقول، أما أن تحيله العقول وتدل على بطلانه فهذا لا يكون أبداً، وألف في هذا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله كتابه المعروف: مطابقة العقل الصريح للنقل الصحيح. أهـ

* * *

فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم أمر آخر، وهو أن عقول الناس متفاوته، فبأي عقل توزن النصوص؟

عقول الناس لا حصر لها، فهي مختلفة متناقضة كثيرة، فبأي عقل توزن النصوص؟

العقول جعلها الله ميزة للعباد يتميزون بها عن البهائم، ويعرفون بها ما يضرهم وما ينفعهم، فإذا عرف طالب العلم بعقله صحة هذا النقل واستقامة إسناده فليس له أن يخالفه أبداً، لأنه قدح في العقل وقدح في الإيمان.أهـ

* * *

فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبَره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلًا صحيْحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسل بالعبادة والخصوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره، ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب

السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره، وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله، فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟!

بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل يستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل نهدر الأقيسة، ونتلقى نصوصه، ولا نحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول! ولا يوفق قبول قوله على موافقة فلان دون فلان، كائناً من كان.

قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: «مهلًا يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»(١).

---

(١) صحيح، وأخرجه البغوي أيضاً في شرح السنة (١٢١)طبع المكتب الإسلامي، ورجاله ثقات، على خلاف معروف في عمرو بن شعيب.أهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كلام جيد، وفي هذا الحذر من الاختلاف والنزاع في السنة، وأنه واجب التسليم لها والإيمان بها وإنهاء الخلاف عندها.أهـ.

* * *

ولا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرضه عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه يكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أوقد عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم من غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير .

قوله: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

= وقال شاكر: هو الحديث ٦٧٠٢ في مسند الإمام أحمد بتحقيقنا، وهو حديث صحيح، ومعناه ثابت في المسند أيضاً مختصراً برقم: ٦٦٦٨، وثابت أيضاً باختصار من رواية عبدالرزاق عن معمر عن عمرو بن شعيب، ورواه أحمد ٦٧٤١ عن عبد الرزاق، ورواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص٧٨ من طريق عبد الرزاق، وروى مسلم في صحيحه ٢/ ٣٠٤ نحو معناه من رواية عبد الله بن رباح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو كذلك في المسند ٦٨٠١.أهـ

ش: هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء، أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[1]، وهذا كلام جامع نافع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني علينا التسليم لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وإن لم نعرف الحكم والأسرار، فالواجب على الأمة التسليم لأمر الله، فالله جل وعلا منه الرسالة وهي الأوامر والنواهي، والرسل عليهم البلاغ، والأمة عليها التسليم والانقياد، هذا هو الحق، وهذا الذي قاله ربيعة أيضاً.

فالحاصل أن الأمة عليها التسليم والانقياد لأمر الله، والتصديق بأخباره مطلقاً، ولو لم تعلم معنى ذلك الشيء، عليك أن تتعلمه وتتفهمه وتطلب معناه، ولكن لا يقف هذا التصديق والانقياد على فهم الحكمة، بل عليك أن تنقاد للأمر فعلاً وللنهي تركاً، وإن لم تفهم العلة والحكمة في هذا الشيء، فإن الإنسان إذا كان لا يقبل إلا ما فهمه وأراده صار تابعاً لهواه، لا، بل الواجب اتباع الحق مطلقاً وإن لم تعرف المعنى الذي من أجله شرعت هذه العبادة، أو من أجله نهي عن هذا الشيء، فإذا قال الرسول ﷺ افعلوا نفعل، وإذا قال لا تفعلوا لا نفعل، وإن كنا لا نعرف

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ والعلل لابن أبي حاتم ٢/ ٢٠٩.

السر ما هو، لماذا حرم هذا ولماذا أمر بهذا؟

مع أن الغالب على من تأمل النصوص بصدق ونية صالحة وتجرد ورغبة في الخير؛ أنه يرى من المعاني العظيمة والأسرار البديعة ما يشرح قلبه وينور بصيرته ويريح ضميره، وينقاد لهذا الشيء عن اقتناع وعن رغبة عظيمة وعن انشراح فيما ظهر له من المعاني العظيمة في هذا الأمر، ولما ظهر من المعاني العظيمة في النهي، ولكن ليس كل أحد كذلك.أهـ

* * *

وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولاً، فإذا عرف العامي المقلد عالماً، فدل عليه عامياً آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي، دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأني أنا الأصل في علمك بأنك مفت، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرف أنه مفت، فلزم القدح في فرعه! فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفت، ودللت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين، لا تستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفت، هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطئ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: العقل عرفت به صدق الرسالة ومميزات الرسالة وصدق الرسول ﷺ، لكن لا يلزم من هذا أن نقدم هذا الدليل على من عرفنا صدقه وأمانته، وذاك آلة عرف بها صدق الرسول ﷺ، وبعد ذلك لا يجوز أن يقدم العقل على الذي عرفنا أمانته

وصدقه، وأنه لا ينطق عن الهوى، أما العقل فقد يخطئ ويصيب.

ثم العقول لا حد لاختلافها، فعلى أي عقل تعرض النصوص وتصدق ؟.أهـ

* * *

والعاقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى، لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره، وقد علمنا بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول: هذا القرآن الذي تلقيه علينا، والحكمة التي جئتنا بها، قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان قدحاً في ما علمنا به صدقك، فنحن نعتقد موجب العقول الناقضة لما ظهر من كلامك، وكلامك نعرض عنه، لا نتلقى منه هدياً ولا علماً، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمناً بما جاء به الرسول، ولم يرض منه الرسول بهذا، بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن يؤمن بشيء مما جاء به الرسول، إذ العقول متفاوتة، والشبهات كثيرة، والشياطين لا تزال تلقي الوسواس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به!! وقد قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وقال: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ونظائر ذلك كثيرة في القرآن، فأمر الإيمان بالله واليوم الآخر: إما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا؟

والثاني باطل، وإن كان قد تكلم بما يدل على الحق بألفاظ مجملة محتملة، فما بلغ البلاغ المبين، وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه ﷺ.

قوله: (فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان) .

ش: هذا تقرير للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يتكلم في أصول الدين بل وفي غيرها بغير علم، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الآيات كلها تدل على وجوب الحذر من القول على الله بغير علم، يعني لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله لا في العقائد والأصول ولا في الأحكام؛ إلا بعلم من كتاب الله أو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام أو ينقل عن أهل العلم، أما أن يخوض فيها بغير علم فهذا فيه وعيد شديد، وهو من التكلف الذي حرمه الله، بل جعل الله القول عليه بغير علم في رتبة فوق الشرك، نسأل

الله العافية، وجعل ذلك من عمل الشيطان، كما قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩] هذا دليل على عظم خطر القول على الله بغير علم، وأنه من الفواحش الكبيرة ومن المحرمات المنكرة، فالواجب على المؤمن أن يحذر شر لسانه.أهـ

* * *

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني الكفرة، وأن عمدتهم اتباع الظن والهوى، نسأل الله العافية، يعني هذه أصولهم، الهوى المتبع والظن الفاسد ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم:٢٣] ليس عندهم علم ولا قصد صالح، لا علم نافع ولا قصد صالح، هذه حال أهل البدع والشرك، إنما يتبعون أهواءهم وإنما يعتمدون على الظن، أما أهل العلم والإيمان فإن عمدتهم على العلم النافع والقصد الصالح ـ الإخلاص ـ هكذا يجب على طالب العلم أن يكون في قصده مخلصاً لله يريد وجهه والدار الآخرة، ليس اتباع الهوى، وأن يكون على

علم، على بينة، على أساس مستقيم، ويطلب العلم من معدنه، من أصله، قال الله وقال رسوله، لا يعتمد الظن والهوى، بل هذا من شأن أهل البدع وأهل الشرك ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣] والهدى هو ما جاءت به النصوص.أهـ

❊ ❊ ❊

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾[1]. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» خرجاه في الصحيحين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الألد الخصم هو الذي يجادل بغير حق، ويأخذ بمَوَدّ الطرق هكذا وهكذا، من لديد الوادي يعني جانبيه، يعني لا يقف عند حد في خصومته، بل هو كثير الخصومات كثير التلون في خصومته لدفع الحق، لا يهمه أن يسلك الطريق الذي يغضب الله أو يرضي الله، إنما يهمه أن يرد الحق وأن يخصم خصمه ويغلب خصمه، هذا هو الألد الخصم، الألد الخصم يعني المتعنت في خصومته، المجادل بالباطل، الذي يتطلب كل طريق وإن كان معوجاً لدفع الحق وقصد الباطل، والله المستعان.أهـ

❊ ❊ ❊

(١) حسن كما قال الترمذي «المشكاة» (١٨٠) و«صحيح الترغيب» (١٣٧).أهـ ألباني.

ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذه في ذلك إلهاً غير الله، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق، كما قال عبدالله بن المبارك رحمه الله عليه:

رأيت الذنوب تميت القلوب — وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب — وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك — وأحبار سوء ورهبانها

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: صدق رحمه الله، ما أفسد دين الناس في القديم والحديث إلا ذلك، هل أفسد دين اليهود إلا علماؤهم الضالون المغضوب عليهم وعبادهم الضالون؟

وهل أفسد دين النصارى ومن قبلهم، حتى دين نوح إلا الضالون المجرمون الجاهلون؟ وهكذا هذه الأمة إنما أفسد دينها وأوقع فيها الشر والفتن والتفرق والاختلاف علماء السوء الذين ليس عندهم علم وبصيرة، وهم يدعون العلم وينسبون إلى العلم، ورهبانها الضالون المعتلون العابدون على جهالة وعلى غير علم، فيحسبهم الناس على علم ويتأسون بهم.

وهكذا الملوك، غالب الملوك هكذا، ليس كلهم، لكن غالبهم هكذا، غالب الملوك يتبعون أهواءهم وينشدون مصالحهم، وإن كان في ذلك ما يضر الأمة، ولكن فيهم الملوك الصالحون وفيهم الأخيار، ولكن الأغلب

هو هذا، فالعبرة في الأغلب، من هذا قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل:٣٤] يعني هذا شأنهم في الأغلب، لكن الصلحاء منهم كالملك داود والملك سليمان، والملوك الأخيار كمعاوية وأشباههم من ملوك المسلمين، وعمر بن عبدالعزيز وأشباههم هم ملوك وخلفاء، وهكذا كل ملك يأمر بتقوى الله وينهى عن الباطل غير داخل في الذم، الذم ينصب على كل ملك لا يُحكِّم شرع الله ولا يدعو إلى طاعة الله.

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

كلام عظيم، رأيت الذنوب تميت القلوب، فالمعاصي هي أكثر ما يميت القلوب، أول مرض، أول بلاء أنها تأتي لها بالمرض، الذنوب مرض في القلوب مثل مرض الأبدان وأشد، الزنا مرض، شرب المسكر مرض، الغيبة مرض، النميمة مرض، السب والشتم بغير حق مرض، ثم هذا المرض قد يزداد حتى يموت صاحبه، حتى يموت القلب، كما يزداد على البدن فيموت البدن.

وقد يورث: قد للتحقيق، وقد يورث الذل إدمانها، إدمان الذنوب يورث الذل في الدنيا والآخرة، في الدنيا يحتقره الناس ويفتضح وتقام عليه الحدود، ويكون ذليلاً بين المؤمنين بسبب معاصيه، وفي الآخرة إلى النار، نعوذ بالله، وأي ذل أشد من ذل أهل النار؟ نسأل الله العافية.

وترك الذنوب حياة القلوب، تركها حياة لها، مثل ما أن ترك أسباب مرض البدن من أسباب حياة البدن، لكن المريض بأسباب الحياة ومن مثل جهة الطبيب الصالح واستقام على هذا، جاءت الحياة ورجعت عليه الحياة، هكذا ترك الذنوب وترك المعاصي يسبب رجوع الحياة إلى القلب والسلامة إلى القلب والانتعاش والبصيرة.

وخير لنفسك عصيانها، يعني خير لك في الدنيا والآخرة أن تعصيها في مخالفة هواها، تعصيها في الشيء الذي يغضب الله، أما طاعتها فيما أباح الله فهو معلوم، لكن لما كان الغالب على النفوس الأمر بالفحشاء والمنكر، صار خيراً لك عصيانها.

هذا من البحر المتقارب، فعول فعول فعول.أهـ

* * *

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله، وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك، والرهبان وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة!

وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل!

وقال أصحاب الذوق إذا تعارض الذوق والكشف، وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ذوقهم باطل، يعني ذوقهم الذي وقع في نفوسهم، يعني الذي يكتشفونه بصفاء قلوبهم بزعمهم وبخلواتهم وأنسهم بالله، يظهر لهم كشف من ربهم يخالف

ظواهر ما جاءت به الرسل، بل يقول بعضهم: إن عندهم من العلوم ما ليس عند الرسل، جرهم الباطل إلى هذا، حتى إن بعضهم: يقول حدثني قلبي عن ربي، يعني ليس هناك واسطة، بدون واسطة الرسل، ينتهي بهم الأمر إلى أنهم يتلقون بزعمهم علومهم من ذوقهم الذي أخذوه عن ربهم مباشرة، جهل زائد.

ويقولون: للعامة الشرائع الظاهرة ولنا الحقائق الباطنة، حتى آل بهم الحال إلى أنهم تسقط عنهم التكاليف، لا صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا زنى ولا شيء، يعني وصلوا إلى حالة من قربهم من الله ورضاه عنهم أسقط عنهم التكاليف، هكذا فعل بهم الشيطان.أهـ

* * *

ومن كلام أبي حامد الغزالي رحمه الله في كتابه الذي سماه «إحياء علوم الدين» وهو من أجل كتبه، أو أجلها: فإن قلت: فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه؟

فاعلم أن للناس في هذا غلواً وإسرافاً في أطراف، فمن قائل: إنه بدعة وحرام، وأن العبد أن يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه فرض، إما على الكفاية، وإما على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله، قال: وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أئمة الحديث من السلف وساق الألفاظ عن هؤلاء.

قال: وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، قالوا: ما سكت عنه الصحابة ـ مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم ـ إلا لما يتولد منه من الشر،

وكذلك قال ﷺ: «هلك المتنطعون»[(١)]. أي المتعمقون في البحث والاستقصاء، واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني على أربابه، ثم ذكر بقية استدلالهم، ثم ذكر استدلال الفريق الآخر، إلى أن قال:

فإن قلت: فما المختار عندك؟

فأجاب بالتفصيل، فقال: فيه منفعة، وفيه مضرة: فهو في وقت الانتفاع حلال أو مندوب أو واجب، كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام.

قال: فأما مضرته، فإثارة الشبهات، وتحريف العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم، وذلك مما يحصل بالابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في اعتقاد الحق، وله ضرر في تأكيد اعتقاد البدعة، وتثبيتها في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل .

قال: وأما منفعته، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئتها، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل أكثر من الكشف والتعريف، قال: وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام، ثم قاله بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر سوى نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود،

---

(١) مسلم، من حديث ابن مسعود، وهو مخرج في «غاية المرام فيتخريج أحاديث الحلال والحرام» (٧).أهـ ألباني.

ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور. انتهى ما نقلته عن الغزالي رحمه الله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الكلام الذي قاله الغزالي واضح، وينبغي له أن يقتصر على ما قاله السلف وما حفظه عن السلف لأنه هو الحق، وهو الإعراض عن البحث من طريق أهل الكلام، من فرض أمور لا حقيقة لها، ومن كشف عن أشياء تورث الشبه وتوقع في الشك، فقد أعرض السلف الصالح عن علم، وتركوا هذا البحث عن يقين وعن بصيرة، فالطريق هو طريقهم، فلا حاجة إلى البحث عن الجوهر والعرض وأشباه ذلك، والبحث في الجسم، هل هو واجب الجسم، وكيف كذا وكيف كذا؟

فإن هذا لا خير فيه وضرره أكثر، وإنما الواجب تلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالقبول والإيمان والإذعان، وإمرار النصوص كما جاءت في آيات الله، في آيات الصفات وأسمائها، في توحيد الله وبيان حقه، والإعراض عما وقع فيه أهل الكلام الذين تركوا العناية بالكتاب والسنة، وأقبلوا على قول فلان وفلان، ثم تعمقوا في ذلك وأوردوا الأسئلة والجواب عنها، فوقعوا في شر كثير، وقل أن يرجع منهم من خرج إلى الباطل، قل أن يرجع إلى الصواب، ولهذا شدد الشافعي رحمه الله في هذا وقال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في الأسواق، ويقال: هذا جزاء من خرج عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام[(١)].

---

(١) ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٧٤، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

وكتاب إحياء علوم الدين كتاب فيه شر كثير، وإن كان من أجل كتبه كما قال الشارح لما فيه من بعض الفوائد، ولكنه فيه شر كثير، حتى قال بعض أهل العلم: إنه جدير بأن يسمى إماتة علوم الدين، لا إحياء علوم الدين، لما فيه من البدع الكثيرة، وتأييد مذهب الأشاعرة في نفي الصفات وتأويلها، وإذا تأمله طالب العلم وجد فيه شرًّا كثيراً ووجد فيه فوائد جمة، فيه فوائد عن أحوال القلوب وعن كثير من الأعمال، ولكن مشحون أيضاً بأشياء تضر طالب العلم، لأنها ترجع إلى مجرد الآراء وبحث أهل الكلام، كما بينه هو في كتابه هذا، فهو بين أن ما وقعوا فيه شر عظيم، وأن الطريق السوي هو الإعراض عن ذلك.

لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن القيم أن الإنسان قد يضطر إلى ذلك اضطراراً، فإن اضطر إليه جاز أن يرد عليهم بالمثل، إن اضطر إلى ذلك وجادله مجادل ممن يتبجح بما عنده من العلوم الفاسدة، وعلم من نفسه القدرة على رد هذا الباطل، وأنه قادر عليه وأن لديه من الحجج العقلية ما يبطل به حجج هذا المشبه؛ فهذا لا بأس به في حقه، وقد يجب عليه لنصر دين الله وإقامة الحجة على المبطلين، وإلا فالأصل هو الأخذ بالكتاب والسنة، والتمسك بالأدلة النقلية والكف عن الخوض في الكلام، لكن إذا اضطر إليه إنسان مع صاحب بدعة أو صاحب كلام لإقامة الحق ودحض الشبه، لئلا يقال انقطع، لئلا يقال هذا غلبه بالحق وهذه هي النصوص، إذا خشي هذا واضطر إلى أن يرد من طريق العقل ومن طريق البحث العقلي ومن طريق الكلام، وكانت عنده في هذا حصيلة، ويعلم من نفسه أنه قادر على أن يرد هذا الباطل من طريق العقل ومن طريق البحث العقلي، ومن طريق الخوض في الكلام، إذا علم من نفسه هذا وأراد نصر الحق، لا مجرد المغالبة وإظهار أنه يتفوق على هذا

الشخص أو ما أشبه ذلك، وإنما الذي يحمله على التنزل إلى هذا الأمر قصد إرادة الحق ونصر الحق، وبيان حجة أهل الحق وبطلان حجة أهل الباطل، إذا كان من هذا الطريق ومن هذا السبيل؛ فلا بأس، وقد يجب أيضاً ويتأكد عند مسيس الحاجة إليه، وعند القدرة من صاحب الحق.أهـ

سؤال/ تفسيره لقول النبي ﷺ: «هلك المتنطعون» أي المتعمقون في البحث والاستقصاء ؟

أجاب سماحة الشيخ: ليس بظاهر، المعروف عند العلماء: المتنطعون في جميع العبادات، والمتكلفون فيما يتعلق بالعبادة ويتعلق بالكف عن سلوك طريقة غير إسلامية، هذه طريقة غير موافقة للحق، كما يدل عليه حديث **«لن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه»**(١) **«سِددوا وقاربوا»**(٢).أهـ

* * *

وكلام مثله في ذلك حجة بالغة، والسلف لم يكرهوه لمجرد كونه اصطلاحاً جديداً على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضاً الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق .

---

(١) رواه البخاري (٣٩) كتاب الإيمان/ باب: الدين يسر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨١٨)كتاب صفات المنافقين/ باب:لن يدخل أحد الجنة بعمله، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٤-٦٤٦٧)كتاب الرقاق/ باب القصد والمداومة على العمل من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٢٨١٧-٢٨١٨) كتاب صفات المنافقين/ باب:لن يدخل أحد الجنة بعمله، من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ومن ذلك: مخالفتها للكتاب والسنة وما فيه من علوم صحيحة، فقد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها، فهي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى، وأحسن ما عندهم فهو في القرآن أصح تقريراً، وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلا التكلف والتطويل والتعقيد، كما قيل :

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد
يحللون بزعم منهم عقدا وبالذي وضعوه زادت العقد

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن الغالب على الناس التنافس في إظهار قوة الفهم، وأنه أفهم من فلان وأنه يعرف وأنه يفهم، حتى يمدح ويثنى عليه ويعطى شيئاً من المال ويوظف وما أشبه ذلك، ولهذا جاءت كتب الخلاف في الأغلب.

وإن كان يريد بالمغني لابن قدامة والعمد لابن عقيل فليس بجيد، وإن كانت كتباً أخرى في الكلام فله ما نوى، ولكن المغني والعمد ليس من هذا الباب، بل وضع لإظهار الحق وبيان خلاف أهل العلم، وكذا العمد بالأدلة لابن عقيل، لما فيها من الدليل وذكر فيها أشياء رحمه الله في الفقه، ولكن الواقع في غالب الناس هو التنافس.أهـ.

* * *

فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه، الشبه والشكوك، والفاضل الذي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك .

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين، بل الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقله، ويعرف برهانه

ودليله العقلي والخبري السمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل، وإن أرادوا بها ما يخالفه رد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني تجعل ميزاناً، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] هذا هو الواجب، أن تكون هي الميزان، عليها تعرض الأشياء كلها، سواء أهل الكلام أو غير أهل الكلام، جميع المتنازعين تعرض أقوالهم وأفعالهم واختياراتهم وأفكارهم على هذا الميزان العظيم، وهو كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما بينه أهل العلم في معانيهما، فما وافق ذلك أو وافق أحد الأصلين قبل وإلا رد على قائله، وهذا كما يكون في المسائل الخلافية في الأحكام؛ يكون في مسائل العقائد أيضاً من باب أولى. أهـ

* * *

وهذا مثل لفظ المركب والجسم والتحيز والجوهر والجهة والحيز والعرض، ونحو ذلك، فإن هذه الألفاظ لم تأت في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل الاصطلاح، بل ولا في اللغة، بل هم يخصون بالتعبير بها عن معان لم يعبر غيرهم عنها بها، فتفسر تلك المعاني بعبارات أخر، وينظر ما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية والسمعية، وإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل.

مثال ذلك، في التركيب، فقد صار له معان:

أحدها: التركيب من متباينين فأكثر، ويسمى: تركيب مزج، كتركيب

الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء ونحو ذلك، وهذا المعنى منفي عن الله سبحانه وتعالى، ولا يلزم من وصف الله تعالى بالعلو ونحوه من صفات الكمال، أن يكون مركباً بهذا المعنى المذكور.

والثاني: تركيب الجوار، كمصراعي الباب ونحو ذلك، ولا يلزم أيضاً من ثبوت صفاته تعالى إثبات هذا التركيب.

الثالث: التركيب من الأجزاء المتماثلة، وتسمى: الجواهر المفردة.

الرابع: التركيب من الهيولى والصورة، كالخاتم مثلاً، هيولاه: الفضة، وصورته معروفة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الهيولى: من المادة، من مركب المادة والصورة، وهذه اصطلاحات لهم خبيثة، هيولاه المادة والصورة صور الحلقة، مثل السيف: الهيولى مادته، السيف من حديد، والصورة كونه يقطع به الشيء الذي يقطع، ومن هذا يتوصلون إلى نفي الصفات، فإنك إذا قلت إن الله جل وعلا موصوف أنه سميع بصير، قالوا: هذا معناه رسم للمادة والصورة فيكون مشابهاً للمخلوقين فتنفى الصفة، فيقعون في أباطيل كثيرة، وإذا قالوا بأنه بصير معناه إنه وصف لذات وأجزاء أخرى كاليد، فيقال لهم: هذا تركيب لمخلوق ركبه الله كما يشاء من لحم ودم وعروق وعظام ونحو ذلك، والله منزه عن صفات المخلوقين سبحانه وتعالى، له ذات لا يعلم كيفيتها إلا هو، وله صفات لا يعلم كيفيتها إلا هو، فهو موصوف بأنه ذو ذات وذو صفات، ذو سمع وبصر وعلم ويد وقدم وإصبع وغير ذلك لا تشابه صفات المخلوقين، فما لنا حاجة في هذا البحث الذي لا وجه له، وهو يفضي إلى الشر والفساد والعقائد الفاسدة.

والجوهر هو الفرد الذي لا ينقسم، الجزء المتين الكبير الذي لا ينقسم، جوهر الشيء الذي يتركب منه الأشياء.أهـ

* * *

وأهل الكلام قالوا: إن الجسم يكون مركباً من الجواهر المفردة، ولهم كلام في ذلك يطول، ولا فائدة فيه، وهو أنه: هل يمكن التركيب من جزئين، أو من أربعة، أو ستة، أو ثمانية، أو ستة عشر؟

وليس هذا التركيب لازماً لثبوت صفاته تعالى وعلوه على خلقه، والحق أن الجسم غير مركب من هذه الأشياء، وإنما قولهم مجرد دعوى، وهذا مبسوط في موضعه.

الخامس: التركيب من الذات والصفات، هم سموه تركيباً لينفوا به صفات الرب تعالى، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة، ولا في استعمال الشارع، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ولا كرامة، ولئن سموا إثبات الصفات تركيباً: فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ، سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم ! فلو اصطلح على تسمية اللبن خمراً، لم يحرم بهذه التسمية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأن الاعتبار بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ، مثل ما سمى المشركون الشرك توسلاً، وسموه تقرباً وسموه تعظيماً للأولياء والصالحين، هذا ليس بالحقيقة، بل هو تنقص للصالحين وليس بتعظيم للصالحين وليس توسلاً، بل هو عبادة لهم وتقرب إليهم وذل لهم، فتسميتهم الشرك بالله توسلاً أو تقرباً أو تعظيماً للصالحين أو ما أشبه ذلك؛ لا يخرجه عن كونه شركاً، كما أن تسمية التوحيد تنقص الصالحين، تنقص الأنبياء، لا يجعله منكراً ولا

يجعله خلاف الحق، بل هو الحق وليس بتنقص، وإنما هم المتنقصون، فالتوحيد هو تعظيم للصالحين وإنزال لهم في منازلهم كالأنبياء، وتعظيم لله عز وجل وإنزاله منزلته سبحانه وتعالى، فالألفاظ والأسماء الجديدة التي يخترعها الناس لا تغير المعاني.

ولما قال الذين مروا على سدرة يعظمها المشركون يوم حنين قالوا: «**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**» ما أثر هذا الاسم على الحقيقة قال: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**»[1] فلاحظ الحقيقة ولم يبال بالأسماء والعبارات، فجعل قولهم: «اجعل لنا ذات أنواط» مثل قول بني إسرائيل ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فالحاصل أن الاعتبار في الأحكام بالحقائق والمعاني التي يعرف فيها الكلام، لا بمجرد الألفاظ التي يخترعها الناس أو الأسماء التي يجددونها، مثل ما قال المؤلف: لو قالوا للبن وسموه خمراً لم يحرم اللبن، فلا يتأثر بذلك، وإذا سموا الخمر عصيراً أو سموها شراباً روحياً أو سموها شراباً طيباً أو ما أشبه ذلك؛ هي خمر ومحرمة وإن سموها ما شاءوا.أهـ

❊ ❊ ❊

السادس: التركيب من الماهية ووجودها، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران، وأما في الخارج، هل يمكن ذات مجردة عن وجودها، ووجودها

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢١٨، والترمذي (٢١٨٠)كتاب الفتن/ باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦)وابن حبان (١٨٣٥) والطبراني في الكبير (٣٢٩٠) والبيهقي في المعرفة ١/ ١٠٨ من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه وصححه الألباني ٤/ ٤٧٥ سنن الترمذي.

مجرد عنها؟

هذا محال، فترى أهل الكلام يقولون: هل ذات الرب وجوده أم غير وجوده؟ ولهم في ذلك خبط كثير، وأمثلهم طريقة رأي الوقف والشك في ذلك، وكم يزول بالاستفسار والتفصيل كثير من الأضاليل والأباطيل.

وسبب الإضلال الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة، وإنما سمي هؤلاء: أهل الكلام، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر، ومع من ينكر الحس، وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه، بل قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا كان النبي ﷺ إذا جاءه من يريد الإسلام عرض عليه أمور الإسلام، ولم يذكر له شيئاً من الأمور العقلية التي قد يحتاج إليها بعض الناس في زعم هؤلاء، فيأتي إليه ويسأله ويقول له: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقم على أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، كما سأله جبرائيل وكما سأله ضمام بن ثعلبه(١) وكما سأله غيرهما، يبين لهم ما جاء به الشرع وما أمر به الله من الأعمال والأقوال، ولا يذكر لهم ما

(١) رواه البخاري (٦٣) كتاب العلم/ باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾.

يتعلق بالعقول وما تصور العقول من كائنات أو التزامات أو شبهات، كل هذا قد أعرض عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام وأعرض عنه أصحابه لعدم الحاجة إليه، فهم ناس عندهم عقول وعندهم فهم ويكفيهم، فليسوا بحاجة إلى أن يأتوا بكلام جديد ليس له أصل.

ثم ما جاء في الكتاب والسنة تفهمه العقول الصحيحة وتعقله، ويكون واضحاً لا يختلف فيه أحد من أهل اللسان الذين عرفوا اللغة العربية، فإنه تكلم بأفصح لسان وأوضح لسان، فإذا سمعه العاقل من البادية أو الحاضرة عقلوه وفهموه، ما يحتاجون إلى كلمات أخرى أو إلى صيغ أخرى، بل هو كلام واضح، أما أهل الأعجمية فيحتاجون إلى أن يفسر لهم بلغتهم ويترجم لهم بلغتهم ويكفيهم ذلك.أهـ

❊ ❊ ❊

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً.

قوله: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً).

ش: يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال

والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو منْ أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه تهافت التهافت: ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به؟

وكذلك الآمدي، أفضل أهل زمانه، واقفٌ في المسائل الكبار حائر.

وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره. وكذلك أبوعبدالله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه: [أقسام] اللذات(١):

نهايــة إقــدام العقــول عقــال وغايـة سـعي العـالمين ضـلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصـل دنيانـا أذى ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا
فكم قـد رأينا مـن رجـال ودولـة فبادوا جميعـاً مسرعين وزالـوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجـال، فزالـوا والجبـال جبـال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وأقرأ في

---

(١) قال شاكر: في «المطبوعة» «اللذات» فقط، ولم أجد اسم هذا الكتاب إلا في هامشة كتاب «مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيم، طبع السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٨ ج:١ ص:١٠.أهـ، قد ذكرت الثلاثة الأبيات الأولى هناك، والأبيات الخمسة مذكورة في ترجمة الفخر الرازي من كتاب طبقات الشافعية لابن السبكي ٥/ ٤٠ ومنها بيتان في ترجمته عند الحافظ ابن كثير في تاريخه١٣/ ٥٦.أهـ

والكتاب «أقسام اللذات» قد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤/ ٧٢.

النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكذلك قال الشيخ أبوعبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعاً سن نادم

وكذلك قال أبوالمعالي الجويني: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي، لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يوماً، فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم، فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته.

ولابن أبي الحديد، الفاضل المشهور بالعراق:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول ... فما ربحت إلا أذى السفر

فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعروف بالنظر

كذبـــوا إن الـــذي ذكـــروا خـــارج عـــن قـــوة البشـــــر

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئاً سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئاً.

وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء.

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبويوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الشافعي رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ماظننت مسلماً يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ـ ما خلا الشرك بالله ـ خير له من أن يبتلى بالكلام. انتهى[١].

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم ـ إذا سلموا من العذاب ـ بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب .

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١٨٨١) ٢/ ٢٦٢ باب فيما يروى عن جماعة من فقهاء المسلمين ومذهبهم في القدر، ورواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣٠٠.٣٠١) ١/ ١٤١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم (٩٨٦) ص ٣٦٦

والدواء النافع لمثل هذا المرض، ما كان طبيب القلوب صلوات الله وسلامه عليه يقوله ـ إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)] خرجه مسلم، توجه ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إذ حياة القلب بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة: فجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب، والله المستعان.

قوله: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على المعتزلة ومن يقول بقولهم في نفي الرؤية، وعلى من يشبه الله بشيء من مخلوقاته، فإن النبي ﷺ قال: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[(٢)]، الحديث: أدخل كاف التشبيه على ما المصدرية أو الموصولة بترون التي تتأول مع صلتها إلى

(١) صحيح، ورواه أبو عوانة أيضا في صحيحه.أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، وقد تقدم.أهـ ألباني

المصدر الذي هو الرؤية، فيكون التشبيه في الرؤية لا في المرئي، وهذا بين واضح في أن المراد إثبات الرؤية وتحقيقها، ودفع الاحتمالات عنها، وماذا بعد هذا البيان وهذا الإيضاح؟!

فإذا سلط التأويل على مثل هذا النص، كيف يستدل بنص من النصوص ؟! وهل يحتمل هذا النص أن يكون معناه: إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر ليلة البدر؟! ويستشهد لهذا التأويل الفاسد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ونحو ذلك مما استعمل فيه «رأى» التي من أفعال القلوب!!

ولا شك أن «ترى» تارة تكون بصرية، وتارة تكون قلبية، وتارة تكون من رؤيا الحلم، وغير ذلك، ولكن ما يخلو الكلام من قرينة تخلص أحد معانيه من الباقي، وإلا لو أخلى المتكلم كلامه من القرينة المخلصة لأحد المعاني لكان مجملاً ملغزاً، لا مبيناً موضحاً، وأي بيان وقرينة فوق قوله: «ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب؟» فهل مثل هذا مما يتعلق برؤية البصر، أو برؤية القلب؟ وهل يخفى مثل هذا إلا على من أعمى الله قلبه؟

فإن قالوا: ألجأنا إلى هذا التأويل، حكم العقل بأن رؤيته تعالى محال لا يتصور إمكانها !

فالجواب: أن هذه دعوى منكم، خالفكم فيها أكثر العقلاء، وليس في العقل ما يحيلها، بل لو عرض على العقل موجود قائم بنفسه لا يمكن رؤيته لحكم بأن هذا محال .

وقوله: لمن اعتبرها منهم بوهم، أي توهم أن الله تعالى يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً، ثم بعد هذا التوهم - إن أثبت ما توهمه من

الوصف - فهو مشبه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم فهو جاحد معطل، بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده، ولا يعم بنفيه الحق والباطل، فينفيهما رداً على من أثبت الباطل، بل الواجب رد الباطل وإثبات الحق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي ! وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟

فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علماً، فهو سبحانه لا يحاط به رؤية، كما لا يحاط به علماً.

وقوله: «أو تأولها بفهم» أي ادعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلاً، تزيينا له وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق، وكلامه هنا نظير قوله فيما تقدم: «لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا» ثم أكد هذا المعنى بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية -: بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين» ومراده

ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً، وهو تحريف، ولكن الشيخ رحمه الله تأدب وجادل بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلاً، ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السلف، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وترك القول على الله بلا علم.

فمن التأويلات الفاسدة، تأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وأنه لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً! ثم قد صار لفظ التأويل مستعملاً في غير معناه الأصلي.

فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عن المخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن»(١).

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أخبرهم بأنه يوسف وأمرهم أن يأتوه، فلما دخلوا عليه خروا سجداً على طريقة الأمم الماضية في التحية بالسجود، وقال لهم: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ

---

(١) متفق عليه. أهـ ألباني

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف:١٠٠] فالأحد عشر كوكباً إخوته ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:٤] هذا أبوه وأمه، هذا تأويل هذه الرؤيا، وجودها وحدوثها حين حضروا عنده، وكانوا في الأمم الماضية يحيون العظماء بالسجود، ومن هذا سجد الملائكة لآدم تحية وتقديراً وتعظيماً وتكريماً، ثم نهى الله عن ذلك في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وصار السجود مختصًا بالله عز وجل، ونهى سبحانه أن يفعل مع غيره ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ [النجم:٦٢]. أهـ

* * *

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل، والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه؟

وأما ما كان خبراً، كالإخبار عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويله، الذي هو حقيقته، إذ كانت لا تعلم بمجرد الإخبار، فإن المخبر إن لم يكن قد تصور المخبر به، أو ما يعرفه قبل ذلك لم يعرف حقيقته، التي هي تأويله، بمجرد الإخبار، وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني جنس المخاطب وجنس الأشياء التي أرادها المخاطب إفهام المخاطبين، هذا معلوم من حيث اللغة العربية ومن حيث المعنى المشترك بين الأمم، لكن حقائق

ذلك الشيء المخبر عنه إنما تتضح وتكمن ويكون علم المخاطب بها تامًّا بعد وجودها، فإخباره عن الجنة والنار وما فيهما وعن الصحف حقيقة، أمر معلوم من حيث المعنى، إذا أعطي كتابه بيمينه أو شماله، والجنة والنعيم وما فيها من الفواكه والأنهار والحور، والنار فيها العذاب والأغلال وغير ذلك، هذا أمر معلوم، لكن تأويله الكامل والعلم به على التمام إنما يكون يوم القيامة، إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فباشروها، وجدوا أن النار وما فيها من الشر حق اليقين، ووجدوا أن الجنة وما فيها من النعيم حق اليقين، هذا تأويلها يعني نهاية ما يتعلق بذلك، إذا شاهد المؤمنون ما وعدهم الله وباشروه، وشاهد أعداء الله ما وعدهم الله وباشروه، وشاهد الناس ما في الموقف والحساب والجزاء وتطاير الصحف إلى غير ذلك، هذا هو النهاية، يعني نهاية ما ينتهي إليه الخبر أن يشاهد المخبر ذلك الشيء ويراه بعينه، بعدما كان علم اليقين صار عين اليقين وحق اليقين أيضاً.

العلوم أقسام ثلاثة: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فما أخبر الله به عن الآخرة من باب علم اليقين، فإذا شاهدناه صار عين اليقين، فإذا باشره الناس ولمسوه بأيديهم وباشروه صار حق اليقين ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر:٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ ﴾ [الحاقة:٥١] ومثال ذلك في الدنيا إذا قال قائل ثقة لك: قد قدم زيد من مكة، أوقد سال وادي حنيفة، فهذا من باب علم اليقين، إذا كان المخبرون ثقاة صار علم اليقين، فإذا أنت قابلت زيداً ورأيته بعينك، أو أتيت الوادي وشاهدت السيل فهذا عين اليقين، فإذا أخذت بيد زيد وصافحته أو خضت الوادي أو شربت منه أو لمسته صار حق اليقين.

فهكذا علمنا بالآخرة من باب علم اليقين، فإذا وقف الناس يوم القيامة وشاهدوا الناس وشاهدوا ما يكون يوم القيامة صار عين اليقين، وإذا دخلوا الجنة ودخل أهل النار النار صار علمهم بها حق اليقين، نسأل الله السلامة.أهـ

سؤال/ قول الشارح: «إعلم أن المخاطب لا يعلم المعاني المعبر عنها باللفظ حتى يرى عينها أو ما يناسب عينها» !

أجاب سماحة الشيخ: يعني بالعين: الحقيقة، يعرف عينها إما بالمشاهدة أو بمشاهدة المثل، يعرف الخيل يعرف الإبل، فإذا خبر أن هذا مثل الخيل وهو يعرف الخيل صار عنده علم، وإذا خبر أن هذا مثل الحمار وهو يعرف الحمار صار عنده علم، مثل ما قال النبي ﷺ: **«أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل»**(١) نحن نعرف الحمار ونعرف البغل فكان عندنا بصيرة، لكن لو سمع هذا الكلام من لا يعرف الحمار ولا يعرف البغل لا يصير عنده علم.أهـ

❊ ❊ ❊

فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم ما عنى بها، وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله، فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، وسواء كان هذا التأويل موافقاً للظاهر أو مخالفاً له.

والتأويل في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٧)كتاب مناقب الأنصار/ باب المعراج، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ الآية، فيها قراءتان، قراءة من يقف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ وقراءة من لا يقف عندها، وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله، ولا يريد من وقف على قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى، فإن لازم هذا أن يكون الله أنزل على رسوله كلاماً لا يعلم معناه جميع الأمة ولا الرسول، ويكون الراسخون في العلم لا حظ لهم في معرفة معناها سوى قولهم: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ وهذا القدر يقوله غير الراسخ في العلم من المؤمنين، والراسخون في العلم يجب امتيازهم عن عوام المؤمنين في ذلك، وقد قال ابن عباس رضي الله عنها: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله»[(١)] ولقد صدق رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ دعا له وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[(٢)] رواه البخاري وغيره.

---

(١) هذا الأثر رواه ابن كثير في تفسيره عنه، سورة آل عمران/ آية (٧).

(٢) صحيح، ورواه أحمد (١/ ٢٦٦،٣١٤،٣٢٨،٣٣٥) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٨٤/ ٢) والبيهقي في دلائل النبوة، والضياء المقدسي في المختارة بسند صحيح عن ابن عباس، وأما عزو المصنف إياه للبخاري فوهم، وإنما عنده بلفظ: «اللهم علمه الحكمة» وفي لفظ «الكتاب» بدل «الحكمة» أخرجه أحمد (١/ ٣١و٢/ ٤٤٥و٤/ ٤٩٩) وهو رواية لأحمد (١/ ٣٥٩،٢٦٩،٢١٤) والطبراني، ورواه مسلم (٧/ ١٥٨) مختصرا بلفظ: «اللهم فقِّه» وهو رواية لأحمد (١/ ٣٢٧) وفي أخرى له (١/ ٣٣٠) عن ابن عباس قال..فدعا الله أن يزيدني علما وفقها.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: رواية البخاري كما تقدم «**اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب**» لكن جاء في رواية غير البخاري كما ذكره الحافظ ابن حجر وذكره الحميدي في جمعه، أنه ذكر في الجمع رواية «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» كما ذكر الشارح، ولكن الصواب أن هذا خارج ..«**اللهم فقهه في الدين**» «**اللهم فقهه**» «**اللهم علمه الكتاب**» فصار «**اللهم فقهه في الدين وعلمه الكتاب**» ومعنى علمه الكتاب علمه التأويل يعني تفسيره، والمعنى واضح.

فالحاصل أن قوله جل وعلا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٧] من وقف على الجلالة أراد بالمعنى المشتبه الذي لا يعلمه سواه سبحانه وتعالى، وحقائق الأمور، حقائق ما في الجنة حقائق ما في النار، حقائق أسمائه وصفاته لا يعلمها سواه سبحانه وتعالى.

ومن وقف على الراسخين في العلم ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧] فمعناه التفسير، تفسير الكلام من الله معناه بيان الأحكام التي بينها لعباده وأمرهم بها ونهاهم عنها، فهذه يعلمها الله والراسخون في العلم.أهـ

* * *

ودعاؤه ﷺ لا يرد، قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، من أوله إلى آخره، أقفه عند كل آية وأسأله عنها(١)**، وقد تواترت النقول عنه أنه تكلم في جميع معاني القرآن، ولم يقل عن آية إنها من المتشابه**

---

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ١/ ٦٥، ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموماً علمه به، وابن كثير في مقدمة تفسيره ١/ ٥ الرجوع إلى أقوال التابعين، وعزاه لابن إسحاق.

الذي لا يعلم أحد تأويله إلا الله.

وقول الأصحاب رحمهم الله في الأصول: المتشابه: الحروف المقطعة في أوائل السور، ويروى هذا عن ابن عباس، مع أن هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مراده العلماء، أكثر الناس المراد به العلماء، كما في قوله ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣].أهـ

* * *

فإن كان معناها معروفاً، فقد عرف معنى المتشابه، وإن لم يكن معروفاً، وهي المتشابه، كان ما سواها معلوم المعنى، وهذا المطلوب.

وأيضاً فإن الله قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العادّين.

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك، وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية، فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، وهذا مبسوط في موضعه.

وذكر في التبصرة أن نصير بن يحيى البلخي روى عن عمرو بن إسماعيل بن حماد بن أبي يحيى بن محمد بن الحسن رحمهم الله: أنه سئل عن الآيات والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلى التشبيه؟

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فقال: نمرها كما جاءت، ونؤمن بها، ولا نقول: كيف وكيف، ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه، وإذا كان قد قيل في قول بعض الناس:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وقيل:

علي نحت القوافي من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر[1]

كيف يقال في قول الله، الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث، وهو الكتاب الذي ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ إن حقيقة قولهم إن ظاهر القرآن، والحديث هو الضلال، وإنه ليس فيه بيان ما يصلح من الاعتقاد، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه؟! هذا حقيقة قول المتأولين، والحق أن ما دل عليه القرآن فهو حق، وما كان باطلاً لم يدل عليه، والمنازعون يدعون دلالته على الباطل الذي يتعين صرفه!

فيقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه، وإن كنتم تزعمون أنكم تنتصرون به على إخوانكم المؤمنين في مواضع قليلة خفية: فقد فتحتم عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، لا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعي، فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟

فإن قلتم: ما دل القاطع العقلي على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه!

قيل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟ فإن القرمطي الباطني يزعم

---

(١) قال شاكر: هو من قصيدة للبحتري، من أجود قصائده، وهي في ديوانه ٢/ ١٨٢-١٨٤ طبعة الجوائب سنة ١٣٠٠ ص٦٧٣-٦٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩١١ .أهـ

قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع ! ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد ! ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام عالم أو كلام أو رحمة به تعالى ! ! وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام، ويلزم حينئذ محذوران عظيمان:

أحدهما: أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل ! وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة المحذورة.

الثاني: أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد، وخاصّةُ النبي هي الإنباء، والقرآن هو النبأ العظيم، ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دل عليه قبلوه، وإن خالفته أولوه ! وهذا فتح باب الزندقة، نسأل الله العافية .

قوله: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه).

ش: النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب، فإن أمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ فهذا مرض

الشبهة، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذ مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته.

والشبهة التي في مسألة الصفات نفيها وتشبيهها، وشبه النفي أردأ من شبه التشبيه، فإن شبه النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ، وشبه التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ.

وتشبيه الله بخلقه كفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ونفي الصفات كفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا أصل نوعي التشبيه، فإن التشبيه نوعان: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعب أهل الكلام في رده وإبطاله، وأهله في الناس أقل من النوع الثاني، الذين هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق، كعباد المشايخ، وعزير، والشمس والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعجل، والقبور، والجن، وغير ذلك، وهؤلاء هم الذين أرسلت لهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهناك تشبيه ثالث، وهو تشبيه الخالق بالمعدومات والمستحيلات والناقصات، كما فعل نفاة الصفات، فإن تشبيه المخلوق بالخالق جاءت الرسل جميعاً ببطلانه، وبيان أن الله هو المستحق للعبادة جل وعلا، وأنه مصرف الكون وأنه الخلاق الرزاق، فعلم أصحاب العقول السليمة صحة ذلك، وكذلك تشبيه الخالق بالمخلوق فإنه واضح البطلان ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] لكن هناك تشبيه ثالث: وهو تشبيه الخالق بالمعدومات والناقصات والمستحيلات، وأنه إذا قال ليس بكذا ولا كذا

ولا كذا، انتهى الأمر إلى تشبيهه بالمعدومات وبالجمادات والناقصات، فلا يسلم من هذا أو هذا، إما بالجماد الذي لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، وإما بالعدم الذي ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا غيره ولا غيره حتى يكون عدماً، وهذا هو الذي وقعت فيه الجهمية والمعتزلة وأشباههم، غلوا في النفي والتعطيل حتى لزم من نفيهم وتعطيلهم عدم وجود الله وإنكار وجوده سبحانه وتعالى، وهذا غاية التعطيل وغاية الإلحاد وغاية الكفر بالله، وذلك إنكار وجود الخالق ووصفه بصفات المستحيلات والمعدومات، نسأل الله العافية، ولم يسلم من هذه الشرور - تشبيه المخلوق بالخالق، وتشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه الخالق بالجمادات والمعدومات - لم يسلم من هذا كله إلا أهل السنة والجماعة، فإنهم نزهوا الله عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من التعطيل، وأثبتوا له صفات الكمالات إثباتاً بريئاً من التمثيل، وهكذا أهل الحق وهكذا جاءت الرسل، جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بإثبات الصفات والأسماء لله سبحانه وتعالى وإثبات الكمالات لله على الوجه اللائق به، وجاءت الرسل تنزهه عن مشابهة خلقه وبيان عظم حقه، وأنه سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا كفؤ له ولا ند له، وأنه المستحق للعبادة لا يستحقها سواه جل وعلا، فأبطلت ما تعلق به عباد الأصنام عباد المشايخ عباد النجوم والكواكب إلى غير ذلك.

فالإسلام هو إفراد الله بالعبادة، والإيمان بأنه المستحق للعبادة، وأنه لا شبيه له ولا كفؤ ولا ند له، وأنه سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، هذا هو مذهب الرسل وطريقهم وصراطهم المستقيم الذي سار عليه أهل السنة والجماعة وثبتوا عليه ودعوا إليه وحذروا من مخالفته.أهـ

سؤال/ قوله: «الأولياء» ؟

أجاب سماحة الشيخ: يعني يسمون بالأولياء كما تفعل الصوفية، فإنهم سموا أناساً أولياء وليسوا بأولياء، ليس كل من سموه ولياً يكون ولياً، لأن ولي الله هو المؤمن التقي المستقيم ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤]. أهـ

* * *

قوله: (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى تنزيه الرب تعالى بالذي هو وصفه كما وصف نفسه نفياً وإثباتاً، وكلام الشيخ مأخوذ من معنى سورة الإخلاص، فقوله: «موصوف بصفات الوحدانية» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ وقوله: «منعوت بنعوت الفردانية» من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وقوله: «ليس في معناه أحد من البرية» من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وهو أيضاً مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات ونفي التشبيه.

والوصف والنعت مترادفان، وقيل: متقاربان، فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية، وقيل في الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: النعوت والأوصاف،

المعنى واحد، نعته بكذا ووصفه بكذا، واحد فرد، المعنى واحد، فهو واحد سبحانه بذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله جل وعلا، فهو سبحانه وتعالى موصوف بالفردانية بالوحدانية بالإلهية الحقة التي ليس له فيها شريك، ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣] ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه:٩٨].أهـ

* * *

فهو تعالى موحد في ذاته، منفرد بصفاته، وهذا المعنى حق ولم ينازع فيه أحد، ولكن في اللفظ نوع تكرير، وللشيخ نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، والتسجيع بالخطب أليق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لكن سجعه ما هو على طريقة أهل العقائد، أهل العقائد يعتنون بالتدليلات الجامعة، لا يرون هذه السجعات، أما المؤلف فهو مولع بالسجعات، يأتي بالألفاظ التي ليس لها كبير أهمية.أهـ

* * *

و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أكمل في التنزيه من قوله: «ليس في معناه أحد من البرية».

قوله: (وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات).

ش: أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشيخ رحمه الله مقدمة، وهي:

أن الناس[1] في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين، ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقاً وباطلاً، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلاً، مخالفاً لقول السلف، ولما دل عليه الكتاب والميزان، ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفياً ولا إثباتاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: (وننفي ما نفاه الله ورسوله) سقط.أهـ

* * *

وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد،

(١) الصواب: أن للناس، ابن باز.

والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك .

والشيخ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء وغير ذلك ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فالمعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقاً وباطلاً، فيحتاج إلى بيان ذلك، وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حداً، وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته، قال أبوداود الطيالسي: كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبوعوانة؛ لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون: كيف؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر(١).

وسيأتي في كلام الشيخ: «وقد أعجز خلقه عن الإحاطة به «فعلم أن مراده أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بحده، لأن المعنى أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم.

سئل عبدالله بن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد، انتهى(٢).

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠١) ٢/ ٣٣٤-٣٣٥ باب في قول الله عز وجل لعيسى عليه السلام ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقال أبوداود في آخره: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا، وعزاه إلى البيهقي الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠٧.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (١١٣-١١٤) ٣/ الرد على الجهمية - باب الإيمان بأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه، وبرقم (١١٨)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠٢) ٢/ ٣٣٥ باب قول الله عز وجل لعيسى عليه السلام ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى بحد: يعني بحد يعلمه هو سبحانه وتعالى، فإن السلف إذا قالوا بحد معناه بحد يعلمه هو سبحانه وتعالى، ومن قال بلا حد يعني بلا حد نعلمه نحن، فمنهم من نفى الحد ومنهم من أثبت الحد، فمن أثبته أراد حدًّا يعلمه الله، ومن نفاه أراد حدا نعلمه نحن، نحن لا نعلم حدود صفاته سبحانه وتعالى، بل نعلم أنه فوق السماوات على عرشه بائن من خلقه، الحد يعلمه هو سبحانه وتعالى، وبلا حد نعلمه نحن، فإطلاق الحدود والغايات والأعضاء والأركان والأدوات عليه ونحو ذلك فيه أمر مبالغ.

وكان من الواجب على المؤلف ألا يتعاطى هذه العبارة المجملة، ولكن مثل ما تقدم، أنه أراد بذلك معنى صحيحاً ولكنه وقع في ألفاظ لم ترد بها النصوص، وهكذا قولهم بجسم أو بغير جسم، وغير هذا مما وقع فيه كثير من الناس، فلا يقال بجسم ولا بغير جسم لعدم ورود الدليل، ولكن يقال «الذات» الله سبحانه وتعالى له ذات متميزة عن خلقه لا تشابه ذوات الخلق.

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[1]

«كذبات إبراهيم كلهن في ذات الله»[2] فالذات جاءت بها النصوص، وهي ذات منزهة عن مشابهة الذوات، ذات مستقلة قائمة بنفسها، لها

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٢) كتاب التوحيد/ باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو مقطع قصيدة قالها خبيب بن عدي رضي الله عنه حين صلبه المشركون يقول فيها:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزعِ

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٧-٣٣٥٨)كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ ومسلم (٢٣٧١)كتاب الفضائل/ باب: من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

بنفسها، لها صفاتها ولها كمالاتها، حتى كان من أعظم العلامات التي يتميز بها الخالق عن المخلوق، وهو أنه سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، فله ذات كاملة ليس فيها نقص وعيب، بل لها الكمال المطلق من كل وجه.

وأما إذا أطلق الحد والجهة ففيها التفصيل، وكذلك الأركان والأعضاء والأدوات، فيها معانٍ مجملة، لكن الأركان والأعضاء والأدوات إن كان المراد أنه تعالى عن القدم وعن اليد وعن الوجه، فهذا باطل، وإن أريد أنه تعالى عن أعضاء وعن أركان تشابه المخلوقين وتماثل المخلوقين فهذا حق، فهو متقدس عن مشابهة صفات المخلوقين، فليس له أركان ولا أعضاء ولا أدوات تشابه صفات المخلوقين، ولكن نعم له صفات لا تشابه صفات المخلوقين، له اليد والقدم والإصبع والوجه ونحو ذلك، ولا يجوز أن تنفى لأن المبتدعة سموها أركاناً وسموها أدوات وسموها أعضاءً، لا تنفى بهذا، فالألفاظ يأتون بها ليتوصلوا بها إلى رد ما جاءت به النصوص، وهذا من أبطل الباطل.

فالواجب الحذر من أعداء الله حيث شبهوا ولبسوا، وهذه عادة أهل البدع، يأتون بألفاظ مخترعة من عند أنفسهم فيوهمون أنهم يريدون بها الحق، فأهل السنة والجماعة لا يقبلون منهم هذه الأشياء، بل يقولون: فسّر لنا مرادك، فإن فسر حقاً قالوا: أردت حقاً ولكن ألفاظك مبتدعة ومجملة، فلا ينبغي أن تثبت، وإن فسر باطلاً قالوا له: ألفاظك باطلة ومعناك باطل، وهكذا من نفى لا من أثبت، فبين لنا ما نفيت، فإن بيّن حقًّا قالوا: معناك حق ولكن لفظك ليس بمشروع بل مبتدع، وإن بيّن باطلاً قيل له لفظك مبتدع ومعناك باطل، هكذا يقال في هذه الألفاظ التي ذكرها

الشيخ: «تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات» كل هذه ألفاظ مجملة، ونؤجل كمال التفصيل فيها.أهـ

السؤال/ ما هو الحد الذي يعلمه الله؟

أجاب سماحة الشيخ: غير صفات المخلوقين، هذا معناه، له كمال لا يماثل كمال المخلوقين، كماله منفصل عن المخلوقين، الحدود في كمال صفاته زائد على المخلوقين في كمالاتهم، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ليس استواؤه كاستوائنا، ولا يده كأيدينا، ولا وجهه كوجوهنا، ولا ذاته كذواتنا، ولا علمه كعلمنا وهكذا.أهـ

* * *

ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته.

وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة.

قال أبوالقاسم القشيري في رسالته: سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمي، سمعت أبا منصور بن عبدالله، سمعت أبا الحسن العنبري، سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول، وقد سئل عن ذات الله فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهراً في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن

معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات؛ فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه .

قال أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر: له يد ووجه ونفس، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: أن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة، انتهى.

وهذا الذي قاله الإمام رضي الله عنه، ثابت بالأدلة القاطعة: قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ وقال ﷺ في حديث الشفاعة لما يأتي الناس آدم فيقولون له: «خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء» الحديث[(١)].

ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة، فإن قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضاً خلقتني بقدرتك، فلا فضل له علي بذلك، فإبليس - مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية .

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٤/ ٤٦٤،٤٥٤) وأحمد (٣/ ١١٦) في حديث الشفاعة، من حديث أنس، وسيأتي بلفظ آخر.أهـ ألباني

ولا دليل لهم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ لأنه تعالى جمع الأيدي لما أضافها إلى ضمير الجمع، ليتناسب الجمعان، فاللفظان للدلالة على الملك والعظمة، ولم يقل: أيديّ مضافاً إلى ضمير المفرد، ولا يدينا بتثنية اليد مضافاً إلى ضمير الجمع، فلم يكن قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ نظير قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[(١)].

ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد، لا يتجزأ، سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى الله عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع، وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة، وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى، ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى، فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً، لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح، وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمُحِقِّ والمُبْطِل.

وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا

---

(١) صحيح، وقد تقدم بتمامه. أهـ ألباني

يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده.

فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عال عليه.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، وأنه كان مستغنياً عن الجهة ثم صار فيها، وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمي جهة أو لم يسم، وهذا حق، ولكن الجهة ليست أمراً وجودياً، بل أمر اعتباري، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود.

وقول الشيخ رحمه الله: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيء وفوقه، وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ رحمه الله، لما يأتي في كلامه: أنه تعالى «محيط بكل شيء وفوقه» فإذا جمع بين كلاميه، وهو قوليه: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» وقوله: «محيط بكل شيء وفوقه» علم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء، ولا يحيط به شيء، كما يكون لغيره من المخلوقات، وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء، العالي على كل شيء.

لكن بقي في كلامه شيئان:

أحدهما: أن إطلاق مثل هذا اللفظ - مع ما فيه من الإجمال والاحتمال - كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه، وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو، وإن أجيب عنه بما تقدم، من أنه إنما

نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته، فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى.

الثاني: أن قوله: «كسائر المبتدعات» يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محوي!! وفي هذا نظر.

فإنه إن أراد أنه محوي بأمر وجودي، فممنوع، فإن العالم ليس في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل، وان أراد أمراً عدمياً، فليس كل مبتدع في العدم، بل منها ما هو داخل في غيره، كالسماوات والأرض في الكرسي، ونحو ذلك، ومنها ما هو منتهى المخلوقات، كالعرش، فسطح العالم ليس في غيره من المخلوقات، قطعاً للتسلسل، كما تقدم.

ويمكن أن يجاب عن هذا الإشكال: بأن «سائر» بمعنى البقية، لا بمعنى الجميع، وهذا أصل معناها، ومنه السؤر، وهو ما يبقيه الشارب في الإناء ،فيكون مراده غالب المخلوقات، لا جميعها، إذ السائر على الغالب أدل منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله تعالى غير محوي - كما يكون أكثر المخلوقات محوياً، بل هو غير محوي - بشيء، تعالى الله عن ذلك.

ولا نظن بالشيخ رحمه الله أنه ممن يقول إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه بنفي النقيضين، كما ظنه بعض الشارحين، بل مراده: أن الله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء من مخلوقاته، وأن يكون مفتقراً إلى شيء منها، العرش أو غيره.

وفي ثبوت هذا الكلام عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه نظر، فإن أضداده قد شنعوا عليه بأشياء أهون منه، فلو سمعوا مثل هذا الكلام لشاع عنهم تشنيعهم عليه به، وقد نقل أبومطيع البلخي عنه إثبات العلو، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وظاهر هذا الكلام يقتضي نفيه، ولم يرد بمثله كتاب ولا سنة، فلذلك قلت: إن في ثبوته عن الإمام نظراً، وأن

بمثله كتاب ولا سنة، فلذلك قلت: إن في ثبوته عن الإمام نظراً، وأن الأولى التوقف في إطلاقه، فإن الكلام بمثله خطر، بخلاف الكلام بما ورد عن الشارع، كالاستواء والنزول ونحو ذلك.

ومن ظن من الجهال أنه إذا نزل إلى سماء الدنيا كما أخبر الصادق ﷺ(١) يكون العرش فوقه، ويكون محصوراً بين طبقتين من العالم ! فقوله مخالف لإجماع السلف، مخالف للكتاب والسنة، وقال شيخ الإسلام أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني: سمعت الأستاذ أبا منصور بن حماد ـ بعد روايته حديث النزول ـ يقول: سئل أبوحنيفة رضي الله عنه؟ فقال: ينزل بلا كيف. انتهى(٢) .

وإنما توقف من توقف في نفي ذلك، لضعف علمه بمعاني الكتاب والسنة وأقوال السلف، ولذلك ينكر بعضهم أن يكون فوق العرش، بل يقول: لا مباين، ولا مجانب، لا داخل العالم ولا خارجه، فيصفونه بصفة العدم والممتنع، ولا يصفونه بما وصف به نفسه من العلو والاستواء على العرش، ويقول بعضهم: بحلوله في كل موجود، أو يقول: هو وجود كل موجود ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

وسيأتي لإثبات صفة العلو لله تعالى زيادة بيان، عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «محيط بكل شيء وفوقه» إن شاء الله تعالى.

قوله: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في

---

(١) متفق عليه، بل هو متواتر، وقد خرجته في «إرواء الغليل»(٤٥٠) وراجع إن شئت بعض ألفاظه الصحيحة في صحيح الجامع الصغير (١٩١٤).أهـ ألباني

(٢) الغنية عن الكلام وأهله ١/ ٢٩، وذكره صاحب عون المعبود ٤/ ١٤٠ وعزاه لأبي عثمان الصابوني في كتاب الدعوات.

وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى) .

ش: المعراج: مفعال، من العروج، أي الآلة التي يعرج فيها، أي يصعد، وهو بمنزلة السلم، لكن لايعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته .

وقوله: «وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة» اختلف الناس في الإسراء .

فقيل: كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده، نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، ونقل عن الحسن البصري نحوه[1]، لكن ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال: كان الإسراء مناماً، وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده، وبينهما فرق عظيم .

فعائشة ومعاوية رضي الله عنهما لم يقولا: كان مناماً، وإنما قالا: أسري بروحه ولم يفقد جسده، وفرق ما بين الأمرين: أن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة، فيرى كأنه قد عرج إلى السماء، وذهب به إلى مكة، وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال، فما أرادا أن الإسراء مناماً[2]، وإنما أرادا أن

---

(١) ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٣٧، ونقله عن ابن إسحاق، وقال في حاشية الهدي: ابن إسحاق (٢/ ٣٢ و٣٤) قال القاضي في الشفا ١/ ٣٥٩ والمشهور عنه خلافه - يعني الحسن - انتهى.

وما نسب إلى عائشة رضي الله عنها من قولها: «ما فقدت جسده حين أسري به» لم يثبت، ولم تكن هي تحت النبي ﷺ، إذ لم يبن بها إلا في المدينة، والإسراء والمعراج كان في مكة قبل الهجرة.

وأما ما نسب إلى معاوية رضي الله عنه فهو أيضاً لم يسلم إلا بعد فتح مكة، وقد قال القاضي عياض بتضعيف الروايتين وتوهينهما، فانظر الشفا ١/ ٣٦٨-٣٧٤.أهـ

(٢) قلت: لم يصح عنهما، فهو في غنية عن التأويل.أهـ ألباني

الروح ذاتها أسري بها، ففارقت الجسد ثم عادت إليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت.

وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظة، ومرة مناماً، وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله: «ثم استيقظت»، وبين سائر الروايات، وكذلك منهم من قال: بل كان مرتين، مرة قبل الوحي، ومرة بعده، ومنهم من قال: بل ثلاث مرات، مرة قبل الوحي، ومرتين بعده، وكلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة، للتوفيق ! ! وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث، وإلا فالذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة، بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين، ذكره ابن عبدالبر.[1]

قال شمس الدين ابن القيم: يا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً ! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها إلى خمس؟ ! وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، وأجاد رحمه الله. انتهى كلام الشيخ شمس الدين رحمه الله[2].

وكان من حديث الإسراء: أنه ﷺ أسري بجسده في اليقظة، على

---

(١) ونقله عنه ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٤٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٤٠.

الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً على البراق، صحبة جبرائيل عليه السلام، فنزل هناك، صلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد، وقد قيل: إنه نزل بيت لحم وصلى فيه، ولا يصح عنه ذلك البتة، ثم عرج به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبرائيل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: «بخمسين صلاة»، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم، إن شئت، فعلا به جبرائيل حتى أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه ـ هذا لفظ البخاري في صحيحه وفي بعض

الطرق - فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: «قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم، فلما نفذ، نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»(١).

وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ صح عن النبي ﷺ أن هذا المرئي جبرائيل، رآه مرتين على صورته التي خلق عليها.

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فهو غير الدنو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبرائيل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء، فذلك صريح في أنه دنو الرب تعالى وتدليه(٢) وأما الذي في سورة النجم: أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، فهذا هو جبرائيل، رآه مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.

(١) حديث الإسراء صحيح، وهو ملتقط من أحاديث متفرقة، غير أن الدنو المذكور في هذا السياق هو من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر، الذي غلطه الحافظ في ألفاظ من حديث الإسراء، كما ذكر المؤلف آنفاً، ومن ذلك هذا اللفظ كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره (الإسراء) ومن قبله البيهقي في الأسماء والصفات (٤٤٠-٤٤٢).أهـ ألباني

(٢) قلت: لكن في ثبوته نظر كما تقدم آنفاً.أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

فالجواب ـ والله أعلم ـ: أن ذلك كان إظهاراً لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره، وبالله التوفيق.

قوله: (والحوض ـ الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته ـ حق).

ش: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى بالبداية والنهاية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو كما قال، فإن الحافظ ابن كثير رحمه الله عني بها وذكرها في النهاية، وذكر نحو ثلاثين

حديثاً أو أحداً وثلاثين حديثاً كلها تتعلق في الحوض، حوض النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر أدلة كثيرة في هذا الباب.أهـ

* * *

فمنها: ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[(١)] وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٢)] رواه مسلم، وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾»، حتى ختمها، ثم قال لهم: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(٣)] ورواه مسلم، ولفظه: هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير

---

(١) صحيح، وروى منه أحمد (٣/ ٢٢٥،٢٣٨) بإسنادين صحيحين الشطر الثاني، وزاد في أحدهما: «أباريق الذهب والفضة» وهو رواية لمسلم، ورواه البخاري أيضا (٤/ ٢٤٨) بتمامه.أهـ ألباني

(٢) صحيح، ورواه البخاري أيضاً (٤/ ٢٤٨،٢٤٩) فلو عزاه إليه المؤلف لكان أولى، فإن اللفظ له، ولفظ مسلم (٧/ ٧٠-٧١) بنحوه.أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو في المسند (٣/ ١٠٢) بسند صحيح على شرط مسلم، وقد أخرجه في صحيحه كما ذكر المؤلف.أهـ ألباني

كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة «والباقي مثله، ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود أنه من أنهار الجنة[١]، وعليه قباب اللؤلؤ، عليه جنابذ اللؤلؤ وطينه المسك كما جاء في الحديث[٢]، ويصب فيه ميزابان في الأرض يوم القيامة، يوم القيامة يصب فيه ميزابان عظيمان في الأرض يمتلىء من ذلك الحوض الذي ترده الأمة، وهذا الحوض العظيم في الأرض طوله شهر وعرضه شهر، طوله عرضه، آنيته عدد نجوم السماء، يرده أهل الإيمان من هذه الأمة ويشربون منه شربة عظيمة، وهو أحلى من العسل وأبيض من اللبن، منظره طيب وطعمه طيب، ويذاد عنه أقوام يوم القيامة لأنهم بدلوا وغيروا كما تذاد الإبل الغريبة عن إبل الإنسان، حتى يقول الرسول ﷺ **«أمتي»** وفي رواية **«أصحابي»**فيقال **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، قال فأقول سحقاً سحقاً»**[٣] أي لمن بدل بعدي، وفي اللفظ الآخر **«فأقول كما قال العبد الصالح - يعني عيسى عليه الصلاة والسلام - ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ**

(١) رواه البخاري (٦٥٧٨) كتاب الرقاق/ باب في الحوض، و(٤٩٦٦) كتاب التفسير/ باب سورة الكوثر، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٥٨١) كتاب الرقاق/ باب في الحوض، وأبوداود (٤٥٨١) كتاب السنة/ باب في الحوض، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٣) كتاب الرقاق/ باب في الحوض، و(٧٠٥١) كتاب الفتن/ باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾، ومسلم (٢٢٩٠) كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه مسلم أيضاً من حديث أم سلمة رضي الله عنها (٢٢٩٥).

عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧]»[١] وهذه الأحاديث كلها في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام، فيدل ذلك على أن الحوض حق وأنه واقع يوم القيامة، وهذا قبل انتقالهم إلى الجنة والنار، هذا في العرصات عند اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، الناس يجتمعون في العرصات مؤمنهم وكافرهم وأسافلهم، الأنبياء الماضون كلهم مجتمعون، وقد جاء في بعض الروايات أن كل نبي له حوض ترده أمته[٢]، وحوض النبي ﷺ أعظمها وأكبرها وأوسعها، يرده أهل الإيمان من هذه الأمة، ويصد عنه أقوام أعرضوا عن دين الله وكفروا بالله، ولهذا يصدون عنه ويذادون عنه، نسأل السلامة والعافية.

والأقرب والله أعلم أنه قبل كل شيء، لأن الناس يقومون ظماءً عطاشا.أهـ

* * *

(١) رواه البخاري (٣٣٤٩) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ و(٣٤٤٧) باب قول الله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ و(٤٦٢٥،٤٦٢٦) كتاب التفسير/ باب ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ و(٤٧٤٠) باب ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾، ورواه مسلم (٢٨٦٠) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والترمذي (٢٤٢٣) كتاب صفة القيامة/ باب ما جاء في شأن الحشر، والنسائي (٢٠٨٧) كتاب الجنائز/ ذكر أول من يكسى، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردةً، وإني لأرجو الله أن أكون أكثرهم واردة» أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٤) والترمذي (٢٤٤٣) كتاب القيامة/ باب ما جاء في صفة الحوض، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٧٣٤ وقال الألباني: حديث صحيح وإسناده ضعيف، لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وقد خرجتها مع الحديث في الصحيحة (١٥٨٩) انتهى، ورواه الطبراني في الكبير ٧/ ٢١٢.

والحوض في العرصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد ارتد أناس بعده ﷺ في عهد الصديق من الأعراب وأشباههم، ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه ولم يعرف حقيقة الإسلام كما ينبغي، فلهذا ارتد جم غفير من العرب، وقالوا: لو كان نبياً ما مات، وجهلوا أو تجاهلوا أن الأنبياء قبله ماتوا عليهم الصلاة السلام، فجاهدهم الصديق رضي الله عنه والصحابة، وقتلوا من قتلوا على كفرهم وضلالهم، وهدى الله من هدى بعد ذلك من طوائف وقبائل العرب، من بنى أسد ومن بنى حنيفة ومن تميم ومن غيرهم من أبناء العرب وصنوف العرب، فهؤلاء المشار إليهم في الحديث.

وقد حملت الرافضة الحديث على خيار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وهذا من ضلالهم وجهلهم، بل إنهم هم الذين جاهدوا الكفار، هم الذين أرسوا دعائم الإسلام، هم الذين صبروا وجاهدوا، ولكن الرافضة من أجهل الناس وأضلهم.أهـ

* * *

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبدالله البجلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض»(١) والفرط: الذي يسبق إلى الماء. وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: قال رسول

---

(١) صحيح، متفق عليه، بل هو حديث متواتر، قد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» عن تسعة من الصحابة (٧٣٦-٧٤٦) وزدت عليهم تسعة آخرين في «ظلال الجنة»(١/ ٣٤٧) مع تخريجها.أهـ ألباني

الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم»[١] قال أبوحازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وهو يزيد: «فأقول: إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي» سحقاً: أي بعداً.

والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الإشارة الأخيرة تحتاج إلى نظر، في الأحاديث الصحيحة مما نعلم ليس فيها ذكر هذه الأشياء، وإنما يصب فيها ميزابان من الكوثر[٢]، ولا يزال عظيماً متسعاً يرده الناس، أما ما ينبت عليه من هذه الأشياء يحتاج إلى أحاديث صحيحة، يحتاج إلى أدلة صحيحة، لأن المقام ليس مقام سكنى، المقام

---

(١) صحيح، رواه مسلم أيضاً (٧/ ٦٦) وهو مخرج في «الظلال» (٧٤١-٧٤٣). أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم (٢٣٠١) كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

مؤقت لأناس مؤقتين، ثم ينتقلون من هذا المكان العظيم إلى دورهم، ولكنه شراب طيب عظيم، فلا يستنكر أن ينبت عليه من الأشياء العجيبة، لكن إثباته يحتاج إلى دليل صحيح.

أما أبرد من الثلج لا أتذكرها الآن، لكن على كل حال هذه البرودة تليق بالمقام، إذا ثبت هذا في الحديث، فهذا يدل على أن برودته لا تمنعهم من الشرب ولا تؤذيهم، وهو وإن كان في الدنيا ثلج له شدة وله قوة، ولكن إن صحت اللفظة فهو برد لا يمنعهم، لأن أحوالهم في الآخرة غير أحوالهم في الدنيا، إن صحت اللفظة، أما قوله أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وريحه المسك وطوله شهر وآنيته عدد نجوم السماء، كل هذا ثابت(١) .أهـ

* * *

وقد ورد في أحاديث: «أن لكل نبي حوضاً»، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً(٢) . جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

قال العلامة أبوعبدالله القرطبي رحمه الله في التذكرة: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان، وقيل:

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٩) كتاب الرقاق/ باب في الحوض من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما و(٦٥٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه مسلم (٢٢٩٢) كتاب الفضائل/ باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، و(٢٣٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، ورواه الترمذي (٢٤٤٤-٢٤٤٥) من حديث أبي ذر وثوبان رضي الله عنهما.

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (٢/ ٦٧) طبع الهند، وقال: غريب، ثم ذكر أنه ورد مرسلا وقال: «وهو أصح» ورواه الطبراني أيضاً كما في «المجمع»(١٠/ ٣٦٣) وقال: «وفيه مروان بن جعفر السمري ،وثقه ابن أبي حاتم، وقال الأزدي: يتكلمون فيه، وبقية رجاله ثقات» ثم وجدت ما يقوي الحديث، فخرجته في الصحيحة (١٥٨٩).أهـ ألباني

الحوض. قال أبوالحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم، كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الظاهر والله أعلم أن العطش عام للمؤمنين وغيرهم، ولهذا يأتون إلى الحوض يشتهون الماء.اهـ

* * *

قال ابوحامد الغزالي رحمه الله، في كتاب كشف علم الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا شك أنه قبل الصراط، يأتيه الكافر والمسلم، لكن لا يمنع أن هناك حوضاً آخر بعد الصراط يرده المؤمنون عند القنطرة التي يقفون عندها ويحاسبون عندها، فإن المؤمنين إذا جاوزوا الصراط يقفون عند قنطرة بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا ويزال ما بينهم، ويدخلوا الجنة في غاية من الصفاء، صفاء القلوب وسلامتها، فإن ثبت شيء فهو هناك، إن ثبت شيء بعد الصراط فهو لأهل الإيمان خاصة.أهـ

* * *

ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨].أهـ

فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلِقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر .

قوله: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار).

ش: الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع .

النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الشفاعة هي التي حصل فيها الإجماع بين أهل السنة وبين أهل البدعة، فهم مجمعون على هذه الشفاعة العظمى الأولى، وهي الشفاعة في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، هذا قال به أهل السنة والجماعة وهكذا الخوارج والمعتزلة، ولم يختلف أهل القبلة فيها، لأن أمرها واضح، قد تواترت بها الأخبار عن رسول الله ﷺ ولهذا لم يستطيعوا أن ينكروها.أهـ

* * *

في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، أحاديث الشفاعة .

منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتي رسول الله ﷺ بلحم، فدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في

صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: جاء في الروايات الأخرى أن هؤلاء هم المؤمنون، الذي يتكلم بهذا الكلام هم أهل الإيمان، قال: فيفزعون ويقولون.أهـ

* * *

فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبوالبشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يدل على أنهم هم المؤمنون، هم الذين يعرفون هذه الأمور، أهل الإيمان هم الذين يعرفون هذه الأمور، أن الله خلقه بيده وأسجد له ملائكته.أهـ

* * *

فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا

إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ذنبك، ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو

كما بين مكة وبصرى»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني مسيرة شهر بين مصراعيه لسعة الباب، وليأتين عليه يوم مليء من الزحام لكثرة الداخلين، جعلنا الله وإياكم منهم.أهـ

* * *

أخرجاه في الصحيحين بمعناه، واللفظ للإمام أحمد.

والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار، وكان مقصود السلف ـ في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث ـ هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث، وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور، ولولا خوف الإطالة لسقته بطوله، لكن من مضمونه: أنهم يأتون آدم ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتون رسول

(١) صحيح، وهو في المسند (٢/ ٤٣٥) بسند الصحيحين، وهو مخرج في «ظلال الجنة» في تخريج السنة (٨١١).أهـ ألباني

الله محمداً ﷺ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: الفحص، فيقول الله: ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول الله ﷺ: «فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك، فاقض بينهم، فيقول سبحانه وتعالى: شفعتك، أنا آتيكم فأقضي بينهم، قال: فأرجع فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السموات، وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، والكروبيون

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المحيطون بالعرش يقال لهم الكروبيون، لقب لهم.أهـ

* * *

والملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح، قال: فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، إلى أن قال: فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم، إنه خلقه الله بيده، ونفخ فيه روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه، وذكر نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ.. إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: فآتي الجنة، فآخذ بحلقة الباب، ثم استفتح، فيفتح لي، فأحيا ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت له ساجداً، فيأذن لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول الله لي: ارفع يا محمد، واشفع تشفع، وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي، قال الله ـ وهو أعلم ما شأنك؟ فأقول: يا رب،

وعدتني الشفاعة، فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله عز وجل: قد شفعتك، وأذنت لهم في دخول الجنة...» الحديث(١). رواه الأئمة: ابن جرير في تفسيره، والطبراني، وأبويعلى الموصلي، والبيهقي وغيرهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: حديث الصور هذا فيه ضعف عند أهل العلم، لأن فيه إسماعيل بن رافع الأنصاري، ضعيف عندهم، لكنه كأنه جمعه من روايات كثيرة من القصاص، لعله جمعه من روايات كثيرة، فلا يقتضي خروجه من طريق واحد، إنما المحفوظ ومما جاء فيه مسألة الشفاعة العظمى للاستراحة، وجاء فيه أيضاً ثلاث نفخات، تقع في النفوس نفختان، نفخة الفزع والصعق، والثالثة نفخة البعث والنشور، هذا هو الموجود في القرآن العظيم وفي الأحاديث الصحيحة نفختان، لكن زاد بعد نفخة الصور نفخة ثالثة، وزاد تفسير الشفاعة العظمى وهو ليس بذاك، ولا منافاة، فإن شفاعته وقوله **«أمتي أمتي أمتي»** لا يمنع أن تكون شفاعته في الموقف، لأن منهم أمته، **«ويقضى ما بينهم»** معناه: القضاء بين الناس، لأنهم أفضل أمة من الأمم قد وقفت في هذا الموقف العظيم، فالشفاعة لأمته حين يقول: **«أمتي أمتي أمتي»** معناه الشفاعة للجميع، فليس هناك ما يوجب أن هناك حذفاً، فالحاصل أن قوله

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن جرير في تفسيره كما ذكر الشارح (٢/ ٣٣٠-٣٣١) و(٢٤/ ٣٠،١٨٦،١٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده ضعيف لأنه من طريق إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد، وكلاهما ضعيف بسندهما عن رجل من الأنصار، وهو مجهول لم يسم، وقول الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٤٨و٤/ ٦٣): إنه حديث مشهور..إلخ، لا يستلزم صحته كما لا يخفى على أهل العلم.أهـ ألباني

«أمتي أمتي» أنهم الأهم والباقي تبع، فلهذا قال «أمتي أمتي» ، ثم شفعه الله في الجميع وقضى بين العباد سبحانه وتعالى، فشفاعته في أمته معناه شفاعته في الجميع، شفاعته في أن يقضى بين الناس.

الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة من خصائصه، الشفاعة العظمى أولاً، والشفاعة في أهل الجنة بعد الشفاعة الثانية، بعد القضاء بين الناس، الشفاعة في دخول أهل الجنة هي النوع الثاني من أنواع الشفاعة الخاصة له، والنوع الثالث شفاعته في أبي طالب، هذه الثلاث خاصة به، والبقية مشتركة.أهـ

* * *

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلونها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه ليست من خصائصه، هاتان الشفاعتان ليستا من خصائصه ﷺ، بل له ولغيره، الشفاعة لمن استوت حسناتهم وسيئاتهم، وفيمن استحقوا النار ألا يدخلوها، فيها الأفراط وفيها الملائكة وفيها الصالحون.أهـ

* * *

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير

حساب[١]، والحديث مخرج في الصحيحين.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا خاص به، النوع الأخير خاص به عليه الصلاة والسلام وهو الشفاعة في أبي طالب، وهذا مستثنى من قوله جل وعلا ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر:٤٨] يعني الكفرة، وقوله جل وعلا ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨] هذه الآيات عامة، جاء ما يدل على استثناء أبي طالب منها، في التخفيف عنه فقط.أهـ

* * *

ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا تأويل، والمعنى الثاني الاستثناء، ومعناه واضح ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ ﴾ [المدثر:٤٨] يعني نفعاً كاملاً، من باب نفع الخاص مثل ما قال المؤلف، التخفيف ليس نفعاً كاملاً.أهـ

* * *

(١) صحيح، متفق عليه، وهو الذي فيه قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة».أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره، وقد خرجته في «الأحاديث الصحيحة» (٥٤-٥٥).أهـ ألباني

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي رواية أخرى «أنا أول شافع وأول مشفع» وهذا أعم، يعني أول شافع للشفاعة العظمى عليه الصلاة والسلام.أهـ

* * *

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أيضاً ليس خاصًّا به ﷺ بل هو عام، يشفع فيهم الأنبياء والصالحون والملائكة والأفراط، وحظه من كل شيء أكبر عليه الصلاة والسلام، لكنه ليس خاصًّا به عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح أنه قال: «**يحد لي حدًّا فأخرجهم من النار ثم حدًّا ثم حدًّا**» أربع مرات.أهـ

* * *

وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظنوا بالتخليد

(١) وأخرجه أحمد أيضاً (٣/ ١٤٠) وغيره، المصدر السابق برقم (١٥٧٠).أهـ ألباني

لجهلهم، وعقلاؤهم بلغتهم الأحاديث الصحيحة، أنه يشفع في أهل الكبيرة، ولكن أتباعهم لم يزالوا لا يؤمنون بهذا، فقد بلغتهم الأحاديث، لكن ظنوا لجهلهم أنها تخالف القرآن، قالوا إن الله يقول في القرآن ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] فظنوا أن هذه الآيات في العصاة، هذا من جهلهم، هذه الآيات في الكفار، هم الذين لا يخرجون من النار ولهم عذاب مقيم، أما العصاة فقد تواترت الأخبار بأنهم مهما طال مكثهم في النار فإنهم لا يخلدون تخليداً كاملاً، بل لابد لهم من خروجهم من النار للنصوص المتواترة، حتى ولو أطلق على معصيتهم الخلود، مثل ما في قاتل المؤمن بغير حق، قال الله ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء:٩٣] وقال فيمن يقتل نفسه أنه يعذب في النار خالداً مخلداً فيها[1]، هذا الخلود ليس هو خلود الكفار، بل هو خلود خاص، فالعرب تسمي الإقامة الطويلة خلوداً، مُقامك أَخلَدُ، يعني طوّل، سموا الإقامة الطويلة خلوداً، فكلما عظم الذنب واشتد قبحه صارت إقامته في النار أكثر، ومعلوم أن قتل النفس بغير حق من الكبائر العظيمة، فلهذا وصف أهلها بالخلود في النار، ولكنه خلود غير خلود الكفار.

فالخلود خلودان: خلود ليس معه خروج، بل هو خلود دائم أبد الآباد، فهذا خلود الكفار الذين قال الله فيهم ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ

---

(١) رواه مسلم (١٠٩)كتاب الإيمان/ باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، والترمذي (٢٠٤٣-٢٠٤٤) كتاب الطب/ باب: ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] وقال في حقهم ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧] وقال في حقهم ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ:٣٠] وقال في حقهم ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] هؤلاء هم الكفرة .

أما العصاة فخلودهم غير خلود الكفار، خلودهم مؤقت، يسمى خلوداً لطوله ولكنه ينتهي، هذا هو ما جاءت وتواترت به الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك، بخلاف الخوارج الجهلة والمعتزلة.أهـ

* * *

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات، ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(١) رواه الإمام أحمد رحمه الله، وروى البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، قال: اجتمعنا، ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه، يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاؤوك

---

(١) صحيح، وله طرق وشواهد «المشكاة» (٥٥٩٨،٥٥٩٩) وهو مخرج في «ظلال الجنة»(٨٣١،٨٣٢).أهـ ألباني

يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيامة، ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، لكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بـ محمد ﷺ، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل» قال: فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن، وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك، فأتيناه، فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عندك أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه؟ فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه؟ فقلنا لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جميع، منذ عشرين سنة، فما أدري، أنسي أم كره أن تتكلوا؟ فقلنا: يا أبا سعيد، فحدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان عجولاً ! ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: «ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»[(١)] وهكذا رواه مسلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله حدثني وهو جميع يعني وهو مستكمل القوى، قبل شدة الشيخوخة، لأنه رضي الله عنه وأرضاه عاش إلى مائة سنة وسنتين أو ثلاث، وكان مجيء معبد بن غيلان وأصحابه في آخر حياته رضي الله عنه وأرضاه .

وهذه أربع شفاعات يحد الله له فيه حدًّا، حده الأول بالشعيرة، ثم بحبة الذرة أو الخردلة، ثم بأدنى أدنى حبة خردل، ثم بمن قال لا إله إلا الله في الرابعة التي قال لهم الحسن، والمعنى قالها وهو موحد، إذا قالها وأدى المعنى، وحد الله ولم يقلها ونقضها، بخلاف اليهود والمنافقين ومن شايعهم ممن يقول لا إله إلا الله ولكنه ينقضها بكفره وعناده، فإنها لا تنفعه هذه الكلمة ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥] فهم يقولون لا إله إلا الله ويقولون نشهد أن محمداً رسول الله لكن يقولونها كذباً ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٦٧] نسأل الله العافية.

---

(١) صحيح، كما ذكر المؤلف رحمه الله، من حديث أنس.أهـ ألباني

وفي هذا الحديث، حديث الإمام أحمد دلالة على أنه يشفع في أهل الكبائر، لأنه إنما يدخل النار أهل الكبائر، أما أهل الصغائر فإنه تغفر لهم سيئاتهم بما تجنبوا من الكبائر، كما قال عز وجل ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء:٣١] وفي الحديث الصحيح «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»(١) فدل ذلك على أن الذي يدخل النار هم أهل الكبائر، والنبي يشفع فيهم كل شفاعاته، فله الشفاعة العظمى في أهل الموقف، وله الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها، وله الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وله الشفاعات الأخرى السابقة، والشفاعة في أبي طالب بالتخفيف، وله هذه الشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أهل الكبائر هي الشفاعة التي فيها إخراجهم من النار، بخلاف أهل الإيمان والتوحيد والسلامة، فإن توحيدهم وإيمانهم وسلامتهم من الكبائر تغنيهم عن الشفاعة في دخول الجنة وفي استحقاق الجنة، وإن كانوا مع أهل الشفاعة في الإذن بالدخول.

وفي هذا من الفوائد أيضاً أن الإيمان قد ينقص ويتضاءل حتى يكون أقل من شعيرة وأقل من خردلة وأقل من ذرة في القلب لضعفه، ولهذا يدخل النار صاحبه بسبب تعاطيه الكبائر من الزنا والسرقة والربا وشرب الخمور وأشباهها من الكبائر التي تضعف الإيمان، حتى لا يقوى صاحبها على الامتناع منها، بل شهوته تغلبه على اقتراف هذه الكبائر لضعف الإيمان الرادع.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣)كتاب الطهارة/ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم هذه الشفاعة لاتخصه عليه الصلاة والسلام، بل يشاركه فيها غيره من أهل الإيمان والملائكة والأفراط والرسل الآخرين.أهـ

وروى الحافظ أبو يعلى عن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجاء في الحديث الصحيح يشفع المؤمنون عموما من العلماء والشهداء وغيرهم، يقول النبي ﷺ: «**يقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»[٢] سبحانه وتعالى، فيخرج من كان في النار من بقايا أهل التوحيد، الذين يقولون لا إله إلا الله وليس عندهم خير سوى نطقهم بهذه الشهادة، مع ما عندهم من توحيد وإيمان تمنعهم من مشابهة اليهود والمنافقين، فيخرجهم الله وهم آخر من يبقى في النار، آخر من يبقى في النار من أهل التوحيد، يخرجهم الله برحمته بعد شفاعة الشفعاء، ممن كان معدودا من أهل التوحيد ليس من أهل الشرك.

ورواية أبي يعلى لو صحت لا تخرج عن الأحاديث الصحيحة، لأن العلماء والشهداء من خواص المؤمنين.

وتارك الصلاة كافر عند المحققين من أهل العلم، أما تارك الزكاة

---

(١) موضوع، رواه ابن ماجه (٤٣١٣) والعقيلي في الضعفاء، ص (٣٣١) في ترجمة عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، وقال: «لا يتابع عليه» وروي عن البخاري أنه قال: تركوه، وقال أبوحاتم: كان يضع الحديث، وهو مخرج في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»(١٩٧٨).أهـ ألباني.

وقال شاكر: هو حديث ضعيف جدا، في إسناده عنبسة بن عبد الرحمن الأموي، وهو واهي الحديث، رمي بالكذب والوضع.أهـ

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها/ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأحمد (٣/ ٩٤).

فالصواب أنه ليس بكافر ولكنه عاص معصية كبيرة، ولهذا يعاقب يوم القيامة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، والصيام كذلك والحج كذلك، إنما الخلاف الكبير في الصلاة، فذهب قوم من أهل العلم ـ وهم أهل التحقيق ـ إلى كفره، للأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك، وإن لم يجحد وجوبها، أما إذا جحد وجوبها فهو كافر عند الجميع.

وقال آخرون: إنه إذا لم يجحد وجوبها يكون كفره كفراً دون كفر، وهو المشهور من مذاهب الأئمة الثلاثة مالك وأبي حنيفة والشافعي، المشهور من مذاهبهم أنه كافر كفراً دون كفر، يصلى عليه ويغسل، ولا يكون كافراً كفراً أكبر.

والأقرب والأظهر قول من قال إنه كفر أكبر.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] من كفر يعني بجحده، جحد وجوبه وإنكاره لا بتأخيره، عند أهل العلم من كفر بجحده وإنكار وجوبه، أما من أقر به ولكنه تساهل فالمشهور عند أهل العلم أنه لا يكون كافراً بل يكون عاصياً، أما أثر عمر «ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين»(١) في صحته نظر، ولو صح فهو من باب الوعيد.أهـ

* * *

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً، قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري عن عمر ١/ ٢٩٣ وقال: وفيه انقطاع.

يعملوا خيرا قط»[١]، الحديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: في لفظ آخر «إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله».أهـ

* * *

ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم، يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأن عقيدتهم أن من دخل النار لا يخرج منها، هذه عقيدة المعتزلة والخوارج، من دخلها لا يخرج، ويتأولون قوله تعالى ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٧] قالوا: هذا يعم من كفر ويعم أهل الكبائر، وهم كفار عند الخوارج، ولهم حكم الكفار عند المعتزلة، قولهم باطل، غلو وإفراط، بل هم تحت مشيئة الله، وأهل السنة والجماعة على خلاف قولهم.أهـ

* * *

وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً، كما في الحديث الصحيح، حديث الشفاعة: إنهم يأتون آدم، ثم نوحاً، ثم

(١) صحيح، أخرجه مسلم (١/ ١١٥-١١٦) وأحمد (٣/ ٩٤).أهـ ألباني

إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فيقول لهم عيسى عليه السلام: «اذهبوا إلى محمد، فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأذهب، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً، فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي، لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأقول: ربي: أمتي، فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أنطلق فأسجد، فيحد لي حداً»(١) ذكرها ثلاث مرات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب أنه ذكرها أربع مرات، كما في رواية أنس من طريق الحسن، أربع مرات.أهـ

* * *

وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين:

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهناك وجه ثالث، وهو أن الدعاء من الأمور التوقيفية، كيفيات الدعاء والوسائل التي شرعها الله تتوقف على النقل، لا يجوز لأحد أن يجعل شيئاً من الوسائل ـ يطوّل

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.أهـ ألباني

الدعاء أو يكرر الدعاء - إلا بنص، فالأمور التوقيفية ليس لأحد التدخل فيها، والله شرع لنا التوسل بأسمائه وصفاته وبالأعمال الصالحة، فليس لأحد أن يزيد وسيلة أخرى، بحق فلان أو بجاه فلان إلا بدليل، ولم يرد دليل يدل على أن التوسل بالجاه أو بحق فلان مما شرعه الله، بل ذلك من البدع، ولهذا ذكر المؤلف وغيره إنكار هذه الوسيلة، التوسل بحق فلان أو بفلان، ذات فلان أو بحقه، فليس له أصل، فإذا دعي إقساماً على الله نهي عنه من باب أنه إقسام على الله، والإقسام في المخلوق، وأيضاً اعتقاد أن للمخلوق حقاً على الله، والله جل وعلا ليس عليه حق لأحد إلا ما جعله حقاً سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧] ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢] «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[1] وما أشبه ذلك مما جاءت به النصوص.أهـ

* * *

وكذلك ما ثبت في الصحيحين من قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، وهو رديفه: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه أن لا

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦) كتاب الجهاد والسير/ باب: اسم الفرس والحمار، و(٦٢٦٧) كتاب الاستئذان/ باب من أجاب بلبيك وسعديك، و(٦٥٠٠) كتاب الرقاق/ باب من جاهد نفسه في طاعة الله، و(٧٣٧٣) كتاب التوحيد/ باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم (٣٠) كتاب الإيمان/ باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

يعذبهم»[(١)] فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه إشارة إلى الوجه الثالث، أنه لم يشرع جعله سبباً.أهـ

* * *

وكذلك الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ، في قول الماشي إلى الصلاة: «أسألك بحق ممشاي هذا، وبحق السائلين عليك»[(٢)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث معروف ما فيه من ضعف، لكن لو صح فليس فيه إلا مجرد حق السائلين وحق الماشين، حق السائلين معناه الإجابة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] وحق الماشين في طاعة الله الإثابة، فلو صح فهو توسل بصفات الله، لا بحق المخلوق الذي ليس له أصل، بل هو سؤال بحق السائلين وهو الإجابة، وحق الماشين في طاعة الله وهو الإثابة، لكنه ضعيف الإسناد.أهـ

* * *

(١) متفق عليه، حديث ابن عباس خرجته في «الإرواء»(٨٥٥).أهـ ألباني

(٢) ضعيف، وقد فصلت القول في ذلك في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (٢٤).أهـ ألباني

فهذا حق السائلين، هو أوجبه على نفسه، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم، وللعابدين أن يثيبهم، ولقد أحسن القائل:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا، ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله، أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم السامع

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وهو الكريم الواسع» «الواسع»: هذا هو المعروف.أهـ

* * *

فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي: «بحق السائلين عليك» وبين قوله: «بحق نبيك» أو نحو ذلك؟ فالجواب: أن معنى قوله: «بحق السائلين عليك» انك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فاجب دعائي، بخلاف قوله: «بحق فلان» فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ـ فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي ! وأي مناسبة في هذا واي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ! وقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية .

والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع .

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق ؟! وقد قال ﷺ: «من

حلف بغير الله فقد أشرك»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ورواه أبوداود والترمذي أيضاً بإسناد جيد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[(٢)]. أهـ

* * *

ولهذا قال أبوحنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك، حتى كره أبوحنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبويوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه[(٣)]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأثر ليس بصحيح، ما فيه أثر صحيح، ولهذا كرهه أبوحنيفة رحمه الله، يقال: «معقد» ويقال: «معاقد العز من عرشك» فإذا أريد به اسمه هو سبحانه وتعالى فيسأل بعزته، كما جاء بها النص «بعزة الله» ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أما «معاقد» فلم ترد بهذا اللفظ. أهـ

* * *

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا،

---

(١) صحيح، رواه أحمد والحاكم وصححه، «الإرواء» (٢٥٦١). أهـ ألباني

(٢) رواه أبوداود (٣١٢١) كتاب الأيمان والنذور/ باب: في كراهية الحلف بالآباء، والترمذي (١٥٣٥) كتاب النذور/ باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) قلت: هو حديث مرفوع موضوع، كما بينه الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٢٧٣). أهـ ألباني

وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ قال عمر رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا»[١] معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس ..

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولو كان المراد بالذات لكانت ذات النبي أفضل أيضاً، فيتوسلون بالدعاء لا بالذات والجاه، لو كان التوسل في حياته بالجاه وبالذات لكان بعد وفاته كذلك، إذ ذاته وجاهه لم يزالا عظيمين، وإنما كان التوسل بدعائه وشفاعته وهم يُؤَمِّنون، وهكذا ما جرى للأعمى في حديث الأعمى، هو توسل بدعاء النبي وشفاعة النبي ﷺ له[٢].

فالشفاعة لا تطلب من الأنبياء ولا من المؤمنين بعد وفاتهم، وإنما تطلب من الله، فتقول: اللهم شفع فيّ نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم لا تخيب شفاعتهم، ولا تطلب من الأموات كما يفعله عباد القبور، يقولون

(١) رواه البخاري (١٠١٠) كتاب الاستسقاء/ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ورواه الخلال في السنة (٢٧) ١/ ٩.

(٢) رواه أحمد ٤/ ١٣٨، والترمذي (٣٥٧٨) كتاب الدعاء/ باب، من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وكذا رواه ابن ماجه ١/ ٤٤١ (١٣٨٥) والطبراني في الكبير ٩/ ١٧ رقم (٨٣١١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٧٩).

للنبي ﷺ أو فلان أو فلان: اشفع لنا عند ربك، هذا لا يجوز، لأنه بعد الموت انقطع هذا العمل، فالشفاعة إنما تكون في حال الحياة، في الدنيا، وهكذا بعد الحياة يوم القيامة، أما في حال الموت فلا ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٤٤] فالميت انقطع عمله إلا من ثلاث «صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[١] فلا تطلب من الأموات، لا من الرسل ولا من غيرهم، وإنما تطلب من الله جل وعلا، لكن الحي لا بأس، تقول للحي: يا أخي اشفع لي، سل الله لي، ادع الله لي، يوم القيامة يفزع الناس ويفزع المؤمنون ويأتون آدم إلى آخره، لأنهم أحياء ذلك الوقت حياة أعظم من حياتهم في الدنيا، وحديث عمر أخرجه البخاري في صحيحه. أهـ

* * *

وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع.

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط يسببه من لم يفهم معناه، فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا في حياته يكون، أو لكون الداعي محباً له، مطيعاً لأمره، مقتدياً به، وذلك أهل للمحبة والطاعة والاقتداء، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته، وإما بمحبة السائل واتباعه، أو يراد به الاقسام به والتوسل بذاته، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه.

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية/ باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به التسبب به، لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به.

ومن الأول: حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون[1] فهؤلاء: دعوا الله بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب، بمعنى أنه صار شفعاً فيه بعد أن كان وتراً، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه، وبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنه ساعد الطالب بالشفاعة وساعد المطلوب، لأن المطلوب منه قد يخافه وقد يخشى من رده، فلهذا قد يجيبه الشفاعة خوفاً أو طمعاً، والله لا يخاف أحداً ولا

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر. اهـ الباني

والحديث رواه البخاري (٢٢١٥) كتاب البيوع/ باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي، و(٢٣٣٣) كتاب الحرث والمزارعة/ باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم، و(٣٤٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الغار، و(٥٩٧٤) كتاب الأدب/ باب إجابة دعاء من بر والديه، ورواه مسلم (٢٧٤٣) كتاب الرقاق/ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

يطمع بأحد، وإنما يجيب الشافع فضلا منه سبحانه وتعالى، فلا يستويان.أهـ

* * *

والله تعالى وتر، لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه، فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله: ارفع رأسك، وقل يسمع، واسأل تعطه، واشفع تشفع، فيحد له حداً فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال ﷺ: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء»(١) وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «يا بني عبدمناف، لا أملك لكم من الله شيئاً، يا صفية يا عمة رسول الله ﷺ لا أملك لك من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله، لا أملك لك من الله شيئاً»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد أبلغ وأنذر عليه الصلاة والسلام، حتى لا يتعلق أولئك في القرابة، يقولون: هو قريبنا فيكفي، كما يظنه الجهال في قراباتهم، ولا سيما من ينتسب إلى النبي ﷺ ويظنون أن هذا الانتساب يكفيهم وإن أساءوا الأعمال، وإن ضلوا وأشركوا، وهذا من الجهل العظيم، ولهذا أبدى وأعاد عليه الصلاة والسلام في بيان أن هذه القرابة لا تكفي، بل لابد من العمل، ولهذا قال:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى، وهو مخرج في الصحيحة (١٤٦٤).أهـ ألباني

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٣٣) من حديث أبي هريرة بأتم منه مركباً من روايتين عنه.أهـ ألباني

«اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً» والله جل وعلا قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠١] وقال عز وجل ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] وقال ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1] والأنساب لم يعلق الله بها النجاة، وإنما علق ذلك بالإيمان والعمل الصالح، فالأنساب والأموال والصحبة والخلة ونحو ذلك لا تنفع أهلها إلا ما كان لله وفي الله ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧] فالمحبة والإخاء والصداقة والأنساب والأموال وأشباه ذلك؛ كلها لا تغني عن أهلها شيئاً إلا إذا صرفوها في طاعة الله، واستعملوها في مرضاة الله، وصارت المحبة والصداقة في سبيل الله وفي طاعة الله سبحانه وتعالى.

والتوسل بأسمائه من أعظم الوسائل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] لكن نتكلم في مسألة ما يتعلق بالناس، بالمخلوقين، بأعمالهم ودعائهم وذواتهم وحقهم، أما يتعلق بالله فله الأسماء الحسنى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] فالتوسل يكون بأسماء الله ويكون بتوحيده ويكون بالأعمال الصالحات ويكون بدعائه، يستشفع به، كل هذه وسائل.

وقوله: «والله تعالى وتر لا يشفعه أحد» مقصوده أن الشفيع شفع للداعي، والله جل وعلا لا شفع له، بل هو وتر دائماً دائماً، فلا يخاف

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩)كتاب الذكر والدعاء/ باب:فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ورواه أبوداود (٣٤٩٦)كتاب العلم/ باب الحث على طلب العلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحداً ولا يرجو أحداً، ولا يكون الشافع شفعاً له، بل شفعاً للسائل فقط.

وإطلاق الوتر هذا من أسماء الله، في الحديث الصحيح: «**إن الله وتر يحب الوتر**»[1] .أهـ

* * *

وفي الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ: «لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، أو شاة لها يعار، أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني أغثني، فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء»[2] فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: لا أملك لكم من الله من شيء فما الظن بغيره؟ وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا بحث جيد في مسألة الوسيلة، رحمه الله وجزاه خيراً.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٦٦) ومسلم (٦/ ١٠) وأحمد (٢/ ٤٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أهـ ألباني

قال شاكر: هو مختصر معنى حديث صحيح، رواه أحمد في المسند ٩٤٩٩، ورواه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٣، ورواه أيضاً البخاري وغيره. أهـ

لم يذكروا الوسائل من باب الفروع، لكن لها صله بالعقيدة لأنها قد تجر إلى الشرك، الوسائل المبتدعة قد تجر إلى الشرك، وإلا فهي من باب الفروع، فاتصالها بالعقيدة لأنها قد تكون وسيلة، لأنه يتوسل بالجاه بجاه فلان، ثم غداً يدعوه ويستغيث به، فهو معروف عند العامة، التوسل بجاه فلان وحق فلان وسيلة للشرك به، لأنهم إنما توسلوا بجاهه وحقه لأنه عندهم عظيم، ولما استقر في قلوبهم عظمته؛ جرهم الشيطان من هذا إلى أن يدعوه ويستغيثوا به ويطلبوه المدد، فكما أنه بدعة ـ التوسل بجاه فلان أو فلان ـ فهو أيضاً من وسائل الشرك، هو بدعة ومن وسائل الشرك، مثل ما أن البناء على القبور والمساجد عليها وتجصيصها وأشباه ذلك هو بدعة وهو من وسائل الشرك أيضاً، لأنهم لما بنوا عليها وعظموها، وقع في قلوب العامة من تزيين الشيطان أن أهلها يعظمون بالدعاء والاستغاثة وطلب المدد، فوقع الشرك، ولهذا قال العلماء: إن البدعة أحب إلى الشيطان من كبائر الذنوب، وأنها في مرتبة بين الشرك وبين الكبائر، فأعظم الذنوب الشرك الأكبر بالله، وما يليه من الشرك الأصغر، ثم البدعة، فهي في مرتبة تلي الشرك، ثم الكبائر ثم الصغائر.

ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة» وفي غيره أن للشيطان عقبات، يقف للمسلم في كل عقبة يصده بها عن الحق، فأول عقبة الشرك، يصده بها عن التوحيد ويجاهده حتى لا يوحد الله، فإن عافى الله المسلم من ذلك وأعانه على التوحيد، وقف له في البدع، فدعاه إلى البدعة وزينها له، لعلمه بأنها تجره إلى الشرك وتجره إلى الكفر، فإذا اجتنب المؤمن البدعة ووقاه الله منها وأعانه على عدوه؛ وقف له في مرتبة ثالثة وهي الكبائر، ويقال لها العقبة الثالثة، وهي عقبة يجره بها ويصيده فيها ليحبط أعماله وليضعف إيمانه، فيزين له الكبائر ويدعوه إليها،

ويقول: إن الله غفور رحيم، مادام معك إيمان لا تضرك المعاصي، فيزين له الزنى والخمر وسائر أنواع الكبائر، ولا سيما ما له منه حظ وشهوة، فإن ظفر به فهذا هو المطلوب، وإن لم يظفر به وأنجاه الله منه جاءت العقبة الرابعة وهي الصغائر، فيدعوه إليها ويقول: إنها مغفورة، إنها بجنب الكبائر مغفورة، فيزين له الذنوب التي لا يظهر أنها من الكبائر، فإن عجز عنه وسلمه الله من ذلك وقف له في المكروهات، وصار يدعوه إلى المكروهات والمشتبهات حتى يجره بها إلى المعاصي، فإن سلم من المكروهات والمشتبهات؛ وقف له في شغله بالمفضول عن الفاضل، فيدعوه إلى المفضول حتى يضيع الفاضل، فيدعوه إلى أن يشتغل بالعبادة وقراءة القرآن ويدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول له: إن هذا فيه كفاية، أن تعبد ربك وتصلي وتقرأ وتجلس في المسجد وفي بيتك، ولا يلزم أن تذهب مع الناس في الدعوة إلى الله وإنكار المنكر وكذا وكذا، فيثبطه، فإذا لم يستطع ذلك شغله بالفضول والمباحات وأنواع الشهوات المباحة ليصده بهذا عن العمل الذي يرضي الله ويقربه إليه.

قال أيضاً: وقد يحرك عليه الناس حتى يشغلوه عن طاعة ربه وعما أوجبه الله عليه، يحرك عليه الناس، يسبب له كثرة الأعداء وكثرة المشاغبين وكثرة المؤذين، حتى يثبطوه عما هو فيه من الخير والعلم والهدى، هذا كله واقع، من تأمل أحوال الناس وتأمل الشيطان وتأمل مكائده وطرقه الخبيثة وخطواته، ظهر له ما ذكره ابن القيم رحمه الله وغيره في هذه العقبات.أهـ

* * *

قوله: (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق).

ش: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم:

فمنها: ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: واد في عرفات.أهـ

* * *

يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً، قال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾.. إلى قوله: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾»[(١)] ورواه النسائي أيضاً، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال:

---

(١) صحيح لطرقه وشواهده، وهو مخرج في الصحيحة (١٦٢٣).أهـ ألباني

وقال شاكر: هو في المسند بتحقيقنا ٢٤٥٥، تفسير الطبري ٩/ ٧٥-٧٦ (طبعة بولاق) ومجمع الزوائد ٧/ ٢٥ و٧/ ١٨٨-١٨٩ ونقله ابن كثير في التفسير ٣/ ٥٨٤-٥٨٥ وفي التاريخ ١/ ٩٠.أهـ

خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل: يا رسول الله، فقيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»[(١)] ورواه أبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن حبان في صحيحه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: له عدة روايات، وهو لا شك صحيح، أشهر رواياته فيها انقطاع، والذي ثبت عن عمر رضي الله عنه غير منقطع، ولهذا المعنى شواهد كثيرة، وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه وأرضاه أن النبي ﷺ كان ذات يوم عند القبر ينتظر دفن الميت وينكت بعصا معه فقال عليه الصلاة والسلام «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**، قالوا: يا رسول الله فيم العمل؟ إذا كان الأمر قد قضي وفرغ منه ففيم العمل؟ قال: **اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا قوله سبحانه** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا

---

(١) صحيح لغيره، إلا مسح الظهر، فلم أجد له شاهداً «الضعيفة»(٣٠٧٠). أهـ ألباني.

قال شاكر: هو في المسند برقم: ٣١١ ونقله ابن كثير ٣/ ٥٨٦-٥٨٧ وفي التاريخ ١/ ٨٩-٩٠ وقد صححناه هنا من المسند، والزيادتان هنا أثبتناهما من المسند. أهـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل:٥-١٠]»(١) الآية، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة في إثبات القدر وأنه قد مضى ونفذ، وهكذا حديث ابن مسعود في الصحيحين في خلق النطفة ثم العلقة ثم المضغة(٢).

ومسح الظهر أذكر فيه روايات أخرى غير رواية عمر، ولا أستبعد أن بعض أهل العلم جمع هذه الطرق وجمع هذه الروايات، لأن إثبات هذا من الأمر المهم، فلا أستبعد أن بعض أهل العلم قد جمع طرق هذا الحديث من روايات الصحابة المعروفين، ولعل ابن كثير رحمه الله قد استوفى شيئاً من هذا على هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ [الأعراف:١٧٢] فإن ابن كثير رحمه الله في الغالب يعتني، وابن جرير كذلك.

والظاهر على ما هو معروف عند أهل السنة والجماعة، إذا صحت الرواية وجب التسليم لها، ويكون مسح الظهر مثل بقية الصفات وسائر الصفات، كأخذه الأرض بيمينه **«يطوي الله السماوات بيمينه والأرض بشماله ثم يهزهن فيقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»**(٣)

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧، ٤٩٤٨، ٤٩٤٩) كتاب التفسير/ باب ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ﴾ ومسلم (٢٦٤٧) كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة، و(٣٣٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب خلق آدم وذريته، و(٦٥٩٤) كتاب القدر، و(٧٤٥٤) كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾، ورواه مسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٥١٩) كتاب الرقاق/ باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، و(٧٣٨٢) كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٧٨٧، ٢٧٨٨، ٢٧٨٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث ابن عمر وابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وغير هذا من صفاته سبحانه وتعالى، كذلك حديث «**القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»[١] هي صفة حق تليق بالله، نمرها كما جاءت مع الإيمان والتسليم لما دلت عليه، وأنه ليس كمثله شيء لا في قبضه للأشياء ولا في هزه للأشياء ولا في أصابعه ولا في مسحه للظهر ولا في غير هذا، بل هي صفات تليق بالله، لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وروى الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح على ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: رب، كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاء ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال فجحد! فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته، وخطئ آدم، فخطئت ذريته**»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤)كتاب القدر/ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، والترمذي (٢١٤٠)كتاب القدر/ باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، من حديث أنس رضي الله عنه واللفظ للترمذي.

(٢) صحيح، وجدت له أربعة طرق، بعضها عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٠٤، ٢٠٥) بتحقيقي.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال خَطِأَ بمعنى أثم، وأما أخطأ بمعنى خالف الصواب عن جهل ونسيان، فخطئ في العمد، وأخطأ في غير العمد، ولهذا يقول جل وعلا ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة:٣٧] يعني الآثمون ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٣١] يعني إثماً كبيراً، فالثلاثي بمعنى أثم، والرباعي بمعنى غلط، وقوله: «من آخر الأمم» يعني من آخر أنبياء بني إسرائيل، قبل عيسى بقليل.أهـ

* * *

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: سبحان من لا يضل ولا ينسى، هذا يوجب لطالب العلم دائماً أن لا ييأس من شيء، وألا يعتمد على شيء من كلام الناس، ولو كان القائل كبيراً، فإذا قال مثلاً أحمد أو الشافعي أو مالك أو شيخ الإسلام ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهم: إنه ليس في هذا الباب رواية، أو ليس في هذا الباب حديث، أو ليس في هذا الباب أثر؛ فلا يؤخذ مسلّماً، بل لابد من تعب وعمل وتفتيش، لأن كل واحد له طاقة محدودة، وكل واحد له معلومات محدودة، لا يحصي كل شيء، مهما بلغ من العلم لا يحصي كل شيء، فلابد أن يكون طالب العلم لا يعتمد على زيد في النفي ولا في الإثبات، ولا سيما في النفي، النفي أخطرها، بل يعمل ويكدح ويفتش وينظر، فدائماً يجد ما يخالف هذا النفي.

ثم الإنسان مهما كان من العلم تعتريه الغفلة، يعتريه النسيان، يكتب وهو مشغول الفكر، يكتب وهو مشغول بأمر آخر من أمور دنياه أو من أمور آخرته فيغلط، وهذا مجرب مع الكبار ومع غير الكبار، فهذا يوجب لطالب العلم أن يكون دائماً يعتني، ولا يقول قال فلان وهذا يكفي، فلان واسع العلم فيكفي ولا نبحث، لا، بل لا بد من التفتيش والنظر والتماس ما هو بحاجة إلى طلبه.

وإذا قال المفتي: لا أعلم ذلك ورد عن الرسول فهذا طيب، لكن المصيبة إذا قال: لم يرد عن الرسول، ولا ينبغي استعمال قول ما ورد وإن قصد في حد علمه، بل ينبغي استعمال لا أعلم أو لا أعرف ذلك أو لم أقف على شيء من ذلك ونحو هذا.أهـ

* * *

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي شيئاً»(١) وأخرجاه في الصحيحين أيضاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الإرادة الشرعية لا القدرية، «**أردت منك أن لا تشرك بي شيئاً**» إرادة شرعية، لأنها هي التي تقع مخالفتها من العبد، أما الإرادة الكونية فلا تخالف، ما أراده الله كوناً لا بد أن يقع ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] «**أردت منك أن لا تشرك بي شيئاً**» يعني أمرتك وأوصيتك وحرضتك

(١) صحيح، متفق عليه، وهو في المسند (٣/ ١٢٩، ١٢٧).أهـ ألباني

ونحو ذلك، بهذا المعنى، أما الإرادة الكونية التي أرادها كوناً وشاءها كوناً فهذه لا تخالف.

وبهذا تعلم أن الإرادة إرادتان: إرادة شرعية دينية، فهذه قد يقع مرادها وقد لا يقع من العبد، فالله أراد من العباد جميعاً أن يعبدوه ويطيعوا رسوله ﷺ، فمنهم من أطاع وهم القليل ومنهم من عصى وهم الأكثرون، هذه هي الإرادة الشرعية.

وأما الإرادة الكونية فلا يمكن أن يخالفها أحد، فقد أراد من الناس أن يموتوا فهم لا بد أن يموتوا كلهم، وأراد لهذه الدنيا أن لا تبقى ولا تدوم فهي لا تبقى ولا تدوم، وأراد من إبليس إرادة كونية أنه لا يهتدي فلم يهتد، وهكذا.أهـ

* * *

وذكر أحاديث أخرى أيضاً كلها دالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل النار وأهل الجنة.

ومن هنا قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد، وهذه الآثار لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقاً مستقراً ثابتاً، وغايتها أن تدل على أن باريها وفاطرها سبحانه صور النسمة وقدر خلقها وأجلها وعملها، واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا يدل على أنها خلقت خلقاً مستقراً واستمرت موجودة ناطقة كلها في موضع واحد ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة، كما قاله ابن حزم، فهذا لا تدل الآثار عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا وجه له، في بعضها أنه أعادها إلى صلبه، بعد ما أخذ عليها الميثاق أعادها إلى صلبه، وإرسال

الملك عند نفخ الروح، يرسل إليه فينفخ الملك الروح من جديد، فتكون مخلوقة من جديد. أهـ

❊ ❊ ❊

نعم، الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة، كما قاله على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً، فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق، كشأنه سبحانه في جمع مخلوقاته، فإنه قدر لها أقداراً وآجالاً، وصفات وهيآت، ثم أبرزها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير السابق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»(١) وهذا معنى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد:٢٢] وهكذا قوله جل وعلا ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج:٧٠] فقد سبق علمه وكتابته في كل شيء، ثم يأتي المخلوق على حسب ما مضى في علم الله، تأتي هذه المخلوقات والحيوانات ومن أشياء أخرى، وجمادات، على حسب ما مضى في علم الله وكتابته، من جن وإنس وملائكة، وجمادات من جبال وأشجار وأحجار ومعادن وغير هذا. أهـ

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر/ باب: حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالآثار المروية في ذلك إنما تدل على القدر السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة، وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وعمر رضي الله عنهم، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد، كما تقدم كلام المفسرين على هذه الآية الكريمة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى قوله ﴿شَهِدْنَآ﴾: أي قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا، وهذا قول ابن عباس وأبي بن كعب، وقال ابن عباس أيضاً: أشهد بعضهم على بعض، وقيل: ﴿شَهِدْنَآ﴾ من قول الملائكة، والوقف على قوله ﴿بَلَىٰ﴾، وهذا قول مجاهد والضحاك وقال السدي أيضاً: هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، والأول أظهر، وما عداه احتمال لا دليل عليه، وإنما يشهد ظاهر الآية للأول .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والسياق كله فيهم، المستخرجون هم الذين قالوا ﴿شَهِدْنَآ﴾ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢] يعني أقررنا واعترفنا، شهد على نفسه يعني أقر واعترف، مثل ما في قوله جل وعلا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء:١٣٥] فالمعترف إذا قال عندي لفلان كذا واقترضت من فلان كذا؛ فمعناه الشهادة على نفسه بأنه مطلوب لفلان هذا الشيء.أهـ

* * *

واعلم أن من المفسرين من لم يذكر سوى القول بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، كالثعلبي والبغوي وغيرهما، ومنهم من لم يذكره، بل ذكر أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، كالزمخشري وغيره، ومنهم من ذكر القولين، كالواحدي والرازي والقرطبي وغيرهم، لكن نسب الرازي القول الأول إلى أهل السنة، والثاني إلى المعتزلة. ولا ريب أن الآية لا تدل على القول الأول، أعني أن الأخذ كان من ظهر آدم، وإنما فيها أن الأخذ من ظهور بني آدم، وإنما ذكر الأخذ من ظهر آدم والإشهاد عليهم هناك في بعض الأحاديث، وفي بعضها الأخذ والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار، كما في حديث عمر رضي الله عنه، وفي بعضها الأخذ وإراء آدم إياهم من غير قضاء ولا إشهاد، كما في حديث أبي هريرة، والذي فيه الإشهاد - على الصفة التي قالها أهل القول الأول - موقوف على ابن عباس و عمر [(١)]، وتكلم فيه أهل الحديث، ولم يخرجه أحد من أهل الصحيح غير الحاكم في المستدرك على الصحيحين،

والحاكم معروف التساهل رحمه الله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ينبغي أن يقال إنه لا منافاة بين كونه من ظهر آدم أو من ظهر بنيه، فالآية ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، والنصوص جاءت من ظهر آدم، وظهر أبيهم ظهرهم،

(١) قال شاكر: في الأصل: «عمر» وبعد الرجوع إلى المصادر اتضح أنه تحريف، حيث لم نجد لعمر رضي الله عنه حديثاً في الإشهاد، وبمثل ذلك ورد في بعض النسخ. أهـ

فإنهم خلقوا كلهم من ظهره، من صلبه تسلسلوا، فالأخذ من ظهر آدم أخذ من ظهورهم، فلا منافاة، فالحديث يفسر الآية، والآية توافق الأحاديث فلا منافاة.

ثم أيضاً ينبغي أن يفهم أن هذه الأشياء التي ذكرها جل وعلا وذكرتها الأحاديث ليست هي العمدة في التكاليف، وليست هي العمدة في إقامة الحجج، وإنما هذه أشياء للخاصية، وأشياء تمهيدية لما بعدها، ولهذا لم يكتف بها الرب عز وجل، بل بعث الرسل وأنزل الكتب، فالاعتماد على ما جاءت به الرسل لا على ما أخذ من ظهر آدم، وإنما هو خبر من الله أنه فعل هذا، وقرر هذا من قديم الزمان على أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وأخبره بهذا الأمر، وأنهما قسمان فريق في الجنة وفريق في السعير، وهذا كله لا ينافي ما جاءت به الرسل وما نزلت به الكتب، فالاعتماد على ما جاءت به الرسل في إقامة الحجة والبرهان وفي قطع المعذرة لا على الأخذ الأول، ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] وقال جل وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة:١١٥] فهو سبحانه بين للناس بواسطة الرسل والكتب، فمن قبل من الرسل وأخذ من الكتب السماوية؛ هذا هو الناجي، ومن أبى قامت عليه الحجة واستحق العذاب، في الأولين والآخرين، في عهد آدم إلى يومنا هذا، فالذين عصوا نوحاً أهلكهم، والذين عصوا هوداً كذلك، قد بلغوا فأبوا وعذبوا، وهكذا قوم صالح، وهكذا لوط، هكذا قوم إبراهيم، هكذا قو م شعيب، هكذا فرعون وأصحابه، وهكذا هذه الأمة بلغت، فمن بلغه الأمر فأخذ به فهو الناجي، ومن حاد وأعرض فهو الهالك، وإن متع وإن أملي له كما أملي لغيره،

ومن لم تبلغه الحجة في أطراف الدنيا لا في الأولين ولا في الآخرين فله حكم آخر يوم القيامة، والمقصود من هذا كله أن الاعتبار بإقامة الحجج وقطع المعاذير بما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب لا بالميثاق الأول، الميثاق الأول بيان من الله لنا أنه فعل وأخذ علينا الميثاق، ولكنه سبحانه لم يكتف به، لأنهم لا يفهمونه ولا يعقلونه بعد كبرهم وبعد وجودهم ولا يفهمونه، والحجة إنما تقوم عليهم بما يُعَرّفون به بعد عقولهم وبعد وجودهم في الدنيا وبعد تكليفهم يؤخذون بهذا، أما ذاك فهو حجة قديمة وتمهيد من الله عز وجل وإخبار منه لآدم، وأن هذا واقع في الزمان الآتي والمستقبل، فوقع كما أخبر.أهـ

* * *

سؤال/ حديث أنس: «يؤتى بالرجل يوم القيامة من أهل النار فيقول الله: قد أردت منك ما هو دون ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك» ألا يدل على أنه حجة مستقلة؟

أجاب سماحة الشيخ: الله يخبره بهذا، ولكن الحجة إنما قامت عليه بما جاءت به الرسل.أهـ

سؤال/ كأنه احتج عليه بهذا ؟

أجاب سماحة الشيخ: هو احتج بذلك لكن ليس به وحده، بل الأدلة الأخيرة ظاهرة أنه إنما أقام الحجة ببعث الرسل وإنزال الكتب لا بالميثاق الأول، يعني إنما أردت منك ما هو أسهل من ذلك وأنت في ظهر آدم، يعني من قديم وأنا أردت منك، وليس المعنى أني أردت منك بدون إرسال الرسل، يعني قد أردت منك هذا من قديم الزمان وأنت في ظهر

أبيك آدم، فأبيت إلا الشرك بعدما جاءت الرسل وأنزلت الكتب، بعد أن وجد في الدنيا وعاش في الدنيا وجاءت الرسالة وجاءت الكتب، فأصر على هذا الباطل.أهـ

سؤال/ إخراج الذرية حسي أو هو الفطرة كما قال بعضهم ؟

أجاب سماحة الشيخ: حسي بلا شك.أهـ

سؤال/ القول الراجح في أصحاب الفترة ومن لم تبلغه الدعوة ومن مات من أبناء المشركين ؟

أجاب سماحة الشيخ: القول الراجح أنهم تقام عليهم الحجة يوم القيامة، يمتحنون، كما ذكره ابن القيم رحمه الله ...وذكره ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] وغيرهم.أهـ

* * *

والذي فيه القضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار دليل على مسألة القدر. وذلك شواهده كثيرة، ولا نزاع فيه بين أهل السنة، وإنما يخالف فيه القدرية المبطلون المبتدعون .

وأما الأول: فالنزاع فيه بين أهل السنة من السلف والخلف، ولولا ما التزمته من الاختصار لبسطت الأحاديث الواردة في ذلك، وما قيل من الكلام عليها، وما ذكر فيها من المعاني المعقولة ودلالة ألفاظ الآية الكريمة.

قال القرطبي: وهذه الآية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها، فنذكر ما ذكروه من ذلك، حسب ما وقفنا عليه. فقال قوم: معنى الآية: أن

الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض، ومعنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ دلهم على توحيده، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً سبحانه وتعالى قال: فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، ذهب إلى هذا القفال وأطنب. وقيل: أنه [سبحانه وتعالى] أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها.

ثم ذكر القرطبي بعد ذلك الأحاديث الواردة في ذلك، إلى آخر كلامه.

وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول: حديث أنس المخرج في الصحيحين! الذي فيه: «قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»[1] ولكن قد روي من طريق أخرى: «قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار» وليس فيه: «في ظهر آدم» وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التي ذكرها أصحاب القول الأول.

بل القول الأول متضمن لأمرين عجيبين: أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذ وأقروا بالإيمان وأنه بهذا تقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

والثاني: أن الآية دلت على ذلك، والآية لا تدل عليه لوجوه: أحدها:

---

(١) صحيح، وهو الذي قبله، والطريق الأخرى عند مسلم (٨/ ١٣٤،١٣٥) وكذا البخاري (٤/ ٢٣٩) ولا منافاة بينها وبين التي قبلها، لأن زيادة الثقة مقبولة كما لا يخفى، وفي هذا الحديث زيادات أخرى، وقد جمعتها في الحديث وخرجته في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (١٧٢) ثم تبينت أن الطريق الأخرى ليست التي هي عند الشيخين، وإنما هي عند أحمد والحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم، باللفظ الذي ذكره المؤلف حرفاً بحرف، وهي في «الصحيحة» (٣٠٠٨). أهـ ألباني

أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم. الثاني: أنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ولم يقل: من ظهره، وهذا بدل بعض، أو بدل اشتمال، وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ولم يقل: ذريته.

الرابع: أنه قال: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار- كما تأتي الإشارة إلى ذلك - لا يذكر شهادة قبله.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

السادس: تذكيرهم بذلك، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فذكر حكمتين في هذا الإشهاد: لئلا يدعوا الغفلة، أو يدعوا التقليد، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: قوله: ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي توعدهم بجحودهم وشركهم لما قالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسله وتكذيبهم، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها

غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل.

التاسع: أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليه بهذا في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله، بقولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

العاشر: أنه جعل هذا آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا يولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا تبديل ولا تغيير، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا، والله أعلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كما تقدم، كله لا ينافي أن هذا الأخذ ليس هو المعتمد وحده، بل لا يكفي إلا بعد ما جاءت الرسل تذكر به وتدعو إليه وتأخذ به، حجة قديمة غفل عنها الناس، جاءت الرسل تذكر بها وتدعو إليها وتأخذ بها، فمن جاءته الرسل الموضحة والمرشدة إلى ما أخذه الله على الأوائل قامت عليه الحجة، ومن لا فلا، فالأولى قديمة أخذها الله عليهم وأوضح لهم أنه ربهم وإلـٰههم الحق، من وجود آدم ومن شهادة آدم، هذه هم عنها غافلون ولم يعرفوها، لكن لما جاءت الرسل ذكرتهم، فصار هذا حجة وهذا حجة، مثل إنسان عليه بينة وعليه شهود بحق ونسي، ثم جاء من يذكره بهذه البينة

ويذكره بهؤلاء الشهود، ويقول: قد أخذ عليك الأمر وقد وجه لك الأمر وقد شهد عليك فلان وفلان، فقامت عليه الحجة في البينة الأخيرة العاجلة التي وضحت له الأمر الماضي، فصار عليه حجتان، حجة قديمة نسيها أو غفل عنها فذكر بها، وحجة جديدة هي التي جاءت بها الرسل وقامت بها البينات والأخيرة، فصار مأخوذاً بالأول والآخر، بالأول وإن لم يذكره لأنه ذكر به وبين له، وبالآخر لأنه حجة قائمة مستقلة.أهـ

سؤال/ هل استفدنا هذا الاستشهاد من الحديث وليس من الآية ؟

أجاب سماحة الشيخ: في القرآن الكريم والسنة شاهدة، والأحاديث زيادة.أهـ

سؤال/ رد المؤلف في قوله: ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ [الأعراف:١٧٢] ؟

أجاب سماحة الشيخ: هذه الفطرة فقط، هذا وجه الشاهد، والإشكال في أنهم ما عرفوا هذا الشيء ولا تقوم عليهم الحجة بهذا الشيء، ولكن يقال لهم: إنهم قامت عليهم الحجة بذلك الشيء بعد التذكير بالحجة الأخيرة، أما دون بعث الرسل لا، لكن المراد بعد الرسل وإنزال الكتب مقيمة للحجة، ويُكتفى بالأمر الماضي.أهـ

سؤال/ ظاهر الآية: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢]؟

أجاب سماحة الشيخ: لئلا تقولوا، هذا معناه، ذكرناكم بذلك لئلا تقولوا ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢].أهـ

* * *

وقد تفطن لهذا ابن عطية وغيره، ولكن هابوا مخالفة ظاهر تلك الأحاديث التي فيها التصريح بأن الله أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم. وكذلك حكى القولين الشيخ أبومنصور الماتريدي في شرح التأويلات ورجح القول الثاني، وتكلم عليه ومال إليه.

ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم: أنتم كنتم معترفين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ وليس المراد أن يقول: أشهد على نفسي بكذا، بل من أقر بشيء فقد شهد على نفسه به، فلم عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟ بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب.

فإن الدين الذي يأخذه الصبي عن أبويه هو: دين التربيه والعادة، وهو لأجل مصلحة الدنيا، فإن الطفل لا بد له من كافل، وأحق الناس به أبواه، ولهذا جاءت الشريعة بأن الطفل مع أبويه على دينهما في أحكام الدنيا الظاهرة، وهذا الدين لا يعاقبه الله عليه - على الصحيح -حتى يبلغ ويعقل وتقوم عليه الحجة، وحينئذ فعليه أن يتبع: دين العلم والعقل، وهو الذي

يعلم بعقله هو أنه دين صحيح، فإن كان آباؤه مهتدين، كيوسف الصديق مع آبائه، قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وقال ليعقوب بنوه: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وإن كان الآباء مخالفين الرسل، كان عليه أن يتبع الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾ الآية.

فمن اتبع دين آبائه بغير بصيرة وعلم، بل يعدل عن الحق المعلوم إليه، فهذا اتبع هواه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وهذه حال كثير من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأً ليس هو فيه على بصيرة، بل هو من مسلمة الدار، لا مسلمة الاختيار، وهذا إذا قيل له في قبره: من ربك؟ قال؟ هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

فليتأمل اللبيب هذا المحل، ولينصح نفسه، وليقم معه، ولينظر من أي الفريقين هو؟ والله الموفق، فإن توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطر، وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب، والترائب: عظام الصدر، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدروا، ومحال توهم عمل الطبائع فيها، لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل

وتدبير، فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلى حال، علم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية، فإنه إذا علم بالعقل أن له ربًّا أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقيناً وتوحيداً، والله الموفق، لا رب غيره، ولا إله سواه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبكل حال كل هذا الكلام ليس عليه المعول، وإنما المعول على بعث الرسل وإنزال الكتب، هذا هو الذي هدى الله به العباد، وجعله محكاً لمن حاد عنه أو استقام عليه، وما سبق وما ركز في العقول وما فطر عليه العباد حجة عليهم، لكنها غير كافية وغير مؤاخذين بها إلا بعد بعث الرسل وإنزال الكتب، فمتى عصوا الرسل وخالفوا الكتب أخذوا بهذا، وأما بدون ذلك فأمرهم إلى الله، ويوم القيامة يمتحنهم ويقضي بينهم بعلمه سبحانه وتعالى، وإنما في الدنيا يؤخذون بالرسل والكتب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥].أهـ

سؤال/ مشركوا الجاهلية أليسوا في النار ؟

أجاب سماحة الشيخ: على حسب الحجة، من قامت عليه الحجة فهو من أهل النار، ومن لم تقم عليه الحجة فهو من أهل الفترات، فيهم الخلاف المعروف بين أهل السنة والجماعة، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة.أهـ

سؤال/ حتى أهل الشرك؟

أجاب سماحة الشيخ: من لم تبلغه الدعوة.أهـ

سؤال/ أبو الرسول ﷺ؟

أجاب سماحة الشيخ: ظاهرهم أنهم قد بلغتهم الدعوة، قال: «إن أبي وأباك في النار»[(١)] واستأذن ربه في زيارة أمه فأذن له، واستأذن في الاستغفار لها فلم يأذن في الاستغفار لها[(٢)]، فدل على أنها ماتت على الشرك، أما كونها تعذب في ذلك أو لا تعذب فهذا شيء آخر، المقصود أن أهل الفترات من أهل الشرك حكمهم حكم أهل الشرك في الدنيا، ولكن عند الآخرة والعذاب إلى الله سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

قوله: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه).

ش: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلاً وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على

(١) رواه مسلم (٢٠٣) كتاب الإيمان/ باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه وشفقته عليهم، وأبوداود (٤٥٥٣)كتاب السنة/ باب: في ذراري المشركين، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٧٦)كتاب الجنائز/ باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه، وأبوداود (٣١٠٤)كتاب الجنائز/ باب في زيارة القبور، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كتابنا وندع العمل ؟

فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1] خرجاه في الصحيحين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف أمر معلوم، قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة إجماعاً قطعياً للنصوص، كل معروف، أهل الجنة معلومون وأهل النار معلومون، وكل ميسرٌ لما خلق له، قدر الله نافذ في عباده، وعلمه محيط بهم سبحانه وتعالى ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [الطلاق:١٢] فعلمه لا يتغير فيهم، من علم أنه يكون سعيداً فهو سعيد، ومن علم أنه يكون شقياً فهو شقي، لا يمكن أن يكون الواقع على خلاف علمه سبحانه وتعالى، إذ لو وقعت الأمور على خلاف علمه لكان علمه جهالة، والله يتنزه عن ذلك سبحانه وتعالى، فعلمه سابق فيهم، والواقع مطابق لعلمه عز وجل، ولكن هذا لا يمنع أن يكونوا مخاطبين ومأمورين ومنهيين ومخيرين، لهم عقول ولهم إرادات ولهم مشيئة ولهم أسماع وأبصار، كما قال عز وجل: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩] وقال

---

(١) متفق عليه، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (١٧١).أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جل وعلا ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [المدثر:٥٥-٥٦] وقال جل وعلا ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٧] وقال ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٣] ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل:٩١] إلى غير ذلك مما ينسب إليهم سبحانه وتعالى من أفعالهم وأقوالهم وإراداتهم ومشيئاتهم.

هنا عبارة كثيراً ما تقول: هل العبد مخير أو مسير؟

والجواب أن هذا واقع وهذا واقع، عبارة الشارع «ميسرون» أحسن من «مسير» وهو مسير، الله مسير عباده إلى ما يشاء سبحانه وتعالى، قضاؤه نافذ فيهم، فالعبد ميسر ومسير ومخير، فهو مخير لما أعطاه الله من العقول والإرادة والمشيئة والبصيرة والضار والنافع والخير والشر، فهو يختار هذا على بصيرة ويختار هذا على بصيرة، فيفعل ما أراد من المعصية والطاعة، ويترك ما أراد من المعصية والطاعة، فله مشيئة وله اختيار، قد علقت بها التكاليف، وتعلق بها استحقاق الجزاء.

وهو مسير بمعنى أنه لا يخرج عن علم الله فيه وعما مضى في علم الله وسبق في علم الله، فهو مسير بذلك وميسر له «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(١). أهـ.

* * *

قوله: (وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله).

ش: تقدم حديث علي رضي الله عنه وقوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه، وقد تقدم.

لما خلق له» وعن زهير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت. ما قال؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر»(١) رواه مسلم.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»(٢) خرجاه في الصحيحين وزاد البخاري: «وإنما الأعمال بالخواتيم».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن الإنسان قد يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس من ظاهر حاله من معاصٍ وسيئات، ثم يتوب الله عليه ويختم له بالخاتمة الحسنة فيصير إلى الجنة، كما قد تمضي عليه حياته الطويلة في الكفر بالله والضلال، ثم عند قرب الأجل يوفق للدخول في الإسلام والتوبة إلى الله، فيموت على الإسلام في مدة قصيرة، يغفر الله سيئاته، ويدخله الجنة بتوبته وإسلامه، وهكذا العكس، يكون الإنسان يتظاهر بالخير لأسباب ما وعمل ما، ثم يرجع إلى حاله السيئة التي في باطنه والتي يعتقدها، فيموت على ذلك فيكون من أهل النار، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه مسلم في «القدر» (٨/ ٤٨) وأحمد أيضاً (٣/ ٢٩٢_٢٩٣) وصححه ابن حبان (١٨٠٨و١٨٠٩).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، وهو مخرج في «الظلال» (٢١٦).أهـ ألباني

وروابة أبي الزبير عن جابر الأصل فيها الاتصال، وهو مدلس عند أهل العلم إذا عنعن، ولكن تحملوها عنه، والحديث صحيح عند مسلم، ذكر أهل العلم أن المدلسين فتشوا روايتهم ورووا عنهم ما ثبت لديهم السماع في الصحيحين، أما في غير الصحيحين فتناقش ويقبل ما يدل على السماع. أهـ

* * *

وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق -: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»(١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكذلك الآثار عن السلف.

قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق(٢).

---

(١) متفق عليه، وهو مخرج أيضا في «الظلال» (١٧٥-١٧٦). أهـ ألباني

(٢) التمهيد ١٤/ باب النهي عن القول بالقدر، الحديث الثاني (٣٨٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: صدق رحمه الله، كلام أبي عمر كلام جزل طيب، أهل السنة والجماعة متفقون ومجتمعون على الإيمان بما جاء في القدر والفصل من أمر الله سبحانه وتعالى، وأنه العلّام بكل شيء والحكيم في كل شيء سبحانه وتعالى، وأن العبد ينعم ويعذب بأعماله وأسبابها، وقد يمنّ الله على العبد ويوفقه في آخر حياته للتوبة والاستقامة، فيمحو عنه سيئاته التي مضت ويكفرها له سبحانه وتعالى فضلاً منه وإحساناً، كما أنه قد ينشىء لأهل الجنة قوماً ما عملوا خيراً قط، ينشئهم للجنة ويدخلهم فيها لما فضل منه عن أهل العمل.أهـ

* * *

وقوله: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين).

ش: أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى، قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه: القدر سر الله فلا نكشفه.

والنزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور.

والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر

ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً.

وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا: أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فردوا إلى هذا لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه! ولكن صاروا: كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من أشياء فوقعوا فيما هو شر منه ! فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه ـ على قولهم ـ والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى!! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «فَرَدوا إلى هذا أو رُدوا»: يعني رجعوا إلى هذا الشيء أو صاروا إلى هذا الشيء، لئلا يقولوا: هذا هو المقصود، يعني أن المعتزلة والذين رجعوا إلى هذا القول بزعمهم، لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر والمعصية وعذب عليها، فيكون خلاف العدل، فلزمهم أن تكون مشيئة المخلوق غلبت مشيئة الله، وأنه لو أراد شيئاً والله أراد خلافه فوقعت مشيئة المخلوقين ولم تقع مشيئة الله، هذا ما يفهم من الضلال والباطل.

وهذا مقام خطير، مقام القدر مقام خطير، ولهذا ذكر المؤلف أن الخوض فيه والتعمق فيه يفضي إلى خطر عظيم وإلى شر كثير وإلى التكذيب والزندقة، نسأل الله السلامة، وأكثر العقول التي ما عندها بصيرة ولا عندها تفقه في الدين لا تتحمل هذا الأمر، والله جل وعلا يقول: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام:٣٥] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ وَلَوْ

شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس:٩٩] والآيات في هذا واضحة في أنه سبحانه وتعالى شاء ما وقع من كفر الكافر وإيمان المؤمن كوناً وقدراً، ولم يشأ ولم يرضه ديناً وشرعاً، لأن الإرادة إرادتان، وبعضهم جعل المشيئة كذلك ـ بمعنى الإرادة ـ مشيئتان: مشيئة شرعية وإرادة شرعية، هذه عامة، الله سبحانه أراد من جميع الجن والإنس أن يعبدوه وأن يطيعوه، فمنهم من أجاب، وهي بمعنى الأمر والرضا، فمنهم من أطاع الأمر وأجاب إلى هذا الشيء وهم الأقل، ومنهم من أبى وتابع الهوى وهم الأكثرون.

أما الإرادة الثانية والمشيئة الثانية فهي الإرادة الكونية، هذه لا يتخلف عنها المراد ولا يقع في العالم شيء خلافها، وهي المرادة في قوله جل وعلا ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] وفي الحديث «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»(١) فالمشيئة الكونية والإرادة الكونية لا يتخلف مرادهما أبداً، أما الإرادة الشرعية والمشيئة الشرعية ـ على خلاف من قسم المشيئة إلى قسمين ـ فهذه بمعنى الرضا وبمعنى الأمر وبمعنى المحبة، يقع مرادها من الشخص تارة ولا يقع تارة، يقع مرادها تارة إذا شاء الله ذلك كوناً، ولا يقع مرادها إذا لم يشأ الله سبحانه وتعالى كوناً، ولهذا يقال لأبي طالب ويقال لأبي لهب ويقال لأبي جهل وأشباههم إنهم مأمورون بطاعة الله، مأمورون بالتوحيد والإخلاص، أراد الله منهم ذلك بما جاء على لسان رسوله وبلغهم رسوله عليه الصلاة والسلام، لكن سبق في علم الله أنهم لايستجيبون، في إرادة

(١) رواه أبو داود (٤٩١٠) كتاب الأدب / باب: ما يقول إذا أصبح، عن عبد الحميد مولى بني هاشم عن أمه عن بعض بنات النبي ﷺ، قال المنذري: وأخرجه النسائي وقال الألباني: ضعيف ٤/ ٣١٩ سنن أبي داود.

الله الكونية الماضية التي مضى فيها قدره أنهم لا يؤمنون، فلهذا نفذت فيهم مشيئة الله وماتوا على دين قومهم ولم يستجيبوا للداعي، وهكذا أشباههم كفرعون، دعاه موسى وألح عليه موسى وغيره من آل فرعون، فقامت عليهم الحجة ونفذت فيهم الإرادة الشرعية والأمر الشرعي، ولكنهم لم يستجيبوا لأن الإرادة الكونية السابقة قد غلبت عليهم ومضت فيهم، وهكذا قوم صالح وقوم هود وقوم نوح وغيرهم من الأمم الكافرة، نفذت فيهم إرادة الله الكونية، ولم يقبلوا الإرادة الشرعية والأمر الشرعي.

ولهذا قال أهل الإيمان، أهل العلم والسنة: إن الإرادتين تجتمعان في حق المؤمن والمطيع، تجتمع فيه الإرادتان، الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، فإنه وافق مراد الله شرعاً ونفذ فيه مراد الله كوناً، ففعلوا ما فعلوا من توحيد الله وطاعته، وتنفرد الإرادة الكونية والمشيئة الكونية في حق الكافر وفي حق العاصي، فإنه لم يقع منه ما وقع إلا عن مشيئة وإرادة مضى بها علم الله وقدره سبحانه وتعالى، ولكنه لم يوافق المشيئة الشرعية والإرادة الشرعية، بل خالفهما بعصيانه وكفره، وقد يُهدى ويوفق فيهتدي ويسلم ويطيع ويتوب، فتقع الإرادة الثانية حينئذ، الإرادة الشرعية وموافقة الأمر لما تاب ورجع.

فالمؤمن توجد فيه الإرادتان: الإرادة الشرعية لأنه وافق الشرع، والإرادة الكونية لأنه لم يفعل ذلك إلا بما أراده الله سبحانه وتعالى، لا يكون في ملك الله ما لا يريده سبحانه.

أما سؤالهم كيف يريد منه ذلك ويعذبه؟

فيقال: إن ربك حكيم عليم، أراد هذا الأمر كوناً، وعذبه عليه لأسباب اقتضتها حكمته سبحانه وتعالى، من كونه علم منه أنه لا يقبل الخير وأنه يريد الشر، ولأعماله التي سار عليها ومشى عليها وقد أعطي

العقل والإرادة والمشيئة، فاختار هذا دون هذا، فهو عذب بما اختاره من الشر وبما فعله من الشر.

المجبرة يقولون: إنه كالريشة في الهواء، يتصرف فيه كيف يشاء سبحانه وتعالى، ليس له فعل ولا اختيار.

وآخرون يقولون: له فعل واختيار، ولكنه تابع لاختيار الله، كما هو قول أهل السنة.

ويقولون أيضاً: لا تعلل الأحكام، وهذا غلط، بل تعلل، كما قال ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٣٩] وذكر عللاً أخرى في كتابه العظيم سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

روى اللالكائي، من حديث بقية عن الأوزاعي، حدثنا العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد المكي: عن ابن عباس قال: قيل لابن عباس: إن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ قد عمي، فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات» هذا أول شرك في الإسلام، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير، كما أخرجوه من أن يقدر الشر[١]

---

(١) ضعيف، وعلته العلاء بن الحجاج، فإنه في عداد المجهولين، ولم يوثقه أحد، حتى ولا ابن حبان! بل ضعفه الأزدي، كما قال الذهبي، وتضعيفه وإن كان مغموزاً فيه، فهو معتبر ههنا لأنه لم يخالف بذلك توثيق أحد، ولذلك فإن تحسين الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى لمثل هذا إسناد، من تساهله الذي عرف به عند أهل العلم بهذا الشأن، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٩).أهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ضعيف، لأن بقية ابن الوليد الحمصي معروف بتدليس التسوية، وإذا لم يصرح بالسماع فروايته ضعيفة، وهنا عنعن عن الأوزاعي، وفي متنه نكاره، فإن عض الأنف ودق الرقبة ليس من القتل الشرعي، القتل الشرعي أن يقتل بالسيف كما هو معروف، أو بما هو أسرع إراحة، وأما عض الأنف ودق الرقبة، وإن كان قد يحمل على قصد التشديد وليس الفعل؛ لكن هذا من نكارة المتن.

والخلاصة أن مداره على العلاء بن الحجاج، وذكر الشيخ ناصر والذهبي بأنه مجهول لا يعرف حاله ولم يوثقه أحد، فيكون الأثر ضعيفاً من هذه الحيثية، من جهة العلاء بن الحجاج، وفي متنه نكارة، وبكل حال

= قال شاكر: هذا الحديث نقله المؤلف من كتاب اللالكائي، من رواية بقية بن الوليد عن الأوزاعي، ولعل زاعما يزعم تعليله بأن بقية مدلس، وليس أمامنا إسناد اللالكائي حتى نعرف: أصرح بقية بن الوليد بالتحديث أم لم يصرح؟ ولكنها علة ذاهبة، فلم ينفرد بقية بروايته عن الأوزاعي، فقد رواه الإمام أحمد مرتين في المسند:٣٠٥٥-٣٠٥٦ فقال في أولاهما: «حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوانه، عن محمد بن عبيد المكي، عن عبد الله بن عباس» إلخ، وقال في الأخرى: «حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، حدثني العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد المكي، عن ابن عباس، بهذا الحديث» فالأسناد الأول أبهم فيه شيخ الأوزاعي، ثم بين في الثاني أنه العلاء بن الحجاج، وقد فصلنا القول فيه في شرحنا للمسند، وقلنا إن إسناده حسن على الأقل، ووقع في إسناده - هنا - ومتنه غلط كثير، صححنا ما استطعنا من رواية المسند، فكان هنا «محمد بن عبد الملك» بدل «محمد ابن عبيد المكي» وكان «وهو يومئذ أعمى» وكتب «الثن» في الموضعين «لأن» وكان أيضاً «كأني بنساء بني فهم يطفن بالخروج تصطل إلياتهن» وهو كلام لا معنى له، وكان «لينتهي» بدل «لينتهين». أهـ

ثم وجدت الإسناد الذي فيه بقية، فرواه أبو بكر الآجري في كتاب (الشريعة) ص: ٢٣٨، عن الفريابي عن أبي حفص عمر بن عثمان الحمصي، «قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال حدثنا أبو عمرو، يعني الأوزاعي» إلى آخره، بهذا الإسناد. ولكن مع شيء من الاختصار. أهـ

ما له حاجة، فالأدلة في القدر واضحة، ليس هناك حاجة إليه.أهـ

سؤال/ القدرية مجوس هذه الأمة؟

أجاب سماحة الشيخ: جاء في عدة أحاديث، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنها بمجموعها يشد بعضها بعضاً، لأنهم أنكروا بعض أفعال الله، والمجوس قالوا بالإلهين، ولهذا شابهوا المجوس.أهـ

* * *

قوله: «وهذا أول شرك في الإسلام» إلى آخره، من كلام ابن عباس، وهذا يوافق قوله: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[1]

ورُوي عمرو بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسيّ، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي[2]!! وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!![3].

(١) ضعيف موقوفاً ومرفوعاً، أما الموقوف فرواه اللالكائي في «شرح السنة» (١/ ١٤٢/ ١، ٦/ ٢٦٢/ ٢) وفيه من لم يسم، وأما المرفوع فرواه بنحوه الطبراني في «الأوسط» وفيه هانىء ابن المتوكل، وهو ضعيف، وهو مخرج في «الضعيفة» (٤٠٧٢).أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: هذا الأثر رواه الآجري في كتاب الشريعة ٢٤٤ بإسناده إلى عمرو بن الهيثم بنحوه.أهـ

(٣) الإبانة لابن بطة (١٩١٣) ٢/ ٢٧٩ باب جامع في القدر وما روي في أهله، ورواه الخلال في السنة (٥٦٠) ٥/ ٩٦٢ باب ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر القدر كيف؟ ولم؟ بل الإيمان به والتسليم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فتح له باب الشر، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه ! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك ! قال: ولم؟ قال: أخاف ـ كما أراد أن لا تسرق فسرقت ـ أن يريد ردها فلا ترد!![1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كانت المشيئة النافذة لا تنفع !! وهذا عامي غلب هذا المتعلم، والمقصود أن مشيئته نافذة سبحانه وتعالى وإرادته الكونية نافذة، ولكنه سبحانه قد يبتلي بعض الناس ويمتحنهم بما يشاء من أمراض ومصائب وكفر إلى غير ذلك، وهو سبحانه له الحكمة البالغة والحجة الدامغة، فلا يلزم من كونه أراد كذا وأراد كذا أن يكون سبحانه وتعالى لا حكمة له، قد يخفى على العباد، حسبهم أن يطيعوا الأوامر ويمتثلوها، وينتهوا عن النواهي، وأن يقفوا عند حدهم، لأن حكمة الله جل وعلا وعلمه فوق ذلك سبحانه وتعالى، فوق معلوماتهم وفوق نظرهم وتعليلهم وما يدعونه من حكمة، فالواجب مثل ما قال أهل السنة: الواجب التسليم لله والإيمان بما سبق به علمه، وعدم التفتيش والنظر في الحكم، فإن الحكم تخفى عليهم كثيراً، ولا يعلمون منها إلا ما أطلعهم الله عليه سبحانه وتعالى، ولهذا لما بلغ ابن عمر عن

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١٩١٤) ٢/ ٢٨٠ باب جامع في القدر وما روي في أهله.

ناس ينكرون القدر، وأخبره بذلك يحيى بن معمر ومن معه، قال: «أخبروهم أني بريء منهم وهم برؤاء مني والله لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم ذكر حديث عمر في سؤال جبرائيل(١).أهـ

* * *

وقال رجل لأبي عصام القسطلاني: أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الضلال ثم عذبني، أيكون منصفا؟ فقال له أبو عصام: إن يكن الهدى شيئاً هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: حجة أهل السنة قائمة.أهـ

* * *

وأما الأدلة من الكتاب والسنة: فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

---

(١) رواه مسلم (٨)كتاب الإيمان/ باب أول من قال بالقدر.

(٢) الإبانة لابن بطة (١٩١٤) ٢/ ٢٨٠ باب جامع في القدر وما روي في أهله.

﴿صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ومنشأ الضلال: من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى، فسوى الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلهم قد ضلوا عن السبيل، الجهمية والمعتزلة، الجهمية المجبرة والقدرية النفاة، كلهم ضلوا عن السبيل، ووفق الله أهل السنة والجماعة للحق والهدى، فالمعاصي والكفر قد شاءها المولى جل وعلا لحكمة بالغة، مع أنه لا يرضاها سبحانه وتعالى، كما قال تعالى ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر:٧] وقال ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥] وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] فهو سبحانه يرضى العمل الصالح ويحبه، ولا يرضى الكفر والمعاصي ولا يحب ذلك، ولكنه قضى ما قضى وقدر ما قدر لحكمة بالغة وعواقب حميدة يعلمها هو سبحانه وتعالى، وإن كنا لا نعلم الكثير منها.أهـ

سؤال/ هل نضرب لهم مثلاً ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الرجل المريض قد يشاء الدواء وهو لا يحبه لأنه يؤلمه، ولكن يشاؤه لأن فيه شفاءه، فالله حكيم عليم، يوقع هذه المعاصي والكفر لحكمة يعلمها سبحانه وإن كان لا يرضاها شرعاً، هل يكون هذا المثال وارداً؟

أجاب سماحة الشيخ: لا أراه، لأن المريض يضطر إلى هذا الشيء، ولهذا يفعله وهو لا يرضاه، وأما الله سبحانه وتعالى فإنه يفعله عن اختيار لا عن اضطرار له وكراهة له، وإنما يكرهها لحكمة أخرى، وهو سبحانه قادر على كل شيء، أما المريض فقد يضطر، فهذا يخالف هذا.أهـ

سؤال/ ما الفرق بين الإرادة والمشيئة ؟

أجاب سماحة الشيخ: الإرادة إرادتان: شرعية وقدرية، فالإرادة الشرعية توافق الأمر والرضى والمحبة، مثل قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٦] وقال جل وعلا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] هذه إرادة شرعية بمعنى الأمر وبمعنى الرضا.

والإرادة الكونية بمعنى المشيئة، كما في قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] هذه معناها المشيئة ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥] هذه الإرادة الكونية وأشباهها كثير، غالب الإرادات في القرآن كونية.

وبعضهم جعل المشيئة قسمين مثل الإرادة، وبعضهم اقتصر بهذا على الإرادة فقط، أما المشيئة فلا تكون إلا كونية، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكن لو ورد الاثنان أحياناً بمعنى الإرادة الشرعية فلا مانع، الإرادة الشرعية والمشيئة الشرعية معناهما واحد، فإنه يقال إنه سبحانه شاء شرعاً وأراد شرعاً من العباد أن يعبدوه وأن يطيعوه، ولكنه أراد وشاء كوناً من الكافر أن يكفر ومن العاصي أن يعصي لحكمة بالغة.أهـ

* * *

وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة، أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها، وأما نصوص المحبة والرضى، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الله سبحانه وتعالى كما أنه له المشيئة النافذة والإرادة النافذة؛ فله أيضاً وصف المحبة كما يليق به، وله أيضاً وصف الرضا كما يليق به، ووصف الكراهة والسخط كما يليق به، فله إرادة نافذة كاملة ومشيئة نافذة كاملة لا راد لها ولا معقب لها، وهو سبحانه يحب ويرضى ويكره ويسخط، وكل ذلك يليق به سبحانه، لا يشابه خلقه في شيء من ذلك، كما أنه لا شبيه له في ذاته وإرادته ومشيئته وعلمه وسمعه وبصره وكلامه وحياته، فكذلك لا شبيه له في غضبه ورضاه ومحبته وكراهته وضحكه ويده وقدمه وأصابعه واستوائه وغير ذلك، الباب واحد، بابها عند أهل السنة باب واحد، كله يجب فيه الإثبات كما جاء في النصوص، وإمرار الصفات كما جاءت، مع الإيمان بها وإثباتها واعتقاد أنها حق، وتنزيه الرب عن مشابهة الخلق، فأهل السنة والجماعة يثبتون أسماء الرب وصفاته إثباتاً بريئاً من التنزيه، وينزهون الله عز وجل عن مشابهة خلقه بذاته أو صفاته تنزيهاً بريئاً من التعطيل، فلا تمثيل ولا تعطيل عند أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع، فإنهم بين ممثل وبين معطل، إما تعطيلاً كاملاً كالجهمية والمعتزلة، فإنهم عطلوا كل الصفات، أو تعطيلاً جزئياً كما يقع للأشعرية

وجماعة، والمشبهة مثلوا الله بخلقه وشبهوه بخلقه، فخسر الجميع وضل الجميع عن سواء السبيل، ووفق الله أهل السنة وثبتهم على الحق، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة، سواء كانت آحاداً أو متواترة، أثبتوها لله، إذا استقام الإسناد وصح الإسناد أثبتوا ما دل عليه الخبر لله عز وجل في جميع أنواع الصفات الذاتية والفعلية، كلها يثبتونها لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به، إثباتاً بريئاً من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل، هذا هو الواجب على كل مسلم، وهذا هو القول الحق الذي لا حق سواه، وما سواه باطل، ومن خالف هذا الأصل وهذا الأساس وهذا الطريق وهذا السبيل تناقض، أو خالف النصوص مخالفة ظاهرة علنية، فالجهمية عطلوا وهلكوا، والمشبهة مثلوا وهلكوا، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله ما جاءت به النصوص، فلم يشبهوا الله بخلقه ولم يعطلوا صفاته، ففازوا ونجوا، وصاروا أحق الناس بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وأولاهم باتباعهم والسير على منهاجهم، جعلنا الله وإياكم منهم.أهـ

* * *

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث ورد بلفظين «كره لكم» و«سخط لكم» و«**يكره لكم**» و«**يسخط لكم**» وكلا ذلك حق، فهو يسخط ما يخالف شرعه ويكره ذلك، كما أنه يحب

---

(١) صحيح، متفق عليه، البخاري في «الاستقراض» ومسلم في «الأقضية».أهـ ألباني

ويرضى ما يوافق شرعه سبحانه وتعالى، لكن محبته ورضاه وكراهته وسخطه تليق به سبحانه وتعالى، لا تشبه صفات المخلوقين.أهـ

* * *

وفي المسند: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»[(١)] وكان من دعائه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك»[(٢)] فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضى من صفة السخط، وبفعل المعافاة من فعل العقوبة، فالأول: الصفة، والثاني: أثرها المرتب عليها، ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره، فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فإعاذتي مما أكره ومنعه أن يحل بي، هي بمشيئتك أيضاً، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا معنى «أعوذ بك منك»، «أعوذ بك» لأنه المجيب والعاصم والحافظ، «منك» لأن كل شيء بمشيئته وإرادته سبحانه وتعالى، فالمؤمن يستجير بالله ويعوذ به منه، يعني يعوذ بصفات الرضا وصفات المحبة وصفات العفو وصفات الجود والكرم، من صفات الغضب والانتقام والعذاب ونحو ذلك.أهـ

* * *

فعياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون

---

(١) صحيح، رواه أحمد وغيره بسند صحيح، وهو مخرج في «إرواء الغليل» (٥٦٤).أهـ ألباني.

(٢) صحيح، وتقدم، وهو مخرج في «صحيح أبي داود» (٨٢٣).أهـ ألباني.

بحولك وقولك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك ولا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك، فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته ومعرفة عبوديته.

فإن قيل: كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً، وتباينت طرقهم وأقوالهم.

فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره، قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه، وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتأكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه، بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا تمثيل تقريبي، لأن هذا يقرب للعقلاء، فإن الشيء قد يراد لغيره لا لذاته، كقطع العضو المتآكل والدواء المكروه، لما يرجى من ورائه ظناً أو علماً من المصلحة،

فهو مراد غير مراد، مراد من جهة ما يرجى من ورائه، غير مراد ولا محبوب لما فيه من الكراهة والأذى، وهذا في حق المخلوق الضعيف القليل العلم، فكيف بالرب عز وجل، الذي يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى؟

فهو سبحانه قد يريد أشياء مكروهة له سبحانه وتعالى، لكن لها عواقب ولها غايات يحبها سبحانه وتعالى ويرضاها، ولهذا أرادها من زيد وعمرو، وإن كانت مكروهة في نفسها، لكن هناك ما توصل إليه من الغايات المحمودة، من انتقام ممن خالف أمره وعصاه وارتكب نهيه وآذى عباده، وغير هذا من الغايات التي يعلمها سبحانه وتعالى، فقد يصيب الإنسان ويقدر على الإنسان مرضاً وأذى من بعض الخلق، وإن كان مكروهاً له ذلك الشيء من فاعل ذلك الأذى، وإن كان المرض في نفسه ليس مطلوباً ومقصوداً، لكن وراءه أشياء من صبر المبتلى ورضاه واحتسابه وقيامه بما شرع الله له، فيكون وراء ذلك خير عظيم وفوائد جمة من هذا المصاب، وفيها ما يرضي الله ويقرب إليه سبحانه وتعالى، وهكذا ما يصيب الإنسان من أذى من بعض الناس أو سجن أو قتل أو غير ذلك فهو مقدر، وللذي أصابه ذلك ـ إن كان على الحق والهدى ـ من الخير والفلاح والفائدة العظيمة والعواقب الحميدة ما لا يحصيه إلا الله عز وجل.أهـ

سؤال/ يقولون: إنه يلزم من نزول الله أن يخلو منه المكان، لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل؟

أجاب سماحة الشيخ: النزول في لغة العرب يكون من أعلى إلى أسفل، ولهذا استدل العلماء بقوله سبحانه ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ

﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر:١] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء:١٩٣] وما أشبهه على أن القرآن كلامه سبحانه وتعالى، وعلى علوه سبحانه وتعالى، فربنا ينزل كل ليلة نزولاً يليق بالله لا يشابه خلقه سبحانه وتعالى في ذلك، فالنزول على قاعدته وعلى بابه، لكن ربنا لا يشابه خلقه حتى يقال إن هذا من جنس المخلوقين، وأنه متى نزل عن العرش خلا ذلك المكان، كما أن الشخص إذا نزل من السطح إلى الأرض صارت الأرض تحت السطح، هذا شيء يليق بالمخلوقين، أما ربنا عز وجل فله صفات تليق به لا يعلم كيفيتها إلا هو، وإلا فهو ينزل كما قال وكما يشاء سبحانه وتعالى، ولا نعلم كيفية هذا النزول، بل نكلها إليه سبحانه وتعالى، لأنه أخبرنا بالنزول ولكن لم يخبرنا بالكيفية، كما أخبرنا بالاستواء ولم يخبرنا بالكيفية كيف استوى، وأخبرنا أنه يسمع ولم يخبرنا كيف يسمع، وهكذا كيف يبصر وهكذا كيف يتكلم، إلى غير ذلك، فعلينا أن نمسك عما أمسك الله عنه، وعلينا أن ننطق بما نطق الله به، وبهذه الصفات العظيمة الخطيرة التي ضل فيها أمم وهلك فيها فرق، فطريق السلامة أن نقف حيث وقف الله ورسوله، وأن ننطق حيث نطق الله ورسوله، وبذلك تحصل السلامة مع إثبات الحق.أهـ

* * *

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه، من ذلك: أنه خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها، منها: أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات، التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبرائيل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر، وذلك أدل دليل علي كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات، وقابلها بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل. فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٩٤) عن أبي هريرة وأبي أيوب نحوه، وهما مخرجان في «الصحيحة» (٩٦٨، ٩٦٩) وله فيه شواهد (٩٦٧و٩٧٠).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا كله أن يبين قدرته العظيمة، لو كان الناس شيئاً واحداً وصفةً واحدةً وطبيعةً واحدةً؛ لم تظهر آثار قدرته وتصرفه وقدرته على تنويع الأشياء وتقسيم الأشياء وإيجاد المضاد إلى غير ذلك، لو كان الناس طبيعة واحدة وحالاً واحدة لم تظهر قدرته سبحانه وتعالى على التصرف في أحوال عباده، فلما جعل هذا عاصيا وهذا مطيعاً، وهذا حسناً وهذا قبيحاً، وهذا سريع الغضب وهذا بطيء الغضب، وهذا أسود وهذا أبيض، وهذا كذا وهذا كذا، صار ذلك أوضح شيء على قدرته العظيمة وعلمه الكامل وإرادته النافذة، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر، لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالات لله سبحانه

وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟

فهذا سؤال فاسد! وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.

فإن قيل: فإذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي إليه من الحكم، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه، أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟

هذا السؤال يرد على وجهين: أحدهما: من جهة الرب تعالى، وهل يكون محباً لها من جهة إفضائها إلى محبوبه، وإن كان يبغضها لذاتها؟

والثاني: من جهة العبد، وهو أنه هل يسوغ له الرضى بها من تلك الجهة أيضاً؟ فهذا سؤال له شأن.

فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم، أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه، وهو من هذه الجهة شر، وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه.

مثاله: أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، فإنها خلقت في الأصل متحركة، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه، وحركتها من حيث هي حركة: خير، وإنما تكون شراً بالإضافة، لا من حيث هي حركة، والشر كله ظلم، وهو وضع الشيء في غير محله، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً، فعلم أن جهة الشر فيه

نسبية إضافية، ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها خيراً في نفسها، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذي حلت به، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة مستعدة له، فصار ذلك الألم شراً بالنسبة إليها، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل حيث وضعه في موضعه، فإنه سبحانه لم يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك، فلا يكون في جناب الحق تعالى أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإنه سبحانه الخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً، فتأمله، فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مقام عظيم بحثه ابن القيم رحمه الله في كتابه «شفاء العليل» وفي غيره، والخلاصة أن ما يقع من الشرور والمعاصي وما يعده العبد شراً فهو نسبي، أما بالنسبة إلى الله فهو خير، فإنه إنما قدر العقوبات وقدر المعاصي لحكم بالغة، ابتلاءً وامتحاناً، ليتبين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر والمجتهد في طلب الحق من غيره، فهي بالنسبة إليه سبحانه وتعالى خير، حيث قضى ما قضى وقدر ما قدر من المعاصي والسيئات والكفر ونحو ذلك، بالنسبة إليه خير، لأنه حكيم عليم بما يقضي ويقدر سبحانه وتعالى، أما بالنسبة للمخلوق وما حصل له بسببها من الشقاء، فهي شر بالنسبة إليه، لكونه عصى ربه وخالف أمره، فهي شر بالنسبة إليه وخير بالنسبة إلى الله عز وجل، لكونه قضاها وقدرها لحكمة بالغة سبحانه وتعالى، فانقطع عنها الخير بفعل العبد لها، ولم ينقطع عنها الخير بالنسبة لحكمة الله عز وجل

وإرادته سبحانه وتعالى، فالشر ليس إليه، لا يتقرب به إليه ولا يضاف إليه، ولهذا قال عز وجل لما ذكر عن الجن المؤمنين قال: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الجن:١٠] فنسبوا الرشد إليه ولم ينسبوا الشر إليه من أدبهم وفقههم، لما فيه من الإجمال، وإن كان خالقه، هو خالق الشر وخالق الخير سبحانه وتعالى، خلق المعصية وخلق الكفر وخلق الإيمان من العبد، الله خلق العبد وأفعاله من خير وشر وإيمان وكفر، ولكنه علمه الإيمان وخلق فيه ما خلق من أعمال الإيمان، وهو يحب ذلك ويرضاه، وعلمه الشر ونهاه عنه وكره منه ما فعله من ذلك الشر، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة في تقديره وإيجاده سبحانه وتعالى ذلك.

وقول بعض العلماء: إن القدر سر الله في خلقه، يعني الحكم والأسرار، لا يعلم غالب الأسرار وغالب الحكم إلا هو سبحانه وتعالى، والتعمق في ذلك كرهه أهل العلم، لأن التعمق قد يفضي إلى الشك والريب وسوء الظن، يكفي العبد أن يقول إن الله حكيم عليم، وأنه قضى ما قدر وقدر ما شاء لحكمة بالغة، قد تظهر للعباد وقد لاتظهر.أهـ

* * *

فإن قيل: لم تنقطع نسبته إليه خلقاً ومشيئة؟ قيل: هو من هذه الجهة ليس بشر، فإن وجوده هو المنسوب إليه، وهو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء، حتى ينسب إلى من بيده الخير.

فإن أردت مزيد إيضاح لذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فإيجاد هذا خير، وهو إلى الله، وكذلك إعداده

وإمداده، فإن لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده.

فإن قيل: هلا أمده إذا أوجده؟ قيل: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، وإنما اقتضت إيجاده وترك إمداده، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.

فإن قيل: فهلا أمد الموجودات كلها؟ فهذا سؤال فاسد، يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة ! وهذا عين الجهل ! بل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه تفاوت، والتفاوت إنما وقع لأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت، فإن اعتاص عليك هذا، ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

فإن قيل: كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يعينه عليه؟ قيل: لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ..﴾ الآيتين، فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله، وهو طاعة، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي تترتب على خروجهم مع رسوله، فقال: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ أي فساداً وشراً، ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي سعوا بينكم بالفساد والشر ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي قابلون منهم مستجيبون لهم،

فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه، فاجعل هذا المثال أصلاً، وقس عليه.

وأما الوجه الثاني، وهو الذي من جهة العبد: فهو أيضاً ممكن، بل واقع، فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها، من حيث هي فعل العبد، واقعة بكسبه وإرادته واختياره، ويرضى بعلم الله وكتابه ومشيئه وإرادته وأمره الكوني، فيرضى بما من الله ويسخط ما هو منه، فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان. وطائفة أخرى كرهتها مطلقاً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب الأول، أن ما كان من جهة الله فهو محمود، لأن له الحكمة البالغة سبحانه وتعالى، فهو محمود على ما شرع وعلى ما قضى وقدر، لعظيم حكمته وكمال علمه ونظره لعباده، أما ما يتعلق بفعل العبد لها ووقوعها منه فهو مكروه مسخوط، لأن الله جل وعلا لا يرضى منه ذلك، بل نهاه عن ذلك، فهي من حيث وقوعها من العبد مكروهة مسخوطة، ومن حيث أن الله قدرها وسبق بها علمه محمودة، لما لله فيها من الحكم والأسرار والتمييز بين العباد، وبيان صالحهم وطالحهم ومحسنهم ومسيئهم، والراغب في الخير من غيره، والصادق من الكاذب، وظهور آثار أسماء الله سبحانه وتعالى من العفو والتواب والغفور والرحيم وغير هذا.أهـ

* * *

وقولهم يرجع إلى هذا القول، لأن إطلاقهم الكراهة لا يريدون به شموله لعلم الرب وكتابه ومشيئته.

وسر المسألة: أن الذي إلى الرب منها غير مكروه، والذي إلى العبد مكروه.

فإن قيل: ليس إلى العبد شيء منها، قيل: هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق، والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري. وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية أسعد بالتخلص من الفريقين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والجبري ما يرى للعبد فعلاً ولا اختياراً، ويراه كالريشة يقلبها الهواء، وكاليد المرتعشة، وقولهم من أفسد الأقوال وأضلها، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وما جعلوا له قدرة ولا اختياراً، وهذا باطل، والواقع شاهد ببطلان قولهم.

والقدرية النفاة نفوا خلق الله لأفعالهم، وقالوا إن العبد يستقل، وأن الأمر أنف وهذا باطل أيضاً.

وأهل السنة والجماعة وفقوا للتوسط، فآمنوا بأن الله سبق علمه وتقديره وكتابته، والعبد له فعل وله اختيار، ولكن لا يشاء إلا أن يشاء الله، فهو ملوم من جهة اختياره وفعله لما فعل من الشر، وهو الزاني وهو السارق وهو العاصي وهو الكافر، وهو قد مضى فيه علم الله وسبق فيه علم الله سبحانه وتعالى، فلله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة والحجة الدامغة فيما شاء وقدر سبحانه وتعالى.أهـ

❊ ❊ ❊

فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟ قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على غير ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات،

لموافقته فيها المشيئة والقدر، وقال: إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته!
وفي ذلك قيل:

أصبحت منفعلاً لما يختاره   مني، ففعلي كله طاعات!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا قول القدرية المرجئة، وهو قول أهل وحدة الوجود، وهذا من أبطل الباطل، فإن القدر نافذ وليس للعبد فيه حجة، وهو مأمور ومنهي ومسئول عن اختياره ومشيئته. أهـ

* * *

وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية، فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي، لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين ! وهذا غاية الجهل، لكن إذا شهد العبد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين؛ كان بالله في هذه الحال لا بنفسه، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصناً حصيناً، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال، فإذا حجب عن هذا المشهد وبقي بنفسه، استولى عليه حكم النفس، فهنالك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون، فإذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبعي، فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة، فإنه كان في المعصية محجوباً بنفسه عن ربه، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وأرسلت عليه الصيادون» أرسل: أحسن، لأنه جمع مذكر سالم.

ومعنى الكلام الأخير: أن العبد إذا استحضر عظمة الله واستقام على أمره وحافظ على دينه؛ فإنه حينئذ يكون في حفظ الله وكلاءته، كما في الحديث «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»[(١)] يعني حين استحضاره عظمة الله وحين قيامه بأمر الله، وحين ضمه النوافل إلى الفرائض عن رغبة ورهبة، وعن استحضار وشهود عيان، فإنه بهذا لا تقع منه المعصية، لأن ما في قلبه حينئذ من خوف الله وتعظيمه والإقبال عليه وجمعه عليه يمنع من ذلك، فإذا غفل ومال إلى شهواته وجاء حجاب الغفلة وحجاب الإعراض، قد تقع منه حينئذ المعصية، وقد ينال منه عدوه بسبب الغفلة.أهـ

* * *

فإن قيل: إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله، فكيف ننكره ونكرهه ؟!

فالجواب: أن يقال أولاً: نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخط ويمقت، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه، بل من القضاء ما يسخط، كما أن من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

ويقال ثانياً: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة النحل، آية: ٧٧ ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ وشيخ الإسلام ابن تيمية في الاحتجاج بالقدر (٦٧) وابن رجب في كلمة الإخلاص وصححه الألباني فيهما (٣٤).

ومقضي: وهو المفعول المنفصل عنه.

فالقضاء كله خير وعدل وحكمة، نرضى به كله، والمقضي قسمان: منه ما يرضى به، ومنه ما لا يرضى به.

ويقال ثالثاً: القضاء له وجهان: أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به.

والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به .

مثال ذلك: قتل النفس، له اعتباران: فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره؛ يرضى به، ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله؛ نسخطه ولا نرضى به.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والوجه الثاني مع الثالث متقاربان، والخلاصة أن على المؤمن أن يرضى بقضاء الله وقدره، كما أن عليه أن يصبر، فالسنة للمؤمن أن يرضى، والصواب عند العلماء أن الرضى سنة ومستحب، والصبر واجب على المقضيات المكروهات، الصبر عليها واجب والرضا بها مستحب، كما في حديث أنس «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[1] وإسناده مقارب، وقوله جل وعلا ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١] وفي الحديث الصحيح «**فإن**

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)كتاب الزهد / باب ما جاء في الصبر على البلاء، من حديث أنس رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه ٢/ ١٣٣٨ الفتن / باب الصبر على البلاء وقال الألباني: حسن صحيح ٤/ ٦٠١ سنن الترمذي.

أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» يعني سلّم لأمر الله وقل: «قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦] يعني سلموا لله ولم يعترضوا، وكما جاء في الأحاديث «أنا بريء من الصالقة والحالقة»[٢] إلى آخره «ليس منا من ضرب الخدود»[٣] إلى آخره، فالمقصود أن الصبر واجب على ما يقضيه الله ويقدره من أمور يكرهها الإنسان، كموت قريب، والمرض والفقر والجراحات التي تؤذيه وما أشبه ذلك، لكن لها وجهان:

من حيث أنها فعل الله وقضاؤه يرضى بها، لأنه سبحانه وتعالى ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو قضى هذه الأشياء وقدرها لحكمة بالغة، يرضى بها المؤمن ويقر بها ويعلم أنها عدل وحكمة، وأن الله سبحانه وتعالى يثنى عليه بها ويمدح بها لكونه الحكيم العليم جل وعلا.

ومن حيث أنها تصدر من المخلوق على وجه لا يرضاه الله، تكره من هذه الحيثية، تكره المعاصي والشرور والكفر وأنواع الضلال، تكره

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر / باب الإيمان بالقدر والإذعان له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان/ باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١٢٩٧) كتاب الجنائز / باب ليس منا من ضرب الخدود، و (١٢٩٨) باب ماينهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة، و (٣٥١٩) كتاب المناقب / باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ومسلم (١٠٣) كتاب الإيمان / باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وتسخط من هذه الحيثية، من حيث صدرورها من المخلوق وكونه عصى الله جل وعلا بها، فهي مكروهة من المخلوق وبالمفعولات، ولكنها مرضية بالنسبة إلى الفعل، فهنا فاعل وفعل ومفعول:

فالفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

والفعل وصفه من خلق وتقدير وغير ذلك.

والمفعول هو الواقع من كفر العبد ومعصيته وظلمه للعباد ونحو هذا.

هذا المفعول وقع بقضاء الله وقدره، فهو مفعول مخلوق لله عز وجل، ولكنه أيضاً ينسب إلى العبد كسباً وفعلاً، فهو مسخوط من هذه الحيثية، من حيث أن العبد اقترفه على وجه لا يرضاه الله سبحانه وتعالى، فنحن نكرهه من العبد ونسخطه من العبد ونذمه عليه، ويستحق عليه القصاص، القتل والحدود الشرعية لما يوجب الحدود، إلى غير ذلك، ولكنه مرضي من جهة أن الله قدره، فالله سبحانه وتعالى هو الحكيم العليم، فنؤمن بهذا ونرضى به قدراً، ونصف الله بما يستحقه من ذلك، لكونه العدل الحكم الحكيم فيما يقضيه ويقدره، كما أنه الحكيم فيما يشرعه لعباده ويأمر به سبحانه وتعالى، وهذه نكتة عظيمة للفطن، قل من يفرق بها ويفطن لها.أهـ

* * *

وقوله: «والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان» آخره .

التعمق: هو المبالغة في طلب الشيء، والمعنى: أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان.

الذريعة: الوسيلة، والذريعة والدرجة والسلم متقاربة المعنى، وكذلك الخذلان والحرمان والطغيان متقاربة المعنى أيضاً، لكن

الخذلان في مقابلة النصر، والحرمان في مقابلة الظفر، والطغيان في مقابلة الاستقامة.

وقوله: «فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: «وقد وجدتموه»؟ قالوا: نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان»(١) رواه مسلم، الإشارة بقوله: «ذلك صريح الإيمان» إلى تعاظم أن يتكلموا به،و لمسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ فقال: «تلك محض الإيمان»(٢) فهو بمعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فإن وسوسة النفس أو مدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين، فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان و محض الإيمان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ليست الوسوسة هي صريح الإيمان، وإنما صريح الإيمان مدافعتها واستعظامها واعتبارها عظيمة لا ينبغي أن يتكلم بها، هذه الوسوسة التي يلقيها الشيطان في القلوب نحو الله ونحو رسوله ونحو شرعه ونحو الإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار، وما يتضمن التشكيك بذلك والاعتراض في ذلك، هذه من وساوس الشيطان، تقع على الصالحين وغير الصالحين، فالصالحون يستعظمونها ويرونها شراً عظيماً وبلاءً كبيراً، ويوقنون أنها من الشيطان، فاستعظامهم لها وتيقنهم أنها من عمل الشيطان ذاك صريح الإيمان، وفي

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٨٣) وكذا أحمد (٢/ ٤٥٦).أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم عنه، وأحمد (٦/ ١٠٦) من حديث عائشة.أهـ ألباني

رواية «**إن أحدنا ليجد في نفسه ما أن يخر من السماء أحب إليه من أن ينطق به**»(١) وروي «**ما نتعاظم أن ننطق به**»(٢) من خبث وشر وما يفضي إليه من التشكيك بالله وفي دينه وبالبعث والنشور والجنة والنار وفي صدق الرسول وغير هذا من هذه الأجناس، ومن هذا الباب ما ثبت في الحديث الصحيح في الصحيحين عن النبي ﷺ «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: هذا الله خلق كذا وخلق كذا فمن خلق الله؟ فمن وجد ذلك فلينته**»(٣) وفي اللفظ الآخر «**فليقل آمنت بالله ولينته**»(٤) وفي لفظ آخر «**فليستعذ بالله ولينته**»(٥) وقد وقع هذا لأبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه، جاءه رجلان يسألانه عن هذا السؤال فحصبهما وقال: صدق خليلي صدق خليلي، ثم ذكر الحديث(٦)، هذا من جنس الوسوسة التي تقع، ومن جنس حديث الشيطان الذي يقع لبعض الناس، فإذا وجد الإنسان هذه الأشياء من التشكيك في الله، أو التشكيك بالبعث والنشور أو الجنة والنار، أو صدق الرسول أو صدق القرآن أو أنه كلام الله، أو ما أشبه ذلك من الأمور المعروفة المقطوع بها، التي هي من أسس الإيمان؛

---

(١) رواه مسلم (١٣٢) كتاب الإيمان/ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٤٨) كتاب الأدب/ باب: في رد الوسوسة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٣٤) كتاب الإيمان/ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (١٣٤) كتاب الإيمان/ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (١٣٤) كتاب الإيمان/ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (١٣٥) كتاب الإيمان/ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

فليعلم أنه من الشيطان، وليحذر ذلك وليعرض عن ذلك، وليقل آمنت بالله ورسله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا هو صريح الإيمان، استعظامك لهذا الشيء وإنكاره واستقباحه، وما يقع منك من قول: آمنت بالله ورسله والتعوذ بالله من الشيطان، هذا كله من صريح الإيمان، ومن الدلائل على قوة الإيمان واستقامة العبد وبعده عن الاستجابة لعدو الله الشيطان.أهـ

* * *

هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ثم خلف من بعدهم خلف، سودوا الأوراق بتلك الوساوس، التي هي شكوك وشبه، بل وسودوا القلوب، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، ولذلك أطنب الشيخ رحمه الله في ذم الخوض في الكلام في القدر والفحص عنه، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[١] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم» قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده[٢]. ورواه ابن ماجه أيضاً.

---

(١) متفق عليه.أهـ ألباني

وقال شاكر: رواه أحمد والشيخان وغيرهم.أهـ

(٢) صحيح، رواه أحمد وغيره بسند جيد.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا إسناد جيد حسن، لأن أبا معاوية وداود بن أبي هند كلاهما ثقة ظاهر معروف، فهو من رجال الحسن.أهـ

* * *

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ الخلاق: النصيب، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي استمتعتم بنصيبكم كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم وخضتم كالذي خاضوا، أي كالخوض الذي خاضوه، أو كالفوج أو الصنف أو الجيل الذي خاضوا، وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض، لأن فساد الدين إما في العمل وإما في الاعتقاد، فالأول من جهة الشهوات، والثاني من جهة الشبهات.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي ﷺ قال: «لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع» قالوا: فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا أولئك»[(١)] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان من أمتي من يصنع ذلك، وإن بني اسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[(٢)] رواه الترمذي.

---

(١) أخرجه البخاري في«الاعتصام» وكذا أحمد (٢/ ٣٦٧،٣٢٥).أهـ ألباني

(٢) ضعيف بهذا السياق، وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ، وهو ممكن باعتبار شواهده، ولذلك أوردته في «صحيح الجامع» (٥٢١٩) «الصحيحة» (١٣٤٨).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث له طرق كثيرة في المسند والسنن، حديث عبدالله وغيره، عدة أحاديث يشد بعضها بعضاً، وإن كان الإفريقي يطعن فيه لسوء الحفظ، وهو إمام كبير، قاضي إفريقيا، لأن جماعة من أهل العلم وثقوه وعظموا شأنه، وآخرون نقدوه في حفظه بعض الشيء، والحديث له طرق جيدة، جاء عن عدة من الصحابة، كلها تدل على صحة هذا الافتراق وأنه واقع، وأنه لا عصمة ولا سلامة إلا بالثبات على ما كان عليه النبي وأصحابه، وبقية الطرق كلها هلاك ومفضية إلى النار، إلا من سلك مسلك النبي ﷺ ومسلك أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.أهـ

* * *

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[1] رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فيه شك، ولكن المحفوظ: اليهود إحدى وسبعون، والنصارى ثنتان وسبعون، وهذه الأمة ثلاث وسبعون.أهـ

* * *

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة

(١) صحيح، وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٠٣).أهـ ألباني

ستفترق على ثلاث وسبعين ملة[١]. - يعني: الأهواء -، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة».

وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة: مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الافتراق الذي وقع في الأمة ابتلاء وامتحان، ولو شاء ربك لم يقع، ولكنه سبحانه ابتلى هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء، فصار طالب الحق يحتاج إلى عناية وإلى صبر وإلى تفتيش عن الحق بأدلته، حتى يسلم من هذه الطرق المعوجة المنحرفة، وبهذا يعلم طالب العلم أن المقام عظيم، وأن الواجب عليه كبير، حتى يحتاط لنفسه، وحتى يأخذ بالأدلة الكافية في جميع شؤون الدين، وأن لا يرضى بالهوينة أو بالتقليد الأعمى أو بالكسل والضعف، بل يشمر ويعتني بالأدلة الشرعية، ويعنى بالقرآن العظيم الذي هو أصل العصمة، وهو أصل كل خير، وهو الهادي إلى سبل الرشاد، فعليه العناية العظيمة بالقرآن تدبراً وتعقلاً وحفظاً وتكراراً للتلاوة وتدبراً للمعاني ومراجعة لكلام أهل التفسير، حتى يطمئن إلى كل شيء.

وهكذا السنة والعناية بها وحفظ ما تيسر منها والإكثار من القراءة والمراجعة، فقد يراجع الإنسان الحديث مرات بعد مرات ثم يضيع عليه، كما قد يعتني بالقراءة والحفظ ثم تضيع عليه بعض الآيات وبعض الكلمات، فلا يمل أبداً، لا يمل من الدراسة والعناية والمراجعة والتلاوة ومراجعة الأحاديث وهكذا، هكذا مراجعة كلام أهل العلم المعروفين

(١) صحيح، وهو مخرج في المصدر المذكور (٢٠٤).أهـ ألباني

بالاستقامة والسنة والرد على أهل البدع، حتى يزداد علمه وحتى يطمئن قلبه، وحتى يكون على بينة في رده على الخصوم.أهـ

* * *

وقوله: «فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين».

اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمه عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: «يا بني إسرائيل لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا» ولهذا كان سلف هذه الأمة، التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً ـ لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به، والحذر عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته ـ فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فإن هذا ينافي الانقياد، ويقدح في الامتثال.

قال القرطبي ناقلاً عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهماً راغباً في

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه فلا بأس به، فشفاء العي السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره[1].

قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظرة، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد.

قال: فإذا عرضت نازلة، أتيت من بابها، ونشدت من مظانها، والله يفتح وجه الصواب فيها. انتهى[2].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن الواجب على الأمة التصديق والتسليم والانقياد، وعدم البحث عن العلل والحكم، لأن الذي إنما يتبع ما ظهرت له حكمته وعلته؛ معناه إنما اتبع رأيه وهواه، ما اتبع الأوامر، والمطلوب اتباع الأوامر والانقياد لها مطلقاً، وإن لم تعرف العلة والحكمة التي من أجلها جاء الأمر، لأن إيمانك يلزمك إلى هذا، فإنك مؤمن، فإنك عبد مأمور وعليك الامتثال، ومؤمن بأن ربك حكيم عليم، ليس بسفيه ولا عابث ولا جاهل، بل يأمر عن حكمة وينهى عن حكمة ويدعو إلى الخيرات، فهو سبحانه العالم بكل ما يأمر به وينهى عنه، وهو الحكيم العليم، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:٨٣] ولما ذكر الفرائض والمواريث قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تفسير القرطبي ٦/ ٣٠٦، سورة المائدة/ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ (١٠١)، وقد ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٦/ ٣٩٧ كتاب الكلام/ باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين.

(٢) تفسير القرطبي ٦/ ٣٠٦ سورة المائدة/ آية (١٠١).

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١١] وهو سبحانه عليم بما يأمر به وينهى عنه حكيم في ذلك، قال جل وعلا: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون:١١٥] ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة:٣٦] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص:٢٧] فهو سبحانه ليس بعابث، ولا يفعل شيئاً عبثاً ولا باطلاً، ولا يأمر بشيء عبثاً ولا باطلاً، فتعين حينئذ الإيمان بأن جميع الأوامر والنواهي كلها عن حكمة، وعن غايات محمودة، وعن مقاصد رفيعة، فلا يوجه إليه السؤال، إنما السؤال عن الحكمة في أمر من يخطئ ويصيب، في أمر من قد يجهل ويعبث، أما الحكيم العليم الذي لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء، وهو الحكيم في أقواله وأعماله؛ فلا وجه للسؤال ولا حاجة للسؤال، ولهذا قال سبحانه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣] يعني لكمال حكمته وكمال علمه لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون لضعفهم وجهلهم وخطئهم، لكن كما قال ابن عبد البر: من سأل من باب العلم والاستفادة عما يظهر من الحكم، مع إيمانه بأن ربه حكيم عليم، وأن الامتثال واجب، لكن سأل من باب التبصر ومن باب الفائدة، من باب تثبيت العلم، فهذا لا بأس على وجه الاستفادة والعلم، لا على وجه الاعتراض أو التوقف عند عدم وضوح العلة، بل هو مستمر منفذ عازم على فعل ما أمر الله به ورسوله مصمم على ذلك، ولكن قد يسأل عن بعض الفوائد ليعلم بها الحكمة والأسرار التي تعين ضعفاء العلم وضعفاء البصيرة، تعينهم على الامتثال وعلى الإيمان بحكمة الله، وعلى حسن الظن بالله سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١] رواه الترمذي وغيره، ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بين له الصواب ليرجع إليه، فالله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته، كما يقول جهم وأتباعه، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إلا إذا استحل الذنب، من زنى لا يكفر إلا إذا استحل الزنا، من سرق لا يكفر إلا إذا استحل السرقة، من عق والديه لا يكفر إلا إذا استحل العقوق، قال إنه حلال ما فيه بأس، نسأل الله السلامة، وهكذا.أهـ

* * *

قوله: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود).

ش: الإشارة بقوله: «فهذا» إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل به، مما جاءت به الشريعة.

وقوله: «وهي درجة الراسخين في العلم» أي علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلاً، نفياً وإثباتاً.

(١) صحيح، روي عن جمع من الصحابة، خرجته في «الروض النضير» (٣٢١،٢٩٣).أهـ ألباني

ويعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه.

ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة، أصولها وفروعها، فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته، ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات، التي لا يعلم منها إلا المضرة: لم ينف أن يكون الله تعالى خالقاً لها، ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا، لأن عدم العلم لا يكون علما بالمعدوم .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله واضح، فإن إنكار العلم الموجود ـ وهو علم الشريعة ـ أو عدم الإيمان به كفر وضلال، فالله جل وعلا بعث الرسل بشرائع وأحكام يجب على الخلق التزامها، وعلى رأسهم مقدمهم وإمامهم محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، أرسله الله إلى الناس عامة بما جاء به من علم العقائد وعلم الأحكام، فوجب الإيمان بذلك وتلقيه بالقبول، فإنكاره كفر وضلال وردة عن الإسلام ممن انتسب إليه.

أما العلم المفقود فعلم الغيب، علم ما قدر الله للعباد، وما مضى في علمه سبحانه وتعالى مما يكون في العالم، ومما يكون في الآخرة، هذا

إليه سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل:٦٥] هو العالم بكل شيء جل وعلا، فليس لأحد أن ينكر العلم الموجود، وليس لأحد أن يدعي العلم المفقود، بل عليه أن يسلم لأمر الله، وأن ينقاد لحكم الله، ويقف عند الحد الذي حده الله، مع الإيمان بأن الله حكيم عليم في كل شيء، حكيم عليم في خلقه، جميع المخلوقات، ما ظهرت حكمته وماخفيت حكمته، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في آيات كثيرات هذا الأمر العظيم، هذا الأصل الكبير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٢٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١١] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:٨٣] إلى غير ذلك، كل هذا يبين أن أفعاله وتدبيراته وشرائعه؛ كلها صادرة عن علم لا عن جهل، وعن حكمة لا عن عبث، فالعلم شامل، والغايات والحكم عظيمة، والقدرة كاملة، وإذا أشكل عليك شيء في هذه الأمور فقل كما قالت الملائكة: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢] سواء ما ذكره المؤلف هنا من حكمة الحيات والعقارب والفأر والحشرات الأخرى أو غير ذلك.

وقد يقال كما قال جمع من أهل العلم: إنها لبيان أن هذه الدار ليست دار خلد وليست دار نعيم، ولكنها دار منغصة، منغصة بالحر والبرد والأمراض والأكدار، وهذه الحشرات التي تؤذي الكثير من الناس وتنكد عليهم بعض معيشتهم، فلله الحكم والأسرار العظيمة في خلق ما خلق من السباع والكائنات المفترسة، ومن هذه الحشرات التي يقذرها الناس وتؤذي الناس، من البعوض والذباب والذر والحشرات الأخرى والحيات والعقارب وغير ذلك، فله فيها الحكمة البالغة والحجة

الدامغة، سواء عرفنا ذلك أو لم نعرف ذلك، ولا شك أن فيها تنغيصاً لهذه الدار وتكديراً لهذه الدار، وبياناً بأنها ليست دار نعيم وليست دار سرور، ولكنها دار منغصة بأنواع المنغصات، ليطلب العاقل داراً غير هذه الدار، وليلتمس ذو البصيرة داراً سليمة مما ينغص، وليس هناك دار سليمة من المنغصات إلا الجنة، والطريق إليها هو امتثال ما جاءت به الرسل، والأخذ بما جاءت به الرسل، وحظنا منهم ونصيبنا هو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فلا طريق إلى الجنة والكرامة والسلامة من هذه المنغصات إلا بالتمسك بما جاء به هذا النبي العظيم، من الشرع القويم والصراط المستقيم قولاً وعملاً وعقيدة، والدعوة إليه والصبر عليه، هذا هو الطريق ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [الفاتحة:٦] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:٧] هذا الطريق، وهذا الطريق يشمل أداء فرائض الله وترك محارم الله والوقوف عند حدود الله والدعوة إلى الله والصبر على ذلك، كله داخل في الطريق، والله المستعان.أهـ

* * *

قوله: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم).

ش: قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق لوحاً محفوظاً، من درة بيضاء، صفحاتها ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي،

ويعز ويذل، ويفعل ما يشاؤه»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

وقول المحشي: إن زياد بن عبدالله البكائي ضعيف، ليس بجيد، أما ليث بن أبي سليم ضعيف لسوء حفظه واشتغاله بالعبادة، أما زياد بن عبدالله البكائي راوي السيرة عن أبي إسحاق، هو عندهم جيد لا بأس به، أقل أحواله أن يكون حسناً، وقول المحشي: كلاهما ضعيف، ليس بجيد، والحافظ ذكر أن في روايته عن غير أبي إسحاق بعض اللين، وأنه ثبت في روايته عن أبي إسحاق في المغازي، وهو صدوق، فإطلاق الضعف عليه مطلقاً ليس بجيد.

والحديث لا بأس به، بالطريقين جيد، والموقوف لا مجال للرأي

(١) ضعيف، رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٦٥/ ١) وفيه زياد بن عبد الله وهو البكائي، عن ليث، وهو ابن أبي سليم، وكلاهما ضعيف، وقد رواه (٣/ ٨٨/ ٢) من طريق أخرى نحوه عن ابن عباس موقوفاً عليه، وإسناده يحتمل التحسين، فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب وهو الكوفي، قال فيه أبو حاتم: «شيخ»، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٢/ ٣٢).

(تنبيه): كان الحديث محرفاً في مطبوعة أحمد شاكر، وكان هو صححه من مجمع الزوائد الذي أورد الحديث عن ابن عباس موقوفاً، وصححناه نحن من حديثه المرفوع من «المعجم» وهو الصواب، لأن المؤلف ساقه من الطريق المرفوعة، فلا يصح تصحيح ما وقع فيه من التحريف من الطريق الموقوفة، كما لا يخفى، لاختلاف لفظيهما، كما أشرت إلى ذلك بقولي: «نحوه». أهـ ألباني

وقال شاكر: هذا الحديث محرف جداً في المطبوعة، وفيها زيادة ونقص، وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٠-١٩١ وصححناه منه، ولكنه فيه موقوف من كلام ابن عباس، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات» فلعل الشارح نقله من الرواية الأخرى التي أعرض عنها الهيثمي. أهـ

فيه، له حكم المرفوع إذا لم يتلق عن بني إسرائيل.أهـ

* * *

اللوح المذكور هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه، والقلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقادير، كما في سنن أبي داود، عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»(١).

---

(١) صحيح، غير أني متوقف في صحة الحرف الذي استدل به المؤلف، وهو «فقال» فقد جاء في بعض الروايات بلفظ: «ثم قال» فأخرجه أبو داود (٤٧٠٠) من طريق أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت فذكره بلفظ «فقال..».

قلت: وأبو حفصة اسمه حبيش بن شريح الشامي، لم يوثقه غير ابن حبان، وفي التقريب: «مقبول» يعني عند المتابعة، وإلا فلين الحديث كما نص عليه في المقدمة، وقد توبع، لكن الطريق إلى المتابع لا يصح، فقال الطيالسي (٥٧٧) حدثنا عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح، حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه به .. ومن طريق الطيالسي رواه الترمذي (٢/ ٢٣٢) وقال: «حديث حسن غريب، وفيه عن ابن عباس».

قلت: وعبد الواحد هذا ضعيف كما في التقريب.

وقد خالفه أيوب بن زياد فقال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي به، لكنه قال: «ثم قال: اكتب..».

وهذا أخرجه أحمد (٥/ ٣١٧) وسنده حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون، غير زياد هذا، وقد روى عنه جماعة، ووثقه ابن حبان، فهو حسن الحديث إن شاء الله تعالى، لكن قد أخرجه الآجري في كتاب الشريعة، ص (١٧٧) من طريق بلفظ: «فقال له اجر..» ورواه يزيد ابن أبي حبيب عن الوليد بن عبادة به بلفظ: «ثم قال له اكتب» ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ.

ويشهد له حديث أبي هريرة بلفظ: «**إن أول شيء خلق الله عز وجل القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال اكتب..**» الحديث.

رواه الآجري والواحدي في تفسيره (٤/ ١٥٧/ ٢) وفيه الحسن بن يحيى الخشني، مختلف فيه، وفي التقريب «صدوق كثير الغلط». =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحديث بالجملة جيد لا بأس به، وإنما الخلاف هل هو أول المخلوقات أم لا ؟

وشيخ الإسلام ابن تيمية والجماعة يرون أنه أول المخلوقات المشاهدة التي يشاهدها الناس، أما أول المخلوقات في الجملة فالله أعلم، وابن القيم رحمه الله ذكر عن الهمداني قال :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده؟ ... قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه ... حين الكتابة كان ذا أركان

.. يشير إلى قول النبي ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»(١) فظاهر النصوص أن العرش متقدم قبل خلق القلم، وروايات خلق القلم فيها اختلاف في ألفاظها، فلا تقوى على الحكم بأن القلم قبل ذلك، فإن في رواية «**فقال**» ورواية أخرى «**ثم قال**» وفي رواية «**قال له**» من غير فاء ولا ثم، «**إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب**» يعني حين خلقه قال له اكتب، يعني في حين خلقه قال له اكتب «**فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**» فالأمر في هذا واسع، والله أعلم.

= وبالجملة، فالروايات في هذا الحرف مختلفة، ولذلك فإنه لا يتم للمصنف الاستدلال بالرواية الأولى على تقدم خلق العرش على القلم، حتى يثبت أرجحيتها على الأخرى: «ثم قال..» وإذا كان لابد من الترجيح بينهما، فالأخرى أرجح من الأولى لاتفاق أكثر الرواة عليها، ولأن لها شاهداً عن أبي هريرة كما تقدم، ولأنها تتضمن زيادة في المعنى، وعليه فلا تعارض بين الحديث على هذه الرواية، وبين حديث عبد الله بن عمرو، لأن حديثه صريح في أن الكتابة تأخرت عن خلق العرش، والحديث على الرواية الراجحة صريح في أن القلم متقدم على العرش، والله أعلم.أهـ ألباني

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

يميل ابن القيم إلى أن المقصود: المخلوقات المشاهدة، ليس كل شيء، بل المشاهدة التي يشاهدها الناس من السماء والأرض، فهو خلق قبلها، بخلاف المخلوقات التي لا يشاهدها الناس، كالعرش وغير ذلك من المخلوقات التي يعلمها الله سبحانه وتعالى.

وبعضهم أجاب بأن الرواية «**قال له**» بغير فاء ولا ثم «**إن الله أول ما خلق القلم قال له**» يعني في أول خلقه قال له، والأمر في هذا واسع، والله أعلم سبحانه وتعالى.

وهذا الاختلاف قد لا يسمى اضطراباً، لأن المقصود حاصل «إن أول ما خلق الله القلم فقال» أو «**ثم قال**» أو «**قال له**» فالمقصود حاصل سواء كان بفاء أو ثم أو بإسقاطهما، والحاصل أن القلم قيل له اكتب وأنه جرى بالقدرات، سواء كان قبل ذلك شيء أو لم يكن.

وقول المحشي: حسن إن شاء الله، التقييد بالمشيئة لأن عنده نوع شك، في رواته بعض الشك.أهـ

* * *

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[1] فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا، ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم» إلخ ـ إما أن يكون

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

جملة أو جملتين، فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب» بنصب أول والقلم، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع أول والقلم، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبدالله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب» فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

والقلم الثاني: قلم الوحي: وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم، والأقلام كلها خدم لأقلامهم، وقد رفع النبي ﷺ لله ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها[1]، أمر العالم العلوي والسفلي.

قوله: (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن ـ لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائناً ـ لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).

ش: تقدم حديث جابر عن رسول الله ﷺ، قال: جاء سراقة بن مالك ابن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما استقبل؟ قال:

---

(١) لعله يدبر بها. ابن باز.

«لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير»[(١)] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[(٢)] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي آخر اللفظ الأول في حديث سراقة قالوا: ففيم العمل؟ سألوه، مادام أن الأمور قد جرت بها المقادير وجفت بها الأقلام ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(٣)]، وفي هذا المعنى من رواية علي أيضاً في الصحيحين أنه ﷺ جاء يشيع جنازة فجلس عند القبر ولما يلحد فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» قالوا يا رسول الله: ففيم العمل إذاً؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون**

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

(٢) صحيح لغيره، وقد خرجته في السنة لابن أبي عاصم (٣١٦ـ٣١٨).أهـ ألباني

(٣) رواه مسلم (٢٦٤٨) كتاب القدر / باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]»[1] والأحاديث في هذا كثيرة في مسألة القدر وسبقه، وأنه أمر مضى، وأن العباد يجرون في أمر قد فرغ منه، وأن الله سبحانه وتعالى ييسر أهل السعادة للسعادة وييسر أهل الشقاوة للشقاوة، وأن على كل مكلف أن يعمل ويجتهد، ويسأل ربه التوفيق، فسوف ييسر لما خلق له.أهـ

* * *

وقد جاءت الأقلام في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاماً غير القلم الأول، الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ.

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره :

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح .

القلم الثاني: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه، وقد تقدم.

سعيد[١]، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «القلم الثاني خبر خلق آدم» يقصد لما لام موسى آدم، قال: إن الله قد كتبها قبل أن يخلقني، كذلك إخراج ذريته من ظهره كتب ما كتب، قد يريد هذا، لكن بكل حال هذه الأقلام ليس بلازم أن تكون أربعة، الأقلام لا يحصيها إلا الله جل وعلا، فالجزم بأنها أربعة ليس بجيد، والأقلام لا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر ابن القيم في بعض كتبه كذلك: الأقلام الأربعة، ولكن ليس المعنى أنه ليس هناك قلم آخر، قال: هي أقلام أربعة، قد قيل: إن هناك قلم خامس وهو ما يكتب به الحوادث في السنة، فإن في السنة ليلة القدر فيها لله سبحانه وتعالى تقادير، قد جاء في الآثار عن ابن عباس وغيره أن الله جل وعلا يقدر فيها ما يكون من حوادث السنة[٢].

فالحاصل أن الأقلام لا يجوز الجزم بأنها أربعة فقط، فالأقلام كثيرة، والله هو الذي يعلمها ويحصيها سبحانه وتعالى، ولهذا قال في حديث المعراج: «**يسمع به صريف الأقلام**»[٣] الأقلام التي تكتب لا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، وقد مضى بتمامه. أهـ ألباني

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد عند قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد (٣٩) وعند قوله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ رواه عن قتادة وأبي مالك، وذكره ابن كثير في تفسيره عند آية الرعد السابقة.

(٣) رواه مسلم (١٦٣) كتاب الإيمان / باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، قد تكون أربعة وقد تكون مائة وقد تكون آلافاً، الله الذي يعلمها سبحانه وتعالى، قد يكون لكل شيء قلم خاص، فربنا هو العالم بهذه الأشياء سبحانه وتعالى.أهـ

سؤال/ حج آدم موسى بأمرين ما هما ؟

أجاب سماحة الشيخ: «فحج آدم موسى فحج آدم موسى»(١)
أحدهما: أنه لامه على أمر ليس من صنعه، صنعه الذي يلام عليه: الذنب، وأما كونه أنزل إلى الأرض لحكمة بالغة فلا يلام على هذا، ولا إخراجه من الجنة، إنما اللوم على فعله المعصية، أما ما رتب الله عليها فهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى.

والأمر الثاني: أنه لامه بعد التوبة، والإنسان بعد التوبة لا يلام، إنما يلام قبل أن يتوب، يلام ويقرّع حتى يتوب، أما إذا تاب فإنه لا يلام، بعد التوبة لا يقال للإنسان سيئته، قد يشكر على توبته ويدعى له ويشجع على الثبات عليها.أهـ

* * *

وإذا علم العبد أن كلاً من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ ﴿ وَإِيَّايَ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٩) كتاب أحاديث الأنبياء / باب وفاة موسى وذكره بعده، و (٤٧٣٦) كتاب التفسير / باب قوله ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ و (٤٧٣٨) و (٦٦١٤) كتاب القدر / باب: تحاج آدم وموسى عند الله و(٧٥١٥) كتاب التوحيد / باب: ما جاء في قوله عز وجل ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ومسلم (٢٦٥٢) كتاب القدر / باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا رواه اللالكائي (١٠٣٢) ٦٤٢/٢.

فَٱرۡهَبُونِ ﴾ ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾.

ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة، ولا بد لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان ملكاً مطاعاً فلا بد أن يتقي أشياء يراعي بها رعيته، فحينئذ فلا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتق الله اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضاؤهم كلهم، كما قال الشافعي رضي الله عنه: رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه، ودع ما سواه فلا تعانه، فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن أراد رضا الخلق هلك، لأنهم لا يرضون إلا بما يوافق أهواءهم، فالحزم والواجب العناية بإرضاء الله، والقيام بأمره سبحانه وتعالى، والوقوف عند حدوده، رضي الناس أو كرهوا، هذا هو طريق النجاة، طريق النجاة: العناية بأسباب رضا الله، وذلك باتباع أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده واتباع ما شرع، و محبة الناس على قدر قيامهم بأمر الله، فيحبون في الله ويبغضون في الله، ويرضى منهم ما يرضي الله ويكره منهم ما يكرهه الله، هذا هو طريق النجاة، وهو الطريق الذي جاءت به الرسل ودل عليه القرآن العظيم.أهـ

❊ ❊ ❊

وأيضاً فالمخلوق لا يغني عنه من الله شيئاً، فإذا اتقى العبد ربه كفاه مؤنة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية، روي مرفوعاً، وروي موقوفاً

عليها: «من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس له ذاماً»(١).

(١) صحيح، رواه الترمذي (٢/ ٦٧) من طريق عبد الوهاب بن الورد عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أن اكتبي لي كتابا وصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس» والسلام عليك.

ثم رواه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كتبت إلى معاوية، فذكر الحديث بمعناه، ولم يرفعه.

قلت: والمرفوع إسناده ضعيف لجهالة الرجل الذي لم يسم.

وأما الموقوف فسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

ورواه عثمان بن واقد عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن عروة بن الزبير به مرفوعاً بلفظ: «من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس».

رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (ق٤٢/ ٢) مشرق بن عبد الله في «حديثه» (ق/ ٦١/ ٢) وابن عساكر (١٥/ ٢٧٨/ ١).

قلت: وهذا سند حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون، وفي عثمان بن واقد كلام لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن، وفي «التقريب»: «صدوق ربما وهم».

وروى بعضه ابن بشران في «الأمالي» (١٤٤/ ١٤٥) وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٢/ ١) وأبو القاسم المهراني في «الفوائد المنتخبة» (٣/ ٢٣/ ١) وابن شاذان الأزجي في «الفوائد المنتقاة» (١/ ١١٨/ ٢) والقضاعي (٤٢/ ٢) عن قطبة بن العلاء بن المنهال الغنوي، ثنا أبي عن هشام بن عروة به بلفظ: «من طلب محامد الناس بمعصية الله عاد حامده ذاماً».

قال المهراني: «حديث غريب، لا أعلم رواه عن هشام غير العلاء بن منهال».

وروي عنه بلفظ: «من التمس محامد الناس بمعاصي الله تعالى عاد حامده من الناس ذاماً له».

رواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (٢/ ٥/ ٢) والعقيلي في «الضعفاء» (٣٢٥) وابن عدي في «الكامل» (ق٢٧٢/ ٢) وأبو الحسن بن الصلت في حديث ابن عبد العزيز الهاشمي (ق٧٦/ ١) وقال العقيلي: «العلاء بن المنهال لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به» وقال ابن عدي: «وليس بالقوي».

قلت: وأما ابن حبان فذكره في «الثقات»! =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد صح عن ابن حبان مرفوعاً أيضاً. أهـ

* * *

فمن أرضى الله كفاه مؤنة الناس ورضي عنه، ثم فيما بعد يرضون، إذ العاقبة للتقوى، ويحبه الله فيحبه الناس، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله العبد نادى: يا جبرائيل، إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي جبرائيل في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(١) وقال في البغض مثل ذلك.

فقد بين أنه لا بد لكل مخلوق من أن يتقي إما المخلوق، وإما الخالق، وتقوى المخلوق ضررها راجح على نفعها من وجوه كثيرة، وتقوى الله هي التي يحصل بها سعادة الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهل التقوى، وهو أيضاً أهل المغفرة، فإنه هو الذي يغفر الذنوب، لا يقدر مخلوق على أن يغفر الذنوب ويجير من عذابها غيره، وهو الذي يجير ولا يجار عليه.

قال بعض السلف: ما احتاج تقي قط، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا

= ثم قال العقيلي: «ولا يصح في الباب مسند، وهو موقوف من قول عائشة».

قلت: الصواب عندي أن الحديث صحيح موقوفاً ومرفوعاً، أما الموقوف فظاهر الصحة، وأما المرفوع، فلأنه جاء من طريق حسنة عن عثمان بن واقد كما تقدم، فإذا انضم إليه طريق الترمذي ارتقى الحديث إن شاء الله إلى درجة الصحة. أهـ ألباني

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، وهو مخرج في «الضعيفة» تحت حديث آخر عن أنس، مخالف لهذا في اللفظ. أهـ ألباني

يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللاً، فليستغفر الله وليتب إليه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي فهو كافيه، لا يحوجه إلى غيره.

وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب ! وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، كما قد عرف في موضعه، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ ولهذا تجد كثيراً ممن يرى الاكتساب ينافي التوكل يرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة، وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكّاس، أو والي شرطة، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط في موضعه، لا يسعه هذا المختصر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا القول من أفسد الأقوال، فإن التوكل ما يتم إلا بالأسباب، والتوكل يجمع أمرين: أحدهما: الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه مسبب الأسباب ورازق العباد، وأن كل شيء مضى بقدره سبحانه .

والأمر الثاني: التعاطي للأسباب، فالجنة لها أسباب والنار لها أسباب والرزق له أسباب وكلها مقدرة، قد مضى في علم الله أعمال العباد من طاعة ومعصية وأكساب حلال وحرام، كلها مضى في علم الله أمرها، ولكن العبد مأمور مفروض عليه أن يتعاطى ما أوجب الله عليه، وأن يدع ما حرم الله عليه، ويطلب الرزق حتى لا يحتاج إلى الناس وحتى لا

يموت جوعاً وظمئاً، وفطر الله العباد على ذلك، العباد والحيوان كلهم مفطورون على هذا الأمر، فهذا القول لا يقوله من يعقل ولا من يفهم، بل هو قول فاسد صدر عن عقول فاسدة وعن تصورات فاسدة.

وقوله: «**وقد يكون ذلك من مكّاس، أو والي شرطة**» يعني قد يأتيه برزق غير طيب، المكّاس معروف حاله، ووالي الشرطة قد يأخذ المال بغير الحق.أهـ

* * *

وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقال البغوي: قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت ! قال المفسرون: من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قوماً ويذل آخرين، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، ويفرج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو معنى قوله جل وعلا: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩] يعني أنه سبحانه له شؤون في عباده لا تحصى، وهذه الشؤون لا تنافي القدر السابق، فإن التقادير اليومية التي تطابق القدر السابق، فهو سبحانه وتعالى بكل يوم له شؤون، من شفاء مريض ومن زوال ملك ومن إعطاء ملك ومن قيام دولة وسقوط دولة، ومن غير هذا من الشؤون، وتوسيع على قوم وتضييق على قوم، وإعزاز قوم وإذلال قوم، إلى غير

ذلك، مثل ما تقدم في الأثر، أثر ابن عباس المرفوع الموقوف أن الله جل وعلا له في كل يوم نحو ثلاثمائة وستين نظرة «لله في كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاثمائة وستون نظرة يخلق في كل نظرة ويعطي ويمنع ويذل ويعز»(١) إلى غير ذلك، فالمقصود أن قوله: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩] أمر واسع، لو صح الأثر عن ابن عباس فهو يدل على أنه جل وعلا لا أحد يتحجر عليه سبحانه وتعالى، بل تصرفه مطلق في كل وقت وحين، وهذا التصرف المطلق الذي صدر عنه قوله جل وعلا: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩] لا ينافي ما سبق به علمه ومضى به قدره، فكل ما يقع تنفيذ وإظهار لما سبق به علم الله في هذا الكون وفي هذه الحياة وفي هذه العاجلة.

سؤال/ قول بعض المفسرين: شأن يبديه ويبتديه؟

أجاب سماحة الشيخ: قول بعض المفسرين: شأن يبديه ويبتديه، مرادهم ملكاً جديداً، يعني مرادهم أنه مضى فيه علمه وقدره سبحانه وتعالى، فيبديه يعني يظهره، ولا يبتدؤه ما سبق به القدر، كل شيء قد سبق به القدر، إن أرادوا هذا فلا بأس.أهـ

* * *

قوله: (وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه) .

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

ما قضى الله كائن لا محالة والشقي الجهول من لام حاله

---

(١) قال الألباني: ضعيف، رواه الطبراني في الكبير.

والقائل الآخر:

اقنع بما ترزق يا ذا الفتى فليس ينسى ربنا نمله
إن أقبل الدهر فقم قائماً وإن تولى مدبراً نم له

قوله: (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه).

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة، وإنما خالف في هذا القدرية النفاة والمعتزلة ومن قال بقولهم، أما أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، كلهم مجمعون على أن الله جل وعلا علم كل شيء وقدر كل شيء وكتب كل شيء سبحانه وتعالى، ليس بينهم في هذا نزاع، والقرآن واضح في ذلك ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢] ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢] سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج:٧٠] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد:٢٢]

---

(١) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني

والقرآن الكريم واضح في أنه علم كل شيء وقدر كل شيء، ولايقع في ملكه شيء لا يعلمه ولا يريده، بل لا يقع شيء في ملكه إلا وقد علمه وكتبه سبحانه وتعالى وشاءه عز وجل، ولهذا في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»(١). أهـ

* * *

فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا(٢).

فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

---

(١) رواه مسلم وقد تقدم.

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٢٣/ ٣٤٩، وابن القيم في طريق الهجرتين ١/ ٢٤٣، وابن رجب في جامع العلوم والحكم «حديث جبريل».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلام الشافعي مع اختصاره كلام عظيم، الشافعي: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس، من بني المطلب بن عبد مناف، كانت وفاته سنة أربع ومائتين، ومولده سنة خمسين ومائة، وعمّر أربعاً وخمسين سنة، مات وهو في قرب الكهولة، المقصود أنه ـ رحمة الله عليه ـ قال كلاماً جيداً، ناظروهم بالعلم، يعني القدرية النفاة، نفاة القدر، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا، والمعنى قولوا لهم: هل الله يعلم هذه الأشياء الموجودة من أعمالنا من طاعات ومعاصٍ أو لا يعلمها؟

فإن قالوا لا يعلمها، فقد وصفوه بالجهل فيكفرون، فإنهم إن قالوا لا يعلمها، فمعناه أنه جاهل بأحوال عباده، لا يعلمها حتى تقع، فهذا معناه وصفه بالجهل، ووصفه بالجهل تنقص له سبحانه وطعن في ربوبيته وكمال صفاته، فيكون كفراً وضلالاً عند الجميع.

وإن قالوا: يعلم أنه يعمل كذا ويعمل كذا ويعلم أعمالهم خصموا، لأنهم إذا قالوا يعلم، لا يمكن أن تقع الأشياء على خلاف علمه، لكن يعلم أحوالهم وأعمالهم وجميع ما يصدر منهم، فإنه لا يمكن أن يقع الشيء على خلاف علمه، فإنه إذا وقع على خلاف علمه صار جهلاً، لأن العلم لابد أن يطابق الواقع، فإذا كان الواقع لا يطابق العلم صار العلم جهلاً، فمن قال مثلاً: إني أعلم أن زيداً قد مات أو قد تزوج، ثم ظهر أنه ما مات ولا تزوج، ماذا يكون علمه؟ يكون جهلاً، قال على غير علم، فإذا كانت الوقائع خلاف العلم المدعى صار جهلاً.

وبهذا يعلم أنهم مخصومون، إذا أقروا بالعلم خصموا في نفي القدر، وإن جحدوه كفروا لوصفهم الله سبحانه وتعالى بما لا يليق.

فقد اتضح صحة قول أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على نهجهم، وهو قول الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام، فإن الرسل جميعاً وصفوا الله بما يليق به من العلم والحكمة، ونزهوه عن كل ما لا يليق به، وهكذا أصحابهم المؤمنون بهم وصفوا الله بما يليق به، فجاءت الجهمية وجاءت المعتزلة وجاءت طوائف الشر على خلاف ما عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، في شبه داحضة وتأويلات سفيهة ساقطة لا وجه لها ولا قيمة لها، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن العلم قد سبق، فالله قد علم الأشياء وكتبها سبحانه وتعالى، فذلك مطابق لما جاء في القرآن الكريم، وقد جاء هذا من عدة أحاديث، من حديث علي رضي الله عنه ومن حديث عمر ومن حديث أبي مسعود البدري ومن حديث عبد الله بن عمرو ومن أحاديث كثيرة، كلها دالة على سبقٍ العلم.أهـ

* * *

وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادراً على تغيير عالم الله، لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله؟ قيل: هذه مغالطة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كونه يقدِر وكونه له مشيئة وكونه له اختيار، ما يلزم من ذلك أن يستقل، فالله جل وعلا له مشيئة واختيار سابق عليه، ومشيئة الله غالبة وإرادته غالبة سبحانه وتعالى، فلا يشاء العبد إلا ما شاءه الله، هو الذي يوقِع في قلبه ما يشاء سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠] ولكن أهلها يغالطون.أهـ

* * *

وذلك أن مجرد مقدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع، ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم، بل أي شيء وقع كان هو المعلوم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهكذا ما يقع من الغرق والحرق وقتل القاتل، قتل الذي يُقتل، كله قد سبقه فيه علم الله، وأن آجالهم مربوطة بهذا وأن أعمارهم تنتهي عند هذا، كتب عمره كذا وكذا وأنه ينتهي بكذا وكذا، فالله قد سبق علمه لما يحدث في العالم، فمن مات بالقتل فقد قدر الله ذلك وأنه يموت بالقتل، ومن مات بالغرق فقد سبق علم الله بأنه يموت بالغرق، وأن عمره ينتهي هناك، ومن مات بالحرق كذلك، وهكذا من مات بافتراس السباع أو مات بغير ذلك، كله قد سبق به علم الله، وأن هذا الإنسان المعين فلان بن فلان سوف يموت في كذا بسبب كذا، فسبحان الحكيم العليم.أهـ

* * *

والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم، بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمن عدم وقوعه يعلم الله أنه لا يقع، فلو قدر العبد على وقوعه قدر على تغيير العلم؟

قيل: ليس الأمر كذلك، بل العبد يقدر على وقوعه وهو لم يوقعه، ولو أوقعه لم يكن المعلوم إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع لم يكن

المعلوم إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه ! وهو فرض محال، وذلك بمنزلة من يقول: افرض وقوعه مع عدم وقوعه ! وهو جمع بين النقيضين .

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع علم الرب عدم وقوعه محالاً لم يكن مقدوراً؟

قيل: لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له ولا لعجزه عنه ولا لامتناعه في نفسه، بل هو ممكن مقدور مستطاع، ولكن إذا وقع كان الله عالماً بأنه سيقع، وإذا لم يقع كان عالماً بأنه لا يقع، فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون لازمه، وكل الأشياء بهذا الاعتبار هي محال ! مما يلزم هؤلاء: أن لا يبقى أحد قادراً على شيء، لا الرب، ولا الخلق، فإن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من علمه ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا علم من نفسه أنه لا يفعله لا يلزم منه انتفاء قدرته على فعله، فكذلك ما قدره من أفعال عباده، والله تعالى أعلم .

قوله: (وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ .

ش: الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:٣٨] يعم أمره الكوني وأمره الشرعي، فأموره الشرعية

مقدرة ومحكمة، وأموره القدرية كلها محكمة ومقدرة، وهكذا قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢] يدل على إحكام وإتقان من جميع الوجوه، وأن هذا شيء قد سبق به علم الله سبحانه وتعالى، فخلقه كما شاء سبحانه وتعالى، فأمر الله كذلك ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾، قدراً سابقاً، ومقدوراً على هيئة وصفة خاصة لا يتجاوزها، هكذا يبين سبحانه وتعالى، ثم يقول في الآيات الأخرى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَـٰبٍ ﴾ [الحج:٧٠] فمع القدر شيء قد كتب وفرغ منه ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ﴾ [الحج:٧٠] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ﴾ [الحديد:٢٢] هذا كله واضح في أنه سبق العلم وسبقت الكتابة وسبق التقدير من جميع الوجوه.أهـ

❊ ❊ ❊

قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)] وقال ﷺ في آخر الحديث: «يا عمر أتدري من السائل»؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبرائيل، أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يبين أن الإيمان بالقدر من الدين، قال «**أتاكم يعلمكم دينكم**»[(٢)] فدل ذلك على أن ما ذكر

---

(١) صحيح، رواه مسلم عن عمر، والبخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر، والبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

في الحديث كله من الدين، الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، وهكذا الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهكذا عدم العلم بأشراط الساعة ولكن يعلم أماراتها، كل هذا دين، قال «**أتاكم يعلمكم دينكم**» فدل ذلك على أن ما ذكر في الحديث من الدين، يدان الله به، يعني يعبد الله به ويتقرب إليه به سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وقوله: «والإقرار بتوحيد الله وربوبيته» **أي لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة، وأحاديثهم في السنن، وروى أبو داود عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أحاديث المجوس متعددة، ولهذا هي ثابتة في الجملة، وسموا مجوس هذه الأمة لأن المجوس قالوا بالإلهين: النور والظلمة، فشابهوهم، فهم قالوا: العبد يخلق فعله، ومنهم من قال: أفعاله كلها من حسن وقبيح وسيئات وحسنات، ومنهم من قال: يخلق السيئ فقط، ولا يخلق الحسن غير الله، وأما السيئ فمن عند غيره، وقد تشبثوا بقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ

---

(١) إسناده ضعيف، لكن له طرق يتقوى بها، ثم خرجته في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٣٣٨-٣٤٢).أهـ ألباني

قال شاكر: أبو داود ٤٦٩١ .أهـ

حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩] وضلوا عن قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٧٨] فالحاصل أن القدرية النفاة شابهوا المجوس من هذه الحيثية، من حيث أنهم جعلوا مع الله شريكاً في خلق بعض الأشياء، وهو الإنسان يخلق فعله، سواء مطلقاً أو الفعل السيئ فقط، وكل هذا باطل، الله خالق كل شيء سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] خلق الإنسان وخلق عمله ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦] سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»(١) وروى أبو داود أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»(٢) وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من بني آدم ليس لهم في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»(٣).

---

(١) إسناده ضعيف، وقد خرجته في المصدر المذكور رقم (٣٢٩).أهـ ألباني

قال شاكر: أبو داود ٤٦٩٢.أهـ

(٢) إسناده ضعيف، وهو مخرج في «المشكاة» (١٠٨)و «الظلال» (٣٣٠).أهـ ألباني

قال شاكر: أبو داود ٤٧١٠ وهو في المسند ٢٠٦ ورواه ابن حبان بتحقيقنا ٧٩ ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٥.أهـ

(٣) إسناده ضعيف، ولا يغتر بتصحيح صاحب «التاج الجامع للأصول» إياه، ثم خرجته في «تخريج السنة» (٣٤٤-٣٤٥).أهـ ألباني

لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده»[١] وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم وما أظهر من علمه الذي لا يحاط به وكتابة مقادير الخلائق، وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر، وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي يكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

والقدر، الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذي جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد.

وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف: «أخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني براء».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم قول الشافعي: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا» وجاء عن أحمد رحمه الله أنه قال: «القدر قدرة الله، ومن أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله»[٢].

---

(١) ضعيف موقوفاً ومرفوعاً كما سبق بيانه. أهـ ألباني

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (١٨٧٩) ٢/ ٢٦٢، ورواه الآجري في الشريعة (٢٢١)، ورواه ابن بطة بسند آخر، لكن إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا لازم لهم، لأنهم إذا أنكروا علم الله بالأشياء وإحصاءه لها، فقد نسبوه إلى العجز والجهل، فيكون هذا إنكارا لقدرة الله، وإنكاراً لعلمه سبحانه وتعالى، فتطابق ما قاله الشافعي وقاله تلميذه أحمد في هذا الباب، فإنكار القدر إنكار لقدرة الله وإنكار لعلم الله، فإن جحدوا هذين الأمرين كفروا كفراً ظاهراً، وإن أقروا بهما بأنه قادر، على كل شيء قدير وبكل شيء عليم خصموا أنفسهم وبطل قولهم.أهـ

* * *

والقدر، الذي هو التقدير المطابق للعلم: يتضمن أصولاً عظيمة: أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدراً، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدراً، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذه الشبه كرر الله سبحانه وتعالى علمه بكل شيء، وكرر قدرته على كل شيء، ففي القرآن الكريم ما لايحصى من الآيات ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠] وقوله سبحانه ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف:٣٥]

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩] ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [الطلاق:١٢] هذه الآيات وأشبهها لا تبقي شبهة لمشبه.أهـ

* * *

الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقضي[1] أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلم عباده بذلك فكيف لا يعلمه هو ؟!

الرابع: أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازما لذاته.

الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه.

قوله: (فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بو همه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفكاً أثيماً) .

ش: اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ أي كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

---

(١) لعل الصواب: فيقتضي، ابن باز.

هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأصل هذا الأثر أنه قال له بعض الناس: يا أبا عبدالرحمن: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر، فلابد أولاً من كون الإنسان يعرف المعروف وينكر المنكر بقلبه، ثم ينتج عن هذا بعد ذلك الأمر والنهي، فإن الأمر والنهي لا يكون إلا عن بصيرة وعن علم وعن هدى، فإذا كان القلب حياً نيراً بالعلم والإيمان؛ عرف المعروف وأنكر المنكر بما جعل الله فيه من القوة الإيمانية والبصيرة، وإذا كان جاهلاً لم يجز له أن يتقدم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعدم وجود الأساس وهو المعرفة بالمعروف والمعرفة بالمنكر، فإذا كان القلب سقيماً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً فكيف يأمر وينهى صاحبه؟

لا يجوز له أن يأمر وينهى على غير علم - على جهالة - والله جل وعلا بيّن أن الناس في ظلمة وموت، هذه حال الناس، أموات ليس عندهم بصيرة ولا نور، إلا من رزق البصيرة بما جاء به النبي ﷺ وقبله واهتدى به، فهذا هو الحي النير المهدي، أما من فقد هذا الوحي فإنه لا نور عنده ولا حياة عنده، ولهذا قال عز وجل: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ [الأنعام:١٢٢] يعني بدخوله في الإسلام وقبوله الحق، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] يعني بالوحي وما

---

(١) ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ٢٠ الباب الرابع: في أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه وموته وظلمته.

جاء به المصطفى من القرآن والسنة ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢] يعني كالذي في الظلمات، ظلمات طبعه وجهله، لا سواء، هذا على نور وعلى بصيرة وعلى صراط مستقيم، وذاك على غير هدى، وفي ظلمة دامسة لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فالكافر ميت وحياته بالإسلام، وفي ظلمة ونوره بما في القرآن والسنة، ومن هذا الباب قوله جل وعلا في سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى:٥٢] فجعل الوحي روحاً ونوراً، فالروح يحصل به الحياة، والنور يحصل به البصيرة والعلم ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ [الشورى:٥٢] يعني من وحينا ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى:٥٢] فجعل القرآن والسنة روحاً، ومن لا روح فيه فهو ميت، فالروح القرآن والسنة، الوحي المنزل على الرسول ﷺ من السماء، هذا هو الروح، فمن قبله وآمن به واهتدى به صار حيا بعد الموت، وإذا تبصر وعلم وتفقه صار له نور بعد الظلمة، فالحياة والنور في قبول ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام والأخذ به والتفقه به، والظلمة والموت في ضد ذلك وخلاف ذلك.

فما أولى المسلم وما أحق الإنسانية بأن تشغل بهذا الأمر وتنتبه لهذا الأمر، فجميع أنواع الإنسان وأنواع الجن وصنوفهم كلهم في ضلال، كلهم في موت، كلهم أموات في ظلمات، فلا حياة لهم ولا نور لهم ولا بصيرة إلا بقبول الحق الذي جاء به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والأخذ به والتفقه فيه والتبصر، حتى يحصل له بذلك الروح، يعني

الحياة الطيبة، وحتى تحصل له البصيرة في هذا النور، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] فالحياة الكاملة فيها النور والهدى، فالحياة بما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، الحياة بهذا الوحي بهذا الإيمان بهذا القرآن والسنة، والرسول دعا الناس إلى ما فيه حياتهم ونورهم ونجاتهم وهداهم، ودعاة الكفر يدعونهم إلى بقائهم في الموت وبقائهم في الظلمة، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] فالحياة الطيبة بالإيمان والنور والهدى والاستقامة، فمن عمل الصالحات التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام عن إيمان وعن قبول للحق وعن هدى؛ صارت له الحياة الطيبة في الدنيا وفي الآخرة، ومن فاته هذا النور وفاتته هذه الروح؛ بقي في ظلماته وجهالته وموته إلى أن ينقل من هذه الدار إلى دار الهوان ودار الجحيم، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

ومرض القلب نوعان، كما تقدم: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤها مرض الشبهة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مرض الشهوة مرض أهل المعاصي، كالزنا والخمور، هذا مرض الشهوات، ومرض الشبهة مرض أهل البدع والكفر، لأنه نشأت بدعهم عن شكهم وريبهم وقلة

علمهم، وصاحب الشهوة أقرب إلى الهدى وأقرب إلى التوبة، وصاحب مرض الشبهة أبعد، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة:١٠] يعني أهل النفاق، نسأل الله العافية، وأما مرض الشهوة فالمذكور بقوله جل وعلا: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣٢] مرض الشهوة والميل للنساء.أهـ

* * *

وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر، وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه مصيبة عظيمة، الإنسان قد يموت قلبه، قد يمرض ولا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الإنسان قد يموت قلبه، قد يقطع عليه، قد يسود عليه ولا يشعر، لأنه في غفلة وصدود وإعراض، لا يفكر في شيء ينفعه في الآخرة، قد يكون كثير الجراحات مثقلاً بالجراحات مثخناً بالجراحات ولا يفطن، في عماه وفي ظلمته من المعاصي الكثيرة المتراكمة، قد اسود قلبه بسببها ولا يشعر بذلك، لأنه سكران، سكران الشهوات، والسكران في الشهوات المحرمة أعظم من سكر الخمر، لأن سكر الخمر يفيق صاحبه بين وقت وآخر وينتبه، لكن من سكر بالشهوات والإقبال على الدنيا في الغالب لا يفيق إلا في عسكر الموتى، مع أهل النار، نسأل الله العافية،

عندما يكون في قبره ويمسه العذاب، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

فإن القلب إذا كان فيه حياة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته، و ما لجرح بميت إيلام.

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس له أنفع منه، وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى في الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها، ولاسيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحدة وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم! وهذه حال أكثر الخلق،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا كله ساقه المؤلف من كلام ابن القيم رحمه الله.أهـ

* * *

وهي التي أهلكتهم، فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا الباب قول

بعض السلف: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، وأبلغ من هذا قوله في الحديث الصحيح: **«والنبي ومعه الرجل والرجلان»**(١) لم يستوحشوا، بعض الأنبياء ما يتبعه إلا رجل واحد، لم يستوحش، بل صبر على الحق، بعضهم ما تبعه إلا رجلان، وكل قومه أبوا وردوا عليه ما جاء به، فهذان الرجلان لم يستوحشا، بل صبروا على الحق وثبتوا عليه حتى لقوا ربهم عز وجل.

وهكذا في آخر هذا الزمان في غربة الإسلام، قد يكون الإنسان في بعض القرى أو في بعض القبائل ليس معه مرافق، بل هو على الحق وحده، فينبغي له الصبر ويجب عليه الصبر، فإذا تيسر له الانتقال والهجرة إلى محل آخر أحسن من محله فعل ذلك، ومن هذا الباب قول النبي ﷺ لما قال: وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: **«نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»** لأن حذيفة قال: كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير - يعني الذي معك - فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال النبي ﷺ: **«نعم»** قلت: يا رسول الله: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **«نعم وفيه دخن»** قلت: وما دخنه؟ قال:**«قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر»** قلت: يا رسول الله فهل بعد هذا الخير من شر؟ - بعد هذا الخير الذي فيه دخن وهو التغير - قال: **«نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»** قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: **«قوم من جلدتنا**

(١) رواه البخاري (٦٥٤١) كتاب الرقاق / باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، و(٥٧٠٥) كتاب الطب / باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ويتكلمون **بألسنتنا**» يعني من العرب، دعاة على أبواب النار، من الشيوعيين والاشتراكيين، وغيرهم من الإباحيين وأشباههم من دعاة النار، قلت: فما تأمرني يا رسول إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» وهذا يشمل كل جماعة، أي جماعة من المسلمين في أي مكان يلزمهم صاحب الحق إذا وجدهم، ويلزم إمامهم، أميرهم، ولو كانوا قليلين، في أي مكان، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ يعني ما وجدت أحدا لا جماعة ولا إمام، ما وجدت أحداً، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها** ـ يعني جميع فرق الضلالة ـ **ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتي الموت وأنت على ذلك**»(١).

أمره أن يلزم الحق ولو كان وحده، ولو خالفه الناس كلهم، وهذا واضح في لزوم الحق، ومن هذا قول عمرو بن ميمون عن ابن مسعود: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك(٢).أهـ

* * *

وما أحسن ما قال أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ـ في كتاب الحوادث والبدع ـ: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل

---

(١) رواه البخاري (٧٠٨٤)كتاب الفتن / باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمارة / باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث/ ٢٢، واللالكائي (١٦٠) ١/ ١٠٥ سياق ماروي عن النبي ﷺ في الحث على اتباع الجماعة.

بعدهم، وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: السنة - والذي لا إله إلا هو- بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا[1].

وعلامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع، إلى دوائه الضار، فههنا أربعة أشياء: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي، على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا شيء واضح، فإن الجسم الصحيح يطلب ما يلائمه، والمريض كذلك يطلب ما يلائمه، فالمرض الحقيقي والصحة الحقيقية ما يتعلق بالقلوب، فإذا استقام القلب وصح، انتفع بالدواء المناسب، وإذا مرض بالكفر والنفاق والمعاصي والسيئات، صارت له أغذية أخرى تناسبه مما يضره ولا ينفعه، فالغذاء النافع الملائم للقلب الصحيح غذاء الإيمان والتقوى والهدى والصلاح، ودواؤه النافع لما قد يقع له من انحراف دواء القرآن والسنة وما فيهما من الأوامر والنواهي، فإذا انحرف صار يتغذى بما

(١) رواه الدارمي في السنن (٢١٦) ١/ ٨٣ باب في كراهية أخذ الرأي.

يضره ويتداوى بما يضره، ثم يتغذى بالخبائث ويتداوى بالسموم وأنواع المضار، فيجني على نفسه ويضرها من حيث يظن أنه ينفعها ويعطيها ما يلائمها، فأولى للمؤمن وأولى بعبد الله الذي يريد النجاة أن يعنى بالغذاء الشرعي، الغذاء النافع، الذي يقوي الإيمان في القلوب، ويوجد أسباب السعادة من خوف الله ومراقبته وتعظيم حرماته والأنس بذكره وطاعته، ويتعاطى الأدوية الشرعية التي تمنع من الشر، من ذكر الله وقراءة القرآن والإقبال على طاعة الله والاستغفار من الذنوب والتوبة النصوح، حتى تمحى عنه تلك الأدواء، ويحذر ما يضر قلبه من الكفر والنفاق وسائر المعاصي والسيئات، فإنها أمراض خطيرة، وبعضها أشد من بعض، وغذاؤها بالمزيد منها، نعوذ بالله، ودواؤها الضار أن يتداوى بما يزيدها شراً وقوة في إهلاكه من المعاصي والسيئات وصحبة الأشرار والأخذ بآرائهم الفاسدة، والإعراض عن الدواء الناجع المفيد.أهـ

* * *

فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

و «من» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا

أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه: لم يقاوم الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها ؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهما في كتابه .

وقوله: «لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً» أي طلب بوهمه في البحث عن الغيب سراً مكتوماً، إذا القدر سر الله في خلقه، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخر السورة، وقوله: «وعاد بما قال فيه» أي في القدر: «أفاكاً كذاباً أثيماً» أي مأثوماً .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا قال في القدر بما يخالف الشرع المطهر، هذا المقصود، يعني أراد بهذا التماس الغيبيات، أو أراد بذلك خلاف أمر الله، من نفي القدر وإنكاره كما تفعله المعتزلة والقدرية النفاة، أو أراد بالقدر إثبات جبرة العبد وأنه لا مشيئة له ولا اختيار كما تقوله الجبرية، فالمراد بهذا: من رام بالقدر شيئاً يخاف أمر الله، فإنه يعود بهذا أفاكاً أثيماً، كذاباً آثماً، أما من رام في آيات القدر وأحاديث القدر بيان الحق والهداية إليه؛ فهو يعود بهذا مأجوراً موفقاً مهدياً، قد وافق ما ينبغي وأرشد إلى ما ينبغي، فيكون بهذا مأجوراً وقد عاد بخير كثير وأجر عظيم، لكونه دل على الخير وأرشد إليه وأخذ بالحق وثبت عليه.أهـ

* * *

وقوله: (والعرش والكرسي حق).

ش: كما بين تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في غير ما آية من القرآن: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وفي دعاء الكرب المروي في الصحيح: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم»(١). وروى الإمام أحمد في حديث الأوعال عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض»؟ قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبهن وأظلافهن -كما بين السماء والأرض، [ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض] والله فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»(٢) ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

---

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وهو مخرج في «الضعيفة» (٥٤٤٣) لزيادة منكرة وقعت في آخره عند الطبراني وغيره.أهـ ألباني

(٢) ضعيف الإسناد، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٥٧٧).أهـ ألباني

قال شاكر: حديث الأوعال هذا رواه الإمام أحمد في المسند بإسنادين ضعيفين ١٧٧٠-١٧٧١=

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كِثَف بالثاء والفاء، يعني غلظ، وزناً ومعنى، هذا الظاهر، وما رأيناها مضبوطة كما ينبغي، حتى «أحمد شاكر» ذكرها هكذا، لكن هذا هو مقتضى اللغة، معنى كثف غلظ ومتن وثخانة، يقال: كثُف يكثُف كثافة وكثيف، يعني غليظ.

ويحتمل كَثْف، بفتح فسكون، بالصرف الميزاني يحتمل، مثل ما يقال: ضخُم زيد فهو ضخْم، قد يحتمل هذا، غلُظ فهو غليظ، يقال جسم هذا غِلَظ كذا وكذا، فهو بين كَثْف وبين كِثف، كِثف بمعنى غِلَظ، وبين كثيف، كلها جاءت بها اللغة، والمعنى متقارب.

والحديث اختلف الناس فيه، منهم من حسنه كالذهبي رحمه الله وجماعة حسنوه، وجماعة ضعفوه، لأنه من طريق عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس، بعضهم زعم أن عبدالله مجهول، وبعضهم حسن حديثه، والمعتمد فيه أنه حسن الحديث، وله شواهد، إنما الغريب فيه هو جعل الأوعال فيه، أما المسافات فله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه بإسناد جيد، وهو بين الحسن والضعف، من باب الحسن لغيره، ما يتعلق بالأوعال هو محل النظر، هذه الزيادة هي محل النظر والاستنكار من بعض أهل العلم، لأنه انفرد بها عبدالله بن عميرة عن الأحنف عن العباس، فالحديث يدور عليه.أهـ

* * *

وروى أبو داود وغيره، بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأطيط، أنه ﷺ قال: «إن عرشه على سمواته لهكذا» وقال بأصابعه، مثل

= ولكن رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك بأسانيد صحاح، كما بينا ذلك في شرح المسند، والزيادة التي زدناها في متن الحديث هي من نصه في المسند، ولم تذكر في المطبوعة، وحذفها خطأ.أهـ

القبة الحديث[١]،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قول المحشي: «ولا يصح في أطيط العرش حديث» هذا محل نظر، لأن جماعة من أهل العلم حسنوه أيضاً، وهو من رواية جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، وجبير هذا مقبول، وله شواهد من حديث «**أطت السماء وحق لها أن تأط ما فيها موضع أربع أصابع..**»[٢] فالعرش لا يمتنع أن يأط، وليس هناك مانع، والله ليس بحاجة إليه سبحانه وتعالى، لكن السبب ليس في ذلك، وصنف ابن عساكر كتاباً سماه: الأغلاط والتغليط ـ أو نحو هذه العبارة ـ في بطلان حديث الأطيط، مؤلف مستقل، والحديث سنده ليس بذاك، لأن جبير بن محمد بن جبير ليس مشهوراً بالرواية ولا معروف بالثقة، ومداره عليه، وأظنه قال في التقريب: مقبول.

ووجه النكارة فيه أنه سبحانه ليس بحاجة إليه، فكيف يأط؟

والأطيط يكون من الثقل، والله ليس بحاجة إليه ولا إلى غيره، هو الذي أقام العرش ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥] هو الذي أقام كل شيء سبحانه وتعالى، وهو في غنى عن كل شيء، وليس بحاجة إلى شيء من خلقه سبحانه وتعالى، فاستنكروا هذا،

(١) ضعيف الإسناد، ولا يصح في أطيط العرش حديث، وهو مخرج في «الظلال» (٥٧٥ـ٥٧٦) وانظر فيه الحديث الذي قبله.أهـ ألباني

قال شاكر: هذا جزء من حديث طويل، رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه برقم: ٤٧٢٦(٤/ ٣٦٩ـ٣٧٠ من عون المعبود).أهـ

(٢) رواه أحمد في المسند ٥/ ١٧٣، والترمذي (٢٣١٢) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجة ٢/ ١٤٠٢ رقم (٤١٩٠)، وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١٠ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

لكن العبرة بالرواية، بالسند، إذا صح السند فلا وجه للاستنكار، لأنه لا مانع من أطيط مع الغنى.أهـ

سؤال/ وجه الشاهد من حديث «أطت السماء» أليس هذا متعلقاً بالملائكة؟

أجاب سماحة الشيخ: بلى، لكن وإن كانت السماوات أعظم شيء إحكاماً وقوة، فكونها تئط أو كون العرش يئط لا مانع، لأن الله جل وعلا هو الذي أمسكها سبحانه وتعالى، وأطيطها لا يمنع من كونها ممسكة عظيمة قوية، الله أمسكها جل وعلا، وليس يدل على أن هذا ممتنع، فهي أطت كما أنها قوية ممسكة، فالعرش قد يأط، كما أنه ممسك قوي قد يأط من تعظيم الله، من خوف الله لكبريائه، لا لأنه محتاج شيئاً، قد تأط من خوفها ومن تعظيمها لله، والعرش من تعظيمه لله، من خجله، لا شيء في ذلك، الإنسان قد يتحرج قد يرتعد لا عن ثقلٍ عليه، ولكن لتعظيم وخجل، أو لأمر آخر من الأمراض العارضة، فالعرش مخلوق من المخلوقات، قد يأط لأسباب كثيرة لا للثقل ولا للحاجة.

وإذا استقام السند فلا حاجة إلى التأويل، والأطيط هو الاهتزاز والحركة لثقل ما عليه، أو من رعدة أو من خوف أو نحو ذلك، قريب من معنى الصرصرة، إذا حمل الإنسان شيئاً من الثقل مثل الشداد والمسامة وأشبهها، قد يكون لها حركة وصوت من ثقل ما عليها، والسقف الضعيف كذلك إذا وضع عليه الأشياء الثقال.أهـ

* * *

وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله

الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن»[١] يروى وفوقه بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أي: وسقفه[٢].

سؤال/ قال الحافظ ابن حجر بأن فوقه هنا بمعنى دونه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أي فما دونها.

أجاب سماحة الشيخ: هذا ليس على كل حال، أهل التفسير اختلفوا بمعنى ﴿ فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦] المراد به فوقها أو بما دونها ما هو أصغر منها، جماعة من المفسرين قالوا: ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ يعني من الذباب وما فوق الذباب، وفي لغة العرب ما فوق الواحد يعني من جهة العلو.أهـ

❊ ❊ ❊

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع! وهذا ليس بصحيح، لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: «فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي

---

(١) صحيح، وأخرجه الإمام أحمد أيضا، وهو مخرج في «الصحيحة» (٩٢١) «والظلال» (٥٨١). أهـ ألباني

قال شاكر: هو جزء من حديث رواه البخاري (١٣/ ٣٤٩-٣٥٠ من فتح الباري).أهـ

(٢) قال شاكر: رواية ضبط «فوقه» بالرفع، نقلها الحافظ في الفتح عن المشارق للقاضي عياض: أنها ضبط الأصيلي، ثم نقل عن القاضي أيضا أنه أنكرها في المطالع، وأنه قال: «إنما قيده الأصيلي بالنصب، كغيره».أهـ

أم جوزي بصعقة الطور»[١]

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وليس هو فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، فمن شعر أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء العالي الذي بهر النا ... س وسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً لا يناله بصر العـ ... ـين ترى حوله الملائك صوراً

الصور هنا: جمع: أصور، وهو: المائل العنق لنظره إلى العلو، والشرجع: هو العالي المنيف، والسرير: هو العرش في اللغة.

ومن شعر عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، الذي عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

ذكره ابن عبدالبر وغيره من الأئمة، وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[٢] ورواه

(١) متفق عليه، وتقدم نحوه.أهـ ألباني
قال شاكر: انظر صحيح مسلم ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.أهـ

(٢) صحيح، رواه أبو داود وغيره، وقد خرجته في «الصحيحة» (١٥١).أهـ ألباني
قال شاكر: أبو داود في سننه برقم ٤٧٢٧.أهـ

ابن أبي حاتم ولفظه: «تخفق الطير سبعمائة عام»

وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذاً من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!

وأما الكرسي فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

روى ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش، والحاكم في مستدركه، وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى»(١) وقد روي مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لكن هذا قد يقال فيه إنه مما لا يقال بالرأي، فله حكم المرفوع، وقد يقال: إن هذا مما تلقاه

---

(١) صحيح موقوفاً، وأما المرفوع فضعيف، كما بينته في تخريج كتاب «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» للآلوسي، وقد طبعه المكتب الإسلامي، وراجع له «الظلال» (١٠٢/ ٣٦).أهـ ألباني

قال شاكر: المستدرك للحاكم ٢/ ٣٨٢ موقوفا، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.أهـ

وقد رواه ابن بطة في الإبانة (٢٦٩) ٣/ الرد على الجهمية.

عن بني إسرائيل من كتبهم، فإن القول بأنه موضع القدمين يحتاج إلى نص صريح ثابت عن النبي ﷺ لا يحتمل، وأما هذا الأثر فمحتمل، قد يكون من أخبار بني إسرائيل وليس من كلام النبي ﷺ وليس مما سمعه ابن عباس، فإن الله جل وعلا فوق العرش بالنصوص القطعية، والكرسي تحت البحر الذي فوقه العرش، فيحتاج إلى نص صريح صحيح يدل على ما ذكره، وإلا فهو محل نظر، ومحتمل أن يكون مما تلقاه عن بني إسرائيل، كما تلقى عبدالله بن عمرو أشياء كثيرة من أخبارهم.

وكتاب الألوسي «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» رأيته قديماً، بينت فيه أغلاط الهيئة في دوران الأرض ودوران الشمس حولها، نبهت على هذا، وذكرت شيئاً في الرد على من قال بدوران الأرض، كتيب جمعناه وطبعناه، ذكرنا فيه الأدلة النقلية والحسية على سكون الأرض وعلى دوران الشمس حولها، دوران الشمس، والألوسي تبعهم في هذا ونقل كلامهم، فيطلب، وتعليق الشيخ ناصر عليه ينفع كثيراً لما ذكر فيه من الأحاديث والآثار.أهـ

سؤال/ كونها سبع أرضين كيف ذلك؟ هل غير أرضنا التي نحن عليها، وهل كل أرض مستقلة ؟

أجاب سماحة الشيخ: في نفس القرآن ولا يمنع ذلك، يقول الله ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] والفاصل بينهما الله أعلم به، كل واحدة مفتوحة على الأخرى، لكن هل هي مفصولات ببحر أو غير ذلك؟

الله أعلم، وفي الأحاديث الصحيحة «من اقتطع شبرا بغير حق طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين»[١] رواه الشيخان من حديث عائشة ومن حديث سعيد بن زيد.أهـ

* * *

وقال السدي: السماوات والأرض في جوف الكرسي بين يدي العرش. وقال ابن جرير: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»[٢] وقيل: كرسيه علمه، وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة، كما تقدم.

ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش، وإنما هو - كما قال غير واحد من السلف: بين يدي العرش كالمرقاة إليه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الذي أعتقده أن هذا الأثر عن ابن عباس لا يكفي في إثبات أن الكرسي موضع القدمين، لأن هذا ليس بصحيح ولا صريح عن النبي ﷺ، وأما قول ابن عباس هذا لا يكفي، لأن هذا من الصفات، صفات الله جل وعلا ما يكفي فيها إلا نص من القرآن والسنة، ثم كلام ابن عباس محتمل أن يكون مما قاله تابعاً

---

(١) رواه البخاري (٢٤٥٢) كتاب المظالم / باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، ومسلم (١٦١٠) كتاب المساقاة والمزارعة / باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٢) صحيح، كما بينته في المصدر السابق، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٠٩).أهـ ألباني
قال شاكر: تفسير الطبري ج٣ ص٨ طبعة بولاق.أهـ

لهم النبي ﷺ، ويحتمل أنه مما تلقاه عن بني إسرائيل، ومع الشك لا يثبت هذا، فالتفصيل أن يقال مثل ما قال جل وعلا في الكرسي: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] والكرسي، الله سبحانه وتعالى أعلم بصفته وكيفيته، وهو مخلوق عظيم دون العرش، قال جماعة إنه العرش، والصحيح عند أهل السنة أنه غير العرش، والجزم بأنه موضع القدمين محل نظر، هذا المقام مقام عظيم يحتاج إلى دليل.أهـ

سؤال/ من المعلوم أن الصحابة أعلم الناس بالكتاب والسنة، فكيف يتلقون عن بني إسرائيل؟

أجاب سماحة الشيخ: قد تلقوا كثيراً من أخبار الآخرة وأخبار الجنة وأخبار النار وأخبار السماوات وأخبار الأرض، لقول النبي ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(١).

أخبار بني إسرائيل على أقسام ثلاثة:

١) قسم وافق الكتاب والسنة فيقبل.

٢) وقسم خالف الكتاب والسنة فيطرح.

٣) وقسم لم نجد شيئاً يدل على موافقته أو مخالفته، فيكون مما يحكى ولا يصدق ولا يكذب، مثل ما قال: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ولا تصدقوهم**» وفي الحديث الآخر «**ولا تصدقوهم ولا**

---

(١) رواه أبو داود (٣٥١٥) كتاب العلم / باب الحديث عن بني إسرائيل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(٣٥١٦) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، والترمذي (٢٦٦٩) كتاب العلم / باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح ٣/ ٣٢٢ سنن أبي داود.

تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم»[١] وهذا عند أهل العلم إلا الشيء الذي دل شرعنا على تصديقه أو تكذيبه، فالذي لا يصدق في هذه الأمور هو الشيء الذي ما عندنا فيه دليل على صدقه أو كذبه، وبهذا تكون أخبارهم ثلاثة أقسام، كما نص على هذا أبو العباس بن تيمية وابن كثير وغيرهم.أهـ

* * *

قوله: (وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه).

ش: أما قوله: «وهو مستغن عن العرش وما دونه» فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي، محيطاً به، حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب تعالى أعظم شأناً وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به،

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٦/ ١١١) رقم (١٠١٦١) من طريق عطاء بن يسار مرسلاً، وابن أبي شيبة ٥/ ٣١٣ (٢٦٤٢٢) عن عطاء.

وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له.

وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يعمه قوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت:٥٤] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨] إلى غير ذلك، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي أمسك السماوات وأمسك الأرض وأقام الجميع ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥] والسماء كل ما علا وارتفع، والعرش مما سما والكرسي مما سما، فهو الذي أقام الجميع سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر:٤١] فهو الممسك لها والمقيم لها والحامل لها بقدرته العظيمة سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٧١] وهو الغني الكامل بذاته عن كل ما سواه جل وعلا.

واستنباطهم هذا من النصوص العامة، لأن أهل البدع زعموا أن هذا يلزم، فنفوا علوه واستواءه على العرش، لئلا يلزم من حاجته إلى هذه الأشياء، وهذا باطل لا يلزم منها شيء، لا يلزم أن تكون محيطة به ولا أن يكون محتاجا لها، ولا أن تكون حاوية له في جوفها، لا يلزم هذا كله، ولهذا قال ابن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه»(١) يعني منفصل. أهـ

* * *

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلى سواء

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في السنة، وقد تقدم.

السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وغيرها: كيف استوى؟

فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهكذا قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن أيضاً شيخ مالك رحمه الله، والمشهور عن مالك، ولكنه محفوظ عن أم سلمة وعن ربيعة أيضاً من كلامهما.أهـ

* * *

وأما قوله: «محيط بكل شيء وفوقه» وفي بعض النسخ: محيط بكل شيء فوقه، بحذف الواو من قوله: فوقه، والنسخة الأولى هي الصحيحة، ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء. ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش.

وهذه - والله أعلم - إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصداً للفساد.

وإنكار لصفة الفوقية! وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيط -

(١) لا يصح، والصواب موقوف على مالك وأم سلمة، والأول أشهر.أهـ ألباني

بمعنى: محيط بكل شيء فوق العرش، والحالة هذه: معنى!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما يبقى له معنى على ما بينا من أن العرش سقف المخلوقات، ليس فوقه شيء يحيط به، بل الله هو العالي فوق العرش، لكن القصد من هذا الكتاب الذي كتبه عنده سبحانه، هذا نص عليه الرسول ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين «إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي»[1] فهذا يستدل به على العموم. أهـ

* * *

إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحيط به، فتعين ثبوت الواو، ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة عظمته، وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى عظمته

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق / باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ و (٧٤٠٤) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ و (٧٤٢٢) باب «وكان عرشه على الماء» و (٧٤٥٣) باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ و (٧٥٥٣-٧٥٥٤) باب قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

ومسلم (٢٧٥١) كتاب الذكر والدعاء / باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كخردلة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم» ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف، فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره.

وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ في رؤية الرب تعالى: فقال له أبو رزين: كيف يسعنا - يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخلياً به، والله أكبر من ذلك»(١) وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء، فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا أفل القمر مع سعته ومع عمومه الأرض واستوى عن الأرض واطلع عليه الناس كلهم،

---

(١) ضعيف الإسناد، حسن المتن، كما هو مبين في «الظلال» (٤٥٩-٤٦٠). أهـ ألباني

قال شاكر: هذا معنى جزء من حديث طويل، رواه عبدالله بن أحمد في مسند الإمام أحمد رقم ١٦٢٧٥ (ج٤ ص١٣-١٤ من طبعة الحلبي) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٨-٣٤٠ ونسبه إليه وإلى الطبراني، وقال: «وأحد طريقي عبدالله إسنادها متصل، ورجالها ثقات». أهـ

وهو مخلوق من مخلوقات الله ومن صغير مخلوقات الله عز وجل، فإذا أفل غاب عن الناس في آخر الشهر أو عند الغيم، فما للرب عز وجل المطلع على كل شيء ويعلم كل شيء ومحيط بكل شيء أعظم وأكبر، هذا القمر الذي هو نير عن الشمس النيرة العظيمة، إذا أصابها شيء من سحاب أو غيره ذهب النور، أو كان عند غروبها هكذا عند وجود آفة بها، مع عظمها بالنسبة إلى غيرها من المخلوقات الصغيرة، دل ذلك على أن لله سبحانه دليل، فهو يعلم كل شيء ويطلع على كل شيء ولاتخفى عليه خافية فوق ذلك وأعظم من ذلك سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ وقال ﷺ في حديث الأوعال المتقدم ذكره: «والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهر طرقه كما قال الهيثمي أنه من طريق وكيع بن حدس، ووكيع وإن كان غير مشهور، لكن صاحب التقريب قال فيه - كما أظن - أنه مقبول، والظاهر أنه له كلام، وابن القيم تكلم عليه في حادي الأرواح أو في الهدي.

وقول الشيخ ناصر في الصحيحة «صحيح» أو في الضعيفة «ضعيف» أو غيرها من كتبه، لا يعني أن يؤخذ هذا مسلما، فطالب العلم لابد أن يراجع ويعتني، مثل ما إذا ضعف الحافظ ابن حجر وغير الحافظ أو الهيثمي، لا يؤخذ كلامهم على الإطلاق، فكل واحد له أوهام وله

(١) ضعيف، وتقدم قريبا.أهـ ألباني

أغلاط في ما يحكم عليه، تارة يهم ويغلط في التصحيح، وتارة يهم ويغلط في التضعيف، فينبغي لطالب العلم أن لا يأخذه مسلماً إذا نقله عن هؤلاء، الحافظ ابن حجر أو الهيثمي أو غيرهما، أو الشيخ الألباني من باب أولى، لابد أن يكون عند طالب العلم همة فوق ذلك، يراجع ما ذكروا ويراجع في الأصول المعتبرة حتى يتبين له الحقيقة، فقد يوافقهم وقد يخالفهم، لأن الأدوات معروفة ومصطلح الحديث معروف، وأسباب التصحيح والتضعيف، معروفة فلا بد من عناية، فتراجع الأصول المعتبرة التي خرجت الحديث وروت الحديث، تراجع حتى يعرف أصل الحديث، هل هو صحيح أو ضعيف؟ أو الذي حكم عليه بالصحة أو الضعف قد وهم.

والشيخ ناصر تارة يتساهل وتارة يتشدد، تارة يتساهل في التصحيح والتضعيف وتارة يتشدد، والطريقة فيها بعض النظر.

وقد يحكم الإنسان على الحديث بما في ظنه، يكون بعيداً عن مراجعة الطرق ويحكم على الحديث بما في ظنه، ثم بعد المراجعة لو راجعه لاتضح له عدم صحة ما قال.

التضعيف على حسب الأسانيد التي اطلع عليها العبد، فيقول ضعيف بهذا السند، يقول ابن تيمية: إذا كان ضعيف السند فقل ضعيف، أي بهذا السند، ولا تضعفه مطلقاً.. فلابد من التحرز، فيقال إنه ضعيف بالنسبة للمسند الذي عند ابن سعد أو بالنسبة للإسناد الذي عند أحمد أو بالنسبة للإسناد الذي عند ابن ماجه، إلا إذا كان الرجل قد أحصى الأسانيد وتتبعها وخرجها، فهو محل الحكم عليه.أهـ

* * *

وقد أنشد عبدالله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي ﷺ، وأقره على ما قال: وضحك منه(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وظاهر كلام الشيخ ابن القيم صحته.

وكل هذا، لا كلام ابن عبدالبر ولا كلام الذهبي ولا كلام الشيخ ناصر، طالب العلم يحكم عليه بميزانه هو.أهـ

* * *

وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله:

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول الذي فوق السماوات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم ... رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وأنا أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يجاهد في ذات الإله ويعدل

فقال النبي ﷺ: «وأنا أشهد»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي»(٣) وفي رواية: تغلب غضبي رواه البخاري وغيره. وروى ابن

---

(١) ضعيف، وقول ابن عبدالبر: «رويناه من وجوه صحاح» فيه نظر، فقد قال الذهبي في «العلو» (١٠٦) معقبا عليه: «روي من وجوه مرسلة..» ثم ذكرها.أهـ ألباني

(٢) ضعيف، رواه ابن سعد في «الطبقات» بسند ضعيف ومنقطع.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه، هو مخرج في «الظلال» (٦٠٨-٦٠٩).أهـ ألباني

ماجه عن جابر يرفعه، قال: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا إليه رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: نظره إليهم سبحانه من فوقهم هذا ثابت في الصحاح وغير الصحاح.أهـ

* * *

وروى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(٢) والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي يعلوه.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه .

---

(١) ضعيف، وتقدم، وقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «وإسناده جيد» غير جيد، لما ذكرته هناك.أهـ ألباني

قال شاكر: ابن ماجه رقم ١٨٤، وإسناده جيد.أهـ

(٢) صحيح، وتقدم الحديث.أهـ ألباني

قال شاكر: هو جزء من دعاء النوم، ورواه مسلم ٢/ ٣١٥ وليس في صحيح مسلم ما يشير إلى أنه تفسير للآية، ولم يروه في باب التفسير، ولكن المفهوم أنه معنى هذه الأسماء الحسنى المذكورة في الآية.أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأول والآخر: يدل على أنه موجود دائماً، وأنه لم يزل موجوداً سبحانه وتعالى، وهكذا لا يزال موجوداً، والظاهر: يدل على علوه وفوقيته، والباطن: يدل على علمه الكامل وإحاطته بكل شيء سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك! أتدري ما تقول»؟ وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك! أتدري ما الله؟ إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، وقال بأصابعه! مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم لكم أن هذا إسناده ليس بذاك، وجبير بن محمد ليس بذاك المعروف، وإن قال الحافظ فيه: «مقبول» لكن المقام مقام عظيم لا يكتفى فيه بمثل هذا، وصنف ابن عساكر كتاباً أظنه سماه: «الإيهام والتغليط في بطلان حديث الأطيط»، فالمقصود أن إسناده ليس بذاك، ولكن المعنى صحيح، المعنى أن الله فوق العرش وعرشه فوق سماواته السبع، والعرش سقف

---

(١) ضعيف، وتقدم.أهـ ألباني

قال شاكر: أبو داود ٤٧٢٦.أهـ

المخلوقات وأعلاها، والله فوق ذلك سبحانه وتعالى، وأنه لا يستشفع بالله على خلقه، أما الاستشفاع بالخلق على الله، وكون المسلم يطلب من أخيه أن يدعو له، أو المسلمون يطلبون من إمامهم وخطيبهم أن يدعو لهم، فهذا لا إشكال فيه، وقد جاءت فيه النصوص عن النبي ﷺ، فالمعنى صحيح بدونه، لكن الإشكال في قوله: «**يئط به أطيط الرحل بالراكب**» فإن هذا يوهم لمن لا يفهم النصوص أن الرب بحاجة إليه، وأنه لو سقط لسقط معه، ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى خلقه، حتى لو ما ثبت الأطيط، فقد يكون الأطيط ليس من الثقل وليس من الحاجة، قد يكون من جهة الخوف والتعظيم، كما يصير للإنسان عند رؤية من يحذره ويعظمه رعشة ومخافة، وقد علم المسلمون قاطبة بالإجماع أن الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى خلقه، وأنه هو الذي أقام العرش وأقام السماوات وأقام الأرض، وهذا معلوم، ولكن الاعتبار بصحة الإسناد واستقامة الإسناد، وأما أنه يستشفع بالله على خلقه فهذا هو الذي أنكره النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صح الحديث لكان الأمر واضحاً، وقد جاءت النصوص: «**من سأل بالله فأعطوه**»(١) والسؤال بالله نوع من التشفع بالله، صح من حديث ابن عمر: «**من سأل بالله فأعطوه**» وفي قصة الأبرص والأقرع والأعمى في الصحيحين: «**أسألك بالذي أعطاك البصر، أعطاك اللون الحسن، أعطاك المال**»(٢) الشاهد

---

(١) رواه أبو داود (١٦٠٤) كتاب الزكاة / باب عطية من سأل بالله عز وجل، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه النسائي كذلك.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٤) كتاب الأنبياء / باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، و(٦٦٥٣) كتاب الأيمان والنذور / باب: لا يقول ما شاء الله وشئت، وهل يقول أنا بالله وبك؟ ومسلم (٢٩٦٤) كتاب الزهد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سؤاله بالذي أعطاه، والسؤال في ذلك يشبه الاستشفاع بالله.أهـ

* * *

وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات»(١) وهو حديث صحيح، أخرجه الأموي في مغازيه، وأصله في الصحيحين

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: علو الله على سماواته واستواؤه على العرش وارتفاعه فوق الجميع؛ هذا أمر مسلم ومجمع عليه بين أهل السنة والجماعة.أهـ

* * *

وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها، أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات(٢).

وعن عمر رضي الله عنه: أنه مر بعجوز فاستوقفته، فوقف معها يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟ فقال: ويلك! أتدري من هذه؟ امرأة سمع الله شكواها من فوق

---

(١) صحيح، بدون قوله: «فوق سبع سماوات» كذلك هو في الصحيحين والمسند، وأما هذه الزيادة فتفرد بها محمد بن صالح النمار، كما في العلو (١٠٢) وقال: «وهو صدوق» وفي التقريب: «صدوق يخطئ» قلت: فمثله لا يقبل تفرده، وإن صححه المؤلف وكذا الذهبي، وفي إثبات الفوقية أحاديث صحيحة تغني عن هذا، وسيذكر المؤلف بعضها، وانظر تخريج الحديث في «مختصر العلو» (٨٧/ ١١).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو عند البخاري في «التوحيد» من حديث أنس قال: فكانت زينب تفتخر..إلخ، فليس هو من مسند زينب نفسها كما يفيده صنيع المؤلف رحمه الله.أهـ ألباني

سبع سماوات، هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أخرجه الدارمي[(١)].

وروى عكرمة عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ قال: ولم يستطع أن يقول من فوقهم، لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم[(٢)].

ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر، ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم، لكان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده.

فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها، قيل: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج، ليس وجوده ذهنياً فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعاً، وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو: إما داخل

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٦) طبع المكتب الإسلامي، من طريق أبي يزيد المدني عن عمر به، قال الذهبي (١١٣) «وهذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر». أهـ ألباني

(٢) رواه اللالكائي (٦٦١) ٣/ ٣٢٦ سياق ما روي في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾، وابن كثير في تفسيره، سورة الأعراف/ آية (١٧).

العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما هو أجلى وأظهر من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه، وأوضح وأبين، وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله ـ: إلا بذلك؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، التي تقرب من عشرين نوعاً:

أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة: «من» المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾.

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله ﷺ: «يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم»[1].

الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى:

---

(١) متفق عليه، وهو قطعة من حديث لأبي هريرة رضي الله عنه، أوله «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..» وهو مخرج في الظلال (٤٩١).أهـ ألباني

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً وقدراً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد بسطها ابن القيم رحمه الله في النونية، ساقها وأطال في ذلك رحمه الله.أهـ

* * *

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه كلها طرق وأدلة العلو المتنوعة الكثيرة، كل طريق تحته أنواع من الأدلة، فالنزول لهذا الكتاب العظيم جاءت في آيات، وهو أحد الطرق الدالة على علو الله وفوقيته سبحانه وتعالى، وأنه جل وعلا فوق جميع العالم، فوق العرش وعلمه محيط بعباده سبحانه وتعالى، فهو فوق العرش جل وعلا قد استوى عليه كما أخبر عن نفسه، ومع ذلك لاتخفى عليه خافية جل وعلا،

علمه في كل مكان سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ ففرق بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصاً، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: أنه عنده فوق العرش[1].

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنى على، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، لأن قوله جل وعلا: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦] فإن الله قال: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ له عند أهل السنة وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ العلو، يعني في العلو، وتصير ﴿ فِى ﴾ على بابها، ظرفية، فهو سبحانه في السماء، في العلو، وكل ما علا فهو سماء، السماوات سماء وما فوقها سماء وما فوق العرش سماء، فهو في العلو جل وعلا، وهذا حق.

والمعنى الثاني: أن المراد بالسماء السماوات المبنية، فتكون ﴿ فِى ﴾ بمعنى على، يعني من على السماء، أأمنتم من على السماء، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى

---

(١) متفق عليه، وتقدم الحديث.أهـ ألباني

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ [الأنعام:٣] أي على السماء وفوقها، كما قال عز وجل: ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة:٢] أي على الأرض، وكما في قوله جل وعلا: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه:٧١] أي على جذوع النخل، وكله وارد في اللغة، على حسب القرائن والسياق ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦] واضح أن الله في العلو، وهكذا قوله: ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة:٢] ليس المراد الدخول في وسطها والحفر فيها، ولكن سيحوا في الأرض يعني فوقها وعلى ظهرها لينظروا آيات الله، وهكذا قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه:٧١] ليس معنى التصليب في الجذوع أنه يدخلهم في الجذوع، لا، المراد تصليبهم فوقها.أهـ

* * *

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة على مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة: «ثم» الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحكم على هذا الحديث بالصحة لا أعلم عنه شيئاً، مع العلم بأن الشيخ ناصر يتساهل في التصحيح، لا يعتني بالاصطلاح المعروف، يطلق الصحيح على الحسن وعلى الجيد، لا يتقيد بالاصطلاح المعروف، الضعيف كذا، والحسن كذا، والصحيح لغيره كذا، يتوسع في مسألة الصحيح، لأن

(١) صحيح، أخرجه الحاكم وغيره وصححه الذهبي، ومن قبلهما ابن حبان.أهـ ألباني

المعروف عند أهل المصطلح أن المقبول أربعة أقسام: صحيح لذاته وصحيح لغيره، وحسن لذاته وحسن لغيره، فقد يتوسع ويقول: صحيح، وإن كان من باب الحسن، وإن كان من باب الحسن لغيره، قد يطلق الصحيح على جنس الثابت، سواء سمي بالاصطلاح حسناً لذاته أو حسناً لغيره أو صحيحاً لذاته أو صحيحاً لغيره، بالاستقراء من طريقته، واصطلاح الأولين يطلقون الصحيح على جنس الثابت، ويطلقون الحسن على جنس الثابت، ما هناك تقيد بقيد، والضعيف قد يطلقونه على ما فيه نقص وضعف، وإن كان يصلح للاحتجاج.أهـ

* * *

والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط ـ باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داعٍ، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يقوله المحرفون، يقولون: السماء قبلة الدعاء فلا حجة فيه للعلو، وهذا غلط، من قال إن السماء قبلة الدعاء؟

قبلة الدعاء الكعبة، كان النبي ﷺ يستقبلها كثيراً في دعائه ومناجاته، فلا يلزم من هذا أن تكون السماء قبلة الدعاء، وإنما السماء موقع البصر إليه للإشارة إلى العلو فقط، كما في كثير من خطبه إذا ذكر علو الله وذكر بعض الأحكام وذكر البلاغ رفع إصبعه إلى السماء «**اللهم اشهد**»[1] يشير للعلو.

والمأولون كابروا النصوص وكابروا المعقول، الله فطر العباد على

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة والدارمي، وقد تقدم.

الإيمان بالعلو، وجاءت الأدلة التي لا تحصى الدالة على العلو، ولكن هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهم كابروا المعقول وكذبوا المنقول، فلا فازوا بما تقتضيه العقول الصحيحة والفطر السليمة، ولا سلموا من تكذيب النقول ـ والعياذ بالله ـ وتأويلها على غير تأويلها، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وإن كان نزوله سبحانه لا يشابه نزول المخلوقين، لكن هذا معروف من جهة اللغة، الله يخاطب الناس بما يفهمون ويعقلون، فدل ذلك على أنه في العلو سبحانه وتعالى، فإنه ذكر النزول في قوله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»(١) وفي اللفظ الآخر: «**فيقول: هل من تائب فيتاب عليه هل من سائل فيعطى سؤله هل من مستغفر فيغفر له**»(٢) دل ذلك على علوه سبحانه وتعالى وأنه في العلو جل وعلا، وهذا النزول نزول حقيقي ليس مجازاً، بل حقيقية تليق بالله لا نعلم كيفيتها،

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) كتاب التهجد / باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل،و (٦٣٢١) كتاب الدعوات / باب الدعاء نصف الليل،و (٧٤٩٤) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين / باب الترغيب في صلاة التراويح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة الليل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهو نزول يليق بالله، كالاستواء والرحمة والغضب والرضى والمجيء يوم القيامة وغير ذلك، كله شيء يليق بالله، لا نفهم كيفيته ولا نعقلها، بل نقول: ينزل كما يشاء وكما يعلم سبحانه وتعالى، لا يعلم كيفية صفاته إلا هو جل وعلا، وهذا الباب واحد، طريق واحد ليس فيه اختلاف عند أهل السنة والجماعة في جميع الصفات، الإيمان بها واجب، وهي معلومة المعنى، والكيفية غير معلومة، كما قالت أم سلمة وربيعة بن أبي عبدالرحمن ومالك وغيرهم من أهل العلم: الاستواء معلوم والكيف مجهول، هذا يقال في الصفات كلها، هي معلومة والإيمان بها واجب لأنها معلومة، السمع غير البصر والبصر غير الرحمة والرحمة غير الرضا والعلم غير الكلام وهكذا، فهي صفات معلومة، ولكن الكيفية غير معلومة، لا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه وتعالى، والإيمان واجب بذلك كله على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى في جميع الصفات، بابها واحد، كما قيل في مسألة القرآن، إن نزول القرآن يدل على العلو ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الزمر:١] ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [فصلت:٢] وهكذا، وهكذا العروج والصعود كله يدل على العلو، من عروج الملائكة إليه وصعودهم إليه ورفع العمل الصالح والكلم الطيب، كل هذا يدل على علوه سبحانه وتعالى، وهكذا ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨] ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] هذه كلها طرق وأنواع من الأدلة الدالة على علو الله وفوقيته سبحانه وتعالى.

وأما قول: هل يخلو منه العرش عند النزول؟

هذه أقوال ذكرها جماعة، ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في شرح

حديث النزول، ولكن هذه الأقوال لا حاجة إليها، فلا نقول: يخلو العرش ولا نقول: لا يخلو، بل نسكت عن هذا كله، ونقول إنه ينزل سبحانه وتعالى ونزوله يليق به، لأن هذا نوع من التكلف والنظر في الكيفية، والكيفية محجوبة عنا.

وأما قول: إذا نزل يلزم خلو المكان، فهذا يلزم بالنسبة للمخلوقين، وأما الخالق فلا يلزم، بالنسبة للمخلوق يلزم من نزوله عن السطح أن يكون في الأسفل وأن يكون السطح خالياً، لكن صفات المخلوقين لا تلزم في الرب عز وجل، لأن صفاته تليق به سبحانه وتعالى، فلا نلزمه ولا نقيسه علينا.أهـ

* * *

الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله،

في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: «أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون»؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت[1]، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: «اللهم أشهد» فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: «اللهم أشهد»

---

(١) صحيح، وهو قطعة من حديث جابر الطويل في حجة النبي ﷺ، رواه مسلم وأبو داود والدارمي وابن ماجه وغيرهم، وقد أفردته في جزء لطيف، وضممت إليه كل ما وقع لي من الروايات والزيادات الثابتة عن جابر رضي الله عنه في سياق واحد، وعلقت عليه بتعليقات مفيدة.أهـ ألباني

ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: نحن نشهد بذلك أيضاً، نشهد بهذا وكل مسلم له أدنى معرفة يشهد بهذا، نشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد في كل مكان يكون فيه عليه الصلاة والسلام، هذا المكان العظيم في عرفة، وقد اجتمع في هذا المجمع أئمة الناس، لا يجتمع لأحد مثله، اجتمع فيه أئمة الناس كأبي بكر وعمر ومن بعدهم.أهـ

* * *

فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ: الأين كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه: «أين الله»[1] في غير موضع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا قوله للجارية «أين الله»؟

(١) صحيح، رواه مسلم (٢/ ٧١) وغيره، عن معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة. وهو مخرج في «الظلال» (٤٨٩-٤٩٠) وفي «مختصر العلو» (٨١) وقال الذهبي فيه: «حديث صحيح أخرجه مسلم..».أهـ ألباني

قالت: في السماء[١]، دل على أنه في جهة معلومة، وهو معروف المحل سبحانه وتعالى، وهو في السماء في العلو، لا كما يقول المتكلمون والنفاة، منزه عن الجهات كلها حتى جهة العلو، نسأل الله السلامة. أهـ

* * *

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال إن ربه في السماء ـ بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي.

السابع عشر: إخباره ﷺ: أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار[٢].

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى، من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، فلا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم،

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد / باب تحريم الكلام في الصلاة، عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، انظر سياقه في مختصر العلو رقم (١٧). أهـ ألباني

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم»[١] رواه الإمام أحمد في المسند وغيره من حديث جابر رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: في تضعيفه نظر، ولعل المحشي ما تتبع طرقه، هذا حديث عظيم عن النبي ﷺ في رؤية الله جل وعلا، وأنه يسطع لهم نور من فوقهم فيرفعون إليه رؤوسهم، جاء هذا المعنى فيما أعلم من عدة وجوه، ذكرها ابن القيم رحمه الله وغيره، فلتراجع.أهـ

* * *

ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية الشقين،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني نفوا الرؤية ونفوا العلو، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

وصدق أهل السنة بالأمرين معاً، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!

وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جداً: فمنه: ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق، بسنده إلى أبي مطيع

(١) ضعيف، وتقدم.أهـ ألباني

البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟

فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سماواته، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟

قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا واضح، هذا من الأمور الضرورية التي لا تحتاج إلى إقامة دليل على من كان من المسلمين، لأن هذا معروف في القرآن العظيم أو في السنة، فلا يحتاج إلى إقامة دليل، بل من أنكر هذا فهو كافر لظهور تكذيبه للقرآن والسنة، نسأل الله العافية، لكن لو فرض أنه في محل يخفى عليه مثل هذا؛ فإنه ينبغي أن تقام عليه الحجة، ثم يكفّر إذا أصر.أهـ

* * *

وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى، لا من أسفل. انتهى.

ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم، وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش ـ: مشهورة، رواها عبدالرحمن بن أبي حاتم وغيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يقع من أتباعهم من ليس على عقيدتهم، يوافقهم في الفروع ولكنه يخالفهم في الأصول، والمقصود أتباعهم ولو كانوا من غير التلاميذ، ولو كانوا بعدهم بأزمان.أهـ

* * *

ومن تأول فوق، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم ـ: فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة! فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه: من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض!! وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله، الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ؟! بل في ذلك تنقص، كما قيل في المثل السائر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشرالسمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مبطل، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات.

ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه.

فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان؟ فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ المكانة والمنزلة تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: «إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني على حسب تعظيمك لله يكون تعظيم الله لك ومحبته لك، ومن أحب الله وعظمه باتباع أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده والخوف منه؛ فله من المنزلة عند الله كذلك، على حسب تعظيمه لربه وقيامه بحقه سبحانه وتعالى، ولعله من كلام بعض السلف، وكونه أطلق الأثر، بعض أهل العلم سماه الأثر، يطلقون على كلام التابعين وكلام الصحابة ويسمونها آثارا، وقد يطلق على الحديث لكنه قليل.أهـ

* * *

(١) لا أعرفه، ثم وجدته بدلالة بعض الإخوان جزاهم الله خيراً في مستدرك الحاكم (١/ ٤٩٤ـ٤٩٥) بنحوه وصححه، وتعقبه الذهبي بأن فيه عمر بن عبدالله مولى غفرة، ضعيف، ومن طريقه أخرجه أبو يعلى وغيره، وهو مخرج في «الضعيفة» (٥٤٢٧).أهـ ألباني

فقوله: «منزلة الله في قلبه» هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن المكانة والمنزلة: تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في اللفظ والمعنى، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقاً كان حقاً، وإلا باطلاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: في الآية الكريمة: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الروم:٢٧] يعني الوصف الأعلى من كل الوجوه سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء.

قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عالياً بنفسه على كل شيء، كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل: أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني يقتضي كون العلم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية، لأنه غير معقول: فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه، والأول باطل فتعين الثاني، فلزمت المباينة .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن كلام السلف كما قال ابن المبارك وغيره: «نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه»(١) يعني منفصل عنهم، الله سبحانه فوق الجميع كما أنه إله الجميع سبحانه وتعالى.

وقوله: «البديهي» البدهي أضبط للقاعدة، بالنسبة إلى بديهة بدهي، مثل طبيعة طبعي، ومثل قبيلة قبلي، ومثل حنيفة حنفي، هذا هو الأصل، وقد يتسامح في هذا فتثبت بالياء بديهي طبيعي.أهـ

* * *

وأما ثبوته بالفطرة، فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى.

وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في «السُّنة»، وقد تقدَّم.

كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني! أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو.

وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بداهته، لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهياً لما كان مختلفاً فيه بين العقلاء، بل هو قضية وهمية خيالية؟

والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه، ولكن أشير إليه هنا إشارة مختصرة، وهو أن يقال: إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أقبل، وإن رد العقل قولنا فهو لقولكم أعظم ردا، فإن كان قولنا باطلاً في العقل، فقولكم أبطل، وإن كان قولكم حقاً مقبولاً في العقل، فقولنا أولى أن يكون مقبولاً في العقل. فإن دعوى الضرورة مشتركة، فإنا نقول: نعلم بالضرورة بطلان قولكم، وأنتم تقولون كذلك، فإذا قلتم: تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا هي من حكم الوهم لا من حكم العقل؟ قابلناكم بنظير قولكم، وعامة فطر الناس ـ ليسوا منكم ولا منا ـ موافقون لنا على هذا، فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولاً ترجحنا عليكم، وإن كان مردوداً غير مقبول بطل قولكم بالكلية، فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية، وبطلت عقلياتنا أيضاً، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم، فنحن مختصون بالسمع دونكم، والعقل مشترك بيننا وبينكم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم السمع الذي لا نزاع فيه يؤيد الفطرة السليمة والعقل الصحيح في إثبات العلو لله عز وجل وطلبه من أعلى، فإذا شك هؤلاء أو هؤلاء أو اعترض هؤلاء أو هؤلاء، فالذين معهم السمع هم الموفقون، لأن السمع معصوم وعقول الناس غير معصومة، فيها الصحيح والباطل، وهكذا فطرهم قد تختلف، لأنها جاءتها الشياطين من الجن والإنس وغيروها، فالعقل يتغير ويضطرب والفطر كذلك، بأسباب الجلساء وما يسمعه الناس من أقوال الشياطين والمنحرفين، فيبقى السمع سليماً مؤيداً للعقل الصحيح والفطرة السليمة في الإيمان بالله واعتقاد علوه وفوقيته سبحانه وتعالى فوق جميع خلقه عز وجل، والرد على الجهمية والمعتزلة وأشباههم، والأصل في هذا هو النقل، والله جل وعلا فطر العباد وأعطاهم من العقول ما يشهد بصحة النقل وسلامته وثباته، لأنه عرف من الأدلة الشرعية القاطعة أن الرسول ﷺ لا يأتي إلا بحق، وأن القرآن حق، فما دل عليه الحق فهو حق، وكلام أهل البدع أظهر شيء وأبطله، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

فإن قلتم: أكثر العقلاء يقولون بقولنا؟

قيل: ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن صانع العالم شيء موجود ليس فوق العالم، وأنه لا مباين للعالم ولا حال في العالم ـ: طائفة من النظار، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جهم بن صفوان وأتباعه.

واعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على

الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض؟

وأجيب على هذا الاعتراض من وجوه:

أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة للدعاء ـ لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها .

الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة[1]، فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو أن له قبلتين: إحداهما الكعبة والأخرى السماء ـ: فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن من أسباب قبول الدعاء ومن صفاته التي يشرع ملاحظتها؛ استقبال القبلة في الدعاء، ولكن ليس بشرط، له أن يدعو جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً في جميع الأحوال، كما دلت عليه السنة، فهو ﷺ لم يكن يتقيد بذلك، بل يدعو في أي جهة استقبل عليه الصلاة والسلام، ولكن إذا تحرى في دعائه كما في خطبة الاستسقاء، وكما في أوقات كثيرة، فهذا حسن، فلهذا ثبت عنه ﷺ في أوقات كثيرة أنه دعا وهو غير مستقبل القبلة عليه الصلاة والسلام، بل قد أعطى الناس وجهه إلى غير القبلة وجعل القبلة خلفه في مواطن كثيرة، فالمقصود أن زعمهم أن الدعاء يفرد به السماء،

---

(١) صحيح، والأحاديث في ذلك كثيرة، منها حديث عبدالله بن زيد قال: «خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستسقي، فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة» متفق عليه، وترجم له البخاري في «الدعوات» بـ«باب الدعاء مستقبل القبلة».أهـ ألباني

وأن السماء قبلة الدعاء ليتملصوا بهذا عن الإيمان بالعلو، هذا قول فاسد.

ثم السجود في الأرض للخضوع، شرع الله السجود لما فيه من الخضوع لله والانطراح بين يديه والانكسار، وتعفير الوجه الذي هو أشرف الأعضاء الظاهرة على الأرض، طاعة لله وتعظيماً له، ولما كان هذا قد يشَبّه على بعض الناس أو يستنكره بعض الناس من جهة العلو، وأن الله يدعى من أعلى سبحانه وتعالى، شرع فيه سبحانه ما يزيل هذه الشبهة ويرفع هذا الوهم بقول «**سبحان ربي الأعلى سبحان ربي الأعلى**» شرع هذا الذكر العظيم لإيضاح أن المقصود من السجود ليس هو أن الله أسفل أو في الأرض، وإنما شرع للخضوع لله، والسجود غاية الخضوع لله والذل والاستكانة، وشرع فيه من الذكر ما يبين أنه ليس المقصود أن الله في الأرض، وإنما هو في السماء، قال: سبحان ربي الأعلى سبحان ربي الأعلى ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ [الأعلى:١]. أهـ

* * *

الثالث: أن القبلة: هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء، والذكر والذبح، وكما يوجه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وجهة، والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي الصحيح «لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم»(١) وفي لفظ «أو لتخطفن أبصارهم»(٢) شرع الله طرح الأبصار في الصلاة والخضوع في الصلاة، وأن لا ترفع الأبصار إلى السماء، وإذا رفع بصره إلى السماء من باب الإشارة إلى العلو؛ هذا لا بأس به، كما فعل النبي ﷺ حينما خطب الناس في حجة الوداع واستشهدهم على تبليغه وما أداه من النصيحة، رفع إصبعه «اللهم اشهد اللهم اشهد»(٣).أهـ

* * *

ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة، وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده، وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا أن يميل إليه إذ هو تحته! هذا لا يخطر في قلب ساجد، لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سمع وهو يقول في

(١) رواه مسلم (٤٢٨) كتاب الصلاة / باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٥٠) كتاب الأذان / باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ومسلم (٤٢٩) كتاب الصلاة / باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة والدارمي، وقد تقدم.

سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وإن من أفضى به النفي إلى هذه الحال حري أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من حاد عن الحق وأعرض عنه مع العلم، لهوى في نفسه ولغرض خسيس، أو للمكابرة والمجادلة بالباطل، أو للتكبر والعناد، أو لأسباب أخرى خبيثة، فإن هذا حري بأن يزاغ قلبه، نسأل الله العافية، ويخذل غاية الخذلان، لكونه حاد عن الحق بعد العلم، قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] وقال سبحانه ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام:١١٠] وقال جل وعلا: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل:١٤] فلما جحدوا الحق، علواً وتكبراً، أصيبوا وهلكوا وخسروا في الدنيا والآخرة.أهـ

* * *

فمن لم يطلب الاهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان، نسأل الله العفو والعافية.

وقوله: «وقد أعجز عن الإحاطة خلقه» أي لا يحيطون به علماً ولا رؤية، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعليقات البازية

على شرح الطحاوية

الجزء الثاني

لسماحة الشيخ الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى

أعده
أبو سفيان
غزاي بن حلان حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار الأثر

رَفْعُ

عبد الرَّحمن النَّجْدِيِّ

أسكنه اللهُ الفردوس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعليقات البازية على شرح الطحاوية

الجزء الثاني

سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى

أعده
أبو سفيان
غازي بن حمدان حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار ابن الأثير

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

حقــوق الطبــع محفوظة

الطبعــة الأولــى
١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

دار ابن الأثير
للنشـر والتـوزيـع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦
هـاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعـرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فـاكس : ٢٦٧٢٥٥٨
التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغـربيـة : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

قوله: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً)

ش: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ الخلة: كمال المحبة.

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم، كما تقدم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا ـ والعياذ بالله ـ من الجهل العظيم، وأي مناسبة أعظم من مناسبة عبد لمعبوده، والمحسَن إليه إلى محسِن، وذو موجود لموجِد، أعظم النسبة، وأعظمها صلة العبد بالمعبود، الذي أحسن إليه وأكرمه وأوجده من العدم، وغذاه بالنعم وتكرم عليه بأن وفقه لطاعته، وأعانه على ذكره وشكره، ما أعظم هذه المناسبة حتى يكون هذا المخلوق محباً لهذا الخالق، مقدساً له معظماً له متذللاً بين يديه، وأي نسبة بين عبد وعبد إلى هذه النسبة العظيمة، لو كان أهل الجهل وأهل التعطيل يفهمون ويعقلون، ثم أي فضل لمن لا يتكلم، بل هو أصم أبكم لا يسمع ولا يتكلم، لو كانوا يعقلون أيضاً؟

فإن السمع والبصر والكلام صفات كمال في حق المخلوق الناقص الضعيف، فكيف بحق الخالق العليم!؟ وقد عاب على المشركين أنهم

يعبدون من لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولكن الجهمية والمعتزلة وأشباههم ممن عطلوا الصفات، في عمى وفي بكم وفي صمم، وفي بعد عن الهدى، نسأل الله العافية ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] فإن صفة المحبة وصفة الخلة وصفة الكلام وصفة السمع والبصر كلها صفات كمال، كلها صفات مدح وثناء، فكيف تستنكر وكيف تستغرب!؟ ويسأل الله بها سبحانه وتعالى، وهو أكرم الأكرمين وأعظم الراحمين وهو الجواد الكريم، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الخلاق العليم، فهو أولى بها من كل شيء.أهـ

* * *

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبدالله القسري أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه[1]، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد قال ابن القيم رحمه الله في النونية في هذا المعنى:

---

(١) قصة قتل الجعد رواها الخلال في السنة (١٦٩٠) ٥/ ٨٨، وابن بطة في الإبانة (٣٨٦) ٢/ ١٢٠ باب ما روي في جهم وشيعته الضلال، والذهبي في مختصر العلو ص:١٣٣ (١١٥) وقال الحافظ في الفتح: ٣/ ٤٧٩: «أوردها البخاري في خلق أفعال العباد.» انتهى

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسـ ـــري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

يعني بذلك خالداً، وهذه اشتهرت عند أهل العلم وجزموا بها، وقد يكون لها أسانيد أخرى، ما درى عنها.أهـ

* * *

وأخذ هذا المذهب عن الجعد ـ الجهم بن صفوان، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول: الجهمية، فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك، وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»(١) يعني نفسه، وفي رواية: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» وفي رواية: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً،

---

(١) صحيح، وتقدم نحوه.أهـ ألباني

وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: «والله إني لأحبك»(١) وكذلك قوله للأنصار(٢)، وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه، وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»(٣).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا وصف الأنبياء كلهم ووصف المؤمنين، يحبون الله ويحبهم سبحانه وتعالى، ويحبون في الله ويبغضون في الله، والخلة معنى فوق ذلك، وبهذا يعلم أن الصديق أفضل الناس، قال: «**لو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله**» «**ولكن أخوة الإسلام أفضل**» إلى غير ذلك، دل ذلك على أنه أولى الناس بهذا الوصف، فعلم بذلك أنه أفضلهم والمقدم فيهم، ولهذا صرح بهذا لعمرو حين سأله، قال من الرجال، قال: أبو بكر .أهـ

* * *

فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محباً لذاته، لا لشيء آخر،

(١) صحيح، رواه أحمد وغيره، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وهو مخرج في «صحيح أبي داود» برقم (١٣٦٢).أهـ ألباني

(٢) يشير إلى حديث أنس قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي «مرتين»، أخرجه البخاري.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يكون محبوباً، أُحِبَّ فهو محبوب، ويقال: محُبَ من أُحِب، وهو الرباعي، أُحِب فهو مُحَب، وأُكرم فهو مكرَم.

أخشى أن لا يكون استعمل من الثلاثي: أحب فهو حب محبوب، أظنه لم يستعمل الثلاثي، أظنه استعمل الرباعي أحب، أحببت فلاناً فهو محَب، قد تأتي محب بمعنى المحبوب ولكنه قليل.

ويكون محباً لذاته من أحب، أحببت زيداً فهو محَب، أكرمت زيداً فهو مكرَم، أعظمت زيداً فهو معظَم، الرباعي يصير مفعوله على وزن فعل مُفعِل، أكرمته فهو مكرِم ومعلِم، أما محب، فليس هناك محب.أهـ

* * *

إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة[1]، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم، لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا

(١) لعلها: لتخللها المحب. ابن باز.

سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.

سؤال/ قد يقول قائل: إنه يستدل بهذا على البدء، امتحنه ثم بدا.

أجاب سماحة الشيخ: الله سبق بها علمه سبحانه وتعالى، تكلم مع آدم بعد أن لم يتكلم مع آدم في الجنة، ويوم القيامة يقول: «**يا أهل النار**» ويتكلم مع أهل الجنة ويقول «هل رضيتم»؟ والهوى إنما من يمشي على طريقة الجهمية وأشباههم، يعني كل شيء قديم، لا تتجدد له أسباب ولاصفات ولا معنى، وهذا غلط، هذا باختيار، يتكلم باختياره جل وعلا، ولا يلزم من هذا أن يكون مسبوقاً بجنس ضد هذه الصفة، لا يلزم من تكلمه يوم القيامة أن يكون مسبوقاً بالبكم أو بالصمم أو نحو ذلك، ولا يلزم من عدم قوله: «**هل رضيتم**»؟ أنه موصوف بأنه لم يرض أو لم يرضهم، لا يلزم من هذا، ما سبق قد سبق به علمه وقدره سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المراد الإسراء والمعراج، والمقصود أن الله كلمه، وفرض عليه الصلوات الخمس عليه الصلاة والسلام مشافهة من دون واسطة.أهـ

* * *

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟

وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها، وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لـ محمد ﷺ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

وأحسن من هذا: أن النبي ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم - متناولاً الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم وهو متناول لإبراهيم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران، وكما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ فإن لوطاً داخل في آل لوط، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فإن فرعون داخل في آل فرعون، ولهذا والله أعلم، أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺإنما فيها كما صليت على آل إبراهيم، وفي كثير منها: كما صليت على إبراهيم ولم يرد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في قليل من الروايات(١)، وما ذلك إلا

---

(١) قلت: وذلك لا يمنع صحتها، لاسيما وبعضها في صحيح البخاري، انظر كتابي «صفة الصلاة» ص ١٤٧ ـ الطبعة الحادية عشر، طبع المكتب الإسلامي. أهـ ألباني

لأن في قوله: كما صليت على إبراهيم، يدخل آله تبعاً، وفي قوله: كما صليت على آل إبراهيم، هو داخل آل إبراهيم، وكذلك لما جاء أبو أوفى رضي الله عنه بصدقة إلى النبي ﷺ دعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»(١).

ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص:

منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [العنكبوت:٢٧] كل من كان بعد إبراهيم فهو من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الأنبياء.أهـ

❊ ❊ ❊

ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره.

ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس، قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً للناس ومثابة للناس وأمناً، وجعله قبلة لهم وحجاً، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى.أهـ ألباني

ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت، إلى غير ذلك من الخصائص.

قوله: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١) فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذلك إلا لبعدهم عما جاءت به الرسل، وتحكيمهم العقول، فهم أبعد الناس عما جاءت به الأنبياء، لأن هؤلاء الفلاسفة الأولين والآخرين إنما حكموا العقول، واعتمدوا على ما رأوه بأفكارهم واستنتاجاتهم، فصاروا بذلك أبعد الناس عما جاءت به الرسل، بخلاف من تلقى إيمانه وتلقى هدايته وعبادته عن الرسل، فهؤلاء أقرب الناس إلى السعادة والنجاة، ولما مال أهل البدع من أهل الكلام إلى أقوالهم واحتضنوها وعظموها؛ صاروا من أبعد الفرق عن الهدى، لأنهم تلقوا الأمر من غير طريقه، وساروا من غير السبيل المطلوب أن يسيروا عليه، فلهذا وقعوا بما وقعوا فيه من البدع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم، ووقعوا في شر كبير وفساد عظيم في العقائد، لأنهم تلقوا ذلك عن غير الطريق السوي الذي تلقته الرسل عن ربهم عز وجل، وتلقاه أتباعهم عنهم.

فالحاصل أن السعادة والهدى والنجاة في تلقي العلوم النافعة والأعمال الصالحة عن الرسل وعن أتباعهم بإحسان، واعتماد الأدلة التي جاءوا بها، والنظر فيها والسير على ضوئها، هذه طريقة النجاة وهذه سبيل السعادة، أما من حاد عن هذا الطريق فإنه على حسب بعده عن هذا الطريق يكون هلاكه وضلاله.أهـ

❊ ❊ ❊

فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم

بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا يكلَم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته، لينال من العلم أعظم ما يناله غيره! وقوة النفس، ليؤثر بها في هيولى العالم يقلب صورة إلى صورة! وقوة التخييل، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذا الكلام باطل، كل هذا شيء قالوه بعقولهم وأفكارهم الضالة الفاسدة، لا حقيقة لها في الخارج، كله خيالات وترهات وضلالات وتلبيس على العالم لا أساس لها ولا صحة لها، وإنما هو باطل، والعالم ليس لازماً لله، بل خلقه سبحانه باختياره وإرادته ومشيئته، وهو المتصرف بعباده كيف يشاء سبحانه وتعالى، وما سواه مخلوق مربوب، والله الخلاق الرزاق سبحانه وتعالى.

وفي الحقيقة أن كلامهم لا يستحق أن ينقل، ولا يستحق أن ينظر فيه لبعده عن الهدى وفساده في نفسه، ولكن لبيان الحق ولبيان ما هم عليه من الباطل ينقل كلامهم لهذا القصد، حتى لا يغتر بهم أحد.

يظهر أن الهيولى صورة الشيء، والمادة أصله، فالذهب مادة، الفضة مادة، والهيولى الصورة التي عليها، من خاتم أو درهم أو حلي في الحلق أو ما أشبه ذلك، فالصورة التي يكون عليها تسمى هيولى، والمادة مادة الشيء من طين أو من حديد أو من حجر، اصطلاحات لهم.أهـ

* * *

وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيباً وإنكاراً له في الأعيان، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود إنكار ما جاءت به الرسل، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل.

فهذا إيمان هذه الطائفة ـ الذليلة الحقيرة ـ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذه هي أصول الدين الخمسة.

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدموا بها كثيراً من الدين: فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض، الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض، على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك العدل، ثم تكلموا في النبوة والشرائع والأمر والنهي

والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال، فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الأصول فيها من الفساد والشر ومخالفة النصوص ما لا يخفى على من له أدنى تأمل، فإن الله جل وعلا جعل أركان الإسلام خمسة على يد نبيه ﷺ، الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وجعل أصول الإيمان ستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وقال هؤلاء: أصول الدين خمسة، وغيروا ما جاء به النبي ﷺ، فقالوا: الأصول الخمسة:

التوحيد، هذا واحد، ثم فسروا التوحيد بما يخالف ما جاء به النبي ﷺ، فالتوحيد بيّن الرب جل وعلا أنه إخلاص العبادة لله وحده، والكفر بما يعبد من دون الله، الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، هم جعلوا التوحيد نفي الصفات وإبطال الصفات، وأن تكون ذاتاً مجردة عن الصفات، قالوا هذا هو التوحيد، فإذا أثبتّ الصفات، معنى ذلك أن هذا تشبيه له بالمخلوقات، فلم يميزوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فالله جل وعلا له صفات تليق به، وهو الواحد الأحد سبحانه وتعالى، هو الأول بجميع صفاته من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك، والمخلوق له صفات تليق به، صفات جاءت بعد العدم، الإنسان كان معدوماً ثم جاء وبصفاته، هذا شيء وهذا شيء.

ثم تكلموا بالعدل، وأن الله جل وعلا هو الحكم العدل، فظنوا واعتقدوا بفساد عقولهم أن هذا العدل لا يتم إلا بإنكار القدر، فمن آمن بالقدر فلا عدل، كيف يمضي القدر ويقدّر عليهم أشياء، ثم يعاقبهم بما قدر عليهم؟ فأساءوا الظن بالله، وشبهوا على عباد الله، والله سبحانه وتعالى له الحكمة، وله التصرف في عباده، وهو الحكيم العليم جل وعلا، فالعدل أنه يضع الأشياء في مواضعها سبحانه وتعالى، فيعاقب من يستحق العقاب، ويثيب من يستحق الثواب، وينعم على عباده بما يشاء، ويضل من يشاء ويهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة، فهم جعلوا أصلاً سوى هذا، وقالوا لا عدل إلا بإنكار القدر، وأن الأمر أنف.

كذلك المنزلة بين المنزلتين، قالوا: العاصي لا يكون مسلماً ولا كافراً، ولكن في منزلة بين المنزلتين، والله جل وعلا جعل العاصي مسلماً على خطر، مؤمناً ناقص الإيمان، فلم ينف عنه الإيمان والإسلام جميعاً، بل ينفى عنه الإيمان الكامل، ويكون له الإيمان الناقص، وهو موصوف بالإسلام مع معصيته، ما لم تخرجه معصيته عن الإيمان، فإن أخرجته معصيته عن الإيمان وكانت كفراً، كسب الإله وسب رسوله وعدم الإيمان بالآخرة وعدم الإيمان بوجوب الصلاة وما أشبه ذلك من أمور الردة، فما دامت معصيته لا تخرجه عن الإسلام فهو مسلم، لا يكون في منزلة بين منزلتين، بل هو مسلم تحت مشيئة الله، إذا مات على معصيته.

ثم الأصل الرابع إنفاذ الوعيد، يقولون: لابد من إنفاذ الوعيد، فمن جاءت النصوص بأنه من أهل النار يكون من أهل النار، ولا يعفى عنه أبداً، وهذا من جهلهم، والله يقول: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] سبحانه وتعالى، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء من أهل

المعصية، إنما تحتم النار للكفار، هم الذين يتحتم في حقهم دخول النار والخلود فيها، أما العاصي فلا يتحتم عليه، قد يعفى عنه، قد يغفر الله له معصيته، قد يشفع فيه الشفعاء فلا يدخل النار، تحت مشيئة الله، فلا يجب إنفاذ الوعيد، ربنا قد يعفو ولا ينفذ الوعيد سبحانه وتعالى، فمن صفاته العظيمة ومن جميل إحسانه أنه يعفو ويصفح، وهو العفو الكريم سبحانه وتعالى، وإنفاذ الوعيد دائماً وعدم العفو ليس صفة كمال، إنما صفة الكمال أن يعفو إذا شاء وينفذ الوعيد إذا شاء، أما أن يلزم بإنفاذ الوعيد، فليس له إمكان في عدم إنفاذ الوعيد، فهذا من الجهل، إنما الوعيد الذي يجب إنفاذه، أوجبه سبحانه أن ينفذه وألزمه على نفسه في حق الكفرة، كما أوجب على نفسه رحمة المؤمنين وإدخالهم الجنة فضلاً منه سبحانه وتعالى.

وجعلوا إنفاذ الوعيد لازماً، واتفقوا مع الخوارج أن العاصي مخلد في النار، هذا رأيهم هم والخوارج، الخوارج كفروه وجعلوه مخلد في النار، والمعتزلة لم يكفروه في الدنيا، وجعلوا له شيئاً آخر عندهم في منزلة بين منزلتين، ولكن اتفقوا في الآخرة أنه مخلد في النار، فمن مات وهو زان فهو مخلد في النار، من مات وهو يشرب الخمر فهو مخلد في النار عندهم، من مات وقد عق والديه فهو مخلد في النار عندهم، من مات وهو قاطع رحم فهو مخلد في النار عندهم، من مات وقد شهد بالزور فهو مخلد في النار عندهم، إلا أن يتوب قبل أن يموت، كل عاصٍ مات على معصية غير تائب ليس تحت المشيئة، بل هو عندهم وعند الخوارج مخلد في النار، هذا الغلو، الغلو في إنفاذ الوعيد.

وعكسهم المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان شيء، والإيمان قول واعتقاد فقط، ولم يجعلوا الأعمال من الإيمان، فصار عندهم جفاء

قابلوا به المعتزلة.

والأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأصل أدخلوا فيه شراً، فقالوا في هذا الأصل إنه يجوز الخروج على السلطان والإمام إذا عصى، يجوز الخروج عليه ولو لم يكفر، بفعل المعصية جاز الخروج عليه، هذا جعلوه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من أصولهم، والرسول ﷺ قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[1] فهؤلاء خالفوا هذا الأصل وخالفوا أهل السنة والجماعة، وقالوا: متى وجدت منه المعصية وجب الخروج عليه.

هذه الأصول الخمسة كلها خالفوا فيها أهل الحق، وجعلوها كأصول الدين عندهم بدلاً من أركان الإسلام الخمسة، وبدلاً من أركان الإيمان الستة، جعلوها أصولاً من كيسهم، ومن آرائهم الفاسدة ومن عقولهم الفاسدة، فينبغي التنبه لهذه الأصول، وعلى هذه الأصول درجت المعتزلة والزيدية والرافضة وجميع من ينتسب إلى الحسين من المتأخرين، ساروا على طريق المعتزلة في هذه الأصول الخبيثة، مع سبهم للصحابة، ومع ما عندهم من التصرف الآخر، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

سؤال/ هل يحكم بتكفيرهم بناء على هذه الأصول؟

أجاب سماحة الشيخ/ اختُلِف في تكفيرهم، منهم من كفرهم لأنها أصول واضحة الفساد، قاله جمع من أهل العلم، وآخرون قالوا: إنهم

(١) رواه البخاري (٧٠٥٦) كتاب الفتن / باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**» ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

شُبّه عليهم فيكونون عصاة ولا يكفرونهم، وقوم فرقوا، قالوا: دعاتهم كفار ومقلدوهم عصاة، وهو المشهور عند الحنابلة والجماعة، فالداعية كافر والمقلد عاصٍ، وظاهر النصوص تكفيرهم هم والخوارج، كما قال النبي ﷺ «**يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه**»(١) ولكن يظهر من كلام الكثير عدم التكفير لأجل الشبهة.أهـ

سؤال/ قولهم في المنزلة بين المنزلتين، ما حكم زوجته المسلمة عندهم من جهة الميراث؟

أجاب سماحة الشيخ/ في الدنيا يعامل معاملة أهل الإسلام، وفي الآخرة هو مخلد في النار، في الدنيا يعامل معاملة أهل الإسلام، هذا الظاهر عندهم.أهـ

* * *

والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني زادت الرافضة الإمامة، ومعروف عندهم الأصل الخامس، المنزلة بين المنزلتين.أهـ

* * *

وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٣٠-٦٩٣١-٦٩٣٢) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم / باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨) كتاب الزكاة / باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث علي وجابر وأبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي ذر وسهيل بن حنيف رضي الله عنهم.

وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل -: لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(١) وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينا جبرائيل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فضل عظيم لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا الحديث يحتمل أنه نزل بهما، ولم ينزل بهما جبرائيل، وهذا من خصائص هاتين السورتين، سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ويحتمل أنه نزل بهما جبرائيل سابقاً، ثم نزل بهما هذا الملك لمزيد عناية، لأن الأصل أن جبرائيل هو الذي جاء بالقرآن على النبي ﷺ، وهو الواسطة في الوحي بين الرسل وبين الله عز وجل، فهذه السورة وهاتان الآيتان نزل بهما هذا الملك ولم ينزل قبل ذلك، مع باب لم يفتح إلا ذلك اليوم، إعظاماً لهذه السورة وهاتين الآيتين، وإكراماً وتنويهاً بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيكون - والله

(١) صحيح لإخراج الصحيحين له، وعزاه في «الجامع الصغير» لأصحاب السنن الأربعة فقصر، انظر صحيح الجامع (٦٣٤١).أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج مسلم إياه (٢/ ١٩٨).أهـ ألباني

أعلم - نزولهما مرتين، مع جبرائيل ومع هذا الملك، أو أنهما نزلا بصفة خاصة مع هذا الملك دون بقية القرآن العظيم.

والفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله، وهكذا الآيتان فيهما الإيمان ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦] فيها العفو والسماح عن الأمة في هذه الأمور التي بينها سبحانه وتعالى في آخر السورة.أهـ

* * *

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة، يعني هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار. وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا حاجة إلى ما زاده أبو طالب، الستة كافية، الزيادة ما لها صلة، أصول الإيمان ستة فقط، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، الإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر.أهـ

* * *

وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ ﴿فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني بأمر الله، جعلهم سبحانه بواسطة هذه الأشياء التي يصرفونها بأمر الله أهـ

* * *

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله ومنهم: المرسلات عرفاً والناشرات نشراً والفارقات فرقاً والملقيات ذكراً ومنهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ ومنهم: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾. ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقدير، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله، ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني للتعبد، هذا يدل على كثرة الملائكة، وأنه شيء عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] سبحانه وتعالى، يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك للعبادة، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، والبيت المعمور في السماء السابعة على وزان الكعبة، فهذا يدل على أن الملائكة لها تعبد في هذا البيت، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك مرة واحدة لا يعودون إليه، هكذا يكون كل يوم، فكم يكون عددهم

على طول الأيام والليالي؟.أهـ

* * *

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص، قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن

غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية، وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى، فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعد منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء، وهذا هو الحق، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصاً، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. وفي الصحيح: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمة بكم غير نسيان - فلا تسألوا عنها»[2].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ورد في الصحيح، يعني من الحديث الصحيح، ليس في الصحيحين أو أحدهما، تسامح في العبارة.أهـ

* * *

(١) صحيح، رواه أحمد وغيره، وقد مر الحديث.أهـ ألباني

(٢) حسن لغيره، رواه الدارقطني وغيره، ثم تبينت أن الشواهد التي رفعته إلى الحسن ضعيفان جدا لا يصلحان للشهادة، كما أوضحته في «غاية المرام»(٤).أهـ ألباني

فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً والحالة هذه أولى، ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أشير إليه، إن شاء الله تعالى.

وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادماً للنبي ﷺ! أو: أن بعض الملائكة خدام بني آدم!! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب، والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس: لا شك في رده، وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وجد فيها نص، وهو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: «وسيد المرسلين» يعني النبي ﷺ، والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة .

وقد كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول أولا بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله. والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع في ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مع العلم بأن أهل السنة والجماعة يقولون إن الملائكة لهم فضلهم العظيم، ولكن صالحي البشر من الأنبياء وأتباعهم أفضل، واحتجوا بأمور كما يأتي من ذلك، ومن أهم ما احتجوا به ما رواه الدارمي رحمه الله بسند جيد، يقول النبي

عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان**»[١] وأن الصلحاء من البشر من الأنبياء والرسل وأتباعهم أفضل لأمور منها هذا، ولأن الملائكة قد حفظهم الله من أسباب الفتنة، ولم يبتليهم بالشهوات وبالشيطان، بخلاف بني آدم، فإنهم ابتلوا بالشيطان والشهوة، فمن جاهد منهم نفسه لله وصابر واتقى شر نفسه وشيطانه فله منزلة عظيمة، ويأتي الكلام في هذا إن شاء الله.أهـ

* * *

وللشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله مصنف سماه «الإشارة في البشارة» في تفضيل البشر على الملك، قال في آخره: اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى والله الموفق للصواب.

فمما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع

---

(١) قال الشيخ الألباني :ضعيف كما أشار إليه المصنف، وأما تعقب الشيخ أحمد شاكر عليه بقوله :هكذا أعل الشارح الحديث إسناداً ومتناً، وما أصاب في ذلك السداد، إذ قصّر في تخريجه، أما رواية الطبراني فإنها ضعيفة حقا بل في غاية الضعف، فقد نقلها ابن كثير في التفسير ٥/ ٢٠٦ بإسنادها من المعجم الكبير، ونقلها الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي إسناد الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضاً، فهذان إسنادان لا تعبأ بهما.أهـ٣٠٦

إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾.

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وانقياداً وطاعة له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم.

وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة: أما الأولى: فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة، وإفساد ما تصل اليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره، في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، وينمي ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية، وهي: أن الفاضل لا يسجد المفضول ـ: فباطلة، فإن السجود طاعة لله وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا لحجر لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله.

قالوا: وقد يكون قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، لينتفي الاستدلال به.

ومنه: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم

عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

وقال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها ـ: ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

ومنه: أن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم.

وهذا الكلام قد اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلالتهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ الآيات.

قال الآخرون: وهذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه علم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزود لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: «إنك على علم من علم الله» إلى آخر كلامه، ولا الهدهد أفضل من سليمان عليه السلام، بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان عليه السلام علماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ.

فإن قلتم: هو من ذريته؟

فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: «ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة»(١) فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط.

ومنه: قول عبدالله بن سلام رضي الله عنه: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ» الحديث(٢).

فالشأن في ثبوته، وإن صح عنه فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات.

ومنه: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان»(٣) أخرجه الطبراني.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. أهـ ألباني

(٢) المستدرك (٤/ ٥٦٨-٥٦٩) بسند صحيح عنه، وصححه الذهبي. أهـ ألباني

(٣) ضعيف، كما أشار إليه المصنف، وأما تعقب الشيخ أحمد شاكر عليه بقوله: «هكذا أعل الشارح الحديث إسناداً ومتناً، وما أصاب في ذلك السداد، إذ قصر في تخريجه، أما رواية الطبراني فإنها ضعيفة حقاً، بل غاية في الضعف، فقد نقلها ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٠٦) بإسنادها من المعجم الكبير، ونقلها الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي إسناد الأوسط طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً» فهذان إسنادان لا تعبأ بهما، ولكن الحديث رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي ص (٣٤) بإسناد صحيح مطولاً: رواه عن عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وهذا إسناد لا مغمز =

= فيه، وقد أشار إليه الحافظ ابن كثير في التاريخ (١/ ٥٥) مختصراً، من رواية عثمان بن سعيد، وأشار إلى صحته.

وأما رواية عبدالله بن أحمد بن حنبل: فإنها من زياداته في «كتاب السنة» الذي رواه عن أبيه (ص:١٤٨ من طبعة السلفية بمكة) فقال عبدالله: «حدثني الهيثم بن خارجة، حدثنا عثمان بن علاق، وهو عثمان بن حصن بن علاق [وكتب في المطبوعة: محصن!خطأ] سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ...».

فهذا إسناد ظاهره الصحة أيضاً، وإن لم أستطع أن أجزم بذلك، لأن عروة بن رويم لم يصرح فيه بأن الأنصاري الذي حدثه به صحابي، فجهالة الصحابي لا تضر، وهو يروي عن أنس بن مالك الأنصاري، فإن يكنه يكن الإسناد صحيحاً، وهذا محتمل جدا، وإن كنت لا أقطع به .. فإن الحديث ذكره ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٠٦ـ٢٠٧) نقلاً عن ابن عساكر، بإسناده إلى عثمان بن علاق: «سمعت عروة بن رويم اللخمي، حدثني أنس بن مالك، عن النبي ﷺ..» فهذا قد يرجح أن الأنصاري في رواية عبدالله بن أحمد هو أنس بن مالك الأنصاري، ولكن إسناد ابن عساكر لم يتبين لي صحته من ضعفه.

وأيا ما كان، فرواية عبدالله بن أحمد، ورواية ابن عساكر تصلحان للاستشهاد، وتؤيدان صحة حديث عبدالله بن عمرو، بإسناد الدارمي.

أما إعلاله من جهة المتن والمعنى، فإنه غير جيد ولا مقبول، فإن الملائكة لم يعترضوا بهذا على ربهم، ولم يتبرموا بأحوالهم، وإنما سألوا ربهم، وهم عباد مطيعون، يرضون بما أمرهم الرب تبارك وتعالى، إذا لم يستجب دعاءهم، ومثال ذلك الآيات في خلق آدم في أول سورة البقرة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الآيات ٣٠ـ٣٣».

قلت: فلا ترى فيه ما ينهض على تصحيح الحديث، وإليك البيان بإيجاز:

١ ـ أما قوله في طريق الدارمي: «وهذا إسناد صحيح لا مغمز فيه، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى صحته» ففيه نظر لأمرين:

الأول: أننا لا نسلم بصحته مع وجود عبدالله بن صالح في طريقه، فإنه وإن كان البخاري أخرج له في صحيحه، فهو متكلم فيه من قبل حفظه، ولا يتسع هذا التعليق للإفاضة في ذكر أقوال الأئمة فيه، فحسبنا ما ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمته من «التقريب» وهو إنما يذكر فيه عادة خلاصة أقوال الأئمة فيمن يترجمه، قال: «صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة». =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث هو أصرح ما في الباب، وقد احتج به أبو العباس بن تيمية وابن القيم وغيرهم، وذكروا ما يدل على سلامة سنده، بقوله: «لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان» صريح في أن ذرية بني آدم

= الثاني: أننا لا نسلم أيضاً أن ابن كثير أشار إلى صحة الحديث، ذلك لأن غاية ما قال فيه: «هو أصح» وهذا القول لا يفيد تصحيحا مطلقا للحديث، بل تصحيحا نسبيا وهو لا ينافي ضعفه، كما في قول الترمذي في كثير من الأحاديث :«هو أصح شيء في الباب» فهذا لا يؤخذ منه صحة الحديث كما هو مقرر في المصطلح، فكذلك قول الحافظ ابن كثير هنا، والله أعلم.

٢ ـ حديث عبدالله بن أحمد بسنده عن الأنصاري، فلا شك في عدالة رواته باستثناء الأنصاري، وإنما البحث في كون الأنصاري إنما هو أنس بن مالك رضي الله عنه، لأنه إن كان هو فالحديث متصل الإسناد، صحيح كما قال الشيخ أحمد، لكن استئناسه على ذلك برواية ابن عساكر التي نقلها عن تفسير ابن كثير مما لا يصلح له، لأن ابن عساكر أورده (١٥/ ٦٦/ ١ـ٢) من طريق محمد بن أيوب بن الحسن الصيدلاني، وفي ترجمته ساق الحديث، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ودونه جماعة لم أجد من ترجمهم، فمثل هذا الإسناد الواهي لا يترجح كون الأنصاري هو أنس، على أنني قد وقفت له في ابن عساكر على طريق أخرى ضعيفة أيضاً، سمي فيه الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري، أخرجه (٩/ ٤٠٧/ ٢) من طريق هشام بن عمار: نا عبدربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبدالله الأنصاري مرفوعاً به، والقرشي هذا لم أجد له ترجمة وهشام بن عمار، وإن أخرج له البخاري، فهو متكلم فيه أيضاً، قال الحافظ في التقريب: «صدوق، مقرئ، كبر فصار يتلقن». وجملة القول أن حديث ابن رويم هذا ضعيف لجهالة الأنصاري واضطراب الروايتين الأخيرتين في تعيينه، فأولاهما تقول إنه أنس، والأخرى تقول إنه جابر، ولا يصلح عندي تقويته بحديث عبدالله بن صالح لاحتمال أنه مما أدخل عليه، قال ابن حبان: «كان في نفسه صدوقاً، وإنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له، كان بينه وبينه عداوة، كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبدالله ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهم عبدالله أنه خطه فيحدث به!».

هذا، ويحتمل أن يكون أصل الحديث من الإسرائيليات التي كان يحدث بها بعض الذين أسلموا من أهل الكتاب، ثم أخطأ بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ، كما صنعوا بقصة هاروت وماروت، والله أعلم.أهـ ألباني

الصالحين أفضل من الملائكة، والحديث أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في رده على بشر المريسي، وظاهر ما ذكره الأئمة أن إسناده جيد، وهذ هو المعروف، المعروف سند عثمان بن سعيد فإنه جيد وسليم، ولهذا جزم أبو العباس بن تيمية وابن القيم، جزموا بأن هذا حجة قائمة في تفضيل صالح بني آدم على الملائكة، لقوله: «لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب أهل السنة والجماعة هو أن صالحي البشر أفضل من الملائكة، لأن صالحي البشر خلقوا لعبادة الله وابتلوا، ابتلوا بالشهوات وابتلوا بالشيطان، ومن سلم منهم وعافاه الله صار أفضل من الملائكة الذين حفظوا من الشيطان والشهوات، فالذي يكابد الشهوات ويكابد الشيطان و يجاهد نفسه في ذلك، ليس مثل الذي حفظ وسلم، بينهما فرق عظيم.

وهذا السند الذي ذكره عثمان لا بأس به، عثمان بن سعد جيد في روايته عن زيد بن أسلم وليس به بأس، وعبد الله بن صالح جيد وإن كان له بعض الأوهام، ومثل ما قال الأئمة: إن الأصل سلامة الإسناد، الإنسان قد يهم، قد يغلط، ما يمنع من صحة أسانيده، إلا إذا عرف الغلط والوهم، ولو أن كل واحد له أوهام بطلت أحاديثه لبطل شيء كثير، لكن الأصل في الثقة والصدوق السلامة، حتى يتبين وجه الخطأ بمجيء طرق أخرى أوثق منه تبين وجه الخطأ، وإلا فالأصل صحة رواية عبدالله بن صالح عن شيوخه، إلا ما ثبت خطؤه فيهم.

ومن جهة المتن فليس فيه نكارة، كون الملائكة يسألون و يجيبهم الله لا شيء فيه، وما في هذا نكارة، والمسألة ليست من الأهمية بمكان، سواء فضل هؤلاء على هؤلاء أو هؤلاء على هؤلاء، ما لها كبير أهمية،

صالحوا البشر والملائكة كلهم في خير عظيم وفضل كريم، سواء فضل هؤلاء على هؤلاء أو هؤلاء على هؤلاء، فالمسألة مثل ما قال الفزازي: ليس من الأهمية بمكان، ومذهب أهل السنة مع هذا يرون تفضيل الأنبياء والرسل وصالحي البشر على الملائكة للأسباب المتقدمة، والمعتزلة وجماعة يقولون: أولئك أفضل لأنهم معصومون من المعاصي، فهم أفضل، وبكل حال فقول أهل السنة أظهر وأبين.أهـ

* * *

وأخرجه عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن عروة بن رويم، أنه قال: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ أن الملائكة قالوا، الحديث،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصحابي لا تضر جهالته، لكن المقصود أنه لا يدرى هل هو صحابي أو غير صحابي، قد يكون أنصارياً وليس بصحابي، فيكون مرسلاً، لا يكون متصلاً، فالأنصار فيهم صحابة وفيهم تابعون، فإذا كان من رواية عروة بن رويم عن أنصاري تابعي فيكون مرسلاً، وإذا صرح به عرف، إذا صرح بأنه أنس أو جابر صار متصلاً لا مرسلاً.أهـ

* * *

وفيه: «وينامون ويستريحون فقال الله تعالى: لا، فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا».

والشأن في ثبوتهما، فإن في سنديهما مقالاً، وفي متنهما شيئاً، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون؟ وهل يظن بهم أنهم متبرمون بأحوالهم، متشوفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟

والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو، وهو من الباطل؟

قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلاه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف وقلن: حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾.

قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركوز في النفس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعبدوهم كذلك.أهـ

❊ ❊ ❊

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال الآخرون: قد يذكر العالمون، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَلَقَدِ

ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أن صالحي البشر خير الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة، هذا على قراءة من قرأ البريئة بالهمز، وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى وهو التراب، كما قاله الفراء فيما نقله عنه الجوهري في الصحاح- : يكون المعنى: أنهم خير من خلق من التراب، فلا عموم فيها، إذاً[1] لغير من خلق من التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

وقال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت لهم أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سلم المدعى، وإلا فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر: قوله تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾. وقد ثبت

---

(١) فالعموم فيها لغير من خلق، «إذ» ليس لها معنى، لأن الملائكة خلقوا من النور ما خلقوا من التراب .ابن باز

من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك، ولا الشرطي أو الحارس! وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره، إذ لم يقل أحد إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: إن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن

الضعيف، وفي كل خير»(١) ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة الملك ولا تقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر- والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(٢) الحديث، وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد خيراً منه للمذكور لا الخيرة المطلقة .

ومنه ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة، بسنده في كتاب التوحيد عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا جالس إذ جاء جبرائيل، فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة مثل وكري الطير، فقعد في إحداها، وقعدت في الأخرى، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب بصري، ولو شئت أن أمس السماء مسست، فنظرت إلى جبرائيل كأنه حلس لاطىء، فعرفت فضل علمه بالله علي»(٣) الحديث.

---

(١) وهو طرف حديث عند مسلم (٨/ ٥٦) وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٣٥٦).أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج الشيخين له، وهو مخرج في «الصحيحة» تحت الحديث (٢٢٨٧).أهـ ألباني

(٣) ضعيف، فيه الحارث بن عبيد الأيادي، وهو ضعيف لسوء حفظه، وقول الشيخ أحمد شاكر: «تكلم فيه بغير حجة، والراجح توثيقه» مردود، فقد قال فيه الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه حتى خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا. =

قال الآخرون: في سنده مقال فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحلس بمعنى البساط وما أشبهه، يعني متواضع.

وتلقيب ابن خزيمة بإمام الأئمة هذا مشهور عنه، لأجل نشاطه في الرد على أهل البدع، وقوته على أهل البدع رحمه الله، إمام الأئمة في زمانه.أهـ

* * *

وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رضي الله عنه في الجواب عنها، كما تقدم. والله أعلم بالصواب.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا

= ومن المقرر في المصطلح أن الجرح مقدم على التعديل، وقد تبين من هذه الكلمات أن ضعفه بسبب وهمه، ومن الغريب أنه ليس هناك نقل عن إمام في توثيقه، وأحسن ما قيل فيه قول النسائي: «صالح» أفمثل هذا يرد نصوص الأئمة الجارحة ؟!

ثم وجدت للحديث علة أخرى، وهي المخالفة والإرسال، أشار إلى ذلك البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٩ـ هندية) ولا يتسع المجال لبيان ذلك هنا، فإلى «الضعيفة»(٥٤٤٤).أهـ ألباني

(١) قال شاكر: هو في كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة ص: ١٣٧ وإسناده صحيح، رواه من طريق سعيد بن منصور، عن الحارث بن عبيد الإيادي، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، وكلهم ثقات، تكلم بعضهم في «الحارث بن عبيد الإيادي» وهو «أبو قدامة الإيادي» بغير حجة، والراجح توثيقه، كما بينا في شرح المسند في حديث آخر: ٥٧٥٠ والحديث ذكره أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٧٥ وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح».أهـ

يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص.

وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأثر في عدد الأنبياء والمرسلين له طرق كما ذكرها الحافظ ابن كثير في التفسير، ولكن لا تخلو من مقال وضعف، ولا أعلم فيها طريقاً سليمة[1]. أهـ

* * *

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

---

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله: كم الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله: كم الرسل منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير» رواه ابن مردويه وغيره.

ورواه أحمد مقتصراً على ذِكر عدد الرُّسل ٥/ ١٧٨.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

وأما الإيمان بـ محمد ﷺ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا باب واسع، فإن ما أجمله الله أجملناه، وما فصله الله فصلناه، وما بينه بيناه وآمنا به مفصلا، وهذا في الملائكة وفي أسماء الله وصفاته وفي الكتب وفي الرسل وفي أخبار القيامة والجنة والنار، كلها على هذا الباب، ما جاء في النصوص من الآيات القرآنية وفي الأحاديث الصحيحة مفصلاً مسمى، آمنا به مفصلاً مسمى على حسب علمنا، وما لم يأت فيه ذلك آمنا به مجملاً، بأن لله أسماءً وصفات بيّن منها ما بيّن سبحانه وتعالى، ولله رسل ولله ملائكة ولله كتب بيّن منها ما بيّن، وما بينه آمنا به على التفصيل، كنوح وهود وموسى، والتوراة والإنجيل والزبور، وجبريل وميكائيل وإسرافيل، إلى غير ذلك، وما أجمل أجملناه، وهكذا أخبار الآخرة من الجنة والنار وما يكون في آخر الزمان، ما جاء مفصلاً في النصوص آمنا به مفصلاً، من الدجال وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وغير ذلك، وما

كان في الآخرة مما يتعلق في الحساب والجزاء والصراط، وأول زمرة تدخل الجنة وثاني زمرة، ووصف ما في الجنة ووصف ما في النار كله على حسب النصوص، لأن هذا ليس للعقل فيه مجال، بل هذا من علم الغيب، فما جاءت به النصوص آمنا به على ما جاء في النصوص، وما لا وكل إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد بين سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتب على الأنبياء ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الحديد:٢٥] ورد أنه أنزل عليهم الكتاب والميزان، وهكذا قوله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة:٢١٣] يعني جنس الكتاب، دل على أن الرسل والأنبياء معهم كتب، لكن تفصيلها إليه سبحانه وتعالى.أهـ

❊ ❊ ❊

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده، وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو.

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهي هدى وهي شفاء وهي رحمة، لمن وفق للأخذ بها والتمسك بها وعلاج ما في قلبه من الأمراض والشكوك والجهل، وعلاج ما في المجتمع من الشر والفساد، فهي شفاء لهؤلاء، أما من أعرض وأبى واستكبر، فهي عليه عمى، نعوذ بالله، كما أخبر جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:٤٤] فالمقصود أن الله جل وعلا جعلها شفاءً لمن اهتدى بها واستشفى بها وأقبل عليها وقبل ما فيها من الحق، فإن الله يهدي بها إلى الصراط المستقيم، ويشفي بها أمراض قلبه من الشكوك والأوهام والجهل والنفاق وغير هذا، ومن صد عنها وأعرض واستكبر عن ذلك فهي عليه عمى، فهي عليه شقاء، وعاقبته وخيمة، نسأل الله العافية. أهـ

* * *

قوله: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين).

ش: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل

ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا»[١] ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

والمراد بقوله: «أهل قبلتنا» من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ، وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وعند قوله: «والإسلام والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء» .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كما سيأتي فيه التفصيل، أهل السنة والجماعة، لهم في هذا قولان:

أحدهما: أن الإسلام والإيمان شيء واحد، سواء اجتمعا أو افترقا هما شيء واحد، فالإسلام هو الخضوع لله للأوامر الظاهرة، والإيمان الاعتقاد بالقلب والتصديق بالقلب، خلافاً لأهل النفاق.

وقال قوم من أهل السنة والجماعة: هما واحد إذا انفرد أحدهما عن الآخر، فهما واحد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] يعني والإيمان، ومن هذا الحديث الصحيح: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[٢] يعني والإسلام داخل فيه، أما إذا اجتمعا في نص فإن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو الأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل

---

(١) أخرجه البخاري في «الصلاة» من حديث أنس إلا أنه قال«له ما للمسلم وعليه ما على المسلم» وأخرجه أبو داود وغيره عنه بنحوه، وهو مخرج في الصحيحة (٣٠٣).أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٩) كتاب الإيمان / باب: أمور الإيمان، ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان/ باب: عدد شعب الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حين سأله عن الإسلام والإيمان، فسر له الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفسر له الإيمان بالأعمال الباطنة، فلا منافاة، فلا إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام، ولكن الإيمان أخص، وهكذا قصة الأعراب لما قالوا: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ قال الله: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤] فالإيمان أخص وأكمل، فكل مؤمن مسلم لا العكس، فالإسلام دائرته أوسع، يدخل فيه الفاسق والمبتدع الذي لم تخرجه بدعته إلى الكفر، ويدخل فيه المؤمن المستقيم، فالإيمان أخص، المؤمن عند الإطلاق هو الذي استكمل أداء الواجب وابتعد عن المحرم ولم يصر على معصية، فصار أخص، ويأتي تفصيله إن شاء الله على كلام المؤلف حين قال: «والإيمان واحد وأهله في أصله سواء».

وقوله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» المراد من دون الشرك، دون ما يسمى شركا، كسائر المعاصي والبدع، هذا قول أهل السنة في الجملة، مثل ما لو لم يزك أو لم يصل أو لم يصم، لكنه مؤمن بهذه الأمور، يكون عاصياً لا كافراً، أما الاستهزاء فهذا مضمونه التكذيب، المستهزئ في ضمن كلامه التكذيب، ولهذا يكفر عند الجميع، المستهزئ كافر عند الجميع، لأن استهزاءه يدل على مرض في قلبه وشك في قلبه، نسأل الله العافية، ولو لم يكن تكذيباً ولكن إضحاكاً لمن حوله، لأنه يدل على استخفافه في الدين، وأنه ليس عنده إيمان يردعه، نسأل الله العافية.أهـ

سؤال/ إذا كان مصراً على معاصيه هل يدخل في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣]؟

أجاب سماحة الشيخ: من وجه اتباع على الهوى، وليس كل من اتخذ إلهه هواه يكون كافراً، يكون عاصياً، فالزاني والسارق اتبع هواه، والمغتاب والنمام اتبع هواه، لكن اتباع الهوى أوسع من الشرك، كل مشرك قد اتبع هواه، وليس كل متبع هواه مشركاً شركاً أكبر، ومن يسلم من اتباع الهوى في الجملة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.أهـ

* * *

قوله: (ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذان الأصلان هما أصل كل كافر ومبتدع وفاسق، اتباع الهوى والظن، يحملهم على كفرهم وفسقهم وضلالهم اتباعهم الهوى واتباعهم الظن، فلا علم صحيح ولا قصد صحيح، فالعلم ظنون، والقصد مدخول باتباع الهوى، بخلاف الموحد المؤمن، فإنه يتبع الحق ولا ينقاد للهوى، بل يخلص لله وحده سبحانه وتعالى عن علم صحيح، لا عن جهل وهوى.أهـ

* * *

وعن أبي حنيفة رحمه الله، أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له حقيقة ذاتي ألزمته العطب، فاختر الأدب أو العطب.

ويشهد لهذا: أنه سبحانه لما كشف للجبل عن ذاته ساخ الجبل وتدكدك ولم يثبت على عظمة الذات، قال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني مراده التكلف والتنقيب عن أشياء ما ليس لك به علم، مثل ما وقع فيه نفاة القدر والمجبرة وأشباههم، يعني التوسع في الأقوال في ذات الرب وصفاته على غير دليل، يفضي إلى معاطب كثيرة، إما إلى الإلحاد والقول بوحدة الوجود، وإما إلى إنكار القدر، وإما إلى الجبر والعياذ بالله، وإما إلى ما هو شر من ذلك كالانسلاخ من الدين ـ نسأل الله العافية ـ والشك، فالواجب على المسلم التأدب بالآداب الشرعية، والوقوف مع النصوص، وعدم التوسع والدخول في أقوال ليس له فيها أساس ولا أصل، فترك ما لا يعلمه علم، وعدم الدخول في ما لا يعلمه علم، ولهذا قالوا في هذا الباب: أسماء الله وصفاته توقيفية ليس للعقل فيها مجال، فلا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله، ولا ننفي إلا ما نفاه الله ورسوله، وما سوى ذلك نقف ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] قال أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام لا يتجاوز القرآن والحديث» وروي هذا المعنى من كلام غيره، والوجه من ذلك أن العقل عاجز عن أن يعرف تفاصيل صفات الله عز وجل، لأنه لا مثل له ولا كفؤ له حتى يقاس على غيره، ومن لا مثل له فكيف تعلم صفاته بغير نص منه؟

فهذا الحق الذي لا ريب فيه، كما قال أهل السنة والجماعة، أن الواجب أن نقوم مع النصوص، والحذر من الخروج عنها في باب أسماء

الله وصفاته، كما أن الواجب في باب أسماء الإيمان والدين وباب التكفير هو الوقوف مع النصوص والحذر من تحكيم الآراء بغير حجة.

النصوص جاءت بما يوافق العقول الصحيحة السليمة والفطر الصحيحة، لكن تفاصيلها ليس للعقل فيها مجال، إنما يعرفونها جملة، أنه خلاق رزاق مدبر عالم إلى غير ذلك، لكن التفاصيل ليس له فيها قدرة، ولهذا ألف شيخ الإسلام كتاباً سماه: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، فالنقول الصحيحة موافقة للعقول الصحيحة والفطر السليمة، لكن ليس لها المجال في التفصيل، بل في الجملة، فهنا أسماء وصفات معلومة بالعقل والنص جميعاً، وهناك صفات لا مجال للعقل فيها، جنس الإيمان بوجود الله وأنه عليم بكل شيء، وأنه القادر على كل شيء، وأنه الخالق لهذا العالم وأشباهها، هذه أمور معلومة بالنقل والعقل جميعاً، لكن أمور أخرى مثل الضحك وما أشبه ذلك من النزول، إلى غير هذا من الصفات التي تحتاج إلى نقل.

يقول بعض السلف: لا أدري نصف العلم، لأن الأشياء قسمان: قسم تعلمه وقسم لا تعلمه، فصار الذي لا تعلمه نصف[1].أهـ

* * *

(١) ذكره بنحوه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٣) وعزاه لسعيد بن منصور ثم ساقه بسنده إلى الشعبي قال: قال ابن مسعود: «وإذا سأل أحدكم عما لا يعلم فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم» انتهى.
قال شاكر: نسبة الحديث لمسلم خطأ، إما من الشارح وإما من الناسخ، بل هو لفظ البخاري ٥١ـ٥٢ من فتح الباري، وقد نص الحافظ في الفتح في خاتمة كتاب الاستقراض ٥/ ٥٥ـ٥٦ على أنه لم يروه مسلم، وقد رواه أحمد في المسند بنحوه مطولاً ومختصراً ٣٧٢٤: ٣٩٠٧ـ٣٩٠٨ـ٣٩٩٢ـ٣٩٩٣ـ٤٣٢٢ـ٤٣٦٤.

وقوله: «ولا نماري في دين الله».

معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

قوله: (ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين).

ش: فقوله «ولا نجادل في القرآن» يحتمل أنه أراد: أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: «إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين» إلى آخر كلامه، ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق،و يشهد بصحة المعنى الثاني، ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «كلاكما محسن لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» رواه مسلم(١).

---

(١) صحيح، ولم يروه مسلم، بل تفرد به البخاري دونه، أخرجه في «الخصومات» و«الأنبياء» ومن الغريب تصدير الشارح إياه بقوله «روي» المشعر بضعفه في اصطلاح المحدثين! وهذا أمر تساهل فيه أكثر المتأخرين كما نبه عليه النووي وغيره.أهـ ألباني

قال شاكر: نسبة الحديث لمسلم خطأ، إما من الشارح وإما من الناسخ، بل هو لفظ البخاري ٥١-٥٢ من فتح الباري، وقد نص الحافظ في الفتح في خاتمة كتاب الاستقراض ٥/ ٥٥-٥٦ على أنه لم يروه مسلم، وقد رواه أحمد في المسند بنحوه مطولاً ومختصراً ٣٧٢٤:-٣٩٠٧-٣٩٠٨-٣٩٩٢-٣٩٩٣-٤٣٢٢-٤٣٦٤.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحق، لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى جاء أيضاً عن عمر مع هشام بن حكيم، وأبي بنِ كعب واختلافه مع الصحابة، بين لهم ﷺ أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وقال: «فاقرءوا ما تيسر منه ولا تختلفوا»(١) فحذرهم من الاختلاف، وأمر كل واحد أن يقرأ ما سمع من النبي ﷺ وما حفظه عن النبي ﷺ ولا ينازع أخاه، فكل حق، وقد تقدم شيء من الكلام فيما يتعلق بالإنزال على سبعة أحرف، وأن أهل العلم اختلفوا في ذلك، وأن أصح الأقوال وأولاها بالصواب أنها سبعة متقاربة في المعنى وإن اختلفت ألفاظها، فالمعاني متقاربة أو متحدة، والألفاظ مختلفة، مثل: جاء وأتى وما أشبه ذلك، ومثل: العليم الحكيم، الخبير العليم، العليم الخبير، وما أشبه ذلك من المعاني المتقاربة أو المتحدة، ثم جمعهم عثمان بعد ذلك على حرف واحد، حذراً من التنازع، وشكر أهل السنة له ذلك، وانتهى أمر هذا الاختلاف.

وقوله «روي» قد يقع حتى من غير الشارح، قد وقع للبخاري رحمه الله في كتاب الصحيح، يقول: يذكر عن النبي ﷺ ويروى عن النبي ﷺ، وهو موجود في كتاب الصحيح، قد يقع هذا وقد يحصل التساهل، وإن كان العرف المصطلح عليه أن «روي» و«يذكر» للضعيف أو لما يشك

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٢) كتاب فضائل القرآن/ باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨-٨٢٠) كتاب صلاة المسافرين/ باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، من حديث عمر رضي الله عنه.

فيه، لكن قد يقع، قد يستعمل بعض أهل العلم خلاف المعروف تسامحاً وتساهلاً. أهـ

* * *

ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه، لعثمان رضي الله عنه: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم، فجمع الناس على حرف واحد اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور، إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة، رخصة من الله تعالى، وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه، كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره، وأما ترتيب آيات السور فهو ترتيب منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية، بخلاف السور.

فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد ـ جمعهم الصحابة عليه، هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير وغيره:

منهم من يقول: إن الترخص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم، وهو أوفق لهم ـ: أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أن المصحف يشتمل على الأحرف السبعة لأنه لا يجوز أن يهمل شيء من الأحرف السبعة. وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني وترك ما سواه، وقد تقدمت الإشارة إلى الجواب، وهو: أن ذلك كان جائزاً لا واجباً، أو أنه صار منسوخاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أن الأحرف نزلت ليقرأ بها جوازاً لا وجوباً، ولهذا كان ﷺ إذا اختلف قارئان قال لكل واحد: «**أحسنت هكذا أنزلت**» حتى جرى ما جرى لبعض الناس من شبه الشك، كما جرى لأبيّ وغيره، فالمقصود أن الأحرف السبعة أنزلها الله ليقرأ بها المسلمون كتاب ربهم عز وجل، وهي لغات متقاربة، تختلف ألفاظها وتتحد معانيها أو تتقارب معانيها، ثم جمعهم عثمان رضي الله عنه بعدما استشار الصحابة في ذلك على حرف واحد، حتى لا يختلفوا.أهـ

❊ ❊ ❊

وأما من قال عن ابن مسعود إنه كان يجوز القراءة بالمعنى! فقد كذب عليه، وإنما قال: «قد نظرت إلى القرأة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم، وأقبل، وتعال، فاقرؤوا كما علمتم» أو كما قال[(١)].

والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الواجب من المناظرة، وأن يكون القصد إظهار الحق، لا إظهار الفهم والغلب، بل يكون القصد هو إظهار الحق وبيان ما جاءت به الرسل، وبذلك تتحد القلوب وتتقارب الأفهام ويتضح الحق لطالبه، أما إذا جاء العنف والشدة

---

(١) ذكره ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى ٤/ ٤١٥.

والظلم والبغي والقصد السيئ، فإن هذا من أسباب الاختلاف الدائم، ومن أسباب ضياع الحق وعماه على هؤلاء المتناظرين، لسوء القصد ولسوء الأسلوب، ولهذا قال عز وجل: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] وقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت:٤٦] فأهل الكتاب وهم كفرة اليهود والنصارى لا يجادلون إلا بالتي هي أحسن، فالمسلمون من باب أولى أن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، إذ القصد شيء واحد، وهو إظهار الحق وبيان أدلته، حتى يقبله المناظِر والمناظَر، وحتى تتحد الكلمة، وحتى يحصل التعاون على البر والتقوى، فالعنف لا محل له، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] ويقول جل وعلا لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٤] وهو قد بعثهما إلى أخبث الخلق.

وقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦] مكية محكمة لم تنسخ.

وقوله: «فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب» لأن فيهم من هو من أهل القبلة وهو شر من أهل الكتاب، كأهل البدع الذين كفروا ببدعتهم.أهـ

* * *

وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها، والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف،

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

وقوله: «ونشهد أنه كلام رب العالمين» قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً».

وقوله: «نزل به الروح الأمين» هو جبرائيل عليه السلام، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين، صلوات الله عليه، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجبرائيل حمل الوحي الذي فيه حياة العالم، حياة الثقلين، وحياة العالم بعد ذلك تبع لهما، فإن الله جعل وحيه المنزل حياة للأمم، حياة للقلوب وراحة لها وطمأنينة وسعادة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] فما دعا إليه الرسول ﷺ فيه الحياة وفيه السعادة لمن استجاب وقبل الحق واستقام عليه، قال سبحانه: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] فقبول الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فيه حياة من الموت، موت الجهل والكفر، وفيه النور من الظلمات، ظلمات الكفر والشرك والبدع والأهواء والمعاصي، فمن قبل هذا الوحي علماً وعملاً، حصلت له الحياة التي هي ضد الموت الذي عليه الكفار، وحصل له البصيرة والنور، ضد الجهل، وهذا المعنى في قوله جل وعلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ

تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] في هذه الآية الكريمة دلالة على أن ما أوحاه الله لنبيه ﷺ ورحم به هذه الأمة من الكتاب والسنة، روح ونور، روح تحصل به الحياة ضد الموت، ونور يحصل به النور، نور البصيرة، نور الهداية، فمن رزق العلم النافع والعمل الصالح في ما جاء به الكتاب والسنة، فقد رزق الحياة السعيدة، الحياة الطيبة، ورزق النور والبصيرة والهدى، الذي به يميز بين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد والهدى والضلال، وفي هذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧] وجدير بالعاقل من الثقلين، جدير به أن يُعنى بهذا الوحي، وأن يعض عليه بالنواجذ، وأن يلزمه علماً وعملاً ودعوة وصبراً، حتى يلقى ربه، ففي هذا تكون الحياة السعيدة، الحياة الكاملة، الحياة الطيبة، وفي علمه به وبصيرته فيه النور والهدى والبصيرة، ضد ما عليه أهل الجهل والأهواء، نسأل الله السلامة.أهـ

* * *

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وهذا وصف جبرائيل، بخلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ الآيات، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: «فعلمه سيد المرسلين» تصريح بتعليم جبرائيل إياه، إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً.

وقوله: «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين» تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة

كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: «ولا نخالف جماعة المسلمين» مجرى على إطلاقه، أنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة.

قوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).

ش: أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبيﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين».

يشير الشيخ رحمه الله [بهذا الكلام] إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه - في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم - على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في الأوقات التي يمكنهم فيها إظهار النفاق، كعبدالله بن أبي، مع كونه من أهل القبلة في

الظاهر، يتظاهر بالإسلام، والمقصود أن الإنسان لا يكفر أهل القبلة إلا من ظهر منه ما يدل على الكفر، من أظهر الإسلام والتمسك بالإسلام فإنه لا يكفر بمجرد المعاصي، إلا إذا ظهر منه ما يوجب التكفير، كسبه للدين، والجحد لما هو معلوم من الدين بالضرورة من واجب ومحرم وما أشبه ذلك، وإلا فالأصل ـ قاعدة ـ الأصل عدم تكفير المسلم الذي استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ووحد الله واتبع الرسول ﷺ، فالأصل عدم التكفير خلافاً للخوارج، ولو زنى وسرق، فإن الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من المعاصي تحت مشيئة الله، فلا يكفر بها، لكن الخوارج يكفرون بها، وخالفوا أهل السنة والجماعة، إذا قلنا: القاعدة عدم تكفير أهل القبلة بالذنوب؛ فمعنى ذلك أنا لا نكفر المسلم بالذنوب المعروفة، المعاصي، لكن متى ظهر منه ما يدل على التكفير، مثل جحده وجوب الصلاة، جحده وجوب الزكاة، بإجماع المسلمين، جحده وجوب الحج مع الاستطاعة، جحده شرعية الجهاد، جحده لوجوب صيام رمضان، جحده لتحريم الزنا، جحده لتحريم السرقة، هذه أمور مجمع عليها، ولو تظاهر بالإسلام، ولو صلى مع الناس وصام، فهو كافر عند الجميع، فمرادهم إذا أطلقوا فهو هذا، وهكذا إذا ترك الصلاة تهاوناً، على الخلاف في ذلك، منهم من جعل ذلك كفراً أكبر، وإن انتسب إلى الإسلام وإن ادعى أنه مسلم، كما لو سب الله ورسوله، كما لو استهان بالمصحف ولطخه بالنجاسة أو وطئ عليه أو جلس عليه، فهو كافر بالإجماع، وإن زعم أنه مسلم، فالحاصل أن هذه القاعدة: أنا لا نكفر أهل القبلة بذنب، هذا الأصل، لكن إذا كان الذنب يوجب التكفير كفرناه، وإنما أرادوا بهذا أن يخالفوا الخوارج والمعتزلة، لأن الخوارج كفروا بالذنوب، قالوا من زنا كفر ومن سرق كفر ومن عصى والديه كفر ومن أكل الربا كفر وما أشبه

ذلك، فأهل السنة خالفوهم في هذا، وقالوا هذه معاصٍ وليست كفراً، وصاحبها تحت المشيئة إذا مات عليها ولم يتب، والمعتزلة وافقوهم في هذا المعنى من جهة الآخرة، وقالوا إنه في الآخرة مخلد في النار كالكفار معهم، وفي الدنيا تورعوا عن تسميته كافراً، وقالوا: فاسق ومنزلة بين المنزلتين، فهم مع الخوارج في المعنى، وإن كانوا ليسوا معهم في الدنيا في الاسم، والله المستعان.

ومن سب الله ورسوله كافر عند الجميع، ردة، مرتد عن الإسلام، لكن يستتاب عند قوم من أهل العلم، يستتيبه ولي الأمر، فإن تاب قبلت منه التوبة مع التعزير، مع التأديب والتعزير على إقدامه على هذا المنكر، وبعض أهل العلم يقول: لا يستتاب، بل يقتل ولو تاب، لأن سبه كفر عظيم مغلظ.

وقد بسط الكلام في هذا أبوالعباس بن تيمية في «الصارم المسلول على شاتم الرسول» وأطال البحث في هذا، وذكر كلام أهل العلم، رحمة الله عليه.أهـ

* * *

وأيضاً: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً.

والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب السنة، بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾(١).

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ولهذا ـ والله أعلم ـ قيده الشيخ رحمه الله بقوله: «ما لم يستحله».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا التقييد سليم، لا يكفر من فعل الزنا إلا إذا استحل الزنا، ولا شرب الخمر إلا إذا استحله، ولا الربا إلا إذا استحله وهكذا، فمراده الرد على الخوارج، وقصده الذنوب التي دون الشرك، مثل المعاصي، فيحمل الكلام على أحسن الكلام، وإلا الكفر ذنب، يسمى ذنباً، لكن مراد المؤلف دون الشرك ما لم يستحله، فيحمل كلامه على أوضح الأمور وخيرها وأحسنها، كما هو معروف عند أهل العلم، والشرك لو فعله كفر ولو ما استحله، ولو قال قائل: إن ذنب الكفر وارد وداخل في هذه العبارة، لكنه غير مراد.

نكفر ببعض الذنوب لا بكلها، بعض الذنوب يكفر به، مثل ذنب الشرك، ذنب استحلال المعاصي، ذنب سب الله ورسوله، هذا ذنب يكفر به، وهناك ذنوب لا يكفر بها كالزنا والسرقة والربا ما لم يستحلها، أما المرجئة فهم في طرف ثانٍ، المرجئة ضد الخوارج، المرجئة يتساهلون، يقولون: ما دام على التوحيد لا تضره المعاصي، يدخل الجنة ولو مات

---

(١) الإبانة لابن بطة (٣٥٢) ٢/ ٤٣١، باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، والخلال في السنة (٤٧٤) ٥/ ٨٨٩ باب ما ذكر عن التابعين وغيرهم من الرد على القدرية، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٠.

على المعاصي، هذا من جهلهم وعدم معرفتهم بالنصوص، التوحيد أصل والإيمان أصل، لكن تضره المعاصي وتنقصه المعاصي، فيستحق النار إلا أن يعفو الله عنه، والخوارج فاتهم فضل التوحيد وفضل الإيمان، وأن الأصل جميعهم يدخلون في النار، فظنوا أن كل من عصى الله فقد كفر، عندهم لا يزيد الإيمان ولا ينقص، بل إما أن يوجد كله أو يذهب كله، ولهذا عندهم إذا زنى زال إيمانه، وإذا سرق زال إيمانه فانتقل إلى الكفر، وليس عندهم تبعيض، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإيمانهم وتوحيدهم بالله إذا زنا نقص وإذا سرق نقص وإذا أكل الربا نقص إيمانه، إذا عق والديه نقص إيمانه، إذا قطع رحمه نقص إيمانه، لكن ما يزول إيمانه، أما إذا جاء الشرك الأكبر زال الإيمان بالكلية، إذا استحل المعاصي زال الإيمان بالكلية، فرق بين قول أهل السنة وبين قول أهل البدع.

إذا فعل ما هو من أفعال الكفر فقد كفر، إلا إذا كان يجهل هذا مثلاً، كمن عاش في بلاد بعيدة عن الإسلام، وفي جاهلية بعيدة عن الإسلام، يبين له حتى يعرف الإسلام ويدعى إلى الإسلام.أهـ

❊ ❊ ❊

وفي قوله: «ما لم يستحله» إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية.

وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، إلا أن يضمن قوله:

«يستحله» بمعنى: يعتقده، أو نحو ذلك.

وقوله: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»... إلى آخر كلامه، رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان.

لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلام المعتزلة غير معقول، لأنه ما بينهما مرتبة، من خرج من الإيمان صار إلى الكفر، وهذا كلام ما له حظ، فهم في المعنى موافقون للخوارج، ولكن تستروا بهذا الكلام.أهـ

❊ ❊ ❊

وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار! وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك، والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه، وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ: «وأهل الكبائر في النار لا يخلدون،

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

إذا ماتوا وهم موحدون».

والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به ـ: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

وعن أبي يوسف رحمه الله، أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة، حتى اتفق رأيي ورأيه: أن من قال بخلق القرآن فهو كافر[(١)].

وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولهذا ذكر أبوداود في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد

---

(١) الذهبي في العلو (٤٠٩) ١/ ١٥٢ وعزاه لابن أبي حاتم، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٣.

يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبوهريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[١]. وهو حديث حسن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا بسبب الغلو في الإنكار والغيرة، ومثله حديث جندب بن عبدالله قال: «والله لا يغفر الله لك، فقال الله: **«من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك»** رواه مسلم[٢]، فالغيرة لها حدود، فليس لأحد أن يجزم أن الله لا يغفر لفلان أو لا يدخل الجنة، لأنه قد يتوب، لكن إذا قال: إن مات على هذا، إذا علق قوله إن مات على الكفر لا يغفر له، فهذا صحيح، إذا بين له الحق وإن دل على السبيل، وقيل له إنك إذا مت على هذا، هذا ردة وكفر لا تدخل الجنة بل تدخل معه النار، فقيد بالموت على

(١) حسن كما قال المؤلف رحمه الله تعالى، وفيه عكرمة بن عمار، احتج به مسلم، وفيه ضعف. أهـ ألباني

قال شاكر: هو الحديث ٤٩٠١ في سنن أبي داود، وأعله المنذري بعلي بن ثابت الجزري، زعم أنه ضعيف! تقليداً للأزدي، والحق أنه ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد وأبو داود وغيرهم. أهـ

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١) كتاب البر والصلة/ باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

هذا الأمر، أما أن يجزم بأنه لا يغفر له ولا يدخل الجنة، هذا غلط، لأنه قد يتوب، قد يرجع، قد يمن عليه الله بالتوبة.

إذا مات المشرك على شركه فهو إلى النار بإجماع المسلمين، ومن مات على الإيمان فهو إلى الجنة بإجماع المسلمين.أهـ

* * *

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم اذروني، ثم غفر الله له لخشيته[1] وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك.

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول في نفسه كفراً قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً.

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ليس على إطلاقه، إلا أن يقال: إذا أظهر الكفر دل على زندقته، فالمقصود أن من أظهر الكفر كفر مطلقاً.

قوله: «منافقاً زنديقاً» محل نظر، قد لا يكون زنديقاً ولا منافقاً، ولكن

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري وغيره.أهـ ألباني

قد يقع منه أشياء توجب الردة، وإن كان في نفس الأمر لم يكن زنديقاً ولا منافقاً سابقاً، لكن قد يكون يتساهل في بعض الأمور، أو يعبث في بعض الأمور ويلعب، فيقع منه شيء من أسباب الردة، ليس بشرط أن الكافر يكون في نفس الأمر زنديقاً وملحداً في الباطن، قد يكون تظاهر بالإسلام وليس عنده زندقة في الباطن، بل هو ظاهره وباطنه سواء على الإسلام، ولكن يقع منه بعد ذلك أشياء ما كان قبل ذلك يعتقدها، مثل سب الله أو سب رسوله عند أسباب تقتضي ذلك، أو الاستهزاء بالدين عند أسباب تقتضي ذلك، ولا يلزم من هذا أن يكون قبل هذا زنديقاً، قد يكون حدث له هذا الشيء لضعف إيمانه وقلة بصيرته ونحو ذلك، فيتساهل في الأمور الموجبة للردة.أهـ

* * *

وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: صنف: كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين.

وصنف: المؤمنون باطناً وظاهراً.

وصنف أقروا به ظاهراً لا باطناً، وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة.

وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر: أن رجلاً

كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه: عبدالله، وكان يلقب: حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه! ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنه، فو الله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ويحتج بهذا على تحريم لعن المعين، كما اختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، قالوا: العاصي المعين لا يلعن، مثل السارق وشارب الخمر، لكن لا بأس بلعنه على العموم، لعن الله السارق، لعن الله شارب الخمر، لعن الله الفاسقين، لعن الله الظالمين، أما فلان بن فلان بعينه فلا يلعن، لأنه قد يتوب ويتوب الله عليه، ولا ينبغي أن يلعن، بل يكفيه الحد الشرعي، ولهذا قال: «**لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله**»[1] قد يشرب الخمر، ولكن عنده إيمان، عنده حب، ولكنه بلي بهذه البلية، وصارت عادة ـ نسأل الله العافية ـ لا يتمالك نفسه منها، فلا ينبغي لعنه، ولكن يدعى له بالهداية، بخلاف اللعن العام، لعن العاصي، لعن الله السارق، لعن الله الراشي والمرتشي، وما أشبه ذلك.أهـ

* * *

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠) كتاب الحدود/ باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني انتسبوا.أهـ

* * *

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقولون: أخطأ فلان غلط فلان، ولا يقولون كفر فلان إلا على بصيرة.أهـ

* * *

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله، وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً، قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[(١)] متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٢)] و: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر ـ فقد باء بها أحدهما»[(٣)] متفق عليهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[(٤)]، وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث

(١) وهو في «الإيمان» من الصحيحين، وانظر «صحيح الجامع الصغير» (٣٥٨٩و٣٥٩٠).أهـ ألباني

(٢) أخرجه الشيخان، وهو مخرج في «غاية المرام» (٤٤٣).أهـ ألباني

(٣) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٤) قال شاكر: في المطبوعة «ابن عمرو» وهو خطأ، والحديثان من رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب، انظر للأول: البخاري ١٢/ ١٧٠و١٣/ ٢١ وللثاني: البخاري١٠/ ٤٢٨ ومسلم ١/ ٣٣ـ٣٤.أهـ

كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١] متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا غلط، بل هو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ولا يمنع أن يكون جاء من طريقين، وإن كان لا يضر، كلاهما إمام ثقة رضي الله عنهما، لا يضر كونه من حديث ابن عمر أو ابن عمرو، من حيث المعنى لا يضر، ولكن من حيث الفائدة.أهـ

* * *

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[٢] وقال ﷺ: «بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة»[٣] رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «بين المسلم وبين الكفر» الذي نحفظه «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»[٤] هذا الذي نحفظه في مسلم، والمعنى صحيح، بين المسلم الذي ظاهره الإسلام، وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، فإذا تركها خرج من الإسلام، وهذه حجة من قال بكفر تارك الصلاة وإن لم يجد وجوبها.

---

(١) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٢) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٣) أخرجه مسلم.أهـ ألباني

(٤) رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان/ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، وأبو داود (٤٥١٣) كتاب السنة/ باب في رد الإرجاء، والترمذي (٢٦٢٠) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في ترك الصلاة، من حديث جابر رضي الله عنه.

والذي يمكث الأشهر الطوال وهو لا يشاهد مع الجماعة ظاهره النفاق، فيُعَلَّم وينصح، لكن ظاهره النفاق، نسأل الله العافية، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»(١) ولا يكفر إلا إذا علم أنه لا يصلي، يعرفه أهله، يعرفه الناس الذين يسكنون معه، على كل حال ظاهره النفاق والشر، ويعلّم.

أما تأخير الصلاة عن وقتها فعلى خلاف بين أهل العلم في ذلك، إذا كانت تجمع إلى ما بعدها أو إلى ما قبلها وضاق الوقت يكفر، إذا كان تأخيره عن الأولى لا يكفر حتى يدخل وقت الأخيرة على أحد قولي العلماء، الظهر مع العصر، المغرب مع العشاء، وإذا تركهما جميعاً كفر، أما الذي عادته أن يصلي بعد طلوع الشمس ـ نسأل الله العافية ـ ظاهر كلام جمع كثير من أهل العلم أنه يكفر بذلك، إذا تعمد هذا.أهـ

* * *

وقال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الذي نعرفه من الحديث «وهي حائض»(٣) **«من أتى كاهناً أو أتى امرأة وهي حائض»**

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد/ باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٢) صحيح، وهو مخرج في «آداب الزفاف» ص٣١ط٣.أهـ ألباني.

(٣) رواه أبو داود بلفظ: «من أتى امرأته حائضاً أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ بما أنزل على محمد ﷺ» (٣٧٥٣) كتاب الطب/ باب في الكاهن، والترمذي بلفظ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (١٣٥) كتاب الطهارة/ باب ما جاء في كراهة إتيان الحائض، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولعله جمع بينهما «في دبرها» أو: «وهي حائض» لأني لا أذكر الآن «في دبرها».أهـ

* * *

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر»[١] رواه الحاكم بهذا اللفظ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: رواه الترمذي والحاكم بلفظ: «فقد كفر أو أشرك» ورواه أبوداود أيضاً، كلهم رووه بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما[٢].أهـ

* * *

وقال ﷺ: «ثنتان في أمتي بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت»[٣].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا أيضاً رواه مسلم بلفظ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر».أهـ

* * *

ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً

(١) صحيح، وتقدم الحديث.أهـ ألباني.

(٢) رواه أبو داود بلفظ «فقد أشرك» (٣١٢١) كتاب الأيمان والنذور/ باب في كراهية الحلف بالآباء. ورواه الترمذي (١٥٣٥) كتاب النذور/ باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١/ ٥٨) بلفظ «اثنتان في الناس..» والباقي مثله.أهـ ألباني

ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر!

وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ إلى أن قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الزاني: يعني البكر غير المحصن، الزاني البكر والقاذف والشارب وأشباههم لا يقتلون، وإنما يأدبون بالحدود، فلو كان العاصي كافراً لوجب أن يقتل، لقوله عليه الصلاة والسلام «من بدل دينه فاقتلوه»[1] فإن هذا يعم «من بدل دينه فاقتلوه» يعم جميع المرتدين، فلو كان العاصي مرتداً ـ كما تقوله الخوارج ـ لوجب قتله مطلقاً، ولكن مذهب الخوارج من أبطل الباطل، ولهذا قال

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢٢) كتاب استتابة المرتدين/ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

فيهم النبي ﷺ: «**إنهم شر الخلق والخليقة**»(١) وقال فيهم: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم**»(٢) وقال: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وقراءته إلى قراءتهم**»(٣) لغلوهم، يغلون فيها من شدة خشوعهم وإطالتهم لها، والسنة التأسي بالنبي ﷺ، لا يغلو، يتأسى بالنبي ﷺ في الصلاة، لا يكون غلو ولا جفاء، لا إطالة فيعطل الناس، ولا جفاء فيقصر فيها عن الحدِ.

فالحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة هو خلاف ما عليه المعتزلة والخوارج جميعاً، وأن مذهب أهل السنة والجماعة أن العاصي ناقص الإيمان ضعيف الإيمان، ولكن ليس بكافر كما تقوله الخوارج، وليس بمخلد في النار إذا مات على ذلك، كما تقوله الخوارج والمعتزلة جميعاً، ولكنه مسلم ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، مسلم فاسق تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه سبحانه وتعالى، وإن شاء عاقبه على قدر جريمته، ثم بعد ذلك مصيره إلى الجنة، إذا كان مات على الإسلام والإيمان، مات على أصل الدين، لم يجحد ما أوجب الله، ولم يستحل ما حرم الله.أهـ

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٧) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأبو داود (٤٥٩٧) كتاب السنة/ باب في قتال الخوارج، من حديث أبي سعيد وأنس رضي الله عنهما، وذكره البخاري تعليقاً: كتاب استتابة المرتدين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (١٠٦٦) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٩٣١) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، و(٦٩٣٣) كتاب استتابة المرتدين/ باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، ومسلم (١٠٦٥) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار»[1] أخرجاه في الصحيحين، فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المعروف أنه من أفراد البخاري، والمؤلف لفق بينه وبين حديث آخر، الحديث الآخر رواه مسلم «**المفلس من يأتي يوم القيامة بأعمال من صلاة وصوم، فيأتي وقد ضرب هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا، فيعطى هذا من حسناته ويعطى هذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من سيئاتهم فحمل عليه ثم طرح في النار**»[2] هذا في حديث المحاسبة، وحديث أبي هريرة المتقدم ليس فيه الزيادة هذه، والشارح لفق بينهما. أهـ.

* * *

وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تعدون المفلس فيكم»؟ قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: «المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ

(١) أخرجه البخاري في «المظالم» و«الرقاق» من حديث أبي هريرة، دون قوله: «ثم ألقي..» وكذلك رواه أحمد (٢/ ٤٣٥و٥٠٦) ولم أره في صحيح مسلم، وانظر «أحكام الجنائز» ص(٤).أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١) رواه مسلم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة ـ: تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافاً لفظياً، لا يترتب عليه فساد، وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، كفراً دون كفر؟

كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دون إيمان؟

وهذا اختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل هو قول وعمل يزيد وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافراً ـ ولا نطلق

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «الصحيحة» (٨٤٧). أهـ ألباني

عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة، وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها عن الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا، فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والقصد من هذا التوفيق بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين المرجئة في العمل، كأبي حنيفة ومن قال بقوله، والمؤلف ينتسب إلى الأحناف، وقول الأحناف في هذا أنه لا يزيد ولا ينقص من جهة العمل، ولكنه قول فقط وإقرار، وهذا في الحقيقة غلط، والجمهور قولهم هو الصواب، يزيد وينقص قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والكفر كفران كفر أكبر وكفر أصغر، وهكذا الظلم وهكذا الفسق، فليس مجازاً بل هو كفر حقيقة، لكنه كفر ناقص، كفر من سب والديه، كفر من تبرأ من والديه، كفر أصحاب النياحة والطعن في الأنساب، كفر دون كفر وظلم دون ظلم، ولهذا يضر عموم المعاصي أهل الإيمان وتنقص إيمانهم، خلافاً

للمرجئة، لكنها لا تجعل إيمانهم كالعدم كما تقوله الخوارج، لا، بل إيمانهم موجود، لكنه ناقص وضعيف، يستحق به الذنب ويستحق به الوعيد على هذه المعاصي، فالحاصل أن جمهور أهل السنة والجماعة يخالفون المرجئة في إخراجهم الأعمال من الإيمان، ويقولون إنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة، والخوارج والمعتزلة فارقوا أهل الإيمان عند الزيادة والنقص، والمرجئة ـ مرجئة الفقهاء ـ خالفوا أهل الإيمان والسنة بجعل العمل من الإيمان.

وقول: «الخلاف لفظي» ليس بجيد، بل هو خلاف مؤكد، خلاف معنوي ولفظي جميعاً، لأن أهل السنة والجماعة يقولون: العاصي ليس بكامل الإيمان، بل ناقص الإيمان، وعلى قول من أخرج العمل من الإيمان يكون إيمانه كاملاً، هذا القول من البدع.أهـ

سؤال/ أليس يقولون: إنه يعاقب في الآخرة، فيكون عاصياً؟

أجاب سماحة الشيخ: الظاهر والله أعلم أنهم يقولون بهذا، لأن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، يستحق العقاب من مات على الزنا، ومن مات على السرقة، ومن مات على القذف ولم يتب؛ لا ينبغي أن يقولوا خلاف ذلك، يعني مرجئة الفقهاء، وقد يقال: من هذه الحيثية إنه خُلف لفظي، ولكن بكل حال، فإن إخراج العمل من الإيمان ليس بالأمر السهل.أهـ

سؤال/ كيف يكون كامل الإيمان ويعذب؟

أجاب سماحة الشيخ: نوع من التناقض.أهـ

* * *

ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار، كالخوارج والمعتزلة، ولكن أراد ما في ذلك التعصب على من يضادهم، وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه، والتشنيع عليه! وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ الآية.

وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله -: فهذا كفر أكبر[1].

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر.

وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: وهذا مثل ما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوروبية، من رجال الأمم الإسلامية، ونسائها أيضاً! الذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها والذب عنها، وحكموا بها وأذاعوها، بما رُبُوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين أعداء الإسلام، ومنهم من يصرح، ومنهم من يتوارى، ويكادون يكونون سواء، فإنا لله وإنا إليه راجعون.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا التفصيل هو الحق والواجب عند أهل السنة والجماعة بما يتعلق بالحكم بغير ما أنزل الله، فإن الناس فيه أنواع:

النوع الأول: وهو شر الأقسام، أن يرى أن الحكم بما أنزل الله غير مناسب ويجوز تركه، ويرى أن الحاكم مخير، إن شاء حكم بالشرع وإن شاء حكم بغيره، فليس لازماً أن يحكم به، سواء قال: إن الشريعة أفضل، أو قال: إن الحكم بالقانون أفضل، أو قال: كلا الأمرين جائز، فهو ردة عن الإسلام وكفر أكبر.

إذا رأى أن الحكم بما أنزل الله ليس واجباً، وأن الناس مخيرون، إن شاءوا حكموا بما أنزل الله، وإن شاءوا حكموا بغير ما أنزل الله، هذا كفر وردة عن الإسلام مطلقاً، سواء فضل حكم الطاغوت، أو فضل حكم الشرع، أو جعلهما سواء، في أي الأقسام الثلاثة فهو كفر وردة عن الإسلام، لكونه جحد وجوب ما أنزل الله، وهذا الجحد يوجب الردة، فإن من قواعد الإسلام ومن أصول الإسلام، أن إنكار العبد لما أوجب الله مما علم من الدين بالضرورة، ومذهبه أنه ليس بواجب، أو استحلاله ما حرم الله مما علم من الدين بالضرورة أنه محرم كالزنا والسرقة ونحو ذلك؛ فإن هذا ردة بالإجماع، ومن نواقض الإسلام بالإجماع، ولابد أن يكون الحكم بما أنزل الله مما علم من الدين بالضرورة أنه واجب، وأنه لازم، لآيات وردت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

هذه الآيات وما جاء في معناها كلها واضحة في وجوب الحكم بما أنزل الله، فإذا جحده جاحد وأنكره منكر وقال: يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، وإن فضل الشريعة على ذلك، فإنه يكون بهذا جاحداً لهذا الأمر العظيم، ويكون منكراً لما أوجبه الله.

النوع الثاني: من عرف الحكم وأنه حق وأن الواجب الحكم به، ولكنه مال عن ذلك لشهوة أو رشوة ويعلم أنه عاص، وأنه قد فعل منكراً عظيماً، هذا له حكم أمثاله من أصحاب الكبائر، وقد وقع في كفر، كما سماه الله كفراً، ويسمى كفراً أصغر.

النوع الثالث: حكم بغير ما أنزل الله عن جهل، بعد اجتهاده وتحريه الحق وطلبه الحق واستقصى وسعه في طلب الحق، ولكنه صادف أن حكمه ما وافق الشرع بعد اجتهاده وحرصه وإخلاصه، فهذا له حكم أمثاله من المجتهدين المخطئين، ويكون له أجر الاجتهاد ويفوته أجر الصواب، لما ثبت في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر**».

هذا هو الحكم الفيصل في هذا المقام، الذي يجب المصير إليه عند أهل السنة والجماعة وعند أهل الحق.أهـ

سؤال/ النوع الثاني، في حادثة واحدة أو في جميع الأحكام؟

أجاب سماحة الشيخ: في حادثة أو في أحكام.أهـ

سؤال/ قولهم «كفراً مجازاً»؟

أجاب سماحة الشيخ: على طريقة أهل المجاز، يتوسع في تسميته كفراً، يجوز أن يسمى كفراً، ويجوز أن ينفى عنه الكفر، فإن أريد الكفر الأكبر نفي عنه، وإن أريد بالكفر الأصغر جاز أن يوصف به، المجاز عندهم ما يجوز نفيه، أو ما تجيزه اللغة وتتوسع به اللغة، على الخلاف في اصطلاح أهل المجاز.أهـ

سؤال/ هناك نوع الآن في العالم الإسلامي ليس واضحاً في أي الأقسام يكون، إنسان حاكم يصر على الحكم بغير ما أنزل الله في كل الأحكام، بل يشرّع غيرما أنزل الله، ويلزم الناس به ولا يتعرض هل يعتقد أن حكم الله كذا وكذا؟ لا يتعرض لهذا، لكن يلزم الناس بغير ما أنزل الله، والذي يعترض عليه يعاقبه، فهو لا يصرح بلسانه أنه لا يعتقد؟!

أجاب سماحة الشيخ: الأصل التفصيل، هذا هو الأصل، والذي يظهر من حالهم أنهم يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله، هذا الذي يظهر من حالهم، لكن الحكم عليهم بأن كفرهم كفر أكبر محل نظر، وإلا ظاهر حالهم استحلالهم، وظاهر حالهم وتصرفاتهم أنهم يرونه أولى، أو أنه ألزم أو ما أشبه ذلك، أو يتألفون به الناس بزعمهم، أو غير ذلك من الأشياء، فالذي يظهر من حالهم ـ والعياذ بالله ـ أنه كفر أكبر، هذا ظاهر من حالهم، لكن ما لم يصرحوا بذلك يجب التوقف، لأنه قد يكون الهوى ومراعاة أمور لسياستهم دعتهم إلى هذا، مع إيمانهم بقلوبهم أن هذا خطأ، وأنه خطأ ألجئوا إليه بزعمهم، نسأل الله السلامة.أهـ

سؤال/ هل يكون كالحكام الفسقة فقط، أو يكون من الكفر الظاهر؟

أجاب سماحته/ هذا لا شك فيه، الفسق والكفر الأصغر هذا لا شك

فيه، أما الكلام في: هل كفروا كفراً أكبر؟ هل هم مرتدون أم لا؟

هذا محل نظر، إذا لم يصرحوا بأنه جائز، لأن عملهم يقتضي ذلك، الأصل لزوم الأصل، ألا يكفروا إلا بعد المعرفة أنهم استجازوا واستحلوا.أهـ

سؤال/ قرائن الأحوال ما تكفي؟

أجاب سماحة الشيخ: قرائن الأحوال تقتضي أنهم يستجيزونه، لكن الحكم بالردة أمر وراء ذلك.أهـ

سؤال/ مسألة أخرى: إذا لم نحكم عليه بالكفر، ألا يجوز أن نعتبر هذا من الكفر البواح الذي يرى «إلا أن تروا كفراً بواحاً» ولذلك يقتضي الخروج عليهم؟

ما حكمنا عليه هو بالكفر، لكن هذا الذي رأيناه كفراً، وهو مصر عليه، ألا يكون هذا سبباً للخروج عليه، سواء قلنا إنه كافر بقلبه أو لم نقل؟

أجاب سماحة الشيخ: ظاهر كلام كثير من أهل العلم أن مثل هذا إذا كان فيه قوة قادرة ودولة قادرة تستطيع أن تلزمه وأن تقاتله على ذلك فلهم ذلك، حتى لو كانوا دون هذا الشيء، لو كان لهم قوة قادرة تستطيع إلزامهم بهذا الشيء، إما أن تلتزم بهذا الشيء وإلا قاتلناك، هذا ذكره الشيخ تقي الدين ابن تيمية، إجماع أهل العلم على هذا، إذا وجد دولة لا تحكّم الشريعة أو لا تمنع الخمر أو لا تمنع الربا أو لا تمنع كذا أو لا تمنع كذا؛ وجب على الدولة الإسلامية أن تلزمها بهذا الشيء، وأن تقاتلها إذا أصرت وأبت.أهـ

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله» مخالفة المرجئة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لعلها للمرجئة، يعني مخالف في هذا، لا يضر مع الإيمان ذنب، يضر مع الإيمان الذنب، يوجب الوعيد ويوجب الخطر، وينقص الإيمان ويضعف الإيمان، فوجود اللام أظهر للمعنى. أهـ

* * *

وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن عبدالله[1] شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: أخطأت استك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر.

---

(١) قال شاكر: والصواب (قدامة بن مظعون) كما في سير أعلام النبلاء ١/ ١٦١، والإصابة ٣/ ٢٢٨.ن.أهـ

قال الذهبي: لقدامة هجرة إلى الحبشة، وقد شرب مرة الخمر متأولاً مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾، فحده عمر وعزله عن البحرين. انتهى من سير أعلام النبلاء ١/ ١٦١ «قدامة بن مظعون». وروى عبد الرزاق عن أيوب بن تيمية يقول: «لم يحد في الخمر أحد من أهل بدر إلا قدامة بن مظعون» انتهى، المصنف (١٧٠٧٥) ٩/ ٢٤٠ باب من حد من أصحاب النبي ﷺ.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية، بين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس.

ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطأوا وأيسوا من التوبة، فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟

وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن المستحل للحرام يكفر بذلك، أما من فعلها غير مستحل فيقام عليه الحد، من شرب الخمر غير مستحل أقيم عليه حدها، وهكذا السرقة والقذف وأشباه ذلك، ومن فعلها مستحلاً ارتد وقتل قتل المرتدين، إذا علم من الدين بالضرورة أنه محرم لا نزاع فيه، فقدامة وأصحابه ظنوا أنهم إذا اتقوا وآمنوا كما ظن المرجئة، أنهم لا يضرهم ذنب، فأجمع الصحابة على أن هذا خطأ، بل يضرهم الذنب، تضرهم المعاصي وتضعفهم إيمانهم، وأن الإيمان يمنع من ذلك، فإن العبد إذا آمن واتقى منعه إيمانه من المعاصي، والآية ليست فيما ذهبوا إليه، ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾ [المائدة:٩٣] هي في الذين أصابوا هذا قبل

التحريم، فهم لا يضرهم ذلك لأنهم كانوا من المتقين، وفعلوا ذلك على أنه مباح، أما من فعله بعد التحريم؛ فإن هذا لا يكون مباحاً له، ولا يكون من المتقين المؤمنين، بل من ناقصي الإيمان ومن ضعيفي التقوى، إذ لو قوي إيمانه واستقام على دينه لامتنع، ولهذا حكم الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر، حكموا عليهم بأنهم إن رجعوا عن استحلالها جلدوا حد الخمر، وإن أصروا على استحلالها قتلوا قتل المرتدين، ثم أصيبوا بعد ذلك باستعظام الأمر، وعرفوا بأنهم وقعوا في أمر عظيم، فصاروا خائفين من عدم قبول توبتهم، فلهذا كتب عمر إلى قدامة وقال: ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟

فالواجب عدم غشيان المحرم، والوقوف عند حدود الله، ثم إذا وقع في المحرم أن لا ييأس، بل يبادر إلى التوبة، ويضرع إلى الله في قبولها، ولا ييأس ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:٨٧] ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].أهـ

* * *

قوله: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم).

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ ومدح أهل الخوف،

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف الطحاوي رحمه الله هو قول أهل السنة والجماعة، فيرجون للمحسنين ولا يشهدون لهم بالجنة، ولكنهم يرجون لهم الخير، ويعتقدون فيهم الخير، ولا يأمنون عليهم، بل يخافون عليهم من شر اللسان وشر الجوارح وشر المعاصي، وهم يشهدون لهم بالخير، ويرجون لهم الخير، ولكن لا يشهدون لهم بالجنة، ويخافون عليهم من مغبة الذنوب.

وأما العصاة فهم أيضاً لا يشهدون لهم بالنار، ولكنهم يخافون عليهم من النار لسوء أعمالهم، ولا يخلدونهم، بل يخافون عليهم من سوء الأعمال، هكذا أهل الحق يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، لا يأمنون على المؤمن، ولا يقنطون المسيء، ولا يشهدون لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له الله أو رسوله، لكن يشهدون بأن المؤمن في الجنة على الإطلاق، وأن الكفار في النار على الإطلاق، من مات على الإيمان فهو من أهل الجنة، ومن مات على الكفر والنفاق فهو من أهل النار في الجملة، أما فلان بن فلان فهذا هو محل التوقف، فمن كان ظاهره الخير يرجى له الخير، ولكن لا يأمنون عليه، قد يضل، قد ينتكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهم لا يشهدون له بالجنة قطعاً، بل يرجون له الجنة، وكذلك العاصي يخافون عليه النار، ولا يقنطونه ولا يشهدون له بالنار، فقد يتوب ويهديه الله ويرجع ولو كان كافراً، لكن من مات على الكفر فله

النار، ومن مات على الإيمان فله الجنة، من حيث الإجمال.أهـ

❊ ❊ ❊

وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»[1].

قال الحسن رضي الله عنه: عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشيةً، والمنافق جمع إساءة وأمناً. انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا يبين لنا أن الرجاء له أسباب، أما زعم الرجاء مع تخلف الأسباب فهو غرور، خديعة من الشيطان، نسأل الله السلامة، فالذي يرجو يعمل، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:١١٠] الراجي يعمل والخائف يعمل، فرجاء وخوف بدون عمل دعوى كاذبة، بل هو غرور وخديعة من الشيطان، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ

---

(١) حديث حسن، وقد خرجته في «الأحاديث الصحيحة» (١٦٢).أهـ ألباني

وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل الرحمة معلقة بهذه الأعمال، فالرحمة والرجاء والخوف كل ذلك يقتضي عملاً، مثل ما في آية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦١] فهذا يوجب للمؤمن ألا يخدع من النفس الأمارة بالسوء، أو من جلساء السوء أو من الشيطان، لأن مجرد كونه مسلماً، أو مجرد كونه موحداً، أو مجرد أنه يقول لا إله إلا الله، ممن لا يخاف عليه أو لم يعرف الرجاء الحقيقي، وهو مفرط مضيع لأمر الله راكب محارم الله؛ فهذا على خطر عظيم، فلينظر، قد يكون رجاؤه باطلاً، وقد يكون رجاؤه ضعيفاً، وهكذا الخوف الحقيقي ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] فالخوف الحقيقي يقتضي العمل، ولهذا وعد الله الخائفين بالجنة ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢] فعلق بالخشية المغفرة والأجر في الجنة، فلو كانت الخشية مجرد خشية ما معها عمل، ما علق عليها المغفرة والأجر، فدل ذلك على أن الخشية لها ثمرة، والرجاء له ثمرة، فالراجي حقيقة يعمل، والخائف حقيقة يعمل، وما لا فلا. أهـ

* * *

فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته وثوابه وكرامته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحكمة غير الشرع، الحكمة شيء والشرع شيء، الحكمة العلة، والشرع ما شرعه الله، والقدر

ما قدره الله، والحكمة علة الشرع وعلة القدر، شرع الصلاة لكذا، فهو غير الحكمة، شرع الزكاة لكذا، قدر الشمس خلقها كذا، قدر الأمطار بكذا، قدر الرياح بكذا، قدر الأعمال السيئة بكذا، فالشرع شيء والحكمة شيء، والشرع والقدر شيء ثان. أهـ

* * *

ولو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض -: لعده الناس من أسفه السفهاء!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ليس من أسفه السفهاء، بل يعد مجنوناً، يعد من المجانين، يعد ممن لا عقل له، عنده أرض يرجو منها كذا وكذا من الغلات، وهو لم يحرث ولم يزرع ولم يوصل الماء إليها !! ما يفعله إلا مسلوب العقل. أهـ

* * *

وكذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك. فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا يجوز حسن الظن والرجاء مع التفريط،

إذا ساء فعل العبد ساءت ظنونه

إذا ساء الفعل ساءت الظنون، وإنما يقع حسن الظن في العاقبة

وطيب الظن وراحة النفس وراحة الضمير عند حسن العمل. أهـ

* * *

ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً: أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير، مخافة الفوات، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ فالمشرك لا ترجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الآية الكريمة من الآيات المحكمات، التي بين الله سبحانه فيها حكم الشرك وحكم ما دونه من المعاصي، بياناً واضحاً شافياً، فحكم على المشرك إذا مات على شركه أنه لا يغفر له، وعلق ما دون ذلك على المشيئة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] يعني إذا مات على هذا، بإجماع أهل العلم، ثم قال: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨] فهنا خصص وعلق، خصص الشرك بعدم المغفرة، وعلق ما دونه بالمشيئة، وفي آية الزمر عمم وأطلق، فقال سبحانه: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣] هنا أطلق ولم يستثن شيئاً ولم يقيد، فدل ذلك على أنه أراد بهذا التائبين، كما أجمع على هذا علماء التفسير، أنها في التائبين، فإن الله يغفر ذنوبهم جميعاً، الشرك وما دونه، من تاب إلى الله من ذنبه تاب عليه مطلقاً، سواء كان شركاً أم دونه، ولهذا أطلق في الآية الكريمة آية الزمر، وعمم بالمغفرة وحذر من القنوط، فدل ذلك على أن من تاب تاب الله عليه من أي ذنب، وإن لم تقبل توبته في الدنيا حكما، فإنها مقبولة عند الله إذا كان صادقاً، فقد يقتل ساب الدين وساب الرسول ﷺ حكماً، ولو قال إنه تائب، كما هو قول جمع من أهل العلم، ولكنه في نفس الأمر إذا كان صادقاً فتوبته مقبولة، لأن هذه النصوص دالة على أن كل تائب تقبل توبته، ومن ذلك قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً بغير حق ثم قتل راهباً وتمم به المائة لما أفتاه أنه لا توبة له، ثم سأل بعض علماء وقته فأفتاه بأن له توبة، وأمره أن يهاجر إلى بلاد صالحة، ويترك بلاده لأنها بلاد سوء، وهاجر ومات في أثناء الطريق، فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فبعث الله إليهم ملكاً يحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين البلدتين، فقيس ما بينهما، فإذا هو أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة(١)، فهو أقبل على الله بقلبه وقالبه تائباً، فقبل الله توبته، والمقصود أن التوبة الصادقة المشتملة على الشروط المطلوبة من الندم والإقلاع والعزم الصادق على عدم العود، يمحو الله بها الخطايا من الشرك وما دونه، فلا ينبغي لعاقل بل لا يجوز له أبداً أن يقنط، ما دام في قيد الحياة فباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها، فليبادر بالتوبة ولو عظمت الذنوب، فعفو الله أعظم،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب:. ومسلم (٢٧٦٦) كتاب الرقاق/ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فمن تاب تاب عليه، ومن أقبل عليه أقبل عليه سبحانه وتعالى، ومن صدق في توبته وعمله نجح غاية النجاح، وإنما المصيبة العظيمة الإصرار على الذنوب والبقاء عليها، نسأل الله العافية. أهـ

❊ ❊ ❊

وفي معجم الطبراني: «**الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك بالله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ وديوان لا يترك الله منه شيئاً، مظالم العباد بعضهم بعضاً، وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه**»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الثالث تحت المشيئة، والوسط كل يعطى حقه إلا أن يسمح ويعفو، وقد يعوض الله المظلوم عن حقه بثواب عظيم وخير كثير عن الظالم إذا صدق الظالم في التوبة، إذا صدق واستقام أمره وبذل وسعه في إيصال الحق إلى أهله، فإن الله جل وعلا يتحمل عنه ويرضي خصمه، بسبب صدقه في التوبة وحرصه على أداء الحق، وأما الديوان الأول فهو في الهلكة، وهو الشرك الذي لا يغفر الله منه شيئاً، فمن مات عليه فقد يئس منه، وقد صار إلى النار مخلداً فيها أبد الآباد، لا رجاء له، نسأل الله العافية ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان:٢٣] نسأل الله العافية، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بأن الذنوب تحت المشيئة، فليحرص وليحذر من

(١) ضعيف، ولم يروه الطبراني بل أحمد (٦/ ٢٤٠) والحاكم (٤/ ٥٧٥-٢٧٦) وقال «صحيح الإسناد» ! ورده الذهبي بقوله: «قلت: صدقة، ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة».أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإصرار، وليبادر بالتوبة أيضاً ولو كانت دون الشرك، فكم من عاصٍ دخل النار، وكم من عاصٍ أصابه من شرها وبلائها ما أصابه بسبب عدم توبته، وقد تواطأت الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أن كثيراً من العصاة يدخلون النار ويحترقون فيها ـ نسأل الله العافية ـ وأنهم يخرجون قد امتحشوا، قد احترقوا، فيلقون في روض يقال له نهر الحياة[(١)]، فجدير بالعاقل أن لا يغتر بعفو الله وتعليقه المغفرة بالمشيئة، فإن الأمر عظيم، ومن لك أن يغفر لك؟ من لك أنك من المغفور لهم؟ من لك أنك ممن يعفى عنه؟ وأنت تعلم أن هناك جماً غفيراً يدخلون النار بذنوبهم، ويشفع فيهم الشفعاء، فيخرجون في أوجه محدودة، حتى النبي محمد ﷺ يشفع في جم غفير ويحد الله له حداً، يشفع أربع شفاعات، يحد الله له في كل شفاعة حداً محدوداً، يخرجهم من النار ممن مات على التوحيد والإيمان، لكنه دخلها بذنوب ومعاصٍ مات عليها، لم يتب، وهكذا شفاعة غيره، ثم يبقى بقية في النار من أهل التوحيد، يخرجهم الله من النار بعد ذلك برحمته سبحانه وتعالى.

فجدير بالعاقل، جدير بمن يخاف الله أن يكون أبداً على توبة، وأن يحذر الإصرار أبداً، وأن يكون دائماً يحاسب نفسه ويتعاهد أعماله ويبادر بالتوبة، ويسأل الله الثبات على الخير والهدى، ولا يغتر بعفو الله ومغفرته، ولا يغتر بإمهاله، فربما أصر على معصيته فجرته إلى معاصٍ أخرى، ثم جرته إلى سوء الختام، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ

* * *

وقد اختلفت عبارات العلماء في الفرق بين الكبائر والصغائر،

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقد تقدم.

وستأتي الإشارة إلى ذلك عند قول الشيخ رحمه الله: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون» ولكن ثم أمر ينبغي التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقرن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

وأيضاً: فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ وغيرها.

والتوبة النصوح، وهي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟

والصحيح أنها تقبل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب مثل ما قال المؤلف، أن التوبة تتبعض، وتصح من ذنب دون ذنب، فلو كان عنده ذنب السرقة وذنب الزنا وذنب الخمر، فتاب من أحدها توبة صادقة، بقي عليه الذنب الثاني والثالث وهكذا، صحت توبته مما تاب منه بالندم والإقلاع والعزم أن لا يعود فيه، وبقيت عليه تبعة الذنوب الأخرى. أهـ

* * *

وهل يجب الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لم يتب منها؟ أم لا بد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلا، هل يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنا وشرب الخمر؟ أم لا بد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟

وهذا هو الأصح: أنه لا بد من التوبة مع الإسلام،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف هو الصواب، أن الإسلام يجب ما قبله إذا أحسن في الإسلام، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، فإذا أحسن في الإسلام وتاب توبة صادقة من جميع الذنوب صار إسلامه خاتماً لجميع الذنوب، أما لو تاب من الشرك لكن بقي على شرب الخمر، فإنه يؤخذ بالأول والآخر، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، قال: «**فإن لم يحسن إسلامه أخذ بالأول والآخر**»(١). أهـ

* * *

وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها - مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ الآية.

---

(١) رواه مسلم (١٢٠) كتاب الإيمان/ باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية؟ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لكن الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكره وحده دخلت معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

ونظير هذا: الفقير والمسكين، إذا ذكر أحد اللفظين شمل الآخر، وإذا ذكرا معا كان لكل منهما معنى، قال تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لا خلاف أن كل واحد من الاسمين في هذه الآيات لما أفرد شمل المقل والمعدم، ولما قرن أحدهما بالآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية -: كان المراد بأحدهما المقل، والآخر المعدم، على خلاف فيه، وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان.

ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معا كان لكل منهما معنى، وكذلك الإيمان والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه، إن شاء الله تعالى.

السبب الثالث: الحسنات: فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراته وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ

ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا الباب قوله جل وعلا: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢] فبين أن التوبة من أسباب المغفرة، ثم الإيمان والعمل الصالح بعد ذلك، فالعمل الصالح له آثار صالحة في تكفير السيئات وحط الخطايا فينبغي للمؤمن مع التوبة الصادقة والندم أن يستكثر من الحسنات أيضاً ومن الأعمال الصالحات، فإنه يجمع أسباباً إلى أسباب، ولعل الله ينفعه بذلك. أهـ

* * *

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه»[(٢)] وفي المسند: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال أبوبكر: يا رسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءً؟

فقال: «يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»[(٣)].

---

(١) حديث حسن، وهو مخرج في «الروض النضير» (٨٥٥).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا.أهـ ألباني

(٣) ضعيف الإسناد، صحيح المعنى، قال أحمد شاكر في تعليقه هنا:

حديث أبي بكر هذا في المسند برقم ٦٨ بشرحنا، ولكن أوله هناك، أن أبا بكر قال: «يا رسول الله: كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟.. فكل سوء عملناه جزينا به ؟» ليس فيه قوله هنا «نزلت قاصمة الظهر..» وهو حديث ضعيف، إسناده منقطع، وكان الأجدر بالشارح أن يذكر حديث =

فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يثاب العبد، وبالسخط يأثم، والصبر والسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير، أو فضلاً من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم، وكثيراً ما يفهم من الأجر غفران الذنوب، وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصبر والرضا عملان صالحان، فبصبر العبد على المصيبة ورضاه يحصل له ما وعده الله من التكفير، يحصل له أجر عظيم من الدرجات الرفيعة والثواب الجزيل على صبره واحتسابه ورضاه، وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أنه أيضاً قد يؤجر على مسألة المصائب مع الكفارات أو العفو منه سبحانه وتعالى، قد تكون المصيبة أيضاً من أسباب رفع درجاته زيادة على تكفير

= أبي هريرة في المسند (٧٣٨٠) أنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «قاربوا وسددوا، فكل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها» وهو حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٢٨٢) وزاد في آخره: «والشوكة يشاكها» ولو رجع الشارح رحمه الله إلى تفسير شيخه ابن كثير في هذه الآية (٢/ ٨٥٦ ـ ٥٩٠) لوجد حديث أبي هريرة وأحاديث أخر في معناه، بعضها أصح إسناداً من حديث أبي بكر.

قلت: وهو في «مسند أبي بكر الصديق» للحافظ أبي بكر المروزي (رقم٢٠و١١١) طبع المكتب الإسلامي، تحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط من طريقين ضعيفين عن الصديق رضي الله عنه. أهـ ألباني

السيئات، ما أصاب العبد من مرض ومن نصب أو جوع وما أشبه ذلك هي أسباب، أسبابها فعل العبد، والمقدر هو الله سبحانه وتعالى. أهـ

سؤال/ إذا أصيب بمصيبة فلم يصبر، هل يؤجر؟

أجاب سماحته/ إذا جزع: لا، متوعد «ومن سخط فله السخط»[(١)] لكن لا يمنع ذلك من كونها قد تكفر السيئات مع جزعه، ولا يحصل له الأجر الذي يعطيه الله للصابرين، وأما في نفسها فهي مكفرة. أهـ

* * *

السبب الخامس: عذاب القبر، وسيأتي الكلام عليه، إن شاء الله تعالى.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقة أو قراءة أو حج، ونحو ذلك، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقد تقدم.

(٢) هو من طرف من حديث أخرجه البخاري في «المظالم» و«الرقاق» وأحمد (٣/ ١٣ و٦٣ و٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولم أره في صحيح مسلم، ولا عزاه السيوطي إليه. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني المقاصة بين المؤمنين لإزالة ما بقي من أذى، يقتص لبعضهم من بعض، هذا يتسامح وهذا يتسامح، أو يرضيهم الله بأشياء تدعو للتسامح، فالمقصود هو المقاصة بينهم على ما بينهم من أشياء في النفوس لم تزل قبل ذلك، بعدما يجوزون الصراط إلى الجنة، هذا لأهل الإيمان خاصة، بعد الجواز على الصراط. أهـ

* * *

السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من لم يحصل على شيء من هذه الأسباب يطهر به ويزول به خبث السيئات؛ ما بقي في حقه حينئذ إلا أن يدخل النار، الكير، حتى يطهر ويمحص من بقية سيئاته، ثم بعد ذلك يخرج إلى الجنة، كما جاءت به الأحاديث وتواترت به السنة عن النبي ﷺ أن أناسا يدخلون النار بمعاصيهم ثم يخرجون منها بعد ذلك، بعدما يحترقون، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في

---

(١) متفق عليه. أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حميل السيل[١]، ولا يبقى في النار إلا أهلها وهم الكفار يخلدون فيها أبد الآباد، نعوذ بالله، أما من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فهذا وما أشبهه لا يخلد، بل بعد ما يطهر ويمحص ويزول خبثه يخرج من النار، نسأل الله السلامة، وهذا في حق الذين لم يتوبوا، ماتوا على المعاصي ولم يتوبوا، وقد تزول آثار ذنوبهم بغير التوبة، من الدعاء والاستغفار، من المصائب، الأعمال الصالحات، شفاعة الشفعاء، دعاء المؤمنين، الصدقات، إلى غير هذا، وجاء في الأحاديث الصحيحة أنه إذا شفع الشفعاء يقول الله جل وعلا: «**شفع النبيون، شفع المؤمنون، شفعت الملائكة، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج الله من النار أقواماً لم يفعلوا خيراً قط**»[٢] إلا أنهم ماتوا على التوحيد، إلا أنهم ماتوا وهم يقولون لا إله إلا الله، قد وحدوا الله وأخلصوا له، ولكن ابتلوا بسيئات ومعاصٍ أضعفت هذا الإخلاص وهذا التوحيد، حتى استحقوا بها دخول النار، نسأل الله العافية.

وبالنسبة للتخليد في حق قاتل المؤمن، فالخلود خلودان: خلود دائم، هذا للكفار، وخلود مؤقت، هذا المقصود في حق القاتل والزاني ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٩] الزاني والقاتل، وقصة الذي قتل نفسه كذلك ذكر فيه الخلود، فهو خلود مؤقت له نهاية، بخلاف خلود الكفار فلا نهاية له، والعرب تعرف هذا، تطلق الخلود على الشيء الطويل، أقاموا فأخلدوا، يعني أطالوا الإقامة. أهـ

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٦٠) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨٥) كتاب الإيمان/ باب إثبات الشفاعة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد ومسلم، وقد تقدم.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف عليهم.

قوله: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «ينقلان عن ملة الإسلام» محل نظر، والشارح ما نبه على هذا، فإن قوله: «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام» غلط، هما كبيرتان من كبائر الذنوب ولا ينقلان، فإن الخوارج غلب عليهم الخوف فكفّروا بالذنوب، والمرجئة غلب عليهم الرجاء فأمنوا مكر الله، فالقنوط واليأس والأمن من مكر الله كلاهما من كبائر الذنوب، فلا ينقلان من ملة الإسلام، ولكن صاحبهما على شفا جرف، على خطر عظيم من دخول النار، لضعف إيمانه بقنوطه، ولضعف إيمانه بأمنه، وسبيل الحق بين الطريقين، سبيل الحق بين الأمن والقنوط، هذا سبيل أهل الحق، سبيل الرسل وأتباعهم، لا قنوط ولا أمن، ولكن رجاء وخوف، رجاء ليس معه أمن، وخوف ليس معه قنوط، فمن قنط أو أمن فقد أتى كبيرة من الكبائر، وأتى خطراً عظيماً، ولكنه لا يكفر بذلك وينتقل من الملة، ملة الإسلام، بل يكون ظالماً لنفسه، قد أتى كبيرة عظيمة يجب أن يتوب إلى الله منها، فالرجاء الصادق يحمل على فعل الخير والمسارعة إليه، والخوف الصادق المحمود يحمل على الحذر من الشر والبعد منه، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩] وقال سبحانه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:١١٠]

فالرجاء يحمل على العمل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٧١] فالرحمة لأهل العمل الصالح، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢١٨] فجعلهم راجين لمّا عملوا، فدل ذلك على أن الرجاء يدعو إلى العمل، الرجاء المحمود، لا إلى أمن مكر الله وارتكاب محارم الله، وهكذا الخوف المحمود يدعو إلى الجد والنشاط في طاعة الله ورسوله، والحذر من محارم الله، لا إلى القنوط واليأس، ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر:٥٦].

والمقام يحتاج إلى مزيد عناية، والمعروف من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهما كبيرتان، وأن الضلال هنا والكفر هنا ليس هو الكفر الأكبر والضلال الأكبر، فليتأمل، والمؤلف أعرض عن هذا. أهـ

سؤال/ إذا وصل قنوطه إلى درجة أن قال: إن الله لن يدخله الجنة وأنه سيدخل النار، أو وصل الرجاء إلى درجة أيقن معه أنه سيدخل الجنة، كل هذا لا يخرجه عن الملة؟

أجاب سماحة الشيخ: فيه نظر، لأن الإنسان قد يكون موحداً مسلماً، ولكن اشتد معه الخوف بسبب ما تعاطى من الزنا أو شرب الخمر، فحمله ذلك على أن قال أنه لا يدخل الجنة، وأنه من أهل النار، مثل ما جرى لثابت بن قيس لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢] لزم بيته وقال: هو من أهل النار، إنه يرفع صوته على رسول

الله، فبعث إليه النبي ﷺ وقال: «**إنه ليس من أهل النار ولكنه من أهل الجنة**»(١) قد يقع على الإنسان في نفسه يأس شديد بسبب أعماله السيئة، وقد يقع في نفسه أمن بسبب ما هو عليه من التوحيد والإيمان، ولا يرى ما قد يقع منه مثل السيئات المؤثرة، فخروجه بهذا من الدائرة، من ملة الإسلام، هذا محل نظر، يحتاج على مزيد عناية، وأظن أن ابن القيم رحمه الله في المدارج بسط هذا، لأن هذا من منازل السائرين فليراجع كلامه. أهـ

سؤال/ قول المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب !!

أجاب سماحة الشيخ: أقوال باطلة على كل حال، لكن هل ينقل من دائرة الإسلام أم لا؟

هذا محل البحث، وإلا فقولهم باطل. أهـ

* * *

ش: يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) رواه البخاري (٣٦١٣) كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، و(٤٨٤٦) كتاب التفسير/ باب ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾. ومسلم (١١٩) كتاب الإيمان/ باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال: أبوعلي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت(١). وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ الآية، وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الآية.

فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

وقال صاحب منازل السائرين رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد.

وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «المريد» يعني مريد الله والدار الآخرة، من أراد الله والدار الآخرة فلا بد أن يكون له رجاء محمود وخوف محمود، رجاء يحمله على المسارعة إلى الطاعات وأداء الفرائض، وخوف يحمله على ابتعاده عن المحارم وحذره منها، فهو سائر

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٦.

إلى الله بين الرجاء والخوف، بين حبه سبحانه وحسن الظن به ورجاء مغفرته والفوز بكرامته، وبين خوف يتضمن تعظيمه والإيمان بعظم حقه، ويتضمن أيضاً الابتعاد عن محارمه ومساخطه، هكذا يكون الخوف والرجاء، ولهذا قال بعض السلف: إنه ينبغي أن يكون للسائر إلى الله كالجناحين للطائر، وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ دخل على مريض فقال: «**ما حالك؟**»

قال: أخاف ذنبي وأرجو رحمة ربي، فقال: «**ما اجتمعا في قلب مؤمن في مثل هذه الحالة إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**»(١) فالمقصود أن الخوف والرجاء لابد أن يتوفرا، فلا يغلب هذا ولا هذا، فالقانطون واليائسون غلبوا جانب الخوف، والآمنون من مكر الله غلبوا جانب الرجاء فخسروا، والواجب أن تسير إلى الله على الطريقة التي سار عليها الأخيار، من الأنبياء والصالحين وأتباعهم، بين الخوف والرجاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] هذه حال الأنبياء والصالحين، بين الرغبة والخوف، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧] قال جماعة من السلف، كابن عباس وجماعة: إنها نزلت في العزير والمسيح وأمه، وفي كل صالح يعبد من

(١) رواه الترمذي (٩٨٣) كتاب الجنائز/ باب: من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٦٢) وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد/ باب ذكر الموت والاستعداد له، ورواه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٧٥٧ (١٠٥٥) باب الإيمان خوف ورجاء، وفي جامع المسانيد والسنن (٢١٥٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

دون الله[(١)]، قال ابن مسعود: نزلت في أناس من الإنس يعبدون أناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك الإنس بعبادتهم[(٢)].

فالمقصود أن الصالحين من صفاتهم الخوف والرجاء، فلا قنوط ويأس، ولا أمن من مكر الله سبحانه وتعالى، وإخلال من البطالة والشهوات المحرمة، ولكن بين ذلك. أهـ

* * *

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[(٣)] وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»[(٤)]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يتضمن الرجاء، حسن الظن بالله يتضمن الرجاء. أهـ

* * *

ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

---

(١) جامع البيان للطبري، سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٢) جامع البيان للطبري، سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة بفظ «.. وأنا معه إذا ذكرني..» الحديث، وقد مضى في الكتاب معزواً للصحيح أيضاً، وعزوه إليه هنا خطأ، فإنه إنما رواه بهذا اللفظ الذي هنا عن أبي هريرة الإمام أحمد، وفيه ابن لهيعة، لكن له شاهد من حديث واثلة، رواه أحمد وغيره بسند صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وهو مخرج في «الصحيحة» تحت الحديث (١٦٦٣).أهـ ألباني

(٤) رواه مسلم وغيره، كما في «أحكام الجنائز» (ص٣).أهـ ألباني

وقال بعضهم: من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، وروي: ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد[١].

ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير من عمل الخـ ـير ثواباً عجبت من كبره
أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ـر جزاءً أشفقت من حذره

قوله: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه).

ش: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قوله بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولاً: «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله» وتقدم الكلام على هذا المعنى.

قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى).

ش: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو المشهور عند أهل السنة والجماعة، المشهور عندهم هو هذا: قول باللسان وعمل

---

(١) ذكره صاحب معارج القبول، وقال في الحاشية: انظر كتاب العبودية لابن تيمية (ص ٣٨-٥٦).

بالأركان واعتقاد بالجنان، يعني قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، بخلاف ما ذكره المؤلف عن الحنفية أنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان فقط دون العمل، ويأتي في بقية البحث. أهـ

❊ ❊ ❊

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبومنصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبوالحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية ـ إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعلى هذا فالشيطان مؤمن أيضاً، لأنه يعرف ربه وعصاه على بصيرة، نسأل الله العافية، وكل

هذه أقوال باطلة، ولكن أحب المؤلف أن يذكرها فقط، وأن يبين أقوال الناس، وإلا فهي أقوال باطلة مخالفة لشرع الله، ليس لهم دليل ظاهر على اعتقادهم. أهـ

* * *

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على نفسه! وبين هذه المذاهب مذاهب أخر، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصاراً، ذكر هذه المذاهب أبوالمعين النسفي(١) في تبصرة الأدلة وغيره..

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفه وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده،

---

(١) هو ميمون بن محمد بن محمد أبو المعين النسفي الحنفي، عالم بالأصول والكلام، وكان بسمرقند وسكن بخارى، له كتب عدة. أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبومنصور الماتريدي رحمه الله.

وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة - اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه -: نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة، ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى، وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية، اتفاقاً.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان؟ أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟

هذا محل النزاع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن سلك سبيلهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي، والأدلة من الكتاب والسنة كلها تؤيد هذا، وتدل على أن الإيمان يشمل قول القلب وقول اللسان، ويشمل

عمل القلب والجوارح، وكلها تسمى إيماناً، والآيات من القرآن الكريم واضحة في ذلك كثيرة، وكذلك السنة عن النبي ﷺ واضحة في ذلك، فإن الله جل وعلا أمر عباده بالإيمان، وفصّله في الآيات في بيان أعمال الإيمان، قال جل وعلا: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾ [التغابن:٨] والنور الذي أنزل فيه الأعمال وفيه الأقوال، كلها داخلة فيما أنزل، والناس مأمورون بالإيمان بهذا والإيمان بهذا، وهكذا الإيمان بكل ما حرم الله وأنه حق، كله داخل في الإيمان ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [النساء:١٣٦] فالمقصود أن الإيمان يشمل كل ما أمر الله بالتصديق به، ويشمل كل ما نهى الله عنه إيماناً بتحريمه والنهي عنه، وهكذا قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو قال ـ بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١) داخل فيه كل شيء مما شرعه الله وأمر به من قول وعمل، وهكذا قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة:١٤٣] يعني صلاتكم، إلى غير هذا، فأهل السنة والجماعة قولهم في هذا هو الصواب، وقول الحنفية في هذا ضعيف، وإن قالوا إنه متوعد، إن عصى وترك الواجب فهو متوعد، لكن إخراجهم للأعمال من الإيمان خطأ واضح، ويأتي بقية البحث على هذا.

وقول الشارح: «الخلاف لفظي» على إطلاقه ليس بجيد، يعني إن كان مؤمناً كاملاً، كيف يعاقب على الأعمال إذا تركها؟!

فهو متناقض، فتحوا باب التساهل بدين الله وركوب محارم الله.

(١) رواه البخاري مسلم، وقد تقدم.

وقولهم: «خلاف صوري مجازي» غلط، ليس بجيد، بل هو حقيقة، فإن أهل السنة والجماعة يقولون: من عصى فإيمانه ناقص، وهم يقولون: إيمانه كامل، إذا كان إيمانه كاملاً كيف يعذب؟! سبحان الله أهـ

* * *

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه ـ: أنه عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الإجماع إذا صح من المرجئة، يكون ما قاله الشارح من كون الخلف لفظياً مع أهل السنة والمرجئة، يكون قريباً، إذا أجمعوا على أن من آمن بقلبه وصدّق بلسانه، ولكن لم ينقد بالعمل، فما صلى ولا صام، أنه مستحق للوعيد أو دخول النار، فهذا هو قول أهل السنة والجماعة، لكن نقرأ قولهم أنه يكون كامل الإيمان لإيمانه بقلبه وبلسانه، إذا قال إنه كامل الإيمان، كيف يكون هذا الإجماع؟ إذا كان كامل الإيمان كيف يستحق الوعيد؟

فحكاية الإجماع مع قول المرجئة أن العمل ليس من الإيمان يتضمن بعض النظر. أهـ

سؤال/ من آمن بقلبه ولسانه ولم يعمل بجوارحه؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا محل خلاف بين العلماء، فمن قال إن ترك الصلاة كفر، يقول: هو مخلد في النار، ومن قال إنه كفر أصغر، يكون حكمه حكم سائر الكبائر، تحت المشيئة.أهـ

* * *

لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال:

لما كان الإيمان شيئاً واحداً فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام!! وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومن يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أن المبصرين بالنسبة للعميان كالمؤمنين فيما يتعلق بإيمانهم بالله واليوم الآخر، وكما أن المبصرين يتفاوتون في إبصارهم؛ فهكذا المؤمنون يتفاوتون في إيمانهم، فليس إيمان الرسل والأنبياء والصديقين كإيمان من دونهم، لا قولاً ولا قلباً ولا عملاً، فمن قال إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وإيمان الأنبياء وإيمان أبي بكر وعمر، وأنه لا يتفاوت، فهذا جهل صرف وغفلة وغلو زائد، حتى إيمان أهل البلد الواحدة والقبيلة الواحدة يتفاوت، فكيف بالأمم؟ كيف بالأنبياء والمؤمنين والصديقين؟ هذا من أقوال الغلاة الضالين.أهـ

* * *

ولهذا - والله أعلم - قال الشيخ رحمه الله: «وأهله في أصله سواء» يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها[١] إلا الله تعالى: فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم

(١) لعله: لا يحصيه، يعني التفاوت، ابن باز.

من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى من كلام ابن القيم رحمه الله. أهـ

* * *

وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[1] وقوله: «لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله»[2] وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومثله ما جاء من حديث عبادة بن الصامت: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

(١) متفق عليه من حديث عتبان بن مالك. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، نحوه من حديث عتبان. أهـ ألباني

مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[١] كل هذه الأحاديث متعلقة بـ:لا إله إلا الله وبالتوحيد، معناها من صدق في هذا الشيء، وقال كلمة التوحيد على حقيقتها، عن إيمان صادق وإخلاص ومعرفة وبصيرة بهذا المعنى، فإن توحيده الخالص وإيمانه الصادق لا يدعه يصر على سيئة، بل يحمله إيمانه الصادق وتوحيده الخالص على محاربة السيئات وعدم الإصرار عليها، فيكون بمثابة من تاب توبة نصوحاً، فلا تبقى له سيئة، فيكون من أهل الجنة ويحرم على النار، فإذا ضعفت هذه الكلمة وضعف هذا الإيمان وقعت المعاصي، وصار تحت مشيئة الله، وصار من المتوعدين، وكلما قوي الإيمان بالله ورسوله وقوي الإخلاص والتوحيد، انتفت السيئات وابتعد عن السيئات وحذرها، ولم يقم على شيء منها ولم يصر على شيء منها، ومتى قارف السيئات ضعف إيمانه وضعف توحيده وهكذا. أهـ

* * *

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقديرها: انتفاؤه، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام انتفاؤه، تقديرها: انتفاؤه أو بطلانه أو عدم صحته، كلها متقاربة، فإن هذا الذي قلنا من المعلوم بالاضطرار أنه لم يجعله، ولهذا المنافق يقول لا إله إلا الله، ولم تنفعه. أهـ

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن هذه البطاقة بطاقة إخلاص وصدق وإيمان كامل أحرقت السيئات وأزالتها، وصار صاحب هذه البطاقة بمثابة التائب التوبة النصوح، لأن إخلاصه وإيمانه أزال سيئاته وقضى عليها وصفا قلبه وسَلِمَ من شرها فمات على هذا، مات على توبة صادقة وإيمان صادق وابتعاد عن هذه المحرمات التي سجلت عليه. أهـ

* * *

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار، وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان، التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال أن جعل ينوء بصدره وهو يعالج سكرات الموت[(٢)]، وتأمل ما قام بقلب البغي من

---

(١) صحيح، وهو من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وهو مخرج في الأحاديث الصحيحة (١٣٥) وغيره. أهـ ألباني.

(٢) قال شاكر: إشارة إلى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو في الترغيب والترهيب ٤/ ٧٧. أهـ

الإيمان، حيث نزعت موقها وسقت الكلب من الركية، فغفر لها[١]، وهكذا العقل أيضاً، فإنه يقبل التفاضل، وأهله في أصله سواء، مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض، وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم، هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرد ذلك في العقل والوجوب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا لايطرده العقل، العقول متفاوته والأذهان متفاوتة والإيمان متفاوت لا شك في هذا. أهـ

* * *

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل -: فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله، وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح -: فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم، ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس المخبر كالمعاين»[٢]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا رواه أحمد بإسناد

(١) قال شاكر: إشارة أيضاً إلى حديث صحيح رواه البخاري وغيره، انظر فتح الباري ٦:٢٥٦ـ٣٧١ـ٣٧٣. أهـ

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢١٥ـ٢٧١) والطبراني والخطيب وغيرهم بسند صحيح بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة» وانظر تخريج المشكاة (٥٧٣٨). أهـ ألباني

فيه بعض الضعف، وفي اللفظ الآخر «**ليس الخبر كالعيان**»[١] وهذا صحيح، ومن هذا علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فإن علم اليقين هو الخبر الصادق الثابت، وعين اليقين المشاهدة، وهي أبلغ من علم اليقين، وحق اليقين أبلغ من عين اليقين، وهو المخالطة للشيء والتحقق منه بالأمور الحسية، غير البصر، كاللمس، وضربوا لهذا مثلاً فقالوا: لو جاء الخبر من طريق الثقات أن الوادي سال، هذا علم اليقين، فإذا وقفت عليه ورأيت بعينك، هذا عين اليقين، فإذا شربت منه أو توضأت منه صار حق اليقين، وهكذا أخبار الجنة والنار، فهي الآن علم اليقين عند أهل الإيمان، والذي شاهدها في الدنيا قبل الآخرة فصارت عين اليقين، والناس يوم القيامة إذا شاهدوها صارت عين اليقين، فإذا دخل المؤمنون الجنة والكفار النار صار ذلك عندهم حق اليقين. أهـ

❊ ❊ ❊

وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبر، وإن جزم بصدق المخبر، فقد لا يتصور المخبر به نفسه، كما يتصوره إذا عاينه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله : فموسى ﷺ ألقاها من شدة الغضب، لما عاين الأمر المنكر الفظيع ألقاها من شدة الغضب، ولما كان خبراً كان أسهل، فلما شاهد الأمر الفظيع اشتد غضبه عليهم وعيل صبره، فلم يتمالك حتى ألقى الألواح. أهـ

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد ١/ ٢١٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٣).

كما قال إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومقصود المؤلف بهذا أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادة الإيمان تختلف، فقد تكون الزيادة من غير فعل العبد واجتهاده، بل من مجيء الفرائض، كالذين أدركوا أول الإسلام ثم أدركوا بقية الشرائع، زاد إيمانهم بما شرع الله لهم من الفرائض كالصلاة والزكاة، زاد الإيمان بالشرائع الجديدة، وقوم ماتوا قبل ذلك وصار إيمانهم كاملاً بالنسبة إلى حالهم، لأنهم لم يفرض عليهم شيء ذلك الوقت سوى ما آمنوا به وصدقوا به، فهؤلاء إيمانهم كامل وهؤلاء إيمانهم كامل، لكن هذا أكثر من هذا بما شرع الله من الفرائض في المدينة بعدما هاجر النبي ﷺ، وتكون الزيادة من جهة عمل المؤمن، فيزداد إيمانه بطاعاته لله واستكثاره من الحسنات، ويضعف إيمانه بعدم ذلك، ويضعف إيمانه أيضاً بالمعاصي، فأهل السنة والجماعة يقولون: يزيد وينقص، الإيمان بالأعمال الصالحات يزداد، وبالغفلة والإعراض ينقص، وبالمعاصي ينقص، خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين قالوا: لا يزيد ولا ينقص، وهذا من جهلهم بما يعقل وبما شرع الله سبحانه وتعالى، فقد جهلوا المعقول وجهلوا المنقول جميعاً، كل إنسان يعقل أن الإيمان يزيد وينقص، وأن ليس إيمان أبي بكر وعمر كإيمان من دونهم، وليس إيمان أهل العلم والبصيرة والتقوى والجهاد كإيمان المعرضين والغافلين، هذا معقول بلا حاجة إلى النقل، فكيف بالنقل؟. أهـ

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وأيضاً: فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الإيمان به إلا مجملاً، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لأنه دخل في الطاعات، فيجب عليه أن يؤمن أن الله أوجب عليه الحج مع استطاعته، لكن الإيمان المجمل أن يعلم أن الحج واجب على المسلمين بشرط، ولكن هو بعينه لما استطاع صار واجباً عليه عيناً. أهـ

❊ ❊ ❊

وكذلك الرجل أول ما يسلم، إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

ولا شك أن من قام بقلبه التصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة أو إحداهما لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد فيعصي، ولهذا - والله أعلم - قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعند أهل السنة والجماعة أن هذا نفي الإيمان الكامل الواجب «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» الحديث في

---

(١) متفق عليه، وقد مضى. أهـ ألباني.

الصحيحين[١]، فالمعنى لا يشربه وهو مؤمن الإيمان الكامل، لضعف إيمانه بالشهوة وبالمعصية التي سبقت هذه المعصية، وبالجهل لعقوبة هذه المعصية وشأنها وخطرها عند الله، ولهذا قال بعض السلف: من عصى فهو جاهل[٢].

والمقصود أن مواقعته للمعصية تضعف إيمانه، فلو كان إيمانه كاملاً حين همّ بهذه المعصية لما واقعها، ولكن لضعف الإيمان واستيلاء الغفلة والشيطان والشهوات المحرمة تزعجه إلى هذه المعصية، فيكون بذلك قد فارقه الإيمان الكامل، وبقي معه أصل الإيمان بالله ورسوله وبتحريم هذه الأشياء. أهـ

* * *

فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يرجع إليه إيمانه بالتوبة والرجوع إلى الله، يزيد إيمانه وينقص إيمانه، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ثم يعود بالتوبة والرجوع إلى الله، هكذا الإنسان في حياته بين جزر ومد، بين زيادة ونقص، فيرتفع عنه كمال إيمانه الواجب عند المعصية لا أصل الإيمان، لأنه لو ارتفع كله لكفر وارتد.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) كتاب المظالم/ باب النهي بغير أذن صاحبه، و(٥٥٧٨) كتاب الأشربة/ باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾ و(٦٧٧٢) كتاب الحدود/ باب الزنا وشرب الخمر،و (٦٨١٠) باب إثم الزناة، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان/ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن كثير في سورة النساء آية (١٧) عن مجاهد وأبي العالية وغيرهم، وساق الطرق.

وقول المؤلف: «فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا» ليس بجيد، إنما يضعف التصديق، يضعف الإيمان بسبب غلبة الشهوة، ويغلب عليه أيضاً تذكر عفو الله ورحمة الله، وأن هذا لا يخرج من الملة، تأتيه مواد الشيطان وشبهاته. أهـ

* * *

فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه[١].

والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم[٢].

فإذا لم يبصر بقي قلبه في عمى، والشيطان يمده في غيه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه، وهذا كما أن الإنسان يغمض عينه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب، بما يغشاه من رين الذنوب، لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: أنه قال: «إذا زنا العبد نزع منه الإيمان، فإذا تاب أعيد إليه»[٣].

---

(١) رواه البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» ١/ ٣١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، سورة الأعراف/ آية (٢٠٢).

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وصححه هو والذهبي، وهو مخرج في الصحيحة (٥٠٩). أهـ ألباني

إذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه، سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله! وهذا باطل قطعاً، فالإمام أبوحنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أي بمصدق لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك، ثم هذا المعنى اللغوي، وهو التصديق بالقلب، هو الواجب على العبد حقاً لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. هذا على أحد القولين، كما تقدم، ولأنه ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، لا اللسان،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولكن هذا عند أهل

العلم والشرع باطل، لأن الشارع زاد على ما في اللغة من العمل والقول، واللغة أيضاً لا تأبى ذلك، فإن المصدق بالقلب ما ينفع تصديقه إذا ما صدّق باللسان ولا صدّق بالعمل، فلو صدّق بقلبه أن هذا الخبر واقع، ولكنه يقول بلسانه: لا، ليس بواقع وفلان كاذب، ما نفع هذا التصديق ولا سمي مصدقاً ولا مؤمناً، فلا بد أن يكون إيمان القلب يتبعه شيء، كذلك إذا كان صدّق بقلبه ولسانه، ثم تأخر عن العمل المقتضي، الذي يقتضيه هذا التصديق، صدّق بلسانه وقلبه أن أباه له حق وأنه يجب بره، ولكن ما بره ولا أحسن إليه، يراه فقيراً يراه مريضاً فلا يبالي به، هل هذا يسمى مصدقاً بأن البر حق؟

لا يمكن أن يكون مصدقاً بأن البر حق، كذلك تصديقه بقلبه أو بلسانه أن الجهاد واجب عليه، ويرى إخوانه محتاجون لجهاده ومساعدته والعدو قد أحاط بهم، ثم يقول: لا يجب عليّ الجهاد، أنا صدقت بقلبي وصدقت بلساني ويكفي، كذب، لو صدق بقلبه ولسانه لانطلق في العمل، ولهذا تقول العرب: حملة صادقة، إذا كان معها العمل، العمل الذي يؤيد القلب ويؤيد القول يسمى صدقاً ويسمى إيماناً، فاللغة وإن كان أصل الإيمان فيها بالقلب، لكن أيضاً في اللسان وأيضاً في العمل، حتى في اللغة، فالمرجئة لا حجة لهم في هذا، بل قولهم فاسد.

ثم لو سلمنا أن اللغة فقط هي التصديق بالقلب أو باللسان مع القلب، فالشرع جاء بأمر زائد على هذا، جاء بالصلوات والأعمال الأخرى وسماها إيماناً، فوجب الأخذ بقول الشارع الذي جاء بالحقيقة العرفية، الحقيقة الشرعية حقيقة اعتنى بها وأوجبها وألزم بها، فوجب الأخذ بالحقائق الشرعية وتقديمها على الحقائق العرفية، كما أن الصلاة الدعاء في الأصل، والصوم الإمساك عن الكلام، لكن الشارع جاء بالصلاة

والصوم غير هذا، جاء بصلاة غير الدعاء، صلاة فيها ركوع، فيها سجود، فيها قراءة، فيها تسبيح خاص، وجاء بصوم خاص، صوم عن أكل وعن شرب وعن كذا وعن كذا، ليس مجرد الإمساك فقط، وهكذا الحج أصله القصد، قصد المعظمين، لكن الشرع جاء حجاً خاصاً، حجاً فيه أعمال، فيه قصد عرفات ووقوف بها، وفيه عمل في منى وفي مزدلفة، وعمل يتعلق بالكعبة، لا يكون الحج المجرد، بل يكون أعمالاً، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[١] الحديث، وحديث وفد عبدالقيس[٢] وما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الواجب على أهل الإسلام الأخذ بعرف الشرع والحقائق الشرعية، وما زاد عليه الشرع، ولا يلتفت إلى اللغة مع الشرع، لو سلمنا أن ما في اللغة خالف الكتاب، فالشرع له حقائق جاء بها غير مجرد ما في اللغة، أمسك ما في اللغة وزاد عليها أشياء فيها تكميل وتشريع للعباد بما ينفعهم ويصلح شئونهم، فقول المرجئة بكل حال ـ سواء قالوا إن الإيمان تصديق القلب فقط أو بالقلب واللسان وأخرجوا العمل أو أخرجوا القول ـ كله باطل، كله غلط، مخالف للأحاديث الصحيحة ومخالف للآيات القرآنية ومخالف لإجماع سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم، وليس بخلاف لفظي، بل خلاف جذري حقيقي، لأن معناه أن من قال باللسان وصدق بالقلب فإيمانه كامل، فإذا كان الإيمان كاملاً كيف عذب بالمعاصي؟

لا يستقيم ذلك. أهـ

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا غلط أيضاً، ما يلزم أن يزول الكل بزوال الجزء، إذا زال منه جزء بشيء في بعض الأحيان، أو الزكاة تأخر عنها، لا يزول الإيمان كله، والحيوان نفسه قد تقطع يده، قد تقطع رجله ولا يزول، يبقى عاقلاً مكلفاً مأموراً منهياً وقد زالت يده أو زالت رجله أو زالت يداه أو زالت رجلاه أو زالت أذنه أو غير ذلك، فالإيمان يزيد وينقص، لا يزول كله بزوال بعضه، فإذا زلت قدمه وشرب الخمر أو زنى أو أربى، أو تأخر عن الصيام مثلاً أو عن الحج مع قدرته عليه لا يزول إيمانه، لكن يأثم. أهـ

* * *

ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وغيرها، في مواضع من القرآن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والقرآن يأتي بالألفاظ المتقاربة والمتغايرة عند الحاجة إلى تنويعها، وعند الإطلاق يدخل أفرادها في المطلق، فعند إطلاق الإيمان تدخل الأعمال، وعند التفصيل يذكر الرب عز وجل بعض الأعمال للتأكيد فيها، لا لأنها خارجة من الإيمان، فإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس معناها أن الأعمال غير الإيمان، ولكن للتنصيص عليها، حتى يعلم أنها مرادة وأنه لا بد منها، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر:١-٣] ليس معناه أنه جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر

خارجاً عن الإيمان، بل هو داخل في الإيمان، لكن للتنصيص فائدة، وهكذا ما يأتي في النصوص. أهـ

* * *

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق - بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقاً؟

وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان.

ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدقه، ولا يقال، آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ﴾ وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثاني للمخبر، ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا، لأن دخول اللام لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدراً، على ما عرف في موضعه.

فالحاصل أنه لا يقال: قد آمنته، ولا صدقت له، إنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بـ«أقررت» أقرب من تفسيره بـ«صدقت» مع الفرق بينهما، لأن الفرق بينهما ثابت في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب، فيقال لمن قال: طلعت الشمس -: صدقناه، ولا يقال: آمنا له، فإن فيه أصل معنى الأمن، والإيمان إنما يكون في الخبر عن الغائب، فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المخبر، ولهذا

لم يأت في القرآن وغيره لفظ «آمن له» إلا في هذا النوع.

ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك -: لكان كفراً أعظم، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكذيباً، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب، فكذلك الإيمان، يكون تصديقاً وموافقة وانقياداً، ولا يكفي مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان.

ولو سلم الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضاً، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «العينان تزنيان، وزناهما النظر، والأذن تزني، وزناها السمع - إلى أن قال - والفرج يصدق ذلك ويكذبه» وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال.

ولو كان تصديقاً فهو تصديق مخصوص، كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص، وصفه وبينه. فالتصديق الذي هو الإيمان، أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام، فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص، من غير تغير اللسان ولا قلبه، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق، ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه من لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم.

ونقول: إن هذه لوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه

أخرى، أو إن اللفظ باق على معناه في اللغة، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً، أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية، مجاز لغوي، أو أن يكون قد نقله الشارع، وهذه الأقوال لمن سلك هذا الطريق.

وقالوا: إن الرسول قد وافقنا على معاني الإيمان، وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول، معادياً له يقاتله -: أن هذا ليس بمؤمن، كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما، فقد قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[(١)] وقال أيضاً ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»[(٢)] وقال أيضاً ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[(٣)].

وقال أيضاً ﷺ: «البذاذة من الإيمان»[(٤)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى «البذاذة من الإيمان» يعني في بعض الأحيان، يكون يأخذ هذا تارة وهذا تارة، الجمال

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم باختلاف بين، وهو مخرج في الصحيحة (١٧٦٩). أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه، وهو طرف من الحديث الذي قبله. أهـ ألباني.

(٣) صحيح، رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم. أهـ ألباني.

(٤) حسن، رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وأحمد والطبراني، وهو مخرج في «الصحيحة» (٣٤١) والمراد «البذاذة» التواضع في اللباس وترك التبجح به. أهـ ألباني.

تارة، والبذاذة في بعض الأحيان للتواضع وكسر النفس. أهـ

* * *

فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى: إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا قول أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة هم الصحابة، إذا قيل أهل السنة والجماعة فالمراد بهم أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، هم أهل السنة والجماعة، أهل السنة: يعني للعمل بسنة النبي ﷺ والكتاب والاجتماع على ذلك، فهم أصحاب النبي ﷺ، ويقال لهم أهل الكتاب والسنة وأهل الجماعة، والمعنى أنهم هم الذين أخذوا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام واجتمعوا على ذلك وتواصوا بذلك، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سلك سبيلهم من أئمة الهدى إلى يومنا هذا.

فعندهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، قول القلب: اعترافه وتصديقه وإيمانه.

وعمله: حبه وبغضه، حبه في الله وبغضه في الله والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء، كل هذا من عمل القلب.

وعمل الجوارح: الصلوات والجهاد والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك.

وقول اللسان تصديقه، وعمله ما يفعله من الأذكار، فهو يصدق

ويعمل بما يأتي من أذكار وتسبيح وتحميد ودعاء وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك، وبهذا تكون شعب الإيمان كثيرة، بخلاف من قال: إن الإيمان قول فقط، أو تصديق القلب فقط، أو تصديق القلب واللسان فقط، فإن الشعب تكون قليلة، وأهل السنة والجماعة أخذوا هذا من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن الكتاب والسنة دل على أن الإيمان قول وعمل، الصلاة إيمان والزكاة إيمان والصوم إيمان والحج إيمان والحب في الله والبغض في الله إيمان إلى غير ذلك، ولهذا قالوا: يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص في المعاصي، ومما ورد في هذا صحيحاً في السنة قوله ﷺ لوفد عبد قيس: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»(١) فسمى هذه الأمور إيماناً، وهكذا حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**» وفي لفظ آخر: «**بضع وستون شعبة**» ثم قال: «**فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٢) فجعل عمل القلب وعمل الجوارح إيماناً، الحياء من أعمال القلب، إماطة الأذى عن الطريق من عمل الجوارح، قول لا إله إلا الله من قول اللسان وعمل اللسان، جعل هذا كله إيماناً، فإذا اجتهد العبد في الصلاة والصيام والصدقات والجهاد زاد إيمانه، وإذا غفل وأعرض نقص إيمانه، وإذا أقدم على معصية من المعاصي من غيبة ونميمة أو زنا أو سرقة أو ربا نقص إيمانه وضعف إيمانه، فإذا تاب إلى الله ورجع وأناب زاد إيمانه وهكذا. أهـ

---

(١) رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد مضى.

(٢) رواه الشيخان، وقد مضى.

سؤال/ كما هو معلوم أن ناساً يعتقدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويعتنون بكل أركان الإسلام، ولكن اختلف عليهم الأمر، يرتكبون بعض المنكرات أو الشركيات كالطواف عند القبور وكمناجاة عند الأموات وما أشبه ذلك!.

أجاب سماحة الشيخ: إذا أتى الإنسان بالإيمان نظر في عمله الآخر، إذا أتى بالصلاة والصيام والشهادتين ونحو ذلك نظر في عمله الآخر، فإن كان عمله الذي خالف فيه شرع الله معاصٍ، مثل السرقة وهو يعلم أنها محرمة، مثل عقوق الوالدين، مثل قطيعة الرحم وما أشبه ذلك، فهذا نقص في الإيمان وضعف في الإيمان، أما إذا كان يتعلق بالشرك فهذا ينافي الإيمان، فالذي يتعلق بالأموات، يدعوهم، يستغيث بهم، ينذر لهم، ويطوف بقبورهم يرجو البركة منهم، هذا كفر أكبر، هذا يبطل الإيمان، مثل الذي توضأ ثم يحدث، إذا توضأ الإنسان ثم خرج منه الريح ماذا يصير حكم طهوره؟

بطل وضوءه، فهكذا الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي ويصوم، ثم يسب الدين أو يستهزئ بالدين أو يستهزئ بالمصحف ويجعله تحت أقدامه إهانة له، أو يسب الأنبياء أو يسب النبي محمد ﷺ فإنه يكون كافراً لا مسلماً، وصلاته وصومه تبطل ولا تنفع، فهكذا إذا دعا الأموات، يا سيدي أغثني، يا سيدي البدوي، يا سيدي فلان، أو يا سيدي الميرغني وأشباههم، معنى هذا مثل الحدث في الطهارة، الشرك بالله يبطل الأعمال والإيمان كما أن الحدث يبطل الطهارة، فالواجب التوبة، التوبة والرجوع إلى الله، فإذا تاب إلى الله ورجع إلى الله واستقام على الإيمان ثبت إيمانه، وإن بقي على الشرك بطل

إيمانه، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] فلو أن إنساناً يصوم النهار ويقوم الليل ويؤدي الصلوات الخمس ويزكي ويتعبد ولا يترك شيئاً من الأعمال، لكن يقول: مسيلمة نبي، ماذا يكون؟

يكون كافراً، أو يقول: المختار بن أبي عبيد نبي، أو يقول: محمد كذاب، أو يسب الدين ويقول إن الدين خرافة، ولكن أنا أجامل الناس وأصوم مع الناس وأصلي مع الناس، يكون منافقاً كافراً. أهـ

سؤال/ مثل هؤلاء الجماعات بعضهم ما وصلتهم الحجة؟

أجاب سماحة الشيخ: يعلّمون، بعض أهل العلم يتوقف عن الكفر، يقول: أعماله كفر، ولكن نتوقف عن كفره حتى نبين له، ثم إن أجاب فالحمد لله وإلا وجب قتله، إذا كان هناك ولي أمر يقيم الحدود، لأن الحجة لا بد من بيانها، مثل ما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] فإذا كان مثله يجهل، لكن اليوم أكثر الناس لا يبالي، لا يريد الدين، وإذا أردت أن تعلمه يأبى عليك وربما قاتلك، لأنه قد أقام على هذا الشرك واستقر في قلبه وعظم تقليده لأسلافه، فإذا قلت: هذا عمل باطل وهذا شرك لأن الله قال كذا والرسول قال كذا، قال: لا، أنت تبغض الصالحين، تبغض الأنبياء، أو يقول: أنت وهابي، أو ما أشبه ذلك من العبارات، ما يرضى أن ينبه على باطله، هذه حال كثير منهم أو

أكثرهم، نسأل الله العافية، لكن لا يمنع هذا من البيان، إذا جاء الله بالسلطان الذي يقيم الحدود على هؤلاء.

ولاتؤكل ذبائحهم إذا كانوا يطوفون بقبور الأموات، لأن أعمالهم أعمال أهل الشرك، ولا تنكح نساؤهم. أهـ

* * *

وهذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً، كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً، كترك إماطة الأذى على الطريق،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه المسائل مسائل عظيمة، وأكثر الخلق ليس عندهم الفهم كما ينبغي، يسمعون بعض الأحاديث ولا يفهمونها، مثل حديث إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه دخل الجنة»[١] «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢] وما أشبه ذلك، لا يفهمون أن المراد من قالها وأدى حقها، وإلا معناه تضاربت النصوص وأبطل بعضها بعضاً، المعنى أن من قال لا إله إلا الله وأدى حقها من أداء الواجبات والفرائض وترك المحارم وترك الشرك والتصديق بما قاله الله ورسوله، فلا بد من شيء واحد، لابد أن تجمع أطرافه، يجمع هذا مع

---

(١) رواه البخاري (١٢٨) كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٥) كتاب الصلاة/ باب المساجد في البيوت، ومسلم (٦٥٧) كتاب المساجد/ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر، من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

هذا، فمن آمن ببعض وكفر ببعض ما صح إيمانه، بل لابد أن يؤمن بالجميع. أهـ

* * *

وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى. وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله مثلاً من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١) رواه مسلم.

وفي لفظ: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله ـ: فقد استكمل الإيمان»(٢) ومعناه ـ والله أعلم ـ أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك، فإن المال آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكملاً الإيمان، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» فسمى حب الصحابة إيماناً، وبغضهم كفراً.

---

(١) مسلم باللفظين، وهو مخرج في «تخريج مشكلة الفقر» (٦٦) و«صحيح أبي داود» (١٠٣٤). أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في «تخريج المشكاة» (٣٠ـ٣١) و«الصحيحة» (٣٨٠). أهـ ألباني

وما أعجب ما أجاب به أبوالمعين النسفي وغيره، عن استدلالهم بحديث شعب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوي قال: «بضع وستون أو بضع وسبعون» فقد شهد الراوي بفعله نفسه حيث شك فقال: «بضع وستون أو بضع وسبعون» ولا يظن برسول الله ﷺ الشك في ذلك! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب.

فطعن فيه بغفلة الراوي و مخالفته الكتاب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من مصائب التقليد ومن آفات التقليد نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

هذا في عقيدته خلل، وهذا ليس شكاً للرواة، قد يقع للراوي الشك، وليس معناه أن الرسول هو الذي شك، الراوي هو الذي شك، هذا إذا شك الراوي فهو يدل على إتقان الرواة وعنايتهم وحرصهم على ضبط الأمور، وأن لا يقولوا على الرسول إلا بحق، فإخباره بشكه دليل على قوة إيمانه وصلابة إيمانه وعظمة خوفه من الله، لا على غفلته، لكن نعوذ بالله من الهوى، ونعوذ بالله من سوء القصد، ونعوذ بالله من آفة التقليد الأعمى، من أجل تقليد أبي حنيفة في نفي كون العمل من الإيمان، نسأل الله العافية.

والمقصود أن الأحناف في الإيمان قولهم رديء، لأنهم من مرجئة الفقهاء، وهم على خلاف قول أهل السنة والجماعة في هذا. أهـ

* * *

فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه:

«بضع وستون» من غير شك[(١)]، وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب ما يدل على خلافه؟! وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: من أعظم الآيات في بيان أن العمل من الإيمان قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل كل هذا من الإيمان، من أعمال المؤمنين.

الشارح حنفي ولكنه من تلاميذ ابن كثير، ومحاولة توفيق الشارح بين الرأيين ليس بجيد، قوله: إن الخلف لفظي، بناه على أنهم مجمعون على أن من ترك الواجب أو فعل المحرم فقد عصى الله ورسوله وهو متوعد بالعذاب، فيكون الخلف لفظياً، وليس الأمر كذلك، فإن لازمهم أن من اكتمل إيمانه لا يضره شيء كما تقوله المرجئة صريحاً، لا يضر مع الإيمان شيء، والإيمان هو الذي في القلوب. أهـ

سؤال/ مسألة الاستثناء في الإيمان، الأحناف لا يقولون بعموم الاستثناء على الإطلاق، هذه من ثمرة الخلاف، فهل يكون الخلف لفظياً؟

أجاب سماحة الشيخ: أصل الخلاف في هذا معروف، منهم من يرده إلى العاقبة، الوفاة والخاتمة، ومنهم من يرده إلى العمل، وأهل السنة

(١) قلت: ورواه مسلم بلفظ: «بضع وسبعون» كما تقدم، وهو الأرجح عندي كما هو مبين في المجلد المشار إليه من «الصحيحة». أهـ ألباني

والجماعة يرون الاستثناء.

ويقولون: إن شاء الله، لكن لا يعلم كمّل أو لم يكمل، لا يدرون هل يموتون على ذلك أم لا؟

وهم يلزمهم أيضاً أن يقولوا بالمشيئة، لأنهم ما يضمنون لأنفسهم حسن الخاتمة، ولا ينظرون لأنفسهم أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل على الصحيح، الإيمان يتفاوت حتى في القلب، إيمان القلب يتفاوت، غير العلم والعمل، فينظر في أصولهم ومذهبهم، لكن يلزمهم ذلك، يلزمهم أن يقولوا مثل ما قال أهل السنة والجماعة، لأن كل واحد منا لا يدري هل يختم له بحسن الخاتمة أم لا؟ ولا يدري هل استكمل الواجبات أم لا؟

والواجبات منها ما هو قلبي ومنها ما هو جارحي، فيلزمهم مثل ما قال أهل السنة والجماعة، ولا يلزم من هذا شك، الشك لا يلزم. أهـ

* * *

وقالوا أيضاً: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الآخر،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه صار منافقاً، إذا زال إيمان القلب ما نفعت الأخرى. أهـ

* * *

فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تصديق

القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة!!

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»[1] فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً، بخلاف العكس.

وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثل الإنسان، لا يلزم من زوال أجزائه زواله، فلو قطعت يده أو رجله مازال اسمه إنساناً، يكون إنساناً ناقصاً، هكذا الإيمان عند أهل السنة، إذا زال منه شعبة من الشعب التي لا تخرجه من الإسلام، كشعبة الصيام عند الجمهور، بأنه كان مصدقاً ولكنه لا يصوم، فهي كبيرة ويعاقب عليها، أو زالت منه شعبة من شعب عدم استقامته على بر والديه وصلة رحمه، أو إقدامه على بعض المعاصي، فلا يلزم من هذا زوال أصل الإيمان. أهـ

* * *

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية

(١) هو طرف من حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير، وهو مخرج في «غاية المرام في تخريج الحلال والحرام» برقم (٢٠). أهـ ألباني

كثيرة جداً: منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾.

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟

وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقيناً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ وأما ما رواه الفقيه أبوالليث السمرقندي رحمه الله، في تفسيره عند هذه الآية، فقال: حدثنا محمد بن الفضل وأبوالقاسم الساباذي، قالا: حدثنا فارس ابن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل العابد، قال: حدثنا يحيي بن عيسى، قال: حدثنا أبومطيع، عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم، عن أبي هريرة، قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «لا الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك»[1].

(١) موضوع، آفته أبو المهزم، فقد اتهمه شعبة كما ذكره الشارح وغيره، وأبو مطيع اتهمه الجوزقاني والذهبي بالوضع كما في «اللسان» ونحوه ما سأذكره عن ابن حبان. أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من الموضوعات بلا شك، نسأل الله العافية. أهـ

* * *

فقد سئل شيخنا عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الموضع الآن هو أحد المواضع التي صرح فيها بأن شيخه ابن كثير. أهـ

* * *

فأجاب: بأن الإسناد من أبي ليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة، وأما أبومطيع، فهو: الحكم بن عبدالله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبوداود، والنسائي، وأبوحاتم الرازي، وأبوحاتم محمد بن حبان البستي[١]، والعقيلي، وابن عدي، والدار قطني، وغيرهم، وأما أبوالمهزم، الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تصحف على الكتاب، واسمه: يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضاً، غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثاً[٢]!

(١) قال في «الضعفاء والمجروحين» (١/ ٢٥٠): «كان من رؤساء المرجئة، ممن يبغض السنن ومتحليها، وهو الذي روى..» ثم ساق له هذا الحديث. أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: أبو مطيع البلخي هذا مترجم في الميزان ولسان الميزان، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (الورقة ٨٥ من المخطوطة) وذكروا هذا الكلام الذي رواه أو افتعله، وقال ابن حبان: «كان من رؤساء المرجئة، ممن يبغض السنن ومتحليها» ثم نقل روايته هذه، ثم قال: «فيما يشبه هذا الذي ينكره من جالس أهل العلم فكيف الممعن في الصناعة ؟!» وكان لفظ هذه الرواية في المطبوعة محرفاً فصححناه من هذه المراجع. =

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١) **والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان،**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كل هذا يدل على الزيادة والنقصان، لأن قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة**»(٢) يدل على أنه متى توافرت الشعب كمل الإيمان، ومتى نقص منها شيء نقص الإيمان، وهكذا إخراج العصاة من النار، من كان في قلبه مثقال كذا مثقال كذا، يدل على زيادة الإيمان ونقصانه، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك، ذكره البخاري في أول الكتاب وذكره غيره، فالمقصود أن المرجئة والمعتزلة والجهمية والخوارج وأشباههم كل هؤلاء خالفوا أهل الحق في هذه المسألة، والصواب مع أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سلك سبيلهم من أهل الكتاب والسنة من أئمة الهدى.

ثم ما تواترت به الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من إخراج العصاة من النار رد صريح على المعتزلة والخوارج في قولهم إن

= وأبو المهزم له ترجمة في الكنى من التهذيب، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (الورقة ٢٤٣) وروى جرح شعبة إياه، وأنا أميل إلى أن العهدة في هذه الفرية على أبي مطيع البلخي، كما يفهم من صنيع ابن حبان، فما أظن حماد بن سلمة يروي مثل هذا عن أبي المهزم ولا عن عشرة من أمثال أبي المهزم.أهـ

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

العاصي مخلد في النار، قول الخوارج والمعتزلة إن العاصي مخلد في النار هذا مخالف للكتاب والسنة، ومخالف لما تواترت به الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وأجمع عليه أهل السنة بأن العاصي لا يخلد الخلود الذي وعد به الكفار، نعم هناك خلود دون خلود، قال أهل السنة: الخلود خلودان: خلود لا خروج معه بالكلية بل إلى أبد الآباد، وهذا خلود أهل الكفر والنفاق والضلال، خلودهم أبداً، وهناك خلود له نهاية، وهذا خلود بعض أهل المعاصي الذين اشتدت جريمتهم، كالقاتل عمدا بغير حق والذي قتل نفسه والزاني، هؤلاء موعودون بالخلود، ولكنه خلود له نهاية، ليس خلوداً دائماً دائماً أبداً كخلود الكافر، لا، بل خلود له نهاية، والعرب تسمي الإقامة الطويلة خلوداً، أقاموا فأخلدوا، يعني أطالوا. أهـ.

* * *

فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان؟! وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضاً، منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص[١]، وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله تعالى عز وجل[٢]، وكان ابن مسعود رضي الله عنه[٣] يقول

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١١٤٠) ٢/ ٨٤٩ بلفظ: «من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص؟ وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه؟»

(٢) الإبانة لابن بطة (١١٣٤) ٢/ ٨٤٧، ورواه الخلال في السنة (١٥٨٤) ٥/ ٤٩.

(٣) قال شاكر: في المطبوعة «أبو مسعود» وصححناه من فتح الباري ١/ ٤٥ وذكر أنه رواه الإمام أحمد في كتاب الإيمان، قال: «وإسناده صحيح».أهـ

في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[١]، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة[٢]. ومثله عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه[٣]، وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم.[٤] ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه.

وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أثر عظيم» الإنصاف من نفسك» وهذا أشدها «والإنفاق من الإقتار» وفي اللفظ الآخر: «مع الإقتار» يعني مع قلة المال ينفق مما آتاه الله ولو كان يسيراً «وبذل السلام للعالم» يعني نشره للسلام وإفشاؤه وعدم البخل، وهذا

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٧) ١/ ٣٦٩، وابن بطة في الإبانة (١١٣٢) ٢/ ٨٤٦

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٥و١٠٧) بتحقيقي، وكذا أبو عبيد في «الإيمان» (٢٠) بسند صحيح عنه، وعلقه البخاري في صحيحه (رقم٢ـ مختصر البخاري) طبع المكتب الإسلامي.أهـ ألباني

وكذا رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٦) ١/ ٣٦٨، وابن بطة في الإبانة (١١٣٥) ٢/ ٨٤٧، والخلال في السنة (١٥٨٧) ٥/ ٤٩.

(٣) رواه ابن بطة ولفظه: «قال أبو الدرداء: كان ابن رواحة يأخذ بيدي فيقول: تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً» الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١١٣٧) ٢/ ٨٤٨.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) بإسناد صحيح عنه موقوفاً، وأورده البخاري في «الإيمان» معلقا مجزوماً وموقوفاً (رقم٩ـ مختصر البخاري) ورواه بعضهم مرفوعاً، وهو خطأ، كما قال أبو زرعة وغيره، ذكره الحافظ في الفتح (١/ ٩٠طبع مصطفى الحلبي) وقال: «إلا أن مثله لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع»وهو مخرج في تعليقي على «الكلم الطيب» (رقم التعليق١٤٢طبع المكتب الإسلامي).أهـ ألباني

تؤيده أحاديث كثيرة، أما الإنصاف من نفسك فهذا أمر واجب، وهو مقتضى العدل، ويؤخذ من قوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء:١٣٥] كذلك الإنفاق من الإقتار يؤخذ من العموم، وفي الحديث: «**خير الصدقة جهد المقل**»(١) وبذل السلام للعالم هذا له شواهد، ما رواه مسلم في الصحيح من حديث الزبير رضي الله عنه وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»(٢) والحديث الذي في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل أي الإسلام أفضل؟ قال: «**أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٣)، وأيضاً من حديث عبدالله بن سلام أن النبي عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة قال: «**أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»(٤) فإفشاء السلام له شأن، ولكن لا يلزم من هذا ترك الهجر المشروع، فالهجر المشروع مستثنى، ولا يدخل في هذا أيضاً بدء اليهود والنصارى والكفرة بالسلام، غير داخل في هذا، فكلام النبي ﷺ يحمل ويفسر بما تقتضيه

(١) رواه أبو داود (١٦٠٨) كتاب الزكاة/ باب الرخصة في ذلك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني ٢/ ٦٩ سنن أبي داود وسنن النسائي ٥/ ٥٨.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة/ باب:

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ باب: من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة ٢/ ١١٣.

الأدلة الأخرى، فالمطلق عند أهل العلم يقيد والعام يخص، فمراد النبي ﷺ في إفشاء السلام بالنسبة إلى من لا يلزم هجره، وبالنسبة إلى من لا يجوز بدؤه بالسلام كما هو معلوم. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان: فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[(١)] الحديث «لا تؤمنوا حتى تحابوا»[(٢)] «من غشنا فليس منا»[(٣)] «من حمل علينا السلاح فليس منا»[(٤)].

وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: «فليس منا» أي فليس مثلنا! فليت شعري فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه[(٥)].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة (٣٨ـ٤١ـ٧٣) عنه وعن عائشة وابن أبي أوفى. أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة في «صحيحيهما» وغيرهما، وصححه الترمذي، وهو مخرج في الإرواء (٧٧٧). أهـ ألباني

(٣) رواه مسلم وأبو عوانة في «صحيحيهما» وغيرهما، وصححه الترمذي والحاكم، وهو مخرج في الإرواء (١٣١٩). أهـ ألباني

(٤) رواه البخاري ومسلم. أهـ ألباني

(٥) قال شاكر: وكان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير أيضاً، كما نقلنا في شرحنا للمسند، في الحديثين ٢٣٢٩ـ٧٢٩٠. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن الإيمان متى أطلق دخلت فيه الأعمال القلبية والجارحية كما قال أهل السنة والجماعة، ومنه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٣] فقوله ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] هذا مما يتعلق بعمل القلب، ومثل الصلاة والزكاة تتعلق بعمل الجوارح، فدخل هذا في الإيمان، كذلك في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:١٥] جعل الجهاد داخلاً في ذلك، وهكذا في آيات كثيرات ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل هذا كله داخلاً في الإيمان، وحديث وفد عبد القيس «**آمركم بالإيمان**» ثم فسر لهم الإيمان بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصيام رمضان، هذا أمر معلوم، كذلك حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو قال ـ بضع وستون شعبة» وإذا قرن معه غيره صار ذلك لمزيد تأكيد هذا الشيء وأنه داخل فيه، أو ليتبين هذا من هذا، وأن هذا شيء وهذا شيء عند الاقتران كالإسلام والإيمان، الإسلام يكنى به عن الأعمال الظاهرة، وعما يعمل في الظاهر من صلاة وصوم ونحو ذلك، والإيمان عما يتعلق بالقلوب، مثل قوله تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة:٢٣٨] الصلاة

الوسطى من الصلوات، لكن خصها بالذكر لمزيد العناية، فلا يستنكر هذا، وهكذا قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب:٧٠] القول السديد من التقوى، لكن خص بالذكر لمزيد العناية، هكذا قوله: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر:٣] كون الإيمان من العمل الصالح هذا شيء كثير، كون الشيء يذكر في بعض الأحيان مجملاً ومفرداً، وفي بعض الأحيان يضاف إليه غيره ويعطف عليه غيره، غير مستنكر في اللغة العربية ولا في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة. أهـ.

❊ ❊ ❊

أما إذا عطف عليه العمل الصالح، فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب: أعلاها: أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءاً منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ وهذا هو الغالب،

ويليه: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فلا بد من الإيمان بالتوراة والإيمان بالإنجيل أيضاً، ولابد من العمل بمقتضاهما جميعاً، كتب الله ورسل الله الإيمان بهم فيه تلازم، وهو من الثاني فيما يظهر، بخلاف الأرض والسماء. أهـ.

❊ ❊ ❊

الثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ وفي مثل هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في الأول، فيكون مذكوراً مرتين.

والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فألفى قولها كذباً وميناً

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه، نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان؟

فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر، والتقوى، والدين، ودين الإسلام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الدين إذا أطلق هو الإيمان، وإذا أطلق دين الإسلام هو الإيمان ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦] دين الله هو الإيمان وهو التقى وهو البر وهو الإسلام، مضاف ومطلق، يعني دين الحق. أهـ.

❊ ❊ ❊

ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآيات، قال محمد بن نصر: حدثنا إسحق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء، والملائي، قالا: حدثنا المسعودي، عن القاسم، قال: جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان؟ فقرأ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأت عليك، فقال له الذي قلت لي، فلما أبى أن يرضى، قال: «إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنه سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هذا من مقتضى الإيمان أن يكون سعيداً، وأن المؤمن إذا عمل بهذه الأمور، فمن كمال إيمانه أيضاً أنه تسره الحسنة ويرجو ثوابها، وتسوؤه السيئة ويخشى عقابها. أهـ.

* * *

(١) ضعيف بهذا السياق والإسناد، وعلته الانقطاع، واختلاط المسعودي، لكن صح الحديث من رواية أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يارسول الله ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن» قال: يا رسول ما الإثم؟ قال: «إذا حاك في صدرك شيء فدعه» رواه الحاكم (١/ ١٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وإنما هو على شرط مسلم وحده، فإن ممطوراً لم يخرج له البخاري في صحيحه «الصحيحة» (٥٥٠).أهـ ألباني

قال شاكر: ذكره ابن كثير في التفسير ١/ ٣٨٦-٣٨٧ من رواية ابن أبي حاتم، من طريق مجاهد عن أبي ذر، ومن كتاب ابن مردويه، من طريق المسعودي عن القاسم عن أبي ذر، وأعلهما كليهما بالانقطاع، لأن أبا ذر مات قديماً.أهـ

وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب، وفي الصحيح قوله لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم»[١]. ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود، وفي المسند عن أنس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أصل الإيمان أمر معلوم، تصدر عنه الأعمال الظاهرة والخفية. أهـ.

* * *

وفي هذا الحديث دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان، ويؤيده قوله [في حديث سؤالات جبريل، في معنى الإسلام والإيمان][٣] وقد قال فيه النبي ﷺ :«هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم»[٤] فجعل الدين

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه.أهـ ألباني

(٢) إسناده ضعيف، فيه علي بن مسعدة، قال العقيلي في الضعفاء: «قال البخاري: فيه نظر» وقال عبد الحق الأزدي في «الأحكام الكبرى» (ق٣/ ٢) :«حديث غير محفوظ» .أهـ ألباني

قال شاكر: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٢ ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار وإسناده ثقات.أهـ

(٣) قال شاكر: زيادة زدناها بالمعنى، ضرورية لا يستقيم بدونها الكلام.أهـ

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر، والبخاري من حديث أبي هريرة نحوه.أهـ ألباني

هو الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاثة: فمسلم، ثم مؤمن، ثم محسن.

والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعاً، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان، هذا محال، وهذا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد، وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرض للوعيد.

فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين، وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي، ولا ينعكس.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] حتى يعم الجميع، وقال في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥] إلى آخره، فالسياق قد يقف على شيء لأسباب اقتضت ذلك مع اتحاد الأصل. أهـ.

* * *

وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة، وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأصول الخمسة يعني ما عدا القدر، والقول الثاني تسمى الأصول الستة، لأن القدر أحدها، وقد جاء ذكر القدر في حديث جبرائيل، وإن سقط من آية البقرة ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، لكنه ثابت في رواية جبريل وسؤاله النبي ﷺ، فالصواب أن يقال: الأصول الستة لا الخمسة، وإن كان القدر داخلاً في الإيمان بالله، يعني من صفات الله أنه قدر الأمور، فهو عند الإطلاق داخل في الإيمان بالله، وكما أنه عند الإطلاق يدخل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل أيضاً، وفي الآيات: ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [التوبة:٩٩] فإذا جاءت الآية والحديث بالله واليوم الآخر دخل الإيمان بالكتب والرسل والملائكة والقدر، دخل في الإيمان بالله. أهـ.

* * *

وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة»[2] الحديث ـ: شعائر الإسلام، والأصل عدم التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق

(١) مسلم، وهو حديث جبريل المتقدم آنفاً. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه. أهـ ألباني

بالقلب، ثم قالوا الإسلام والإيمان لشيء واحد،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب القول الأوسط هنا، وهو الوسط في الحقيقة والعدل والخيار، وهو أن الإسلام والإيمان عند الاجتماع يفترقان، وعند الانفراد يجتمعان، كالفقير والمسكين ونحوهما، فعند إطلاق الإسلام أو الإيمان يدخل فيه الآخر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] يعني والإيمان والإحسان «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[١] يعني داخل فيه الإسلام، وعند الاجتماع والاقتران يفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والشعائر الظاهرة والإيمان بالأصول الباطنة، كما فسره النبي عليه الصلاة والسلام بهذا. أهـ.

❊ ❊ ❊

فيكون الإسلام هو التصديق! وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت»[٢] وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهم أن نجيب بغير ما أجاب النبي ﷺ. وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يقال له مؤمن؟

وقد تقدم الكلام فيه.

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، وهو طرف من دعاء النبي ﷺ في استفتاح صلاة الليل، انظر «صفة الصلاة». أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: خلاف بين أهل السنة والجماعة، لأن المسلم أعم من المؤمن والمؤمن أخص، فالإطلاق إذا أطلق المسلم عم الجميع، المسلمين والمؤمنين والمحسنين، ولكن قد ينفرد المسلم بوصف الإسلام دون الإيمان عند المدح، إذا كان من العصاة: يقال مسلم وليس بمؤمن الإيمان الكامل، ولكن الأولى في مثل هذا أن يقال: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، كما ذكر أبو العباس في العقيدة الواسطية، لأن مقام المدح بالإيمان مقام عظيم، والله فصّل بينهما فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥] هذا عند مقام التفصيل «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(١) يعني بل هو مسلم ليس بمؤمن الإيمان الكامل، الإيمان الذي يستحق أهله المدح الكامل، فلا بد من الجمع بين النصوص بما يؤلف بينها ويوضح معناها. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟

فيه النزاع المذكور، وإنما وعد الله بالجنة في القرآن وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ وأما اسم الإسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: جاء في بعض الروايات «**واعلموا أنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة** - وفي لفظ - **مسلمة**»(١) هذا عند الإطلاق يعني مسلمة الإسلام الكامل المطلق الذي دخل فيه الإيمان، أو المعنى أنه لا يدخل الجنة دخولاً سليماً ليس فيه عذاب إلا نفس مؤمنة، بخلاف المسلمة فقد تبتلى بعذاب قبل ذلك، فعلى رواية الإطلاق «مسلمة» فالمراد به المسلمة المؤمنة، أو المراد أنه يدخل الجنة مسلمة، ولكن لا يمنع ذلك من كونه قد يؤخذ بسيئاته، ثم يصير إلى الجنة. أهـ.

* * *

وبه بعث النبيين ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حاله إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهاده الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني شيئان في الوجود وهما شيء واحد في الحكم، فلا تكفي شهادة أن لا إله إلا الله

(١) رواه البخاري (٤٢٠٤) كتاب المغازي / باب غزوة خيبر، و(٦٦٠٦) كتاب القدر / باب العمل بالخواتيم، ومسلم (١١١) كتاب الإيمان / باب بيان غلظ قتل الإنسان نفسه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(١١٤) باب تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٨٧١) كتاب الحج/ باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً، و(٣٠٩٢) كتاب التفسير / من سورة التوبة، من حديث علي رضي الله عنه.

عن شهادة أن محمداً رسول الله، ولا تكفي شهادة أن محمداً رسول الله عن شهادة لا إله إلا الله، لابد منهما، ولكنهما شيئان من حيث الواقع، ليسا شيئاً واحداً، ولكن من حيث الحكم لا بد منهما، هكذا الإسلام والإيمان شيئان عند الاجتماع، ولكن في الحكم لابد من إسلام وانقياد، ولابد من الإيمان بالقلب، فانقياد في الظاهر من دون إيمان القلب نفاق، لا يصح ولا ينجي من عذاب الله، وإيمان بالقلب دون إسلام وانقياد في الظاهر كإيمان اليهود وإبليس وأشباه ذلك، لا ينفع. أهـ.

* * *

كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به صح إسلامه، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ونظائره كثيرة، وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه.

وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ إلى آخر السورة، وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا بظواهرنا،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني استسلمنا، معنى الاستسلام لا بمعنى الإسلام، هذا قول مرجوح ضعيف. أهـ.

* * *

فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة، وأجيب بالقول الآخر، ورجح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق، ومن لا أمانة له[1]، ويؤيد هذا سياق الآية، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكام بعض العصاة، ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية، يعني - والله أعلم - أن المؤمنين الكاملي الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منتف عنكم الإيمان الكامل، يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام، كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمنوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال: لم تسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ والله أعلم بالصواب.

---

(١) قال شاكر: هذا إشارة إلى حديث أنس مرفوعاً: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد في المسند ١٢٤١٠، ونسبه السيوطي في الجامع الصغير ٩٧٠٤ أيضا لصحيح ابن حبان. أهـ

وينتفي بعد هذا التقدير[١] والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة لكان ينبغي أن لا يقبل إلا ذلك، ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد، فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[٢] الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة ـ: ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يكون قائماً بـ لا إله إلا الله حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به، فتضمنت التوحيد وإذا ضممت شهادة أن لا إله إلا الله إلى شهادة أن محمداً رسول الله -كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة، كذلك الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. وقوله ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت»[٣]: كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لكن الأظهر من هذا حديث سعد في الصحيح قال: تركت فلاناً وما أعلمه إلا مؤمناً، قال «أو

(١) لعله التقرير، يعني الإيضاح والبيان، مقرر وموضح ومبين. ابن باز

(٢) متفق عليه من حديث جمع من الصحابة، وهو حديث متواتر كما قال السيوطي، وقد خرجت طائفة من طرقه في «الأحاديث الصحيحة» (٤٠٧). أهـ ألباني

(٣) متفق عليه كما تقدم قريبا. أهـ ألباني.

مسلماً»[١] وهذا شيء واضح، فإن الاقتران له حالة من المعنى غير حالة الانفراد في مسائل كثيرة، والواجب الجمع بين النصوص وضم بعضها إلى بعض وإيضاح معانيها وإبعاد ما قد يخشى أو يظن - يظنه بعض ناقصي الفهم - من اضطراب أو تناقض أو اختلاف، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأعظمها وأوسعها، فللدلالات في التنوع كالاقتران والعطف والانفراد والسياق فيما يتعلق بالكلام السابق واللاحق إلى غير ذلك، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة التي تتضمن الانقياد والذل، ولا يتم هذا إلا بإيمان يصدق هذا الذل والانقياد، وإلا صار نفاقاً، ولهذا نعى الله على المنافقين وذمهم وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة:٨] فدل ذلك على أن الإسلام الظاهر إذا لم يصحبه إيمان باطن وتصديق صار نفاقاً، وهكذا الإيمان الباطن إذا لم يصحبه انقياد وذل وإسلام لم يكن إيماناً، ففرعون يعلم ربه، وإبليس واليهود وعلماء السوء، وهكذا رؤساء الكفرة من قريش يعلمون أن محمداً جاء بالحق وأن دينه هو الحق، ولكن حملهم البغي والحسد، فلم ينفعهم هذا الإيمان، فلا بد من هذا وهذا، ولهذا بين المؤلف أن لو شهد أن لا إله إلا الله ولكن لم يصدق بأن

---

(١) رواه البخاري (٢٧) كتاب الإيمان / باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾و (١٤٧٨) كتاب الزكاة / باب قول الله تعالى ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ وكم الغنى؟ وقول النبي ﷺ: **«ولا يجد غنى يغنيه»**.

ومسلم (١٥٠) كتاب الإيمان / باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

محمداً رسول الله فلا إيمان له ولا إسلام له، ولو شهد أن محمداً رسول الله وصدق الرسل جميعاً، ولكنه لم يشهد أنه لا إله إلا الله ولم يوحد الله بل عبد معه سواه لم يكن مسلماً، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنه لم يكذب مسيلمة ونحوه، بل صدق مدعي النبوة بعد محمد ﷺ صار كافراً، لأنه مكذب لله مكذب لرسوله عليه الصلاة والسلام فيما أخبر عنه من ختم الرسالات والنبوات بمحمد عليه الصلاة والسلام وأنه لا نبي بعده، وهكذا غير ذلك من المسائل، فلابد في الإيمان بالله ورسوله من مراعاة تصديق الله ورسوله في كل شيء، والبعد عن استحلال ما حرم الله، أو إسقاط بعض ما أوجب الله، فالإيمان لابد أن يجتمع فيه الإيمان بالله ورسوله وبكل ما أخبر به الله ورسوله، ولابد من الانقياد لما أمر الله به ورسوله قولاً وعملاً.

وكثير من الناس لقلة العلم وقلة البصيرة يظن أن مجرد انتسابه للإسلام أو نطقه بالشهادتين يكفيه، وأن هذا هو الإسلام، ولم يعلم أن المقام يحتاج إلى ما هو فوق ذلك، إلى ما هو أوسع من ذلك من العمل، من توحيد الله والإخلاص له، ومن تصديق الرسول في كل شيء، ومن الانقياد لأمر الله ورسوله، ومن عدم الاستهزاء بالله ورسوله، ومن عدم جحد شيء مما أوجب الله ورسوله، ومن عدم إنكار شيء مما حرم الله ورسوله، فلا بد من إيمان كامل مصدق لجميع ما جاء به الرسول ﷺ، ولا بد من حفظ الجوارح عما يسبب انتقاض الإسلام والردة عن الإسلام. أهـ.

*　*　*

وكما قال ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم ما فيه من الضعف. أهـ.

* * *

وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، فهل يقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ أنه يعطى المقل دون المعدم، أو بالعكس؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾.

ويندفع أيضاً تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم؟ أو أسلم ولم يؤمن؟ في الدنيا والآخرة؟

فمن يثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله! ويقال له في مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فجعلهما غيرين، وقد قيل لرسول الله ﷺ: مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً؟ قال: «أو مسلماً»[٢] قالها ثلاثاً، فأثبت له الإسلام وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء كان مخالفاً، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة، ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق.

---

(١) ضعيف كما سبق آنفاً. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص. أهـ ألباني.

وأما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ على ترادف الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه، لأن البيت المخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وإنما هي من الأصحاب، فإن غالبها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة! وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: «أي الإسلام أفضل»(١) إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: «أي الإسلام أفضل قال: الإيمان» ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟

فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بم أجيبه؟ وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

ومن ثمرات هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول أي الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

أما من يوجبه فلهم مأخذان: أحدهما: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «باعتبار الموافاة»

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري، ولهما نحوه من حديث ابن عمرو، وانظر لفظهما إن شئت في «مختصر البخاري» (٩ـ٨). أهـ ألباني

معناه باعتبار ما يموت عليه من حسن الخاتمة أو سوء الخاتمة، ولهذا كان كثير من السلف يخشون السابقة واللاحقة، السابقة هي الخاتمة، والخاتمة على حسب السابقة، فلهذا كان الواجب على المؤمن أن يهتم بالخاتمة، وأن يحرص على الاستمرار في العمل الصالح، لأن ذلك من أسباب حسن الخاتمة، والإصرار على المعاصي من أسباب سوء الخاتمة، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً -: ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد! وليس هذا قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثنى من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة، ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول.

ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله! فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه؟ يقولون:

نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره!!

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار-: فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين! وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى يرجع إلى كمال العمل وتمام العمل، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يعني إن شاء الله لإكمال العمل وإتمامه، فإن العمل في الغالب لا يكون تاماً، بل يكون فيه من النقص ما فيه، من تفريط في واجب أو ارتكاب لمحرم، فأهل السنة والجماعة يستثنون لهذا المعنى، يستثنون لأنهم لا يدرون هل كملوا أو لم يكملوا؟ والغالب النقص، ولهذا يقول: إن شاء الله، يعني إن شاء الله أني كملت إيماني وأتممت إيماني، كما يقول السفاريني في العقيدة التي ينسبها للسلف:

ونحـــن في إيماننـــا نـــستثني ... من غير شك فاستبن واستبني

فالمقصود أن السلف يقولون هذا من غير شك، بل من باب رد ذلك إلى كمال العمل وتمام العمل، وليس بواجب كما تقوله الكلابية وأشباههم، بل هو مستحب، من باب الإزراء على النفس وعدم الشهادة لها بالكمال والتمام، وبعض السلف يتورع عن هذا ويقول إذا قيل له أنت

مؤمن؟ قال: أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، ويتورع عن قول إن شاء الله.

ثم إن هذا ليس من هدي السلف، السؤال أنت مؤمن؟ أو هل أنت مؤمن؟ ليس هذا من هدي السلف ولا حاجة إلى ذلك ولا وجه له ولا يرغب فيه، لكن لو قدر أن إنساناً سئل، فأهل السنة يقولون: أنا مؤمن إن شاء الله، إذا قال أنت مؤمن؟ لأن بعض المبتدعة قد يمتحنون الناس بهذا فيسألونهم ثم يرمونهم بالعظائم، فإذا قال: إن شاء الله، قالوا: هذا شك في إيمانه فيكون كافراً، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن المؤمن من أهل السنة إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله، ليس قصده الشك، وإنما قصده الإزراء على نفسه وعدم الشهادة لها بالكمال والتمام، هذا وجه ما يقوله السلف، يستثنون خشية أن لا يكونوا كملوا ما أوجب الله عليهم وتركوا ما حرم الله عليهم، كل بني آدم خطاء، فلهذا المؤمن من أهل السنة لا يشهد لنفسه بالإيمان الكامل، بل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله عندما يسأل عن ذلك، لئلا يزكي نفسه، ولئلا يشهد لها بالتمام والكمال. أهـ.

❊ ❊ ❊

ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر «أحكام الجنائز وبدعها» (١٨٩).أهـ ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه يؤتى بها للتبرك والتجرد من الحول والقوة، ولهذا قال: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» من باب البراءة من الحول والقوة.

وقال بعضهم: إنه يرجع إلى البقعة، يعني في هذه البقعة، وإلا فالموت لا بد منه، فالحاصل أنه يؤتى بها للبركة والتبرؤ من الحول والقوة في كل شيء، ولهذا ينهى أن يقول الرجل سأفعل كذا وسأعاين كذا وسأسافر كذا من غير استثناء، بل السنة أن يقول: إن شاء الله، لأنه لا يدري أيتم له الأمر أو لا؟

وهذا شيء مشروع، في الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] والتبرك المقصود به المشيئة، هذا المقصود، لأنه كلمة عظيمة تفيد التجرد من الحول والقوة، وأن الله هو الذي بيده كل شيء، فيتبرك بقولها لئلا ينسب إلى نفسه ما ليس في قدرته، فقد لا يلحقه الله بهم في البقعة هذه أو في العمل والإيمان أو في أشياء أخرى. أهـ.

* * *

وقال أيضاً: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»[1] ونظائر هذا.

وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم: الشكاكة، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بأنه يعود إلى الأمن

(١) أخرجه مسلم، والبخاري نحوه. أهـ ألباني

والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه! وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت! وفي كلا الجوابين نظر: فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضاً، فكان قول: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل.

وفي كون هذا المعنى مراداً من النص- نظر، فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

وأجاب الزمخشري بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكون الملك قد قاله، فأثبت قرآناً! أو أن الرسول قاله!! فعند هذا المسكين يكون من القرآن ما هو غير كلام الله! فيدخل في وعيد من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ نسأل الله العافية.

وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ فالاستثناء حينئذ جائز.

وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والخلاصة في هذا أن الأقوال كما قال الشارح ثلاثة: قول بوجوب الاستثناء، وقول بوجوب الترك، وأن الاستثناء شك لا يجوز، وكلا الطرفين خطأ، فالاستثناء ليس بشك، والوجوب ليس بواجب، والعبرة بالظواهر وما عليه الحال، والوسط هو الجواز، فإن شاء قال ذلك: أنا مؤمن إن شاء الله، وإن شاء ترك ذلك، وإذا قاله فهو على سبيل التبرك والتجرد من الحول والقوة وخوف تزكية النفس، لا عن شك في ذلك.

وأما ما تقوله الخوارج والمعتزلة من أن الاستثناء شك، لأنهم يقولون: الإيمان شيء واحد لا يتبعض، فلهذا عندهم من عصى كفر، فهذا قول فاسد ولا وجه له، وما عليه أهل السنة والجماعة هو الصواب، أن الاستثناء جائز وتركه جائز، ومن استثنى فليس للشك، بل للتجرد من الحول والقوة، وللتبرك بالمشيئة، وأن الله جل وعلا هو مصرف الأمور، ومن ترك ذلك قبل على الظاهر، وأنه بحمد الله على الإيمان والإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ وليس قصده التزكية، وإنما قصده الإخبار أنه

في جملة المسلمين والمؤمنين. أهـ.

سؤال/ الاستثناء في أمر قد وقع مثل: هل صليت؟ فيقول: إن شاء الله.

أجاب سماحة الشيخ: إذا قاله على طريقة أهل السنة والجماعة أنه من باب التجرد من الحول والقوة، وأنه إن شاء الله أدى الواجب؛ ما نعلم فيه حرجاً، ولكن إذا أراد «صليت» يعني أديت الصلاة المعروفة، فلا يحتاج إلى استثناء، لكن لو قالها ـ صليت إن شاء الله ـ يعني على سبيل أنه أدى الواجب إن شاء الله، ولا يدري لعله يكون قصّر في الصلاة، في خشوعها أو في شيء منها، فهذا المعنى لا حرج فيه. أهـ.

سؤال/ المعروف عن الأحناف من أهل السنة أنهم يمنعون من الاستثناء.

أجاب سماحة الشيخ: لأنهم مرجئة، قد يكونون من مرجئة الفقهاء، لأن الإيمان عندهم هو التصديق، كيف يشك في التصديق؟

عندهم الإيمان هو التصديق، ما عندهم عمل، هذا وجهه، يلحقون بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، كلهم شيء واحد. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: «وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق».

يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة، القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر – وإن كان قطعي السند – لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة

اللفظية لا تفيد اليقين!! ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات! قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها! فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية، سموها قواطع علقية، وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ من العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا البلاء الذي وقع في الناس، ترتب عليه من الشرور والفساد والإعراض عن الله ورسوله ما لا يحصي شره وخطره إلا الله سبحانه وتعالى، فإن هذا التقسيم الذي وقع في الناس، قسّمه قوم فأخذوا به واحتجوا به واستقاموا عليه، من أئمة الحديث وغيرهم، فلم يحصل به بالنسبة إليهم ضرر، حيث قالوا: الأخبار تنقسم إلى تواتر وآحاد، وهذا واقع، ولكن أهل البدع قسّموا هذا التقسيم من أجل الوصول إلى نتيجتهم وإلى قصدهم الباطل، حتى يقولوا ما قالوا، بأن المتواتر وإن كان صح سنده واضطرت العقول إلى تصديقه، لكنه ليس قطعي الدلالة، فلا يحتج به على ما دل عليه من إثبات أسماء الرب وصفاته، فعزلوا القرآن عن أن يفيد العلم، ثم عزلوا

السنة وقالوا: إن أكثرها آحاد لا تفيد العلم، وما تواتر منها جعلوه كالقرآن أيضاً ليس قطعي الدلالة، فعطلوا هذا وهذا وضلوا عن سواء السبيل، من الجهمية والمعتزلة والرافضة، وغيرهم من صنوف أهل البدع الذين تورطوا في هذا الأمر، وأقفرت قلوبهم من الإيمان والهدى بالنصوص، واستحوذ عليهم الشيطان، فحكموا عقولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة وقضاياهم الوهمية، وتعطلت بالنسبة إليهم حجة الله على عباده.

أما أهل السنة الجماعة فقبلوا ما جاءت به النصوص فاحتجوا بها، وردوا بها على أعداء الله وخصوم الإسلام، فاستقام أمرهم واستقام إيمانهم واستقامت لهم الأدلة، وبطلت شبهات المشبهين بسبب نور الحق والإيمان الذي احتج به أهل الحق، وما يكون من آحاد فهو حجة إذا استقام الإسناد، وقد أجمع المسلمون ـ كما حكى ذلك ابن عبد البر والخطيب البغدادي وغيرهما ـ على أن الآحاد حجة كما أن المتواتر حجة، في باب العقائد وفي باب الأحكام جميعاً، فالآحاد متى استقامت أسانيدها ولو من طريق واحدة فهي حجة في العمل وحجة في وجوب الاعتقاد على من خالف ذلك، وهذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[(١)] حجة قائمة عند أهل العلم قاطبة مع أنه خبر آحاد، ونظائر هذا في النصوص كثيرة لا يحصى، والمقصود أن الحديث متى استقام إسناده، ومتى اتصل وعدلت رجاله فهو حجة في العقائد وغير العقائد، في أبواب العبادات وفي أبواب المعاملات وفي أبواب الجنايات وفي أبواب النكاح والطلاق

---

(١) رواه البخاري (١)كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة / باب قوله ﷺ «**إنما الأعمال بالنية**» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، من حديث عمر رضي الله عنه.

وغير ذلك، حجة في الجميع عند أهل العلم، وهو حجة بالإجماع عند أهل السنة والجماعة، وإنما اختلفوا هل يفيد العلم القطعي أم لا؟

على قولين، والصواب أنه يفيد العلم عند وجود القرائن التي يعرفها أهل العلم وأهل البصيرة من ثقة الرجال واتصال السند وعدم المعارض، فإن مثل هذا يفيد العلم كما ذكر ذلك أئمة الحديث في المصطلح، ومن ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله، حتى في النخبة التي هي من أخصر المختصرات ومن أقلها كلمات، يقول فيها: «وقد يقع فيها - يعني الآحاد - ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار» والقرائن هي استقامة الأسانيد وثقة الرجال وظهور وشهرة عدالتهم واستقامتهم، مع عدم الشذوذ والعلة، فيستقيم الإسناد ويحتج به ويفيد العلم النظري بالنسبة إلى أهل العلم والنظر، وقد يفيد العلم الضروري عند تعدد الأسانيد وظهور المعنى.

والحاصل أن الأدلة من الكتاب والسنة حجة قائمة على أعداء الله وعلى خصوم الإسلام في جميع الشئون الإسلامية، عقدية أو فرعية، في جميع الأمور، فالآيات حجة قائمة بالإجماع، وهكذا الأحاديث حجة قائمة بالإجماع، سواء سميت متواترة أو سميت آحاداً فالحكم فيها واحد، كلها تفيد القطع وتفيد الحجية على الأحكام، ما عدا أشياء قليلة من الآحاد، قد يتوقف في إفادتها العلم، وإن كانت حجة قائمة في أسانيدها الصحيحة وثبوتها، فكونها تفيد العلم النظري أو الضروري أمر ثانوي، المهم أنها حجة قائمة، متى استقامت الأسانيد ولو إسناداً واحداً فإنه حجة قائمة في العقائد والأحكام. أهـ.

❊ ❊ ❊

ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق

للفطرة السليمة، بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فصار عاقبتهم الشك والحيرة نعوذ بالله، هؤلاء المتكلمون الضالون الملحدون، وهؤلاء الذين قلدوهم، صار عاقبتهم الشك والحيرة. أهـ.

* * *

فما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به!! وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تفويضاً! أو حرفه، وسمى تحريفه تأويلاً!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الله يقول: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى:١٠] وهؤلاء الضالون يقولون: لا، ما تنازعتم فيه واختلفتم فيه ردوه إلى قضايا العقول التي خلقها الله لنا لنميز بها وننظر بها، فجعلوا عقولهم الكاسدة المختلفة المتناقضة هي الأساس، بأي عقل يحتج؟ وعلى أي عقل يعتمد؟ العقول متناقضة ومختلفة ومتنوعة، فعلى أي عقل لو كانوا يعقلون ؟. أهـ.

* * *

فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم.

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا قول فلان، كما أشار إليه الشيخ رحمه الله، وكما قال البخاري رحمه الله: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه

الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! تراني على وسطي زنار ؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت ؟![1]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى: قضايا الرسول موقوفة على رأيي؟ مادام أنه قال رسول الله فليس لي كلام أنا ولا غيري، من أنا حتى أقول شيئاً يخالف رسول الله؟

ومقصوده من هذا الإنكار، يعني هل رأيتني عليّ علامة اليهود أو النصارى، في كنيسة أو في بيعة حتى تقول: ما تقول أنت؟

أنا مسلم، مادام أنه قضى رسول الله فأنا مع قضايا رسول الله.

ومن هذا الباب ما ذكره الشيخ محمد رحمه الله في كتاب التوحيد، في باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وقال أحمد رحمه الله حين قال: عجبت لمن عرف الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] يتعجب رحمه الله من قوم من أهل الحديث عرفوا الإسناد وصحته إلى النبي ﷺ، ثم يذهبون إلى رأي سفيان الثوري لعدم ثقتهم بعلومهم وعقولهم، فيعجب منهم ويقول: كيف يذهبون إلى رأي سفيان؟

ومن هو سفيان؟ سفيان المعروف بالورع والعلم والفضل والفقه،

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء٩/ ١١٣ والبيهقي في المناقب١/ ٤٧٤-٤٧٥ وابن كثير في مناقب الإمام الشافعي (١٩١)ص/ ١٧٩، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٢٨٥.

فكيف بمن ذهب إلى من لا يحاذي ولا يقارب تلاميذ سفيان في العلم والفضل والورع والدين؟ بل يذهبون إلى آراء أناس منحرفين عن الهدى، حكموا عقولهم وضيعوا دينهم؟

نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له -: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات»[(١)] وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: «نهى عن بيع الولاء وهبته»[(٢)] وخبر أبي هريرة: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»[(٣)] وكقوله: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[(٤)] وأمثال ذلك، وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها[(٥)].

وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد! وقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾

---

(١) متفق عليه من حديث عمر، وهو أول حديث في صحيح البخاري.أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر.أهـ ألباني.

(٣) متفق عليه، وهو مخرج في «الإرواء» (١٨٨٢).أهـ ألباني.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة، وهو في الإرواء أيضا (١٨٧٦).أهـ ألباني.

(٥) متفق عليه من حديث البراء بن عازب، وانظر لفظه وتخريجه في «صفة الصلاة». أهـ ألباني.

فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا تبطل حججه وبيناته.

ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته، وبين حاله للناس، قال سفيان بن عيينة: ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث[١]. وقال عبد الله بن المبارك: لو هم رجل في البحر أن يكذب في الحديث، لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب[٢].

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب - ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث، والبحث عن سير الرواة، ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، فهم ترك الإسلام[٣]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب يَزَك الإسلام، بالياء والزاي والكاف، يعني جند الإسلام، ولعلها كلمة تركية

(١) انظر الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ١/ ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) قال شاكر: «ترك» بضم التاء المثناة والراء، جمع تريكة بفتح التاء وكسر الراء، وهي بيضة الحديد للرأس، يريد أنهم دروع الإسلام وحفظته، وفي المطبوعة «بزك»! وهو تحريف لا معنى له، ويمكن أن تقرأ «بزل» بضم الباء الموحدة والزاي وآخرها لام، وهو جمع «بازل» وأصله وصف للبعير إذا بزل نابه، أي طلع، وهو أقصى أسنان البعير، قال في اللسان: «وقد قالوا: رجل بازل، على التشبيه بالبعير، وربما قالوا ذلك يعنون به كماله في عقله وتجربته، وفي حديث علي*بازل عامين حديث سني* يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة» وليس بيدنا أصل مخطوط للشرح حتى نستطيع أن نجزم أي اللفظين أرجح.أهـ

أخذوها من الأتراك، اليزك الجند والعسكر، ونبه على هذا ابن القيم رحمه الله، وقال إنها لغة تركية، لأن الترك ملكوا الشام مدة طويلة وكثرت كلماتهم واستعملها الناس، وليس لها فيما نعلم أصل في العربية، ولكنها مما استعمل من لغات الآخرين، أما تُرُك وبُزُل فليس بواضح، والمقصود أن هذه الكلمة فيما يظهر كلمة أعجمية من لغة الأتراك ومن استعمالهم، استعملها ابن القيم واستعملها جماعة آخرون، لأنها اشتهرت في الجند والعساكر التي ترصد للحرب، فصوابه يزك، بالياء والزاي والكاف، وهم الجند، جند الإسلام. أهـ.

❊ ❊ ❊

وعصابة الإيمان، وهم نقاد الأخبار، وصيارفة الأحاديث، فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم -: ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه، ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره، ما ليس لغيرهم به شعور، فضلاً أن يكون معلوماً لهم أو مظنوناً، كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم، وكل ذي صنعة هو أخبر بها من غيره، فلو سألت البقال عن أمر العطر، أو العطار عن البز، ونحو ذلك!! لعد ذلك جهلاً كبيراً.

ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ مستنداً لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم، وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلمة حق أريد بها باطل، كلمة حق أريد بها باطل، خفي عليهم معناها وضلوا بها، نسأل الله العافية، وهي آية عظيمة وحجة قاطعة في نفي مشابهة الله لخلقه، مع إثبات أسمائه وصفاته، فهو سبحانه الذي قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] هو الذي أثبت الأسماء والصفات، وأخبر بها عن نفسه جل وعلا، فكيف يرد كلامه بكلامه لو كان القوم يعقلون؟

كلامه لا ينقض بعضه بعضاً، فقد أخبر عن نفسه بصفات وأخبر أنه لا مثل له ولا كفو له ولا سمي له ولا ند له ولا تضرب له الأمثال، فهذا حق وهذا حق، فهو سميع ليس كمثله شيء، بصير ليس كمثله شيء، قوي ليس كمثله شيء، عليم ليس كمثله شيء، وهكذا، فهي صفات عظيمة كاملة لا مثل له فيها سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

تلبيساً منهم وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم، وتحريفاً لمعنى الآي عن مواضعه، ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين! ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ تحريفاً للنصين!! ويصنفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به وجاء من عنده، ويقرؤون كثيراً من القرآن ويفوضون معناه إلى الله تعالى، من غير تدبر لمعناه الذي بينه الرسول، وأخبر أنه معناه الذي أراده الله، وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الصفات الثلاث: تحريف الكلم عن مواضعه، يعني تفسيره بغير معناه.

كتابة الكتب من عند أنفسهم ويقولون هذه من عند الله، هذا الثاني.

والثالث التفويض.

تحريف وكذب وتفويض للمعاني، يقولون: ما نعرف معناه، هذه ألفاظ لا نعرف معناها، هذه مما ذم الله عليها الأوائل، فذمهم بالتحريف ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٧٩] ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة:٧٨] مجرد التلاوة، لا يعرفون المعنى بل يفوضونه.

فالمقصود أن الله جل وعلا أنزل كتاباً وأنزل سنة، وبين معانيها وأوضحها، فلا يجوز أن تأول بغير تأويلها أو تحرف، ولا يزاد فيها شيء من عند الناس، يكتبون ويقولون: هذا من عند الله، ولا يجوز أن تفوض ويقال: لا نعلم معناها، بل يجب التدبر، والله أمر بالتدبر ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢] فهم مأمورون بالتدبر، يعني أن يعلموا المعنى، والتفويض معناه إعراض عن التدبر وإعراض عن فهم ما أوحى الله إليهم، فالله ما أوحى إليهم ليعرضوا، بل أوحى إليهم ليتدبروا ويعقلوا ويتعلموا ويستفيدوا ويعملوا، فالتفويض الذي تدعيه بعض أهل البدع وتنسبه إلى أهل السنة، وإيجاد كتب ما أنزل الله بها من سلطان تخالف الحق وتباين الحق، هذا كذلك باطل ومن عمل اليهود وأشباههم، وتحريف الكلم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

عن مواضعه وتغيير معانيه، كقولهم استوى استولى، أو المحبة بمعنى إرادة الإنعام، والبغضاء معناها إرادة الانتقام، هذا تأويل للكلم عن مواضعه، تحريف، المحبة غير الإرادة، والبغضاء غير الإرادة، فالبغضاء وصف مستقل، والمحبة وصف مستقل، والإرادة وصف مستقل، فتفسير البغضاء والغضب بعدم إرادة الإنعام، وتفسير المحبة والرضى بإرادة الإنعام، تحريف للكلم عن مواضعه، وتفسير الاستواء بالاستيلاء أو بمعنى آخر غير العلو، كل هذا من باب التحريف.

والواجب على أهل العلم والإيمان وعلى أهل الإسلام وعلى أهل الخوف من الله أن يتقبلوا ما جاءت به النصوص تقبلاً حسناً، بالرضى والقبول والتدبر والعمل والتفقه، لا بالتحريف ولا بالتأويل وبإعراض وغفلة، ولا بإيجاد أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، تضاف إلى من جحد ما جاء به الرسول للتدليس والتأويل والتلبيس وصرف الناس عن الحق، فهذا كله من عمل أهل الكتاب، ومن عمل أعداء الله، أما أهل الإيمان والإسلام فلا، بل يتقبلون الحق ويتدبرونه ويتعقلونه ويتفهمون المعاني، لأنهم خوطبوا بلغة يفهمونها، والذي لا يفهمها يجب أن تترجم له وتفسر له بلغته ليتعقلها، وليس له أن يأتي بشيء من عنده ويقول: هذا من عند الله، لا، هذا من عمل أعداء الله، وليس له أن يأول النصوص على غير تأويلها بغير حجة وبغير دليل من كلام العرب الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة، وليس له أن يعرض ويقول: هذا لا نعرفه ولا نعلم معناه فيعرض ويفوض، كل هذا لا يجوز، بل الواجب تقبل الحق والرضى به، وتدبر المعاني وفهمها والتفقه فيها وإمرارها كما جاءت وإبقاؤها كما جاءت، لا تغير ولا تحرف ولا يزاد فيها ولا ينقص. أهـ.

* * *

وقص ذلك علينا من خبرهم لنعتبر وننزجر عن مثل طريقتهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فالأول التحريف والثاني التفويض. أهـ.

* * *

والأماني: التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الثالث. أهـ.

* * *

فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالاً أو رياسة.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، في القول والعمل، بمنه وكرمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم جمعوا بين الشرين، كذبوا ثم أخذوا في مقابل ذلك عوضاً، مالاً أو رياسة أو نحو

ذلك، فما كفاهم الكذب فقط، بل كذبوا وأخذوا في مقابل ذلك التأويل والكذب والتحريف المال، اشتروا به ثمناً قليلاً، يعني حتى تبقى لهم الرياسة التي هم فيها، أو حتى يعطوا مالاً في مقابل هذا الكذب الذي يرضي من كذّبوا له، حتى يغيروا شرع الله ويحرفوه، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

ويشير الشيخ رحمه الله بقوله: «من الشرع والبيان» إلى أن ما صح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الشرع الابتدائي: الأحكام التي ليست في القرآن، هذا الشرع الابتدائي، ليس في القرآن.

والبياني: إيضاح لما في القرآن، مثل بيان الرضاعة، يعني ما هي الرضاعة؟ وأنها خمس رضعات، وفي نهاية الحولين، وأنها تقوم مقام النسب.

وبيان معنى أقيموا الصلاة، ما معنى إقامة الصلاة؟

وأنه تصلى الظهر أربعاً والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والفجر ثنتين، وأن فيها ركوعاً وفيها سجودان، هذا من البيان.

آتوا الزكاة ما معناها؟ بيان الأنصبة وبيان الحق الواجب في المال ما هو؟ هذا البيان.

صيام رمضان: ما هو الصيام؟ ما دليل الصيام؟ ما هو الذي يمسك عنه؟

الحج ما أعماله؟ ما هي أوقاته؟ كل هذا بيان.

أما الشرع المستقل الذي جاء به الرسول ﷺ من غير بيان، بل هو

شرع مستقل فله أمثلة: مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، فإن هذا شرع مستقل لم يرد في الكتاب في بيان المحرمات، وعندما ذكر الله المحرمات قال: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٤] فجاءت السنة ببيان تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، فهذا شرع مستقل، كذلك تحريم من عدا الأمهات والأخوات من الرضاع، نص القرآن: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [النساء:٢٣] ولم يذكر في ذلك بنات الأخ ولا بنات الأخت ولا الخالات ولا العمات، فجاءت السنة بيان الزيادة، وأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب[١]، فتحرم الخالة والعمة وبنت الأخ وبنت الأخت والبنت من الرضاع، فهؤلاء خمس جاءت بهم السنة، أما الكتاب فجاء بالأم والأخت، وجاءت السنة بتحريم البنت من الرضاعة والخالة من الرضاعة والعمة من الرضاعة وبنت الأخ من الرضاعة وبنت الأخت من الرضاعة، خمس، وأشياء من جنس ذلك. أهـ.

❊ ❊ ❊

وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

وقوله: «وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى» وفي بعض النسخ: «بالخشية والتقى» بدل قوله: «بالحقيقة» ففي العبارة الأولى يشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم نظيره بقوة البصر وضعفه، وفي العبارة الأخرى يشير إلى أن

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٥) كتاب الشهادات / باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (١٤٥٥) كتاب الرضاع / باب ما يحرم الرضاع، من حديث عائشة رضي الله عنها.

التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المعنى الأول هو الصواب، أصل التصديق، الناس فيه سواء من جهة التصديق، كلهم يجب عليهم التصديق بما أخبر الله به ورسوله، لكنه يتفاوت كما يتفاوت العمل، والمرجئة في هذا لهم كلمات انتقدها أهل السنة والجماعة، فقولهم «في أصله سواء» مع الاختلاف في العمل والخشية، هذا غلط، فليس تصديق الصدّيق وعمر وعثمان وعلي مثلاً مثل تصديق من بعدهم من الناس، وليس تصديق الصحابة كتصديق من بعدهم، تصديقهم أقوى، وليس الناس بعدهم سواء، وليس تصديق العلماء أهل البصائر مثل تصديق العامة، بينهما فرق في التصديق، وليس تصديق من شاهد السيل يجري ورأى السيل يجري كتصديق من قيل له: الوادي الفلاني سال، تصديق هذا بالمشاهدة غير تصديق ذاك الذي جاءه الخبر، التصديق يتفاوت، وهكذا العمل يتفاوتون فيه، فهم متفاوتون في العمل متفاوتون في التصديق، ولهذا قال أهل السنة: الإيمان يزيد وينقص، هذا يزيد إيمانه لكثرة أعماله الصالحة وقوة تصديقه وكمال تصديقه، وهذا ينقص إيمانه بضعف تصديقه وبضعف عمله الصالح وبضعف خشيته لله.

فأعمال القلوب: الخشية والمحبة والرجاء والخوف والإخلاص متفاوتة، وهكذا أعمال الجوارح، الصلاة والزكاة والصيام والحج وترك المحارم والمسارعة في الخيرات وترك السيئات متفاوتة، ولهذا من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزداد بالطاعات والأعمال الصالحات وقوة اليقين وكمال العلم، وينقص بخلاف ذلك.

والمرجئة جعلوا العمل ليس من الإيمان، وأن الإيمان مجرد التصديق فقط، ولكن هذا قول عند أهل السنة مرجوح، والصواب أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، هذا الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة قاطبة. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن).

ش: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الآية، الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة. وقد قرأ حمزة: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ بكسر الواو، والباقون بفتحها، وقيل: هما لغتان، وقيل: بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة، قال الزجاج: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور، مثل: الخياطة ونحوها، فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأظهر والأكثر بالفتح، من وَلاية التي هي المولاة والمحبة، وفي الوِلاية التي هي الإمارة والعمل بالكسر، وِلاية البلد الفلاني يعني إمارة البلد والتصرف، والوَلاية المحبة والتعاطف والتناصر والتعاون يقال لها وَلاية ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال:٧٢] ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف:٤٤] فالمؤمنون أولياء لما بينهم بحسب إيمانهم وتقواهم لله، لكن ما تقوله الصوفية أن الولي له شروط كذا وكذا من الخوارق، أو أنه يتصرف في الكون أو أنه يعلم الغيب أو أنه كيت وكيت، كل هذا من الأباطيل، بل

الولي هو المؤمن، هذا هو الولي، وضده هو العدو والكافر، والعاصي فيه نوع ولاية وفيه نوع عداوة، فهو بمعاصية صار في قسم العداوة، وفي طاعته لله صار في قسم الولاية، ففيه شعبتان، بل شعب، على حسب طاعاته ومعاصية، فهو ذو شائبتين: شائبة تلحقه بأهل الإيمان بتقواه لله وإيمانه، وشائبة تلحقه بالأعداء بمعاصيه لله، والكفار هم أعداء الله، والمؤمنون هم أولياء الله، والعاصي بين البين، فإن له وصفاً يلحقه بأولياء الله، وله وصف يلحقه بالأعداء، فهذا يوجب له البدار والمسارعة إلى التخلي من كل ما يلحقه بالأعداء من معاصي الله، وأن يكون حريصاً على أن يكون أبداً في ولاية الله وفي طاعة الله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] هؤلاء أولياء الله، ليس من شرطهم أن يكون لهم خوارقهم، لا، ليس بشرط، قد يقع الخارق، لكن ليس بشرط، أكثر الصحابة لم ترد عنهم خوارق وهم رأس أولياء الله، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤] فالذي لا يتقي الله ولا يستقيم ليس بولي لله، ولو طار في الهواء بين الناس ولو مشى على البحر جامداً، تحته البحر يمشي عليه لا يكون ولياً لله، يكون من أولياء الشيطان، حتى يستقيم على أمر الله، وحتى يعرف بالاستقامة على أمر الله، أما الجهلة إذا رأوا شيئاً من الشعوذة التي يفعلها بعض أولياء الشيطان قالوا: هذا ولي، لأنه كذب عليهم في أشياء وادعى أشياء، فقالوا: الولي من حصل له خارق، ثم قال: فلان يصل بدعوى علم الغيب، أو فلان يحضر له طعام في غير وقته، أو ما أمثل لوقته بالطرق الخفية، أو فراسة يتفرسها فيصيب أو ما أشبه ذلك، فيقولون: هذا هو

الولي، ولو كان يعصي الله ليلاً ونهاراً ويأتي الفواحش ليلاً ونهاراً، فهذا جهل كبير والعياذ بالله وفساد عظيم واستيلاء الشيطان على قلوبهم ومشاعرهم، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعاً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أولياؤه ليس في

حاجة إليهم، فهو غني عنهم وعن غيرهم سبحانه وتعالى، إنما هم أولياء محبة وطاعة وإحسان منه جل وعلا إليهم، وليسوا بأولياء من الذل، بل هو العزيز سبحانه وتعالى، وعباده هم الأذلاء الفقراء إليه. أهـ.

* * *

خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

والولاية أيضاً نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ: أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة: فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار أمدح، أو مرفوع بإضمار هم، أو خبر ثان لـ «إن» وأجيز فيه الجر، بدلاً من ضمير «عليهم» وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تملق ولا رياضة.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ، والخبر: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ وهو بعيد، لقطع الجملة عما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هؤلاء هم العصاة وهم الطبقة الثالثة، فإن الناس طبقات ثلاث:

الطبقة الأولى: أهل الإيمان والتقوى، وتشمل الرسل والأنبياء ومن تبعهم بإحسان.

الطبقة الثانية: من عادى الله وكفر به، وهم الكفار من المنافقين ومن سائر أنواع الكفار، وهم أعداء الله وأهل غضبه وحربه.

والطبقة الثالثة: من فيه شعبة من الإيمان وشعبة من النفاق والكفر، وهم أهل المعاصي والسيئات على اختلاف أصنافهم، فيهم المقل من المعاصي وفيهم المكثر، فمن كانت طاعته أكثر صار إلى ولاية الله أقرب، وإن صارت معاصيه وشره أكثر صار إلى عداوة الله أقرب، على حسب أحوالهم، ما لم يتوبوا، فإذا تابوا التحقوا بأولياء الله، وإذا ارتدوا التحقوا بأعداء الله، وما داموا في المعاصي مع أصل الإيمان والإسلام فهم أصحاب الشائبتين، وهم أصحاب الخلط وعدم التجرد وعدم التمييز. أهـ.

* * *

وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى - أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الآية، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين، وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»(١) وفي رواية «وإذا ائتمن خان بدل: وإذا وعد أخلف» أخرجاه في الصحيحين،

---

(١) متفق عليه، وسبق. أهـ ألباني.

وحديث: شعب الإيمان تقدم، وقوله ﷺ: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»(١) **فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا النفاق العملي، النفاق العملي مثل المعاصي، ليس ينافي التوحيد، فإذا دخل النار بخيانته أو بكذبه أو بفجوره في الخصومات أو ما أشبه ذلك من المعاصي، فإنه لا يخلد في النار، بخلاف المنافق النفاق الاعتقادي النفاق الأكبر وهو نفاق التكذيب، هذا مع المخلدين في النار نعوذ بالله، هذا كافر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝﴾ [النساء:١٤٥].

فالنفاق نفاقان: نفاق عملي لا ينافي التوحيد والإيمان ولكن ينقصهما كالمعاصي، فهذا مثل ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: «**إذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر وإذا أؤتمن خان**»(٢) وفي حديث أبي هريرة: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**»(٣) وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فالحاصل أن هذه

---

(١) متفق عليه. أهـ ألباني.

(٢) حديث ابن عمرو رضي الله عنهما رواه الشيخان، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان / باب علامات المنافق، و(٢٦٨٢) كتاب الشهادات / باب من أمر بإنجاز الوعد، و(٢٧٤٩) كتاب الوصايا / باب قول الله عز وجل ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ و(٦٠٩٥) كتاب الأدب / باب قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ وما ينهى عن الكذب. =

كلها لا تتنافى مع أصل الإيمان، وقد يعذب صاحبها في النار إذا مات عليها، لكن لا يخلد ما دام موحداً مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يعبد إلا الله، وإن كان توحيده قليلاً، وإن كان توحيده مثاقيل الذر، لكن ليس عنده الشرك الأكبر، فهذا لا يخلد في النار، وإنما يخلد من فقد الإيمان، من فقد التوحيد بنفاقه الأكبر وكفره، فإن المنافق المكذب تكذيبه بالرسول ﷺ أو تكذيبه بيوم القيامة أو تكذيبه بما جاء عن الله من الأخبار يحبط أعماله كلها، ما يبقى له توحيد وما يبقى له حسنة، تكون أعماله كلها حابطة، مثل سائر الكفار نعوذ بالله، لأن الله قال في كتابه العظيم: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] فهذا يدل على أن الكفر يحبط الأعمال، ولو أن صاحب هذا الكفر يصلي ويصوم ويتصدق ويعتق، هذه أعمال باطلة حابطة ما لها قيمة ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣].

ثم مما يوضح هذا، لو أن إنساناً توضأ أحسن الوضوء وتطهر أحسن الطهارة، ثم أحدث من ريح أو بول أو غائط بطلت هذه الطهارة، ولو كانت أحسن طهارة، فإن هذا الناقض أفسدها، فهكذا نواقض الإسلام تفسد هذه الأعمال، نواقض الإسلام بمثابة نواقض الطهارة بل أشد،

= ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان / باب بيان خصال المنافق، والترمذي (٢٦٣١) كتاب الإيمان / باب ما جاء في علامة المنافق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالذي يصوم ويصلي ويتصدق ويحج، ولكنه يشرك بالله ويدعو غيره ويطلب المدد من الآلهة، من القبور ومن الكواكب ومن الأصنام ومن الشيوخ، شركه أبطل عمله، وهكذا استهزاؤه بالدين، هكذا تكذيبه بيوم القيامة، تكذيبه للرسول عليه الصلاة والسلام، سبه للدين، أي ناقض من النواقض، تبقى هذه الأعمال لا قيمة لها، مثل ما أن الطهارة التي نقضها بالريح أو بالبول أو نحوهما ما لها قيمة، ولو كان قد أكملها وأحسنها حين توضأ، فينبغي التفطن لهذا الأمر، لأن كثيراً من العبّاد في النصارى في هذه الأمة وفي غيرها من أمم الكفر، كالبوذية والوثنية وغير هذا من أنواع الكفر، قد يكون عندهم شيء من العبادات، قد يكون عندهم شيء من صدقات، من عطف على الفقراء والمساكين، من إكثار من بعض الخير الذي يحبه الله، لكن ما عندهم من الكفر بالله أفسد عليهم هذا كله وأبطل عليهم هذا كله، وصار وجوده كعدمه، بسبب الكفر الذي معه. أهـ.

سؤال/ ما يلزم الجاهل القبوري؟

أجاب سماحة الشيخ: هذه من الأمور العظيمة التي جاء بها الإسلام وجاءت بها الرسل، لا يخفى مثلها، والقرآن بين أيديهم والسنة بين أيديهم والعلماء بين أيديهم، ولكنهم قانعون بما هم عليه لا يرضون أن ينبهوا، نسأل الله العافية.

ثم لو قدِر أنهم جهلوا، فالحكم في الدنيا على هذا، مثل سائر الكفار، أما الآخرة، إذا كان الله جل وعلا يعلم من قلوبهم أنهم جهلوا وأنهم يطلبون الحق، يكون لهم حكم الآخرة عند الله، الله يتولى حسابهم، كأهل الفترات، قد يمتحنون يوم القيامة، نسأل الله العافية، وقد

بين الله سبحانه أن أكثرهم لا يعقل ولا يفهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق، وأما ما يروى مرفوعاً إلى النبيﷺ أنه قال: «ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه»(١) فلا أصل له، وهو كلام باطل،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من وضع المتصوفة، الملاحدة الضلال والجهلة الطَغام، هذا من وضعهم وأشباههم. أهـ.

* * *

فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً يموتون على الفسق(٢)، وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) باطل لا أصل له كما قال المؤلف.أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: كلام الشارح هذا نقله ملا علي القاري في (الموضوعات ص٦٢ طبعة الهند) بشيء من الاختصار، ونسبه لبعضهم دون تعيين القائل، ونقله العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٤) عن القاري.أهـ

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ الآية، والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون، فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح.

والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أفترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبعضهم قد يشكل عليه قوله: «كنت سمعه» إلخ، وبعضهم يجره إلى وحدة الوجود، وأن المخلوق هو الخالق والعبد هو المعبود، فللملاحدة والصوفية وأهل وحدة الوجود في هذا الحديث كلام قبيح وشنيع، وأما أهل السنة

(١) صحيح لإخراج البخاري إياه، وإسناده قوي لغيره، له طرق وشواهد عدة، خرجتها في «الأحاديث الصحيحة» (١٦٤٠) لكن لفظ المبارزة ليس عند البخاري، وإنما هو عند غيره من حديث أبي أمامة بسند فيه ضعيفان، كما بينته هناك. أهـ ألباني

والجماعة فليس عندهم في هذا البحث أي إشكال، كسائر الأحاديث التي فيها الصفات.

ويبين الرسول ﷺ شناعة معاداة أوليائه وأهل طاعته، وأن معاداة المؤمنين وظلمهم وإيذاءهم في الحقيقة محاربة لله، فيدل ذلك على وجوب موالاة المؤمنين ومحبتهم والتعاون معهم على الخير، والحذر من إيذائهم وظلمهم، ويبين الحديث أنه ما تقرب أحد إلى الله بأحب ولا بأفضل من أداء الفرائض وترك المحارم، وهذا يرد على كثير من الناس، تجدهم نشيطين في النوافل ضعيفين في الفرائض، وهذا من الجهل، فما تقرب عبد إلى الله بشيء أحب إليه من أداء فرائضه، وهي ترك المحارم وأداء الفرائض، هذا أحب شيء إلى الله أن تؤدي فرائضه من صلاة وصوم ونحو ذلك، ومن الفرائض ترك المحارم، فإن ترك ما حرم الله فرض، والكف عن ذلك فرض، ثم بعد هذا يأتي أمر النوافل.

ومما يشكل في ذلك على بعض الناس ويجره الملاحدة إلى تفاسير خطيرة خاطئة قوله: «كنت سمعه» إلى آخره، فليس المراد أن الرب هو سمع الإنسان وبصره إلى آخره، يعقل هذا كل مؤمن وكل من يفهم اللغة العربية، وإنما المراد من هذا تسديده وتوفيقه له وعنايته به وهدايته له وإرشاده له، حتى تكون هذه الحواس موفقة مسددة بعيدة عما يغضب الله عز وجل، وقد فسر هذا بالرواية الأخرى: «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**» فتكون حركاته وتصرفاته موفقة في الله، فلا يعقل أحد أن يكون المراد أن الرب عز وجل صار هو السمع وهو البصر وهو اليد، ولكن أهل الكفر والضلال وأهل الانحراف وسوء الفهم عن الله يقولون في النصوص ما لا يقوله عاقل، ولا يفهمه من يعقل ما يقول، نسأل الله السلامة.

وما وقع في الحديث في آخره: «**وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن**» هذا شيء يليق بالله، يدل به سبحانه على محبته لعبده المؤمن وكراهته لكل ما يؤذيه، ولكن الأمور التي لابد منها لابد منها، ولهذا قد يصيبه بعض الأذى كما جرى للنبي ﷺ في أحد وللصحابة، وهم رؤوس الأولياء وهم القمة في مسألة الولاية، ما هنا أحد أفضل منهم، أفضل الأولياء الرسل، ثم يليهم أتباعهم الصادقون، وعلى رأس الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، ومع هذا جرى عليه ما جرى في يوم أحد من كسر رباعيته وكسر البيضة على رأسه وإدماء وجهه الشريف وسقوطه في بعض الحفر التي هناك، إلى غير هذا مما وقع له وللصحابة، فليس هذا لهوانهم على الله، لا، هم أعزة على الله، ولكن ليبتليهم بالسراء والضراء، وليكونوا قدوة لغيرهم ويتأسى بهم من بعدهم، وليعلم العبد أنه مهما بلغ من الفضل فلن يخرج عن طبيعة البشر وما يصيب البشر، فأولياء الله وإن كانوا أعز خلقه عليه، لكن ليس معناه أنهم معصومون من كل شيء، وأنهم محفوظون من كل شيء، لا يصيبهم مرض ولا يصيبهم جرح ولا يصيبهم كذا ولا تقع منهم سيئة، ولكن الله يسددهم ويوفقهم ويعينهم ويبتليهم، ومن ذلك الموت، فهو يعمهم ويعم غيرهم. أهـ.

* * *

والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب، فولي الله: هو من والى الله بموافقته محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ قال أبو ذر رضي الله عنه: لما نزلت الآية، قال النبي ﷺ:

«يا أبا ذر، لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي وجه تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي يمكن أن فيه قولاً آخر للأئمة؛ أن أبا السليل لقي أبا ذر، فإذا كان قاله بعضهم فهذا هو وجه التصحيح، سواء صح هذا الحديث عن أبي ذر أو لم يصح فالآية جامعة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] جامعة، لأنها جمعت خير الدنيا والآخرة، والتقوى جماع الدين، فالمتقي لله هو الذي أدى فرائضه وترك محارمه، فمن اتقى الله جعل الله له مخرجاً في الدنيا والآخرة، مخرجاً من مضايق الدنيا ومخرجاً من مضايق الآخرة، وأعظم المضايق مضايق الآخرة، كما يكون من الأهوال يوم القيامة، فإذا كان ينجو من المضايق ويرزق من حيث لا يحتسب؛ فماذا بقي عليه؟

فهي جامعة لخير الدنيا والآخرة كما في هذا الحديث. أهـ.

* * *

فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها، من المكاشفات والتأثيرات.

قوله: (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن).

ش: أراد أكرم المؤمنين هو الأطوع لله والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وفي

(١) ضعيف، رواه أحمد والحاكم بسند فيه انقطاع.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه بنحوه الإمام أحمد مطولاً، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٨٨.

السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض ـ: إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»(١).

وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيهما ركبت(٢).

والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ الآية، فإن استويا ـ الفقير الصابر والغني الشاكر ـ في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: وهو أن الإيمان نصف صبر ونصف شكر، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً

---

(١) صحيح، ولكن عزوه للسنن وهم، فإنه لم يروه أحد منهم، وإنما هو في مسند الإمام أحمد، وقد كنت توقفت فيه قبل سنين، ثم يسر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه، وحققت الكلام عليها، فتبين لي أنه صحيح بمجموعها، وأودعت تفصيل ذلك في الموضع المشار إليه، وعليه استجزت إيراده في كتابي الكبير «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (١٧٨٠).أهـ ألباني.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١١/ ١٢٣.

متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً لله عليه، وفقيراً متفرغاً لطاعة الله ولأداء العبادات صابراً على فقره.

وحينئذ يقال: إن أكملهما أطوعهما وأتبعهما، فإن تساويا تساوت درجتهما، والله أعلم، ولو صح التجريد، لصح أن يقال: أيما أفضل معافى شاكر، أو مريض صابر، أو مطاع شاكر، أو مهان صابر، أو آمن شاكر، أو خائف صابر؟ ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلام طيب، وهذه الحقيقة مثل ما قال المؤلف: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] فمن كان أتقى لله وأكمل للعبادة والعمل الصالح كان أفضل عند الله، سواء كان مبتلى بالفقر أو بالغنى، ولهذا لما جاء الفقراء وسألوا النبي ﷺ وقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور، لأن لهم فضلاً من المال، قال: «**ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين**» ففعلوا، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال ففعلوا مثلنا، فقال النبي ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١) فالمسابقة على الخيرات فضل الله. أهـ.

قوله: (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى).

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣) كتاب الأذان / باب الذكر بعد الصلاة، و(٦٣٢٩) كتاب الدعوات / باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبرائيل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام؟ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»(١) وسأله عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره» وسأله عن الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقد ثبت كذلك في الصحيح عنه ﷺ: أنه كان يقرأ في ركعتي الفجر تارة بسورتي الإخلاص: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص، وتارة بآيتي الإيمان والإسلام: التي في سورة البقرة: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ الآية، والتي في آل عمران: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية(٢) وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم»(٣) ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم.أهـ ألباني.

(٢) مسلم، وهو في «صفة الصلاة» ص (٩٢).أهـ ألباني.

(٣) متفق عليه.أهـ ألباني.

والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي حديث جبرائيل ما يبين أن هذه الأصول تتعلق بالإيمان بالقلب، تتعلق بتصديق القلب واعترافه وإقراره، والأعمال الظاهرة تتعلق بأركان الإسلام الظاهرة، فكل ما يتعلق بالظاهر فهو أَمَسُّ بالإسلام، لأنه يدل على الخضوع والذل والانقياد، فما كان من الأعمال الظاهرة فهو ألصق بالإسلام، وما كان من الأعمال الباطنة فهو ألصق بالإيمان، ولهذا ذكر أصول الإيمان ستة كلها تتعلق بالقلب «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**» وذكر أصول الإسلام خمسة وكلها تتعلق بالظاهر «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**» فلما ذكر هذا وهذا علم أنه لابد من ذا وذا، لابد من الإيمان الباطن حتى يخلص من صفات أهل النفاق، ولا بد من الإسلام الظاهر حتى يخلص من صفات الكفار والمعرضين المنافدين والمعاندين، فبإسلامه الظاهر يفارق الكفار من أهل الأوثان وغيرهم، وبإيمانه الباطن يفارق المنافقين الذين قالوا بأفواههم ونطقوا بألسنتهم وعملوا بظواهرهم ما ليس في قلوبهم، فصاروا بذلك من أهل الدرك الأسفل من النار نعوذ بالله، بتكذيبهم في الباطن وإنكارهم ما جاء به الرسول باطناً، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ

إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:٨-١٠] لأنهم قالوا آمنا وهم كاذبون، وقرئ «بما كانوا يُكذِبون» والأظهر التخفيف، لأن الله حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وليس الأمر كذلك، بل هم غير مؤمنين، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هذا يدل على أن العقوبة أصابتهم وتوعدوا بها بسبب كذبهم، حيث قالوا وزعموا أنهم مؤمنون وأنهم مسلمون، والحقيقة خلاف ذلك، فالإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، إذا اجتمعا افترقا، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، فإذا انفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ولهذا قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان**» وفسره لهم بالإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن يؤدوا الخمس»(١) وذكر في حديث أبي هريرة في الصحيحين «**الإيمان بضع وسبعون - أو قال - بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٢) فبين هنا أن الإسلام والإيمان يجتمعان، عند انفراد مثل الإيمان أو عند انفراد مثل الإسلام يدخل فيه الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] فهو يشبه موضوع الفقير والمسكين، عند الاجتماع يفترقان وعند الافتراق يجتمعان، هذا هو الصواب عند أهل السنة والجماعة.

وقال بعض أهل السنة إنهما شيء واحد، فالإيمان هو الإسلام

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه، وقد تقدم.

والإسلام هو الإيمان، ولكن الصواب التفرقة كما دل عليه حديث جبرائيل من رواية عمر ومن رواية أبي هريرة. أهـ.

* * *

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية - :

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «فنفي الإيمان» ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] الرب جل وعلا نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية وهي تحكيم الشريعة.

وإذا قيل «نفي الإيمان» يعني مبتدأ و«دل» خبره، نفي الإيمان دل على كذا وكذا. أهـ.

* * *

دل على أن هذه الغاية فرض على الناس،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ودل على أنها من الإيمان، فالشريعة من الإيمان، فعلم بذلك أن الأعمال داخلة في الإيمان، خلافاً للحنفية والمرجئة جميعاً، الأعمال داخلة في الإيمان

بالنص، ولهذا ينقص الإيمان ويزيد، ينقص الإيمان عند أهل السنة ويزيد، فالإيمان قول وعمل يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هكذا الإيمان عند أهل الحق، عند أهل السنة والجماعة أنه قول وعمل، قول القلب واللسان، قول القلب تصديقه واعترافه، وقول اللسان كذلك تصديقه واعترافه بالنطق، وعمل القلب والجوارح، عمل القلب بما يحصل منه من محبة وخوف ورجاء وإخلاص وخضوع، إلى غير هذا من أعمال القلوب، وعمل الجوارح بأدائها ما فرض عليها من صلاة وصوم وجهاد وغير ذلك، فهو قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، والآيات والنصوص في هذا واضحة، فهو يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كلما ازداد المؤمن في طاعة الله وأداء حقه زاد إيمانه وكمل إيمانه، وبالغفلة والمعصية ينقص هذا الإيمان ويضعف حتى لا يبقى مع الإنسان إلا مثاقيل الذر، والله المستعان. أهـ.

* * *

فمن تركها كان من أهل الوعيد ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب، ولا يقال إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبرائيل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسر الإيمان في حديث جبرائيل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسره ابتداء، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام.

ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا إشكال، يقال كلام الطحاوي غلط، والحديث هو الصحيح وهو الجواب، وكلام الطحاوي وأشباهه أن الإيمان هو تصديق القلب فقط غلط، وهكذا قول من قال بقوله من المرجئة، كله غلط، والصواب ما دل عليه الكتاب والسنة، فالإشكال في كلامهم هم، هم الذين أشكلوا وهم الذين وقعوا في الإشكال وغلطوا، أما الآيات والأحاديث فليس فيها إشكال، لكن مقصوده بـ: أشكل، يعني لا ينطبق على قوله، فيكون قوله خطأ والحديث هو الصواب. أهـ.

* * *

ومما يسأل عنه: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال الخمس التي أجاب بها النبي ﷺ في حديث جبرائيل المذكور، فلم قال إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده.

والتحقيق: أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً، الذي يجب لله على عباده محضه على الأعيان،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «محضه» يعني خالصاً. أهـ.

* * *

فيجب على كل من كان قادراً عليه، ليعبد الله مخلصاً له الدين، وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعلم وجوبها جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد،

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفتيا، وإقراء، وتحديث، وغير ذلك، وأما ما يجب بسبب حق الآدميين، فيختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه، من قضاء بإسقاطه، من قضاء الديون، ورد الأمانات والغصوب، والإنصاف من المظالم، من الدماء والأموال والأعراض، وحقوق الزوجة والأولاد، وصلة الأرحام، ونحو ذلك، فإن الواجب من ذلك على زيد غير الواجب على عمرو، بخلاف صوم رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة، فإن الزكاة وإن كانت حقاً مالياً فإنها واجبة لله، والأصناف الثمانية مصارفها، ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها الغير بلا إذنه، ولم تطلب من الكفار، وحقوق العباد لا يشترط لها النية، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه برئت ذمته، ويطالب بها الكفار، وما يجب حقاً لله تعالى، كالكفارات، هو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً في الزكاة، فلا تجب على الصغير والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، على ما عرف في موضعه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب الذي عليه الجمهور أنها تجب على الصغير والمجنون، لأنها حق مالي، فهم داخلون في المطالبة بالحقوق المالية. أهـ.

* * *

وقوله: «والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى» تقدم قوله ﷺ في حديث جبرائيل: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1] وقال تعالى:

---

(١) متفق عليه، على التفصيل المشار إليه قبل قليل. أهـ ألباني

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾ الآية.

فإن قيل: فكيف الجمع بين قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ وبين قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾؟

قيل: قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ الخصب والجدب، والنصر والهزيمة، كلها من عند الله، وقوله: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾ «وأنا كتبتها عليك».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأحسن في هذا المعني أن يقال: كل من عند الله قضاءً وقدراً، الخصب والجدب والنصر والذل، هذا لا يكفي، هذا بعضه، بعض ما يقع، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٧٨] يعني قضاءً وقدراً، قد سبق بها علم الله وقضاؤه وتقديره، ثم التفصيل بعد ذلك من جهة الأسباب، فما أصابك من حسنة فمن الله، هو الذي وفق لها وهدى لها ويسرها وساقها إليك، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ ﴾ [النساء:٧٩] يعني من أسباب نفسك من أجل معاصيك وسيئاتك وتفريطك وإضاعتك ونحو ذلك، فالأمور من الله قضاءً وقدراً، ومن العبد تسبباً في ذلك بسبب معاصيه

وأعماله السيئة وتفريطه وتقصيره أو غلوه وإفراطه، فما يقع في الدنيا وفي الآخرة ينسب إلى الله قضاءً وقدراً، وينسب إلى العبد كسباً وعملاً، فالعبد يعمل ويكسب ويفعل ويؤجر على الحسن، ويستحق العقاب على السيئ، وذلك كله سبق به علم الله وتقديره وكتابته سبحانه وتعالى. أهـ.

والمراد بالحسنة هنا النعمة، وبالسيئة البلية، في أصح الأقوال، وقد قيل: الحسنة الطاعة، والسيئة المعصية،و قيل: الحسنة ما أصابه يوم بدر، والسيئة ما أصابه يوم أحد.

والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فإنهم يقولون: إن فعل العبد - حسنة كان أو سيئة - فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء، وقوله بعد هذا: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِن سَيِّئَةٍ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي

باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك» أي: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق -: فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفرداً قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مقام يغلط فيه كثير من الناس، ولا يفهمه كثير من الناس، فالشر ليس إليه بمعنى أنه لا يخلقه سبحانه وتعالى شراً محضاً، ولا يتقرب إليه بالشر أيضاً، وليس من صفاته خلق الشر، وإنما يخلقه عن حكمة وعن غاية محمودة، وإن كان شراً بالنسبة إلى من أصيب به، فخلقه إبليس لحكمة بالغة، لامتحان العباد وبيان من يطيع ومن يعصي، وهكذا خلقه ما خلق من أفعال العباد من معاصيهم وسيئاتهم، هو بالنسبة إليه ابتلاء وامتحان وجزاء لهم على ما قد فرط منهم من معاص وسيئات وغفلة وإضاعة وإفراط وتفريط وغير ذلك، فهو خلقها لحكمة بالغة ومقاصد عظيمة وغايات محمودة، والعبد يذم على فعله ذلك وعلى اقترافه ذلك، فهي من حيث فعلها فعلها

لحكمة بالغة وغاية محمودة، ومن جنس وقوعها من المخلوق يذم عليها المخلوق، فهي شر بالنسبة إلى المخلوق لكونها معصية منه لله، وكونها مخالفة لأمره، ولكونها تسبب غضب الله عليه، فصارت شراً قبيحاً بالنسبة إليه. أهـ.

* * *

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله[١] من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة - يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً أو مصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام، وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإن هذا شر عام للناس، يضلهم، فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم.

وليس هذا كالملك الظالم والعدو، فإن الملك الظالم لا بد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام[٢]، وإذا قدر كثرة ظلمه، فذاك خير في الدين، كالمصائب، تكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه، ويرجعون فيه إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام، هذا من كلام بعض الناس، وبعضهم يقول:

---

(١) بل لله فيه، زيادة «فيه» أوضح. ابن باز.

(٢) ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٠/ ١٣٦، ومنهاج السنة النبوية ١/ ٥٤٨.

ستون عاماً من ملك ظلوم خير من ليلة واحدة من فتنة تدوم، والمقصود أن الله يدفع بالملك ـ وإن كان ظالماً ـ شراً كثيراً، من أمن البلاد واستقامة الأحوال وأمن الناس في دينهم ودنياهم إلى غير ذلك، وظلمه وإن كان يضر بعض الناس، لكن الله يدفع به شراً كثيراً أكبر. أهـ.

* * *

ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم، لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.

وفي قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر كامن فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟!

وإن المراد التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه من تفاصيل الأمور، في كل يوم، وإلى أن يلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريداً للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتدياً، ومحتاج إلى أن يجعله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وهي آخر الرتب، وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة، ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء.

فيجب أن يعلم أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بين القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يشكر سبحانه، وأن يستغفره العبد من ذنوبه، وألا يتوكل إلا عليه وحده، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، فأوجب ذلك توحيده، والتوكل عليه وحده، والشكر له وحده، والاستغفار من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبي ﷺ يجمعها في الصلاة، كما ثبت عنه في الصحيح: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «ربنا لك الحمد،

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه[١] ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ماشئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قاله العبد، وكلنا لك عبد»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: زيادة «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» هذه أقرها ﷺ وندب إليها في هذا الكلام، أما الذي من فعله «ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» إلى آخره، فالزيادة «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» فاتت على الشارح أنها ليست من فعله ولكنها من قوله، يعني من قوله الذي يتضمن الثناء على هذا الشيء، وأن الله رضيه وأحبه من العبد حتى صار بضعة وثلاثون ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً[٣]، ولا نعلم أنه جاء في السنن والروايات أنه كان يقولها عليه الصلاة والسلام، إنما جاء الثناء وهذا الفضل العظيم فيها، وربما يكون المؤلف وقف على شيء في هذا من الفعل، ربما، لكن المعروف من هذا أنه كلام الرجل الذي حمد الله بهذه المحامد، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

وفي ضمن ذلك الهداية إلى كل خير، فإن الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط المنعم عليهم، مضمونه الهداية إلى كل ما ينفعنا

---

(١) البخاري، لكن ليس من فعله ﷺ، بل إنه سمع رجلا يقول ذلك، فقال ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً» انظر كتابي «صفة الصلاة» ص (١١٩). أهـ ألباني

(٢) صحيح متفق عليه، وهو حديث آخر، والمصنف دمجه بالأول، فأوهم أنهما حديث واحد، انظر المصدر الآنف الذكر. أهـ ألباني

(٣) رواه البخاري (٧٩٩) كتاب الأذان / باب: من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

وصرف كل ما يضرنا، فمن هدي إلى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم فقد وفق إلى الخيرات وصرفت عنه الشرور، وفاز بما يوصله إلى دار الكرامة.

والهداية فيها أنواع: هداية مطلقة تشمل الهداية إلى الصراط دلالة، وإلى تفصيل الهداية وما يحتاج إليه، وإلى إعانة وإلى تحريك الإرادة وإلى منح القدرة إلى غير ذلك، فمن رزقه الله الهداية الكاملة أعانه ويسر أمره ونشطه على إرادة الخير ووفقه للتفاصيل في ذلك، وما يدفع عنه الشر وما يعينه على الخير وما يثبته عليه، فالهداية المطلقة تتضمن أموراً كثيرة، ولهذا ينبغي للعاقل، ينبغي للمؤمن عند هذا الدعاء أن يستحضر شدة حاجته إليه، وأنه في أشد الضرورة إلى أن يهديه مولاه إلى الصراط المستقيم هداية كاملة، فيها العلم وفيها التفصيل وفيها التوجيه وفيها الإعانة على فعل الخير وفيها شرح الصدر له وفيها صرف الموانع المضادة، إلى غير ذلك، والله المستعان. أهـ.

❊ ❊ ❊

فهذا حمد، وهو شكر لله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: «لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهذا تحقيق لوحدانيته، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدراً، وبداية ونهاية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وتوحيد الإلهية، شرعاً وأمراً ونهياً، وإن العباد وإن كانوا يعطون جداً: ملكاً وعظمة وبختاً ورياسة، في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أي لا ينجيه ولا يخلصه، ولهذا قال: لاينفعه منك، ولم يقل ولا ينفعه عندك، لأنه لو قيل ذلك أوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره، فتضمن

هذا الكلام تحقيق التوحيد، أو تحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: أو تحقيق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ الألف في ـ أو ـ ما لها معنى، تحقيق التوحيد تحقيق لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ لعل الألف زائدة، فهو يحقق هذا وهذا جميعاً، فإن تحقيق توحيد الربوبية يحقق توحيد الإلهية ويقرره، وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

وأن العباد وإن كانوا يعطون جداً: ملكاً وعظمة وبختاً ورياسة، في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، مقصوده أصحاب المكاشفات إذا كانوا مهتدين وكانوا على الصراط المستقيم، قد يرزقهم الله العلم والبصيرة والهداية والفراسة ما يعينهم على أمر الدنيا والآخرة، أما المكاشفات الشيطانية فهي بلاء ونقمة، نسأل الله العافية، والمكاشفات المراد بها الخير، وعلى فرض أنهم يعطون المكاشفات الشيطانية، قد تنفعهم في الدنيا، فهي ضرر عليهم عاجلاً وآجلاً، نسأل الله العافية، ولا تنفعهم عند الله إن لم يوفقوا للهداية «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» هذا الجد الذي سمي مكاشفة أو قدرة على بعض الأشياء، لا تنفعه عند الله إذا لم تعنه على طاعة الله، ولا تغني صاحبها من الله، وهكذا المكاشفات الصحيحة والكرامات للمؤمن، لا تغني صاحبها من الله إن لم يستعن بها على طاعته وهداية الإيمان.

والمكاشفات الذي يظهر أنها تنقسم إلى قسمين: قسم صالح وقسم

طالح، قسم لأهل الخير والإيمان، مثل ما يجري للملهمون «إن يكن في أمتي مُحَدّث فهو عمر»(١) فيكشف له أشياء مثل ما في قصة «يا سارية الجبل»(٢) فالمقصود أنه قد يقع لأهل الإيمان مكاشفات واطلاع على أشياء دقيقة يكشف الله لهم عنها تسمى فراسة وتسمى كرامة، وغير ذلك مما أوقع الله في قلوبهم من العلم والبصيرة والهداية، حتى استدلوا على أشياء مهمة بأشياء دقيقة وفقوا بها.

أما أولئك فمكاشفاتهم شيطانية وخوارقهم شيطانية من فعل الشياطين وما تجلبه إليهم وتنقله إليهم، ما عندهم بصيرة، إنما تنقل لهم الشياطين أشياء خفية فيخبون بها الناس بزعم أنها غيوب اطلعوا عليها، وإنما هي أشياء من أخبار الشياطين. أهـ.

❊ ❊ ❊

فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره -: لكان الواجب أن لا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا هو، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة / باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه اللالكائي ٩/ ٩٨ (٤١) سياق ما روي عن النبي ﷺ في تعظيم أولياء الله عز وجل.

(٢) رواه اللالكائي ٩/ ١٢٦ (٢٥)، وابن حجر الهيتمي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١/ ٣١٤ وعزاه إلى البيهقي وأبي نعيم وابن الأعرابي والخطيب، وكذا في الصواعق المحرقة ١/ ٢٩٣، وتلبيس إبليس ٣٩٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ١٠١.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان بمشيئة الله ما صار مستقلاً، ما هنا شيء مستقل، كل شيء بمشيئة الله، لكن لو فرضنا أن هناك شيئاً مستقلاً لكان الواجب أن يلجأ إلى الله، لأنه خالق تلك الأشياء وموجدها وقادر على التصرف فيها سبحانه وتعالى، وهو الذي جعلها مستقلة، لكن ما هنا شيء مستقل إلا بمشيئته، فالأقرب أن يقال: فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب ولا يكون بمشيئة الله وتيسيره. أهـ.

* * *

فكيف وليس شيء من الأسباب مستقلاً بمطلوب، بل لا بد من انضمام أسباب أخر اليه، ولا بد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكل سبب فله شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم ينصرف عنه ضده -: لم يحصل مسببه، والمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات.

والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك، فهو- مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل -: فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة، خارجة عن قدرته، تعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بد أن يصرف عن الأسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضي، فليس في الوجود شيء

واحد هو مقتض تام، وإن سمي مقتضياً، وسمي سائر ما يعينه شروطاً - فهذا نزاع لفظي، وأما أن يكون في المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها فهذا باطل.

ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يسأل غيره، فضلاً عن أن يعبد غيره، ولا يتوكل على غيره، ولا يرجى غيره.

قوله: (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به).

ش: الإشارة بذلك إلى ماتقدم، مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله: «لا نفرق بين أحد من رسله» إلى آخر كلامه - أي: لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر بالكل، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن به منهم - موجود في الذي لم يؤمن به، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن في زعمه أنه مؤمن به، لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم أن اليهود مع أنواع الكفر التي وقعوا فيها، كفروا بإنكارهم نبوة عيسى وزعمهم أنه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ولد بغي، صاروا كفاراً بذلك، ثم جاء محمد ﷺ أيضاً فلم يؤمنوا به فكانوا كفاراً أيضاً بذلك، فصاروا كفاراً من جهة عدم إيمانهم بعيسى وعدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام.

والنصارى من أدرك منهم محمداً ﷺ فلم يؤمن به صار كافراً، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض، فلا يتم الإيمان ولا يصلح الإيمان إلا بالجميع، من كذب ببعضهم وآمن ببعضهم فهو كافر حقاً، وهكذا من آمن ببعض ما جاء به محمد ﷺ وكفر ببعض، كمن آمن بالشهادتين وكفر بالصلاة أو بالصوم أو بالحج أو بالزكاة أو بالجهاد أو ما أشبه ذلك يكون كافراً حقاً، وكما أن من آمن ببعض المرسلين وكفر ببعض يكون كافراً؛ فهكذا من آمن ببعض ما جاءوا به وأنكر بعض ما جاءوا به. أهـ.

* * *

قوله: (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به).

ش: فقوله: «**وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون**» رد لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة

بخروجهم عن الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد» تخصيصه أمة محمد، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي ذاك نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[١] ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمله، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «في النار» معمول لقوله: «لا يخلدون» وإنما قدمه لأجل السجعة، لا أن يكون في النار خبر لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعض الشارحين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: القول بأنهم في النار ليس بمتعين، لأنه قد يعفى عن بعضهم لأسباب، لكن لو قال أهل الكبائر متوعدون بالنار أو مستحقون للنار صح الكلام، أما الجزم بأنهم في النار فلا، ولهذا نبه الشارح على أن قوله في النار متعلق بـ: «يخلدون»، وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون، يعني لا يخلدون في النار، وإن كان قد يعفى عن بعضهم، لكن من دخلها منهم لا يخلد، بل له نهاية، وهذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، إذا مات على الكبائر وليس بتائب فهو متوعد بالنار ومستحق لها، لكن لا يتعين دخولهم إياها، بل قد

(١) متفق عليه، وهو مخرج في «الظلال» (٨٤٩-٨٥٢). أهـ ألباني

يعفى عن بعضهم بأعمال صالحة كثيرة عملها، وبشفاعة بعض الشفعاء قبل دخول النار، لكن الجزم أنهم مستحقون لها، إذا أدخلهم إياها فقد أدخلهم سبحانه وتعالى بعدله وهم مستحقون لها بذنوبهم.

وكما قال الشارح: أراد بهذا الرد على الخوارج والمعتزلة، لأن المعتزلة والخوارج غلوا في هذا الأمر، إذ زعموا أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً، من دخل النار لا يخرج منها أبداً عندهم، سواءً كنا حكمنا بكفره أم لا؟

ما دام من أهل الكبائر، مادام دخل النار بذنبه فلا يخلد فيها، واحتجوا بأشياء اشتبهت عليهم وظنوها عامة، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] ومثل قوله جل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] هذه في الكفرة، كلها في الكفرة ليست في العصاة، أما العصاة فقد جاءت فيهم أحاديث محكمة دالة على أنهم لا يخلدون ولا يكفرون أيضاً، وإن أطلق على بعضهم الكفر، فهو كفر دون كفر، ليس المراد الكفر الأكبر، فالمقصود أن أهل الكبائر الذين ماتوا على معاصيهم، على الزنا مثلاً أو على السرقة أو على عقوق الوالدين أو أحدهما أو ماتوا على الربا أو ماتوا على شهادة الزور، شهدوا بالزور وماتوا ولم يتوبوا، أو على أيمان فاجرة، أو على ظلم الناس في دم أو في مال أو في عرض ولم يتوبوا، هؤلاء هم أهل الكبائر، وهم لا يخلدون في النار عند أهل السنة والجماعة، بل لهم أمد ينتهون إليه ثم يخرجون منها، ولهذا تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة

خردل من إيمان، والرسول يشفع فيهم أربع شفاعات، يحد الله له حداً في كل شفاعة فيخرجهم من النار، ويشفع الأنبياء والمؤمنون والملائكة والأفراط، ثم تبقى بقية فيخرجهم الله من النار بغير شفاعة أحد، بل بمجرد رحمته سبحانه وتعالى، وهذا قول أهل الحق، هو قول الصحابة رضي الله عنهم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على طريقهم من أئمة الهدى، ومن كفرهم كالخوارج فقد غلط وضل ضلالاً بعيداً، وهكذا من قال فيهم إنهم ليسوا بكفار ولكنهم مخلدون في النار كذلك كالمعتزلة، قد ضلوا في ذلك وأخطأوا.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أن العاصي إذا دخل النار يميته الله إماتة[1]، يعني إماتة خاصة، وهذا من رحمة الله جل وعلا وإحسانه، وهذا ظاهره العموم في العصاة، وفي بعض الأحاديث إطلاق، قد يفهم منها أنهم يعذبون فيها وأن لهم حياة فيها بالنسبة إلى الإطلاق «**أخف الناس عذاباً يوم القيامة من يوضع على قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، هو يرى أنه أشد الناس عذاباً وهو أهونهم عذاباً**»[2] فإن هذا ظاهره يعم جميع أهل النار، يعني لا يخص الكفار، قال: «**أهون أهل النار عذاباً**» وهو من أهل النار مادام دخل فيها، نسأل الله السلامة، وفي بعضها: «**إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة من يكون له نعلان من نار**

---

(١) رواه مسلم (١٨٥) كتاب الإيمان / باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٢) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان/ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، والترمذي (٢٦٠٤) كتاب صفة النار/ باب: من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

يغلي منهما دماغه»(١) جاء في أبي طالب وجاء في غير أبي طالب، فالحاصل أنهم يعذبون، لكن تلك الموتة التي أراد الله لهم متى تكون؟

الله أعلم، قد تكون بعد عذاب طويل وقد تكون بعد عذاب قليل، الله أعلم، ثم يخرجون من النار ظبائر، كالفحم، يخرجون منها كأنهم الفحم، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل(٢)، نهر الحياة، هذا يبين أنهم يحيون فيه، في هذا النهر بعدما ماتوا وامتحشوا واحترقوا، إلا آثار السجود من ابن آدم، قد جاء في الحديث الصحيح «إن الله حرم على النار آثار السجود»(٣). أهـ.

* * *

واختلف العلماء في الكبائر على أقوال، فقيل: سبعة، وقيل: سبعة عشر، وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل: ذهاب الأموال والأبدان، وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل: لا تعلم أصلاً، أو: أنها أخفيت كليلة القدر، وقيل: إنها إلى السبعين أقرب(٤)، وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو

---

(١) مسلم (٢١٣) كتاب الإيمان / باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٠) كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨٥) كتاب الإيمان / باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٨٠٦) كتاب الأذان / باب فضل السجود، و (٦٥٧٣) كتاب الرقاق / باب الصراط جسر جهنم، و (٧٤٣٧) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان / باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٧-١٩٢٠) ٦/ ١١٠٣، ١١٠٩ ما روي عن النبي ﷺ في الذنوب التي عدهن في الكبائر.

كبيرة، وقيل: إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ما فيه حد في الدنيا أو وعيد كغضب ولعنة ونار؛ هذا يسمى كبيرة، وما سوى ذلك يسمى صغيرة، مالا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ولا جاء مذكوراً بلعنة ولا بغضب ولا بنار، والحكمة في عدم تحديدها بنصوص واضحة للتحذير منها، لأن الشارع له حكمة عظيمة فيما قد يخفيه من الأشياء، مثل ليلة القدر، أخفيت في العشر الأواخر من رمضان ليجتهد المسلمون في العشر كلها رجاء هذه الليلة، وكساعة الجمعة ساعة الدعاء، ليجتهد المسلم في الدعاء، والساعة التي في الليل. أهـ.

* * *

واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر: منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار، ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب، وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا عرف ضابط الكبيرة فما دونه صغيرة، وإذا كان ضابط الكبيرة فيه خلاف مشهور، علم

المؤمن أن الواجب عليه تجنب السيئات كلها والحذر منها كلها، أولاً: لأن الله نهى عنها.

ثانياً: المؤمن ينظر إلى عظم من عصى لا إلى المعصية نفسها، بل إلى عظم من عصى، وأنه جل وعلا جدير بأن يطاع وأن لا يعصى سبحانه وتعالى.

ثالثاً: لئلا تكون كبيرة وهو لا يشعر، فيحصل له بها من البلاء العظيم والعواقب الوخيمة ما لا يخطر بالبال، فالحزم كل الحزم في اجتناب المعاصي كلها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، ولهذا جاء في الحديث **«إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»**[١] وفي لفظ: **«فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه، ثم ضرب النبي ﷺ لهذا مثلاً بالقوم المسافرين، فينزلون منزلاً فيحضر صنيعهم ـ حاجتهم للطبخ ـ فيأتي هذا بالعود وهذا بالعود وهذا بالبعرة، ثم يوقدون ناراً ثم ينضجون عليها حاجتهم»**[٢] فالصغيرة مع الصغيرة، والصغيرة مع الصغيرة تجتمع حتى

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٣٥) كتاب الزهد / باب في ذكر الذنوب، من حديث عائشة رضي الله عنها وقال الحافظ في الفتح ١١/ ٣٢٩: أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود، وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة، وصححه ابن حبان. انتهى وصححه الألباني في السلسلة ٦/ ٥٢١.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٨ باب فيما يحتقر من الذنوب :رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح، غير عمران بن داور القطان وقد وثق. انتهى، هذا من رواية ابن مسعود رضي الله عنه، وأما من رواية سهل بن سعد فقد قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة. انتهى، قال الألباني في السلسلة: صحيح ١/ ٧٤٤.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب جماع من تجوز شهادته ومن لا تجوز، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

تهلك العبد وهو لا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه: أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس،و ابن عيينة،و ابن حنبل رضي الله عنهم، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشرة، أو إلى السبعين أقرب مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة: يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصلاً، أو إنها مبهمة: فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره، والله أعلم.

وقوله: «وإن لم يكونوا تائبين» لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين، بدل قوله: «عارفين» كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردود باطل، كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، وكأن الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء، التي يشير اليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «التي يشير إليها أهل الطريقة» عبارة فيها نظر، فإن هذا يعبر به عن الصوفية، هذا كلام مجمل، لكن عذره لعله أراد بها بالمعرفة التامة، لعل مراده المعرفة التي تضمنت الإيمان، إذا ماتوا وهم عارفين بالله معرفة اقتضت إيمانهم به وتوحيدهم له سبحانه وتعالى، مثل ما تقدم في «الموحدون» فكلامه يفسر بعضه بعضاً، وهو ابتلي بهذه السجعات التي أوجبت له أشياء مما لا يحسن ذكرها. أهـ.

سؤال/ **أهل الطريقة يشيرون إلى أن المعرفة تسقط التكاليف ؟**

أجاب سماحة الشيخ: لا ليس مراده هذا، هؤلاء أهل الزيغ والإلحاد، ليسوا مراده، هذه الطريقة التي يعبرون بها عن الصوفية، والطريقة التي لعموم الناس لهم الشريعة الظاهرة، والصوفية لهم الحقيقة التي هي الطريقة الباطنة، ولكن لعل المراد غير هذا، لعل مراده طريقة الذين هم أهل الزهد والاستقامة وليس على طريقة الصوفية المذمومين، وقد يحمل على محمل آخر أسلم من هذا الشيء، فهم أهل الطريقة المحمودة، أهل السنة والجماعة، لا أهل الزيغ وأهل التصوف، والعبارة فيها إيهام. أهـ.

سؤال/ **الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتاب الفرقان وجدت أنه يثني على الجنيد مع أنه من رؤساء الصوفية!.**

أجاب سماحة الشيخ: الجنيد وأبو سليمان الداراني أهل خير، ليسوا من أهل الصوفية المذمومين، لأنهم قالوا: علمنا مقيد بالكتاب والسنة. أهـ.

* * *

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله» إلى آخر كلامه. فصل الله تعالى بين الشرك وغيره لأن الشرك أكبر الكبائر، كما قال ﷺ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به، غير معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة، قول أهل السنة والجماعة جميعاً، وأجمع أهل العلم والإيمان على أن الشرك لا يغفر لمن مات عليه، من مات على الشرك لا يغفر له، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] فجزم سبحانه بعدم مغفرة الشرك ولم يعلق، بل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] فدل على أن من مات على الشرك لا يغفر له، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] فعلم أن الشرك إذا مات عليه العبد فعمله حابط، والمغفرة ممتنعة في حقه محرمة عليه، نسأل الله العافية، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] هذا يدل على أن ما دون الشرك فهو معلق بالمشيئة، قد يغفر وقد لا يغفر، وهذا في حق من مات غير تائب، من مات على المعاصي لم يتب منها، فهذا

معلق أمره بالمشيئة، إن شاء الله غفر له فضلاً منه سبحانه وتعالى لإسلامه وما معه من العمل الصالح والتقوى لله، وإن شاء عذبه على قدر الجريمة التي مات عليها، وهو سبحانه أعلم بمقادير تلك الجرائم وعقوباتها، والجرائم أنواع: منها الزنا ومنها اللواط ـ والعياذ بالله ـ ومنها شرب المسكر ومنها شهادة الزور ومنها العقوق للوالدين أو أحدهما ومنها قطيعة الرحم واليمين الكاذبة والدعاوى الباطلة وظلم الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم وقذف المحصنات الغافلات وقتل النفس بغير حق وأكل الربا، كل هذه معاصٍ، إذا كان لم يستحلها، فعلها ويعلم أنها معاص، فعلها ويعلم أنه عاصٍ بها وأنه مجرم وأنه مذنب، ولم يستحلها، فهذا يدخل تحت مشيئة الله إذا مات على ذلك، إن شاء الله غفر له لإسلامه وإيمانه وما معه من خير وعمل صالح، وإن شاء عذبه وقد توعده بالعذاب، وكثير من العصاة لا يغفر لهم بل يعذبون، جاءت النصوص دالة على أن كثيراً منهم يعذبون في النار على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها بعد ذلك حسب ما يشاء سبحانه وتعالى، ثم يلقون في نهر الحياة، يخرجون ـ كما قال في آخر الحديث ـ ظبائر ظبائر، يعني جماعات جماعات، قد احترقوا كالحمم، كالفحم، نسأل الله العافية، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبة في حَميل السيل[1]، ثم بعد أن يتم خلقهم يدخلهم الله الجنة، وقد يشفع فيهم الشفعاء مثل الملائكة والأنبياء والمؤمنين والأفراط، يشفعون في أهل المعاصي بعد دخولهم النار، والنبي ﷺ أيضاً يشفع شفاعات عديدة في أهل المعاصي، فيحد الله له حداً غير مرة فيخرجهم من النار، ثم يبقى بقية من أهل

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم.

المعاصي في النار لم تنلهم الشفاعات ولم تحط بهم الشفاعات، فيخرجهم الله فضلاً منه جل وعلا لم يعملوا خيراً قط، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله، إلا أنهم من الموحدين، فيدخلهم الجنة بعد ذلك، بعدما عذبهم سبحانه العذاب الذي اقتضته حكمته وعدله سبحانه وتعالى، فهذا معنى قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] وهذا إجماع أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة والخوارج.

أما الطائفتان المعتزلة والخوارج، فيقولون: من دخل النار لا يخرج منها، فالعصاة مخلدون في النار عندهم، عندهم أن العاصي مخلد في النار، إذا مات على الزنا ولم يتب يخلد في النار، إذا مات على العقوق يخلد في النار، إذا مات على الربا يخلد في النار، ولو ما استحله، هذا قول هاتين الطائفتين من الخوارج والمعتزلة، وقد أنكر عليهم أهل السنة ذلك، وصاحوا بهم ونددوا بهم وبينوا خطأهم وضلالهم في هذا الأمر.

أما التائبون فيغفر لهم، من تاب تاب الله عليه، الشرك وما دونه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر:٥٣] يعني بالمعاصي أو بالشرك: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣] ﴿ لَا تَقْنَطُواْ ﴾ يعني لا تيأسوا من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ يعني يغفرها للتائبين، أجمع أهل السنة وأجمع علماء التفسير على أنها في التائبين، هذه الآية آية الزمر في التائبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ المسرفين في المعاصي: ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ يعني لا تيأسوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] ثم

قال بعده: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤] يعني بعد التوبة أنيبوا واستقيموا على طاعة الله والله يغفر الذنوب سبحانه وتعالى، ومن تاب توبة صادقة بالندم على الذنوب الماضية والإقلاع منها والعزم ألا يعود فيها ورد المظالم لأهلها تاب الله عليه وعفا عنه سبحانه وتعالى إذا كان صادقاً، فعليه أن يستقبل أمره وأن ينيب إلى الله بالعمل الصالح ويجتهد، فهذه في التائبين، وآية النساء في غير التائبين، آية النساء قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] هذه آية النساء، بين أن الشرك لا يغفر له ولم يعلقه، بل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] فلم يعلق، ثم جعل ما دونه تحت المشيئة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] فجعل ما دون الشرك معلقاً بالمشيئة، فهذا في غير التائبين، إذا ماتوا على غير التوبة، ماتوا على الشرك أو على ما دونه، فإن كانوا على الشرك فلا مغفرة لهم والجنة عليهم حرام، نعوذ بالله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] وما دون ذلك فهو معلق بالمشيئة، إذا كان مات على المعاصي وهو غير مستحل لها، يعني غير معتقد حلها له، بل مات وهو يعلم أنه عاصٍ وأنه مخطئ وأنه مذنب، ولكن غلب عليه الهوى والشيطان، فهذا هو الذي تحت مشيئة الله، أما الذي يرى أن الزنا حلال فهذا كافر، نعوذ بالله، الذي يستحل الزنا أو اللواط أو المسكر، هذا يكون كافراً مرتداً، إذا مات على هذا يكون مخلداً في النار، نعوذ بالله، هذا مخلد في النار عند أهل السنة جميعاً، بإجماع أهل السنة والجماعة، وهكذا من استحل عقوق الوالدين أو

استحل قطيعة الرحم أو استحل الربا وقال إنه حلال، يكون كافراً مرتداً، نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

هذه مسائل عظيمة يجب أن تلاحظ وأن تكون على البال. أهـ.

سؤال/ بالنسبة للشرط الأخير من شروط التوبة الذي هو رد المظالم، يقول: أنا فقير لا أستطيع أن أرد المظالم ممن كان سرق مثلاً؟

أجاب سماحة الشيخ: يستحله منها، فإذا عجز عن ذلك فالله يعلم تمام عزمه، إذا عزم على ذلك عفا الله عنه، إذا عجز عنها ولم يسمحه عنك فالله يسامحك، إذا صدق في التوبة، لأن العاجز الصادق كالراد. أهـ.

سؤال/ فوائد الربا بعضهم يعتبرها ليست ربا.

أجاب سماحة الشيخ: هذا غلط، هذا منكر، هذا منكر خلاف قول أهل السنة والجماعة قاطبة، فوائد الربا ربا ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩]. أهـ.

سؤال/ هل هذا يدخل في معنى استحلال الربا ؟

أجاب سماحة الشيخ: يبين له الحكم إذا كان جاهلاً، فإذا أصر على أن فوائد الربا جائزة فهذا استحلال منه، إذا قال إنه يجوز له أن يرابي، وإذا حل الدين قال له مثلاً: أنا أمهلك كذا وعليك زيادة كذا، أو يبيعه الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين. أهـ.

سؤال/ هم لا يقولون هذا ربا مباشرة، وإنما يقولون هذه أجرة العاملين من كتبة ومن إدارة؟

أجاب سماحة الشيخ: الربا الصريح ردة عن الإسلام، أما الذي فيه شبهة يبين لهم. أهـ.

* * *

وقوله: «**ذلك أن الله مولى أهل معرفته» فيه مؤاخذة لطيفة، كما تقدم.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لو قال تولى أهل الإيمان منهم، لأن المعرفة لا تكفي كما تقدم، فإبليس يعرف ربه وفرعون يعرف ربه ولكن لا تنفعهم المعرفة، إنما الذي ينفع الإيمان، فهذا تسامح من المؤلف مثل ما تقدم، ما كل عارف ناجياً، الذي ينفع الإيمان الصادق الذي يثمر العمل، أما المعرفة فاليهود تعرف ربها والكافر يعرف ربه وإبليس يعرف ربه ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٨٢] ومع هذا هو من المخلدين في النار، نعوذ بالله، معرفة ما معها إيمان وتقوى ما تنفع، نسأل الله العافية، ولو كان أعلم الناس، بلعام[١] يعرف ربه وانسلخ من آيات الله بسبب إيثاره الهوى والدنيا. أهـ.

* * *

قوله: «**اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكناً بالإسلام» وفي نسخة: «ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به» روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق، بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: «يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى**

(١) انظر ترجمته في تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ سورة الأعراف، آية: ١٧٥.

ألقاك عليه»(١) ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة. وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمني الموت فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

قوله: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم).

ش: قال ﷺ: «صلوا خلف كل بر وفاجر»(٢) رواه مكحول عن

---

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (ق/ ١٥٠/ ١) رواه من طريق الطبراني بسنده عن أنس بن مالك به، وهو إسناد جيد، كما حققته في «الأحاديث الصحيحة» (١٨٣٣) وراجع مقدمة الطبعة الثالثة ص٦ .أهـ ألباني

(٢) ضعيف، علته الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، وهو مخرج في «ضعيف سنن أبي داود» (٩٧).أهـ ألباني

قال شاكر: الحديث رواه الدارقطني ص ١٨٥ مطولا، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٤:١٩ من طريق الدارقطني، من رواية ابن وهب: «حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحرث، عن مكحول، عن أبي هريرة» قال الدارقطني: «مكحول لم يسمع من أبي هريرة، ومن دونه ثقات». وقال البيهقي - بعد كلام الدارقطني: «قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، والصلاة على من قال لا إله إلا الله» - أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف. وأصح ما روي في هذا الباب حديث مكحول عن أبي هريرة، وقد أخرجه أبو داود في كتاب السنن [يشير إلى الحديث الذي سيذكره الشارح عقب هذا] إلا أن فيه إرسالا، كما ذكره الدارقطني». =

أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الدارقطني، وقال: مكحول لم يلق أباهريرة.

وفي إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم في صحيحه.

وخرج له الدارقطني أيضاً وأبو داود، عن مكحول، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم، براً كان أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير، براً كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر»[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، ولكن أهل السنة والجماعة على معناها، على معناها وإن كانت أسانيدها لاتخلو من ضعف، فإن الواجب على الرعية أن يكونوا مع ولاة الأمور في جهادهم وصلواتهم في الجماعة، وأن لا يتخلفوا عن ذلك، لما في إظهار الصلاة في الجماعة من إظهار شعائر الإسلام،و لما

= وقول الشارح هنا: «معاوية بن صالح متكلم فيه..» قد حققنا في شرح المسند، في الحديث (٥٧٢٤) أن الكلام فيه تعسف من غير حجة.

وعلة هذا الحديث والذي بعده، هي الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، كما قال الدارقطني والبيهقي.أهـ

(١) ضعيف أيضا للعلة المذكورة، وهو مخرج في الإرواء (٥٢٧).أهـ ألباني

قال شاكر: الحديث رواه الدارقطني ص١٨٤ من طريق يزيد بن يزيد بن جابر، عن مكحول، عن أبي هريرة، مطولاً، وكان لفظه في المطبوعة ناقصا ومحرفا، وصححناه من الدارقطني، ورواه أبو داود (٢٥٣٣) من رواية ابن وهب: «حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحرث، عن مكحول، عن أبي هريرة» فذكره بنحوه.

ورواه البيهقي ٣/ ١٢١ من طريق أبي داود بإسناده، ورواه أيضا ٨/ ١٨٥ بإسناد آخر من طريق ابن وهب، وعلته الانقطاع، مثل الحديث السابق.أهـ

في الجهاد من إظهار دين الإسلام وإعزازه ودعوة الناس إليه وجهاد من تخلف عنه، فمصلحته أكبر وأعظم مما حصل من النقص من الإمام في الصلاة أو غيره كالجهاد. أهـ.

* * *

وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً، وفي صحيحه أيضاً، أن النبي ﷺ قال: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وأن أخطأوا فلكم وعليهم»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يبين لنا المعنى. أهـ.

* * *

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله»[(٢)] أخرجه الدارقطني من طرق، وضعفها.

اعلم، رحمك الله وإيانا: أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك: فإن

(١) صحيح، رواه أحمد أيضا، وهو في مختصر البخاري (٣٨٣).أهـ ألباني

(٢) ضعيف.أهـ ألباني

المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف. ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه، كما تقدم، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم ؟!

فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!![1]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا إخبار عن الواقع، ما زلنا معك في زيادة وإن كانوا جالسين لم يقوموا معه ـ إن صح الإسناد ـ شارب الخمر يمنع أن يصلي بالناس لأنه لا عقل له، لكن إذا كان يسرق أو يشرب الخمر ولكنه وقت الصلاة صحيح يصح أن يصلى خلفه، لأنه عاصٍ، ولا تترك صلاة الجماعة، فإذا كان عقله مع الصلاة صحيحاً فلا حرج في ذلك، لكن إذا وجد من هو أصلح منه يصلى معه، فيجب على

---

(١) قصة ابن مسعود مع الوليد بن عقبة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٢/ ٣٠٨ وعزاها الحافظ في الفتح ٧/ ٥٧ إلى مسلم من طريق أبي ساسان قال: «شهدت عثمان أتي بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم، فشهد عليه رجلان...وأخرج من طريق الشعبي قال: قال الحطيئة في ذلك:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم سفها وما يدري

فأتوا أبا وهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

كفوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

رَفْعُ عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

ولاة الأمور أن يعينوا من هو أصلح للإمامة إذا أمكن ذلك.

وقتل الحجاج للنفوس بغير الحق وبأدنى شبهة هذا أعظم من الخمر، ومع هذا صلى معه ابن عمر وصلى معه أنس وصلى معه جماعة من الصحابة والتابعين لأنه هو الأمير. أهـ.

* * *

وفي الصحيح: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟

فقال: يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم[١].

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه: فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يفعل ما هو

(١) أخرجه البخاري في «الأذان» وهو في «المختصر» برقم (٨٤). أهـ ألباني

أصلح، إذا رأى أن الأصلح ترك الصلاة خلفه ويصلي خلف إمام آخر ليظهر إنكاره عليه، ويظهر أنه قد أنكر ولم يرض بعمله فعل ذلك، وإذا كان ترك الصلاة خلفه يسبب فتنة بين المسلمين، قد يترك ذلك ويصلى خلفه، وينكر بما استطاع. أهـ.

* * *

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم. وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه ولاة الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر: فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان.

فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر، فهو موضع اجتهاد العلماء: منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه لا يعيد، فالصحابة ما أعادوا، وفي إمكانهم أن يصلوا جماعة وحدهم، والمقصود أن الصلاة خلف البر والفاجر جائزة عند أهل السنة والجماعة، ولاسيما في الجمع والأعياد والصلاة في الحج، ولو قدر أنه يمكن أن يصلي خلف البر، لأن إظهار الشعائر مع المسلمين والبعد عن أسباب الفتن وشق العصا أمر مطلوب، والقاعدة أن المؤمن يراعي تكميل المصالح وتثبيتها وتكثيرها، وتعطيل المفاسد وتقليلها مهما أمكنه ذلك، وهكذا صلاة الجماعة يراعي هذه الأصول أيضاً، ويحرص على إقامة صلاة الجماعة وإن كان الإمام فاسقاً، حتى يتيسر زواله. أهـ.

* * *

وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنابة، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة[1].

ولو علم أن إمامه بعد فراغه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه لا يعيد، إذا صلى بالناس ولم يعلم أنه على غير طهارة إلا بعد ذلك؛ أعاد هو ولم يعيدوا، ولو علم أثناء الصلاة يقطعها ويستأنفون هم أو يكملون لأنفسهم، والصواب أنهم يكملون لأنفسهم، أو يستخلف عليهم من

(١) عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٣٤٧-٣٤٩) طبع المكتب الإسلامي، وكذا ابن أبي شيبة (١/ ٣٩٣) بأسانيد بعضها صحيح. أهـ ألباني.

يصلي بهم، فيقدم واحداً مثلاً، وإن لم يقم أحداً قدموا من يصلي بهم ويكمل لهم، فإذا صلى بهم وهو محدث ثم انصرف وقدموا من يكمل بهم صح على الصحيح ولا يسلّمون، وإن لم يقدموا وأتموا لأنفسهم صحت أيضاً على الصحيح، وإن قطعوها واستأنفوها من أولها فلا بأس أيضاً. أهـ.

وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه، لأنه لاعب، وليس بمصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لاعب قبل الدخول في الصلاة، ينكر عليه ولا يصلى خلفه، وإذا كان يرى نقض الوضوء بأكل لحم الجزور والإمام لا يرى نقضه تصلي خلفه، هذا محل اجتهاد، لكن لو علم أنه أظهر ما يوجب الوضوء من صوت أو ريح ومع ذلك يصلي بالناس فلا، أما الذي محل اجتهاد كمس المرأة ومثل أكل لحم الإبل لا يراه ناقضاً يصلى خلفه، وبعض الناس لا يذكر أنه على غير وضوء إلا في أثناء الصلاة وقد يخجل فيكمل بالجماعة، وهذا لا يجوز له أن يكمل، يجب عليه قطع الصلاة، لكن إذا ما علم فلا عليه. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة: يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة

والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض.

يروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع.

وحديث أبي هريرة، الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»[١] نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم، والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كانت بدعته مكفرة كبدعة الجهمية فهل يصلي خلفه؟

على حسب رأي المجتهد، إذا رآها مكفرة لا يصلي خلفه. أهـ.

* * *

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني.

وقوله: «وعلى من مات منهم» أي ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله، على ما عرف في موضعه، لكن الشيخ إنما ساق هذا لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم الكلي، ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلي عليه.

فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه، وكان عمر رضي الله عنه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة، لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية أو الفجورية ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ فأمره سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسائر الخيرات، إما واجب وإما مستحب، وهو على نوعين: عام وخاص، أما العام فظاهر، كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن يدعوا له، كما روى أبوداود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والخلاصة من هذا أن من مات وهو على ظاهر الإسلام يصلى عليه، ولكن لا مانع من ترك الصلاة على بعض الناس من باب التنفير عن عملهم السيئ كقاتل نفسه ومن ظهرت بدعته، لا يصلي عليه أعيان الناس وكبراؤهم للتنفير، ويصلي عليه بعض الناس لكونه مسلماً، فمن لم نحكم بكفره صلينا عليه، ومن حكمنا بكفره أو نفاقه النفاق الأكبر لم يصل عليه، ويستثنى من ذلك الشهيد كما تقدم، فالشهيد وإن كان مؤمناً ومن خيرة الناس فإنه لا يصلى عليه، لا يصلى على شهيد المعركة إذا مات في المعركة كما تقدم، والمحدود بحد يصلى عليه، النبي ﷺ صلى على الغامدية وصلى على ماعز[(٢)].أهـ.

* * *

قوله: (ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً).

ش: يريد: أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

---

(١) إسناده جيد «أحكام الجنائز» (١٢٣) و«إرواء الغليل» (٧٣٢).أهـ ألباني

(٢) رواه أبو داود (٣٠٥٧) كتاب الجنائز/ باب الصلاة على من قتلته الحدود، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان عدم الشهادة لإنسان معين بالجنة والنار إلا من شهد له الله جل وعلا بالنار كأبي لهب(١)، أو شهد له بالجنة، كما شهد النبي ﷺ للعشرة(٢) ولعبد الله بن سلام(٣) ولعكّاشة(٤)

---

(١) وكذا فرعون، وعبدالله بن جدعان، والمرأة التي حبست الهرة، وأبوطالب، وعمرو بن لحي الخزاعي الذي سيّب السوائب، وآزر أبو إبراهيم عليه السلام، والرجل الذي قاتل مع المسلمين ثم لما جُرِح قتل نفسه، والرجل العابد من بني إسرائيل الذي قال لصاحبه: والله لا يغفر الله لك، وغلام النبي ﷺ الذي غلّ الشملة من الغنائم. وقد ثبت فيهم الأحاديث، والله أعلم.

(٢) أما العشرة فقد ثبت عند أحمد ١٦٧٥ والترمذي ٤/ ٣٣٤ كما قال الشيخ أحمد شاكر، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**» وقال الألباني: صحيح. ورواه أبو بكر بن خيثمة وقدم فيه عثمان على علي.

(٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ البخاري ٧/ كتاب الفضائل، ومسلم (٢٤٨٣).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يدخل من هذا الفج رجل من أهل الجنة**» فجاء عبد الله بن سلام. رواه مسلم.

(٤) وأما عكاشة بن محصن فقد ثبت من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر؛ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**» رواه البخاري (٦٥٤١) كتاب الرقاق/ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً، ومسلم (٢١٨) كتاب الإيمان/ باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

ولآخرين[١]، وإلا فنقول المؤمنون في الجنة والكفار في النار، هذا أمر

(١) وأما غيرهم فـ: حاصب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية» (٢٤٩٥).

ـ الرميصاء، امرأة أبي طلحة «أم سليم رضي الله عنها»: روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ **«رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»** ٧/ كتاب فضائل الصحابة (٣٦٧٩) ومسلم (٢٤٥٦).

ـ بلال بن رباح رضي الله عنه: روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ **«رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر»** ٧/ ٣٦٧٩ ومسلم (٢٤٥٧) وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ **«يا بلال: حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يديّ في الجنة..»** الحديث (٢٤٥٨).

ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: روى البخاري في المناقب (٣٨٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: **«يا محمد: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام وطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»** ورواه مسلم (٢٤٣٢). وروى البخاري ومسلم «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد»

ـ سعد بن معاذ رضي الله عنه: روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: **«أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين»**.(٣٨٠٢) كتاب مناقب الأنصار/ مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ومسلم (٢٤٦٨).

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: أخرج البيهقي في الدلائل، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء»** ٤/ ٣٧٢ وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني وحديث **«رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»** (١٢٢٧) وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: **«دخلت البارحة الجنة، فرأيت فيها جعفراً يطير مع الملائكة»** فتح الباري/ ٧.

ـ فاطمة رضي الله عنها: قال البخاري: وقال النبي ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»** قال الحافظ ابن حجر: هو طرف من حديث وصله المؤلف في علامات النبوة، وعند الحاكم من =

= حديث حذيفة بسند جيد: «**أتى النبي ﷺ ملك وقال: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**» ٧/ ٧٧ مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: روى البخاري عن أبي وائل قال: لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب عمار فقال: «إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها» قال الحافظ: وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه: حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة**» فلعل عماراً كان سمع هذا الحديث من النبي ﷺ .انتهى ٧/ ١٠٦ فضل عائشة.

ـ مريم بنت عمران رضي الله عنها: روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة**» قال الحافظ: وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ: «**أفضل نساء أهل الجنة**» فعلى هذا المعنى خير نساء أهل الجنة مريم، وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**» ٧/ كتاب الفضائل

ـ حارثة بن سراقة رضي الله عنه: روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيّع بنت البراء ـ وهي أم حارثة بن سراقة ـ أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ! ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة: إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**» (٢٨٠٩)

ـ حارثة بن النعمان رضي الله عنه: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة، فسمعت قراءة، فقلت: من هذا؟ قيل: حارثة**» فقال النبي ﷺ: «**كذلكم البر، كذلكم البر**» الحاكم (٤٩٢٩) وصححه وافقه الذهبي وابن حجر في الإصابة ٢/ ١٩٠ وقال: إسناده صحيح، ورواه أحمد كذلك..

ـ ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: «**يا أبا عمرو: ما شأن ثابت؟ أشتكى**»؟ قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له شكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**» (١١٩).

ـ عمير بن الحمام رضي الله عنه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى** =

= جنة عرضها السماوات والأرض» فقال عمير: بخ بخ، قال ﷺ: «**ما حملك على قولك بخ بخ**» قال: رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» مسلم (١٩٠١) كتاب الإمارة/ باب ثبوت الجنة للشهيد.

- روى النسائي عن شداد بن الهاد قال: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به وأسلم، فلما كانت غزوة خيبر غنم المسلمون غنائم، فقسم له الرسول ﷺ حصة من الغنائم، فقال الأعرابي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا بسهم - وأشار إلى حلقه - فأموت في سبيل الله فأدخل الجنة، فقال ﷺ: «**إنك إن تصدق الله ليصدقنك**» واحتدم القتال، وأتي الأعرابي وقد نفذ سهم من حلقه، فقال ﷺ: «**أهو هو**»؟ قيل: بلى يا رسول الله، قال: «**يرحمه الله، صدق الله، فصدقه الله**» رواه النسائي (١٩٥٣) والحاكم والطبراني وعبد الرزاق.

- زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما وجعفر رضي الله عنه قد تقدم: قال رسول الله ﷺ «**أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً**» قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «**ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً**» ثم قال: «**لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً**» ميلاً وعوجاً «**عن سرير صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا، وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى**» رواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٦٨ وعزاه لابن إسحاق.

- الحسن والحسين رضي الله عنهما: عن أبي سعيد مرفوعاً: «**الحسن والحسين سيدا شباب الجنة**» أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) كتاب المناقب، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ٣/ ١٦٧ وصححه ووافقه الذهبي.

وعن حذيفة سمع النبي ﷺ يقول: «**هذا ملك لم ينزل قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) المناقب، وقال: حديث حسن غريب.

- عمرو بن الجموح رضي الله عنه: عن أبي قتادة قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله فقال: يا رسول الله: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**» فقتلوا يوم أحد، هو وابن أخيه ومولى له، فمر رسول الله ﷺ فقال: «**كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة**» وسنده حسن كما قال الحافظ في الفتح ٣/ ١٧٣، ورواه أحمد في المسند.

- روى النسائي في السنن الكبرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع =

= رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. ٦/ ٢١٥ ورواه أحمد وعبد الرزاق.

ـ ماعز الأسلمي رضي الله عنه: روى الحافظ أبو يعلى ..أن ماعزاً ..أمر برجمه فرجم، فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجم الكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: «**أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**» قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ «**فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**» إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (١٢).

ـ روى البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بالأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يا فلان: ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة**»؟ قال: إني أحبها، قال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**».

ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» قالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

ـ الأصيرم: قال ابن القيم في الهدي ٣ / ١٥٦: وكان عمرو بن ثابت، المعروف بالأصيرم من بني عبد الأشهل يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد، قذف الله الإسلام في قلبه، للحسنى التي سبقت له منه، فأسلم وأخذ سيفه، ولحق بالنبي ﷺ، فقاتل فأثبت بالجراح، ولم يعلم أحد بأمره، فلما انجلت الحرب، طاف بنو عبد الأشهل في القتلى، يلتمسون قتلاهم، فوجدوا الأصيرم وبه رمق يسير، فقالوا: والله إن هذا الأصيرم، ما جاء به، لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه ما الذي جاء بك؟ أحدب على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة =

مقطوع به، ونرجو للمحسن التكفير ونخاف على المسيء، وأما علم الغيب فإلى الله سبحانه وتعالى. أهـ.

= في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «**هو من أهل الجنة**» قال أبو هريرة: ولم يصل لله صلاة قط. رواه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن ورجاله ثقات (٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) وقال في حاشية الهدي: رواه أبو داود (٢٥٣٧) وابن هشام (٣/ ١٣١) وحسن إسناده الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٥٦ رقم ٥٧٨٥) وحسنه في صحيح سنن أبي داود (٢٢١٢).

ـ شهداء أحد رضي الله عنهم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآيات** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟..﴾» رواه أبو داود/ باب فضل الشهادة، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

ـ القراء السبعون: روى البخاري عن أنس في القراء: «**فأنزل الله تعالى لنبيه في الذين قُتلوا أصحاب بئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد: بلغوا قومنا فقد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه**» وقال ﷺ «**إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم**» الحديث (٤٠٩٣).

ـ عبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما روى الترمذي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال له: «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك**»؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا الله أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون**» قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ قال الترمذي: حديث حسن غريب.

- وروى البغوي في شرح السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر؛ كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه. قال فيقول: خلّني وربي، قال: فوجده يوماً على ذنب استعظمه فقال: أقصر، فقال: خلّني وربي، أبُعِثت عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار. ورواه أبوداود في سننه.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، وهو قول أهل السنة والجماعة. أهـ.

* * *

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما في الصحيحين: أنه مر بجنازة، فأثنوا عليها بخير، فقال ﷺ: «وجبت» ومر بأخرى، فأثني عليها بشر، فقال: «وجبت» وفي رواية كرر: وجبت ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟

فقال رسول الله ﷺ: «هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»(١).

وقال ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ»(٢).

فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من أهل الحق، وهذا قول جمع من أهل العلم، وهو قول جيد، إذا أجمع أهل الحق وأهل الخير على شخص فهذه علامة أنه من أهل السعادة، وإذا أثنى أهل

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (٤٤). أهـ ألباني

(٢) إسناده محتمل للتحسين، فإنه من رواية ابن أبي زهير الثقفي عن أبيه مرفوعاً، أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١) وأحمد (٣/ ٦،٤١٦/ ٤٦٦) قال في «الزوائد»: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

قلت: أبو بكر هذا لم يرو عنه غير اثنين، ولم يوثقه غير ابن حبان (١/ ٢٦٧) وقال في التقريب: «مقبول» يعني عند المتابعة، وإلا فلين الحديث. أهـ ألباني.

الخير وأهل الحق شراً على إنسان فهذه علامة أنه من أهل النار، لهذا الحديث وما جاء في معناه «**وجبت وجبت**» قول جيد.

ولكن المشهور هو الأول، يعني القول الوسط من الثلاثة هو المشهور، من شهد له الرسول ﷺ بالجنة شهدنا له، ومن شهد له بالنار شهدنا له، وما لا فنمسك، لأن الله هو العالم بالبواطن والعالم بالخواتيم، ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

والقول الثالث هو هذا القول، أنه من اشتهر بالخير والصلاح والاستقامة وشهد له أهل الخير أهل الاستقامة من أهله أو أكثر بالاستقامة شهدنا له بالجنة، والضد بالضد «**أنتم شهداء الله في أرضه**»(١) وكان أبوثور المعروف، إبراهيم بن خالد الكلبي المشهور الفقيه يشهد لأحمد بالجنة، فيقولون: لم شهدت؟

قال: لأن المسلمين أثنوا عليه خيراً، فنشهد له بالجنة لقوله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**».

واستنبط من هذا الحديث جماعة من أهل العلم هذا الحكم، وهو قول قوي جيد وبشرى للمؤمن، ولكن التوسط هو الأقرب والأحوط، لأنه قد يشهد أناس كثيرون لبعض الناس ولكن ليسوا على المستوى الذي يُطمئن إليه، فإن بعض الناس في آخر الزمان وفي غالب الأزمان قد يشهدون بغير بصيرة، قد يشهدون لمجرد عاطفة أو قرابة أو صداقة، أو لأنه أعطاهم بُنْية أو لأنه وظفهم، فليس الناس على المستوى الذي يطمئن إليه في الشهادة في غالب الأحوال وفي آخر الزمان، وهذا هو مما يوجب التوقف، ولكن إذا جاء النص عن رسول الله ﷺ فهذا له كلام ثانٍ.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٧) كتاب الجنائز/ باب ثناء الناس على الميت، وبنحوه في كتاب الشهادات/ باب تعديل كم يجوز؟ (٢٦٤٢) ورواه مسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز/ باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقول من قال: إنه مختص بالصحابة أو الجماعة الذين مرت بهم الجنازة من الصحابة ليس بصواب «**أنتم شهداء الله في الأرض**» ليس مراده الصحابة، مراده المؤمنون ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]. أهـ.

سؤال/ أليس الأصل عدم ذكر مساوئ من مات؟

أجاب سماحة الشيخ/ بلى، لكن إذا كان ذكر الشر للتنفير فهذا مستثنى، لأن الرسول ﷺ ما أنكر عليهم لما أثنوا شراً، فيكون للتنفير منه، تقول هذا مبتدع، هذا داعية سوء، هذا مما أعلم منه الفجور والمعاصي، للتنفير من شره فهو مستثنى، بخلاف من ستره الله فلا تبحث مساويه. أهـ.

سؤال/ إذا قلنا بالعموم فلماذا لا يصار إلى القول الثالث ويقال هو الأولى؟

أجاب سماحة الشيخ/ للتثبت، لأن شهادة الناس قد يعتريها ما يعتريها، قد يشهد أناس ممن لا يوثق بشهادتهم، بخلاف إذا شهد أهل الخير فهو الظن الغالب، لكن إذا شهد أناس لا يعتبر بحالهم، لكن إذا شهد العدول يرجى لهم الخير، القول بالشهادة بالجنة قول قوي، إذا شهد من يعرف أنهم من أهل الخير والاستقامة وشهد من لهم معرفة به. أهـ.

* * *

قوله: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، مالم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى).

ش: لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا

به علم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى هذا الكلام السابق أن أهل السنة والجماعة رحمة الله عليهم يقبلون من الناس ظواهرهم ويوكلون سرائرهم إلى الله سبحانه، وهذا هو الحق، مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل**»(١) فالناس مطالبون بالاستقامة على ظاهر الشرع، والسير على ذلك منهاجاً لما درج عليه النبي وأصحابه، وأما التنقيب عن سرائرهم والتفتيش عما تنطوي عليه قلوبهم؛ هذا ليس إلينا، بل الله هو الذي يعلم السرائر سبحانه وتعالى، وإنما علينا أن نقيمه على الظاهر ونكل السرائر إلى الله عز وجل، فعلى كل مسلم أن يستقيم على أمر الله ويبتعد عن محارم الله وأن يقف

---

(١) رواه البخاري (٢٥) كتاب الإيمان/ باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما، و(١٣٩٩-١٤٠٠) كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة، و(٦٩٢٤) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، و(٧٢٨٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه مسلم (٢٠) كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم (٢٢).

عند حدود الله، وعلى ولاة الأمور أن يقوموا بذلك، وأن يجتهدوا في إقامته على الشرع المطهر، وليس لهم من السريرة شيء، السريرة إلى الله سبحانه وتعالى، فمن أظهر شيئاً أُخذ به، ومن سكت وأسر ولم يظهر منه شيء يخالف الشرع فأمره إلى الله عز وجل، ولهذا ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «**إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر خيراً قربناه وآمناه، ومن أظهر شراً لم نأمنه ولم نقربه، وليس لنا من سريرته شيء، بل هي عند الله سبحانه وتعالى**»(١) فالمقصود أن الواجب على جميع المسلمين أن يستقيموا على الشرع وأن يحافظوا عليه وأن يتواصوا بذلك وأن يحسنوا الظن بإخوانهم، وأن لا يتهموهم بالنفاق أو بغيره من الشرور مالم يظهر منهم ما يدل على ذلك، والله المستعان. أهـ.

* * *

قوله: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف).

ش: في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٢).

قوله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١) كتاب الشهادات/ باب الشهداء العدول.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، وهو مخرج في «الإرواء» (٢١٩٦) و«الظلال» (٦٩و٨٩٣و٨٩٤).أهـ ألباني.

ش: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أيضاً هو عقيدة أهل السنة والجماعة، أنهم لا يحملون السلاح على أمة محمد عليه الصلاة والسلام، بل هذا شأن الخوارج، وكذلك لا ينزعون يداً من طاعة، بل يطيعون ولاة الأمور ويدعون لهم بالتوفيق والهداية والصلاح، ولا يخرجون عليهم ولا ينزعون يداً من طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا يطاعون في المعصية «**إنما الطاعة في المعروف**»(٢) ولهذا قال عز وجل: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩] يعني في المعروف، وقال النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»(٣) وهو مخرج في الصحيحين، وقال ﷺ: «**على**

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «الإرواء» (٣٩٤).أهـ ألباني.

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٠) كتاب المغازي/ باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي،و (٧٢٥٧) كتاب أخبار الآحاد/ باب ما جاء في إجازة الواحد الصدوق، ومسلم (١٨٤٠) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير/ باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، و(٧١٣٧)كتاب الأحكام/ باب قول الله تعالى ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»(١) فعلى المؤمن أن يعرف ما درج عليه السلف الصالح وأن يستقيم على ذلك، وأن يدعو لولاة الأمور بالتوفيق والهداية، وأن يناصحهم وأن يبين لهم الخير ويحذرهم من الشر، وأن يدعوهم إلى كل ما فيه طاعة الله ورسوله وأن يحذرهم من كل ما فيه معصية الله والرسول، وأن يكون عوناً لولاة الأمور في الخير، وعوناً لهم على ترك الشر، سواء كان السلطان نفسه، أو كان مع أمير البلد وأمير القرية وشيخ القبيلة ونحو ذلك، فإن السلطان يتنوع، فالسلطان الأعظم هو أمير المؤمنين ورئيس الدولة، ثم يجيء بعد ذلك الأمراء والرؤساء للمدن والقرى وشيوخ القبائل، كل واحد له سلطان، فالمساعدة على الخير والمعاونة على طاعة الله ورسوله والمساعدة على ترك ما نهى الله عنه ورسوله، سواء كانت ولايتهم كبيرة أو صغيرة، لما في هذا من اجتماع الكلمة والتعاون على البر والتقوى وتقليل الشر وتكثير الخير.

ولو كان كافراً يطاع في الخير ولا يطاع في الشر، لو بلي الناس بأمير كافر ولم يستطيعوا بالطرق الشرعية أن يعيِّنوا غيره؛ أطاعوه في الخير لا في الشر.

ويجوز الخروج عليه إذا كانت عندهم قدرة يترتب عليها زواله من دون ضرر أكبر، أما إذا كان يخشى من ضرر أكبر فلا، يصبرون حتى يأتي الله بالفرج.

وإذا أتى بالكفر الصريح ينصح ويبين له الحق ويحذر من الكفر

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٤) كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم (١٨٣٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

والشرك، ويبين له أن هذا يزيل ولايته ويجوز الخروج عليه لعله ينتهي، فإن هداه الله وسلم فالحمد لله، وإلا نظروا، إن كان عندهم قدرة يعزلونه ويعيِّنون غيره فعلوا، وإلا صبروا حتى يأتي الله بالفرج، فلا يتعرضوا لسفك الدماء بغير طائل، الفرقة أعظم، يصبرون على الجماعة ويجتهدون في الصدع، فاجتماعهم على الحق وفي سبيل الدعوة إلى الحق ـ ولو كان أميرهم يدعو إلى الكفر ـ خير لهم من أن يتصدعوا على الانتشار والذبح وسفك الدماء وضياع الحق بينهم، فقاعدة الشريعة تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلابد من مراعاة المصالح والنظر إلى المصالح والمفاسد، فإذا كان القيام عليه لا يكون إلا بفساد وقتل المسلمين وإضاعة الحق أكثر لم يجز الخروج، حتى يوجد ما يعين على إزالة الشر وتقليله وتكثير الخير ويكون بتنصيب أهل الحق، مثل ما قال النبي ﷺ: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»(١) فأباح لهم الخروج إباحة، وليس المعنى قوموا، وإنما معناه الإباحة، إباحة الخروج حتى يزيلوا الباطل، حسب المقام. أهـ.

❊ ❊ ❊

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف»(٢) وعند البخاري: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»(٣) وفي الصحيحين أيضاً: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقد تقدم.
(٢) رواه مسلم عنه.أهـ ألباني.
(٣) البخاري (٤/ ٣٨٥) عن أنس.أهـ ألباني.

ولا طاعة»[١] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم: دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا» قلت: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث في الصحيح له شأن عظيم، حديث حذيفة رضي الله عنه قد رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، وهو يبين أن المؤمن يسأل عن الخير والشر، حتى يتوقى الشر وحتى يأخذ بالخير، وكان حذيفة رضي الله عنه عني بسؤال رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه الشر، فلهذا قال له هذا الكلام: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، يعني على يدك،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه. أهـ ألباني.

قال شاكر: رواه مسلم ٢/ ٨٨ وهذا لفظه، وكان في المطبوعة تحريف ونقص، صححناه من صحيح مسلم، ورواه أيضاً البخاري وأبو داود وابن ماجه، كما في ذخائر المواريث: ١٧٣٨. أهـ

وهو ما دعا إليه من توحيد الله والإخلاص له واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه والنهي عما نهى عنه والسير على منهاجه الذي رسمه سبحانه لعباده على يد نبيه عليه الصلاة والسلام، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» ثم قال بعد ذلك: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» تعرف أشياء وتنكر أشياء، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ هذا الخير الذي فيه دخن هل بعده من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» يعني دعاة للنار، نسأل الله العافية، يدعون إلى معاصي الله وإلى الشرك بالله وإلى ترك أوامر الله، ويزينون للناس الباطل ويصدونهم عن الحق في الأساليب التي يستطيعونها، وبالأساليب الواضحة وبالأساليب المغلفة النفاقية، تارة وتارة، قال حذيفة: صفهم لنا؟ قال: «**نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» يعني عرب فصحاء يدعون إلى النار، وهذا هو الواقع منذ أزمان كثيرة، من خطباء ضالين وأصحاب صحف سيارة ومقالات رنانة، كلها في الباطل والشر والدعوة إلى النار، نعوذ بالله، ما بين مجلات فاسدة وصحافات فاسدة وإذاعات فاسدة وخطب منحرفة إلى غير ذلك، كلها دعوة إلى جهنم نعوذ بالله، ولكن لاتخلو الأرض من الخير«**لا تزال طائفة من الأمة على الحق منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله**»[1] فهذا موجود وهذا موجود، لكن غلبة الشر أكثر، كثرة

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٠) كتاب المناقب/ باب: و(٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون**» وهم أهل العلم، و(٧٤٥٩) كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

=

الشر ودعاة النار أكثر - نسأل الله العافية - في آخر الزمان، كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: فما ترى إذا أدركني ذلك؟ ماذا أفعل؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» يعني أي جماعة من المسلمين تلزمها وإمامٍ لهم، ولو قليلين، ولو عشرة ولو عشرين ولو ثلاثين ولو مائة ولو ألفاً، حسب ما تيسر، في أي مكان، أي جماعة للمسلمين تلزمها وتلزم أميرها، إمامها أميرها، قلت أو كثرت.

قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ ما وجد شيئاً، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها**» يعني الفرق التي تدعو إلى النار وتدعو إلى غضب الجبار، اعتزلها «**ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» يعني حتى يدركك الموت وأنت على هذا الصبر وهذا الاعتزال الذي فارقت به أهل الباطل وبقيت فيه على الحق، فأنت على الحق وأنت الجماعة ولو كنت وحدك، أنت على الحق وأنت الجماعة وأنت صاحب الحق وأنت صاحب السنة، ولو كان أهل الأرض كلهم على خلافك فهم على الباطل وأنت على الحق، ما دمت على كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبهذا يعلم عظم شأن هذا الحديث، وأنه حديث كبير عظيم الشأن، فيه دلالة على المخلص وطريق النجاة عند الفتن وعند انقسام الناس،

= ومسلم (١٥٦) كتاب الإيمان/ باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ وإكرام الله تعالى هذه الأمة زادها الله شرفاً وبيان الدليل على أن هذه الملة لا تنسخ وأنه لا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة، من حديث جابر رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢١٩٢) كتاب الفتن/ باب ما جاء في الشام عن معاوية بن قرة عن أبيه، و(٢٢٢٩) باب ما جاء في الأئمة المضلين، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وكثرة الفرق الضالة.

واقع اليوم يمثل ما قاله النبي ﷺ، أنصار العرب وأنصار المسلمين ومن كل مكان يمثل هذا، تجد دعوات صالحة وتجد دعوات مضللة، فالمؤمن يميز بين الصادقة فيلزمها أينما كان، في أوروبا، في أمريكا، في آسيا، في أفريقيا، في أي مكان، ولو عشرة ولو خمسة من بين ملايين، ويحذر من الدعوات الباطلة، أما آخر الزمان فسوف يأتي ما وعد من ذهاب الدين بالكلية، ولا يبقى من يقول لا إله إلا الله، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية»[(١)] وفي رواية: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[(٢)] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[(٣)] وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، وهو مخرج في الإرواء (٢٤٥٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهي من رواية الحارث الأشعري في حديث طويل، أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠) وغيره بسند صحيح، وليست من رواية ابن عباس كما أوهم الشارح، وهو بتمامه في صحيح الترغيب والترهيب (٥٥٣) وصحيح الجامع الصغير (١٧٢٠) وفيه الرد على من حاول إعلاله بما لا يقدح من الدكاترة المعاصرين، فليراجعه من شاء فإن فيه الشفاء.أهـ ألباني

(٣) مسلم، وعزاه السيوطي في «الجامع» و«الزيادة على الجامع الصغير» لأحمد أيضاً، ولم نره في مسنده.أهـ ألباني

قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»[1].

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟

لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من المواضع التي قُيّد فيها الكتاب بالسنة، فإن القرآن أطلق أولي الأمر ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] وجاءت السنة بالتقييد بأن الطاعة في المعروف، هذا من المواضع التي يمثل بها لتقييد آيات الكتاب بالسنة المطهرة الصحيحة. أهـ.

* * *

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

---

(١) مسلم وغيره، وهو مخرج في الصحيحة (٩٠٧).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن ما يقع من ولاة الأمور من الشر على الناس والأذى والتعب ونحو ذلك، إنما هو بأسباب ذنوب الرعية وتقصير الرعية في أمر الله، فلهذا قد يسلط عليهم ولاة الأمور بأسباب أعمالهم الرديئة، كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠] فأمر الرب عز وجل بالصبر عليهم وأمر الرسول بذلك، لما في الصبر عليهم وعدم الخروج من المصالح العظيمة وكف الفساد، أما الخروج فيترتب عليه من الفساد والانشقاق وسفك الدماء ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، وهذا تحت قاعدة معروفة وهي:

ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت كبراهما، وتحصيل أعلى المصلحتين ولو بفوات الدنيا منهما.

ثم فيما يحصل للعباد من الأذى والتعب نوع من التكفير للسيئات التي فعلوها، ونوع من حط الخطايا، كما يبتلون بالجدب وعدم القسط ويبتلون بالأمراض ويبتلون بغير هذا مما يكفر الله به الخطايا ويحط به السيئات، لكن هذا كله لا يمنع من النصيحة ومن المناصحة والتعاون مع ولاة الأمور على البر والتقوى والتخويف من عذاب الله ونحو ذلك مما قد ينفع الله به. أهـ.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ

يَكْسِبُونَ ﴾ فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار: أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من الآثار الإسرائيلية، فإن مالك بن دينار يروي عن بني إسرائيل، مالك بن دينار ووهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن عمرو وأمم كثيرة، يروون هذه الآثار التي فيها ترغيب وترهيب، لأن النبي ﷺ قال: **«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»**(٢) وفي بعضها **«فإن فيهم الأعاجيب»**(٣). أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة).

ش: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم

---

(١) هذا من الإسرائيليات، وقد رفعه بعض الضعفاء إلى النبي ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء، قال الهيثمي: «فيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك» أهـ ألباني

(٢) رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود، وقد تقدم، وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص (٣٠٠).

(٣) عبد بن حميد في المنتخب (١١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه، وعزاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٣٣ إلى الحافظ أبي يعلى وصححه الألباني في السلسلة ٦/ ١٠٢٨.

ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وثبت في السنن الحديث الذي صححه الترمذي، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؟ فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[١] وقال ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ

(١) صحيح كما قال الترمذي، انظر الإرواء (٢٤٥٥) والسنة لابن أبي عاصم (٢٧-٣٤).أهـ ألباني

يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[١].

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال؟ «ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة.

وما أحسن قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٣].

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً) .

قوله: (ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة).

ش: وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٢٠٣-٢٠٤) وفي تخريج السنة (٦٣-٦٩).أهـ ألباني

(٢) هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذي في «الإيمان» وهو ممكن باعتبار شواهده، كما تقدم بيان في التعليق عليه، وقد ذكرت لها شاهدا في «الصحيحة» تحت الحديث (٢٠٤) ص ١٧.أهـ ألباني

(٣) أورده البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» ١/ ٢٨٤ عند قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ وكذا ذكره ابن تيمية في مواضع متفرقة في الفتاوى ٣/ ١٢٦، ٤/ ١٣٧ وغيرها من كتبه، وابن القيم في هداية الحيارى والمدارج وغيرها، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ ولكن من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من كمال المحبة ومن كمال الإيمان، فإن من كمال الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فكما أنه يجب علينا أن نحب الله عز وجل محبة صادقة، ونحب رسوله محبة صادقة تقتضي اتباع ما جاءوا به والاستقامة على توحيده والإخلاص له وأداء فرائضه وترك محارمه، فهكذا نحب من أحبه الله وأحبه رسوله عليه الصلاة والسلام، نحبهم في الله ولله عز وجل، هذا من كمال الإيمان ومن كمال الحب في الله سبحانه وتعالى، وهكذا نبغض من أبغضه الله ونكره من كرهه الله، وهذا من كمال الإيمان.

أما المحبة مع الله فهي الشرك بالله عز وجل، المحبة مع الله معناها جعل المحبة منقسمة، بعضها لله وبعضها لغيره، كمحبة الأنداد والأصنام وما يعبد من دون الله عز وجل، كما فعل المشركون الأولون وغيرهم ممن سار على نهجهم، وهي المراد في قوله جل وعلا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] فالمحبة

مع الله تقتضي الإشراك به والتعلق بغيره وصرف بعض العبادة لغيره، فلهذا صارت شركاً بالله عز وجل، أما المحبة لله وبالله فهذه من كمال محبته ومن كمال الإيمان به سبحانه وتعالى.

إذا كانت الرواية معناها صحيح ودل عليها الشرع يجب الأخذ بها، لكن: ما يقال عن رسول الله ﷺ أنه قال كذا إلا بدليل، إلا بسند، لو قال واحد إن الرسول ﷺ قال: المحبة مع الله شرك بالله والمحبة في الله طاعة لله، نقول هذا ليس بصحيح عن النبي ﷺ، لكن معناها صحيح، لكن ما يقال عن النبي ﷺ إلا بدليل، إلا بشيء ثابت، لا يكذب على الرسول، قال الرسول ﷺ **«من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**(١) فرق بين كون الشيء في نفسه صحيحاً، وكون الشيء في نفسه ينسب إلى أنه قرآن أو إلى أنه من السنة، فكونه صحيحاً هذا أوسع، لكن لا يقال: قال الله كذا إلا بنص جاء في القرآن أو جاء في السنة عن الله عز وجل، ولا يقال قال الرسول كذا إلا بشيء ثابت عن الرسول أنه قال كذا، ولو أن معناه صحيح.

ومحبة أبي طالب للنبي ﷺ لا مع الله ولا لله، بل هي محبة قرابة ونسب، محبة طبيعية، مثل محبة الأكل والشرب ومحبته للحيوان ومحبته للحوم ومحبة ما يناسب هواك، الله جعل في قلبه تلك المحبة لقرابته وأخلاقه العظيمة ولمعرفة صدقه، كل هذه مجتمعة، الإيمان

---

(١) رواه البخاري (١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠) كتاب العلم/ باب إثم من كذب على النبي ﷺ، و(٦١٩٧) كتاب الأدب/ باب من سمى بأسماء الأنبياء، ومسلم (٢-٣-٤) المقدمة/ باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ من حديث الزبير وأنس وسلمة وأبي هريرة والمغيرة رضي الله عنهم، والترمذي (٢٢٥٧) كتاب الفتن/ باب:، و(٢٦٦٩) باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل من حديث ابن مسعود وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

بصدقه و محبته وقرابته له مجتمعة لكن ما هداه الله لاتباعه. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»(١) فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب. وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو بقية حديث أبي هريرة المعروف الذي أوله: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي

(١) أخرجه الشيخان عن أنس.أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو طرف من حديث تقدم بتمامه، وتكلمت عليه هناك.أهـ ألباني

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ..» إلخ كما تقدم، رواه البخاري. أهـ.

* * *

فبين أنه يتردد، لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: «وأنا أكره مساءته» وهو سبحانه قضى بالموت فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: معنى التردد شيء يليق به سبحانه وتعالى، مثل ما أخبر عن نفسه، شيء يليق بجلاله، هو الذي وصف نفسه، لكن هذا مقتضاه وموجبه، موجبه هذا الشيء، أن الموت لابد منه، والله يحب ما يحبه عبده المؤمن ويكره مساءة عبده المؤمن، ولكن الموت لابد منه، فلهذا قضى عليه الموت الذي لابد من ذلك، وأنه يفضي إلى ما هو أحب إلى الله من هذا وأحب إلى العبد من هذا أيضاً، يفضي إلى النعيم المقيم بجوار الرب الكريم في دار الكرامة، فهو يفضي إلى محاب عظيمة، فلهذا نفذ الأمر الآخر وإن كرهه الإنسان بعض الأحيان، مع أن العبد المؤمن قد يستقوي الموت في بعض الأحيان ويرغب حصوله، ليستريح مما هو فيه من تعب ونكد. أهـ.

* * *

قوله: (ونقول: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه).

ش: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله أنه «ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه» ومن تكلم

بغير علم فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ وقد قال ﷺ، لما سئل عن أطفال المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[(١)].

وقال عمر رضي الله عنه: «اتهموا الرأي في الدين، فلو رأيتني يوم أبي جندل، فلقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأي، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب يكتب، وقال: «اكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: اكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ، وكتب وأبيت، فقال: «يا عمر تراني قد رضيت وتأبى»؟[(٢)].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم.أهـ ألباني

(٢) الطبراني في الكبير (١/ ٥/ ١) وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ٤٦) ورجاله ثقات، غير أن فضالة بن مبارك مدلس كما في «التقريب» وقد عنعنه، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٩) «رواه أبو يعلى ورجاله موثوقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة» وقال في موضع آخر (٦/ ١٤٥ـ١٤٦) وقد ساقه بأطول من هذا، لكنه لم يذكره بتمامه: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» وطرفه الأول في الصحيحين من قول سهل بن حنيف.أهـ ألباني

قال شاكر: كتب مصححو المطبوعة عند قوله «فأجتهد ولا آلو»: «كذا بالأصل، ولعله: =

وقال أيضاً رضي الله عنه: «السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة»(١).

وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم»؟(٢).

وذكر الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن زيد، عن سعيد بن أبي صدقة، عن ابن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر رضي الله عنه، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السنة أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: «هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله،

= رأيتني ولو أستطيع أن أرد، إلخ». وهذا انتقال نظر، فإن الذي قال «ولو أستطيع» هو سهل بن حنيف، وحديثه في البخاري ١٣/ ٢٤٤ـ٢٤٥ ومسلم ٢/ ٦٦ فإنه قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته» وباقي الحديث سياق غير المروي هنا عن عمر.

وقال الحافظ في الفتح: «وقد جاء عن عمر نحو قول سهل، ولفظه: اتقوا الرأي في دينكم. أخرجه البيهقي في المدخل، هكذا مختصراً. وأخرجه هو والطبري والطبراني مطولا بلفظ». فذكر نحو ما هنا عن عمر.

وقد رواه ابن حزم في الأحكام بتصحيحنا ٦/ ٤٦ بإسناده إلى مبارك بن فضالة، عن عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر أنه قال: «يا أيها الناس، اتهموا آراءكم على الدين، فلقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأيي، أجتهد والله ولا آلو» إلى آخره، بنحو ما هنا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٩ بنحوه وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله موثوقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة».

أقول: ومبارك بن فضالة: ثقة، كما حققنا ذلك في شرح المسند، في الحديثين ١٤٢٦ـ٥٩٨٩. أهـ.

(١) ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ٥٧ فيما روي عن صدّيق الأمة وأعلمها من إنكار الرأي، وانظر كنز العمال (٢٩٤٧٨) ١٠/ ٢٩٢.

(٢) ابن كثير في تفسيره، وعزاه لأبي عبيد القاسم بن سلام، سورة عبس ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾.

وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله»[١] .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا منقطع، لكن معناه صحيح، فإن محمد بن سيرين لم يدرك عمر. أهـ.

* * *

قوله: (ونرى المسح على الخفين، في السفر والحضر، كما جاء في الأثر).

ش: تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم: الذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه توضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرهم، ونقلوه إلى من بعدهم -: أكثر عدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، فإن جميع المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، ونقلوا عنه ذكر غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه من غير وجه، في كتب الصحيح وغيرها، أنه قال: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار»[٢] .

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم، كان غسل الجميع كلفة لا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٧٧ ذكر الصلاة التي أمر بها رسول الله ﷺ أبا بكر عند وفاته، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٣٢٧، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (٨٨٦) ص ٣١٢

(٢) متفق عليه، دون قوله «وبطون الأقدام» وهو عند أحمد (٤/ ١٩١) بسند صحيح، من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي. أهـ ألباني

تدعو إليها الطباع، كما تدعو الطباع إلى طلب الرياسة والمال، فلو جاز الطعن في تواتر صفة الوضوء، لكان في نقل لفظ آية الوضوء أقرب إلى الجواز، وإذا قالوا: لفظ الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن فيه الكذب ولا الخطأ، فثبوت التواتر في نقل الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح كما يطلق ويراد به الإصابة - كذلك يطلق ويراد به الإسالة، كما تقول العرب: تمسحت للصلاة، وفي الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذي هو قسيم الغسل، بل المسح الذي الغسل قسم منه، فإنه قال: ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ ولم يقل: إلى الكعاب، كما قال: ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ فدل على أنه ليس في كل رجل كعب واحد، كما في كل يد مرفق واحد، بل في كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يسمح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، وجعل الكعبين في الآية غاية يرد قولهم، فدعواهم أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين، اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك - مردود بالكتاب والسنة.

وفي الآية قراءتان مشهورتان: النصب والخفض، وتوجيه إعرابهما مبسوط في موضعه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] عطف على الرؤوس ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ عطف على الوجوه، وهو قراءة مشهورة، لأن المقصود الغسل، بدليل فعل النبي ﷺ أنه كان يغسلهما، ومن قرأ بالجر (وأرجلِكم) فليس المراد

بالمسح الذي هو مثل مسح الرأس، وإن اشتركا في اسم المسح، لكن مسح الرجلين فسره النبي ﷺ بأنه الغسل، والرسول هو المفسر لكتاب الله والمبين لمعنى كتاب الله، فمسح الرأس وغسل الرجل، فدل على أن الرجل تغسل غسلاً يسمى مسحاً، وهو الغسل الذي ليس فيه كثرة الماء.

والرافضة أحقر وأقل من أن يتكلموا، فإن الرافضة لهم من الأغلاط والمخالفة للكتاب والسنة ما لا يحصى، وليس هذا أول غلط، فأغلاطهم لا تحصى وشرهم لا يحصى، وسنة الرسول ﷺ تفسر الكتاب وتبين أن الرِّجل تغسل إذا كانت مكشوفة وتمسح إذا كانت مستورة في الخفين وما في معناهما، فتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً، تواترت عن رسول الله ﷺ بالمسح من قوله وفعله عليه الصلاة والسلام، فلا كلام للرافضة ولا لغير الرافضة، فلهذا أدخلها السلف في العقائد رداً على الرافضة. أهـ.

* * *

وقراءة النصب نص في وجوب الغسل، لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً، كقوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وليس معنى: مسحت برأسي ورجلي - هو معنى: مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح، وهو إلصاق شيء من الماء بالرأس، فتعين العطف على قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب العطف على وجوهكم ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة:٦] أيدي: معطوف

على الوجوه، وهكذا الأرجل معطوفة على الوجوه، كلاهما معطوفان على الوجوه لأنهما هما المباشران بالفعل، ثم الأيدي معطوفة عليهما. أهـ.

* * *

فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن، فإن الرسول بين للناس لفظ القرآن ومعناه، كما قال أبوعبدالرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا معناها(١).

وفي ذكر المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً، والمسألة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

قوله: (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لايبطلهما شيء ولاينقضهما).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضى من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه!! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً، اشتراطاً، من غير دليل! بل في صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» قال: قلت: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٨٠ وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته»(١) وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة، ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا القول الذي قاله الرافضة قول فاسد لا أساس له، فليس هناك معصوم بعد الرسول ﷺ، فإن الله عصمه فيما يبلغه عن الله عز وجل، أما من بعده فكل واحد غير معصوم، قد تقع منه الذنوب، قد تقع منه السيئات، حتى أبوبكر الذي هو أشرف الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ، فما هنا أحد معصوم «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(٢).

ولكن قول الرافضة قول خرق الإجماع وخالف النصوص، وقولهم إن أئمتهم معصومون وأنهم يعلمون الغيب، هذا من أفسد الأقوال وأبطلها وأضلها عن سواء السبيل، نسأل الله العافية.

لكن الرسل فيما لا يبلغون عن الله ليسوا بمعصومين، قد يقع منهم بعض الشيء، قول الجمهور أنه قد تقع منهم الصغائر.

والحديث«**ولا ينزعن يداً من طاعة**»وقوله«**من طاعته**»قد يكون رواه بالمعنى. أهـ.

* * *

والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا!! فإنهم

---

(١) صحيح، وقد تقدم.أهـ ألباني

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، من حديث أنس، قال الحافظ في بلوغ المرام: وسنده قوي وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ١٤٢٠.

يدعون أنه الإمام المنتظر، محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السرداب في زعمهم، سنة ستين ومائتين، أو قريباً من ذلك بسامرا! وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء!!

وقوله: «مع أولي الأمر برهم وفاجرهم» لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن الجهاد مع البر والفاجر تقام به أعلام الدين ويرفع به شأن الإسلام، وفجوره على نفسه، مادام أقام الحج والجهاد ففجوره على نفسه، وإن كان الأتقى والمؤمن خيراً للمسلمين وأنفع؛ لكن ليس في كل وقت يتوفر هذا، فإقامة الجهاد مع كل بر وفاجر فيه مصالح المسلمين العامة، وسياسة دينهم ودنياهم، وتنفيذ أوامر الله وإقامة حدوده. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم، والله أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون»(١) وفي الحديث الآخر: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم، وأكرموهم»(٢) جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلاً، حافظان وكاتبان، وقال عكرمة عن ابن عباس: يحفظونه من أمر الله، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا نعلم في عدد الحفظة شيئاً محفوظاً، الحفظة المعروف أنها تكتب حسناتهم وسيئاتهم، أما تعدادهم فالله أعلم، ما ثبت شيء، ملكان، واحد من أمامه وواحد من خلفه، والحفظة الكاتبون لهم شأنهم، والمعقبات لهم شأنهم، والذين يتعاقبون لهم شأن آخر، والكاتبون لهم شأن آخر، فهم أقسام، فالعبد غير مهمل. أهـ.

* * *

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، وهو مخرج في الظلال (٤٩١).أهـ ألباني

(٢) ضعيف «الضعيفة» (٢٢٤١).أهـ ألباني

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»(١).

الرواية بفتح الميم من «فأسلم» ومن رواه «فأسلمُ» برفع الميم - فقد حرف لفظه، ومعنى «فأسلم» أي: فاستسلم وانقاد لي، في أصح القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرني إلا بخير» ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً - فقد حرف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً(٢).

---

(١) عبد الله هو ابن مسعود، وأخرجه الدارمي عنه أيضاً في «الرقاق» وقال: من الناس من يقول «أسلم»: استسلم، يقول: ذل. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه مسلم ٢/ ٣٤٦ (١٧: ١٥٧ من شرح النووي) ورواه أحمد في المسند ٣٦٤٨-٣٧٧٩-٣٨٠٢-٤٣٩٢ بألفاظ متقاربة، واللفظ الذي هنا يوافق رواية المسند ٣٨٠٢ وكان في المطبوعة هنا «ولكن أعانني الله عليه» فصححناه من لفظ المسند. أهـ

(٢) قال شاكر: والخلاف في ضبط الميم من «فأسلم» خلاف قديم، والراجح فيها الفتح، كما قال الشارح، ولكن المعنى الذي رجحه غير راجح، فقال القاضي عياض في «مشارق الأنوار» (٢/ ٢١٨): «رويناه بالضم والفتح، فمن ضم رد ذلك إلى النبي ﷺ، أي فأنا أسلم منه، ومن فتح رده إلى القرين، أي: أسلم، من الإسلام، وقد روي في غير هذه الأمهات: فاستسلم».

يريد بالأمهات: الموطأ والصحيحين التي بنى عليها كتابه، وإن كان هذا الحديث لم يروه مالك ولا البخاري.

وقال النووي في شرح مسلم: «هما روايتان مشهورتان، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، رجح القاضي عياض الفتح».

وأما الحافظ ابن حبان، فإنه روى الحديث في صحيحه (٢/ ٢٨٣) من المخطوطة المصورة، وجزم برواية فتح الميم، وقال: «في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى ﷺ أسلم حتى لم يكن يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه وإن كان كافراً».

وهذا هو الصحيح الذي ترجحه الدلائل، وادعاء الشارح أن هذا تحريف للمعنى «فإن الشيطان لا يكون مؤمنا» انتقال نظر.

فأولاً: أن اللفظ في الحديث «قرينه من الجن» ولم يقل «شيطانه». =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهر الإطلاق أنه دخل في الإسلام، لأن الشياطين هم مردة الجن، كفارهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الجن:١١] فالشيطان هو رأسهم الأول، فالكفار من الجن هم الشياطين، ومن لم يكفر بالله فهو من المؤمنين، وهكذا ابن آدم منهم من تمرد ومنهم من كفر، ومن لم يتمرد فهو مؤمن، فالجن فيهم المؤمن والكافر والإنس فيهم المؤمن والكافر، ولعل أكثر الجن شياطين مثل ما أن أكثر الإنس شياطين ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف:١٠٣].

فالأقرب ـ والله أعلم ـ مثل ما قال «فأسلمَ» ولا حاجة إلى تأويلها فاستسلم، فالرواية المعروفة «فأسلمَ» يعني دخل في الإسلام.

شياطين الجن فيهم طبقات الناس، فيهم الكافر وفيهم اليهودي وفيهم النصراني وفيهم الجهمي وفيهم المعتزلي وفيهم الأشعري وفيهم الرافضي، مثل الإنس ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الجن:١١] طرائق وأقسام ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن:١٤-١٥] والإنس كذلك.

سؤال/ البدع التي تكون في الجن هل يتلقونها من الإنس أو عندهم مبتدعة يتلقى بعضهم عن بعض؟

أجاب سماحة الشيخ: الذي يظهر والله أعلم أن منهم من يتلقاها عن

= وثانياً: أن الجن فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يسم شيطاناً. أهـ

الإنس ومن من يتلقاها عن الجن، لأنهم لهم اتصال بالإنس ولهم معرفة بأحوال الإنس، يعلمون بالمجالس ويقرأون ويكتبون، فلا مانع أن يأخذوا عن الإنس بعض الخير والشر وعن بعضهم، مثل الإنس. أهـ.

* * *

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: حفظهم له من أمر الله، أي الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ: «يحفظونه بأمر الله».

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ويشهد لذلك قوله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا»[1] وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي»[2] خرجاهما في الصحيحين واللفظ لمسلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يوجب للمؤمن العناية التامة بأعماله وأقواله، مادام محفوظاً تكتب عليه سيئاته وحسناته، فما أجدره أن يكون حريصاً على إملاء الحسنات حذراً من إملاء السيئات، وهو كتاب عظيم سوف يعطاه يوم القيامة ويقال ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٤] فما أولى المؤمن

(١) متفق عليه من أبي هريرة رضي الله عنه. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من أبي هريرة رضي الله عنه. أهـ ألباني

وما أحقه بأن يحذر هذه الكتابة، وأن يستحي من الله ومن ملائكته أن يملي عليهم ما يغضبه سبحانه ويخالف أمره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين).

ش: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ولا تعارض هذه الآية قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا قول، القول الثاني أن له أعواناً، وأن أعوانه قد يتولون القبض بأمره وتوجيهه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ظاهر بأن التوفي قد يتوفاه جماعة، قد يتولاه جماعة، ويحتمل ما قاله الشارح أنه يقبضها ثم يتولون بقية الأمر، يحتمل الأمر القول الثاني، وهو أنه ينوب عنه أعوان، ويصدق عليه أنه هو الملك الموكل، ويصدق على الملائكة أنهم توفوا فلاناً وفلاناً وفلاناً ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال:٥٠] فجعل التوفي لجماعة، فهذا يدل على أنه له أعوان ونواب يتصرفون بتوجيهه، فلا منافاة بين كون الوفاة تسند إليه

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة:١١] وبين أن تسند إلى جماعة من الملائكة. أهـ.

* * *

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن؟ أو عرض من أعراضه؟ أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمارة، وهل اللوامة، والمطمئنة - نفس واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟

وهذه المسألة تحتمل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً، إن شاء الله تعالى:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد ألف ابن القيم رحمه الله كتاباً في هذا فصّل فيه سماه: كتاب الروح، كتاب عظيم كثير الفائدة، فالروح قال الله جل وعلا فيها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥] الله سبحانه الذي أخبر أنها من أمره وأن شأنها عظيم، وأنه لم يجعل ذلك إلى أحد من الناس، بل هي شيء مستقل يدخل ويخرج، الله الذي يعلم كيفيتها سبحانه وتعالى وحقيقة أمرها، فهو الخلاق لها وهو العالم بشأنها وهو المدبر لها سبحانه وتعالى، وهي مستقلة غير البدن، وهي لا تموت كما يأتي بل هي مستقلة، بل بعد المفارقة إما إلى عذاب وإما إلى نعيم، بعدما تفارق البدن إما إلى نعيم وإما إلى عذاب. أهـ.

* * *

فقيل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وبقوله: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك في هذا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

والمضاف إلى الله قسمان:

قسم يضاف إليه لأنه صفة له، كعلمه وكلامه ورضاه وغضبه.

وقسم يضاف إليه لأنه خالقه ومدبره ومنشؤه.

ثم هذا الذي يضاف إليه على أنه خالقه قسمان:

أحدهما: أن يضاف إليه إضافة خلق وإيجاد، كما يقال: أرض الله، وسماء الله.

والثاني: يضاف إليه إضافة تشريف وتكريم مع كونه مخلوقاً، كناقة الله وبيت الله ورسول الله، ومن هذا الباب الروح، روح الله ﴿مِن رُّوحِي﴾

[الحجر:٢٩] فعيسى روح الله من باب إضافة مخلوق إلى خالقه إضافة تشريف وتكريم. أهـ.

* * *

ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته - داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليس هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٩] يعني يعم روحه وجسده ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١] لا روحاً ولا جسداً ثم خلق الله سبحانه وتعالى الجسد. أهـ.

* * *

والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث، وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ فينبغي أن يعلم أن

المضاف إلى الله نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف عن غيره.

واختلف في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟

وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

واختلف في الروح: ما هي؟

قيل: هي جسم، وقيل: عرض، وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان، على جهة الإعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مثل ما تقدم لنا، أنها شيء مستقل، ذات مستقلة كما قال أهل العلم، أهل السنة والجماعة، تدخل وتخرج وتتصرف ولها شأنها بأمر ربها سبحانه وتعالى، لكن كيفيتها، الله الذي يعلمها سبحانه وتعالى.

والطبائع الأربع معروفة: الغالبية والسماوية والصفراوية، ووصفها بالجسم، يعني لطيف جداً، لأنها تدخل وتخرج، فهذا تسامح في العبارة، والغالب في اللغة أن الأجسام التي لها جسد ولها ثخانة في الغالب، فقد يتسامحون في العبارة.

والصواب أن النفس والروح شيء واحد، والنفس توصف بالطمأنينة واللوامة، تارة تكون لوامة، تارة تكون مطمئنة، تارة تكون أمارة بالسوء، هذه أوصافها. أهـ.

* * *

وللناس في مسمى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: هل هو اللفظ، أو المعنى فقط، أوهما، أو كل منهما؟ فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينه، وكذا الكلام.

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار، من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية، ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ الآية، ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضى، وقال ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا في قصة أبي سلمة، رواه مسلم «**إن الروح إذا قبض**» والغالب فيها التذكير، قد تؤنث، ولكن الغالب فيها التذكير كالنفس. أهـ.

❊ ❊ ❊

ففيه وصفه بالقبض، وأن البصر يراه، وقال ﷺ في حديث بلال: «قبض أرواحكم وردها عليكم»(٢) وقال ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق

---

(١) مسلم عن أم سلمة «أحكام الجنائز» (٢٥).أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري من حديث أبي قتادة، وليس من حديث بلال كما هو ظاهر كلام المؤلف، وكذلك أخرجه أحمد وغيره «صحيح أبي داود» (٤٦٥).أهـ ألباني

في شجر الجنة»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا رواه الإمام أحمد بإسناد جيد من حديث كعب بن مالك الأنصاري، وهو حديث إسناده جيد، لأنه من طريق الأئمة، الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه كعب. أهـ.

* * *

وسيأتي في الكلام على عذاب القبر أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها ـ من المؤمن ـ كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك، من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة، والشبه الفاسدة، التي لا يعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية.

وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسما هما واحد؟

فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، ويطلق على الدم، ففي الحديث: ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه[(٢)].

---

(١) «الصحيحة» (٩٩٥).أهـ ألباني

(٢) لا أعرف له أصلاً، وإنما هو من كلام الفقهاء.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مشهور، يقول الشاعر:

تسيل على حد السيوف نفوسنا ونشا على غير السيوف تسيل

نفوسنا: يعني دماؤنا، فالمقصود أن النفس تطلق على عين الشيء، نفس الشيء يعني عينه، أما ما يتعلق بالروح والنفس فهما شيء واحد فيما يتعلق بالبدن، فإنه تطلق النفس على الروح والروح على النفس، خلق الإنسان في نفسه، والنفس مؤنثة والروح في الغالب الأذكار، وتطلق النفس على نفس الدم وعلى عين الشيء وعلى أشياء أخرى، وهكذا الروح تطلق على نفس النفس التي هي روح الإنسان، وتطلق على أشياء أخرى، مثل تسمية الملك جبرائيل الروح، ومثل تسمية القرآن روحاً والوحي روحاً لما يحصل به من الحياة، كل شيء يحصل به الحياة يسمى روحاً. أهـ.

❊ ❊ ❊

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي عين، والنفس: الذات ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم أنه مشترك هنا بمعنى القوة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما الروح فلا يطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن، وعلى جبرائيل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً،

وأما ما يؤيد الله به أولياءه، فهي روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «إيمان» هنا بمعنى القوة، الشيء الذي يحصل بعد الثبات من قوة القلب وقوة الغيرة وقوة البصيرة، إلى غير ذلك. أهـ.

* * *

وكذلك القوى التي في البدن، فإنها أيضاً تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: عند أهل اللغة، الروح الباصرة والروح الشامة، يعني قوة هذه الأشياء، وصف لهذه الأشياء، يعني القوة الباصرة والقوة السامعة والقوة المتحركة وقوة الغيرة لله والقوة الثابتة والقوة التي بها إدراك الحقائق على ما هي عليه، كنوع من الحياة الخاصة ونوع من البصر الخاص، توسع اللغة في هذه الأشياء، العرب لهم توسع كبير في كلمات كثيرة. أهـ.

* * *

وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو: قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح، كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح، والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الروح: فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من

يفقدها أو أكثرها فيصير أرضياً بهيمياً.

وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»(١) مع قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(٢) الحديث.

واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم

(١) «الصحيحة» (٥٥٠). أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، وقد مضى الحديث. أهـ ألباني

وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، أن النفوس التي هي الأرواح لا تموت بمعنى العدم والفناء، ولكنها تموت بمفارقة الأجساد ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥] كل نفس تفارق جسدها وتنتقل إما إلى نعيم وإما إلى عذاب، موت النفوس كونها تفارق هذه الأجسام التي خلقت فيها وتنتقل عنها إلى غيرها، فإذا مات الإنسان فقد ذاقت نفسه الموت، وذلك لكونها فارقته وانتقلت عنه إلى شيء آخر وإلى محل آخر، إلى نعيم أو عذاب أو إلى ما بين هذا، تارة نعيماً وتارة عذاباً، وأما الجسد فقد خرب بمفارقتها إياه، ثم هي بعد ذلك مستمرة في حالها، إما في نعيم وإما في عذاب، حتى ترد إلى أجسادها يوم القيامة، يوم القيامة ترد إلى أجسادها فتنعم معها أو تعذب معها، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فالمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند

النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وكذلك صعق موسى عليه السلام لم يكن موتاً، والذي يدل عليه أن نفخة الصعق - والله أعلم - موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

قوله: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

ش: قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: عذاب القبر ونعيم القبر أمر قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة، استقر إجماع أهل السنة على أن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ من وجوه كثيرة وعن جماعة من الصحابه كثيرين، كلها تدل على أن القبر صاحبه إما معذب وإما منعم، وأن عذاب القبر شيء معجل لأهله، ونعيم القبر شيء معجل لأهله، ومما دل عليه من كتاب الله قوله جل وعلا: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦] هذا هو عذاب القبر ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] هذا يوم القيامة، نسأل الله السلامة، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور:٤٧] يعني قبل يوم القيامة، هو ما يحصل لهم في الدنيا من أنواع العذاب من الغم والهم والقلق، وما يقع في صدورهم من الضيق والحرج والحيرة والشك، وما يكون لهم في القبور من العذاب المعجل قبل يوم القيامة، نسأل الله السلامة. أهـ.

❊ ❊ ❊

سؤال/ استدل على عذاب القبر بالآيتين السابقتين، فما الدليل على النعيم؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا من باب أولى، وبعضهم يستدل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ ﴾ [المطففين:٢٢] فالنعيم يعم نعيم الدنيا ونعيم القبر ونعيم الآخرة، يعم الثلاثة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير ،

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «**كأن على رؤوسنا الطير**» لأنهم في غاية من الخشوع والخضوع ليستمعوا لكلامه عليه الصلاة والسلام، يعني أنهم منصتون خاشعون خاتلون لا حركات ولا أصوات، كالذي على رأسه الطير يخشى أن يطير الطير، لأنه إذا تحرك طار، فهم خاشعون خاضعون يستمعون لما يقول عليه الصلاة والسلام، متشوقون لسماع الفائدة، ليس عندهم أصوات تشغل ولا حركات، ولهذا قال: كأن على رؤوسنا الطير. أهـ.

* * *

وهو يلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحنوط هو الطيب، تكون في كفن يكون فيه الطيب الذي لا يعلم مدى حسنه وطيبه إلا الذي خلقه سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما

هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الإعادة إعادة مؤقتة، إعادة الروح ـ روح المؤمن ـ إلى الأرض هذه إعادة مؤقتة للسؤال، ثم ترفع هذه الروح إلى الجنة، فإن أرواح المؤمنين في الجنة تسرح في الجنة حيث شاءت، في أشباه طير تسرح في الجنة وتعلق في أشجار الجنة وثمارها حتى يعيدها الله إلى جسدها عند البعث والنشور، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من حديث كعب بن مالك الأنصاري، وأما أرواح الشهداء فإنها تكون في حواصل طير خضر يكون لها أجساد، يخلق الله لها أجساداً من طير خضر تحمل هذه الأرواح، تسرح بها في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، هذا شأنها حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة. أهـ.

* * *

فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من

روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود أنها أشياء تشبه الكفن، لكنها أشياء خبيثة، إما من أشياء فيها نار وفيها أذى يؤذيه، لأنها ضد ما يقابل به المؤمن، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

﴿ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة»(١) رواه الإمام أحمد وأبوداود، وروى النسائي وابن ماجة أوله ورواه الحاكم وأبوعوانة الإسفرائيني في صحيحيهما، وابن حبان.

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رحمه الله

عن سعيد عن قتادة عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من

---

(١) صحيح، انظر أحكام الجنائز (١٥٦-١٥٩). أهـ ألباني

قال شاكر: رواه أحمد في المسند (ج٤ ص٢٨٧-٢٨٨-٢٩٥-٢٩٦ طبعة الحلبي) مطولاً، ونقله ابن كثير في التفسير ٣/ ٤٧٤-٤٧٥ عن المسند، ورواه أبو داود: ٤٧٥٣-٤٧٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٧-٣٩، بأسانيد كلها من رواية الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا جميعاً بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي». ووافقه الذهبي، وقد أطال الإمام ابن القيم القول في تصحيحه، والرد على من أعله في تهذيب السنن ٤٥٨٦ (ج٧ ص١٣٩-١٤٦). أهـ

النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً[١] قال قتادة: وروي لنا أنه يفسح له في قبره، وذكر الحديث.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه إحدى الروايات، والمعروف رواية «لا يستتر من البول»[٣] وفي رواية«لا يستنزه من البول»[٤]. أهـ.

* * *

وفي صحيح أبي حاتم عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر أحدكم، أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، وللآخر: النكير»[٥] وذكر الحديث إلخ. .

---

(١) «الصحيحة» (١٣٤٤).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه «صحيح أبي داود» (١٥).أهـ ألباني

(٣) رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء/ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، و(٢١٨) باب: و(١٣٦١) كتاب الجنائز/ باب الجريدة على القبر، و(١٣٧٨) باب عذاب القبر من الغيبة والبول، و(٦٠٥٢) كتاب الأدب/ باب الغيبة، و(٦٠٥٥) باب النميمة من الكبائر، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داود (١٩) كتاب الطهارة/ باب الاستبراء من البول، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في سنن أبي داود ١/ ٦.

(٥) حسن، أخرجه الترمذي أيضاً (١/ ١١٩) وقال: «حديث حسن غريب» قلت: وإسناده حسن، وفيه رد على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين بـ«المنكر والنكير» وهو مخرج في الصحيحة (١٣٩١).أهـ ألباني

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها البدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو كما قال الشارح، فإن هذا التعلق كله صحيح، فإن الروح لها في الجسد خمسة أنواع من التعلق:

التعلق الأول: تعلقها به حين وجوده في بطن أمه، حركته في بطن أمه، فإن فيه روحاً بها صارت حركته في بطن أمه.

والتعلق الثاني: بعد الانفصال بعد الولادة، وهذا التعلق يقوى ويشتد مع الولد ببدنه وقوته.

والتعلق الثالث: تعلقها في النوم حين المنام، فإن لها تعلقاً به، فهو ليس بميت، وإن كان النوم أخو الموت لكنه موت أخص، فلها تعلق به وبه بقيت حياته حتى تعود إليه.

والتعلق الرابع: تعلقها في البرزخ بعد الموت، فإنها تعاد إليه عودة خاصة حتى يسأل عن ربه وعن دينه، ويسمع قرع نعالهم إذا ولوا، ويحس بالنعيم والعذاب، فهذا تعلق، الجسد له نصيبه والروح لها نصيبها، وفي الحديث: «**ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام**»(١) هذا له تعلق، وجاء هذا المعنى في بعض الروايات «**ما من عبد يزور أخا له كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام**»(٢) وإن كان فيه ضعف لكن المقصود أن له تعلقاً.

والخامس: التعلق الأخير التعلق الأكمل، وهو تعلقها به في الجنة أو النار بعد البعث والنشور، وهذا أكمل التعلقات، إذ هو تعلق ليس بعده

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥ باب زيارة قبر النبي ﷺ، وفي شعب الإيمان كذلك ٢/ ٢١٥ (١٥٨١) و٣/ ٤٩٠ (٤١٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٧٩).

(٢) أورده الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» ٨٢/ ٢٧٨ وقال :خرجه ابن عبد البر، وقال عبد الحق الإشبيلي: إسناده صحيح، يشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك، إلا أنه غريب منكر.أهـ

وأورده أيضاً من طريق أخرى (٢٨٠) وقال: عبد الرحمن بن زيد فيه ضعف وقد خولف في إسناده، وكذا (٢٨١-٢٨٢).

انفصال وليس بعده الموت، بل هو تعلق مستمر أبد الآباد إما في الجنة وإما في النار، وهذا أكمل التعلقات وأتمها. أهـ.

* * *

وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك - فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن أصل كل شر في الوجود من بدعة ومعصية وغير ذلك، أصلها سوء الفهم عن الله وسوء البصيرة وقلة العلم، وإذا انضم إلى هذا اتباع الهوى - يعني

سوء القصد ـ تضاعف الشر وعظم الشر ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم:٢٣] هذا داء الكفار، اتباع الظن وقلة العلم وقلة البصيرة وسوء الفهم ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ هذا سوء القصد، فبناء كل شر وفساد في الدنيا والآخرة على هذين الأمرين، على قلة العلم وسوء الفهم، وعلى سوء القصد وعدم الإخلاص، القصد لله وحده سبحانه وتعالى، فإذا اجتمع للإنسان قلة علم مع اتباع الهوى تم فساده ـ نسأل الله العافية ـ وتمت الخسارة، وإذا رزق الله العبد المعرفة التامة بما قاله الله ورسوله، والفهم الصحيح بما قاله الله ورسوله، مع حسن القصد ومع الرغبة في الخير والبعد عن الهوى؛ كان ذلك أقرب إلى السلامة وأقرب إلى حسن العاقبة. أهـ.

* * *

فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يتبين أن الروح والجسد مصطحبين، لكن تعلق الروح بالبدن في الدنيا أعظم من تعلقها

بالبدن في البرزخ، والنعيم والعذاب والأحكام في الدنيا أكثر تعلقاً بالبدن، وفي البرزخ أكثر تعلقاً بالروح، فهي تعذب وتنعم أكثر، والبدن له نصيبه، وأما في الآخرة فيتعلق الأمر بهما جميعاً، النعيم والعذاب يتعلق بهما جميعاً تعلقاً كاملاً، فإن الروح تجتمع بالبدن ولا تفارقه أبداً لا نوم ولا موت، فالروح مصاحبة للبدن في الآخرة مصاحبة كاملة، لأنه ليس هناك نوم وليس هناك سكر وليس هناك موت، فتعلق الروح بالبدن في الآخرة تعلق كامل تام، أما في الدنيا فيعتريه النوم ويعتريه السكر ويعتريه أشياء أخرى، ثم الموت بعد ذلك، وفي البرزخ تنفصل الروح وتكون للعذاب والنعيم أكثر، ويكون نصيب الجسد أقل، وفي الآخرة يكون النعيم والعذاب لهما جميعاً كاملاً تاماً، واتصال الروح بالجسد تام يوم القيامة، وفي الآخرة في الجنة وفي النار، فليس هناك موت ولا نوم ولا غير ذلك مما يفصل الروح عن الجسد، بل اتصالها به اتصال تام يوم القيامة وفي الجنة أو في النار، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: له شاهد في الدنيا، له شاهد في الحياة، الإنسان قد ينعم في قبره ويعذب ومن حوله لا يشعر بشيء، وقد يكون الميت بين الناس في نعيم أو في عذاب لم يدفن ولا يشعر به الناس، وهكذا في الحياة الدنيا، الإنسان في نومه، قد يعذب في

النوم وينعم في النوم ومن حوله لا يشعر به، وهو في عذاب في نومه، فيه أشياء كثيرة مؤذية في نومه، فإذا استيقظ من نومه وجد راحة عظيمة من ذلك العذاب في النوم، مما يعرض عليه ومما يؤذى به في النوم، وقد يكون في نعيم في النوم، في راحة وسرور وأحلام طيبة إلى غير هذا، ومن حوله لا يشعر به، فكيف بحال الآخرة؟

فإن البرزخ أمره لا يقارن ما في الدنيا ولا يداني ما في الدنيا، وليس بشرط عذابه أو نعيمه في البرزخ أن يعلمه جيرانه أو الناس، لا، هذا شيء خاص، الله جل وعلا يرسله إلى الروح ويرسله إلى الجسد، وإن كان أهل الدنيا لا يشعرون بذلك، ولا من حوله من الأحياء ولا من حوله من الأموات. أهـ.

* * *

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»(١).

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي سعيد وعن أنس، لكن دون قوله «ما أسمع». أهـ ألباني

قال شاكر: صحيح مسلم ٢/ ٣٥٨ ولكن ليس في آخره كلمة «ما أسمع» فلعل الشارح رآها في رواية أخرى، فإن البخاري لم يرو هذا الحديث. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من رحمة الله أنه لم يسمعنا عذاب المعذبين، ولو أسمع الناس عذاب المعذبين في قبورهم لما تهنئوا بنوم ولا بعيش، ولتكدرت عليهم هذه الدنيا إذا سمعوا عذاب المعذبين من آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وقراباتهم وغيرهم، ولكن من رحمة الله أن الله أخفى علينا ذلك، وهذا من إحسانه سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأجل الروايات المعروفة «**فيسمعه كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق**»[(١)] فيدل على أنهم يسمعون، ما استثنى إلا الإنسان، وفي رواية «**إلا الثقلين**»[(٢)].

ويذكر أن أبا العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سأله بعض الناس، قالوا: بعض الخيل يصيبها مرض في بطونها، فنذهب بها إلى قبور معروفة فيصيبها إسهال وتلقي ما في بطونها، ويظنون أن هذا من بركة هذه القبور! .

قال: لا، هذه القبور قبور من قبور النصارى وكذا وكذا معذبون، فإذا

(١) رواه البخاري (١٣١٤) كتاب الجنائز/ باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، و(١٣١٦) باب قول الميت وهو على الجنازة قدموني، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨) كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال، و(١٣٧٤) باب ما جاء في عذاب القبر، وأبو داود (٤٥٨٤) كتاب السنة/ باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، من حديث أنس رضي الله عنه.

ذهبتم بها إليهم وسمعت تلك الأهوال في القبور أصابها ما أصابها من إسهالها وإخراج ما في بطونها من الروعة والخوف مما تسمع، فلهذا يصيبها ما يصيبها من إخراج ما في بطونها، لا لأنهم مباركون، بل لأنهم معذبون، وأبلغ من هذا الحديث الصحيح: «**يسمعها كل شيء إلا الثقلين**»[(١)] وفي لفظ «**إلا الإنسان**»[(٢)]. أهـ.

سؤال/ بعض الحيوانات تعيش في المقابر !!

أجاب سماحة الشيخ: ما كل مقبرة معذبة. أهـ.

سؤال/ الحكايات والأخبار التي تروى في مشاهدة بعض الناس لشيء من النعيم؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا واقع، ذكره ابن رجب رحمه الله وغيره، ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» والقرطبي في «التذكرة» والسفاريني في «البحور الزاخرة» وغيرهم، ذكروا أشياء من هذا كثيرة، ابن رجب ذكر من هذا أشياء في «أهوال القبور» أطلع الله الناس على ما يشاء سبحانه وتعالى، عبرة للعظة والتذكر، مثل ما أطلع الله نبيه ﷺ على القبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[(٣)] هذا مما أُطلع عليه النبي ﷺ، وفي

(١) رواه البخاري وأبو داود من حديث أنس رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء/ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، و(٢١٨) و(١٣٦١) كتاب الجنائز/ باب الجريدة على القبر، و(١٣٧٨) باب عذاب القبر من الغيبة والبول، و(٦٠٥٢) كتاب الأدب/ باب الغيبة، و(٦٠٥٥) باب النميمة من الكبائر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

غلام مولاه قال «إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً»[1] وأشياء من هذا جاءت عن النبي ﷺ. أهـ.

* * *

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال: الثالث التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبوعمر بن عبدالبر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ، قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»[2] منهم من يرويه «تسأل» وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً: وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟

جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»[3] رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما تقدم ذكره في الممحصات العشرة.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر، و(٦٧٠٧) كتاب الأيمان والنذور/ باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزرع والأمتعة؟، وأبو داود (٢٥٩٦) كتاب الجهاد/ باب في تعظيم الغلول، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مسلم وأحمد، وهو مخرج في الصحيحة (١٥٩). أهـ ألباني

(٣) صحيح، وقد تقدم بتمامه. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه المسألة القطع فيها محل نظر، لأن عذاب القبر حق ونعيم القبر حق، وأما كون العذاب مستمراً حتى يبعث يوم القيامة، فهذا يحتاج إلى دليل واضح، فإن قوله سبحانه: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦] قد يظهر منه خلاف المدعى، ما قال النار يعرضون عليها دائماً، بل: ﴿ غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ فيظهر من ذلك أن هناك فترات في البرزخ، فإذا كان آل فرعون لهم فترات فغيرهم من باب أولى، وليس في أخبار منكر ونكير ما هو صريح في ذلك في حديث: «**يفتح له باب إلى النار فيأتيه من سمومها وعذابها**» ليس بالصريح بأن ذلك مستمر حتى يبعث، بل قد يحتمل أن يكون هناك فترات.

فالحاصل أن علينا أن نؤمن بأن عذاب القبر حق ونعيمه حق، وأما كونه قد يفتر بعض الشيء عن بعض الناس أو لا يفتر من عذاب القبر؛ هذا أمر إلى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يعلم الحقائق جل وعلا، فعذاب القبر حق ونعيمه حق بالنص والإجماع، أما استمرار العذاب للعصاة أو الكفار دائماً حتى يبعثوا لا يفتر عنهم في القبر شيء، هذا محل نظر.

وأما الأطفال كذلك، فالأقرب في الأطفال أنهم لا يمتحنون لأنهم غير مكلفين، فأقرب الأقوال في هذا أنهم لا يمتحنون، لأن الامتحان لأهل التكليف الذين لهم عذاب وعقاب، أما هؤلاء فغير مكلفين وليسوا من أهل التكليف، فالأقرب والله أعلم أنهم غير ممتحنين، أطفال المؤمنين تبع لآبائهم في الجنة وأطفال الكفار مثل ما قال فيهم النبي ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١) يمتحنون يوم القيامة. أهـ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

سؤال/ سؤال نكير هل هو خاص بالأمة؟

أجاب سماحته: هذا محل نظر، والأقرب أنه لهذه الأمة، قال النبي ﷺ: «إنها تبتلى في قبورها»[١] هذا ظاهره أنه خاص بهذه الأمة، قوله: «إنكم تمتحنون في قبوركم قريباً من فتنة المسيح الدجال» ظاهره أنه خاص بهذه الأمة، أمة الدعوة وأمة الإجابة جميعاً، فهو عام، المؤمن والكافر. أهـ.

* * *

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة: فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها، وقيل: على أفنية قبورهم، وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت، وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك، وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرَهوت بئر بحضرموت! وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس! وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت. وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله. قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبوعمر بن عبدالبر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه. وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض. وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة. وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب القول الأول، أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، نعوذ بالله، حتى يردها الله إلى أجسادها، فأرواح المؤمنين في الجنة كما جاء به النص الصحيح في الحديث: «**أن الشهداء أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش**» رواه مسلم، وأرواح المؤمنين طائر يسرح في الجنة، كما رواه أحمد بإسناد جيد عن الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ بإسناد صحيح لا بأس به، وكذلك ظاهر الأخبار العامة الدالة على أنهم في نعيم وأن الكفار في عذاب، وهكذا عموم قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار:١٣-١٤] كلها دالة على أن أرواح المؤمنين في الجنة وفي نعيم، وأرواح الكفار في النار حتى ترد إلى أجسادها، نسأل الله السلامة، هذا هو القول الأول وهو الصواب. أهـ.

❊ ❊ ❊

ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في المسند عن عبدالله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله: مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة» فلما ولى، قال: «إلا الدين، سارني به جبرائيل آنفاً»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا شيء مؤقت، حبس الروح في الدَّيْن شيء مؤقت، ثم يزول بقضاء الدَّيْن، فالمقصود أن الحديث الصحيح جاء بأن أرواح الشهداء في الجنة، الشهداء في المعركة، الشهداء القتلى في سبيل الله، في أجواف طير خضر، عوضهم الله عن أجسادهم بهذه الطيور الخضر التي تحمل أرواحهم وتسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وأما أرواح المؤمنين فهي نفسها طائر، يعني جعلها الله جل وعلا في شكل طائر يعلق بشجر الجنة، يعني يأكل منها ويرعى منها حتى يرد الله روحه إلى جسده. أهـ.

* * *

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»(٢)

---

(١) صحيح، مسند أحمد (٤/ ١٣٩و ٣٥٠).أهـ ألباني

(٢) صحيح، أحكام الجنائز (١٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذه أشياء عارضة، والأصل هو الأول. أهـ.

* * *

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم، يعني يوم أحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش»[(١)] الحديث رواه الإمام أحمد وأبوداود، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم. فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير.

وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث

---

(١) صحيح، وأخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر المشكاة (٣٨٥٣). أهـ ألباني

أن رسول الله ﷺ قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[(١)] فقوله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر» ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم، [فله][(٢)] نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الأمور ليس لها ضابط معروف من جهة السنة، وهي بقاء الأجساد في القبور، هذا ليس له ضابط معروف من السنة، قد تبقى طويلاً وقد تبقى قليلاً، أجساد الشهداء وغيرهم، إنما جاء الحديث من حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(٣)] هذا الذي رواه أهل السنن، ولا بأس بإسناده في الجملة، ولا يستغرب أن يختص الأنبياء

---

(١) صحيح، وقد مضى.أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: في الأصل: (فلهم) والتصويب من «الروح» ص٩٨. ن.

(٣) رواه أبو داود (١٠٠٥) كتاب الجمعة/ باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في السلسلة ٤/ ٣٢.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بهذا الشيء، وأما غيرهم فقد يبقى مدة طويلة وقد يبلى، والقاعدة أن ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب «كل شيء من ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب»(١) هذا الحديث معروف بالنصوص، وهو الواقع أيضاً، وقد تتأخر بعض الأجساد ولا تبلى، كما في قصة الشهداء الذين قبر عنهم في أول خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين فوجدوا على حالهم، أجسادهم باقية على حالهم لم يتغير منها شيء، مثل قصة عبدالله بن عمرو والد جابر لما نقله من محله ولم يتغير منه إلا شعيرات حول أذنه، وأخبرني من لا أتهم أنه شاهد أجساداً باقية على حالها في قبورها لم تتغير بعد دفن طويل، وهذا لله فيه حكمة سبحانه وتعالى.

والمهم أن المؤمنين أرواحاً وأجساداً منعمون تنعيماً لا يعقله من يشاهده، والكفار معذبون وإن لم يطلع الناس على عين عذابهم، وقد أخفاه الله عنهم، هذا هو الأمر المقطوع به المعلوم من الدين بالضرورة من الأدلة الشرعية، فأولياء الله ورسله وأهل طاعته في نعيم في الدنيا والآخرة، وأعداؤهم في شقاء وشر وعذاب في الدنيا والآخرة، وإن لم يشعر بذلك من جاورهم في مساكنهم وقبورهم، نسأل الله العافية. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان).

ش: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن، وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون،و محمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي - بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ ولما قال إبليس اللعين: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ إلى آخر القصة، وقال:﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ الآية، وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا

يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ وقال موسى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا.

فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة، وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ﴿ٱقْتَرَبَ

لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ وذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل: فإنهم قالوا أولاً: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟!

فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء - فما الذي

يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟!

وللحجة تقدير آخر، وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما، فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام، مع شدتها وصلابتها، بالإفناء والإحالة - فما الذي يعجزه فيما دونها؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مثل ما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧] فالذي خلق السماوات وخلق الأرض هو القادر من باب أولى على خلق هذا الحيوان، ثم الفطر السليمة والعقول الصحيحة الصريحة تؤمن بالبعث والنشور وتعتقد أنه لا بد منه، لأن الله عز وجل هو الحكم العدل، وكثير من هؤلاء الناس يظلمون ويجورون ويتعدون الحدود ويموتون على حالهم، فلا بد لهم من جزاء، لابد لهم من جزاء إزاء ما فعلوا في الدنيا وما ظلموا في الدنيا، والآخرون يعملون الصالحات ويجتهدون في الخيرات، ويفوتهم أشياء مما يعطاه المنعمون في هذه الدنيا، فلا بد لهم من جزاء في الآخرة على تلك الأعمال الطيبة واجتهادهم في سبيل الحق، فلابد لهم من جزاء عظيم عند ربهم سبحانه وتعالى بما قدموا من عمل صالح، فالإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار والحساب والجزاء كما أجمعت عليه الرسل وأجمعت عليه الكتب وجاء به أفضلها وهو الكتاب العزيز وأفضل الرسل وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فقد دلت عليه الفطر السليمة والعقول الصحيحة التي لم يعتريها في هذا لبس ولا ريب لمن تدبر

وتعقل، ولهذا: الصحيح أن الإيمان بالبعث والنشور والمعاد أمر تشهد له الفطر السليمة والعقول الصحيحة، كما جاءت به النصوص والأدلة القطعية والبراهين الكثيرة التي قد تواترت نقلاً بالإجماع. أهـ.

* * *

ثم أخبر أنهم يسألون آخراً بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟

فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟

فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾؟ إلى آخر السورة، فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضح الأدلة وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ ما وفى بالجواب، وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه

بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾؟ فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامها[1]، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى، كما

---

(١) الصواب: أجسامهما، ابن باز.

قال في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته، وقوله للمكون: ﴿ كُن ﴾ فإذا هو كائن كما شاءه وأراده، ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ إلى آخر السورة، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟

فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون

أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب، الذي لا تقع الظنون على أقرب منه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة:٣٦-٣٨] إلى آخره، لا ريب أن الذي عُني بهذا الأمر وركّب فيه ما ركّب وجعل فيه ما جعل من القوى، هو القادر على أن يجعله مكلفاً صالحاً عاملاً بما أمر به تاركاً لما نهي عنه، أو ضد ذلك إذا لم ينقد لهذا الأمر وسار على الهوى، فالمقصود أنه جل وعلا على كل شيء قدير، وهو القادر على إضلاله وعلى هدايته وعلى رشده وعلى ضد ذلك، لأنه القادر على كل شيء، من قدر على الأمور البديعة الخفية الدقيقة كيف يعجز عما هو أسهل منها؟

والذي ابتدأه وأوجده من العدم وغذاه بالنعم وركب فيه ما ركب وجعل فيه ما جعل، هو على الإعادة أقدر وأقدر سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ **إلى أن قال:** ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ **إلى أن قال:** ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ **وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾.

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين:

منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد.

ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجمع.

فأورد عليهم: الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا؟

وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو الذي كان وقت الموت؟

فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض! فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب»(١).

---

(١) البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له في بعض رواياته (٢/ ٤٢٨) وزاد: «ويأكله التراب» وسنده جيد. أهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو عظيم صغير جداً في المقعدة منه يركب الإنسان، وهو يبلى إلا هذا الشيء الحقير، والله على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، والمقصود أن الله جل وعلا خلق هذا الإنسان وخلق هذه الحيوانات، وهو ينشؤها كما يشاء سبحانه وتعالى ويعيدها كما يشاء ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم:٢٧] وله القدرة الكاملة سبحانه وتعالى في كيفية هذه الإعادة، فالذي أنشأهم من عدم يعيدهم كما يشاء سبحانه وتعالى ويردهم كما يشاء، ويجازيهم بما يستحق من خير وشر، هؤلاء المكلفون، وأما الحيوانات الأخرى فإنها تعاد للقصاص ثم تكون تراباً.

والجواهر المفردة ذكر العلماء أنه ليس لها أصل، الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وهو أعلم بما أنزله في هذا التراب، والجواهر المفردة معناها أنها جواهر لا تنقسم، يعني أنها في غاية من الصلابة فلا تتحلل، وكلامهم غير معقول، ما هناك شيء إلا ويتحلل ولو صلب، يعني في النهاية الذي لا يتحلل كلام باطل، كل جزء مهما دق ومهما صلب فلابد أن يتحلل. أهـ.

* * *

= قال شاكر: ليس هذا اللفظ في الصحيحين تماماً، ومعناه ثابت في البخاري ٨/ ٤٢٤، ٥٢٩ ومسلم ٢/ ٣٨٣ من حديث أبي هريرة، وأقرب لفظ إلى ما ذكره الشارح، إحدى روايات مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب» و«العجب» بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة: عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع. قاله الحافظ في الفتح.أهـ.

وفي حديث آخر: «إن السماء تمطر مطراً كمني الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات»[١].

فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها.

ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخاً، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال إن الصفات هي المغيرة، لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعاً، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي: أن عرضه سبعة أذرع، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأمر كما قال الشارح، فإن نشأتهم يوم القيامة لها حال أخرى، فأهل النار يعظمون في

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/٤٦/١ـ٢) في حديث طويل عن أبي الزعراء قال: ذكروا عند عبد الله الدجال، فقال، فذكره بطوله موقوفاً، وله حكم المرفوع، لكنه منقطع بين أبي الزعراء واسمه يحيى بن الوليد، ولم يرو عن أحد من الصحابة، بل عن بعض التابعين، ثم إن في الحديث فقرة لم تذكر هنا مخالفة لحديث صحيح، نبه عليه الهيثمي (١٠/ ٣٣٠) وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٦٠٠) وصححه على شرطهما ورده الذهبي بأنهما ما احتجا بأبي الزعراء، وفاته أنه منقطع كما بينا.أهـ ألباني

النار كما في الحديث[1] نسأل الله العافية، وتكون لهم أجسام تتحمل بقاءهم في النار وعذابهم فيها أبد الآباد، غير أجسامهم الضعيفة هذه، وأهل الجنة كذلك أجسامهم غير أجسامهم في الدنيا، أجسامهم عظيمة طويلة، ثم لا تتأثر بما تتأثر به في الدنيا من الغائط والبول والبصاق والمخاط والحيض، يأكلون ويشربون ويتمتعون بنعيم الجنة، ولكن ليس لهم ما في الدنيا من النقص والضعف، بل طعامهم وشرابهم كله يذهب عرقاً وجشاءً، لا يكون له فضلات، ولا يكون له بول ولا غائط ولا شيء من النواقص، هذا شيء آخر يدل على أن الحال غير الحال وأنهم أنشئوا نشأة أخرى غير نشأتهم السابقة، سبحان الحكيم العليم.

ورواية: «**عرضه سبعة أذرع**»[2] فيها ضعف لأنها من رواية علي بن زيد بن جدعان، ولا نعلم لها طريقاً غير طريقه، مع أنني ما تتبعتها، لكن الذي أعلم أنه رواه الترمذي بإسناد فيه علي، وعلي بن زيد يحسن له الترمذي و جماعة، والجمهور على تضعيفه، ولا نعلم له طريقاً آخر، رواه الترمذي من طريق علي بن زُيد «**وعرضه سبعة أذرع**» العرض فقط، أما الطول فثابت في الصحيحين وغيرهما وليس فيه نزاع ولا إشكال، فكل إنسان طوله ستون ذراعاً في السماء طول أبيه آدم، أما العرض فقد جاء في رواية أنه سبعة أذرع وهو شيء مناسب للطول، فالطول مع دقة الجسم، هذا في الدنيا غير ظاهر، والله أعلم، لابد أن يكون كما أنه طويل في الطول لابد أن يكون والله أعلم طويلاً في العرض. أهـ.

* * *

(١) مسلم (٢٨٥١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب: جهنم أعاذنا الله منها، والترمذي (٢٥٧٧-٢٥٧٨-٢٥٧٩) كتاب صفة النار/ باب ما جاء في عظم أهل النار، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جامع المسانيد والمراسيل ١١/ ٣٨٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: «وجزاء الأعمال» قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾.

والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازى، وقال تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ وأمثال ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومن المعلومة بالأدلة من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو أن الله جل وعلا يجازي عباده إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا الإيمان العظيم كلما قوي في القلب أوجب لصاحبه الاستعداد للآخرة وأهبة للآخرة والعناية بأعمال الآخرة والحذر مما يضره في الآخرة، وكلما ضعف الإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب ضعف الإعداد للآخرة وضعف الحذر من المعاصي والسيئات، وضعف النشاط في الأعمال الصالحة، وهل جرّأ من جرّأ على الفسوق والعصيان والكبائر إلا عدم إيمانهم بالآخرة.

فإن أكثر العالم لا تؤمن بالآخرة وليس عندها بصيره بهذا الأمر العظيم، ولهذا جرى ما جرى ووقع ما وقع من فسادهم وشرهم وظلمهم وعدوانهم، فالإيمان بالآخرة والجزاء والحساب أمره عظيم، ومن أركان الإيمان وأصول الإيمان العظيمة التي من أنكرها كفر إجماعاً، وهذه

الأدلة التي ذكرها المؤلف وأمثالها كثير في القرآن العظيم، كلها تدل على وجوب الإيمان بالآخرة والجزاء والحساب والجنة والنار، ووجوب الإعداد لهذا اليوم العظيم، ومن هذا قوله سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم:٣١] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] والعباد مجزيون بأعمالهم خيرها وشرها، وهو سبحانه يجازي على الحسنات بأضعاف مضاعفة، ويجازي على السيئة بمثلها أو يعفو سبحانه وتعالى، فلا يهلك على الله إلا هالك، فيجب على ذي العقل أن يتبصر وأن ينتبه لهذا الأمر، وأن تكون له عناية كاملة بالإعداد للآخرة والحذر مما يضره في الدنيا والآخرة، والله المستعان. أهـ.

* * *

وقال ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١) وسيأتي لذلك زيادة بيان عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب» قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ إلى آخر السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد من حديث أبي ذر. أهـ ألباني

مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: معنى ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:١٤] من حار يحور إذا رجع، يعني ظن أنه لا يرجع إلى الله ولا يبعث ولا يجازى، فلهذا اجترأ على الفساد والشر، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ إلى آخر السورة ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الروح هو الوحي، هذا أمر معلوم، الروح الذي يلقى من عند الله عز وجل إلى الرسل والأنبياء هو الوحي الذي به الحياة وبه السعادة وبه النور والبصيرة، هذا هو الذي تأتي به الرسل والأنبياء، وهو المذكور في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢] فما

جاءت به الرسل هو الروح الذي به الحياة وبه البصيرة وبه النور، من فاته هذا الروح فاته الحياة وفاته النور ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] هداه الله بهذا الروح وجعل له بصيرة بهذا الروح، فمن فاته هذا الروح فهو ميت وإن كان أقوى الناس جسماً، وإن كان أكثرهم مالاً فهو مع الأموات، فمن فاته هذا النور فهو لا يزال في الظلمات لم يخرج منها حتى يدركه هذا النور، فالناس وإن كانوا في غاية من النور الدنيوي الحسي من كهرباء وغيره، فهم في الظلمات حتى يحصل لهم هذا النور بقلوبهم، نور الوحي نور الهدى، فيعرفوا ما أوجب الله وما حرم الله وما أعد الله لأوليائه وما أعد الله لأعدائه، وحتى يعرفوا ما يرضي الله وما يقرب لديه، وحتى يعلموا ما يسخط الله وما يباعد من رحمته، هذا هو النور، وهو ما جاءت به الرسل وهو ما دل عليه كتاب الله، القرآن في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وما استنبط من ذلك، هذا النور وهذا الذي به الحياة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه، عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»[1] يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح، وسيأتي لذلك زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

---

(١) صحيح. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذلك إلا لأن العبد محل السيئات ومحل الخطايا ومحل الزلل، فلو نوقش عن زلاته وخطاياه وما اجترمه لهلك، ولكنه جل وعلا يعفو عن أوليائه وأنبيائه وأهل طاعته ولا يناقشهم الحساب سبحانه وتعالى، بل يتقبلهم برحمته ويجازيهم على أعمالهم الطيبة ويعفو ويصفح سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة يوم الطور»؟[1] وهذا صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم.

فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش»؟[2]

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم. أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في أول كتاب «الخصومات» من حديث وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في قصة ضرب الصحابي لليهودي بلفظ **«لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى»**.

وأخرجه مسلم (٢٣٧٤) من طريق سفيان عن عمرو بن يحيى به، لكنه لم يسق لفظه بتمامه، وقد ساقه أحمد (٣/ ٣٣) من هذه الطريق بلفظ: **«وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأفيق فأجد موسى..»** الحديث.

ويشهد لهذه الرواية حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٣٧٣) بلفظ: **«لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ** =

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل فيه على الراوي حديثاً في حديث، فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا: أحدهما: «أن الناس يَصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق» كما تقدم، والثاني: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة»[١] فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر، وممن نبه على هذا أبوالحجاج المزي، وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم، وشيخنا الشيخ عماد بن كثير[٢]، رحمهم الله، وكذلك اشتبه على بعض الرواة، فقال: «فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل»؟[٣].

والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى عليه السلام إن كان لم يصعق معهم، فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً عن صعقة الخلائق لتجلي ربه يوم القيامة، فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله.

= فيه أخرى فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بعث قبلي».

من هذين الحديثين يتبين أن هذه الصعقة الثانية إنما هي صعقة البعث، المذكورة في الآية، وليست صعقة تقع لفصل القضاء كما ذكر الشارح تبعاً للإمام ابن القيم، وعلى هذا فلا إشكال في الحديث، والله أعلم.أهـ ألباني

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨) باب تفضيل نبينا ﷺ بلفظ :«وأول من ينشق عنه القبر» وأبو داود والترمذي وأحمد.أهـ ألباني

(٢) عماد الدين، ابن باز.

(٣) صحيح، وهو آخر حديث أبي هريرة المذكور قبله في رواية عنه عند البخاري، والمراد بقوله: «ممن استثنى» أي لا تصيبه النفخة، كما صرحت به رواية ابن أبي الدنيا في كتاب «البعث» عن الحسن مرسلاً كما في «الفتح».أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي نبه عليه هؤلاء الأخيار هو عين الصواب، وهو الحقيقة، فإن الصعق يوم القيامة غير الصعق يوم تحمل الناس إلى المحشر، الناس يفزعون يوم القيامة عند نفخة البعث، نفخة البعث فيها الحياة والنشور، ونفخة الموت فيها صعق الموت، فهي نفختان وصعقتان، إحداهما يموت فيها الناس إلا من استثنى الله، والنفخة الثانية يحيا فيها الناس وينشرون، هاتان عامتان، أما هذه الصعقة الثالثة في القيامة، والناس موجودون في القيامة بارزون، وهذه هي المرادة بقوله «**فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بقائمة العرش**» فهذه والناس أحياء أصابهم هذا الفزع وهذا الغشي من تعظيم الله وإجلاله سبحانه وتعالى.

أما أن يقال إن هناك ثلاث نفخات في الصور ففيه نظر، المحفوظ نفختان، الذي دل عليه القرآن نفختان في الصور، نفخة الموت وهي نفخة طويلة، ونفخة ثانية نفخة البعث والنشور، ويروى في حديث الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع ونفخة الموت ونفخة البعث والنشور، لكن حديث الصور ضعيف، وإنما المحفوظ نفختان كما دلت عليه الآيات القرآنية في سورة النمل وفي سورة الزمر، فهما نفختان.

والصعق صعق الموت وصعق يوم القيامة والناس أحياء، الصعق الأول الموت، وصعق يوم القيامة فزع وغشي ليس بموت. أهـ.

* * *

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وأبوبكر بن أبي الدنيا، عن الحسن، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يقول: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه، وحوسب حساباً يسيراً، دخل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله، دخل النار»(١) وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك: أنه أنشد في ذلك شعراً:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل، ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طوراً وترفعهم ... إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم ... فيها، ولا رقية تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه ... قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

---

(١) ضعيف، لأن الحسن البصري مدلس وقد عنعنه، وهذه علة، وإن ثبت سماعه من أبي هريرة وأبي موسى، فإن ثبوت مطلق السماع لا يغني من رواية المدلس حتى يصرح بالتحديث كما هو مقرر في المصطلح، إلا إذا ثبتت رواية الكتاب التي فيها التصريح بسماع الحسن من أبي موسى.أهـ ألباني

قال شاكر: وهم الشارح رحمه الله في نسبة هذا الحديث للترمذي، من حديث أبي موسى، فإن الترمذي رواه بنحو معناه ٣/ ٢٩٤ من طريق الحسن البصري عن أبي هريرة، وأشار إلى حديث أبي موسى فقال: «ولا يصح هذا الحديث، من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، وقدرواه بعضهم عن علي بن علي، وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، فقد رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤١٤ (طبعة الحلبي) عن وكيع عن علي بن علي، عن الحسن عن أبي موسى، وكذلك رواه ابن ماجه: ٤٢٧٧ من طريق وكيع بنحوه، بل إن رواية الترمذي إياه ـ من حديث أبي هريرة ـ هي من رواية وكيع عن علي بن علي أيضاً، فالإسنادان ثابتان إذن عن وكيع».

والحديث ـ عندنا ـ صحيح من الوجهين، فإن سماع الحسن من أبي هريرة صحيح ثابت، كما بينت ذلك مفصلاً في شرح الحديث ٧١٣٨ من المسند، وقد أعل البوصيري في زوائد ابن ماجه ـ حديث أبي موسى أيضاً، بأن الحسن لم يسمع من أبي موسى، وفي ذلك خلاف، ولكنه عاصره يقيناً، فإن الحسن ولد سنة ٢١ وأبو موسى مات سنة ٥٢ على القول الراجح، وأما هذه الرواية ـ التي ذكرها الشارح ـ وفيها قول الحسن: «سمعت أبا موسى الأشعري» ـ فإن إسنادها ليس بين يدي، ولعلها رواية ابن أبي الدنيا، فلو كان إسنادها صحيحاً كصحة إسنادي أحمد وابن ماجه، لكانت قاطعة في سماع الحسن من أبي موسى.أهـ

قوله: «و الصراط» أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»(١) وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبدالله، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفيء قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً(٢)، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد،

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٧٣).أهـ ألباني.

(٢) قال شاكر: في المطبوعة «كأشد الرحل ويرمل رملا» وهو كلام غير مستقيم، ولم أجد نص الأثر كاملاً في موضع آخر، ولكن روى الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٥ عن ابن مسعود مرفوعاً نحو هذا المعنى مختصراً، وفيه: «ثم كالراكب ثم كشد الرجال ثم كمشيهم» وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكر ابن كثير في التفسير ٥/ ٣٩٠ نحو معناه مطولاً موقوفاً، ونسبه لابن أبي حاتم في تفسيره.أهـ.

وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد الله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد»(١) الحديث .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن هذا يوجب للمؤمن الحذر والعناية وسؤال الله سبحانه وتعالى الثبات، فإن الجَسر - يقال جَسر وجِسر، الجيم تفتح وتكسر - هو الصراط، وهو صراط خطير يمر عليه الناس، ولا ينجو منه إلا أهل الجنة، لا ينجو منه ويجوزه إلا أهل الجنة، من جازه نجى ومن لم يجزه هلك ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا

---

(١) صحيح، وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦) وأظن أن البيهقي من طريقه رواه، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

قلت: وفيه يزيد بن عبد الرحمن، أبو خالد الدالاني، ولم يخرج له الشيخان شيئاً، ثم هو وإن كان صدوقا، فقد كان يخطئ كثيراً، وكان يدلس، كما في التقريب، وقد صرح في هذا الأثر بالتحديث، فأمنا بذلك تدليسه، فإنما يخشى منه الخطأ فيه، لكنه قد توبع كما يأتي، فأمنا بذلك خطأه أيضاً، وقد أخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٥٩٠-٥٩٢) بتمامه مطولا، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٦/ ٢-٤٧/ ٢) من طريق أبي خالد هذا عن ابن مسعود مرفوعاً، وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة مرفوعاً أيضاً بتمامه عند الطبراني، وزيد ثقة، فصح بذلك الحديث والحمد لله. أهـ ألباني

١- كذا في الرواية الموقوفة عند الحاكم، وفي المرفوعة عنده: «دون» وعند الطبراني «أصغر» ولعل هذه الرواية أولى لأن السياق يدل عليها. أهـ ألباني

٢- كذا في «الموقوفة» وفي المرفوعة عند الحاكم والطبراني: «فيمرون». أهـ ألباني

٣- وكذا في المستدرك والمعجم، أما الرواية التي علقها هنا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله بفظ: «ثم كشد الرجال، ثم كمشيهم» فهي رواية أخرى للحاكم (٢/ ٢٧٥) من طريق غير الدالاني، وهذه الطريق لم يقع بصر الشيخ عليها، مع أنها في الصفحة التي تلي صفحة الرواية الأخرى، والموفق الله تبارك وتعالى. أهـ ألباني

وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢] فيجوزه أهل التقوى ويسقط منه غيرهم، أما الكفار فيساقون إلى النار سوقاً ولا يجوزون هذا الصراط ولايمرون عليه، بل يساقون إلى النار نعوذ بالله، ويدفعون إليها قصداً لكونهم أهلها، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

❊ ❊ ❊

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ما هو؟

والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة» قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾»(١) أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ﴾ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط.

(١) صحيح، رواه مسلم، وأحمد نحوه من حديث أم مبشر.أهـ ألباني

وروى الحافظ أبونصر الوائلي[١]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدثن في دين الله حدثاً برأيك»[٢] أورده القرطبي، وروى أبوبكر بن أحمد بن سليمان النجار[٣]، عن يعلى بن منية، عن رسول الله ﷺ، قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي»[٤].

وقوله: «والميزان» أي: ونؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾.

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

---

(٢) قال شاكر: هو الحافظ الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، المتوفى سنة ٤٤٤، ترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٧٩-٢٩٨.أهـ

(٢) موضوع، وهو قطعة من حديث رواه أبو نعيم والخطيب عن أبي هريرة مرفوعاً، ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وتكلمت عليه في «الأحاديث الضعيفة» (٢٦٥).أهـ ألباني

(٣) المعروف: أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، بالدال، وأبو بكر كنية أحمد، حنبلي مشهور أهـ ابن باز.

(٤) ضعيف، رواه الطبراني وابن عدي وأبو نعيم وغيرهم بسند فيه ضعف وانقطاع.أهـ ألباني
قال شاكر: الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٠ وقال: «رواه الطبراني، وفيه سليم ابن منصور بن عمار، وهو ضعيف».أهـ

قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، روى الإمام أحمد، من حديث أبي عبدالرحمن الحُبُلي، قال سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيختص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»(١) وهكذا روى الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، من حديث الليث، زاد الترمذي: «ولا يثقل مع اسم الله شيء».

---

(١) صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، وفي روايتهما: «فلا يثقل مع اسم الله شيء» وأما رواية الكتاب فهي لأحمد (٢/ ٢١٣) وهي شاذة، وقد تكلمت على إسناد الحديث في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٥).أهـ ألباني

قال شاكر: هو الحديث ٦٩٩٤ من المسند، وهذا لفظه، وكان في المطبوعة بعض تحريف صححناه منه، وزيادة [والبطاقة في كفة] ليست في نسخ المسند، وهي ثابتة في رواية الترمذي ٣/ ٣٦٧، والحديث من رواية الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن الحبلي.أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود أن هذا الرجل أتى بهذه الشهادة عن إخلاص وصدق وختم بها عمله فرجحت جميع سيئاته، فالمؤمن إذا أتى بتوبة صادقة وعمل صالح ختم له بها رجحت بجميع سيئاته، فإن الأعمال بالخواتيم، فإذا تاب توبة صادقة، أو أتى بالشهادتين على طريقة مستقيمة وعارف بمعناها معتقد لمعناها مستقيم على معناها من توحيد الله والإخلاص له والإيمان بالرسول ﷺ إيماناً صادقاً؛ فإن هذه الشهادة تتضمن توبة من جميع السيئات وإنكاره لها وعدم إصراره عليها، فتكون راجحة بجميع سيئاته، فمن ختم له بالخاتمة الحسنة غفرت سيئته ورجح ميزانه.

وظاهر قوله سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧] أن هناك موازين كثيرة توزن بها أعمال العباد، وهي موازين جمع ميزان وهي ميزان عدل، القسط العدل ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء:٤٧] لا قليلاً ولا كثيراً ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء:٤٠] فجدير بالمؤمن أن لا يحقر شيئاً من الحسنات ولا شيئاً من السيئات، بل يحذر السيئات كلها ويسارع ويبادر إلى الحسنات كلها، ولا يحتقر شيئاً، فإن مثاقيل الذر من الخير تنفعه، ومثاقيل الشر تضره، فالعاقل يكون أبداً حريصاً على الحسنات مطلقاً وحذراً من السيئات مطلقاً، ولهذا في الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله**

طالباً»[١] وفي اللفظ الآخر: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه**» ثم ضرب لهذا مثلاً بالقوم ينزلون مكاناً في السفر ليس عندهم شيء يطبخون به فيأتي هذا بالعود وهذا بالبعرة حتى أججوا ناراً وأنضجوا طبيخهم[٢]، وهكذا المتساهل، يعمل هذه السيئة ثم السيئة ثم السيئة ويتحاقرها حتى تجتمع عليه وتهلكه، فالواجب على ذي العقل السليم أن يحذر السيئات كلها، ويبتعد عنها غاية الابتعاد أينما كان، وأن يكون حريصاً على جمع الحسنات وفعل الحسنات والخيرات مهما كان، ولا يحتقر شيئاً، رد السلام، بذل السلام، بذل المعروف، الذكر، الاستغفار، سائر أنواع الحسنات مع الله ومع العباد . أهـ.

سؤال/ ظاهر الحديث أنه ما قال هذا في آخر حياته!!

أجاب سماحة الشيخ: هو ظاهره الإطلاق، لكن المراد أنه قاله على وجه ختم له به، وإلا فالمعروف من الأدلة الأخرى أنه لا ينفعه العمل إذا كان مصراً على السيئات، لا يكون تائباً حتى يكون ليس معه إصرار، فالأحاديث المطلقة والآيات المطلقة تقيد بالآيات المقيدة والأحاديث المقيدة، وهذا شأن النصوص، يقبل مطلقها وعامها على مقيدها وخاصها، حتى تجتمع النصوص على الحق الذي جاءت به الرسل وطلب من العباد، ويدلك على هذا أن المنافقين يقولون لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله وهم في الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله، لماذا؟

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد، والبيهقي، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقد تقدم.

لأنهم قالوهما على غير بصيرة، على غير صدق وعلى غير هدى، وإنما قالوها مجاملة وطلباً للعاجلة. أهـ.

سؤال/ استدل بالحديث على أن الإنسان إذا قال لا إله إلا الله مخلصاً فهو ناج حتى ولو لم يصل .؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا غلط، فإنه قال: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] لابد من عدم الإصرار، فإذا قالها ولم يأت بما ينقضها، مثل الذي توضأ ثم أحدث، إذا توضأ ثم أحدث ريحاً أو بولاً بطل وضوءه، فالذي قال لا إله إلا الله وأتى بالشهادتين أو أركان الإسلام ثم سب الدين، سب الله أو سب رسوله أو جحد ما أوجب الله أو جحد ما حرم الله بطلت تلك الأعمال، صار مثل من نقض الطهارة بناقض من النواقض، بإجماع أهل العلم، ولهذا ذكروا باب حكم المرتد وذكروا فيه النواقض الكثيرة، إذا أتى بواحد منها انتقض إسلامه وصار في حكم المرتدين، نسأل الله السلامة.

ولكن من عادة ضعفاء البصيرة أو من كان قصده غير سليم، من عادته التشبه بالمشتبهات والمطلقات والعامات، وليس هذا من شأن أهل الإيمان، أهل الإيمان وصفهم الله بأنهم يؤمنون بالمتشابه ويردونه إلى المحكم، وأما أهل الزيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وفي سياق آخر: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل

فيوضع في كفة»[١] وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾»[٢] وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: أنه كان يجني[٣] سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون»؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقية، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد»[٤].

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»[٥] كما تقدم ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الطُهور بالضم أفصح، الطُهور والوُضوء الفعل، هذا هو الأفصح في اللغة وفي كلام أهل العلم، وأما الفتح فهو الماء المعد للطهارة. أهـ.

* * *

وفي الصحيح، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «كلمتان

---

(١) هو الحديث المتقدم، وهذا لفظ آخر له، ولا يصح من قبل سنده، لأن فيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ، فلا يحتج بما تفرد به، أخرجه أحمد (٢/ ٢٢١).أهـ ألباني

(٢) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (٨/ ١٢٥).أهـ ألباني

(٣) في المسند «يجتني».أهـ ألباني

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (١/ ٤٥٠) بسند حسن.أهـ ألباني

(٥) صحيح، وهو مخرج في «تخريج مشكلة الفقر» برقم (٥٩).أهـ ألباني

خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١).

وروى الحافظ أبوبكر البيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»(٢).

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعول على نفس الأعمال، ولكن الله جل وعلا قد يزن نفس العامل ونفس الصحيفة ونفس العمل، وقد جاءت النصوص بهذا وهذا، وزن الأعمال نفسها ووزن الصحف ووزن العامل، وربك جل وعلا هو الحكم العدل، والاعتبار بهذا كله بالعمل لا بذات الإنسان ولا بصحيفته، الاعتماد بهذا كله على العمل، فالرجحان والخفة للعمل نفسه مهما كانت الحالة، مهما كان الوزن للعامل أو للصحيفة أو العمل، فالمعول على نفس العمل صلاحاً وفساداً.

والله أخبر أنها توزن، أما كيفية الوزن فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، قد يوزن الجسم وتوزن الصحيفة وتوزن الأعمال على الكيفية التي

---

(١) متفق عليه، وتقدم. أهـ ألباني

(٢) موضوع، ورواه أبو نعيم أيضاً في الحلية (٦/ ١٧٤) وقال: «تفرد به داود بن المحبر» قلت: وهو متروك متهم بالوضع. أهـ ألباني

يعلمها الله سبحانه وتعالى، لكنها في ميزان يثقل ويخف.

وأما وزن الرجل وصحيفته فظاهر النصوص أن هذا يقع، لكن كونه عاماً أو ليس بعام الله أعلم، قد يوزن الرجل والمرأة وقد يوزن العمل وقد توزن الصحيفة، فالوزن لابد منه، وظاهر النصوص أنها توزن كلها، لكن المعول على العمل.

والميزان حسي والأعمال حسية والصحائف حسية والإنسان حسي، كله حسي، فهذه الأعراض ربنا يتصرف فيها كيف يشاء سبحانه وتعالى «يؤتى بالموت على صورة كبش ثم يذبح»[1]. أهـ.

* * *

وكما روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت كبشاً أغر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال، يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود لا موت»[2] ورواه البخاري بمعناه، فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب التفسير / باب قوله عز وجل ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ ومسلم (٢٨٤٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب جهنم أعاذنا الله منها، والترمذي (٢٥٥٨) كتاب الجنة / باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح، أخرجه في المسند (٢/ ٤٢٣) بسند صحيح. أهـ ألباني

الميزان إلا البقال والفوال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه، فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان، ففي الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة(١).

وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

وقوله: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد).

ش: أما قوله: «إن الجنة والنار مخلوقتان» فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في أول المظالم، وأحمد (٣/ ١٣/ ٦٣/ ٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ولم أره في مسلم.أهـ ألباني

حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم .

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في الصحيحين، من حديث أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي» قال: «ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»(١)

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثل ما قال المؤلف رحمه الله: الجنة والنار مخلوقتان، عند أهل السنة والجماعة موجودتان، خلقهما الله جل وعلا وأعدهما لأهل طاعته وأهل معصيته، فالجنة للمتقين والنار للكافرين، أعد هذه وأعد هذه، ولا مانع من أن

(١) صحيح .أهـ ألباني

يعدهما قبل وجود أهلهما، وليس هذا بمستنكر، فإنهما لا تزالان موجودتان ولا يزال البناء فيهما والتكميل والزيادة فيهما، فلا تزال الجنة يزاد فيها من أنواع النعيم والقصور والخيرات، ولا تزال النار يزاد فيها من أنواع العذاب والبلاء، ولكنهما معدتان مهيأتان موجودتان لأهلهما، وليس في هذا ما يخالف الحكمة، وما قالوه إن وجودهما قبل وجود أهلهما عبث، قول باطل لا وجه له، فإن الحكماء من الخلق يعدون الأشياء التي يريدونها إعداداً كثيراً قبل وجود أهلها وقبل وجود سكانها، وهم بنو آدم الذين حكمتهم ناقصة وعلمهم ناقص، فقد يعدون الأشياء الكثيرة قبل وجود أهلها، حتى إذا وجد أهلها أدخلوا بها، حتى يهيئوا أسباب أهلها بهذه القصور وهذه البساتين أو ما أشبه ذلك، والرب عز وجل أعدها لعباده ليعلموا حقيقة ذلك وليشتاقوا إلى ذلك وليحفز هممهم إلى هذا الخير العظيم وليعلموا أنه على كل شيء قدير، إلى غير هذا من الحكم العظيمة، وقد ثبت في النصوص أن الرسول ﷺ قد دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم، ومثلت له الجنة والنار في صلاة الكسوف، وصح عنه ﷺ أنه قال: إن الميت إذا مات إذا كان من أهل الجنة فتح له باب إلى الجنة ويأتيه من نعيمها وطيبها ورأى مقعده من الجنة، والكافر بعكس ذلك، يرى مقعده من النار ويأتيه من سمومها وعذابها، فالمقصود أن هذا أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة قاطبة، والنصوص من القرآن والسنة شاهدة بذلك طافحة بذلك ثابتة بذلك، فقول من أنكر ذلك تكذيب لله ولرسوله ويكون هذا كفراً مستقلاً، تكذيب النصوص كفر مستقل غير ما عليه من الباطل الآخر. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن

رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[(١)] وتقدم حديث البراء بن عازب، وفيه: «ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها»[(٢)] وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء، وفي صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله ﷺ: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني تقدمت ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت»[(٣)].

وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط»!![(٤)]

---

(١) صحيح، وأخرجه أحمد أيضاً (٢/ ١٦و٥١و١٣و١٢٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو طرف من حديث طويل في صلاة الكسوف، وهو مخرج عندي في الجزء الخاص بهذه الصلاة.أهـ ألباني

(٤) صحيح، وهو مخرج هناك.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو الوصف الأغلبي للنساء كما قال النبي ﷺ، وهو واقع منهن إلى الآن وإلى آخر الزمان، وصف لهن أغلبي، إذا تكدرت الأمور قالت هذا الكلام. أهـ.

❊ ❊ ❊

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: «وايم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار»[١] وفي الموطأ والسنن، من حديث كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ «إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث رواه أحمد أيضاً في المسند عن الإمام الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثها الله**» هذا لعموم أرواح المؤمنين، أما أرواح الشهداء فلها حملة، تمتاز على أرواح الناس بأن لها حملة، وأنها في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، هذه في أرواح الشهداء خاصة، وأما أرواح المؤمنين عموماً فهي نفسها تكون طيراً. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة، وفي صحيح

---

(١) صحيح. أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٩٩٥). أهـ ألباني

مسلم والسنن والمسند، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذاك إلا لأن النفوس تغلب عليها الشهوات، وقلّ أن يسلم منها أحد إلا من حفظ الله، ولهذا جاء الحديث: «**حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره**»(٢) فالجنة تحتاج إلى أعمال صالحة وإلى صبر على الحق وثبات عليه

---

(١) صحيح، وصححه الترمذي والحاكم (١/ ٢٦) ووافقه الذهبي، وعزو المؤلف لمسلم خطأ، انظر «صحيح الجامع» (٥٠٨٦) و«المشكاة» (٥٦٩٦) وإنما له منه «**حفت الجنة.. وحفت النار بالشهوات**» وهذا رواه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٧) كتاب الرقاق / باب حجبت النار بالشهوات، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب ما في الجنة من النعيم وما يكون لأهلها من الرضوان، والترمذي (٢٥٥٩) كتاب الجنة / باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وترك لما حرم الله، وهذا ليس يستطيعه كل أحد ويصبر عليه كل أحد، إلا الخواص وإلا الندّر من عباد الله، أما الشهوات فالميل إليها كثير، من الزنا والسرقة وأكل أموال الناس واستباحة الحرام والتكاسل عن الواجبات، هذه تميل إليها النفوس، وليس كل واحد عنده الصبر على أداء الواجبات، وليس عند كل أحد الصبر على ترك المحرمات، ولاسيما بعض الشهوات المحرمة، ولهذا قال جبرائيل: خشيت أن لا ينجو منها أحد، بسبب الشهوات التي حفت بها وبسبب المغريات التي صارت حجاباً عنها، من تركها سلم ومن تعاطاها هلك. أهـ.

* * *

ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول من قال: إن الجنة الموعود بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر، والخلاف في ذلك معروف.

وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وقد روى الترمذي في جامعه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[1] قال: هذا حديث حسن غريب.

---

(١) وهو مخرج في الصحيحة (١٠٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المتبادر أن متنه غير ملائم للأحاديث الصحيحة وغير ملائم لجمع من الآيات، لكن لو صح واستقام إسناده فالمراد أن بها قيعاناً ليست هي قيعاناً، وإنما فيها قيعان، وهي بقايا البناء، كما في الأحاديث الصحيحية «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**»[١] والأحاديث الأخرى التي فيها البناء والمنازل، هذا من سعتها وعظمتها ووجود ما يمكن فيه البناء، لكن الإخبار بأنها قيعان هو محل الغرابة.

ثم القاسم بن عبدالرحمن فيه أيضاً كلام كثير، القاسم بن عبدالرحمن الواسطي ضعيف عند أهل العلم، فالحاصل أن تحسينه أو تصحيحة محل نظر.

والقيعان الصحراء الخالية التي ليس فيها بناء ولا غراس. أهـ.

* * *

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»[٢] قال: هذا حديث حسن صحيح، قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى، قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾.

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة

(١) رواه البخاري (٤٥٠) كتاب الصلاة / باب من بنى مسجداً، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب فضل بناء المساجد والحث عليها، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) صحيح، وهو مخرج في المصدر السابق (٦٤)أهـ ألباني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر- فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، الجنة بإجماع أهل السنة والجماعة موجودة والنار موجودة، كلاهما موجودتان قبل خلق هذا العالم الذي هو الجن والإنس، أعدهما الله لهؤلاء ولهؤلاء، ولكن ليس معنى ذلك أنه لا يزاد فيهما، بل يزاد في عذاب النار ويزاد في نعيم الجنة في هذه الحياة ويوم القيامة أيضاً، وهي الجنة المعروفة، الجنة التي أعدها الله للمتقين في السماء، هذا الذي عليه عامة أهل العلم، وأما قول بعض الناس إنها جنة في الأرض، ويحكى عن قاضي المغرب البلوطي، فهذا ليس بشيء، الذي عليه أهل العلم قاطبة وهو كالإجماع منهم أنها عند الإطلاق جنة في السماء. أهـ.

* * *

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن - نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام.

فمن كلامهم: أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف

الجنة، وقيل: المراد إلا ملكه، وقيل: إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكر عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبيدان» هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف[١]، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها.

وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط[٢]، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة.

وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث! وهو عمدة أهل الكلام المذموم، التي استدلوا

---

(١) قلت: لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار وخروج الموحدين منها، وقد كنت خرجت بعض ذلك في «الضعيفة» برقم (٦٠٦و٧٠٧) ثم وقفت على رسالة مخطوطة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المسألة الخطيرة، رد فيها على ابن القيم رحمه الله، فعلقت عليها وخرجت أحاديثها، وقدمت لها بمقدمة ضافية، وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي.أهـ ألباني

(٢) يعني قوله بفناء الجنة، ونحن نزيد على المؤلف فنقول: وليس له سلف أيضاً في قوله بفناء النار، كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفاً.أهـ ألباني

بها على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي، يمنعه في المستقبل!! فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي!!

وأبوالهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحد منهم على حركة!!

وقد تقدم الإشارة إلى اختلاف الناس في تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعلية الرب تعالى، وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليماً قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته، من غير تجدد شيء، وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الأشياء التي حدثت بسبب أهل الكلام وخوضهم في الباطل وعدم رجوعهم إلى الكتاب والسنة، حصل بها شر كثير على المسلمين وبلاء عظيم، فلا ينبغي للعاقل أن يلتفت إلى أقوالهم الفاسدة، فالجنة أعدها الله للمتقين، وأجمع أهل السنة والجماعة على بقائها واستمرارها وأنها لا تفنى أبد الآباد، بل أهلها في نعيم دائم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان:٥١-٥٦] فذكر أنهم في مقام أمين وأنهم آمنون وأنهم لا يذوقون الموت، هذا كله يبين لنا أنها آيات مستمرة وبقاء مستمر أبد الآباد.

أما النار فقد ذهب بعض السلف إلى أن لها نهاية، وأنها تنتهي إلى ما يعلمه الله عز وجل، بعدما يمضي على أهلها أحقاباً لا يحصي عددها إلا الله ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] فقالوا هذه الأحقاب لها نهاية. والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أنها كالجنة لا تفنى أبداً، وأن حياة أهلها وعذابهم فيها مستمر أبداً، نسأل الله العافية، كما قال جل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] فعذابهم مستمر فيها ـ نسأل الله العافية ـ أبد الآباد، وهذه الأصول التي وضعها أهل الكلام لأنفسهم كالمعتزلة والجهمية وغيرهم، أصول فاسدة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها، والله جل وعلا لم يزل فعالاً لما يريد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧] أولاً وآخراً، فلم يزل فعالاً أولاً ولم يزل فعالاً في المستقبل، لا يمتنع عنه شيء سبحانه وتعالى، بل هو القادر على كل شيء جل وعلا، لم يزل خلاقاً رزاقاً حياً قيوماً مدبراً لعباده فعالاً لما يريد، وهكذا في المستقبل لا يزال خلاقاً رزاقاً فعالاً لما يريد سبحانه وتعالى، يحدث لأهل الجنة وأهل النار ما يشاء سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧] جل وعلا.

ومن المعلوم أن التسلسل الأول أنكره الكثير، ولكن من نظر وتأمل

عرف أنه لا يزال تسلسل الحوادث لا في المستقبل ولا في الماضي، لأن عدم التسلسل يقتضي أن ربنا جل وعلا في وقت ما ليس فعالاً وليس له خلق ولا فعل، وهذا لازم باطل وملزومه باطل، وكل حادث مسبوق بعدم، وليس للأولوية حد محدود حتى يتوقف عندها، فالله جل وعلا هو الأول الذي ليس قبله شيء، ولم يزل موجوداً سبحانه وتعالى، فهكذا الحوادث لا تزال موجودة شيئاً بعد شيء، كل حادث مسبوق بعدم، كل مخلوق مسبوق بعدم، وهكذا كل فرد من أفراد الحوادث حدث بعد أن لم يكن، وصدق عليه أنه مخلوق مربوب حادث، وهكذا في المستقبل لا تزال الحوادث تقع، ولا تزال أفعال الله جل وعلا جارية في عباده لا نهاية لذلك. أهـ.

❊ ❊ ❊

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء:

فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم، وقيل: إلا مده مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف، وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه، وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل

الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه، وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لأنهم يخرجون عن مشيئته،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب: «بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله لا يخرجون عن مشيئته» لأن معنى دوام مقامهم فيها ليس معناه خروجهم عن مشيئته ولكن «لا يخرجون» أوضح «أنهم» زيادة. أهـ.

❊ ❊ ❊

ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ وقوله: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن «ما» بمعنى من، أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء، وقيل غير ذلك، وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو المعول عليه، يعني الكلمة وأشباهها من المتشابهة الذي يفسره المحكم، وأهل السنة

والجماعة يرون أن الواجب في المتشابه رده إلى كلام الله المحكم كما أرشدهم الله إلى هذا، وبين أن أهل الزيغ هم الذين يخرجون عن المحكم إلى المتشابه، أما أهل الإيمان وأهل التقوى وأهل الهدى فمردهم إلى المحكم، إذا أشكل شيء ردوه إلى المحكم ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١٠٧] الله أعلم، هل أراد بذلك مقامهم في المحشر، مقامهم في القبور، إلى غير ذلك؟

لكن المقطوع به والمعلوم أنهم في جناتهم مقيمون، لا يظعنون ولا يموتون أبد الآباد، وأما لفظة ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١٠٧] فيحتمل معان لا تنافي ما أخبر به عن خلودهم ودوامهم وبقائهم. أهـ.

* * *

وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة: كقوله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت»(١) وقوله: «ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا

---

(١) مسلم، وهو مخرج في الصحيحة (١٠٨٦).أهـ ألباني

أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا ثابت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتأسوا أبداً**» وهذا من نعم الله العظيمة وفيه البشارة، مع أنهم قد علموا هذا في الجنة، قد علموا هذا في دار الدنيا قبل دخولهم الجنة، قد علموا أن الجنة دار نعيم وخير دائم، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العظيم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان:٥١-٥٥] ذكر أنهم آمنون وأن مقامهم مقام أمين، ثم قال ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ فدل ذلك على أن أهل الجنة آمنون فيها وهم في مقام أمين، لا يعتريهم موت ولا أسقام ولا أكدار ولا نصب ولا تعب، بل في نعيم دائم وخير دائم وصحة دائمة وشباب دائم، لا حيض ولا نفاس ولا بصاق ولا مخاط، يأكلون ويشربون ويتنعمون ويتناكحون، لهم أنواع النعيم، ومع ذلك قد وقاهم الله كل مكروه، فلا حيض هناك ولا نفاس هناك ولا بصاق ولا مخاط ولا أذى ولا بول ولا غائط، بل طعامهم وشرابهم جشاء وعرق رائحته

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ١٤٨) عن أبي سعيد وأبي هريرة معاً بتقديم الجملة الأخيرة على التي قبلها، وزاد: «وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ .أهـ ألباني

المسك، هذه نعم الله العظيمة وآياته الباهرة سبحانه وتعالى.

فحقيق بذي النفس الزكية وذي الهمة العالية، حقيق به أن يبادر وأن يشمر لطلب هذه الدار، والعمل الذي شرع الله لتحصيلها من أداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله والاستقامة على الحق والحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله والمسارعة إلى أنواع الخير والبعد عن أنواع الشر، هذا هو السبيل والطريق إلى الفوز بالجنات والسلامة من سائر العذاب، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

جاء في بعض الأحاديث أن أعمارهم ثلاث وثلاثون[١]، وفي ذلك بعض التأمل. أهـ.

* * *

وتقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه يؤتى بالموت في صورة كبش يوم القيامة، إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت في صورة كبش وينادى هؤلاء وهؤلاء، فيقال: تعرفون هذا؟ هذا الموت، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة نعيماً وراحة وسروراً، ويزداد أهل النار عذاباً وثبوراً، نسأل الله العافية.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٥) كتاب الجنة / باب ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ وأبي هريرة رضي الله عنهما، وصححه الألباني كما في الجامع الصغير (٨٠٧٢).

(٢) متفق عليه.أهـ ألباني

والموت غير ملك الموت. أهـ.

* * *

وأما أبدية النار ودوامها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي!!

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ، وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الرابع: يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها، لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه!! وهذا قول الجهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار، كما تقدم.

السادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً، لا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف كما تقدم.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا القول الأخير الثامن هو قول أهل السنة والجماعة، أن النار تبقى أبد الآباد، وأن أهلها مخلدون فيها أبد الآباد لا تنقضي ولا تزول، كما أن الجنة أهلها مخلدون أبد الآباد، هكذا أهل النار مخلدون فيها أبد الآباد، لا ينتهي عذابهم ولا تبطل حركاتهم، بل في عذاب واستمرار، نسأل الله العافية، كما قال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النبأ:٣٠-٣١] وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧] وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦] فعذاب مستمر ومستقر، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] هذا هو الذي عليه أهل الحق وقامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

إلا أنه يخرج منها عصاة الموحدين عند أهل السنة والجماعة، عصاة الموحدين لا يخلدون، خلافاً للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج والمعتزلة قالوا: من دخلها لا يخرج منها، بل عذابهم مستمر فيها أبد الآباد، حتى العصاة من الموحدين، وهذا قول باطل، قول الخوارج والمعتزلة قول باطل، بل الذي عليه أهل السنة والجماعة وتواترت به الأدلة أن العصاة من الموحدين لا يخلدون، بل يعذبون إذا دخلوها على ما شاء الله، على قدر أعمالهم الخبيثة، ثم يخرجون منها بعد التطهير

والتمحيص، لأن الجنة دار الطيبين ولا يدخلها إلا الطيبون، والعصاة فيهم خبث، فإن عفا الله عنهم فضلاً منه أو بأسباب شفاعة الشفعاء قبل دخول النار دخلوا الجنة، وصار عفو الله عنهم مطهراً لهم، فإن دخلوها بأعمالهم الخبيثة، كالزاني والسارق والعاق للوالدين وقاطع الرحم وصاحب الربا وغيرهم من العصاة الذين ماتوا غير تائبين، فهؤلاء متوعدون بالنار، والله علق مغفرتهم على مشيئته سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] فجعل أهل الشرك غير مغفور لهم، وقطع بذلك سبحانه وتعالى ولم يعلق، أما من كان على ما دون الشرك من المعاصي، فعلق سبحانه وتعالى المغفرة على مشيئته فقال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] وما دون ذلك يشمل سائر المعاصي ماعدا الشرك، فدل ذلك على أن العصاة لهم حد ولهم نهاية ثم يخرجون منها، كما جاءت به النصوص المتواترة عن رسول الله ﷺ أن العصاة يخرجون من النار، ولا يبقى في النار إلا الكفار فيخلدون فيها أبد الآباد.

أما القول السابع فهو قول بعض أهل السنة، أن العصاة يبقون في النار أحقاباً كثيرة ثم تفنى ويفنون، وهذا قول ضعيف ومرجوح وإن كان قال به بعض السلف، لكنه قول مرجوح وضعيف، بل باطل وليس بصحيح، والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة وهو كالإجماع منهم أن النار تبقى أبد الآباد لا تفنى، ويبقون بها أحقاباً بعد أحقاب لا تنتهي ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] يعني لا تنتهي، إلا أن العصاة لا يبقون فيها، بل لهم أمد ولهم خلود فيها خاص، كالقاتل والزاني لهم خلود خاص ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٩] قاتل النفس مخلد فيها،

لكنه خلود خاص ليس بمأبد، فإن الخلود خلودان عند العرب: خلود له نهاية، وهذا هو الخلود الذي وعد به بعض العصاة، كالقاتل نفسه والقاتل غيره عمداً والزاني، هؤلاء جاء فيهم خلود خاص له حد وله أمد ينتهي إليه.

أما خلود الكفرة فهو خلود ليس له أمد، بل هو خلود مستمر، نعوذ بالله من ذلك، هذه مسألة عظيمة ينبغي أن نحفظها جيداً ونعقلها جيداً، كما بين أهل السنة وكما ذكر الشارح هنا.

وقد ذكر ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليهما ذكرا وجوهاً كثيرة لمن قال بفناء النار من السلف، وبسطا القول في ذلك وذكر الحجة الأخرى، وبين ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب أن الصواب هو ما عليه عامة أهل السنة، وهو أن النار تبقى أبداً ولا تنقطع ولا تزول، بل تبقى أبد الآباد بعد خروج الموحدين العصاة، قال: هؤلاء هم الذين تفنى نارهم، نار الموحدين تفنى وتذهب بخروجهم منها، أما نار الكفار وما أعد الله لهم فهي تبقى أبد الآباد، نسأل الله العافية.

والنار أنواع متفاوتة، بعضها أشد من بعض، وهي دركات بعضها تحت بعض، والطبقة الأسفل هي الأشد حراً، هي الأشد بلاء، وأسفلها الدرك الأسفل من النار لأهل النفاق ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] نسأل الله العافية، وجاء في الحديث الصحيح أن الكفار يعظمون فيها(١).

وابن القيم ذكر مسألة فناء النار ولا أعلم أنه صرح بفناء النار في كتبه، إنما ذكر الحجج، سرد هذه وهذه، ومقامه هو مقام التوقف، إلا في الوابل صرح بأن نار العصاة الموحدين هي التي تفنى، أما النار التي

---

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

أعدها الله للكفار هي التي تبقى أبد الآباد.

وكلام ابن القيم أن نار العصاة تفنى وأنه قسم النار إلى قسمين محل نظر، وأما كونها تفنى فهذا شيء ثان، والجدل في هذا محل نظر، قد تضاف إلى نار أخرى، وقد تزول كما قال، وقد تضاف إلى النار العظمى، نسأل الله العافية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] يدخل فيها تارك الأوامر وفاعل النواهي، ما عدا الصلاة، فإن الحق أن تاركها كافر كفراً أكبر، نسأل الله السلامة، هذا هو الصواب فيها، أما الزكاة والصوم والحج فالجمهور على أن تاركها من غير جحد لوجوبها، لم يجحد وجوبها ولكن تركها من غير جحد، فهذا لا يكفر، ولكن يكون له حكم العصاة أهل الكبائر، وأما تارك الصلاة فاختلف العلماء فيه اختلافاً كبيراً، ولكن الراجح والأصح أن تاركها كافر كفراً أكبر، لقول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**» خرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه[(١)]، ولقول النبي ﷺ أيضاً: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» خرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن بريدة رضي الله عنه[(٢)]،

---

(١) مسلم (٨٢) كتاب الإيمان / باب بيان إطلاق اسم الكفر على ترك الصلاة، وأبو داود (٤٥١٣) كتاب السنة / باب في رد الإرجاء، والترمذي (٢٦٢٠) كتاب الإيمان / باب ما جاء في ترك الصلاة، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) الترمذي (٢٦٢١) كتاب الإيمان / باب ما جاء في ترك الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة / باب الحكم في تارك الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة / باب الحكم في تارك الصلاة، وابن ماجه (١١١٢) إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، من حديث بريدة رضي الله عنه وانظر تصحيح الشيخ الألباني في كتابه «حكم تارك الصلاة» (٦٤-٦).

ولحديث: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة**»[(١)] وحديث أن النبي ﷺ بايع أصحابه أن لا ينازعوا الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[(٢)] وفي اللفظ الآخر قال: «**ما أقاموا فيكم الصلاة**»[(٣)] فدل ذلك على أن الذي لا يقيم الصلاة هذا كافر كفراً بواحاً، ولأحاديث أخرى.

سؤال/ بعضهم يحتجون بحديث معاذ على أن تارك الصلاة كافر كفراً دون كفر!!

أجاب سماحة الشيخ: حديث معاذ وغيره كله بابه واحد لأن تارك الصلاة كافر، حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[(٤)] ومن ترك الصلاة فقد كفر، فقد أشرك. أهـ.

* * *

---

(١) الترمذي (٢٦١٦) كتاب الإيمان / باب ما جاء في حرمة الصلاة، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤) التفسير / باب قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٠ كتاب السير / باب أصل فرض الجهاد، وفي شعب الإيمان ٣/ ٣٨ (٢٨٠٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة ٣/ ١١٤.

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٦) كتاب الفتن / باب قول النبي ﷺ «ستروت بعدي أموراً تكرهونها» و(٧١٩٩-٧٢٠٠) كتاب الأحكام / باب كيف يبايع الإمام الناس؟ ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث عبادة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٥) كتاب الإمارة / باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث معاذ رضي الله عنه، وتقدم.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما، فمن أدلة القول الأول منهما: قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ وهذا القول، أعني القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم وقد روى عبد بن حميد في تفسيره المشهور، بسنده إلى عمر رضي الله عنه، أنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه[1]، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قالوا: والنار

---

(١) ضعيف، لأنه من رواية الحسن، قال: قال عمر: والحسن لم يدرك عمر رضي الله عنه، وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢/ ٧١ طبع الكردي) عقبه: «والحسن لم يسمع من عمر» ومع ذلك فقد حاول تقويته بكلام خطابي لا غناء فيه «وحسبك بهذا الإسناد جلالة! والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال: قال عمر بن الخطاب»!.

قلت: وهذا كلام عجيب من مثل ابن القيم رحمه الله، لأن معناه الاحتجاج بحديث التابعي المجهول العين! لأنه إذا كان الحسن قد أخذه من بعض التابعين، فمن هو؟ وما حاله في الحديث حفظاً وضبطاً؟ أليس منطق ابن القيم هذا يؤدي إلى قلب القواعد الأصولية الحديثية التي تجعل حديث المجهول ضعيفاً، والحديث المرسل والمنقطع ضعيفا كذلك، لأنهما يرجعان إلى راو لم يذكر ولم يسم؟! ويؤدي كذلك إلى قبول أحاديث الحسن البصري المعنعنة، فضلاً عن المنقطعة والمرسلة، مثل حديثه عن سمرة «لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبدالحارث، فسمته عبدالحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» وهو حديث ضعيف، بل باطل، ولا علة فيه سوى عنعنة الحسن البصري، وقد فسر هو الآية التي فسرها بعض المفسرين بهذا الحديث، =

موجب غضبه، والجنة موجب رحمته.

وقد قال ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[(١)] وفي رواية: «تغلب غضبي» رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ و﴿أَلِيمٍ﴾ و﴿عَقِيمٍ﴾ ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم

= فسرها الحسن نفسه بغير ما دل عليه حديثه، وتبعه على ذلك بعض المحققين، منهم ابن القيم نفسه، كما بينت ذلك في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٤٢)، ومثل حديثه المرسل في إبطال الوضوء بالقهقهة، وهو ضعيف باتفاق المحدثين.

سامح الله ابن القيم وغفر له، فإنه بتصحيحه لمثل هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه يفتح باباً كبيراً لبعض الفرق الضالة يلجأون فيه إلى تأييد ضلالهم، كالقاديانية، فإن من ضلالهم القول بفناء النار، وانتهاء عذاب الكفار، كما بينته في السلسلة المشار إليها عند الكلام على الحديث الذي في معنى هذا الأثر، وكنت أشرت إليه في الكلام على هذا الأثر، فلما وقفت على إسناده تكلمت عليه بتفصيل، وألحقته بالحديث المشار إليه.

وجملة القول: أن هذا الأثر لا يصح عن عمر، كما لا يصح عن غيره مرفوعاً، والله ولي التوفيق، وراجع لهذا البحث كتاب «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للعلامة الصنعاني بتقديمي وتعليقي.

وقد روي نحوه عن عبدالله بن عمرو موقوفاً بسند ضعيف، وأبي أمامة مرفوعاً بسند فيه تالف، وقد تكلمت عليه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» كما تقدم قريبا.أهـ ألباني

(١) متفق عليه، وقد تقدم.أهـ ألباني

رحمته. وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة[1]، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذا من باب الأمور المشتبهة والأمور العامة، ولكن الأدلة الخاصة والأدلة القطعية تبين هذا الشيء وأنه لا يُعوِّل عليه، لأن كل ما اشتبه من النصوص يرد إلى المحكم، والمحكم يدل على استمرار عذابهم، نعوذ بالله. أهـ.

❊ ❊ ❊

قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام؛ كله حق مسلم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد. ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الكلام في بقائها بعد خروج العصاة، تستمر أبد الآباد أم لها نهاية بعد خروج العصاة؟

أما الكفار فلا خلاف في خلودهم. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح، أخرجه مسلم في حديث لأبي هريرة في عقوبة مانع الزكاة يوم القيامة، وفي الباب عن ابن عمرو عند الحاكم (٤/ ٥٧٢) وصححه ووافقه الذهبي.أهـ ألباني

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (١) ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي مقيماً لازماً.

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله: وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو القول الحق. أهـ.

* * *

وقوله: «وخلق لهما أهلاً» قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا،

---

(١) هذه الآية في أهل الجنة، فلعله أراد آية المائدة ٣٧ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد وقع هذا الوهم لابن القيم وغيره، فانظر تعليقي على «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».أهـ ألباني

(٢) قلت: وهذه الأدلة قاطعة في بقاء النار وأهلها فيها من الكفار، بخلاف أدلة القول الذي قبله، فليس فيها شيء صريح، كما بسطه الإمام الصنعاني في «رفع الأستار» فكن رجلاً يعرف الحق بدليله وليس بالرجال، فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ .أهـ ألباني

عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً ولم يدركه، فقال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[1] رواه مسلم وأبوداود والنسائي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود من هذا بيان أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلاً يعملون بعمل أهل الجنة، وخلق النار وخلق لها أهلاً، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق الذي به دخول الجنة والنجاة من النار، وبيان الأعمال والأقوال التي من فعلها صار إلى النار، ومن فعلها صار إلى الجنة، حتى تقوم الحجة وتنقطع المعذرة ويسير الناس على صراط مستقيم، فلما قالت عائشة لهذا الطفل: عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه، بين لها النبي ﷺ أن أهل الجنة معروفون وأن أهل النار معروفون، وأن الطفل وغير الطفل معروف مصيره، ولهذا لما سئل عن أولاد المشركين قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[2] فكل ينتهي إلى ما قدر له ويعمل بما سطر عليه.

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «ظلال الجنة تخريج السنة لابن أبي عاصم» (٢٥١). أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (١٣٨٣-١٣٨٤) كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين، و(٦٥٩٧-٦٥٩٨) كتاب القدر/ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم (٢٦٥٩-٢٦٦٠) كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين، من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن أولاد المسلمين تبع أهليهم من الجنة، وأنهم لهم حكم إيمان أهلهم، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:٢١] فأولاد المسلمين تبع أهليهم في الإيمان وملحوقون بهم، والكفار أولادهم تبعهم في أحكام الدنيا، وفي أحكام الآخرة الله أعلم بما كانوا عاملين، يمتحنون يوم القيامة ثم يصيرون إلى ما ينتهون إليه من طاعة أو معصية، كما يمتحن أهل الفترات الذين ما أدركوا الرسل لأسباب أخرى من هرم أو جنون أو غير ذلك، فيمتحنون، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فليس المقصود في الحديث أن أولاد المسلمين ليسوا تبعاً لأهليهم، بل مقصود الحديث بيان أن أهل الجنة معلومون وأهل النار معلومون، ولا ينافي ما أجمع عليه أهل السنة من كون أولاد المسلمين تبعاً لأهليهم في الجنة، وأن أولاد الكفار تبع لأهليهم في أحكام الدنيا، يسبون معهم ويكون لهم حكمهم، وفي الآخرة إذا ماتوا قبل البلوغ يكون حكمهم حكم أهل الفترات، كما قال النبي ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» فيمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع صار إلى الجنة ومن عصى صار إلى النار. أهـ.

* * *

والمراد الهداية العامة، وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فالموجودات نوعان: أحدهما مسخر بطبعه، والثاني متحرك بإرادته، فهدى الأول لما سخره له طبيعة، وهدى الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره ،ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.

ونوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادة القسمين، كالإنسان.

ثم جعله ثلاثة أصناف: صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته، فيلتحق بالملائكة، وصنفاً عكسه، فيلتحق بالشياطين، وصنفاً تغلب شهوته البهيمية عقله، فيلتحق بالبهائم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في ذلك الشيء، وهو العاصي، فقد تغلبه شهوته فيلتحق بالبهائم، وقد يغلبها فيلتحق بالملائكة في السلامة والعافية، فهو بين بين، فالناس أقسام ثلاثة بالنسبة إلى الشرع: منهم من استقام إيمانه فالتحق بالملائكة في عدم المعصية، ومتى وقعت منه بادر بالتوبة منها.

وقسم غلبت عليه الشقوة فالتحق بالشياطين بشره وفساده.

وقسم تارة وتارة، تارة يقوى إيمانه فيلتحق بالقسم الأول، وتارة يضعف إيمانه فيلتحق في القسم الثاني في بعض الشيء، فيكون له شائبتان، وهم العصاة وأهل الكبائر، فهم على ما ختم لهم به، فإن ختم لهم بالتوبة التحقوا بالقسم الأول، وإن لم يختم لهم بتوبة صاروا على خطر، وهم أصحاب الشائبتين، وصاروا تحت مشيئة الله عز وجل، فإذا غلبت شهوة الزنا، التحق بالبهائم في شهوة السفاد، فإذا غلبت عليه شهوة الجبروت والظلم والعدوان، التحق بقسم البهائم كالسباع الضارية التي ليس لها إلا هم العدوان والضرر وهكذا، لأن البهيمة طبعها اتباع شهوتها، ليس لها رادع من عقلها ولا رادع من شرع، فالناس في هذا الباب لهم صفات متعددة وطبائع مختلفة، على حسب ما وفقهم الله له

من العلم والعمل، وعلى حسب ما حرموا من ذلك.

والذين وفقوا للخير أو ختم لهم به هؤلاء إلى الجنة، والذين طبعوا على الشر وصاروا إلى الشر وعصوا الرسل وخالفوهم ممن أعد إلى النار وصار إلى النار، والصنف الثالث الذي يبتلى بالمعاصي ويوفق للطاعات فهو بين بين، بين هذه وهذه، كأغلب الناس الذين استجابوا للرسل ولكن لم يحققوا اتباع الرسل، بل تارة وتارة، فهؤلاء إذا ماتوا على توبة صادقة التحقوا بالقسم الأول وهم أهل الجنة، وإن ماتوا على معاصيهم صاروا على خطر من دخول النار، وهم تحت مشيئة الله، فقد يعفى عنهم فيلتحقون بالقسم الأول، وقد لا يعفى عنهم فيلتحقون بالقسم الثاني في دخول النار دخولاً مؤقتاً.

والتعريف فيه قصور، لأنه ليس دائماً تبع البهائم، بل تارة وتارة.

والملائكة مكلفون بلا شك، مكلفون تكليفاً الله أعلم بصفته، تكليف بأن لا يعصوا الله، وتكليف بأن لا يعبدوا مع الله غيره، لكن تفاصيل تكاليفهم لماذا أمروا لماذا نهوا؟

هذا إلى الله، ما بين لنا صفته، لكنهم مكلفون بطاعات خاصة وأمور خاصة، ومنهيون، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء:٢٩] وقال: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] وقال: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]. أهـ.

سؤال/ من قال إن النبي ﷺ بعث إليهم؟

أجاب سماحة الشيخ: لا نعرف لهذا أصلاً، قال الله ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١] وهم الجن والإنس، هذا المراد هنا، وكذلك قوله جل وعلا ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٦] فهم لا يدخلون في هذا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]. أهـ.

* * *

والمقصود: أنه سبحانه أعطى الوجودين: العيني والعلمي، فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده، فلا هداية إلا بتعليمه، وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى.

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه» إلخ – مما يجب أن يعلم: أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، فإنه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

لكن إذا منَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح، ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله.

وأما المسببات بعد وجود أسبابها، فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن

أسباباً غير صالحة، إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع، وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعط ذلك ابتلاء وابتداء إلا حكمة منه وعدلاً، فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل، فإن الله تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ونحو ذلك. وسيأتي لذلك زيادة، إن شاء الله تعالى .

قوله: (والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به - تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات - فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الاستطاعة المرادة عند الإطلاق في القرآن، التي يتمكن معها من الفعل، الطاقة والوسع والقدرة من جهة الصحة ومن جهة العلم إلى غير ذلك، أما توفيق الله لعبده وكونه يوفق وكونه يهدى أو لا يُهدى، هذا إلى الله سبحانه وتعالى، هو أعلم بأحوال عباده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ش: الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين، كما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط.

وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل.

وقابلهم طائفة من أهل السنة فقالوا: لا تكون إلا مع الفعل.

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة .

سؤال/ القدرة لا تكون إلا مع الفعل، يعني أنكروا القدرة التي هي توفر الأسباب والآلات؟ هل هذا قول لبعض أهل السنة أو طائفة لأهل السنة؟

أجاب سماحته/ ما أعرف لهذا أصلاً، المعروف عند أهل السنة أن القدرة قبل الفعل، وبها يخاطب الناس ويكلفون، فالعقل قدرة قبل الفعل، فإذا لم يكن عنده عقل أو ما له قدرة فلا يخاطب، فلا يخاطب بالزكاة إلا من كان عنده مال، ولا يخاطب بالزكاة والصدقة وغيرهما إلا من كان عنده عقل، وهكذا، ولا يخاطب بالحج إلا من كان عنده استطاعة قد وجدت، وإلا فهو غير مخاطب بالأمر، قال تعالى: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:٩٧].

أما القدرة مع الفعل فليست هي القدرة التي هي توفيق الله للعبد وهدايته، هذه مع الفعل، إذا الله أرادها قارنت الفعل واهتدى، أما هذا القول فما أعرف له وجهاً. أهـ.

سؤال/ أليس هذا هو قول الجبرية، يقولون: لا تكون الاستطاعة إلا مع التوفيق؟

أجاب سماحته/ هذا هو مقتضى مذهبهم الباطل، لأنهم ما عندهم للعبد فعل ولا اختيار، والبحث فيه بعض الغموض، فليراجع في الأصول الأخرى، خصوصاً هذا القول الشاذ لبعض أهل السنة، وأظنه وهماً من الشارح. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات - فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج، ولم يعاقب أحداً على ترك الحج! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق! وهذا معلوم الفساد، وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات، وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل - ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾

إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ والمراد: استطاعة الآلات والأسباب، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[1] إنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» إن شاء الله تعالى.

وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ وقوله: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك؟ ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أمر به، أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به.

ومن قال: إن القدرة لا تكون إلا حين الفعل - يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين، فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهي مستلزمة له، لا توجد بدونه.

وما قالته القدرية - بناء على أصلهم الفاسد، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع

---

(١) البخاري وغيره «صفة الصلاة» ص (٥٨ـ الطبعة الحادية عشرة). أهـ ألباني

بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية! كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفاً، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا قول القدرية النفاة الذين ينفون القدر، والمعتزلة أيضاً، وهم المراد عند الإطلاق، إذا أطلق القدرية فهم المراد، النفاة، أما القدرية المجبرة فهم في الغالب يسمون المجبرة والجبرية، وهم الذين يقولون: ليس للعبد فعل ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مهب الريح ليس له قدرة، وهذا من أفسد الأقوال، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ فالقدرية يقولون: إن هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأيضاً خصهم بهذا ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات:٨]. أهـ.

* * *

والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وأمثال هذه الآية في القرآن كثير، يبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا، قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

وأيضاً فقول القائل: يرجح بلا مرجح - إن كان لقوله: يرجح، معنى زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح! وهذا مكابرة للعقل!! فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء - امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للتارك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى.

وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلهذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل!

وهذا باطل مطلقاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل، فنقيض قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا حزبين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا

معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض، فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل.

والصواب: أن القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز، كما تقدم.

وأيضاً: فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه.

فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع، لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً بالمفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الاستطاعة في الشرع أوسع منها في الاستطاعة في نفس الأمر، فقد يكون الشيء ممكناً لكن ليس مستطيعاً في الشرع لما فيه من الضرر عليه،

فالاستطاعة الشرعية أوسع، الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم قد يكون عند الإنسان استطاعة كاملة للفعل، ولكن ما فيه من الغيرة وما فيه من قوة كمال الدين قد يحملانه على عدم الصبر على ذاك الشيء، قد تكون قوته واستطاعته لا تتحمل الصبر على هذا الشيء، بل عنده من الاندفاع والغيرة وشدة الحرص على تنفيذ أمر الله ما يمنعه من الصبر والثبوت وعدم الفعل، كما جرى لموسى مع الخضر، وكما قد يجري لكثير من الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في الغيرة على بعض أهله أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الاستطاعة الشرعية أوسع وأخف وأيسر من الاستطاعة التي في نفس الأمر، وهي الاستطاعة الإمكانية، ولك أن تقول: الاستطاعة الحسية، فالاستطاعة الحسية أضيق.

ومن وجب عليه صوم شهرين لكنه ينقطع عن معيشته فإنه ينتقل إلى الإطعام، وإن كان في القتل يؤجل إلى أن يتيسر له ما يعينه على المعيشة حتى يصوم. أهـ.

* * *

فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة، فكيف يكلف مع العجز؟

ولكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة تدخل فيها الإرادة الجازمة، بخلاف المشروطة في التكليف، فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه، وهكذا أمر الناس بعضهم لبعض،

فالإنسان يأمر عبده بما لا يريده العبد، لكن لا يأمره بما يعجز عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقوة التامة، لزم وجود الفعل، وعلى هذا ينبني تكليف ما لا يطاق، فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل؛ يقول: كل كافر وفاسق قد كلف ما لا يطيق، وما لا يطاق يفسر بشيئين:

بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً.

ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف! ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة .

قوله: (وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد).

ش: اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية، فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «من جميع الحيوانات»حيوانات مكلفة، كبني آدم والجن، أو غير مكلفة كالحيوانات الأخرى من الإبل والبقر والغنم.

وهذان طرفان ووسط، مثل ما قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في الواسطية: «وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية» فالجبرية

أجبروا، وقالوا: ليس للعبد فعل، وإنما هو كالريشة في مهب الريح وكأغصان الشجر وما أشبه ذلك، والقدرية النفاة قابلوهم وقالوا: إن أفعال العباد ليس لله فيها اختيار ولا عمل ولا قدر سبق، وكلاهما ضال في هذا، قولان ضالان خاطئان باطلان. والقول الوسط قول أهل السنة والجماعة، وهو أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي من أفعالهم منسوبة إليهم، لكنها بقدر سابق، وهي منسوبة إلى أهلها، فالعبد هو المصلي وهو الصائم، وهو الزاني وهو السارق وهو الفاسق، فأفعالهم تنسب إليهم، ولهم فيها اختيار ولهم مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله وبعد قدره السابق، لا يقع في ملكه ما لا يريد سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير:٢٨] أثبت لهم الفعل، ثم قال: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٩] وقال: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المدثر:٥٥-٥٦] وقال: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الأنفال:٦٧] وقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠] ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:٨٨] إلى غير هذا من الأدلة الدالة على أن لهم أفعالاً ولهم أعمالاً، وعلى أن لهم اختياراً ولهم مشيئة، لكنها لا تقع إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، لكمال ملكه وكمال قدرته لا يقع في ملكه ما لا يريد. أهـ.

سؤال/ هل يقال عن الإنسان إنه حيوان؟

أجاب سماحته: نعم، حيوان ناطق. أهـ.

❊ ❊ ❊

واختلفوا فيما بينهم: أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، كما عملت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا.

والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتوا خالقَين، وهم أثبتوا خالقِين!! وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى؛ فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد ألف في هذا المعنى الإمام البخاري كتابه المشهور: «خلق أفعال العباد» بيّن في هذا المعنى، وأن الأدلة قائمة على أن الله خلق أفعالهم وشاء ما وقع، وأنهم فاعلون حقيقة، تنسب إليهم أفعالهم، فيذمون على خبيثها ويمدحون على طيبها، والله جل وعلا خالقهم وخالق أفعالهم. أهـ.

* * *

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً، ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر، ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل:

فمما استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد، قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»(١).

ومما استدل به القدرية،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني النفاة، إذا قيل القدرية فهم النفاة، وإذا قيل الجبرية فهم القدرية المجبرة. أهـ.

* * *

(١) مسلم، عن أبي هريرة وجابر وعائشة بألفاظ متقاربة. أهـ ألباني

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله رمياً، بقوله: ﴿إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ - والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت!! وفساد هذا ظاهر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولازم قولهم باطل كبير وشر عظيم، فالله جل وعلا هو الذي سدده في الرماية ووفق المجاهدين حتى انهزم عدوهم، فالمجاهدون يوم بدر رموا وفعلوا ما يستطيعون من الكيد للعدو والحرص على هزيمته بما استطاعوا من رمي ومن ضرب بالسيف والرمح، ومن حملات متنوعة على العدو ومن انتهاز فرصة غرته، وغير هذا مما يحاوله المجاهد مع خصمه، والتوفيق بيد الله، هو الذي يوفق في الرماية ويسدد حتى يصيبوا وحتى يؤثروا في عدوهم وحتى ينهزم عدوهم وحتى يلقى في قلوبهم الرعب، إلى غير ذلك، فالأفعال موجودة من المجاهدين، وأما كونها تنجح وكون الرمي يصيب وكون العدو ينهزم وكونه يقع في قلبه الرعب والذل، فهذا شيء

بيد الله جل وعلا، وهو الذي يسدد الخُطا ويعين على ما يقع، سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

والباء التي في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وغيرها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن الله جعل الأعمال أسباباً للجنة كما جعلها أسباباً للنار، وأما كونه أدخلهم الجنة ومنّ عليهم بالجنة، فهذا فضله سبحانه ورحمته إياهم، ومن رحمته جعل أعمالهم سبباً لدخول الجنة وتقبلها منهم وعفا عن سيئاتهم، وهذا محض جوده سبحانه وتعالى، ولهذا لما ذكر تحبيبه للإيمان وتكريهه للكفر قال: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [الحجرات:٨] ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ [الحجرات:٧-٨]. أهـ.

* * *

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فمعنى الآية: أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم: ﴿كُلِّ﴾.

وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم: ﴿كُلِّ﴾ الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم: ﴿كُلِّ﴾!! وهل يدخل في عموم: ﴿كُلِّ﴾ إلا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] يعني الله بصفاته وليس مجرد الذات، الله بصفاته خالق كل شيء ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣] فالله بصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، من سماء وأرض وجن وإنس وملائكة وغيرهم هم المخلوقون، ذواتهم وأفعالهم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] يعني المقدرين والمصورين للأشياء، يقال خلق كذا يعني قدّره وتأمله وصوّره في نفسه أو في صفاته أو في شيء ثان.

ومن هذا قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

يعني يقدِّر ولكن ما يحصل منه الإيجاد والفعل، لا يوجد الأشياء ويشق الطريق ويعمل لعجزه وقلة بصيرته، والخلق ليس من أسمائهم

الموجدين والمحدثين والمنشئين، ليس هناك خالق غير الله سبحانه وتعالى. أهـ.

سؤال/ هل يجوز أن يقال: إن النجار مثلاً خلق هذا المصنوع؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: نعم، هذا المراد منه، يعني قدّره وصوّره في نفسه. أهـ.

* * *

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ولا نقول إن: (ما) مصدرية، أي خلقكم وعملكم - إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير.

وذكر أبوالحسين البصري إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله - ضروري.

وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عنده عدمه - ضروري.

وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة -غير مسلم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم، بل مزقتهم كل ممزق، وهي: أنهم قالوا كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟

وهذا السؤال لم يزل مطروقاً في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل، وسدت باب السؤال، وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل! جعلت الثواب والعقاب عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين، ومفعول بين فاعلين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

يقال: هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه، من محبة الله وعبوديته، والإنابة إليه؛ عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وقال إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾.

والإخلاص: خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان، وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟

قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ في حديث الاستفتاح: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»[١] وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول الله له:

(١) صحيح، وهو طرف من حديث علي في دعاء الاستفتاح، وهو مخرج في صفة الصلاة (ص٧٣) الطبعة الحادية عشر. أهـ ألباني. =

«يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[(١)].

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه؛ عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا عدم وخلو من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسل، فلله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها، لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

= قال شاكر: رواه أحمد في المسند رقم ٨٠٣، ومسلم في الصحيح ١/ ٢١٥ في حديث طويل من حديث علي بن أبي طالب، وكان في المطبوعة هنا «بيديك» وأثبتنا ما هو الثابت في المسند والصحيح.أهـ

(١) رواه البزار عن حذيفة موقوفاً ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الأوسط عنه مرفوعاً، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، كذا في المجمع (١٠/ ٣٧٧). وقلت ومن طريق الليث أخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٥٧٤)وقال: «وقد استشهد بليث بن أبي سليم».أهـ ألباني

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيبين له محبين له؟ أم ذلك محض جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟

قيل: لا، بل هو محض منته وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يتقي من الشر إلا ما وقاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال؟ وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون؟

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومنته عليه؛ لم يكن ظالماً بمنعه، فمنع الحق ظلم، ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المنان بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة، فهلا كان العمل

له والغلبة، كما أن رحمته تغلب غضبه؟

قيل: المقصود في هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع، والمنع المستلزم للعقوبة - ليس بظلم، بل هو محض العدل.

وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال؟ وهلا سوى بين العباد في الفضل؟ وهذا السؤال حاصله: لم تفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟

وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هم أجراً أجراً، قال: «هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[١] وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد، حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال محال ذلك، استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] هو أعلم بمحل رضاه ومحل فضله ومحل عدله سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري في حديث لابن عمر أوله «إنما بقاؤكم..».أهـ ألباني

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَهَٰؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾؟ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فتأمل هذا الجواب، تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.

فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذاً لا فعل للعبد أصلاً؟

قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ وأمثال ذلك، وإذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية.

والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة، والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه

سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع: الجبل دون الجبر، كما قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إن فيك لخلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلت عليهما» فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى(١)، والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري.

والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟! كان بمنزلة أن يقال: خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم!! فكما أن هذا سبب للموت، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد» أثبت للعباد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق لله تعالى.

والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

قوله: (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد، ولا تحول لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة

---

(١) مسلم وغيره عن ابن عباس، وهو مخرج في «الروض النضير» (٤٠٦).أهـ ألباني

لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

ش: فقوله: «لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون» قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ وعند أبي الحسن الأشعري أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ثم تردد أصحابه أنه: هل ورد به الشرع أم لا؟

واحتج من قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان، فإنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع: فلا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه كما تقدم في تفسير الاستطاعة، ولا يلزم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم» وأمثال ذلك؛ لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب فاعله ويعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز، وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ لأن تحميل ما لا يطاق ليس تكليفاً، بل يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه فيموت، وقال ابن الأنباري: أي لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه، قال: فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول

للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب، كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ومنهم من يقول: يجوز تكليف الممتنع عادة، دون الممتنع لذاته، لأن ذلك لا يتصور وجوده، فلا يعقل الأمر به، بخلاف هذا.

ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه، بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده، فإنه يجوز تكليفه، وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى، لكن كونهم جعلوا ما يتركه العبد لا يطاق لكونه تاركاً له مشتغلاً بضده؛ بدعة في الشرع واللغة، فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه! وهم التزموا هذا، لقولهم: إن الطاقة - التي هي الاستطاعة وهي القدرة - لا تكون إلا مع الفعل! فقالوا: كل من لم يفعل فعلاً فإنه لا يطيقه!

وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء، كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الاستطاعة .

وأما ما لا يكون إلا مقارناً للفعل، فذلك ليس شرطاً في التكليف، مع أنه في الحقيقة إنما هناك إرادة الفعل، وقد يحتجون بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ليس في ذلك إرادة ما سموه استطاعة، وهو ما لا يكون إلا مع الفعل، فإن الله ذم هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السمع، ولو أراد بذلك المقارن لكان جميع الخلق لا يستطيعون السمع قبل السمع! فلم يكن لتخصيص هؤلاء بذلك معنى، ولكن هؤلاء لبغضهم الحق وثقله عليهم، إما حسداً لصاحبه، وإما اتباعاً للهوى؛ لا يستطيعون السمع، وموسى عليه السلام لا

يستطيع الصبر، لمخالفة ما يراه لظاهر الشرع، وليس عنده منه علم، وهذه لغة العرب وسائر الأمم، فمن يبغض غيره يقال: إنه لا يستطيع الإحسان إليه، ومن يحبه يقال: إنه لا يستطيع عقوبته، لشدة محبته له، لا لعجزه عن عقوبته، فيقال ذلك للمبالغة، كما تقول: لأضربنه حتى يموت، والمراد الضرب الشديد، وليس هذا عذراً، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا البحث الذي ذكره المؤلف كله مما أنتجه الكلام المذموم والخوض الذي لا خير فيه، ولهذا ذم السلف الكلام وأهله وذموا الخوض في ذلك، فإن كلام الله واضح، وهذه المسألة من أوضح الواضحات وأبين البينات، فإنه سبحانه أخبر عباده أنه لا يكلفهم إلا وسعهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون جل وعلا، لكمال حكمته وكمال عدله سبحانه وتعالى، فليس في هذا شيء يشكل أو يحتاج إلى هذا البحث الكثير، ولكن أهلام الكلام وتشقيقهم الكلام واعتراضهم على ما قدره الله سبحانه وتعالى ومضى في علمه ونزاعهم في إثبات القدر، وغير ذلك من البحوث العظيمة، هو الذي يسبب لهم هذا التشويش، وإلا فالأمر واضح ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] يدعون ربهم جل وعلا، وقد وعدهم سبحانه وأخبر أنه لا

يكلف نفساً إلا وسعها.

فالمقصود أن الله جل وعلا لكمال علمه وكمال حكمته وكمال غناه ليس فيه حاجة إلى أن يكلف الناس ما لا يطيقون وما لا يستطيعون، وإنما كلفهم من الشرائع ما في وسعهم، فالصلاة في وسعهم والصيام في وسعهم والحج في وسعهم مع الاستطاعة، وغير ذلك مما كلفهم به سبحانه وتعالى كله في الوسع، كذلك تكليفه العباد جميعاً أن يوحدوا الله وأن يطيعوا رسله، وإن كان قد مضى في علمه وقدره من هو المسلم ومن هو الكافر، كل هذا موافق لما أخبر به سبحانه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، أما ما مضى في علمه وقدره فله فيه الحكمة البالغة سبحانه وتعالى.

فالعبد له اختيار وله مشيئة وله قدر متنوعة، فهو مستطيع لما أمر به شرعاً، ولكمال حكمته وكمال قدرته وكمال غناه سبحانه وتعالى أمرهم بما فيه خيرهم وبما فيه صلاحهم، ولم يكلفهم ما يشق عليهم ولا يطيقون، فكلها ميسرة بحمد الله، فشرع شرائع ميسرة ليس فيها مشقة، بل هي الحنيفية السمحة، وقد قال لمبعوثيه عليه الصلاة والسلام: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»(١) وقال لمعاذ وأبي موسى: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**»(٢) فالأمر واضح لا يحتاج

---

(١) رواه البخاري (٦٩) كتاب العلم / باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، و(٦١٢٥) كتاب الأدب / باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**» من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (١٧٣٢) كتاب الجهاد والسير / باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، وأبو داود (٤٦٦٨) كتاب الأدب / باب في كراهية المراء، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٢٤) كتاب الأدب / باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**» من حديث أنس رضي الله عنه، و(٣٠٣٨) كتاب الجهاد والسير / باب ما يكره من التنازع والاختلاف =

إلى مزيد هذا الكلام. أهـ.

* * *

وقوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» إلى آخر كلامه - أي: ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق، لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله - دليل على إثبات القدر، وقد فسرها الشيخ بعدها.

ولكن في كلام الشيخ إشكال: فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قد قال: «لا يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم» وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.

ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم: أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، ففي العبارة قلق، فتأمله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والحاصل أنها لا حاجة إليها، وأنها غلط لا وجه لها «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» هذا تكلف

= في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، و(٤٣٤١-٤٣٤٢-٤٣٤٤) كتاب المغازي / باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، و(٧١٧٢) كتاب الأحكام / باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا، ومسلم (١٧٣٣) كتاب الجهاد والسير / باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

لا وجه له، ومن قال لهم هذا؟

ولكن دخل عليه من بعض أهل الكلام المذموم، فالله سبحانه وتعالى لو كلفهم ست صلوات لأطاقوا، ولو كلفهم صيام شهرين لأطاقوا، ولو كلفهم الحج في العمر مرتين لأطاقوا، ولكنه يسر وسهل سبحانه وتعالى، فالعبارة الأخيرة: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» كما قال الشارح لا وجه لها ولا حاجة إليها، بل هي تكلف. أهـ.

* * *

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره» يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك.

أما القضاء الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ والقضاء الديني الشرعي، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وأما الإرادة الكونية والدينية، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: «ولا يكون إلا ما يريد».

وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ في أحد الأقوال، وهو أقواها، والأمر الشرعي، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.

وأما الإذن الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والإذن الشرعي، في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وأما الكتاب الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ والكتاب الشرعي الديني، في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

وأما الحكم الكوني، ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ والحكم الشرعي، في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾.

وأما التحريم الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا قوله تعالى: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢]. أهـ.

❊ ❊ ❊

والتحريم الشرعي، في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية.

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ وفي قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»(١) والكلمات الشرعية الدينية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

وقوله: «يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً» الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم! فإن ذلك تمثيل لله بخلقه! وقياس له عليهم! هو الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون، وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم! بل كل ما كان ممكناً فهو منه - لو فعله - عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك. فإن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يدل على نقيض هذا القول.

---

(١) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا واضح جداً، فإنه سبحانه على كل شيء قدير، وكل شيء بحقه ممكن، وهو منزه عن الظلم، والقول بأن كل ما كان ممكناً فليس بظلم، هذا من أقبح الغلط، ولكنه جل وعلا مع قدرته على أن يفعل ما يشاء يتنزه عن ظلم عباده وأن يعاقبهم بشيء لا يستحقونه سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء:٤٠] فهو قادر على أن يعذب أنبياءه وأن يعذب رسله وأولياءه، ولكنه لا يفعل هذا سبحانه وتعالى لأنه وضع للشيء في غير موضعه، وهو منزه عن ذلك، فالظلم ليس عدم المقدرة على الممكنات، ولكنه وضع الشيء في غير موضعه، ووضع الشيء في غير موضعه يسمى ظلماً في لغة العرب، وهو سبحانه منزه عن ذلك، فالإنسان مثلاً يستطيع أن يعذب ولده ويعذب زوجته ويعذب دابته ويسمى بهذا ظالماً، لأنه وضع الشيء في غير موضعه، فإذا ضرب زوجته بغير حق أو ضرب ولده بغير حق أو آذى دابته على غير وجه الشرع، وهكذا ما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والله جل وعلا ليس بظلام للعباد، وقد قال النبي ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٢) فوضع الأشياء في غير مواضعها يسمى ظلماً، ولهذا سمى الله

---

(١) مسلم، وتقدم «مختصر صحيح مسلم» (١٨٢٨).أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧) كتاب المظالم / باب الظلم ظلمات يوم القيامة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم، من =

الشرك ظلماً، بل هو أقبح الظلم ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] لأنه وضع العبادة في غير موضعها، محل العبادة لله وحده، فمن وضعها للإنسان أو للأصنام أو للأشجار أو للأخيار أو للأولياء أو للأنبياء صار ظالماً ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] لأنهم وضعوا العبادات في غير محلها، والعبد قادر على أن يضرب ولده الصغير الذي دونه في القوة وأن يضرب عبده وأن يذبح عبده، فإذا فعل ذلك صار ظالماً وإن كان قادراً، لأنه وضع الشيء في غير موضعه.

فربنا جل وعلا قادر على كل شيء، فهو القادر على أن يعذب من شاء من عباده بغير جريمة، ولكنه يتنزه عن هذا ويتقدس لأنه الحكم العدل سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

فهذا دل على شيئين: أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك.

فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يتضح لذي

= حديث جابر رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢٠٣٠) كتاب البر والصلة / باب ما جاء في الظلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

البصيرة ما يترتب على الخوض والكلام المتلقى عن الفلاسفة وعن أرباب العقائد الفاسدة من الشر العظيم، فإن من تلقى علومه عن أولئك الضالين وقع في الأغلاط الكثيرة، ومن تلقى علومه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعن سلف هذه الأمة وخيارها سلم من هذه البلايا والمحن، وحصل له العلم النافع والبصيرة النافذة والسلامة من تلك الأقوال الضارة الظالمة الخاطئة الفاسدة، التي يكفي تصورها في فسادها. أهـ.

* * *

وأيضاً: فإن قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قد فسره السلف، بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وأيضاً فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك، وإنما يأمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه، وكذا قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لم يعن بها نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم.

فعلى قول هؤلاء ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له!!

والقرآن يدل على نقيض هذا القول، في مواضع، نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ إنكار منه على من جوز أن يسوي الله بين هذا وهذا، وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيء قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه.

وروى أبوداود، والحاكم في المستدرك، من حديث ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت، عن النبي ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»(١) وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية، وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة! ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل!!

---

(١) صحيح، وقد خرجته في «تخريج السنة» (٢٤٥).أهـ ألباني

قال شاكر: هذا جزء من حديث طويل، رواه أبو داود ٤٦٩٩ ورواه ابن ماجه ٧٧ بأطول منه، وروى بعضه أحمد في المسند ٥/ ١٨٢-١٨٣-١٨٥-١٨٩ (طبعة الحلبي) وخفي علي موضعه في مستدرك الحاكم، بعد طول البحث، ولكن الشارح أخطأ في ذكر الصحابة الذين رووه، فلم يروه ابن عباس، ولا عبادة بن الصامت، وإنما الثابت في هذه الروايات أن ابن الديلمي سأل أبي بن كعب عن شيء من القدر فأجابه، ثم سأل ابن مسعود فأجابه بمثله، ثم سأل حذيفة بن اليمان فقال له مثل ما قالا، ثم سأل زيد بن ثابت فأجاب كذلك، ولكنه ذكر له أنه سمع هذا من رسول الله ﷺ، فالحديث موقوف عن أولئك الثلاثة، مرفوع عن زيد بن ثابت وحده، ولكن الموقوف عنهم هو موقوف لفظاً مرفوع حكماً، لأنه مما لا يعلم بالرأي، وهو حديث صحيح رجاله ثقات.أهـ

وأسعد الناس به أهل السنة، الذين قابلوه بالتصديق، وعلموا من عظمة الله وجلاله، قدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، وإما تقصيراً في المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أنه لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، يعني لعذبهم بجرائم اقترفوها ومعاصٍ فعلوها، ولكنه سبحانه مضى في عمله وحكمته وقدره أن رحمته أوسع لهم وخير لهم من أعمالهم، وأن رحمته سبقت غضبه، ولهذا يعفو كثيراً ويصفح كثيراً ويمن بالتوبة على من تاب، فلهذا كانت رحمته أوسع ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦] هذا من رحمته جل وعلا، لو آخذه بذنبه ولم يقبل توبته لكان عدلاً منه، لأنه مجرم، ولكن فضلاً منه قبل التوبة سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وتكون قوة الحب والإنابة، والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء؛ جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليهه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته، ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس تشح به، وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه، وإن أتى به من وجه آخر.

فأين الذي لا تقع منه إرادة تزاحم مراد الله وما يحبه منه؟ ومن ذا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له، ولو في وقت من الأوقات؟

فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه، لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً لهم، وغاية ما يقدر، توبة العبد من ذلك واعترافه، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالماً ولو قدر أنه تاب منها، لكن أوجب على نفسه - بمقتضى فضله ورحمته - أنه لا يعذب من تاب، وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل الجنة، كما قال أطوع الناس لربه، وأفضلهم عملاً، وأشدهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «لن ينجي أحداً منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[١] وسأله الصديق دعاء يدعو به صلاته، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك الغفور الرحيم»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا يقال للصدِّيق، يُعلّم هذا الدعاء وهو أفضل الخلق وأعظمهم تصديقاً وأكملهم إيماناً بعد الرسل والأنبياء، يقال له: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» يعلّم هذا الدعاء العظيم، أن يعترف بأنه ظلم نفسه ظلماً

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وتقدم بنحوه.أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق، انظر «مسند أبي بكر الصديق - طبع المكتب الإسلامي ص١٢٢».أهـ ألباني

كثيراً، وفي اللفظ الآخر: «كبيراً»[1] فعلم بذلك أن العبد محل الذنوب ومحل التقصير إلا ما عفا الله عنه عز وجل. أهـ.

*   *   *

فإذا كان هذا حال الصديق، الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين - فما الظن بسواه؟

بل إنما صار صديقاً بتوفيته هذا المقام حقه، الذي يتضمن معرفة ربه، وحقه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره.

فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية!! فإن لم يتسع فهمك لهذا، فانزل إلى وطأة النعيم، وما عليها من الحقوق، ووازن من شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات).

ش: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج:

فعن محمد بن الحسن: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة، والحج للحاج.

---

(١) رواه البخاري (٨٣٤) كتاب الأذان / باب الدعاء قبل السلام، و(٦٣٢٦) كتاب الدعوات / باب الدعاء في الصلاة، و(٧٣٨٧) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ومسلم (٢٧٠٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب الدعوات والتعوذ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وعند عامة العلماء: ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

واختلف في العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر: فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها.

والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره، وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده»[1] فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا لا يقدح فيما قاله أهل العلم، فإن الميت ينتفع بما تسبب فيه في حياته من صدقات أجراها وأوقاف، ومن علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، فإن ولده من كسبه، وينتفع أيضاً بما وصل إليه من إخوانه المسلمين، فإن الرسول ﷺ قال: «انقطع عمله» عمله هو، ولم يقل انقطع عنه من كل الناس من أعمال الناس، إنما انقطع عمله هو «إلا من ثلاث:صدقة جارية»مثل المساجد التي عمرها، مثل الأوقاف التي سبلها في وجوه الخير، أو أنهار أجراها، أو بيوت لأبناء السبيل، للفقراء ولطلبة العلم سبلها وما أشبه ذلك، هذه

---

(١) مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» ص (١٧٤).أهـ ألباني

تبقى له ينتفع بها بعد وفاته، كذلك العلوم التي حصل بها نفع، كتب ألفها، علوم علمها للناس بقيت في تلاميذه وأتباعه ينتفعون بها، وهكذا أولاده الصالحون إذا دعوا له ينتفع بدعائهم، وينتفع أيضاً بدعاء غيره من المسلمين، هذا من عمل غيره مما أحسن به غيره إليه، ولهذا شرع الله لنا أن نقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:١٠] ندعو لهم بنص القرآن، وجاءت السنة المتواترة والمستفيضة عن النبي ﷺ بالدعاء للمسلمين وللأموات بالصلاة على الجنازة، وهذا ينفع الميت بإجماع أهل السنة والجماعة، وقد أجمع العلماء المعتد بهم على أن الميت ينتفع بدعاء غيره وصدقة غيره عنه، وفي الصحيحين أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أمي ماتت ولم توص، وفي اللفظ الآخر: إن رجلاً قال: يا رسول الله: إن أمي ماتت ولم توص أفلها أجر إذا تصدقت عنها؟

قال النبي ﷺ: «**نعم**» لها الأجر(١).

وقد أجمع العلماء قاطبة على أن الصدقة تنفع الميت، صدقة غيره عنه، صدقة المسلمين عنه من أولاده وغيرهم، إن تصدقوا عنه نفعه ذلك، والولد يشمل الذكر والأنثى، مثل ما في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١] وينتفع بالنص أيضاً بالصوم عنه، إذا مات وعليه صيام صام عنه وليه، ينتفع بذلك، وإذا حُج عنه كذلك ينتفع بالحج والعمرة بالنص، واختلفوا في ما سوى ذلك كالصلاة عنه والصوم عنه تطوعاً والقراءة عنه، يقرأ القرآن ثم يهبه له، هل

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٨) كتاب الجنائز / باب موت الفجأة والبغتة، و(٢٧٦٠) كتاب الوصايا / باب ما يستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاء النذور عن الميت، ومسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة / باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

يلحقه ذلك؟

على خلاف، فالأكثرون على أنه يلحق وأنه ينتفع بذلك، وقاسوه على الصدقات والدعاء والحج عنه والصوم الواجب عنه، وقاسوا هذا على هذا، وكما ينتفع بصوم الفريضة وحج الفريضة أو قضاء الدين عنه والدعاء والصدقة، فإنه ينتفع أيضاً بالقراءة عنه والصلاة عنه النافلة والصوم عنه النافلة.

وقال آخرون كمالك والشافعي وجماعة: هذه أمور توقيفية، والعبادات توقيفية لابد فيها من نص، فلا يلحقه صوم التطوع ولا صلاة التطوع عنه ولا صلاة الفريضة إذا مات وعليه شيء إلا بنص، ولا يوجد نص بهذا، وهكذا القراءة كأن يقرأ عنه أو يثوب له أذكاراً أو طوافاً أو قراءات.

وهذا القول أقرب وأرجح، لأن العبادات توقيفية وليس بالقياس والرأي، فما قاله مالك والشافعي أقرب إلى قواعد الشريعة من جهة التوقيف، بل قال النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١) فلا يصلى عن الميت ولا يصام عنه التطوع لعدم الدليل، ولا يقرأ له قرآن كما يفعله كثير من الناس، والأحوط ترك ذلك لعدم الدليل.

والحنفية وأحمد رحمه الله والجمهور على أن هذا يلحق، كما يلحقه الصدقة ويلحقه الدعاء ويلحقه الصوم الواجب والحج، ولكن الأقرب والأظهر والأرجح الأول لأنه من باب التوقيف.

والقراءة على الأموات ليس لها أصل يعتمد، فلا ينبغي اعتماد ذلك، والأمور توقيفية، هذا هو الأصل، ليس بالآراء والاستحسانات،

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية / باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، من حديث عائشة رضي الله عنها.

فالاستحسان والآراء يجر شراً كثيراً. أهـ.

سؤال/ حينما يقول: رأي الجمهور، هل يقصد من بعد التابعين، أو يقصد من ضمنهم الصحابة والتابعون؟

أجاب سماحته: قد يقع هذا وقد يقع هذا، ولهذا لا نعلم للصحابة فيه شيئاً. أهـ.

سؤال/ الخلاف في النافلة!!

أجاب سماحته: كالصلاة والصوم، صوم النافلة والصلاة مطلقاً والقراءة والأذكار، هذا الذي فيه خلاف، أما الصدقة والدعاء فلا خلاف فيهما، بل بالإجماع، وكذلك الأوقاف التي ينتفع بها، هذا بالإجماع، وصوم الفريضة لمن مات وعليه صيام محل خلاف، لكن الراجح أنه يقع، لقول النبي ﷺ: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[1] إذا كان صوم فريضة وفرّط فيه يصام عنه، أو كان حجاً. أهـ.

* * *

واستدل المقتصرون على وصول العبادات التي لا تدخلها النيابة بحال، كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن، وأنه يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره - بما روى النسائي بسنده، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم

(١) رواه البخاري (١٩٥٢) كتاب الصوم / باب من مات وعليه صوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصوم / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث عائشة رضي الله عنها.

عنه مكان كل يوم مداً من حنطة»[(١)]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ضعيف وليس بثابت عن النبي ﷺ، وإنما يروى الإطعام عن ابن عباس نفسه وعن عائشة نفسها، والصواب أنه يصام عنه الفريضة، إذا مات وعليه صيام يصام عنه، كما في الحديث الصحيح، فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» وهذه قاعدة قد دل عليها الحديث، وسأله ﷺ جماعة، كل واحد يسأله عن شيء، هذا يقول مات أبي، وهذا يقول ماتت أمي وعليها صوم كذا، وهذا يقول ماتت أختي وعليها صوم كذا، فيقول النبي ﷺ: صم عن أبيك صم عن أمك صم عن أختك «**أرأيت لو كان على أمك دين أكنت تقضيه؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء**»[(٢)] فالأحاديث صريحة في قضاء الدين عن الميت، سواء كان دين الأخ دينا لبني آدم، أو ديناً لله كالزكاة والصوم فإنه يؤدى، فمعنى الحديث عن ابن عمر وابن عباس في إخراج

---

(١) لا أعرف له أصلاً مرفوعاً، لا عند النسائي ولا عند غيره، وإنما رواه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٣/ ١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١٤١) عن ابن عباس موقوفاً عليه، وسنده صحيح.أهـ ألباني

قال شاكر: هكذا ذكره الشارح منسوباً للنسائي من حديث ابن عباس مرفوعاً! ورفعه وهم يقيناً، إما من الشارح وإما من الناسخ، وليس هو في سنن النسائي التي في أيدينا، ولكنه في السنن الكبرى موقوف على ابن عباس، نقله الحافظ الزيلعي في نصب الراية ٢/ ٤٦٣ وكذلك جاء عن ابن عمر، ونحوه، موقوفاً، ذكره مالك في الموطأ «أنه بلغه» عن ابن عمر، ولم يذكر أحد من شارحيه من رواه موصولاً، ولكن الحافظ الزيلعي نقله عن مصنف عبدالرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر، وصرح الزيلعي بما يفيد أنه لم يعرفه مرفوعاً قط.أهـ

(٢) رواه مسلم (١١٤٨) كتاب الصيام / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

كفارة طعام، فإذا لم يتيسر له من يصوم عنه من أهل بيته؛ أدي عنه عن كل يوم إطعام مسكين، والأفضل نصف صاع.

ولا يأثم إذا لم يصم عنه، لكنه يستحب ويسن سنة مؤكدة، لأن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر:١٢] فأثر ابن عمر وابن عباس وعائشة يعمل به عند تعذر الصيام، عند عدم تيسر الصيام. أهـ.

* * *

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه، الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

أما الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا سنة بعد الدفن، أن يوقف عليه بعد الدفن ويدعى له بالمغفرة والثبات، أما التلقين الذي يفعله بعض الناس في بعض البلدان، كالمشهور عن أهل الشام، يقف

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز ص (١٥٥).أهـ ألباني

عليه بعد الموت عند رأسه ويقول: يا فلان، اذكر ما خرجت به من الدنيا أنك تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وبالقرآن إماماً؛ فهذا ليس له أصل، جاء في أخبار موضوعة، وإنما هو مشهور عن بعض أهل الشام من التابعين وأتباعهم، لا يعول عليه، والصواب أنه غير مشروع بل بدعة، وإنما المشروع أنه يقوم عليه بعد الدفن ويقول: «اللهم اغفر له» «اللهم ثبته بالقول الثابت» كما فعله النبي ﷺ.

وكذلك الأذان والإقامة بدعة، ما يفعله بعض الناس من الأذان في قبره أو الإقامة كله بدعة لا أصل له، أو القراءة في القبر، مثل أن يقرآن فيه القرآن أو بعض السور لا أصل له، ولم يرد رفع اليدين في الدعاء عند القبر، وكذلك قراءة الفاتحة بعد الدعاء لا أصل لها، ولكن إذا ختم الدعاء يصلي على النبي، وإذا حمد الله في أول الدعاء وصلى على النبي في أول الدعاء فهو طيب، أما تخصيص الفاتحة فليس له أصل، وبعضهم يقول: اقرأوا الفاتحة على روح الميت واجعلوها له، وهذا من الجهل. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم، من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[1].

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٨٩-١٩٠). أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه السنة عند زيارة القبور، يزورها المسلمون للذكرى والعبرة، لا يزورونها ليدعوا الميت ويسألونه حاجاتهم، هذا شرك بالله، بعض الناس في كثير من البلدان - بسبب الجهل العظيم وقلة العلماء الصالحين - يزورون القبور ليعبدوهم من دون وليسألوهم الحاجات وتفريج الكروب، يا سيدي فلان المدد المدد، أنا عبدك، أنا في حسبك، أنا في جوارك، قد جئت مستغيثاً، جئت مستجيراً، هذا شرك أكبر نعوذ بالله، ولكن تزار للدعاء لهم هم، فهم محتاجون للدعاء، نفس المقبورين ـ إذا كانوا مسلمين ـ محتاجون أن يدعى لهم، ولهذا علّم النبي ﷺ أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[١] وفي لفظ آخر: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لكم العافية**»[٢] وفي الحديث الثالث أنه كان يقول عندما يقف على أهل البقيع: ويقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» «**مؤجلون**» «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[٣] والحديث الآخر حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**السلام**

---

(١) رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، وأحمد في المسند (٥/ ٣٥٣ـ٣٥٩ـ٣٦٠) وابن ماجه (٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، من حديث عائشة رضي الله عنها، وأبوداود (٣١٠٧) كتاب الجنائز / باب ما يقول إذا أتى المقابر أو مر بها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»[١] هذه هي الزيارة الشرعية.

أما الذي يأتي يتمسح بالقبور ويقبلها ويتمسح بترابها ويتمرغ عليها، أو يدعوها ويستغيث بها، أو ينذر لها أو يذبح لها، أما الذي يقرأ عندها أو يصلي عندها؛ فهذا من البدع والخرافات الباطلة، فنفس دعائهم وطلب المدد منهم والاستجارة والغوث، هذا عمل الجاهلية الأولى وهو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية.

والصلاة عندها والقراءة عندها واتخاذها محلاً للتعبد هذا من البدع المحدثة لو كان لله، ولو كان يقصد الله فهو بدعة، فإذا قصدهم بهذا صار شركاً أكبر، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سألت النبي ﷺ: كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟

قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم[٢] **والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**[٣].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٥٣) كتاب الجنائز / باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال: هذا حديث حسن غريب ـ ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي ـ.وانظر ضعيف سنن الترمذي للألباني ٣/ ٣٦٩ وضعيف الجامع (٣٣٧٢).

(٢) الذي أعرفه أنه ليس في رواية مسلم قوله «ومنكم» فإن كان فلتلتمس. ابن باز.

(٣) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٨١ـ١٨٣).أهـ ألباني

سؤال/ إذا استدل القائلون بجواز زيارة النساء للقبور بهذه الرواية؟

أجاب سماحته/ هذا الحديث منسوخ، الرسول ﷺ لعن زائرات القبور[١]، كان هذا أولاً لما أذن للجميع، ثم نسخت الزيارة للنساء وبقيت الزيارة للرجال، كان النبي ﷺ أولاً نهى الجميع عن الزيارة، ثم رخص للجميع، ثم خص النساء بالمنع، «**كنتم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»[٢]هذا النسخ العام، ثم جاء حديث: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، فعلم استثناؤهم وأنهم غير داخلين في الرخصة أو دخلوا ثم منعوا، وإن كان التأريخ غير معروف، لكن لما لعن زائرات القبور بيّن أهل العلم أن الخاص يقضي على العام مطلقا. أهـ.

سؤال/ عائشة رضي الله عنها زارت أخاها عبدالرحمن!!

أجاب سماحته/ قالت: «لو شهدتك ما زرتك»[٣] فهذا من اجتهادها، ولا يعرف عن النساء أنهن كن يزرن القبور في عهد النبي ﷺ بل منعهن من الزيارة، قالت أم عطية: «**نهينا عن اتباع الجنائز**»[٤]فإذا كان النهي عن

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٦) كتاب الجنائز / باب في زيارة النساء القبور، والترمذي (٣٢٠) كتاب الصلاة / باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، والترمذي (١٠٥٤) كتاب الجنائز / باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (١٠٥٥) كتاب الجنائز / باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، من حديث عبدالله بن أبي مليكة، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي، وصححه الألباني في المشكاة.

(٤) رواه البخاري (١٢٧٨) كتاب الجنائز / باب اتباع النساء الجنائز، ومسلم (٩٣٨) كتاب الجنائز / باب نهي النساء عن اتباع الجنائز، من حديث أم عطية رضي الله عنها.

اتباع الجنائز مع عظم شأنه فكيف بالزيارة؟

من باب أولى، فتشييع الجنازة بما فيه من العون لأهل الميت والجبر لمصيبتهم ومشاركتهم في المصيبة ومع ذلك تمنع، فكيف بالزيارة التي ليس لها مبرر؟

ثم صريح اللعن يكفي. أهـ.

سؤال/ يقال إن اللفظ الذي جاء«زوارات»!

أجاب سماحته/ ليس بظاهر، بل جاءت الرواية بهذا وهذا «زائرات»[(١)]. أهـ.

سؤال/ ما العلة التي منعن من أجلها؟

أجاب سماحته/ لأنهن فتنة، كما قال النبي ﷺ **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**[(٢)] وصبرهن قليل في اتباع الجنائز. أهـ.

سؤال/ قول أم عطية:«ولم يعزم علينا»!

أجاب سماحته/ هذا فهمها رضي الله عنها، وإلا فالنهي ثابت. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما وصول ثواب الصدقة، ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟

---

(١) رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن عباس، وقد تقدم قبل قليل.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦) كتاب النكاح / باب ما يتقى من شؤم المرأة، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال: «نعم»[(١)].

وفي صحيح البخاري، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت؟ قال: «نعم» قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها[(٢)].

وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا محل إجماع بين أهل العلم، بلوغ الصدقة للموتى وانتفاع الموتى بالصدقة كالأحياء هذا أمر مجمع عليه، كالدعاء. أهـ.

* * *

وأما وصول ثواب الصوم، ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[(٣)] وله نظائر في الصحيح، ولكن أبوحنيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم[(٤)]، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: اختلف العلماء: هل يصام عنه كل شيء أو يختص بالنذر؟

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٧٢).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج هناك (١٧٢).أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو مخرج هناك (١٦٩).أهـ ألباني

(٤) الحديث، وقد عرفت أنه موقوف.أهـ ألباني

على أقوال، والأشهر عند العلماء أنه يصام عنه النذر فقط، والمعروف عند الحنابلة أيضاً.

والصواب أنه يصام عنه كل شيء، النذر ورمضان والكفارات لعموم الحديث، لأن الرسول ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام**» نكرة في سياق الشرط «**صام عنه وليه**»(١) ولم يفصل، ما قال صيام نذر ولم يقل لا تصوموا عنه إلا النذر، فأطلق، والعموم حجة حتى يأتي المخصص، وقد سئل غير مرة عمن عليه صيام، وواحد يقول: أمي ماتت وعليها صيام شهر، وآخر يقول: إن أمي ماتت وعليها صيام شهرين، وأخر يقول: إن أختي ماتت وعليها كذا، أفنصوم عنها؟

قال: صوموا عنها «**أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٢) ولم يقل ما صومك؟ ما هو الصوم؟ أهو نذر أم كفارة؟

فلما لم يفصل وأطلق الجواب؛ دل على أن الحكم عام، وفي مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم رمضان أفأصوم عنها؟

قال: «**صومي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٣) فصرحت بهذه الرواية أن عليها صوم من رمضان.

والمقصود أن هذا هو الصواب، والله جل وعلا يقول: ﴿ فَإِن

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (١٩٥٣) كتاب الصوم / باب من مات وعليه صوم، ومسلم (١١٤٨) كتاب الصيام / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأحمد ١/ ٢٢٤ .

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى:١٠] وهذا الذي بينه الرسول ﷺ.

وهذا كله إذا كان غير معذور، أما المعذور فلا شيء عليه، فمن مات في مرضه فلا شيء عليه لأنه معذور. أهـ.

سؤال/ ألم يرد في بعض الألفاظ: إن أمي ماتت وعليها صوم نذر؟

أجاب سماحته: ورد في بعض الألفاظ: صوم نذر، لكنه لا يخصص، هذه واقعة، والواقعة لا تخصص. أهـ.

سؤال/ احتجاج بعض العلماء بهذا اللفظ على أنه قضية عين؟

أجاب سماحته: احتجاج فاسد، لأن وقوع الحادثة لا تخصص القضية، مثل لو قال صوم رمضان أو قال صوم كفارة لا يخصص، لأن الرسول ﷺ مشرع. أهـ.

* * *

وأما وصول ثواب الحج، ففي صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟

قال: «حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»[1] ونظائره أيضاً كثيرة، وأجمع المسلمون

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء (٩٩٣) قلت: وانظر تحقيق المراد منه في كلام ابن القيم في «أحكام الجنائز» في فصل ما ينتفع به الميت (١٧٠-١٧١).أهـ ألباني

على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبي ﷺ: «الآن بردت عليه جلدته»(١) وكل ذلك جار على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية، يوضحه: أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟!

والجواب عما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ قد أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم، يوضحه: أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

الثاني، وهو أقوى منه -: أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره

(١) حسن، رواه الحاكم وغيره، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» (١٦).أهـ ألباني

وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه .

وقوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ آيتان محكمتان، مقتضيتان عدل الرب تعالى:

فالأولى تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذه بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا.

والثانية تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»[١] فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه[٢]، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين .

---

(١) صحيح، ومضى قريباً.أهـ ألباني

(٢) الصواب: انقطع انتفاعه.ابن باز.

وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية؛ فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت، كما تقدم، مع أن الصوم لا تجزئ فيه النيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلما انصرف أتي بكبش فذبحه، فقال: «بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي»[1] رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وحديث الكبشين اللذين قال في أحدهما: «اللهم هذا عن أمتي جميعاً»[2] وفي الآخر: «اللهم هذا عن محمد وآل محمد»رواه أحمد، والقربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: محاولة جمع الشارح حصول جميع القُرب كما قال الجمهور فيها نظر، فالجمهور يرون أن جميع القُرب تصل إلى الميت والحي وينتفع بها، وقاسوا مالم يرد على ما ورد، قاسوا ما لم يرد ـ كالصلاة والقراءة ـ على ما ورد.

وجواب من فرّق: أن هذه أمور توقيفية وعبادات، فلا ينبغي أن يقاس فيها مالم يرد على ما ورد، بل يقتصر على الوارد، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه شرع لنا أن نصلي على الأموات أو نصوم عنهم صوم التطوع أو أن نقرأ عنهم، إنما ورد الصوم عمن عليه صيام ووفاء النذر وصوم رمضان إذا مات وقد فرّط، والكفارات والصدقة من ماله قد أجمع عليها المسلمون، فلا يقاس هذا على هذا، فالأولى والأحوط أن يقتصر على الوارد من غير زيادة.

---

(١) صحيح لشواهده، انظر المجمع (٤/ ٢٢-٢٣) ومن شواهده الذي بعده، ثم حققت في الإرواء أنه صحيح لذاته، فليراجعه من شاء الوقوف على الحقيقة (١١٣٨).أهـ ألباني

(٢) حسن، وهو في المسند (٦/ ٣٩١-٣٩٢) في سنده اختلاف بينته هناك.أهـ ألباني

ولما حُدّث ابن المبارك وقال له رجل: إن فلاناً روى عن النبي ﷺ أنه قال: إن من بر الرجل لوالديه أن يصلي لهما مع صلاته ويصوم لهما مع صومه، قال: عمن؟ قال: عن فلان، قال: ثقة، عمن؟ قال: عن فلان، قال: ثقة، عمن؟ قال: عن النبي ﷺ، قال: بين فلان وبين النبي ﷺ مسافات تنقطع فيها أعناق الإبل(١).

فما كل من ادعى شيئاً يسلم له، فالدعوى أوسع من الدليل.

فالأولى والأفضل والأحوط للمؤمن ـ وهو ظاهر الأدلة ـ هو الاقتصار على الوارد في قطع النزاع، فلا يقاس على الوارد صوم التطوع، ولا يقاس على الوارد الصلاة عن الميت ولا قراءته عنه، لأن هذا لم يرد، وواجب المؤمن الوقوف عما لم يرد، وإن كان الجمهور يرى الجواز، فالأحوط هو الوقوف مع الأدلة فقط، وأن مسألة وصول الثواب توقيفية، هذا هو الأحوط. أهـ.

سؤال/ الإنابة في حج التطوع؟

أجاب سماحته: لأنه جاء فيه الإطلاق وما جاء فيه تفصيل، حديث ابن عباس: «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**»(٢) فلم يستفصله، أما الحي فلا، إلا إذا كان عاجزاً، فيه خلاف، ولكن هذا هو الصواب. أهـ.

* * *

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه / باب بيان أن الإسناد من الدين، عن إبراهيم بن عيسى الطالقاني.

(٢) رواه أبو داود (١٧٣٧) كتاب المناسك / باب الرجل يحج عن غيره، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح ليس في الباب أصح منه، وصححه الألباني في إرواء الغليل وقال: رواه أحمد واحتج به أبو داود وابن حبان والطبراني وانظر صحيح الجامع (٣١٢٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة، ألا ترى أن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات، من غير شرط المال.

وهذا هو الأظهر، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض، كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات: كيف قام فيها البعض عن الباقين؟ ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يعطي أجرته لمن شاء(١).

وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت!! فهذا لم يفعله أحد من السلف ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه. والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى!! ولهذا لم يقل أحد أنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي الاختيار: لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة، لأنه في معنى الأجرة، انتهى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولأنها بدعة أيضاً،

---

(١) في هذا الكلام نظر لا يخفى على المتأمل، وقد حققت القول في المسألة بما يشرح الصدر ويثلج القلب في الفصل المشار إليه آنفاً (ص٤٥٤-٤٥٥) فراجعه فإنه مهم. أهـ ألباني

فالقراءة على القبر بدعة، فالوصية باطلة لأمرين: لأن الاستئجار على التلاوة ممنوع.

ولأن القراءة على القبور ممنوعة. أهـ.

* * *

وذكر الزاهدي في الغنية: أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره، فالتعيين باطل.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ؟

فالجواب: إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟

قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له فيه، وهذا سأله عن الصوم عنه، فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم - الذي هو مجرد نية وإمساك - وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟

فإن قيل: ما تقولون في الإهداء إلى رسول ﷺ؟

قيل: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة

لم يكونوا يفعلونه، ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، لأنه هو الذي دل أمته على كل خير، وأرشدهم إليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من نعم الله عليه، له مثل أجور أمته، كل عمل صالح يفعله أفراد الأمة فله مثل أجورهم، لقوله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[(١)] أما إهداء ثواب القراءة له فلم يرد، والصحابة أعلم الناس بهذا وأفهمهم وأكثر حباً للرسول ﷺ ولم يفعلوه، وهم الأسوة، فلا يشرع. أهـ.

* * *

ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله - فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين، ولا شك في سماعه، ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ليس بجيد، فإن الصواب أن الميت لا يسمع إلا ما جاء في النص، الأصل أنه لا يسمع، قد انقطعت حواسه وانتهى أمره وانقطع عمله، هذا هو الأصل، قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل:٨٠] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢] فالأصل أنه لا يسمع إلا ما أخبر الله به أنه يسمع،

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة / باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، والترمذي (٢٦٧٠،٢٦٧١) كتاب العلم / باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، من حديث أنس وأبي مسعود الأنصاري رضي الله عنهما.

كسؤال منكر ونكير وقرع نعالهم إذا ولوا بعد دفنه، وأما أنه يسمع سوى ذلك فيحتاج إلى دليل، والأصل عدمه، ولهذا لا تشرع القراءة عند القبر ولو فرض أنه يسمع، لكن الصواب أنه لا يسمع شيئاً من ذلك.

فالقراءة عند القبور وسيلة للشر ووسيلة للدعاء والاستغاثة وغير ذلك، فلا تشرع، لأن السلف لم يفعلوها، ولأن كون السماع أصل خلاف، ولأنها وسيلة للشرك بها والتعلق بها والتبرك بها والدعاء عندها والصلاة عندها.

وأما قول الرسول ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»(١) كل هذه موارد خاصة يقتصر عليها، أهل القليب، وسماع قرع نعالهم، وسماع سؤال منكر ونكير، ولا يزاد عليها، لأن الله قال: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل:٨٠]. أهـ.

سؤال/ ما يهدى للميت من صدقات ودعاء، القول بأن هذا جائز وليس بمشروع، لأن الرسول ﷺ ما أمر به ولكنه رخص فيه؟

أجاب سماحته: الصوم عنه مشروع والحج عنه مشروع والدعاء له مشروع والصدقة عنه مشروعة، قصره على الفرائض من باب الصدقة، والذي ليس بمشروع هو قراءة القرآن والصلاة.

وهناك رسالة قرأناها لمحمد شفيع، مفتي باكستان، جمع فيها كلام العلماء، وبيّن عدم السماع إلا ما جاء به النص، وهذا هو الأصل، حتى ولو فرضنا أنهم يسمعون، ما جاز لنا أن نفعل شيئاً لم يشرعه الله، حتى لو

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) كتاب المغازي / باب قتل أبي جهل، من حديث أبي طلحة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨٧٣، ٢٨٧٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم.

فرضنا أنهم يسمعون ما جاز لنا أن نجلس عند قبورهم للقراءة أو نقرأ الأحاديث عند قبورهم، انقطعت أعمالهم بالموت. أهـ.

* * *

فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر الله ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير.

واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟

فمن قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية - قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

ومن قال: لا بأس بها، كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية - استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها[(١)].

ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة[(٢)].

ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد - أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين، وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده - فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً.

وهذا القول لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين.

---

(١) قلت: لا يصح إسناده، فيه من يجهل كما هو مبين في «أحكام الجنائز» (١٩٢).أهـ ألباني

(٢) لم أره بلفظ «المهاجرين» وإنما بلفظ «الأنصار» ذكره ابن القيم، وفي ثبوت ذلك عنهم نظر بينته في «أحكام الجنائز» (١٩٣).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أنه لو صح عن ابن عمر فلا حجة فيه، لأن ابن عمر له اجتهادات لا يتابع عليها، فقول الصحابي إذا خالف ظاهر السنة وعمل الكبار لا يلتفت عليه، مثل غسل عينيه وتتبع آثار النبي ﷺ، ومثل هذا الذي يروى عنه أنه أمر أن يقرأ القرآن على قبره عند الدفن - إن صح عنه - فهذا شيء لا يتابع عليه، لأنه ما فعله الخلفاء الراشدون ولا كبار الصحابة غيره، ولأنه وسيلة لتناوب الناس عند القبور والقراءة عندها، ثم التعبد عندها والصلاة عندها، هذا لو صح. أهـ.

* * *

سؤال/ ألم يثبت عن أحد الصحابة أنه قال: إذا دفنتموني فاجلسوا عند قبري قدر نحر الجزور؟

أجاب سماحته: هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد رواه مسلم في الصحيح[1] وهذا ليس في القراءة، بل عدم العجلة في الانصراف والدعاء له.

قوله: (**والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات**).

ش: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ **والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم -: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً، وإجابة الله لدعاء**

(١) مسلم (١٢١) كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله؛ من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يسأل الله شيئاً يضره، قد يسأل الله المال الكثير أو يسأل الله الزوجة الفلانية، وقد يسأل الله بعض الأولاد فيضر بهذا، لما سبق في علم الله من هؤلاء، ولكن يتحرى الخير ويسأل، ويسأل ربه أن يكون ما أعطاه خيراً له، فلا يتساهل، كم من زوجة أهلكت صاحبها؟ كم من ولد أهلك صاحبه؟ كم من مال هلك به صاحبه؟ نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»(١).

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «المشكاة» (٢٢٣٨) الطبعة الثانية.

كذا وقع في الطبعة السادسة من شرح العقيدة الطحاوية، لكن في موضع آخر منها متقدم على هذا بصفحتين ما نصه: «ضعيف الإسناد، فيه أبو صالح الخوزي، قال في «التقريب»: «لين الحديث» وأما الحاكم فقال في هذا الحديث (١/ ٤٩١): «صحيح الإسناد» وسكت عليه الذهبي ! وقال الترمذي: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وليست في متناول يدي نسختي من «المشكاة» التي عليها التحقيق الثاني، لأقابل ما بينته وبين التضعيف المذكور، ثم أثبت هنا الصواب منهما، ويبدو لي الآن - والله أعلم - أن التضعيف هو المعتمد، فقد خرجت الحديث في «الضعيفة» برقم (٤٠٤٠) وأحلت عليه في المجلد الأول منه (ص٥٤٢) منبها على خطأ ما جاء في (ص٢٩) منه من التحسين، فوجب التنبيه على ذلك كله، والمعصوم من عصمه الله تعالى. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه ابن ماجه :٣٨٢٧ ورواه أيضا الإمام أحمد في المسند ٩٦٩٩-٩٧١٧-١٠١٨١ وكذلك رواه الترمذي ٤/ ٢٢٤ وكذلك رواه البزار، كما ذكره ابن كثير في التفسير ٧/ ٣٠٩-٣١٠ واللفظ الذي هنا هو لفظ الترمذي والبزار. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وشواهد هذا الحديث كثيرة، الحديث النعمان بن بشير في السنن الأربعة بإسناد جيد «**الدعاء هو العبادة**»(١) وفي لفظ آخر: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»(٢) والدعاء أجمع عليه المكلفون، لا من المسلمين ولا من غير المسلمين، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن الدعاء من أفضل العبادات ومن أفضل الأسباب وأعمها وأجمعها، والدعاء بإجماع أهل العلم ينفع الحي والميت، وهو سلاح المؤمن، وقد أخذ الشاعر من حديث «**من لا يسأل الله يغضب عليه**» فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله … وبنيُّ آدم حين يسأل يغضب

فالمقصود أنه جل وعلا لكرم جوده وسعة عطائه وعظيم إحسانه يحب أن يسأل ويحب أن يدعى ويحب الإلحاح في الدعاء جل وعلا، ولهذا جاء في الحديث الصحيح «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول دعوت دعوت فلم أره يستجاب لي، فحينئذ يستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩) كتاب سجود الصلاة/ باب الدعاء، والترمذي (٢٩٦٩)و (٣٢٤٧) كتاب التفسير/ باب: من سورة المؤمن،و (٣٣٧٢) كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الدعاء، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى، التفسير/ قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني في سنن الترمذي ٥/ ٢١١.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٠) كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الدعاء، وابن ماجه (٣٨٢٩) وابن حبان (٨٧٠) والحاكم ١/ ٤٩٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٥٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠) كتاب الدعوات/ باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل، ومسلم (٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء/ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي، ورواه الترمذي (٣٣٨٧) كتاب الدعاء/ باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فينبغي للمؤمن أن يكثر من الدعاء دائماً ولاسيما في المهمات، مثل سؤال الله الجنة والتعوذ به من النار، وسؤال الله العفو، وسؤال الله صلاح قلبه وصلاح عمله، وسؤال الله حسن الختام، فالدعاء له شأن عظيم، ولهذا يقول سبحانه: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

ولا ريب أن المعاصي من أعظم أسباب منع الإجابة، كالربا وغير هذا من المحرمات وسائر المعاصي، كلها من أسباب حرمان الإجابة، فليحذر العبد تعاطي أسباب حرمان الإجابة، وليجتهد في الاستقامة على أمر الله والبعد عن معاصيه، وليلح في الدعاء، وليتحر أوقات الإجابة، في آخر الليل والسجود وآخر الصلاة وبين الأذان والإقامة ويوم الجمعة، فهذه أوقات لها شأنها، فينبغي له أن يدعو الله بصدق وإخلاص وإقبال عليه جل وعلا، وإذا كان عن طهارة واستقبال قبلة كان ذلك أكثر إجابة وأقرب إلى الإجابة. أهـ.

* * *

وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كونه يدعى دليل على وجوده وسماعه وغناه، فلولا أنه يسمع وأنه موجود وأنه غني وأنه قادر لما شرع الدعاء، فإن الفقير كيف يعطي؟ ومن لا يسمع كيف

يعطي؟ ومن ليس بموجود كيف يعطي وكيف يسأل؟ ومن ليس غنياً كذلك، ومن ليس عليماً بأحوال عباده كذلك؟

فهذا يفيد العلم والحياة والوجود والغنى والرحمة والإحسان، سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كذلك العلم، من لا يعرف أحوال عباده كيف يدعى؟

من لا يعرف أحوالهم حتى يعرف صدقهم في دعائهم فإنه لا يدعى، فلولا أنه يعلم أحوالهم لما شرع الدعاء، فإنه يعلم الداعي هل هو صادق أو كاذب؟. أهـ.

* * *

ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها: كفي! ولا النجم يقال له: أصلح مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطبائع.

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء!! وقد يخص بعضهم

بذلك خواصن العارفين! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص!! وهذا من غلطات بعض الشيوخ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من أقبح الجهل، وهذا من اصطلاحهم في تسمية الشيوخ، ويعني بعض الشيوخ الجهلة. أهـ.

❊ ❊ ❊

فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام - فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمر أنشئت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات!! هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أولاً - [فـ] ثم قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المسببات كلها بابها واحد، المسببات مربوطة بأسبابها، وهذا لازم القدرية ولازم الآخرين ممن ليس عندهم بصيرة، فإنه قدّر الأشياء سبحانه وقدّر أسبابها ومسبباتها، فالشبع له أسباب والجوع له أسباب والغنى له أسباب والفقر له أسباب والمرض له أسباب والصحة لها أسباب والجنة لها أسباب والنار لها أسباب، فمعنى هذا تعطل كل شيء. أهـ.

❊ ❊ ❊

وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء - كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفطرة.

ومما ينبغي أن يعلم، ما قاله طائفة من العلماء، وهو: أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد! ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأنه صحح، هو موجب التوحيد وموجب العقل وموجب الشرع، الشرع يوجب الأسباب والعقل يقتضي الأسباب والتوحيد كذلك، فالتوكل هو اعتماد على الله سبحانه وتعالى وثقة به مع تعاطي الأسباب، هذا موجب التوحيد، هو توحيد الله والاعتماد عليه والثقة بالأسباب التي شرعها من طاعة الأوامر وترك النواهي، فالعقل يقتضي ذلك، عقل العاقل المتبصر يعقل أن الله جل وعلا هو ربه وموجده، وأنه شرع له أسباباً لا بد من تعاطيها لأكله وشربه ونكاحه وأولاده وغير ذلك، والشرع يوجب هذا أيضاً، أوجب تعاطي الأسباب والبعد عن ضدها، فأوجب النكاح وأوجب الكسب وأوجب طاعة الأوامر وترك النواهي.

فقوله: «وجوب التوحيد» لعله نقلها من كلام ابن القيم أو غيره، فعباراته وشرحه في الغالب نقول من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، ولو أنه قال: هو موجب التوحيد، يعني أن التوحيد يوجب هذا والعقل يوجب هذا.

فقوله: «وجوب التوحيد» مأولة بمعنى أنه يوجبه التوحيد ويوجبه العقل ويوجبه الشرع، فيوجبه التوحيد والعقل والشرع، فيتكون التوكل من هذه الأمور، من إخلاص العبادة لله وحده والاعتماد عليه والثقة به، مع الأخذ بالأسباب والتعاطي للأسباب، فالالتفات للأسباب والاعتماد عليها هذا نوع من الشرك، فكونه يعتمد على الأسباب في بيعه وشرائه وزراعته وينسى الله نوع من الشرك ونوع من الغفلة ونوع من المعصية، وكونه يمحو أن تكون أسباباً ويقول: ليست أسباباً، نقص في العقل، فالناس يعرفون أنها أسباب ويعقلون أن الأكل سبب للشبع، يعقلون أن البذر والسقي سبب للنبات، ويعقلون أن النكاح والجماع سبب للحمل، هذا شيء معقول، فمن محا هذا فهو فاقد العقل.

الأمر الثالث: الإعراض عن الأسباب وعدم الالتفات إلى الأسباب، فهو يجهر أنها أسباب ولكن يعرض عنها ولا يبالي بها، فهذا قدح في الشرع، لأن الشرع أمر بالأسباب، إذا قال: لست ببائع ولا مشتر، وسأجلس في المسجد أنتظر الرزق، هذا أولاً: نقص في العقل بلا شك، ثانياً: معارض للشرع، فإن الشرع أمره أن يأخذ بالأسباب ويتعاطى الأسباب الدينية والدنيوية جميعاً، فمن أعرض عنها فقد خالف الشرع، ومن قال إنها ليست بأسباب فقد خالف الشرع والعقل جميعاً، ومن اعتمد عليها كذلك خالف الشرع، فإن الاعتماد ليس عليها بل على الله، يتوكل على الله ويأخذ بالأسباب، فالله إن شاء نفع بها وإن شاء أبطلها سبحانه وتعالى.

ثم التعبد بالسبب وتعاطيه كما أمر الله، واعتقاد أن الله شرعه وأمر به، هذا أيضاً يفيد. أهـ.

❊ ❊ ❊

وبيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل، ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر.

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟

قلنا: بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه؟ قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يعجل للعبد، من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك» قيل يا رسول الله: إذاً نكثرَ، قال: «الله أكثر»(١). أهـ.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٨، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد ١/ ٢٤٨، والمنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه البزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يفعل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه؟!

قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه، كما قال عمر رضي الله عنه: «إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه»(١) وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله.

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير، أحد أئمة التابعين: نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئاً، أو يعطى غير ما سأل؟

وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقاً، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٣٥٩ ودقائق التفسير ٢/ ٥١٧ عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ومدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١٠٣.

السائل، ولهذا قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»[(١)]؟ ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب، مجيب[(٢)] دعوة الداعي، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله -: وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ بالدعاء، الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها» قالوا: يا رسول الله، إذاً نكثر، قال: «الله أكثر»[(٣)].

---

(١) صحيح متواتر، ذكرت بعض طرقه «إرواء الغليل» (٤٥٠).أهـ ألباني

(٢) وفي نسخة: «يجيب».

(٣) صحيح، ولكنه ليس في صحيح مسلم، وإنما أخرجه أحمد وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه الحاكم والذهبي، وهو كما قال، وإنما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً، ورواه الترمذي مطولاً، إلا أنه قال في الخصلة الثالثة: «وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا» وهو منكر بهذا اللفظ، ولذلك خرجته في «الضعيفة» (٤٤٨٣) وذكرت تحته ما صح منه كحديث أبي سعيد هذا.أهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والحديث ليس في صحيح مسلم، والحديث صحيح، وفيه دلالة على أن الاستجابة لا يلزم منها أن تكون على طِبق ما أراد الداعي وسأل الداعي، لكن الداعي على خير عظيم، إذا دعا ربه وسأل ربه فهو على خير، في عبادة وفي أجر إذا أخلص لله، لكن قد تعجل له دعوته التي طلب كالولد والزوجة وصلاح الذرية وأشباه ذلك، وقد تدخر له الدعوة في الآخرة، قد يطلب شيئاً في الدنيا فيدخر له عوضاً له في الآخرة، لا يعطاه ولا يعجل له في الدنيا لأنه الحكيم سبحانه وتعالى، هو أعلم بمصالح عباده، وهو أحكم فيما يأتي ويذر، وقد يصرف عنه من الشر مثل ذلك بدلاً من إعطائه رغبته، فهو قد يطلب الغنى ويصرف عنه شر كثير، وقد يطلب الأولاد فلا يكون في حكمة الله أن يعطي تلك الأولاد، ويصرف عنه من الشر مثل ذلك أو ما هو أرجح من إعطائه الأولاد، وقد يطلب زوجة وامرأة معينة فيرزق ما هو خير منها وأفضل منها، أو يدخر له ثواب ذلك ويعوض عن ذلك في الآخرة، لأن الحكمة قد اقتضت أن لا يزوج بهذه الزوجة المطلوبة، وأن يبقى مع زوجته الحالية أو لا يزوج بالكلية، لله الحكمة في هذا كله سبحانه وتعالى.

فالحاصل أن الداعي على خير عظيم، إذا دعا الله بدعوة صادقة خالصة سليمة ليس فيها عدوان وليس فيها إثم ولا قطيعة رحم فهو على خير ومأجور ومثاب، وله في الآخرة ما يعوضه الله عما طلب إذا لم يعط

= قال شاكر: لم أجده بهذا السياق في صحيح مسلم، وقد رواه أحمد بنحوه في المسند ١١١٥٠ من حديث أبي سعيد الخدري، وهو في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٨-١٤٩ وروى الترمذي ٤/ ٢٧٩-٢٨٠ نحو هذا المعنى مختصراً من حديث عبادة بن الصامت، وذكر في الزوائد ١٠/ ١٤٧ حديث عبادة مطولاً من رواية الطبراني في الأوسط.أهـ

طلبته، فينبغي للمؤمن أن لا يمل الدعاء.

ثم قد تؤجل الدعوة ولا تعجل، لأن في تعجيلها مضرة عليه وفي تأخيرها خير له، فقد يلح في الدعاء ويجتهد في الدعاء ويمضي عليه أوقات وهو ملح، فيكون هذا الدعاء سبباً لصلاح قلبه وصلاح أعماله، وسبباً لمعرفته بالله وأنسه به، وسبب افتقاره إليه وسبباً لصلاح أحواله، فالله يملي له في الدعاء ولا يعجل له المطلوب لحكمة بالغة فيها صلاحه وفيها هدايته وفيها صلاح قلبه وفيها صرف سوء كثير عنه، فلا ينبغي له أن يعجز ولا ينبغي له أن يستحسر ولا ينبغي أن يسيء الظن بالله، بل لله الحكمة العظيمة في تعجيل الإجابة وفي تأخيرها، وفي تنويع الإجابة، وفي إعطائه ما هو خير له مما طلب، وفي تأخيرها له في الآخرة، إلى غير ذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] وهو الصادق في وعده سبحانه، لكن أنت أيها السائل قد تكون عندك أشياء تمنع الإجابة، فالإجابة لها شروط، فإذا كنت تتعاطى المعاصي والسيئات وأكل الحرام، فهذا من أسباب منع الإجابة، ففتش عن نفسك وانظر من أين أتيت؟ هل أتيت من عقوق والديك؟ هل أتيت بقطيعتك الرحم؟ هل أتيت بشرب المسكرات؟ هل أتيت بأكل الربا؟ هل أتيت بالغيبة والنميمة؟ هل أتيت بالغش في المعاملات؟ من أين أتيت؟ وهذه الإجابة لماذا تأخرت؟

لابد أن لها أسباباً، قد تكون منك وقد تكون من جهة الله جل وعلا، لأنه سبحانه اقتضت حكمته أن تكون هذه الإجابة مأخرة أو تكون في شيء آخر، لكن فتش نفسك أنت أولاً، فقد تكون الإجابة بأسباب وقد يكون منعها بأسباب، بأسباب أعمالك، فاحرص على الدعاء واجتهد في

الدعاء، فلعل الموانع تزول، ولعل الله يتوب عليك، ولعل الدعوة تصادف ساعة إجابة فتجاب ولو أنك على ظلمك وعلى تقصيرك، كما أن الكفار قد يجابون، فالكفار وهم أظلم الناس قد تجاب دعوتهم، وقد يسألون حاجاتهم في الدنيا من الرزق وغير ذلك فيجابون وهم كفار، فربك حكيم عليم سبحانه وتعالى، لكن أنت أيها المؤمن جدير بأن تحاسب نفسك، لماذا منعت هذه الإجابة؟ لماذا تأخرت هذه الإجابة؟ هل هذا منك أو من أسباب أخرى اقتضتها حكمة الله جل وعلا؟

والذي عليك أن تحاسب نفسك أنت من جهة ما يتعلق بك.

والسائل أخص، فإنه يسأل شيئاً خاصاً، فالغالب أن السائل يسأل شيئاً خاصاً يعجل له في الدنيا «**هل من سائل فيعطى سؤله**»(١) فالسائل أخص من الداعي، فإن الداعي قد يكون عابداً وقد يكون سائلاً، يقول الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ ﴾ [غافر:٦٠] فسرت بـ: اعبدوني، وفسرت بـ: اسألوني، فكل سائل عابد وليس كل عابد سائلاً، فالمصلي عابد لأنه داع بفعله، والمتصدق داع، والمجاهد داع بعمله، والذي يقول: رب اغفر لي وارحمني داع لكنه أخص بالسؤال، فالذي يقول: أعطني كذا وارزقني ولداً صالحاً أخص بالسؤال، وإن كان عابداً بالسؤال، لكنه أخص بالسؤال، فما كان بلفظ السؤال: اغفر لي وارحمني وأعطني زوجة صالحة، أغنني عن فلان، أغنني بفضلك، هذا أخص بالسؤال، والصلاة والصوم أخص، والعبادات الأخرى أخص بالعبادة، وكلاهما يطلق عليه دعاء، يقال دعا بمعنى عبد ودعا بمعنى سأل، والسؤال أخص. أهـ.

* * *

(١) رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين/ باب الترغيب في صلاة التراويح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلاً، أو مثله من الخير مؤجلاً، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعنيها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر-: من هذا الباب.

وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، وكان غالطاً.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً والساعد ساعداً قوياً، والمحل

قابلاً، والمانع مفقوداً؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يجمعه قول النبي ﷺ، فهذا كلام طويل وكلام النبي ﷺ مختصر «**ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطي بها إحدى ثلاث**» قالوا: إذاً نكثر، قال: «**الله أكثر**»(١) فإذا سأل سائل وقال دعوت ولم أره يستجاب لي، يقال: لها أسباب، إما أن يكون في دعائك إثم أو فيه قطيعة رحم أو عندك موانع المعاصي كالربا ونحو ذلك، فإذا سلمت من هذا كله وصار دعاؤك في محله، وصرت سليماً ليس عندك موانع، ودعاؤك سليم ليس فيه شيء؛ فقد تعجل لك دعوتك وقد تدخر لك وقد يصرف عنك من الشر مثل ذلك، فليس من اللازم أن يحصل المطلوب، فهذا مما يبين أن الأمر واضح وليس معنى ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] أنه يعطيهم مطالبهم، فلو طلبوا وقال أحدهم: اللهم أعطني جبلاً من الذهب، وقال الآخر: اللهم متعني ألف عام أو ألفي عام، فإنه ليس بمعقول أن كل ما طلبه الناس يعطون، فربنا حكيم عليم جل وعلا، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما يصلح عباده وما يفسدهم، ويعلم أحوالهم وأعمالهم، فكل يعطى ما يناسبه على حكمة الله جل وعلا، فهذا يعتدي في الدعاء فلا

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٨ والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي بنحوه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧).

يجاب، وهذا يعتدي في الأعمال فلا يجاب، وهذا يعتدي على زيد أو على عمرو فلا يجاب، وهذا يضمِّن سؤاله كلمات غير صالحة أو شركية أو غير ذلك فلا يجاب، وهذا تقتضي حكمة الله أن تؤخر دعوته ولا تعجل، وهذا تقتضي حكمة الله أن تدخر له في الآخرة، وهذا تقتضي حكمة الله أن يعطى خيراً منها وأفضل منها، وهذا تقتضي حكمة الله أن يصرف عنه شر آخر بدلاً من أن يعطى طلبته، إلى غير هذا، فربك حكيم عليم سبحانه وتعالى، فينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله وأن يلح في الدعاء، ويجتهد في الدعاء ويحاسب نفسه، ويتفقد أحواله ويتفقد سؤاله، حتى لا تكون هناك موانع من جهة نفسه. أهـ.

* * *

قوله: (ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحين).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: من قال إنه غني عن الله وليس محتاجاً لله ولا عليه من الله وهو مستقل بنفسه؛ فقد كفر وهلك، لأنه مملوك لله، لا غنى له عن الله، فمن قال إنه مستقل وليس لله عليه فضل، وليس مخلوقاً لله ولا لله فيه تصرف، فهذا ملحد كافر ظالم. أهـ.

* * *

ش: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه، والحين، بالفتح: الهلاك.

قوله: (والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى).

ش: قال تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ونظائر ذلك كثيرة، ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو الحق، أن تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات لائقة بالله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فهو يغضب ويرضى، ويسخط على من عصاه وخالف أمره، وهو يحب ويبغض ويوالي ويعادي، يعادي أعداءه ويوالي أولياءه، هذا كله حق على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] سبحانه وتعالى، فليس غضبه كغضبنا، ولا رضاه كرضانا، ولا حبه كحبنا، إلى غير ذلك، كما أن سمعه ليس كسمعنا ولا بصره كبصرنا ولا يده كأيدينا ولا وجهه كوجوهنا، إلى غير ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فله الكمال المطلق من كل الوجوه سبحانه وتعالى لا نقص فيه. أهـ.

سؤال/ ما الفرق بين الغضب والسخط؟

أجاب سماحته: المعنى متقارب، غضب الله عليه وسخط عليه، لا أعلم بينهما فرقاً. أهـ.

❊ ❊ ❊

كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين» وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء كيف قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وروي أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ[(١)]، وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: «من لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» ويأتي في كلامه «أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل».

فقول الشيخ رحمه الله: «لا كأحد من الورى» نفى التشبيه، ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام - فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن الإرادة شيء والغضب والرضا شيء آخر، فالإرادة شيء والمحبة شيء والغضب شيء، فمن فسر الرضى بإرادة الثواب والغضب بإرادة الانتقام فقد أوّل، فالإرادة شيء والغضب والرضا شيء آخر، والمشيئة كذلك، فهو له الإرادة وله المشيئة وله الغضب وله الرضا، كل هذا من صفاته سبحانه وتعالى، كل هذا يليق بالله عز وجل.

---

(١) قلت: لا يصح مرفوعاً.أهـ ألباني

وقد تأولت الأشاعرة وأشباههم ممن سار على نهجهم هذه الصفات بالإرادة، الغضب والسخط بإرادة الانتقام، والرضا والمحبة بإرادة الثواب، وهذا غلط. أهـ.

* * *

فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط لما أراده.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: إن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى! فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه الغضب.

ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا، فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، وينتقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما فررت منه وقعت فيما سلمته، كما تكون إرادة لا كإرادة المخلوقين، فقل غضب لا كغضب المخلوقين، وانتهينا ولا شيء في ذلك. أهـ.

* * *

فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة؟

قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما

يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر!

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سمى به بعض صفاته، كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به.

بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة، لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه

ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قبح الله جهماً وأصحابه. أهـ.

* * *

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت، كما قال في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[١] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[٢].

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط، وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء،

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد مضى لفظه بتمامه.أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في «صحيح الجامع الصغير» (١٩٠٧).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى هذا الكلام الذي يقوله الجهمية وأشباههم، هو أن الصفات لازمة لذاته كلزوم الوجه واليد ونحو ذلك، فهي صفات لازمة لا تعلق لها بالاختيار ولا بالمشيئة ولا بالإرادة، وهذا من أبطل الباطل ـ نعوذ بالله ـ ومضاد للآيات والأحاديث الكثيرة، فإن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ويخلق ويختار جل وعلا، وله المشيئة النافذة، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى، وهذا من كماله، أن تكون له إرادة ومشيئة اختيارية يفعل ما يشاء ويختار ما يشاء، هذا من الكمال العظيم، وضد ذلك تشبيه له بالجمادات التي ليس لها فعل ولا اختيار ولا مشيئة، وتشبيه له بالناقصات، فالحاصل أن قولهم هذا الذي أرادوا به التنزيه، هو في الحقيقة تنقص وليس بتنزيه، مع كونه مصادماً للنصوص مصادمة ظاهرة ليس فيها مواربة ولا شبهة، ولهذا كفرهم جم غفير من أهل السنة بسبب أن هذا الكلام معناه إنكار النصوص وتكذيبها وإبطالها، وقد قال ابن القيم في هذا المعنى في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

ومقصوده في قوله خمسون في عشر أنهم خمسمائة، إلى غير هذا ممن جاء بعد ذلك، فالمقصود أن هؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم أتوا منكراً من القول وشراً عظيماً لا وجه له ولا مبرر له، ولكنهم انتكست قلوبهم وعقولهم حتى استحسنوا ما هو قبيح واستقبحوا ما هو حسن، وهكذا يقضى على من انحرف عن الكتاب والسنة وحكّم عقله، يقضى عليه حتى تنتكس عليه الأمور وتنعكس عليه الأشياء، فيراها على خلاف

ما هي عليه، كالمنافق الذي انتكس عقله وصار قلبه كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ولا يعرف الحق ـ نسأل الله العافية ـ.

فأهل السنة والجماعة هم أولى الناس بالحق، وهم الذين وفقوا للعمل بالكتاب والسنة، والإيمان بأن الله جل وعلا موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، وهو يرضى ويغضب ويتكلم بما شاء ويفعل ما يشاء ويختار ما يشاء سبحانه وتعالى، فالمؤمن مرضي عنه، وإذا ارتد سخط الله عليه، والكافر مسخوط عليه، فإذا هداه الله وأسلم رضي الله عنه، وهكذا هو سبحانه وتعالى يسخط على من خالف أمره ويرضى على من أطاع أمره، فهو يسخط على أهل النار وأهل الكفر والنفاق، ويحب أهل الإيمان وأهل الاستقامة وأهل الجنة لكونهم أطاعوا أمره ووافقوا شرعه وابتعدوا عما يغضبه سبحانه وتعالى، وهذا يعرفه صغار الطلبة الذين نشأوا في السنة، بل هو من أوضح الواضحات ومن أبين البينات، ولولا أنه منقول لقال العاقل: إن هذا لا وجود له، فلولا أنه منقول نقله الثقات والأثبات عن هؤلاء من كتبهم؛ لقال العاقل: كيف يكون هذا؟ وكيف يصدق بهذا؟ وكيف يقع من عاقل يفهم ما يقول؟ نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلق بذلك لكان محلاً للحوادث!! فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم ليس محلاً للأعراض.

وقد يقال: بل هي أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك

صفات، ولم تسم أعراضاً، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب، وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» [(١)] الحديث، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم وثم، إلى آخره.

وقوله: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

(١) متفق عليه، على ما سبق بيانه. أهـ ألباني

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق في الفيء نصيباً، بنص القرآن، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان هذا ممن

---

(١) صحيح، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٩٨٨-٩٩١) وفيه بيان أنه ذكر أبي هريرة فيه شاذ، فراجعه إن شئت. اهـ ألباني

تأخرت صحبته مع من تقدمت صحبته، فكيف إذا كان ممن ليس له نصيب من الصحبة ممن جاء بعد ذلك؟

فالأمر أعظم، إذا كان هذا في مثل خالد وأشباهه ممن تأخر، مع من في مثل عبدالرحمن بن عوف وأشباهه ممن تقدم إسلامه، يكون لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فكيف بمن جاء بعدهم؟ فإن الوقع يكون أعظم وأكبر.

وهذا كله رد على الرافضة الذين سبوا أصحاب النبي ﷺ وصار في قلوبهم غل لهم وأبغضوهم وكفروهم وفسقوهم إلا نفراً يسيراً قليلاً، هؤلاء من أضل الناس ومن أخبثهم اعتقاداً في أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام.

واعتذارهم بما جاء في نصوص الردة اعتذار فاسد، فإن الردة في قوم آخرين ليست في أصحاب النبي ﷺ، وإنما كانت في بعض الأعراب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ولم يستضيئوا بنور الوحي، فلما مات النبي ﷺ جرى لهم ما جرى من الشك والريب والردة، فأولئك قوم معروفون، وليسوا هم أصحاب النبي ﷺ الذين سبقوا إلى الإيمان وجاهدوا معه وصبروا معه، كالخلفاء الراشدين وغيرهم، ولكن أولئك الضالين من الرافضة حملوا أحاديث الردة عليهم وسفهوهم وضللوهم، ولم يستثنوا من ذلك إلا نفراً يسيراً كعلي والحسن والحسين وبلال وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، جماعة قليلة أقل من العشرة. أهـ.

* * *

انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن، دون البخاري، فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: «لا تسبوا أصحابي» يعني عبدالرحمن وأمثاله، لأن عبدالرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من

قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية، والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم في الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ رضي الله عنهم أجمعين.

والسابقون الأولون - من المهاجرين والأنصار - هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة.

وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهو حديث ضعيف[١]، قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة[٢].

---

(١) بل هو حديث باطل كما بينته في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة» رقم (٥٨). أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: ذكره الذهبي في الميزان ١/ ١٩١ في ترجمة «جعفر بن عبدالواحد الهاشمي القاضي» وهو ممن يضع الحديث، ويروي أحاديث لا أصل لها، ووصف الذهبي هذا الخبر بأنه من بلايا جعفر. أهـ

وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبابكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر[١].

وروى ابن بطة بإسناد صحيح، عن ابن عباس، أنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ، خير من عمل أحدكم أربعين سنة[٢].

وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره[٣].

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[٤]، الحديث، وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر، أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[٥] وقال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

---

(١) هذا حديث غريب عندي، وعزوه لمسلم أغرب، فإني لم أقف عليه فيه بعد الاستعانة عليه بكل الوسائل الممكنة، ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضع سنين من اختصار صحيح مسلم.أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الظلال (١٠٠٦).أهـ ألباني

(٣) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة من طريق ابن عمر رضي الله عنهما (٢٣٥٠) ٧/ ١٣٢٣ سياق ما روي عن النبي ﷺ في الوعيد على من لعن الصحابة، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦) وقال الألباني: «رجال إسناده ثقات غير بسر بن ذعلوق فلم أعرفه».

(٤) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم في السنة من طرق (١٤٦٨-١٤٧٢) وصحح أحدها ابن حبان، وهو مخرج في الصحيحة (٦٩٩).أهـ ألباني

(٥) صحيح.أهـ ألباني

وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ Zالآيات.

ولقد صدق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم، حيث قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء»(١)

وفي رواية: «وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبابكر».

وتقدم قول ابن مسعود: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات» إلخ - عند قول الشيخ: «ونتبع السنة والجماعة».

فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟

بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يدل على الخبث الكثير، نسأل الله العافية، فإن اليهود والنصارى صاروا في هذا خيراً من الرافضة، واليهود والنصارى هم هم في الكفر بالله والضلال والكيد

---

(١) حسن موقوفاً، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، واشتهر على الألسنة مرفوعاً، وفي سنده كذاب، والصحيح وقفه، وهما مخرجان في الضعيفة (٥٣٢ و٥٣٣).أهـ ألباني

للإسلام، ومع هذا كان جوابهم خيراً من جواب الرافضة، فاليهود لما سئلوا من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، والنصارى لما سئلوا: من خير أهل ملتكم؟ قالوا:أصحاب عيسى، أما هؤلاء الرافضة وهم الإمامية الاثني عشرية ومن سار مسارهم، لما سئلوا عن شر أهل ملتهم قالوا أصحاب محمد ـ نسأل الله العافية ـ فأساءوا الظن بأصحاب محمد ﷺ حتى زعموا أنهم ارتدوا على أدبارهم وعلى أعقابهم، وجعلوا منهم الصدّيق وعمر وعثمان، ولم يستثنوا إلا نفراً قليلاً جداً كالمقداد وعمار والحسن والحسين وعلي، هؤلاء الخمسة أو يزيدون سادساً أو سابعاً، هذا من الضلال والبعد عن الإسلام. أهـ.

* * *

وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: «ولا نفرط في حب أحد منهم»

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال: أفرط غلا، وفرّط جفا، فالرباعي بالألف، والمثقّل بالجفا، والإسلام بين هذا وهذا، بين الإفراط والتفريط، فلا إفراط وغلو، يُعبدون من دون الله كما فعلت الرافضة مع أهل البيت، ولا جفاء وهو التفريط، كما فعلت الرافضة مع غير أهل البيت من غالب الصحابة، فأهل البدع بين الإفراط والتفريط، بين غلو في أشياء، وبين تفريط في أشياء وجفاء. أهـ.

* * *

أي لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

وقوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم» كما فعلت الرافضة! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمشهور أن الرافضة سموا بهذا لأنهم لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين، وطلبوا منه أن يتبرأ من الصّديق وعمر فأبى أن يتبرأ منهما، وترضى عنهما، فقالوا حينئذ نفارقك، فرفضوه، فسموا رافضة لأجل هذا، لأنهم تبرءوا من الصديق وعمر، زعماً منهم أنه لا تتم الموالاة لعلي إلا بالبراءة من الصديق وعمر، وهذا من جهلهم وضلالهم وظلمهم وعدوانهم وقلة بصيرتهم.

والزيدية منسوبون إلى زيد بن علي بن الحسين، وكان أصل مذهبهم تفضيل علي على الصدّيق وعمر فقط، وهم المعروفون الآن في اليمن، وفيهم طوائف رديئة يقال لهم الجارودية، أشبه بالرافضة، يزيدون فيلعنون ويسبون. أهـ.

* * *

وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ وهذا معنى قول من قال من السلف: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، يروى ذلك عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين، منهم: أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وغيرهم، ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من

المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له.

وقوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان» لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص، وروى الترمذي عن عبدالله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»(١).

وتسمية حب الصحابة إيماناً مشكل على الشيخ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه: «أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان» ولم يجعل العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أهل السنة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن مرجئة الحنفية وغيرهم رأوا أن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان، والكرّامية قالوا إنه النطق باللسان فقط، والجهمية قالوا إنه المعرفة، ووفق الله أهل السنة والجماعة فقالوا إنه القول والعمل والتصديق جميعاً، وقول الطحاوي والحنفية أن العمل ليس من الإيمان غلط فاحش لا وجه له، والصواب قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يشمل هذا وهذا، يشمل القول والعمل القلبي والعمل الجارحي والتصديق،

---

(١) ضعيف، وقال الترمذي «غريب» وهو مخرج في «الأحاديث الضعيفة» (٢٩٠١). أهـ ألباني

قال شاكر: الترمذي ٤/ ٣٦٠ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وقال شارحه: «وأخرجه أحمد». أهـ

هذا هو قول أهل الحق، والنصوص كلها من الكتاب والسنة دالة على هذا، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون - أو قال: بضع وسبعون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(١) فجعل القول إيماناً، وجعل الحياء وهو عمل القلب إيماناً، وجعل إماطة الأذى عن الطريق وهو من عمل الجوارح إيماناً، وهذا شيء لا يحصى من الكتاب والسنة. أهـ.

سؤال/ ما الفرق بين التصديق المجرد والمعرفة؟

أجاب سماحته: التصديق والمعرفة إقرار وليس عملاً، إقرار واعتراف، فهو أشبه بالقول، بخلاف العمل كالحب والخشية والخوف القلبي فإن هذا عمل، فهي - عندهم - أشياء زائدة مأمور بها مشروعة لكنها لا تسمى إيماناً، ولهذا قال الشارح إن الخلاف لفظي. أهـ.

❋ ❋ ❋

وقوله: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وقد تقدم الكلام في ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فيه تفصيل، فإنكار صحبتهم وإنكار ما هم عليه من الدين كفر أكبر، وسب بعضهم أو

---

(١) متفق عليه، وقد مضى.

بغض بعضهم كفر أصغر ومعصية، كما تقول في الحكم بما أنزل الله أنه إيمان وهدى، والحكم بغير ما أنزل الله نوع من أنواع الكفر، لكن إذا كان جحداً لذلك وإنكاراً له فهو كفر أكبر، وإن كان لشهوة وغرض، وهو يعلم أن الحكم حكم الله صار كفراً أصغر، وهكذا يقال في أشياء كثيرة، الظلم ظلمان والكفر كفران والشرك شركان والفسق فسقان، ذكر هذا ابن القيم رحمه الله في كتاب الصلاة.

فمن أنكر صحبتهم وأنهم ليسوا من المسلمين وأنهم ارتدوا فالظاهر كفرهم، لأنهم جعلوا أصحاب رسول الله ﷺ كافرين، وجعلوا حملة الإسلام وأركانه كافرين، ومعنى هذا إبطال الإسلام وإبطال الدين، فإذا كان حملة الإسلام كفاراً، وعلى رأسهم الصديق وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وأشباههم، فماذا بقي للإسلام؟

أما إذا سبوا معاوية وسبوا علياً، فهذا فسق وظلم وكفر لكن دون كفر.

وإذا اعتقدوا عدم براءة عائشة وأنها متهمة صار كفراً أكبر، لأنه تكذيب لله.

وإذا سب الصّديق وعمر، فهذا محل خلاف، فمالك وجماعة يكفرونهم، والمشهور عند الجمهور التفسيق وأنه كفر دون كفر، إلا إذا عمموا، فإذا عمموا سب الصحابة فمعناه إنكار الدين كله، لأنهم حملة الإسلام، فماذا يبقى؟

بلال وعلي وحدهم وعمار وحده هؤلاء الثلاثة أو الأربعة ليسوا هم حملة الإسلام. أهـ.

* * *

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قوله: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة).

ش: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟

فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع اليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجديني فأتي أبابكر»[(١)] وذكر له سياق آخر، وأحاديث أخر، وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[(٢)] رواه أهل السنن.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدىء فيه، فقال: «ادعي لى أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً» ثم قال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبابكر»[(٣)] وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع» وفي رواية: قال: «ادعي لي عبدالرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه» ثم قال: «معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر».

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (١١٥١).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (١٢٣٣).أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٦٩٠) وانظر ظلال الجنة (١١٥٦).أهـ ألباني

وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «مروا أبابكر فليصل بالناس»[١] وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا منافاة عند أهل السنة، فإنها بالنص وبالاتفاق جميعاً، لا منافاة بين هذا وهذا، فإنها بالنصي الجلي عند قوم وبالخفي عند آخرين، وبالإشارة وبالاختيار، فقدر أشار إلى هذا وأوصى بما يدل عليه، لكن ليس هناك النص القطعي الذي وجه فيه إلى المؤمنين بأني استخلفت عليكم فلانا، ولكن فيه الدلائل الكثيرة دالة على أنه مقدمهم وأفضلهم، وأنه أولى الناس بهذه المسألة، ثم الاختيار، قد اختاره المؤمنون واجتمعوا له وبايعوه فتم له الأمر بهذا وهذا، بالأمرين جميعاً، اللهم ارض عنه.

فالاختيار يكون بالنص ويكون بالصفات الحميدة ويكون لأسباب أخرى، فالاختيار استند إلى هذه الأمور الكثيرة والفضل العظيم والسابقة العظيمة، فالاختيار لا يكون عبثاً، بل يكون له أسباب. أهـ.

* * *

(١) متفق عليه، وهو مخرج في الظلال (١١٦٤-١١٦٧) وانظر (١١٥٩-١١٦٠). أهـ ألباني

(٢) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٥٧). أهـ ألباني

وفي الصحيح أنه ﷺ قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر»(١).

وفي سنن أبي داود وغيره، من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا»؟ فقال رجل أنا: رأيت ميزاناً أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبوبكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمرو أبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهة في وجه النبي ﷺ، فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»(٢).

فبين رسول الله ﷺ، أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رضي الله عنه، لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك.

وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه، أنه كان يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «أري الليلة رجل صالح أن أبابكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر» قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه(٣).

---

(١) متفق عليه، وتقدم بنحوه.أهـ ألباني

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٣٤-٤٦٣٥) من طريقين عن أبي بكرة، واللفظ الذي في الكتاب هو عنده من طريق الأشعث التي ذكرها المؤلف، لكن ليس فيها قوله في آخره: خلافة .. وهذه الزيادة عنده من الطريق الأخرى، وفيها علي بن زيد وهو ابن جدعان، وفيه ضعف، لكن يشهد لها حديث سفينة الآتي بعد حديثين، والحديث مخرج في ظلال الجنة (١١٣١-١١٣٣ و ١١٣٥-١١٣٦).أهـ ألباني

(٣) ضعيف، وبيانه في ظلال الجنة (١١٨٤).أهـ ألباني

وروى أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلواً دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء(١).

وعن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»(٢) أو «الملك».

واحتج من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبدالله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبابكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ» قال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف(٣).

وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف.

والظاهر- والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبابكر»(٤) فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ

---

(١) ضعيف، فيه عبد الرحمن الجرمي، فيه جهالة، ومن طريقه أيضاً أخرجه أحمد (٥/ ٢١).أهـ ألباني

(٢) حسن، يشهد له ما قبله بحديثين.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه بنحوه الإمام أحمد في المسند ٣٣٢ وأبو داود ٢٩٣٩ ورواه مسلم مطولاً ٢/ ٨٠-٨١ من وجهين.أهـ

(٤) مسلم وغيره، ومضى، وهو مخرج في الظلال (٢/ ٥٣٥).أهـ ألباني

دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة، اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبابكر المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر رضي الله عنه، في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه، ثم الأنصار كلهم بايعوا أبابكر، إلا سعد بن عبادة، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!

وروى ابن بطة بإسناده أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبابكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان

أتقى لله من أن يتوثب عليها[١].

وفي الجملة: فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله ﷺ له، ففي الصحيحين، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» وعد رجالاً[٢].

وفيهما أيضاً، عن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم، وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبابكر، ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»؟ مرتين، فما أوذي بعدها[٣].

---

(١) قال شاكر: هذا أثر ضعيف الإسناد جداً، محمد بن الزبير الحنظلي، قال البخاري في كتاب الضعفاء ص٣١: «منكر الحديث».أهـ

(٢) صحيح، وهو في كتاب السنة لابن أبي عاصم من طرق عن عمرو (١٢٣٣-١٢٣٦).أهـ ألباني

(٣) البخاري عن أبي الدرداء، ولم أره عند مسلم، ولم يعزه إليه في «الذخائر» ولا في «الجامع الكبير» ورواه ابن أبي عاصم (١٢٢٣) مقتصراً على المرفوع منه.أهـ ألباني

ومعنى: غامر: غاضب وخاصم، ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفي الصحيحين أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة، في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت في نفسي كلاماً قد أعجلني[١]، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر! ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب ابن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب، أو أباعبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله[٢].

والسنح: العالية، وهي حديقة بالمدينة معروفة بها.

سؤال/ سعد بن عبادة رضي الله عنه في عدم مبايعته لأبي بكر، هل

---

(١) الصواب: أعجبني، ابن باز.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري دون مسلم، خلافاً للمصنف رحمه الله، وروى طرفه الأخير ابن أبي عاصم (١١٦٦) ثم روى قصته قول الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير» من حديث ابن مسعود (١١٥٩) وكذلك رواه أحمد وغيره، وهو مخرج في الظلال.أهـ ألباني

قال شاكر: قد أوهم الشارح أيضاً في نسبته للصحيحين، فإنه من أفراد البخاري، كما نص عليه الحافظ ٧:١٢٣.أهـ

بقي على هذا إلى أن مات؟

أجاب سماحته: الظاهر أنه مات على هذا. أهـ.

* * *

قوله: (ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه).

ش: أي وتثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه، لعمر رضي الله عنه، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر.

فقد روي عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوما تعرف؟ فقلت؟ لا، قال: أبوبكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[١].

وتقدم قوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[٢].

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر

(١) صحيح، وتصدير المؤلف إياه بـ (روي) المشعر اصطلاحاً بالتضعيف ليس بجيد، فقد أخرجه البخاري وغيره من طرق عن ابن الحنفية، وهو مخرج في الظلال (١٢٠٤و١٢٠٦و١٢٠٧).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وقد مضى.أهـ ألباني

وعمر» فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأمة قد أجمعت على أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ في أربعة، وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي رضي الله عنهم جميعاً، وقد تكاثرت الأدلة على تقديم الصديق وأنه أرجحهم إيماناً وأعظمهم قدراً وأفضلهم عملاً وسابقة، ولهذا أجمعوا عليه وأنه المقدم في الخلافة والفضل على جميع الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، لأعماله العظيمة وسابقته العظيمة وجهاده العظيم، وتقديم النبي عليه الصلاة والسلام له في الإمامة في الصلاة في حياته وحين مرضه وفي صحته كذلك إذا ذهب لحاجة.

ثم بعد ذلك عهد الصديق رضي الله عنه إلى عمر وجعله ولي الأمر بعده، فأجمعت الأمة على ذلك، وكان هذا من أعظم الفراسة التي حصلت لأبي بكر للصديق حيث خلّف عمر وأوصى أن الخلافة من بعده له، وكان هذا أيضاً من أعظم حسناته رضي الله عنه، فإنه رأى أن عمر هو أولى الناس بعده في هذا الأمر، لما عرف من فضل سابقته وعلمه وفضله وقوته في الله عز وجل.

ثم جعل عمر الشورى في الستة كما سيأتي، فأجمع المسلمون بعد ذلك على عثمان، ثم بايع الناس علياً رضي الله عنه، فصارت الخلافة بعده ﷺ ثلاثين سنة.

ثم تولى بعد ذلك معاوية رضي الله عنه بعدما جرت الفتنة الكبيرة

---

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (١٢١٠).أهـ ألباني

بعد مقتل عثمان، وما جرى بين علي ومعاوية وأهل الشام والعراق من الفتنة، ثم جمعهم الله على معاوية واستقرت الأمور وهدأت الأحوال من واحد وأربعين إلى عام ستين، ثم توفي معاوية رضي الله عنه وأرضاه في عام ستين، ثم صارت الولاية ليزيد بعد ذلك، وجرى بعد ذلك ما جرى من الفتن.

فالمقصود أن الخلافة النبوية بعد الرسول ﷺ كانت في هؤلاء الأربعة بما جاءت به الأدلة العظيمة الكثيرة، وبما وفق الله له المسلمين من الإجماع على بيعة الصديق ثم عهده لعمر ثم ما حصل من الاتفاق على عثمان ثم البيعة لعلي رضي الله عنه وأرضاه لكونه أفضل الباقين بعد الثلاثة، لفضله وسابقته وقرابته، رضي الله عنهم جميعاً. أهـ.

* * *

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في رؤيا رسول الله ﷺ، ونزعه من القليب، ثم نزع أبي بكر «ثم استحالت الدلو غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن»(١).

وفي الصحيحين، من حديث سعد بن أبي وقاص: قال: استأذن عمر ابن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكملنه، عالية أصواتهن - الحديث، وفيه - فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب!! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»(٢).

---

(١) صحيح، وقد مضى. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٢٥٤-١٢٦٠). أهـ ألباني

وفي الصحيحين أيضاً، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»(١).

قال ابن وهب: تفسير محدثون - ملهمون.

قوله: (ثم لعثمان رضي الله عنه).

ش: أي وثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان، في صحيحه، فأحببت أن أسردها، كما رواها بسنده: عن عمرو ابن ميمون، قال:

رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أرض العراق أرض السواد، لأنها أرض خراجية لولي الأمر، فعمر ضرب عليها خراجاً معيناً يؤدى كل سنة، وكان حذيفة وعثمان هما القائمان بذلك، فخاف أن يكونا حملاها شيئاً زائداً، فأمرهما أن يتحريا ألا يحملاها إلا ما تطيق وأن يفضلا لأهل الأرض ما يكفيهم ويقوم بحالهم بعد الأجرة، والخراج هو الأجرة في بيت المال. أهـ.

* * *

(١) متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٢٦١-١٢٦٢).أهـ ألباني

قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا أربعة حتى أصيب، قال:

إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني، أو أكلني الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفاً! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت؟ أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل

شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي، «ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو في هذه الحالة الشديدة أنكر المنكر، اللهم ارض عنه، في هذه الحالة الشديدة بعد الطعن وما أصابه من المصيبة الكبرى وخطر الموت، لما رأى الشاب يمس ثوبه الأرض قال ردوه علي، فلما ردوه قال: يا ابن أخي: ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، هذا يدل على أن المؤمن ينكر المنكر مطلقاً في أي حال، في حالة مرضه وصحته وسفره وإقامته، في جميع الأحوال، وهذا فرض المؤمنين جميعاً ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:٧١] وهذا من الدلائل على كمال فضله وعظيم عنايته وغيرته لله رضي الله عنه وأرضاه، وكان رحمة على المسلمين، رحم الله به العباد، ونشر الله به العدل، وأقام به سوق الجهاد، وانتشر به الإسلام في شرق الأرض وغربها، وجاهد المسلمون في الله جهاداً عظيماً كالروم وفارس وغير ذلك في خلافته رضي الله عنه وأرضاه، حتى أظهر الله به الحق وأظهر به العدل، وسار الناس في غاية من الأمن والعافية والاستقامة

---

(١) ما بين الهلالين المزدوجين حديث مرفوع أخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٩٧ـ مختصرة) وبعضه في الصحيحة (١٤٤١).أهـ ألباني

ورغد العيش، رحمة الله عليه ورضي عنه وعن أصحابه جميعاً. أهـ.

* * *

يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدين؟ فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانون[١] ألفاً أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم

---

(١) الصواب: وثمانين، ابن باز.

عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أي مادام أميراً. أهـ.

* * *

فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة الأموال، وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم، عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس الذين لهم الجزية. أهـ.

* * *

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب؟ قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري

إلى عبدالرحمن بن عوف، فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك، لئن أمرتك لتعدلن؟ ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

وعن حميد بن عبدالرحمن: أن المسور بن مخرمة أخبره:

أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبدالرحمن: لست بالذي أنافسكم عن هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم؟ فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولوا عبدالرحمن أمرهم، فمال الناس على عبدالرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبدالرحمن يشاورونه تلك الليالي،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنها ثلاثة أيام ولياليها يشاور الناس ويتأمل وينظر، وتعب في هذا رضي الله عنه وأرضاه. أهـ.

* * *

حتى اذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها فبايعنا عثمان، قال المسور بن مخرمة: طرقني عبدالرحمن بعد هجع من الليل، فضرب

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠ـ فتح ـ السلفية). أهـ ألباني

الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً؟! فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبدالرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبدالرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله ﷺ والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا بأس بسنده. أهـ.

* * *

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، وفي صحيح مسلم، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله،

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٠٧). أهـ ألباني

ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الرواية المحفوظة «كاشفاً عن ركبتيه» وقوله عن فخذيه أو ساقيه فهذا شك من الراوي، والصواب ركبتيه، أما ظهور فخذه فهذا في قصة خيبر فقط، وهذه محتملة أن تكون عن غير قصد بسبب حركة الدابة أو أنه منسوخ، والأحاديث الدالة على أن العورة من السرة إلى الركبة يشد بعضها بعضاً. أهـ.

* * *

وفي الصحيح: لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان»(٢).

قوله: (ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه).

ش: أي: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»(٣).

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء تحت الحديث (٢٦٩) من طرق عن عائشة رضي الله عنها، وفي بعضها «كاشفاً عن فخذيه» بدون شك، وله شاهدان خرجتهما هناك، أحدهما عن حفصة، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٨٤-١٢٨٥) من طريقين عنها. أهـ ألباني

(٢) صحيح، رواه البخاري من حديث ابن عمر. أهـ ألباني

(٣) حسن، وقد تقدم. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء» ولا بأس بإسناده. أهـ.

* * *

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر. وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن علي رضي الله عنهم الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية، فظهر صدق قول النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(١) والقصة معروفة في موضعها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه تعد من مناقبه عند أهل السنة، وتعد من معايبه عند الرافضة، ولكنها من مناقبه الكريمة وأعماله الجليلة، حيث أصلح الله به بين الفئتين، وحقق به ما قاله النبي ﷺ: **«إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** فوقع ذلك، فإن الناس قد بايعوا الحسن على القتال بعد أبيه، وتجمعت الجيوش ضد الشام، ومعاوية كذلك قد جيش الجيوش ضد العراق، فلولا الله سبحانه ثم هذا الصلح، لكانت ملاحم وفتن لا يعلم مداها إلا الله، ولكن سبق في علم الله أن يسهل هذا الصلح، وأن يقدره

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة. أهـ ألباني

على يد الحسن، فتم ذلك بحمد الله في ربيع الأول من عام إحدى وأربعين من الهجرة، وصار يسمى عام الجماعة، عام إحدى وأربعين من الهجرة يسمى عام الجماعة، لأن الله جمع به شمل المسلمين وكلمتهم على رجل واحد بعد الفتنة العظيمة، بعد مقتل عثمان في آخر عام خمس وثلاثين، وصارت الأعوام الخمسة فيها من القتال والفتن ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، عام ست وثلاثين وسبع وثلاثين وثمان وثلاثين وتسع وثلاثين وأربعين. أهـ.

* * *

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام، ويحمي الله عثمان، أن يظن بالأكابر ظنون سوء، ويبلغه عنهم أخبار، منها ما هو كذب، ومنها ما هو محرف، ومنها ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العلو في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فتنة صفين لرأي، وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم - وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، بطلب الواجب عليهم، بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفة قلوبهم على عهد النبي ﷺ والخليفتين من بعده مما يسوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، لأن الذين ظلموا عثمان وتعدوا عليه قد أساءوا، وأخطأوا والتبس أمرهم، وصار طائفة من الناس يؤيدون من قام لنصر الشهيد والانتقام له ممن ظلمه كأهل الشام، وصار آخرون مع علي رضي الله عنه لأنه واجب الطاعة والخليفة الراشد، وحصل من هذه الشبهة فتن وشرور، مع اختلاط أناس فيهم شر كثير وفساد كبير وانحراف عن سواء السبيل، دخل بعضهم مع هؤلاء وبعضهم مع هؤلاء وصارت الفتنة، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الصحابة الذين مع علي

والصحابة الذين مع معاوية مجتهدون، فمن كان مع علي وأصحابه فله أجران، لأنهم أصابوا الحق في القيام بجهاد وقتال من بغى، والذين مع معاوية من الصحابة كعمرو بن العاص وغيرهم لهم شبهة الانتصار للمظلوم وقصد طلب القضاء على الظلمة والانتقام منهم والانتصاف منهم، فلهم شبهة بهذا، فلهم أجر اجتهادهم، وإن فاتهم أجر الصواب، وهذه هي القاعدة، فالمجتهدون في طلب الحق بين أمرين:

أحدهم: مصيب فله أجران، أجر الإصابة وأجر الاجتهاد.

والثاني: أخطأ فيفوته أجر الصواب ولكن لا يفوته أجر الاجتهاد.

والواجب كف اللسان عما جرى بين الصحابة، وأن لا يقال فيهم إلا بالحسنى، كما ذكره الشارح وكما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩] فعلي قام بهذا عملاً بهذه الآية وما جاء به معناها، وظناً منه أن الأمر ينتهي بسرعة، وأن الفتن يقضى عليها، والآخرون قاموا بالانتصار للمظلوم، وأن المظلوم يجب نصره، وأن ينتقم ممن ظلمه ويقضى على من ظلمه، وظنوا أن الأمر ينتهي بسهولة، وأن أصحاب القتل والظلم يمكن إمساكهم والقضاء عليهم وقتلهم، فلم يتم ذلك، فتطورت الحال لما جرى، ونسأل الله حسن العاقبة، وأن يغفر لأصحاب الرسول ﷺ، ومن له قصد صالح من أتباعهم، وأن يعفو عمن أخطأ. أهـ.

* * *

والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي هذا الباب صح الحديث عن رسول الله ﷺ في الصحيحين: «**تمرق مارقة من أمتي على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»(١) وهذه المارقة هم الخوارج، مرقوا على حين فرقة فقتلهم علي وأصحابه، فتبين أن علياً وأصحابه هم أولى الطائفتين بالحق وهم المبغي عليهم، وفي حديث الخوارج الحكم على الطائفتين بأنهما مسلمتان «**تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين**»فهم مسلمون، أهل الشام وأهل العراق، اختلفوا بسبب الشبهة التي وقعت في قتلة عثمان، والمارقة هي الخوارج الذين مرقوا وكفروا من عصى بزعمهم، وكفروا جمهور الصحابة الذين حضروا هذا الأمر، وزعموا أنهم في قتالهم فيما بينهم قد خرجوا من الإسلام، وهذا من جهل الخوارج وظلمهم وقلة بصيرتهم وغلوهم في الدين كما قال النبي ﷺ، فإن هؤلاء قال فيهم النبي ﷺ: «**إنه يكون قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه**»(٢). أهـ.

* * *

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما في

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٥) كتاب الزكاة/ باب التحريض على الخوارج، وأبو داود (٤٥٠٢) كتاب السنة/ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (٤٥٩٩) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، وأبو داود (٤٥٩٩) كتاب السنة/ باب في قتال الخوارج، من حديث علي رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢١٨٨) كتاب الفتن/ باب في صفة المارقة من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه.

الصحيحين، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»(١).

وقال ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه(٢).

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»(٣).

قوله: (وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

ش: تقدم الحديث الثابت في السنن، وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(٤).

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء (١١٨٨) ورواه ابن أبي عاصم في السنة من طرق (١٣٣١ـ١٣٤٥) عن سعد وعن غيره (١٣٤٦ـ١٣٥١). أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، ورواه ابن أبي عاصم في السنة عن جمع آخر من الصحابة (١٣٥١و١٣٧٧و١٣٨٠و١٣٨٦و١٣٨٧). أهـ ألباني

(٣) مسلم في صحيحه (٧/ ١٢٠ـ١٢١) من حديث سعد بن أبي وقاص، والترمذي وصححه، وله شاهد عند ابن أبي عاصم (١٣٥١). أهـ ألباني

(٤) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[(١)] وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأن الشارح يرى أن الاقتداء في القول والعمل، وإلا فالأظهر والله أعلم أنه من باب التأكيد على أهمية الصديق وعمر، وإلا فقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» يعم القول والعمل، يعم سنتهما ويعم الاقتداء بهما، فإن سنتهما تتبع القول والعمل، فليس واضحاً ما قاله الشارح. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة، وقد تقدم قول عبدالرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنهما: إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، وقال أيوب السختياني من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار[(٢)].

وفي الصحيحين عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي:

---

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

(٢) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٥٣٤، ورواه الخلال في السنة وعزاه إلى الثوري ٢/ ٣٧٩.

أفضل أمة النبي ﷺ بعده - أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان(١).

قوله: (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم. أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين).

ش: تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين: ما رواه مسلم: عن عائشة رضي الله عنها: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي ﷺ: «من هذا»؟ فقال سعد ابن أبي وقاص: يا رسول الله، جئت أحرسك.

وفي لفظ آخر: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام(٢).

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود بسند صحيح عنه، وهو عند البخاري بنحوه، ولم يخرجه مسلم، وأخرجه ابن أبي عاصم من طرقه (١١٩٠-١١٩١) من طرق عن ابن عمر، أحدها عن أبي هريرة، وهي مخرجة في ظلال الجنة (٢/ ٥٦٦-٥٦٩).أهـ ألباني

قال شاكر: هذا الحديث رواه البخاري ٧:١٤-٢٧ بلفظين آخرين، وهو من أفراده، لم يروه مسلم في صحيحه، كما نص على ذلك الحافظ ٧/ ١٢٣ وأما اللفظ الذي هنا فهو لفظ أبي داود ٤٦٢٨ من رواية سالم عن ابن عمر، ورواه أيضاً بنحوه من غير هذا الوجه: أحمد في المسند ٤٦٢٦ وأبو داود ٤٦٢٧ والترمذي ٤/ ٣٢٢-٣٢٣، فقد تساهل الشارح كثيراً !!.أهـ

(٢) أخرجه مسلم عنه، وكذا ابن أبي عاصم (١٤١١).أهـ ألباني

يوم أحد، فقال: «ارم، فداك أبي وأمي»(١).

وفي صحيح مسلم، عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد قد شلت(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال سلت، لكن يقول أهل اللغة: الأصلح شلت، يعني تعطلت. أهـ.

❊ ❊ ❊

وفيه أيضاً عن أبي عثمان النهدي، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد(٣).

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم، عن جابر بن عبدالله قال: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير»(٤).

وفيهما أيضاً عن الزبير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم»؟ فانطلقت،

فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: «فداك أبي وأمي»(٥).

---

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (١٤٠٥-١٤٠٧).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وإنما أخرجه البخاري دون مسلم.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري ٧:٦٦ وقد وهم الشارح في نسبته لمسلم، فإنه من أفراد البخاري، وقد نص الحافظ على ذلك ٧/ ١٢٣ وقوله «يوم أحد» ليس في لفظ البخاري، وذكر الحافظ أنه ثابت في رواية الإسماعيلي، يعني في مستخرجه على البخاري.أهـ

(٣) صحيح، وأخرجه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر :صحيح مسلم ٢/ ٢٤٠، ورواه أيضاً البخاري ٧/ ٦٥-٦٦، وسها الحافظ في الفتح ٧/ ١٢٣ فجعله من أفراد البخاري.أهـ

(٤) صحيح، متفق عليه، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٨٨-١٣٩٣).أهـ الباني

(٥) صحيح، متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٣٩٠).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه منقبة للزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، يلقب بأسد قريش، وهو ابن عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام صفية، ومعنى انتدبه: يعني قال من يذهب إلى هؤلاء فيأتينا بخبرهم؟ خبر قريش، فانتدب الزبير وقال: أنا يا رسول الله، وكان يوماً بارداً شديد البرودة، هذا يدل على شجاعة وإيمان، رضي الله عن الجميع. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح»[(١)].

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان، قال. جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَ أمين» قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أباعبيدة بن الجراح[(٢)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، رضي الله عنه وأرضاه. أهـ.

* * *

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة،

---

(١) صحيح، وأخرجه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٤١، وكذلك رواه البخاري ٧/ ٧٣.أهـ

(٢) صحيح، متفق عليه.أهـ ألباني

قال شاكر: هذا لفظ مسلم ٢/ ٢٤١، وأما البخاري فرواه موجزاً جداً ٧/ ٧٣-٧٤.أهـ

وطلحة في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: «سعيد بن زيد».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: النبي في الجنة يعني جنس الأنبياء، ويقصد كل الأنبياء، ليس خاصاً بمحمد ﷺ بل جنس الأنبياء، جميعهم في الجنة عليهم الصلاة والسلام، فهو لم يقل أنا.

فهم عشرة غير النبي، الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد ابن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة. أهـ.

* * *

وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يغبر منه وجهه، خير من عمل أحدكم، ولو عمر عمر نوح(١).

رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وصححه(٢)، ورواه الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة [وسعد في الجنة](٣) وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة،

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الروض النضير (٤٢٥) ورواه ابن أبي عاصم (١٤٣٥). أهـ ألباني
قال شاكر: هذا لفظ روايتي أبي داود ٥/ ٣٩-٤٠. أهـ.

(٢) قال شاكر: جمع المؤلف لفظه من روايتين لأبي داود ٤٦٤٩-٤٦٥٠، ورواه أحمد في المسند نحوه مطولاً ١٦٢٩. أهـ.

(٣) قال شاكر: ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من المسند ١/ ١٩٣ والترمذي رقم (٣٧٤٧). أهـ.

وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[1] رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة، وقدم فيه عثمان على علي، رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[2] رواه مسلم والترمذي وغيرهما، وروي من طرق.

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشر!! لكونهم يبغضون خيار الصحابة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهم الرافضة قبحهم الله، يكرهون العشرة. أهـ.

* * *

وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون منهم علياً رضي الله عنه! فمن العجب: أنهم يوالون لفظ التسعة! وهم يبغضون التسعة من العشرة! ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين، الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد رضي الله عنهم، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

---

(١) صحيح. أهـ ألباني

قال شاكر: المسند: ١٦٧٥، والترمذي ٤/ ٣٣٤. أهـ

(٢) صحيح، وأخرجه أحمد أيضاً (٢/ ٤١٩) وابن أبي عاصم (١٤٢٥-١٤٢٧-١٤٣٩-١٤٤٣-١٤٤٥-١٤٤٧). أهـ ألباني

ٱلشَّجَرَةِ﴾[١] وثبت في صحيح مسلم، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ويشبه عمل الرافضة ما يقع عند بعض الجهلة في غامد وزهران، كان عندهم عادة سيئة وهي الخوف من السبعة، سبع شياطين معروفة عندهم، وكانوا يقولون دائماً: خذوه يا سبعة، اقتلوه يا سبعة، افعلوا به يا سبعة، هذا في كلام كثير من سفهائهم وجهلتهم، وإذا أخذوا يعدون الحساب لا يقولون سبعة، وإنما يقولون سمحة، سمحة ثمانية، لا يحبون أن ينطقوا سبعة لأنهم يخافون من شياطينهم، وهذا من الجهل الذي وقع فيه بعض الناس في هذا العصر، يقولون واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سمحة ثمانية، لا يذكرون اسم سبعة، ويقولون إذا غضبوا: خذوه يا سبعة، افعلوا به يا سبعة، اقضوا عليه، اقتلوه، وهذا من جهلهم وضلالهم، ودعوة السبعة من الشرك الأكبر.

وقد كتبنا في هذا كتاباً قديماً ووزع، ووجهناها إلى جهة غامد وزهران في هذه المسألة، ولا يزال في بقية منهم هذا الشيء كما أخبرنا جماعة منهم، ولا شك أن هذا شرك أكبر يجب التوبة منه.

وهم لو قالوا: أخذك السبعة أو قتلك السبعة لكان أسهل من قولهم خذوه،

---

(١) قال شاكر: الفتح: ١٨. أهـ

(٢) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (٨٦٠-٨٦١) أيضاً، وهو مخرج في الصحيحة (٢١٦٠). أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٦٣، ولكنه ليس من حديث جابر، بل من روايته عن أم مبشر، ولفظه «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها». أهـ

فخذوه وافعلوا به هذا دعوة لهم ونداء، يدعونهم لأن يفعلوه، أما الدعاء بأن يأخذوه، أخذك السبعة أو قتلك الشيطان، مثل ما يقوله الناس، قاتلك العدو، قاتلك الشيطان، قاتلك الله، من باب الدعاء ومن باب السب. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم أيضاً، عن جابر: [أن غلام حاطب بن أبي بلتعة](١) قال يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»(٢).

والرافضة يتبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من نفر قليل، نحو بضعة عشر نفراً!! ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس، لم يهجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: بل لا يشرع، حتى من جهة الشرع لا يجوز هجره لهذا الشيء. أهـ.

* * *

بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع من القرآن: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١

---

(١) في نسخة: «أن غلاماً لحاطب قال...».

(٢) صحيح. أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٦٣ وقد صححنا لفظه منه. أهـ

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[1]، وقال في ليلة القدر: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»[2] وقال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر» يعني عشر ذي الحجة[3].

والرافضة توالى بدل العشرة المبشرين بالجنة، إثني عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أنه وصي النبي ﷺ، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رضي الله عنه، ثم الحسين رضي الله عنه، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضى، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الأخير هو صاحب السرداب، يقولون دخل السرداب وهو ابن خمس سنين أو ست سنين ولم يخرج إلى الآن.

وقد ادعى الخميني، الرافضي الخبيث، أنه نائب لمحمد بن الحسن العسكري، وأنه يدعو إلى أهل البيت وإلى تعظيم الاثني عشر، ويقول: إنهم يعلمون الغيب وإنهم معصومون، فيعبدونهم مع الله، نسأل الله

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر. أهـ ألباني

(٢) البخاري من حديث ابن عباس، وصححه الترمذي. أهـ ألباني

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر ونحوه، والبخاري وغيره من حديث ابن عباس بلفظه المذكور أعلاه، ومسلم وغيره من حديث أبي سعيد، وهي مخرجة في الصحيحة (١٤٧١) وصحيح أبي داود (١٢٥٠-١٢٥٢). أهـ ألباني

العافية، تباً لهم ما أسفه عقولهم وما أضلهم وما أجهلهم.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه المقالات من رؤسائهم تلبيس، وإلا فهم على مجوسيتهم وكفرهم وضلالهم الخبيث، وهم يلبسون على الناس بحب أهل البيت، وأما العامة فهم أشباه الأنعام لا يعرفون شيئاً، وليس بقليل كذبهم. أهـ.

* * *

ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد!! ولم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر، إلا على صفة ترد قولهم وتبطله، وهو ما خرجاه في الصحيحين، عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: «كلهم من قريش»[1] وفي لفظ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»[2] وفي لفظ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، وكان الأمر كما قال النبي ﷺ.

والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الواقع، فإن

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٣٧٦و٩٦٤) ورواه ابن أبي عاصم أيضاً (١١٢٢-١١٢٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه مسلم أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر: الروايتان في صحيح مسلم ٢/ ٧٩-٨٠.أهـ

الإسلام عزيز في زمن هؤلاء، الأربعة الخلفاء، ثم معاوية رضي الله عنه، ثم يزيد مدة قليلة، ثم تولى بعده عبدالملك وأولاده الأربعة من بعده، هؤلاء إحدى عشر، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، هؤلاء اثنا عشر.

ثم جاءت الطامة والبلايا والمحن بعدما تولي الوليد بن يزيد الفاسق، وقامت الفتن على بني أمية والشرور، حتى سلبوا الملك وتولى بعدهم بنو العباس، وصارت فتن طويلة عريضة في آخر بني أمية وفي أول خلافة بني العباس، ثم استقر الأمر لبني العباس، واختل النظام وذهبت قطعة من الملك لما تولاها بنو أمية في المغرب في الأندلس.

فالمقصود أن هذا الحديث من علامات النبوة، والرافضة تتأول هذا الحديث لها، وهو حجة عليها لا لها، فإن هؤلاء الذين قالوا ما تولوا شيئاً سوى علي فقط، تولى مدة يسيرة مع خلاف بينه وبين أهل الشام، ولم تستقر له الأمور، والحسن ما تولى إلا مدة يسيرة، ستة أشهر تقريباً ثم تنازل لمعاوية، أما الباقون كلهم ما تولوا شيئاً، ولم يكن لهم ولاية ولا قسر لأهل الإسلام بالسيف، بل ما بين عالم وبين عابد وبين من لم تعرف لهم أعمال لها أهمية، ولكن الرافضة قوم بهت وقوم شر وقوم فساد. أهـ.

* * *

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود!!

وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر.

قوله: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه

الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد بريء من النفاق).

ش: تقدم بعض ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وفي صحيح مسلم، عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، بماء يدعى: خماً، بين مكة والمدينة، فقال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فعله ﷺ منصرفه من حجة الوداع، لما رجع من حجة الوداع في آخر ذي الحجة عام عشر من الهجرة، خطب الناس في موضع يقال له خم، قريب من رابغ، فذكرهم وحثهم على تقوى الله جل وعلا، وأخبرهم أنه بشر مثل بقية الرسل، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، يعني يوشك أن يأتي ملك الموت، فيجيب إلى ذلك وينتهي الأمر، ثم قال: «إني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي» يعني تارك فيكم الثقل الثاني أهل بيتي، «أذكركم الله في أهل بيتي» يعني في الإحسان إليهم والرفق بهم ومعرفة منزلتهم وعدم إيذائهم، ومنهم فاطمة ومنهم علي رضي الله عنهم ومنهم أولاد علي وأولاد عباس وأولاد عقيل بن

---

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم أيضاً في السنة (١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٥). أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٣٧-٢٣٨ في حديث طويل. أهـ

أبي طالب وأولاد جعفر بن أبي طالب وغيرهم من بني هاشم، ومنهم أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن وأرضاهن، فأوصى بالجميع خيراً.

وقد امتثل الصحابة ومن بعدهم ذلك، فاعتنى بهم الصديق واعتنى بهم عمر واعتنى بهم عثمان وعلي ومن بعدهم رضي الله عنهم جميعاً، والمقصود من هذا كله أن أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وأهل بيته يجب على ولاة الأمور أن يعتنوا بهم ويحسنوا إليهم، وأن يمنعوا من تكلم فيهم بسوء أو آذاهم أو قدح فيهم، لأن ولاة الأمور هم النواب بعده ﷺ في إلزام الناس بالحق وزجرهم عن الباطل والأخذ على أيدي السفيه، ومن ذلك إلزام الناس بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والسير عليهما والاستضاءة بنورهما والحذر مما خالفهما، ثم العناية بأصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم والكف عن مساويهم وعن أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، كل هذا مما يجب على ولاة الأمور من الأمراء والعلماء وأعيان الناس أن يكونوا شيئاً واحداً في هذا الباب ضد أهل الباطل وضد أهل الشر. أهـ.

* * *

وخرج البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: ارقبوا محمداً في أهل بيته. (١)

وإنما قال الشيخ رحمه الله: «فقد بريء من النفاق» لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر

(١) صحيح البخاري (٣٧١٣و٣٧٥١).أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري عن أبي بكر في موضعين: ٧/ ٦٣ـ٧٥ من فتح الباري.أهـ

التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم علي الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ، وتقدم أن من فضله على أبي بكر وعمر جلده جلد المفتري.

وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج، من الحروريه والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة، كما حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام.

قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي، وبني أمية وبني العباس، وقل بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب! يفوض إليه خلق العالم!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فاذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، رضي الله عنهم، انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن الرافضة شرهم عظيم، وهم الباطنية وأشباههم، لأنهم دخلوا من هذا الباب فسبوا أصحاب النبي ﷺ، ثم تطرقوا إلى أهل البيت وذكر مثالبهم شاءوا أم أبوا، فهم شر عظيم على المسلمين وفتنتهم عظيمة.

وعبد الله بن سبأ ذكر الذهبي أنه ممن حرق بالنار، لكن المشهور أنه هرب ولم يكن مع المحرقين، وظاهر كلام الذهبي أنه ممن حرقه علي وأن أمره انتهى، ولكن بعضهم ذكر أنه سلم. أهـ.

* * *

قوله: (وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر- لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

ش: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أنه كما يجب حب الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وتوليهم ومحبة أهل البيت وموالاتهم، كذلك علماء المسلمين بعدهم من أهل السنة والجماعة، فإن الواجب حبهم في الله وموالاتهم والذب عنهم وبغض من عاداهم في الله، لأن الله قال: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [التوبة:٧١] فالمؤمنون سلفاً وخلفاً أولياء فيما بينهم، فعلى متأخرهم أن يحب متقدمهم، وأن يواليهم في الله سبحانه وتعالى كما يحب المؤمنين في زمانه، ومن عرفهم من أهل الإيمان يحبهم في الله ويواليهم في الله ويبغض أعداء الله ويعاديهم قديماً وحديثاً، حتى لا

يكون في قلبه مودة لأعداء الله، ولا يكون في قلبه بغض لأولياء الله. أهـ.

* * *

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلاف؛ فلابد له في تركه من عذر، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم بين ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إما أن الخبر لم يبلغهم فجهلوه، أو بلغهم من وجه غير صحيح.

الأمر الثاني: أن بعضهم قد لا يفهم أن هذه المسألة غير دالة على هذه الجزئية المعينة، وأن لديه أدلة أخرى تخرج هذه المسألة عن داخل النص.

والأمر الثالث: أن يظن أو يعتقد أنه منسوخ، وأن ما دل عليه النص قد جاء ما ينسخه.

وقد بسط القول في هذا: أبو العباس بن تيمية رحمه الله، بسط هذه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الأعذار ونوع في المسألة، وبين ما للسلف في ذلك في كتابه: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وبين أعذار العلماء فيما قد يغلط فيه بعضهم، وأن كل عالم يفوته شيء ويخفى عليه شيء، وليس كل عالم يحصي ما جاءت به السنة وماجاء به الكتاب من المعنى، بل يفوته بعض الشيء، وهكذا قد يغلط في الفهم ويعتقد أن بعض الأحكام منسوخة وليست بمنسوخة، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فـ رضي الله عنهم وأرضاهم. ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

قوله: (ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق

بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة[(١)].

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه، بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦] يعني يحملهم ما في نفوسهم من التعاظم والكبرياء على أن يخالفوا الحق، ويرون أنهم أولى أن يتبع هواهم دون هذا الحق الذي بانت نفوسهم عنه وآثروا عليه هواهم وبغيهم. أهـ.

* * *

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!! ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٠/ ٢٤٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٢٢٦٠، والأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥٧ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!!

وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره - قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فويـق الرسـول ودون الـولي!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا جهل من جهتين:

أولاً: جعل النبوة فوق الرسالة، والرسل هم الأخص وهم خواص الأنبياء، هم الأفضل.

وثانيا: كون النبوة دون الولاية، وهذا أيضاً غلط قبيح، فإن الرسل هم أفضل الناس، ثم الأنبياء، ثم أولياء الله المؤمنون، فالرسل هم خواص الأنبياء ومقدمهم، ثم بعد ذلك عموم الأنبياء الذين يوحى إليهم، ثم بعد ذلك أولياء الله المؤمنون من العلماء والأخيار، فابن عربي جاهل خبيث، جعل المرتبة بالعكس، وأملى إليه شيطانه وهواه هذه المقالات الشنيعة.

مقـــام النبـــوة في بـــرزخ فويـق الرسـول ودون الـولي!

جعل الأنبياء فوق الرسل وعكس القضية التي عليها أهل العلم، ثم جعل الولاية فوق الجميع. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضاً في فصوصه:

ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراها، كما قال: لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فتكمل الحائط!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل كلامه هذا سفسطة لا وجه لها، فالحائط ليس فيه إلا موضع لبنة كما قال النبي ﷺ، وليس فيه ذهب ولا فضة، وإنما ضرب المثل بقصر كامل، سواء كان من حجر أو من إسمنت أو من لبن أو من أي شيء، قصر كامل لم يبق فيه إلا موضع لبنة، وكان ﷺ هو موضع اللبنة، فإن الله كمّل به الرسل وختم به الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فلم يبق بعده شيء، فهذه السفسطة التي قالها ابن عربي لا وجه لها، وإنما هي في الحقيقة هوس في العقول

وفساد في الرأي وتلبيس على الناس لا حقيقة له، بل هو أشبه بكلام المجانين والذين ذهبت عقولهم بالسكر ونحوه. أهـ.

* * *

فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يأخذ عن الله ولا يحتاج إلى واسطة الرسل. أهـ.

* * *

قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع! فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟!

تلك أمانيهم: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟

وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه

ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد.

ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه، والله المستعان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا عثرنا عليه وعرفنا زيفه ونفاقه وزندقته لا تقبل توبته بل يقتل، لأن شره خفي، فوجب إعدامه حتى يسلم الناس من شره، أما إذا جاءنا تائباً نادماً قبل أن نعرف حاله وترك ما هو عليه، فهذا القول الأرجح في قبول توبته، كما قال السفاريني في قصيدته المعروفة.

فالمقصود أن الزنادقة هم أهل النفاق في العهد الأول، فإذا ظهر نفاقهم وعنادهم وخبثهم وجب قتلهم حتى يستراح من شرهم، أما إذا جاء تائباً نادماً قبل أن نعرف حاله وقبل أن نفتش عنه وقبل أن يظهر ما ظهر منه من الزندقة، فهذا حينئذ مثل ما يقبل الكفار الآخرون. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم).

ش: فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعها: الأمر الخارق للعادة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أنها معجزات كلها، الكرامة والمعجزة كلاهما خارق للعادة، لتأييد الحق،

يؤيد الله به الحق، فما يقع للمؤمنين من الكرامات الخارقة للعادة هي في الحقيقة تأييد للأنبياء المتبوعين الذين تبعهم هؤلاء المؤمنون، لأن الله أيد بهذه الكرامة الحق الذي عليه المؤمن، كما أيد بالمعجزات ـ التي تختص باسم المعجزات ـ الرسل الذين بعثهم الله بدعوة الخلق إلى الحق وهدايتهم إلى سبيل السعادة والرشاد، فالله جل وعلا يخرق لهم العادات لتأييدهم وبيان أنهم على الحق والصواب، فإن المعجزة مع التحدي وإقامة الحجة على أولئك المعاندين تكون وافية في المقصود، لأنه ادعى شيئاً وأقام عليه الحجة بما يخرق العادة، وأيده الله على ذلك بفضله سبحانه وتعالى، وصار ذلك من أسباب إقامة البرهان وقطع المعاذير على أولئك الذين أرسلت إليهم الرسل، كالقرآن الكريم معجزة مستمرة إلى آخر الدهر، وكما أيد الله صالحاً بالناقة، وأيد موسى بالآيات الكثيرات، وأيد عيسى كذلك، وهكذا الرسل تؤيد بالبراهين والدلائل التي تقيم الحجة على المدعوين وتقطع المعذرة، وتجعلهم في الحقيقة غير معذورين، بل مستحقون للعذاب الذي وعد الله به من خالف الرسول. أهـ.

* * *

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ﴾ وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أول أولي العزم، وأول رسول بعثه الله إلى أهل

الأرض، وهذا خاتم الرسل، وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك، وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الآيات، وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ الآية، فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغني عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

ثم الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها: بلعام بن باعورا، لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح.

فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو المقصود من إيجاد الخلق، أن يستقيموا على طاعة الله، أما الكرامة فلها أسباب، فلا ينبغي للعاقل أن تكون الكرامة هماً له ومقصداً له، بل يجب أن يكون قصده وجه الله والدار الآخرة واتباع ما جاءت به الرسل حتى يستقيم على هذه الحال، فإذا بلي يسر الله من الآيات والدلائل والخوارق والكرمات ما يغنيه وما يؤيده وينصر به الحق، فالمقصود من خلقه وإيجاده أن يكون عبداً لله وأن يكون مطيعاً لله وأن يكون واقفاً عند حدود الله، سواء أعطي كرامة أو لم يعط كرامة، ولهذا مضى أغلب الصحابة وأكثرهم، بل كلهم إلا قليل ولم يجر على أيديهم كرامات، لأن إيمانهم الكامل أغناهم عن ذلك، فقد أغناهم الله بإيمانهم الصادق وسيرتهم وعلمهم وما فتح الله عليهم من المعارف عن أن يحتاجوا إلى الكرامات، وجرى لبعضهم ما جرى إقامة للحق وتأييداً للحق وإظهاراً لفضلهم وعلو منزلتهم عند الله عز وجل، كما جرى لأسيد بن الحضير لما كان يقرأ القرآن وتنزلت له الملائكة[١]، وكما جرى لعباد بن بشر وأسيد أيضاً لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا لهما حتى وصلا إلى بيوتهما[٢].أهـ.

* * *

قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب،

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٨) كتاب فضائل القرآن/ باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، واللالكائي (٥١) ٩/ ١٠٤.

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٥) كتاب مناقب الأنصار/ باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه اللالكائي (٤٦) ٩/ ١٠٢ سياق ما شوهد في أيام النبي ﷺ من أصحابه من كرامات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هذا أصل كبير في أنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على الاستقامة لا على طلب الكرامة، فإن الكرامة إنما تحصل في الغالب لإظهار فضل الشخص أو لتأييد ما هو عليه من الحق، فالصحابة لما كانوا غير محتاجين لهذا الشيء، وعندهم من الإيمان والبصيرة والعلم ما يغنيهم قلّت هذه في عصرهم في حقهم، وقد تحصل لمن دونهم بمراتب لئلا تزل قدمه، وحتى يتبصر وحتى يثبت على الحق.

فينبغي لك أن لا تكون متشوفاً لهذا الشيء، وأن تستغني بما أعطاك الله من العلم والبصيرة عن هذه الأمور، فإن المعول أن تكون على الطريق، فلو وقعت لك كرامة وخارق وأنت لست على الطريق فأنت متهم، قد تكون بلاءً عليك، قد تكون مما أوقعه الشيطان وزينه الشيطان فتغتر بذلك. أهـ.

* * *

فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدين سمعوا بالسلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة.

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسداً، فالأحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تعالى تارة، ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني بأحوال العارفين التي تقع لهم، والمعنى أنه قد يؤثر في غيره شيئاً يسبب هلاكه، فهل يقاد به وهو ليس باختياره؟ بل قد يقع ذلك بغير اختياره مثل النظرة في العين، قد تقع بغير اختيار العائن وليس بقصد منه، وإنما نفسه تتوق لشيء فيؤثر ذلك في المعين.

فهكذا أحوال العارفين، قد يحصل منهم أشياء من نظرات أو كلمات تؤثر في الآخر بحسب ما عنّ لهم من أحوال أو كرامات ظنوها كرامات، ثم تأثر غيرهم بذلك كما يتأثر المعين بالعين، هذا عند أهل التصوف، وهل يقاد به أم لا، لأنه لا يسمى مختاراً ولا قاصداً؟

والصواب عند أهل العلم في هذا التفصيل: فإن قصد العائن أو صاحب الحال بعمله قتل الآخر قيد به، إذا عرف منه ذلك أو أقر بذلك، وإن قال إنه إنما وقع منه بغير قصد، ولم يوجد ما يدل على أنه قصد هذا الشيء فإنه لا يقاد به، ولكن يكون من باب قتل الخطأ، وتلزمه الدية والكفارة إذا عرف أنه بأسبابه، وإذا قصد أثم.

القاعدة أن الكرامة هي الشيء الذي يقع من عند الله ليس للعبد فيها صنع، ويكون موافقاً للشرع لا مخالفاً للشرع، فأما الأشياء التي تقع مخالفة للشرع، كالذي يقول إنه وقف مع أهل عرفات وهو لم يحرم ولم يطف ولم يسع، فهذا ليس من الشرع، هذا من أعمال الشياطين، فإذا

ادعى هذا فالشياطين قد تحمله، تحمله الشياطين من بلاد إلى بلاد ثم تعيده، كما وقع لكثير من الناس. أهـ.

* * *

وهؤلاء يُشهِدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٣] هذه صفتهم ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] «**إن آل أبي ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»(١) وفي اللفظ الآخر قال: «**إنما أوليائي المتقون**»(٢). أهـ.

* * *

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠) كتاب الأدب/ باب تبل الرحم ببلالها، ومسلم (٢١٥) كتاب الإيمان/ باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٢١٢) قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، ورواه كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني رحمه الله: إسناده حسن ١/ ٣ (٢١٣).

وأما ما يبتلي الله به عبده، من السر[(١)] بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه، وشقي بها قوم إذا عصوه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام:

قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة.

وقسم يتعرضون بها لعذاب الله.

وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية:

فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[(٢)] قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وسائر الخوارق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وإنما قال في هذا الحديث أنهن كلماته الكونية لأنه قال: «التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر» هذا الوصف إنما ينطبق على الكلمات الكونية، فإنه إذا أراد شيئاً سبحانه

---

(١) الصواب: السراء، لأنه جاء ضدها الضراء، ابن باز.

(٢) صحيح، وتقدم غير مرة.أهـ ألباني

وتعالى لم يرده راد، بخلاف الكلمات الشرعية كالقرآن والعبادات الشرعية التي شرعها الله، فهذه قد يجاوزها الفاجر كما هو الوقع، فقد يؤمر ويخالف، فأكثر الخلق خالفوا الكلمات الشرعية، وخالفوا ما في القرآن، ولهذا نبه على هذا بقوله «**التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**» هذا التنبيه من حديث النبي ﷺ يبين أن المراد بها الكلمات الكونية. أهـ.

سؤال / التفريق بين المعجزة والكرامات؟

أجاب سماحته/ الأصل فيها أنها واحد، الكرامة والمعجزة هي الخارق للعادة، فإذا كان من باب التحدي كما جاءت به الرسل، فهذه يقال لها معجزات في الاصطلاح، وتسمى كرامات في المعنى أيضاً، وإن كانت على يد المؤمنين وليسوا ممن ادعى الرسالة بل هم من أتباع الرسل، فهذه أخص باسم الكرامة، وهي معجزة أيضاً للنبي الذي جاء بما عليه هذا المؤمن، فإن كانت ليست مع الأنبياء ولا مع المؤمنين فهي من الشعاوذ التي يأتي بها الشياطين، وإن سميت خارقاً، لكنها في الحقيقة شعوذة من الشيطان وتزيين من الشيطان وتلبيس، حتى يظن الناس أن هذا مؤمن أو أن هذا نبي وليس كذلك، ولهذا قال العلماء ـ كما تقدم ـ: الميزان التزامه بالشرع، من كان ملتزماً بالشرع مستقيماً عليه ظاهراً وباطناً، فما وقع له من الخوارق فهو كرامة، وإن كان غير ملتزم فإنه مما تأتي به الشياطين من الخوارق لأربابها، للتلبيس على الناس، أو لقضاء حوائج أوليائهم من الإنس، كما قد يفعل السحرة والكهان والمنجمون، تلبيساً من الشيطان وتغريراً بهؤلاء. أهـ.

* * *

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن و شرع الله الذي بعث به

رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها، والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العباد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها، أي بموجبها.

فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية.

فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

وقدرة الأولى التأثير في الكونيات، إما في نفسه كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غيره، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الكلمات نوعان: كلمات كونية قدرية مقتضاها تنفيذ ما قضاه الله وقدره في العباد، كما قال جل وعلا ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٥٠] فكلماته الكونية نافذة لا راد لها في جميع الخلق من مكلفين وغير مكلفين، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وحظ العبد من ذلك أن يؤمن بهذا الشيء ويصبر ويتحمل، وإذا أصابه ما يكره قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حظه منها، أن يؤمن بذلك وأنها حق، وأن قدر الله نافذ، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما يخرق الله

من العادات للناس من أنبياء أومؤمنين هذا له فيه الحكمة البالغة، فهو يخرق العادات للرسل والأنبياء لتأييدهم وبيان صدقهم وأنه من عند الله، ويخرق العادات للأولياء للمؤمنين إكراماً لهم وتأييداً للحق الذي هم عليه، وإقامة للحجة على أعدائهم وخصومهم، وسداً لحاجتهم عند الحاجة، فقد يحتاج إلى الماء في مكان لا ماء فيه، فيخرق الله له العادة بأن يوجد له ماءً من غير سبب يعلمه الشخص، فيجد ماءً مهيئاً له في إناء في الصحراء فيشرب، أو ينزل المطر عليه حالاً بقدر حاجته فضلاً منه وإحساناً.

وقد يفعل هذا بغير المؤمنين، قد يخرق العادة لغير المؤمنين رحمة منه لعبادة، قد يكونون كفاراً في مهلكة مرماء، فينزل الله عليهم المطر حتى يعيشوا، لأن آجالهم حتى الآن لم تحضر، فينزل الله المطر، وهم أعداؤه، أو البهائم ينزل الله المطر لأنها لم يقدر موتها، بقي عليها أجل، فينزل الله لها المطر فتعيش، وقد يجعل ذلك خارقاً لأوليائه وأهل طاعته إكراماً لهم وتأييداً لهم، وقد يكون ذلك لإقامة الحجة على الأعداء والخصوم، بأن يعطيهم الله شيئاً من الكرامات، ليعلم الخصوم فضلهم وأنهم على حق، كما جرى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكما جرى لكثير من المؤمنين الذين احتاجوا إلى ذلك، فجعل الله لهم كرامات تؤيد ما هم عليه من الإيمان، وكما جرى لأهل الكهف، وكما جري لأسيد بن الحضير ولعباد بن بشر ولغيرهما من الكرامات، وكما جرى للرسل عليهم الصلاة والسلام، كل هذا تبع الكلمات الكونية.

أما الكلمات الشرعية: فهي مثل القرآن ومثل التوراة ومثل الإنجيل، ومثل أوامر الله للرسل، افعلوا كذا واتركوا كذا وأمروا الناس بكذا، هذه كلمات شرعية، فقد يوفق العبد فيمتثل ويكون ذلك من سعادته، وقد لا

يوفق فلا يمتثل فيكون عاصياً.

فكلمات الله الشرعية قد تطاع وقد لا تطاع من الناس، قد يطيعها بعض الناس وقد لا يطيعها بعض الناس، فإن الناس مأمورون بأن يوحدوا الله ويعبدوه ويصلوا ويصوموا، وقد أطاع هذا الأمر بعض الناس وهم القليل، وعصاه الأكثرون ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف:١٠٣] ولكن كلمات الله الكونية لا يعصيها أحد ولا يستطيع أن يخالفها أحد، فما قدره الله وما شاءه الله في الناس وفي العالم أمر كائن لا يستطيع أحد رده، فما قدره الله من موت لابد أن يكون الموت، بالفقر لابد أن يكون، بالغنى لابد أن يكون، بالحرب لابد أن يكون، وهكذا، ما قضاه الله وقدره في سابق علمه ومضى به أمره الكوني فهو واقع.

ولهذا قال العلماء: تجتمع الكلمتان والإرادتان في حق المطيع، فالمؤمن إنما أطاع بكلمات الله الكونية السابقة في علم الله أنه يطيع، ثم هو وافق الكلمات الشرعية والإرادة الشرعية، فاجتمع له الأمران، موافقة الإرادة الشرعية والكلمات الشرعية، وموافقة الإرادة الكونية والكلمات الكونية التي بها وجد هذا الشيء من طاعة وترك معصية، فصارت الإرادتان والكلمتان في حق المؤمن موجودتين، وأما في حق العاصي والكافر فليس عنده إلا الإرادة الكونية والكلمات الكونية، وقد خالف الكلمات الشرعية والإرادة الشرعية، لم يطبقها ولم يوفق لها. أهـ.

* * *

فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيئاً من

الكونيات؛ لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخِرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه، فالخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر واضح، فإن كثيراً من الناس من أهل الإيمان والتقوى لم تحصل له خوارق، لا من الصحابة ولا من بعدهم، فلم يكن هذا نقصاً في إيمانهم ولا قدحاً فيهم، فإن أكثر الصحابة لم تنقل لهم كرامات، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء وخير الناس وأفضل الناس إيماناً، فهذا لا ينقص من أقدارهم شيئاً، وهكذا من بعدهم من التابعين وأتباع التابعين والأئمة الكبار إلى زماننا هذا، هذا لا يضر، إذ قد تكون الكرامة والخارق في حقه من أسباب بطره وكبره وعجبه فيهلك بسبب ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا لم يعط شيئاً من ذلك فقد يكون خيراً له، حتى يقوى إيمانه ويزيد إيمانه بالغيب، وليس هناك ما يؤيده من المشاهدات الخارقة، فيكون هذا أكمل في إيمانه لأنه آمن بالغيب وصدق بالغيب واستقام على الغيب وتبع الغيب، فصار ذلك أكمل في إيمانه وأكمل في خضوعه لله وإخلاصه له سبحانه وتعالى، وأبعد له عن خطر العجب والكبر والترفع على الناس.

وهكذا الرياسات إذا كانت تابعة للدين ومؤيدة للدين صارت في حق صاحبها خيراً وفضلاً، وإن كانت تكسبه عجباً وكبراً وظلماً للناس صارت شراً في حقه، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعاً لها، ووسيلة إليها، لا لأجل الدين في الأصل -: فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك ما هو مأمور به، وهو على سبيل نجاة، وشريعة صحيحة، والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفاً من النار أو طلباً للجنة؛ يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم هذا غلط، قوله: ليس همي الجنة ولا النار، هذا غلط، فإن المؤمن مطلوب منه أن يهتم ويحذر ويحرص على حصول الجنة ويحذر النار، كما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام، فرجاء الجنة والخوف من النار من صفات الرسل ومن صفات المؤمنين، فالذي يعرض عن هذا على خطر من الزندقة والكفر والضلال، ولهذا قال بعض السلف: من عبدالله بالحب - بزعمه أنه يحب الله فقط - فهو زنديق، كيف لا يخاف الله ولا يرجوه؟ ومن هو حتى لا يخاف الله ولا يرجوه؟

وقد قال الله في الرسل عليهم الصلاة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء:٩٠] ولم يقل يدعوننا حباً فقط، بل يدعوننا رغباً ورهباً، رغباً في الجنة ورهباً من النار، وهكذا الرسل قال في حقهم أيضاً: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧] فالرسل والأنبياء

والمؤمنون خافوا عذاب الله ورجوا ثوابه وأحبوه حباً صادقاً حملهم على فعل طاعته وترك معصيته، لم يحملهم على الغلو أو العجب، بل حملهم على طاعة الله والخوف منه والرغبة فيما عنده، فالعبادة تكون عن حب وعن رجاء وعن خوف لا عن كبر وبطر وخيلاء وترفع على الناس. أهـ.

* * *

ثم إن الدين إذا صح علماً وعملاً فلا بد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢] فإذا استقام الدين فقد توجد المخارج، فيعطيه الله المخارج، إما بسد جوعته، وإما بوجود ما يشربه، وإما بكبت عدوه، وإما بغير ذلك، كما قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. أهـ.

* * *

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾(١) رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث له طرق جيدة يشد بعضها بعضاً، وهو من قبيل الحسن، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله عند الآية الكريمة. أهـ.

* * *

وقال تعالى، فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه»(٢).

فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس. وبالله التوفيق.

وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم: لو صحت لأشبهت المعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي ﷺ بالولي، وذلك لا يجوز!

---

(١) ضعيف، فيه عند الترمذي وغيره عطية العوفي وهو ضعيف مدلس، وهو مخرج في «الأحاديث الضعيفة» (١٨٢١). أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري، وقد مضى بيان ما فيه. أهـ ألباني

وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبيء، عند قول الشيخ: «وأن محمداً عبده المجتبى ونبيه المصطفى».

ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومنها اشتقاقها لأنها تفرسه، الفراسة من افتراس السبع لفريسته، فالفراسة تهجم على القلوب بأمارات وأسباب ظهرت للعبد، يتضح منها ما هجم على قلبه من ذلك الشيء المعين الذي تفرسه في شخص أو قبيلة أو جماعة أو دولة أو ما أشبه ذلك، بحسب ما وقع في قلبه من النور الذي نشأ عن قوة إيمانه وكمال بصيرته. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان. انتهى.

وفراسة رياضية، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبادة الرؤساء والأظناء ونحوهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأطباء أظهر، فالأظناء ليس لها معنى، إذا تأمل المريض قد يظهر له وينكشف له شيء من حركات المريض ومن نبضات قلبه ومن كذا أشياء خفية. أهـ.

* * *

وفراسة خلقية، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق، لما بينهما من الارتباط، الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه، ونحو ذلك .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يتفرس بعض الناس في هذا الشيء، فقد يصيب المتفرس وقد يخطئ، فهذه فراسات خلقية، قد يقع للمتفرس صحة ما قال وقد لا يقع، إنما هذه من جملة الأسباب وليس بشيء لازم. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها).

ش: عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان يسخط للمائة دينارٍ فكونه من علامات الساعة أن يعطى أكثر فيسخط من باب أولى، فكثير من الناس قد يعطى ألف دينار وعشرة آلاف دينار ولا يرضى، لأجل غلبة النفوس وكثرة الطمع. أهـ.

* * *

ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الظاهر من كلام العلماء أنها الفتنة التي جرت بين علي ومعاوية، وقال بعضهم إنها في التتار، لأنه قتل فيها من المسلمين أمم عظيمة وعم بلاؤها، والفتنة التي في عهد معاوية عمت العرب، ومات فيها أمم من العرب، رضي الله عنه وعن علي. أهـ.

* * *

ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[1] وروي «راية» بالراء والغين، وهما بمعنى، رواه البخاري وأبوداود وابن ماجه والطبراني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الحادثة الأخيرة

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «فضائل الشام» (ص٢٣) و(ص٦٢ـ الطبعة الرابعة) طبع المكتب الإسلامي. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري ٦/ ١٩٨ـ١٩٩ من (الفتح) ورواية «راية» بالراء - هي رواية أبي داود، كما نص عليه الحافظ. وفي معناه حديث لعبدالله بن عمرو بن العاص، رواه أحمد في المسند: ٦٦٢٣.

لم تقع، وسوف يقع ما أخبر به النبي ﷺ، وهم قد غدروا كثيراً، لكن أنهم يأتون على ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ما حصل، والحروب الصليبية فيما سمعنا أنهم لم يأتوا بهذا العدد الذي أخبر عنه النبي ﷺ. أهـ.

* * *

وعن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١) رواه مسلم.

وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ، فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى(٢)، كأن عينة عنبة طافية»(٣)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر»(٤) فسره في رواية: أي كافر.

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ١٧٩) وأحمد أيضاً (٤/ ٦-٧).أهـ ألباني

(٢) قلت: في بعض الأحاديث أنه أعور العين اليسرى، لكن حديث ابن عمر هذا أرجح لاتفاق الشيخين عليه كما قال الحافظ ابن حجر، وأشار إليه ابن عبدالبر، على أن بعضهم حاول الجمع بما تراه مبسوطاً في الفتح (١٣/ ٩٧) فليراجعه من شاء.أهـ ألباني

(٣) صحيح.أهـ ألباني

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢/ ٣٩) وقال: «حديث حسن صحيح» قلت: وهو على شرط الشيخين، ثم رأيته في البخاري (٧١٣١) ومسلم (٨/ ١٩٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومع هذا يتبع، مع هذا البيان العظيم من الرسل والأنبياء ومحمد عليه الصلاة والسلام، مع هذا يتبعه الأمم العظيمة، ومن عظم فتنته أن الله شرع لنا أن نستعيذ منه في آخر كل صلاة، وفي حديث هشام بن عامر: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال**»(١)، والمشهور أن العور في عينه اليمنى، ولكن جاء في بعضها الروايات أن عينه اليسرى فيها بعض الشيء وليست بسليمة(٢).

ومن المعلوم في أولها أن الدجال قبل المسيح، ثم المسيح بعد الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، أما البقية ففيها اختلاف بين أهل العلم لتعدد الروايات، وآخرها خروج النار، هذا آخرها، وطلوع الشمس من

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب في بقية من أحاديث الدجال، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال بلفظ «**الدجال أعور العين اليسرى جُفال الشعر معه جنة ونار..**» من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأورده ابن كثير في تفسيره عند سورة النساء، آية (١٦٥) فقال: وقال عبدالله بن الإمام أحمد: وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبدالمتعالي بن عبدالوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال: قال أبو سعيد: هل تقول الخوراج بالدجال؟ قال: قلت لا، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إني خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه، وإني قد تبين لي فيه مالم يبين، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري**» ثم قال ابن كثير: وقد رويناه في الجزء الذي في رواية أبي يعلى الموصلي عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني خاتم ألف ألف نبي أو أكثر وما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال..**» وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف، وقد تكون مقحمة والله أعلم، وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم.أهـ.

مغربها وخروج الدابة متقاربان، أيهما خرجت فالأخرى على إثرها، والنار جاء في إحدى الروايات أن خروجها من قعر عدن(١)، وجاء في الرواية الأخرى من الشرق(٢)، وقال بعضهم ولعلها تخرج من عدن ثم تمتد وتزيد حتى يكون لها خروج من الشرق. أهـ.

سؤال/ الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً!!

أجاب سماحته: قيل إنه المهدي، والمشهور أنه المهدي، وأن عيسى ينزل والمهدي يؤم الناس، فيتأخر المهدي فيأبى عليه عيسى، ويقول قد أقيمت لك، فيكمل فيهم الصلاة، ثم يؤمهم عيسى بعد ذلك ويكون هو القائد عليه الصلاة والسلام، روى هذا الحارث بن أسامة بإسناد جيد(٣).أهـ.

* * *

وروى البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقتراب ظهور الفتن، وأبوداود (٤١٤٢) كتاب الملاحم/ باب أمارات الساعة، والترمذي (٢١٨٣) كتاب الفتن/ باب ما جاء في الخسف، من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وعزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره إلى الإمام أحمد، سورة النساء، آية (١٥٩) الأخبار في نزول عيسى عليه السلام.

(٢) رواه البخاري معلقاً عن أنس، كتاب الفتن/ باب خروج النار.

(٣) مسلم في صحيحه بنحوه (١٥٦) كتاب الإيمان/ باب بيان نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، وابن حبان (٦٨١٩) ذكر بيان بأن إمام هذه الأمة عند نزول عيسى بن مريم يكون منهم دون أن يكون عيسى إماماً لهم في ذلك الزمان، كلاهما من حديث جابر رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٦٠٢.

يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تغيرت الأحوال تغيراً عظيماً، لما رأوا أمارات الساعة رخصت الدنيا، حتى يؤتى للرجل بالصرة من الذهب فيقول خذها، فيقول لو جئت بها بالأمس لأخذتها، أما الآن فلا حاجة لي بها[٢]، فاجتمع زهد وغنى، فاض المال، واجتمع كثرته وزهدهم. أهـ.

*　*　*

ثم يقول أبوهريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

وأحاديث الدجال، وعيسى بن مريم عليه السلام، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم: ويضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا

---

(١) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (١/ ٩٣-٩٤) وهو مخرج في الصحيحة برقم (٢٤٥٧) واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لاسيما والأمر دين وعقيدة. أهـ ألباني.

(٢) رواه البخاري (١٤١١) كتاب الزكاة/ باب الصدقة قبل الرد، و(١٤٢٤) باب الصدقة باليمين، و(٧١٢٠) كتاب الفتن/ باب: من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

يُوقِنُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»(١) وروى مسلم، عن عبدالله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»(٢) أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أو المراد بذلك أول الآيات التي ليس بعدها توبة ولا جهاد، يعني أول الآيات المتصلة بقيام الساعة وقريبة منها جداً ليس بعدها أمل ولا توبة، بل كل يبقى له عمله، ولا يتمكن الكافر ولا العاصي من التوبة، وهي طلوع الشمس من مغربها، إذا طلعت الشمس من مغربها فلا توبة، والظاهر أنه معلق بطلوع الشمس

---

(١) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (١/ ٩٥) بلفظ: «فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع ..» وهو رواية للبخاري بنحوه، وله عندهما شاهد من حديث أبي ذر. أهـ الباني

قال شاكر: والمسند: ٧١٦١. أهـ

(٢) صحيح مسلم (٨/ ٢٠٢). أهـ ألباني

قال شاكر: ورواه أحمد في المسند مطولاً ٦٨٨١. أهـ

من مغربها لا بخروج الدابة، لكن إذا طلعت من مغربها فالدابة على إثرها، إن كانت طلعت قبلها فهي على إثرها. أهـ.

* * *

وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة؛ أول الآيات السماوية، وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة، يضيق على بسطها هذا المختصر.

قوله: (ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة).

ش: روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم يقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني وإن لم يصدق، مجرد السؤال فيه هذا الوعيد الشديد، لأنه وسيلة إلى إظهار أمره وإشهار أمره حتى يقصده الناس، فصار الوعيد على مجرد السؤال **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»**.

وبهذا يعرف أن ما وقع في بعض نسخ التوحيد **«فصدقه»** أن هذا

---

(١) صحيح، وهو مخرج في غاية المرام (٢٨٤). أهـ ألباني

غلط، ليست في مسلم، وإنما غلط من بعض النساخ زاد «فصدقه» فالوعيد مرتب على السؤال فقط، فإذا جاء التصديق صار الوعيد أشد وهو الكفر، نسأل الله العافية، من صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، لأنه صدقه بدعوى علم الغيب.

والكهنة والرمالون وأشباههم كلهم ممن يدعي علم الغيب، ويلبس على الناس وليأكل أموالهم بالباطل، ولهذا جاء فيهم الوعيد والتحذير «**ليس منا سحر أو سحر له، ليس منا من تكهن أو تكهن له، ليس منا من تطير أو تطير له**»(١) لأن هذه الأشياء كلها تضر العقيدة وتفسد أحوال الناس، وهذا الظاهر أنها كفر أكبر لأنه تصديق في علم الغيب. أهـ.

سؤال/ لو صدقه في هذه القضية التي سأله عنها التي تتعلق مثلاً بعلاج مريضه، هل يكون صدقه بعلم الغيب؟

أجاب سماحته: هذا مسألته جزئية لا يلزم عليها الوعيد المذكور، إذا صدقه أن هذا وقع لا أنه يعلم الغيب، ولكن هذا الذي قاله قد وقع، أما أن يصدقه في علم الغيب ولو بسبب قضية معينة فإنه يعمه الحديث، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله. أهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٤٦٧) رواه البزار بإسناد جيد.أهـ ورواه الطبراني في الكبير (٣٥٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣-١٠٤: وفيه إسحاق بن الربيع العطار، وثقه أبوحاتم وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات، وكذلك رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي ٥/ ١١٧: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف، وانظر السلسلة الصحيحة ٥/ ١٩٣.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[(١)] والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن المنجم من أقبح العرافين، فإنه يدعي المعرفة بنظره في النجوم، وزعمه أنها إذا اقترنت بكذا وكذا، باسم فلان وباسم أمه وباسم أبيه ونحو ذلك صار كذا ووقع كذا مما يخرصون، فهو من جملة العرافين، ولذا سمي سحراً «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[(٢)] رواه أبوداود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس، فكونه من السحر أبلغ. أهـ.

* * *

فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد، عن عائشة، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: «ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[(٣)].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «آداب الزفاف» ص٣١ (الطبعة ٣) و«غاية المرام» (٢٨٥). أهـ ألباني

(٢) رواه أبوداود (٣٧٥٤) كتاب الطب/ باب في النجوم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في السلسلة ٢/ ٤٢٠.

(٣) صحيح، وهو في المسند (٦/ ٨٧). أهـ ألباني

خبيث، وحلوان الكاهن خبيث»(١) وحلوانه: الذي تسميه العامة حلاوته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما يعطاه الكاهن والمنجم والرمال ليخبر بالمغيبات، وهو مال خبيث مكسوب بالباطل ومكسوب بالكذب فيكون حراماً منكراً، كالبغي وما تعطاه للتمكين من الفاحشة.

والشياطين مردة الجن، مثل شياطين الإنس. أهـ.

* * *

ويدخل في هذا المعنى ما تعاطاه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها، مثل الخشبة المكتوب عليها أ ب ج د والضارب بالحصى، والذي يخط في الرمل، وما تعاطاه هؤلاء حرام، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبغوي والقاضي عياض وغيرهما.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد، قال: خطبنا رسول ﷺ بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب» (٢).

وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد، عن أبي مالك الأشعري

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم من حديث رافع بن خديج دون الجملة الرابعة، وهي في الصحيحين من حديث أبي مسعود البدري مرفوعاً بلفظ: «**نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن**». أهـ ألباني.

(٢) صحيح. أهـ ألباني.

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب[١]، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٢].

والنصوص عن النبي ﷺ وأصحابه وسائر الأئمة، بالنهي عن ذلك؛ أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها.

وصناعة التنجيم، التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمريج بين القرى الفلكية والفوايل الأرضية؛ صناعة محرمة بالكتاب والسنة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الاستدلال بالنجوم له أحوال، وكذلك التنجيم بالنجوم له أحوال ثلاثة:

الحال الأول: هو استعمال التنجيم لمعرفة الحوادث ومعرفة أمر الغيب، وزعم أن هذه النجوم في سيرها واجتماعها وافتراقها لها أثر في حياة الناس وموتهم وغير ذلك من شئون الحياة، هذا كفر أكبر وكفر بالربوبية، وإذا ادعى معه علم الغيب صار كفراً آخر من جهة دعواه علم الغيب، ومن جهة زعمه أن النجوم مؤثرة وفاعلة في موت وحياة وغير ذلك، فإن زعم أن هذا بأسباب، وأن المصرف هو الله؛ صار كفراً من جهة دعوى علم الغيب، وأنه يعلم بهذا من المغيبات، وأن لها سراً في علم الغيب، وكذب على الله في زعمه أن لها تسبباً.

الحال الثاني: أن لا يعتقد ذلك، وأن لا يعتقد علم الغيب فيها، ولكن يقول إن اقترانها واجتماعها قد جعله الله سببا لكذا وكذا، فهذا أيضاً باطل

---

(١) الفخر بالأحساب، هكذا الحديث، ابن باز.

(٢) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (٢٧) و «الأحاديث الصحيحة» (٧٣٤). أهـ ألباني.

ومنكر وداخل في الذم والنهي والتحذير.

الحال الثالث: أن لا يعتقد ذلك وإنما يتعلم سيرها ليعرف أوقات ومواضع البلدان والمياه، من باب علم السير لا علم التأثير، وهو علم التسيير، تعلم المنازل ليعلم بها جهات البلدان والطرقات إليها وإلى المياه، كذلك القبلة، فهذا لا بأس به على الصحيح، لكن لا يعبر بالباء، ولا يقال علمنا بنوء كذا أو مطرنا بنوء كذا أو سرنا بنوء كذا أو ما أشبه ذلك، ولكن بعبارة أخرى، بـ: «في» فيقول إذا كانت الثريا في كذا أو إذا دخل النجم الفلاني أو طلع النجم الفلاني في وقت كذا وفي وقت كذا، أو إذا كان في منزلة كذا في الجهة الفلانية، من باب إظهار العلامات فقط، أما أن يقول مطرنا بنوء كذا أوعلمنا كذا بكذا، فهذه الباء نهى عنها الرسول ﷺ «**من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب**»[1] لأنها تؤذن بالسببية، فإبعادها وعدم استعمالها هو الواجب تأدباً مع النص، ولو كان قصده صالحاً، وليس قصده أن لها تأثيراً أو أنها سبب علم الغيب وما أشبه ذلك. أهـ.

* * *

بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ **وقال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾.

(١) رواه البخاري (٨٤٦) كتاب الأذان/ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، و(١٠٣٨) كتاب الاستسقاء/ باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ و(٤١٤٧) كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية، ومسلم (٧١) كتاب التوحيد/ باب بيان كفر من قال «مطرنا بالنوء» من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت السحر(١).

وفي صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبوبكر، فقال له الغلام: تدري مم هذا؟ قال: وما هو؟

قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبوبكر يده فقاء كل شيء في بطنه(٢).

والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهره حب القرع، مثل ما يضربون بالحصى والنوى، يعني يلبسون على الناس ويضربون بها ويقولون: إذا كان كذا صار كذا، كله من خدمة الشياطين، مثل ما قال غلام أبي بكر: ما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، بعضهم يضرب بالحصى وبعضهم يضرب بالنوى وبعضهم يضرب بالقرع، كل هذا من التلبيس. أهـ.

* * *

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً (٤٥٨٣) كتاب التفسير/ باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ وقال الحافظ ابن حجر:

«وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنده، وعبدالرحمن بن رستة في كتاب» الإيمان «كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله، وإسناده قوي». انتهى فتح الباري ٨/ ٢٥٢ .

ورواه ابن كثير في تفسيره مسنداً، وعزاه للبغوي ١/ ٤١٦ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾.

(٢) صحيح، وهو في مناقب [الأنصار] (٣٨٤٢) مع شيء من الاختصار. أهـ ألباني

والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك، ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته، مع قدرته على ذلك - قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يكفيه ذماً وقبحاً وتحذيراً. أهـ.

* * *

وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت، بإجماع المسلمين، وثبت في السنن عن النبي ﷺ برواية الصديق رضي الله عنه، أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1].

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة، أنواع: نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكاذبين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع السحر.

---

(١) صحيح، وهو مخرج في المشكاة (٥١٢٤). أهـ ألباني

وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم.

ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟

وقال طائفة: إن قتل بالسحر يقتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه متى علم أنه ساحر أنه يقتل بغير استتابة، ويقتل كافراً، لقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢] فهو لا يعصي إلا بالشرك والكفر وخدمة الشياطين وعبادتهم من دون الله، ثم دعواه التوبة لا تنفع، لأنه قد يتظاهر بها وهو كاذب كحال المنافقين، ولأن شره لا يتدارك إلا بالقتل، ولهذا لما علم عمر بوجود بعض السحرة أمر بقتلهم ولم يستتبهم(١)، وهكذا حفصة لما عملت بسحر جارية لها قتلتها(٢).

فالمقصود أن شر السحرة لا يندفع إلا بالقتل، لأنهم يلبسون على الناس، وربما أظهروا التوبة خوفاً من السلاح وهم على شرهم وفسادهم. أهـ.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٠-١٩١) وأبوداود (٢٩٢١) كتاب الخراج/ باب أخذ الجزية من المجوس، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٦.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١٥٦٢) كتاب العقول/ باب ما جاء في الغيلة والسحر، عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة بلاغاً، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٦ (١٦٢٧٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك؛ فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأن لهم خصوصية بهذا في عبادة النجوم وفي عبادة الكواكب، مثل بعض عباد الجن وعباد النيران، يدخرون لها من الأشياء والخواص والخواتم الخاصة وبخور خاص لشيوخهم من الجن وساداتهم من الجن، وهذا نوع عبادة لهم، هذه الأشياء من أنواع العبادة لأنها تعظيم لهم، التقرب لهم بشيء يتعبد به كالطيب، عبادة، فالطيب في الأعياد والجمع وإزالة الروائح الكريهة قربة إلى الله.

أما الخواتم فلا، لأنه من جهة أن هذا لسر، فيفعلونه لسر خاص. أهـ.

سؤال/ أصحاب الزار يكفّرون؟

أجاب سماحته: نعم، إذا فعلوا هذه الأشياء التي يتقربون بها إلى الجن، وبعضهم إذا لبس الخاتم جاءه مطلوبه من الشياطين، وصار يستعمله في كذا ويستعمله في كذا، عما يقوله الذي يتعاطى الزار، وإلا لم أقف على شيء من كلام أهل العلم. أهـ.

سؤال/ قتلهم؟

أجاب سماحته/ لأنهم يتظاهرون بشيء قد لا يرجعوا عنه إلا لمجرد الخوف من السلاح، ولأن شرهم عظيم في الباطن، وإن كان تاب توبة صادقة ما ضره القتل، عُجل له الخير والسلامة، وإن كانت توبته كاذبة استراح الناس من شره، وإذا جاء تائباً قبل أن يقبض عليه وقبل أن يعرف شره قبلت توبته، هذا هو الصواب. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم، فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»(١).

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح، فزادوهم رهقاً، يعني الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً، أي إثماً وطغياناً وجراءة وشراً، وذلك أنهم قالوا:

(١) مسلم، من حديث عوف بن مالك الأشجعي. أهـ ألباني

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

قد سدنا الجن، والإنس! فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم؛ ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته وخضوعه له.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا البحث يقع فيه كثير من الناس بسبب الجهل وقلة العلم، وبسبب أن المرضى يتشبثون بكل شيء ويتعلقون بكل شيء، فالاستعاذة بالجن والالتجاء إليهم والذبح لهم والنذر، كان هذا من عادات الجاهلية، ومن أعمال الجاهلية من المشركين الأولين، فجاء الإسلام بالنهي عن هذا والتحذير من هذا، والأمر بالاستعاذة بالله وحده سبحانه وتعالى، فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا أخلاق الجاهلية وأعمال الجاهلية التي ذمها الإسلام وعابها، ومن جملتها التعلق بالجن والاستعاذة بالجن واللجأ إليهم والذبح لهم ونحو ذلك مما جرت عليه أعمال الجاهلية، فلهذا قال الله

عز وجل ذاماً لهذا الصنف من الناس: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن:٦] زادوهم رهقاً فسر بمعنيين:

أحدهما: أن الواو تعود على الإنس، يعني زاد الإنس الجن رهقاً وطغياناً وتعاظماً وتكبراً عليهم، لما رأوهم يستعيذون بهم تكبر سادتهم وأمراؤهم، وصار شرهم يزيد على الإنس إذا لم يستعيذوا بهم وإذا لم يلجأوا إليهم وإذا لم يذبحوا لهم ويعطوهم مطالبهم، وهذا من أعظم البلاء، فهم أرادوا السلامة فجاءهم شر وبلاء.

والمعنى الثاني الذي فسره به أهل العلم: أن الواو تعود على الجن ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي زاد الجن الإنس رهقاً، يعني زادوهم خوفاً وذعراً، فصاروا يلهجون بدعائهم والاستعاذة بهم والتعلق بهم خوفاً منهم، وكلا المعنيين صحيح، فإن استعاذة الإنس بالجن تزيدهم طغياناً وكفراً، وتزيد الجن الإنس رهقاً بمعنى خوفاً وذعراً، فالجن يزيدون الإنس رهقاً وذعراً وخوفاً، والإنس يزيدون الجن طغياناً وكفراً وتعاظماً وشراً.

فالواجب الاستعاذة بالله وحده، واللجأ لله وحده، ولا يجوز أبداً النذر للجن والذبح لهم أو الاستعانة بهم، بل هذا من الشرك الأكبر، لأنه من الإيمان بغير الله، وهذا ينافي قول لا إله إلا الله، وينافي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] وقد كان فريق من الجاهلية - وسار على نهجهم كثير ممن يدعون الإسلام - يذبحون للجن إذا استحدثوا أرضاً يزرعونها أو بئراً يحفرونها أو بيتاً يسكنونه ذبحوا لهم، وقالوا تتقي شرهم في هذه الأرض أو في هذا البيت أو في هذه البئر، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن الاعتصام بالله وحده واللجأ لله وحده هو الطريق

للسلامة من كل شر.

وهكذا تعلق الجهلة اليوم في أمصار كثيرة في دول كثيرة في أصحاب القبور ورفع الحاجات إليهم هو من جنس هذا، هو من الشرك الأكبر، فإن هذا أيضاً أمر دسه الشيطان على الناس، وقالوا لهم ما قالوا للأولين من الجاهلية، إن الأولياء وإن العظماء من الإنس إذا ماتوا يكون لهم جاه ويكون لهم شأن، فإذا دعوا واستغيث بهم ونذر لهم وذبح لهم شفعوا إلى الله بقضاء الحاجات، وهذا نفس شرك الأولين الذي فعله الجاهلية، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] هم لا يخلقون ولا يرزقون، فهم يعلمون ذلك من حالهم، ولكن يزعمون أنهم يشفعون لهم عند الله إذا دعوهم واستغاثوا بهم ونذروا لهم وذبحوا لهم، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ولم يقولوا: ما نعبدهم إلا ليخلقوا ويرزقوا ويعطونا الأولاد، فهم يعلمون أن الله هو الخلاق الرزاق سبحانه وتعالى، ولكن أرادوا أنهم يقربونهم ويشفعون لهم، وهذا هو نفس ما قصده عباد البدوي وعباد الحسين وعباد علي وعباد عبدالقادر وعباد غيرهم ممن يدعى من دون الله، فهو شرك الأولين بقي في الآخرين، وزاده الشيطان شدة وزادهم فيه تعلقاً حتى صاروا يعبدونهم حتى في الشدائد، فالأولون شركهم في الرخاء، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا له العبادة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فهم في حال الشدائد يخلصون لله، أما عباد البدوي وعباد القبور اليوم وعباد الأشجار والأحجار يزداد شركهم في الشدة علاوة على الرخاء، فإذا صاروا في البحار في السفن والبواخر ورأوا شيئاً من اختلال البحر صاروا يصرخون بآلهتهم، يا سيدي البدوي يا سيدي فلان يا سيدي فلان، ونسوا الله، نسأل الله العافية، فصاروا بهذا أشد شركاً من الأولين وأكفر من المشركين الأولين، لأن الأولين شركهم في الرخاء دون الشدة، أما هؤلاء المتأخرون فشركهم دائماً في الرخاء والشدة جميعاً، بل يزداد شركهم في الشدة، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

ونوع منهم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبته رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب: حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهؤلاء الذين يدعون، هم الشياطين الذين يتصورون لهم ويتمثلون لهم في صور أناس يعظمونهم ويقدسونهم، فيأتون إليهم في صور بعض الأولياء أو بعض المؤمنين، وبعضهم يعظمهم أولئك المشركون، يقولون: هؤلاء رجال

الغيب، ويقولون: هم رجال يقضون الحاجات ويسدون ما يطلبه الإنسان منهم، فهم بين شيطان تمثل لهم في صورة لا يعرفونها، أو تمثل لهم بأناس يعرفونهم.

حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لقد حدثني أناس أنهم رأوني جئتهم وقضيت لهم بعض الحوائج - في حياته - وهي شياطين تمثلت بشيخ الإسلام ابن تيمية وجاءت تقضي لهم بعض الحوائج، فظنوا أنه نفس شيخ الإسلام جاءهم في أماكن أخرى وتمثل لهم، وأنه لكرامته صارت له أحوال يتنقل بها ها هنا وها هنا، ويقضي الحوائج للذين يدعونه من دون الله، وهذا من الجهل العظيم والبلاء العظيم والشر المستطير، نسأل الله العافية، منهم من يرى البدوي ويرى عبدالقادر ويرى الرسول بزعمه، وكله ضلال وكله شر وشياطين تضلهم وتغويهم، حتى إن الأصنام قد تكلمهم، أصنامهم التي صوروها على صورة فلان وفلان وفلان، أو صور الملائكة بزعمهم، تدخل فيها الشياطين وتكلمهم منها، أو تكلمهم حولها ويظنون أنه منها. أهـ.

* * *

وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممداً للطائفتين. فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه، والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وإلا فالإنس يؤنسون، أي يشهدون ويرون، وإنما

يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله.

وسبب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة؛ عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والفقراء هم فقراء الصوفية لا فقراء المال، طائفة من الصوفية يسمون الفقراء، لأنهم بزعمهم زهدوا في الدنيا وأقبلوا على الآخرة وتبدت لهم أمور غيبية، فصاروا بها أولياء وصاروا بها يعلمون أشياء ما يعلمها غيرهم، وهم فقراء من الدين في الحقيقة، قد افتقروا من الدين وذهب عنهم دينهم، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل! وما خالفها رد، كما قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1] وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر، ملتزماً لطاعته فيما أمر، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان؛ لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى،

(١) صحيح، متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو مخرج في الإرواء (٨٨) وغاية المرام (٥) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٢-٥٣). أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، ليس للناس طريق إلا طريق محمد عليه الصلاة والسلام، ليس للناس طريق إلى الله وإلى الجنة إلا الطريق التي بعث الله بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فقط، أما الطرق الأخرى التي أحدثها عباد الشيطان وعباد الجن والمنحرفون عن الحق ومن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، فهذه الطرق كلها طرق فاسدة باطلة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣] فكل ما عدا صراط الله المستقيم فهو من السبل المضلة، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ [آل عمران:٣١] فلا طريق إلا اتباعه، ولا صراط إلا الصراط الذي بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام، وهو الإسلام وهو الهدى والإيمان، وهو طاعة الله ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، هذا هو الطريق، ما هناك طريق آخر، وهو المراد في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة:٦] وهو المراد في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يعني يا محمد ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣] وهو توحيد الله والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده وترك ما خالف شرعه، هذا هو الصراط وهذا هو الطريق وهذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان وهذا هو الهدى وهذا هو الصلاح وهذا هو الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ لا سواه، ليس هناك سواه. أهـ.

* * *

ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل!!

فإنه لا يكون، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور - إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه.

لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رفع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لآبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

فمن اعتقد في بعض البله أو المولعين، مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ، فهو ضال مبتدع، مخطئ في اعتقاده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن بعض الجهلة من عباد القبور، من عباد الأولياء، يزعمون أن البله والمجانين والصبيان وأشباههم من أولياء الله الذين يعتقد فيهم ويُدعون من دون الله ويستغاث بهم وينذر لهم، بزعمهم أنهم ليس عليهم ذنوب، لأنهم مابين مجنون وما بين صغير، هؤلاء لما كانت الذنوب ساقطة عنهم لعدم تكليفهم، زعموا أنهم يكونون من الأولياء الذين يدعون من دون الله ويستغاث بهم.

وهذا من فساد العقول وانحرافها، فإن هؤلاء حسبهم أن يكونوا تبعاً لأهلهم في النجاة، أما أنهم يكونون من أوليائه المقربين وممن تعظم حسناتهم عند الله وممن ترفع لهم الدرجات العلى وممن جاهدوا في

سبيل الله وممن لهم الأعمال العظيمة، فهذا ليس كذلك، فهؤلاء حسبهم أن يكونوا تبعاً لآبائهم في الإيمان، في دخول الجنة.

ثم لو قدر ولو فرض أن شخصاً من المؤمنين بلغ الغاية من الإيمان والتقوى والصلاح والجهاد، ما جاز لأحد أن يعبده من دون الله، فإنه بهذا لا يكون أفضل من الأنبياء، والأنبياء أفضل الناس، ومع هذا لا يعبدون من دون الله، ولا يستغاث بهم ولا ينذر لهم ولا يتوكل عليهم، بل هذا حق الله وحده ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠] فجعل التعلق على الأنبياء والملائكة كفراً بعد الإسلام، فكيف بحال هؤلاء المجانين والبله والصبيان؟

لكنْ هؤلاء المشركون في أعظم ضلال، وأبعد شيء عن النظر في المعقول فضلاً عن الهدى، كيف لمجنون ومعتوه وأبله أن يعبد ؟

وكان في الجزيرة هنا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أناس من هؤلاء البله والمجانين يعبدون من دون الله، في الدرعية وفي الخرج وفي الحوطة وبعض الأماكن، يقولون: هؤلاء أولياء، يستغاث بهم ويتبرك بهم وينذر لهم، فلما صارت دعوة الشيخ رحمه الله، وبين لهم هذا الضلال وهذا الكفر وهذا الفساد، انحسم هذا من هذه الجزيرة والحمد لله وانتهى، ولكن دعاة الشيطان ودعاة الشرك لا يزالون في كل مكان يدعون إلى الشرك، في مصر والشام والعراق وفي كل مكان، ومن جاء إلى هنا من عمال وغير عمال، حصل منهم فساد كبير وشر عظيم، لعقائدهم الفاسدة التي نشأوا عليها في البلدان هناك.

ومن ذلك ما يتعلق بدعاء الموتى والاستغاثة بالأنبياء، سواء كانوا

أنبياء أو كانوا ممن يدعى فيهم الولاية، كما فعلوا مع البدوي في مصر، وكما فعلوا مع الحسين في مصر أيضاً وفي النجف، وكما فعلوا مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في العراق، وكما فعلوا مع غيرهم بزعم أنهم أولياء، فلهذا يدعون من دون الله من بعيد، يا سيدي فلان، يا سيدي عبدالقادر، يا سيدي الحسين، أنا في جوارك، أنا كذا أنا كذا، اشف مريضي، لك عليّ كذا، لك من المال كذا، لك من البقر كذا، وهكذا، نسأل الله العافية.

هكذا تكون المصيبة العظيمة والانحراف وفساد العقول وفساد الفطر، فيتركون الحي القيوم الذي خلقهم وخلق من قبلهم، ويعبدون أناساً مرتهنين بأعمالهم في القبور، لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم شيئاً فكيف بغيرهم ؟

الحسين قتل ما دفع عن نفسه شيئاً، وعلي قتل، وعمر قتل، وهم من أشرف الصحابة وأفضل الصحابة بعد الصديق، عمر نفسه وعثمان وعلي كلهم قتلوا وهم أشرف الصحابة ما دفعوا عن أنفسهم، والحسين بن علي كذلك قتله الجيش الذي بعثه أمير العراق ما دفعوا عن أنفسهم شيئاً، فكيف يعبدون من دون الله؟ كيف يستغاث بهم بعد الموت لما كانوا في التراب وخلوا بأعمالهم؟

لكن أهل الشرك لا يعقلون، قد سلبت عقولهم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] فجعل هؤلاء المشركين أضل من الأنعام وأبعد من الهدى، ووصفهم بالغفلة عن الحق والهدى.

وقال في الآية الأخرى في سورة الفرقان: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤].

فالذين أعرضوا عن الحق وعن اتباع الرسول، وتعلقوا بالقبور وبالأصنام والأشجار والأحجار وبالبله والمجانين؛ هؤلاء أضل وأبعد عن الهدى من البهائم، نسأل الله السلامة.

فالواجب على العاقل أن يتنبه وأن يحذر ما بلي به الأكثرون من الضلال بأسباب تزيين الشيطان وتلبيسه، نسأل الله العافية.

ومن المعلوم أن الحسين قتل في العراق، ويقولون إن رأسه نقل، وهذا ليس له حقيقة، لكن أهل الشرك يتعلقون بكل شيء، وإلا ما ثبت أن رأسه نقل إلى مصر، وأغلب ما قيل في ذلك أنه حفظ في خزائن الشام أو دفن في أرض الشام لما جيء به إلى يزيد، أو رد إلى جثته في العراق، على كل حال أهل الشرك يتعلقون بكل خيط، خيط العنكبوت . أهـ.

* * *

فإن ذاك الأبله، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زوكارياً[١] متحيلاً، أو مجنوناً معذوراً! فكيف يفضل على من هو من أولياء الله، المتبعين لرسوله ؟! أو يساوى به؟! ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر؟

فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

قال يونس بن عبدالأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث

---

(١) قال شاكر: هذه لفظة مولدة، وفي شرح القاموس ٣/ ٢٤٠ «الزواكرة: من يتلبس فيظهر النسك والعبادة، ويبطن الفسق والفساد، نقله المقري في نفح الطيب».أهـ

كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة؟

فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد صدقا جميعاً الليث والشافعي رحمة الله عليهما، الليث بن سعد إمام أهل مصر وفقيه أهل مصر في المائة الثانية، والشافعي رحمه الله فقيه العراق وفقيه مصر في آخر المائة الثانية وفي أول المائة الثالثة، يقول: لا تغتروا بمن يدعي الولاية، فربما طار في الهواء ومشى على الماء مما تفعله معه الشياطين، لا تغتروا بهؤلاء حتى تعرضوا أمرهم على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وتنظروا مدى استقامتهم على الكتاب والسنة، وهل هم مستقيمون أو منحرفون؟ هل هم دعاة للحق أو دعاة للضلالة؟

فهذه الأشياء التي يفعلها بعض الناس بأسباب الشياطين ومن شعوذة الشياطين ومن خوارق الشياطين، هذه لا يغتر بها إلا الجهلة، وإن طار في الهواء وحملته الشياطين في الهواء، أو مشى على الماء، أو جعل الحجر أمامك ذهباً، أو ما أشبه ذلك من التزوير والفساد، لا يغتر بهؤلاء، لأن معهم شياطين تزور على الناس وتغير أمامهم أشياء كثيرة، من باب التزوير والتغيير والتلبيس، فالعاقل لا يغتر بهؤلاء ولا يقول إنهم أولياء، بل هؤلاء من أولياء الشياطين، حتى يعرض أمرهم على الكتاب والسنة، فإذا كانوا مستقيمين على ما قاله الله والرسول ظاهراً وباطناً فهؤلاء هم الأولياء

---

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١١١٨) ٤/ ٢٧٥، وابن بطة في الإبانة (٦٦٢) ٢/ ٥٣٥.

الذين قال فيهم سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس:٦٢-٦٣] فالولاية تكون بتقوى الله والإيمان بالله، لا بالمعاصي والمخالفات ولا بالخرافات ولا بمخارق الشياطين.

ثم لو بلغ أعظم ولاية وكان لايخطأ قط وكان مستقيماً؛ لم يكن أفضل من الرسل ولم يكن أفضل من الأنبياء، والرسل والأنبياء لا يعبدون من دون الله، فالأولياء من باب أولى. أهـ.

* * *

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله»(١) فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ،

---

(١) ضعيف، رواه أبوبكر الكلاباذي في «مفتاح المعاني» (ق/ ٢٧٥/ ١) وابن عساكر (١٢/ ٣٤٥/ ٢) وقال: «قال ابن شاهين: تفرد به مصعب بن ماهان» قلت: وهو صدوق كثير الخطأ، كما في «التقريب».

قلت: «لكن في الطريق إليه أحمد بن عيسى الخشاب، قال ابن عدي: له مناكير، ثم ساق له هذا الحديث وقال: فهذا باطل بهذا السند» ثم رواه ابن عدي (ق/ ١٦٦/ ٢) وغيره من حديث أنس بن مالك مرفوعا: «أكثر أهل الجنة البله» وقال: «منكر بهذا الإسناد، لم يروه غير سلامة بن روح» قلت: وهو ضعيف لسوء حفظه، وتابعه سفيان بن عيينة عند أبي موسى المديني في «اللطائف» (ق٧٥/ ١) ولكنه قال: «حديث غريب جداً من حديث ابن عيينة عن الزهري، وإنما يعرف هذا من رواية سلامة بن روح».

وروي مرسلاً من وجهين: الأول: عن محمد بن المنكدر، فقال المعافى بن عمران في «الزهد» (ق/ ٢٤٩/ ١): حدثنا محمد بن أبي حميد المدني عن محمد بن المنكدر مرفوعاً به: والمدني هذا ضعيف كما في التقريب.

والآخر: عن عمر بن عبدالعزيز مرسلاً مرفوعاً به وزاد: «وأعلى عليين لأولي الألباب» رواه عبدالوهاب الكلابي في «حديثه» (ق/ ١٧٦/ ٢) بسنده عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه، وعبدالعزيز صدوق يخطئ كما في «التقريب» وفيه من لم أجد ترجمته، وفي هذه الرواية رد على من قال إن هذه الزيادة لم يوجد لها أصل، وأنها مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري، فإن أحمد هذا ليس له ذكر في هذه الرواية. =

ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البله، الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»(١) ولم يقل البله!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الحديث باطل وليس بشيء، ولكن لو صح فالمراد أنهم شغلوا بطاعة الله والعبادة والإقبال عليها عما يتعلق بالدنيا وشأنها وجمعها ونحو ذلك، سموا بهذا المعنى لهذا المعنى، ولكن الحديث لا أصل له. أهـ.

* * *

والطائفة الملامية، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون نحن متبعون في الباطن، ويقصدون إخفاء المرائين! ردوا باطلهم بباطل آخر!! والصراط المستقيم بين ذلك، وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام

= وإنما أطلت الكلام على هذا الحديث لأني رأيت الشيخ أحمد شاكر رحمه الله علق عليه بقوله: «ومجموع ما قيل فيه: إنه لا أصل له»! ولا أعلم أحداً من العلماء أطلق هذا القول على الحديث، وإنما قال ذلك بعضهم في الزيادة المذكورة كما تقدم، وإذا كان مردوداً فيها، فرده عن أصل الحديث أولى وأحرى، ولا يجوز في اصطلاح المحدثين أن يقال في حديث له سند واحد أو أكثر ولو كان ضعيفاً: لا أصل له، فليعلم ذلك.أهـ ألباني.

قال شاكر: ذكره العجلوني في كشف الخفا ١٦٤:٢ بلفظ: «**أكثر أهل الجنة البله**» ومجموع ما قيل فيه أنه لا أصل له.أهـ

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس، البخاري عن عمران، وهما مخرجان في الضعيفة (٢٨٠٠) تحت حديث آخر وقع فيه زيادة منكرة.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه أحمد والشيخان من حديث ابن عباس، ورواه البخاري والترمذي من حديث عمران بن حصين، وانظر كشف الخفا ٢/ ١٣٩ .أهـ

الحسنة، مبتدعون ضالون! وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله! ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء، أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو، تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف من كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه.

وكذلك من جن من المؤمنين المتقين، يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولعاً أو متولهاً لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى يبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد يقال في هذا: إن مسألة الجنون وما يحصل من اختلال العقل يكون من جملة المصائب التي يكفر بها السيئات، فإنها مصيبة عظمى، الجنون مصيبة عظمى،

والمصائب ثبت بالنصوص أنها يكفر بها الله الخطايا وتحط بها السيئات، فما أصابه من جنون أو ضعف في العقل، أو زوال في العقل من غير أن يسمى مجنوناً، بل سمي أبله، أو سمي بغير ذلك من الأسماء، فإن هذا يكون من جملة المصائب، يرجى له بها تكفير الذنوب، لكن لا يجعله بهذا من الأولياء وهو ليس من الأولياء قبل ذلك، بل كان معروفاً بالمعاصي، فالمقصود أن هذا كله من باب المصائب.

وبزوال العقل لا تقام عليه الحدود، ومع ذلك لا تزيده درجات، وإنما يحصل له تكفير السيئات، لأن المصيبة في الأصل تكفر السيئات، أما أصحاب الخمر فإنه تقام عليهم الحدود لأنهم تعاطوا الخمر باختيارهم، تقام عليهم الحدود ويقتلون فيمن قتلوا، أما المجنون فإنه وإن قتل لا يقتل، لكن تكون الدية على العاقلة، أما أهل الخمر فإن تصرفاتهم محسوبة عليهم، إنما الخلاف في الكلام في الطلاق والعتق وأشباه ذلك، والصواب أنه لا يقع الطلاق منه إذا ثبت أنه وقع منه في حال ذهاب عقله، هذا الذي أفتى به عثمان رضي الله عنه وهو الصواب، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، لأن هذا يضره ويضر غيره جميعاً، بخلاف حد، فالحد يقام عليه، وليس إيقاع الطلاق عليه من الحد، بل هو شيء زائد، وهكذا لو أعتق عبيده لا يعتقون، ما دام ثبت أنه أعتق في حال زوال عقله، أما إذا قتل أحدا أو أخذ ماله فإنه لا يعفى عنه، لأنه يتخذ حيلة بسبب السكر، فيقام عليه حد السرقة ويقتل قصاصاً والزنا كذلك، وإنما الخلاف في القول. أهـ.

* * *

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة، من الهذيان، والتكلم لبعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطان

يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية!

وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقرباً إلى ولاية الله، كما يظنه كثير من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ   سياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين، إلا أن سر جنونهم   عزيز على أبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال، بل كافر، يظن أن في الجنون سراً يسجد العقل على بابه!! لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة، أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكهان! فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خرق عادة كان ولياً لله!!

ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ فكل من تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات، فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قد طبع الله على قلوبهم، كما قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر، طبع الله على قلبه»[1].

---

(١) صحيح، لكنه لم يروه أحد من أهل الصحيح، والمراد به البخاري أو مسلم، خلافاً لما أفاده الشارح، وإنما رواه أبوداود والنسائي وأحمد وغيرهم، وصححه الحاكم على شرط مسلم فوهم، وسنده حسن، وله شواهد في «الترغيب» وغيره.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: له شاهد أيضاً عند مسلم في الصحيح من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»[(١)] وذكره الحافظ في البلوغ في أول الجمعة، وهذا من شواهد هذا الباب.

والمقصود أن من ترك الجمع لغير عذر شرعي فهو من أسباب الختم على قلبه وخروجه من دائرة الإسلام. أهـ.

* * *

وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول، إن كان عالماً بها فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كما قال تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] فالمغضوب عليهم من عرف ولم يعمل كاليهود وأشباههم، والضال من تعبد على جهالة من غير علم. أهـ.

* * *

ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام، في تجويز

---

(١) مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة/ باب صلاة الجمعة وما يتعلق بها من أحكام من حديث عبدالله ابن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم.

الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق؛ فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: «أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم»[١].

ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه[٢]، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة؛ فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان.

وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، وحرك تر .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف كلام عظيم وكلام جيد، فمن زعم أن أحداً من الناس يستغني عن اتباع محمد ﷺ، ويزعم أنه يأتيه علم من الله رأساً، ويقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي، من زعم هذا وقال إنه بإمكانه الاستغناء عن شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن يستقل بعلم خاص من الله عز وجل ليس من طريق الأنبياء، بل من طريق أوهامه وما يقع في قلبه من

---

(١) هو قطعة من حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها «الأنبياء».اهـ ألباني

(٢) كأنه يشير إلى الحديث الذي ذكره شيخه ابن كثير في تفسير سورة الكهف بلفظ: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي» وهو حديث محفوظ دون ذكر عيسى فيه، فإنه منكر عندي لم أره في شيء من طرقه، وهي مخرجة في الإرواء (١٥٨٩).اهـ ألباني.

الخواطر، وما يزعم أنه تلقاه عن الله؛ فقد أبعد النجعة، وقد ضل عن سواء السبيل، وقد خرج عن دائرة الإسلام وصار إلى دائرة الكفر، نعوذ بالله، لأنه يلزم جميع الناس أن يتبعوا محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] فمن زعم أنه يجوز له الخروج عن شريعة محمد عليه الصلاة فقد قال قولاً عظيماً وأتى كفراً بواحاً، نعوذ بالله، وهذا كفر شنيع، وهذا يدعيه كثير من الصوفية الضالين الزنادقة، يزعمون أنهم يستغنون بما يتلقونه بزعمهم عن الله من طريق التحديث، من طريق الحديث الذي يقع في القلب، وأن الله جل وعلا يحدثهم ويأمرهم وينهاهم، وهذا من جهلهم ضلالهم ونفاقهم وبعدهم عن الهدى، فإن الخضر ليس من بني إسرائيل وليس موسى مبعوثاً إليه، فالخضر نبي مستقل ليس له تعلق بموسى، وموسى إنما بعث إلى بني إسرائيل، وكل نبي قبل نبينا يبعث إلى قومه خاصة، وغيرهم غير مسئول عنهم وغير مسئولين عنه، أما محمد ﷺ فقد بعثه الله إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس والعرب والعجم والذكور والإناث والأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين، كلهم مأمورون باتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وكلهم مأمورون بإخلاص العبادة لله وحده، فمن خرج عن طريقة محمد وعن شريعته فقد كفر بالله وضل عن سواء السبيل، ولا يكون من الأولياء كما يزعم هؤلاء الزنادقة من الصوفية أنهم يستقلون بعلم لدني من عند الله، تحدثهم قلوبهم عن ربهم، وأنهم ليسوا بحاجة إلى اتباع الأنبياء، هذا ضلال وزندقة وكفر وإلحاد، ولهذا قال الخضر لموسى لما سلم عليه قال: «**إنك على علم من علم الله علمك الله إياه لا**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أعلمه أنا، وأنا على علم من علم الله علمنيه إياه لا تعلمه أنت»(١) فالخضر له شأن وله نبوة وله وحي من جهة الله غير ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام، والأولياء ليسوا أفضل الأنبياء، والأنبياء والرسل هم أفضل الناس وهم خير الناس، ثم بعد ذلك طبقات المؤمنين على تفاوتها، فمن زعم أن الولي يكون أفضل من النبي فقد ضل وزعم قولاً باطلاً، فأولياء الله إنما يكونون محمودين ولهم الثواب العظيم إذا كانوا من أتباع الأنبياء، إذا اتبعوا الأنبياء، فكيف يكونون فوق الأنبياء؟

فإن فضلهم وكمال إيمانهم أن يكونوا متبعين للأنبياء سائرين خلف الأنبياء، ليسوا خارجين عن الأنبياء.

فالمؤمنون الخلص الكمل هم الذين أكملوا اتباعهم لأنبيائهم، واجتهدوا في تطبيق ما جاءت به أنبياؤهم، والكمل من المؤمنين في أمة محمد ﷺ هم الذين استقاموا على طريقة نبيهم ﷺ وحافظوا عليها وجاهدوا أنفسهم في ذلك، حتى أدوا ما أوجب الله وتركوا ما حرم الله، فصاروا بهذا من المؤمنين، وصاروا من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بسبب اتباعهم للنبي ﷺ وبسبب استقامتهم على طريقه وأدائهم ما أوجب الله عليهم وتركهم ما حرم الله عليهم، وكلما كان

---

(١) رواه البخاري (١٢٢) كتاب العلم/ باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، و(٣٤٠١) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، و(٤٧٢٥) كتاب التفسير/ باب قوله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝﴾ و(٤٧٢٦) باب قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝﴾ و(٤٧٢٧) باب قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ ومسلم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل/ باب فضل الخضر ﷺ، من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

خوفهم من الله أكثر، وكلما كان اتباعهم للنبي ﷺ أكمل في الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، وكان اتباعهم أكمل في الدعوة إلى الله والتبليغ عن الله؛ صار إيمانهم أقوى وأكمل، والله المستعان. أهـ.

* * *

وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظرة ؟!

وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ إلى آخر السورة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا جنون، هؤلاء الذين يقولون هذه المقالات أصابهم هوس وأصابهم نوع من الجنون، فيتكلمون بكلام لا يقوله إلا المجانين، فإن كون الكعبة تطوف بأحد، أو تخرج من مكانها وتطوف بأحد من الأولياء، هذا لا يقوله من يعقل، هذا لا يقوله إلا مجنون معتوه قد ضاع عقله، فالكعبة في مكانها لا تخرج لأحد ولا تطوف بأحد، هي في مكانها مستقرة، ولم تخرج للنبي ﷺ ولا لغير النبي ﷺ وهو أفضل الخلق.

والمقصود أن كلام بعض الصوفية كلام فيه من الهوس والفساد ـ فساد العقل ـ وما يدل على أنه ضاعت عقولهم وتكلموا بما يقوله المجانين وأشباه المجانين. أهـ.

* * *

قوله: (ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً).

ش: قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقد تقدم قوله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»(١) وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن الواجب هو التمسك بالحق والاجتماع على الحق والتعاون على البر والتقوى، وترك الخلاف والنزاع والخروج على ولاة الأمور، فإن الله جل وعلا أمر الناس بأن يعتصموا بحبله جميعاً، قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ

---

(١) صحيح، رواه أبوداود وغيره، وقد مضى، وأما الرواية التي بعدها ففيها ضعف كما تقدم هناك. أهـ ألباني

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فالواجب هو الاجتماع على الحق والتعاون على البر والتقوى، وعلاج الأمور التي توجب الاختلاف والشقاق بالحكمة، على ضوء كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة، وعدم منع يد من طاعة، بل يجب على الجميع أن يكونوا منقادين لما جاء به الشرع متمسكين به متعاونين عليه، متعاونين ضد خلافه، مطيعين لولاة أمرهم في المعروف، تاركين للشقاق والخلاف الذي يفضي إلى النزاع والانقسام، حتى يكون الحق بينهم ظاهراً، وحتى تختفي بينهم الرذائل التي حرمها الله عز وجل، ولهذا قال: «نرى الجماعة حقاً وصواباً» فالجماعة حق وصواب، يجب التمسك بالجماعة والحذر من أسباب الشقاق والخلاف الذي يضر الجميع ولا يفيد إلا الأعداء.

ورواية الترمذي فيها ضعف، ولكن معناها صحيح، فهي تفسر الجماعة، فإن الجماعة هي المتمسكة المستقيمة على الكتاب والسنة. أهـ.

* * *

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد»(١).

---

(١) صحيح الإسناد، وأقول الآن: كلا، ولا أدري كيف وقع هذا، فالسند ضعيف كما هو مبين في «تخريج المشكاة» (١٨٤) ثم في الأحاديث الضعيفة (٣٠١٦) وضعيف الجامع الصغير (١٤٧٧). أهـ ألباني

قال شاكر: المسند: ٥/ ٢٣٢-٢٣٣ (طبعة الحلبي) ومجمع الزوائد ٥/ ٢١٩. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: شواهده جيدة، ولكنه هنا ضعيف لأجل الانقطاع بين العلاء وبين معاذ، لكن معناه صحيح، فإن هذا هو الجماعة، فأما التحذير من الشعاب فهذا إنما يكون عند الاستقامة وصلاح القرى والمدن، فأما إذا اختلفت القرى والمدن وكثر فيها الشر والفساد وانتشر فيها أنواع الشرور، فإن الإنسان يفر بدينه من الفتن إلى الشعاب، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»(١) وفي اللفظ الآخر: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن مجاهد في سبيل الله**» قيل ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**» رواه البخاري(٢).

فالمقصود أن عند الحاجة إلى الفرار من الفتن، يفر من القرى والمدن إلى الشعاب وإلى البعد عن أهل الشر والفساد والدعوة إلى الباطل، وإذا استقامت الأحوال في المدن والقرى فهي أفضل وأقرب إلى الجماعة والتعاون على الخير والتعلم والتفقه في الدين.

فهذا الأثر على ما فيه من الضعف محمول على ما إذا استقامت الأحوال، فإذا اختلت الأمور فلا مانع من الخروج إلى الشعاب والفرار

---

(١) رواه البخاري (١٩) كتاب الإيمان/ باب من الدين الفرار من الفتن، و(٣٣٠٠) كتاب بدء الخلق/ باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، و(٣٦٠٠) كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، و(٦٤٩٥) كتاب الرقاق/ باب العزلة راحة من خلطاء السوء، و(٧٠٨٨) كتاب الفتن/ باب التعرب في الفتنة، ورواه أبوداود (٤١٠٠) كتاب الفتن/ باب ما يرخص من البداوة في الفتنة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير/ باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، و(٦٤٩٤) كتاب الرقاق/ باب العزلة خير من خلطاء السوء، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالدين من الفتن إلى الشعاب وإلى رؤوس الجبال، ليبتعد عن الخطر في بلاده التي وقع فيها الخطر. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هاتان أهون»(١) فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية، ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن - فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى جاء في حديث آخر أنه ﷺ سأل ربه أن لا يصابوا من فوقهم ومن تحتهم، وسأل ربه أن لا يهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فلم يجبه(٣)، فالخلاف واقع. أهـ

وقد روى مالك(٤) بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها، أنها

---

(١) صحيح، وعزوه للصحيحين وهم، فإنه من أفراد البخاري كما يدل على ذلك تخريج ابن كثير إياه في التفسير، والحافظ المزي في «التحفة» (٢/ ٢٥١). أهـ ألباني

(٢) رواه الخلال في كتاب السنة (١٢٧) ١/ ١٥٢ طاعة الإمام وترك الخروج عليه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقتراب ظهور الفتن، من حديث ثوبان رضي الله عنه، و(٢٨٩٠) من حديث عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه.

(٤) لم أجده في الموطأ. أهـ ألباني

كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية، وهكذا تسلسل النزاع.

والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع؛ إذا لم ترد إلى الله والرسول، لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره، وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل، أقر بعضهم بعضاً، كالمقلدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل،

فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول، وقالوا: هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول مقلَده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه، مع أنه معذور.

ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التنوع على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم، حتى زجرهم النبي ﷺ، وقال: «كلاكما محسن»(١).

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! وهذا عين المحرم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله الشيخ من الأمور المهمة التي يخفى أمرها على كثير من الناس، فإن الواجب على المختلفين في أي مسألة كانت هو تحري الحق، ورد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، والعناية بذلك بإخلاص وصدق، فإذا خفي عليهم الأمر عذر بعضهم بعضاً ولم يظلمه ولم يبغ عليه، حتى يتضح الحق بالدليل، ثم تجد صراعات، هل هو محل اختلاف تنوع أو تضاد؟

---

(١) البخاري من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .أهـ ألباني

فإن كان اختلاف تنوع فالأمر فيه واسع، ولا يجوز لأحد أن يتعدى على أحد ولا أن يخطأ أحداً في ذلك، لأن اختلاف التنوع كله جائز، فإذا أذن بأذان بلال أو بأذان أبي محذورة، شفع الإقامة أو أوترها، استرجع في الشهادة أم لا، كذلك فيما يتعلق بأنواع التشهد وأنواع الاستفتاح، كلها بحمد الله جائزة، والله وسع فيها ونوع وجعلها عبادات، لكن يأتي بهذا تارة وهذا تارة، فلا يجوز تعدي شخص على شخص من أجل ذلك، فيقال هذا أرجح أو هذا هو الحق أو لا يجوز إلا هذا، فإن هذا نوع ظلم وعدوان وتضييق لما وسع الله، ولا مانع من أن يبين الأرجح عنده، أن هذا الأرجح عندي وهذا الأولى، أما أن يلزم غيره برأيه مع أن الله وسع ويسر، فهذا من الظلم والعدوان.

وأما اختلاف التضاد وكون الشيئين لا يجمع بينهما، بل هذا ضد هذا، فهذا يعرض على الدليل وينظر في الدليل، فأيهما رجّح الدليل فهو الحق، الحق واحد في الأشياء المتضادة، بخلاف التنوع فإنها كلها حق، فليس لأحد أن يبغي ويظلم لمجرد هواه بغير حجة ولا برهان. أهـ.

* * *

كذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه؛ ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك.

ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

وأما اختلاف التضاد، فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما

في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد.

والخطب في هذا أشد، لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، وهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أن كثيراً من الناس في ما يتعلق باختلاف التضاد، قد يحمله هواه وجهله أو ما في قلبه من الغل على أخيه أن يرد حقه وباطله، فلا يقبل لا حقه ولا باطله، بل يرد الجميع، والواجب التفصيل، فأخذ الحق واجب ورد الباطل واجب، فإذا كان مع أخيك حق تأخذ الحق وتلتزم به وترد الباطل، ولا تردهما جميعاً، فمن الإنصاف والواجب أن تفصل، كما أنه يفصل هو أيضاً ويقبل الحق ممن جاء به ويرد الباطل على من جاء به، ولا يرد الحق والباطل جميعاً لأجل الهوى أو الجهل أو نحو ذلك، بل الواجب النظر والإنصاف، وعدم رد الحق من أجل أنه قارنه باطل. أهـ.

* * *

وأما أهل البدعة، فالأمر فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما تبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا، لكن نور على نور.

والاختلاف الأول، الذي هو اختلاف التنوع، الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ

﴿أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم، وترك آخرون.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في الحرب عند الحاجة إلى ذلك في الحرب، لأن العدو قد يتخذ الشجر وقد يؤذي المسلمين بسبب الشجر، أو لأن المسلمين أرادوا إذلالهم وإتلاف بعض أموالهم لئلا يستعينوا بها على المسلمين، ومثل الذين صلى بعضهم في الطريق وبعضهم أخّر العصر في بني قريظة أخذاً بأمر النبي ﷺ، فلم يعنف طائفة منهما، لأن كلاً منهما مجتهد وطالب للحق. أهـ.

❋ ❋ ❋

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة[١].

وكما في قوله: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[٢].

والاختلاف الثاني، هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذمت الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾ وقوله

(١) البخاري ومسلم عن ابن عمر. أهـ ألباني

(٢) البخاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص. أهـ ألباني

تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ الآيات.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة - من القسم الأول،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: اختلاف التنوع. أهـ.

* * *

وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١).

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين

(١) صحيح، وهو مخرج في الأحاديث الصحيحة (٨٥٠) برواية الترمذي وتصحيحه، وفي الإرواء (١٥٥و٣١٤) برواية الشيخين وغيرهما، وقد ذكرت له فيه سبع طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه .أهـ ألباني

إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

ثم الاختلاف في الكتاب، من الذين يقرون به على نوعين:

أحدهما اختلاف في تنزيله، والثاني اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض:

فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته لكونه مخلوقاً في غيره لم يقم به.

وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته.

وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل، فآمنت ببعض الحق، وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف في تأويله، الذي يتضمن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقىء في وجهه حب الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا»[(١)] وفي رواية: «يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به» وفي رواية: «فإن

---

(١) صحيح، وقد مضى. أهـ ألباني

الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء في القرآن كفر»[١] وهو حديث مشهور، مخرج في المسانيد والسنن.

وقد روى أصل الحديث مسلم في صحيحه، من حديث عبدالله بن رباح الأنصاري، أن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى النبي ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»[٢].

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه: إما أن يتأوله[٣] تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدوا ما أنزله من معانيه! وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه.

وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القران فعمل به، واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله، كما أمره النبي ﷺ بقوله: «فما عرفتم منه

---

(١) صحيح.أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج مسلم إياه.أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٣٠٤ وكذلك رواه أحمد في المسند من هذا الوجه ٦٨٠١ وهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.أهـ

(٣) الأقرب: يتأولوه، ابن باز.

فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»[١] فامتثل ما أمر به ﷺ.

قوله: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس).

ش: ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ عام في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر معلوم بالنصوص وبالإجماع، قد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم على أن دين الله واحد وهو دين الإسلام، ليس هناك دين آخر، وهو الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، وهو في الحقيقة إفراد الله بالعبادة والاستسلام لأمره والانقياد لشرعه، كما مضى في عهد آدم وعهد نوح وعهد وصالح ومن بعدهم إلى محمد ﷺ.

فدين الله استسلام لله بطاعته وتوحيده والإخلاص له، وترك لما نهى عنه، فأصله هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بالعبادة والانقياد لشرعه الذي جاءت به الرسل، في كل أمة بحسب رسولها، فإن الشرائع مختلفة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

فالإسلام في عهد آدم هو توحيد الله وإفراده بالعبادة وأداء الشريعة

(١) صحيح، وهو رواية عند أحمد (٢/ ١٨١) في الحديث (٤٦٢). أهـ ألباني

التي أُمر بها آدم والالتزام بها، وفي عهد نوح الإسلام هو دين الله وتوحيده والإخلاص له والالتزام بالشريعة التي جاء بها نوح، وفي عهد هود كذلك، هو تخصيص الله بالعبادة وإخلاص الوجه له والالتزام بالشريعة التي جاء بها هود، وهكذا في زمن صالح وزمن إبراهيم، وهكذا من بعده، إلى أن جاء محمد ﷺ خاتم الأنبياء، قد تكون الصلاة عند بعض الرسل والزكاة والصيام غير ما عند الرسول الآخر، كذلك المعاملات والمحرمات.

ولما ذهب موسى وجاء محمد، صار شرط الإسلام هو الإيمان بمحمدٍ ﷺ، لابد منه، ولما جاء عيسى صار شرط الإسلام الإيمان بعيسى، فلما كفروا بعيسى صاروا كفاراً، وهكذا، فلابد من التوحيد مع الإيمان بالرسول الحاضر، الرسول المرسل في الوقت الحاضر، ولما جاء محمد وجب عليهم الإيمان بمحمدٍ ﷺ، فمن لم يؤمن به صار كافراً، ولو عمل بكل ما جاء به موسى وعيسى، حتى يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.

فالإسلام إفراد الله بالعبادة، هو الاستسلام لما يأمر به وينهى عنه، والانقياد لذلك والرضا به والانشراح به، مع الالتزام بالشرع الذي هو الأوامر والنواهي، فمن أبى هذا الدين ولم يرض به صار من الكافرين، ولهذا قال سبحانه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فرضيه للأمة المحمدية كما رضيه لمن قبلها من الأمم، وقال في آية آل عمران: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]

سمي دين الله إسلاماً لما يتضمنه من الانقياد لله والامتثال لشرعة والوقوف عند حدوده، فمادة سلم وأسلم يتضمنان إخلاصاً لله وانقياداً، فالمؤمن سلم لله وأخلص عمله لله وحده واستسلم لأمره وشرعه وانقاد له، يرجو ثوابه ويخشى عقابه سبحانه وتعالى، فمن خرج عن هذا السبيل وهذا الطريق واتبع سوى ذلك، فليس من الإسلام في شيء. أهـ.

* * *

فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد؛ أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله تعالى، أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني الدخول فيه ميسر والخروج منه أسرع وأكثر، نسأل الله العافية، فالدخول فيه بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، عن إيمان وصدق وعلم ويقين وإخلاص ومحبه لله سبحانه وتعالى، والخروج منه يكون تارة بكلمة، تارة بفعل، تارة باعتقاد، تارة بشك، هذه أنواع الخروج، قد يخرج بقول، قد يخرج بفعل، قد يخرج بشك، قد يخرج باعتقاد جازم.

فمن الكلمات: سب الله أو سب الدين أو الرسول ﷺ أو ما أشبه ذلك.

ومن الأفعال: السجود لغير الله، امتهان المصحف، البول عليه،

تنجيسه، وغير هذا من الأفعال القبيحة المنكرة، الذبح لغير الله.

ومن الشكوك: أن يشك هل الله موجود أو غير موجود؟ هل الصلاة واجبة أو غير واجبة؟ هل الزكاة واجبة أو غير واجبة؟ هل الصوم واجب أو غير واجب؟ هل الحج مع الاستطاعة واجب أو غير واجب؟

هذا الشك كفر أكبر مستقل.

ومن الاعتقاد أن يعتقد أن لله شريكاً في العبادة، أو أن الرسول محمداً ﷺ أو غيره من الرسل ليس بصادق، أو يعتقد أن الجنة ليست بحق، أو ما هناك بعث، أو ما هناك نشور، أو يشك في ذلك، كل هذه أنواع من الكفر الأكبر والردة عن الإسلام، نعوذ بالله.

فالخروج من الإسلام بأقل شيء يخالف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، هذا يبين لك أن الأمر خطير، وأن الواجب على المكلف أن يتحفظ ويحذر من شر لسانه وشر فعاله وشر قلبه، ويسأل ربه الثبات على الحق، وأن لا يزيغ قلبه عن الهدى، فكم من زائغ وكم من هالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولي في وقته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني تفد الوفود على النبي ﷺ ويسألونه عن الإسلام، ثم يرجعون دعاة إلى قومهم في الحال، يفدون إليه جلسة واحدة يسألونه، فيعلمهم الشهادتين والصلاة والزكاة وما بعد ذلك، ثم يذهب أحدهم إلى قومه معلماً ومرشداً وداعياً وهادياً. أهـ.

* * *

واختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن، كضمام بن ثعلبة النجدي، ووفد عبدالقيس، علمهم ما لم يسعهم جهله، مع علمه أن دينه سينشر في الآفاق، ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت، بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لا بد منه؛ أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينة حال السائل، كقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم» وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق .

وقوله: «بين الغلو والتقصير» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عمله في السر؟

فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟! لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١) .

---

(١) صحيح، ولكنه عندهما من حديث أنس وليس من حديث عائشة، وإنما لها عندهما حديث آخر بغير هذا السياق، وفيه قوله ﷺ: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» وليس فيه: «فمن رغب..».أهـ ألباني

وفي غير الصحيحين: سألوا عن عبادته في السر، فكأنهم تقالوها[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن دين الله وهو الإسلام بين الغلو وبين التقصير، وسط بين الغلو والتقصير، بين الزيادة والجفاء، فلا غلو ولا جفاء، فالغلو الزيادة في الدين والبدع وعدم الرضا بما شرعه الله، هذا غلو، والله نهى عن الغلو في الدين، وقال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٢] مثل ما قال هؤلاء، أحدهم يقول لا أنام على الفراش، والثاني يقول لا آكل اللحم، وآخر يقول لا أتزوج النساء، والآخر يقول أصلي ولا أنام، والآخر يقول أصوم ولا أفطر، وهذا زيادة ومشقة وغلو في الدين وتشديد.

والجفاء عدم الوقوف عند الحدود، بل يجفو وينقص، ويتعاطى المحرمات من الزنا والسرقة وشرب المسكرات والعقوق وغير هذا مما

---

(١) قلت: بل هو عند البخاري في أول «النكاح» في القصة التي قبلها، دون قوله «في السر» وهذا عند أحمد (٣/ ٢٥٩).أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ١/ ٣٩٤ ورواه البخاري أطول قليلاً ٩/ ٨٩-٩٠ ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه رقم ١٣ بتحقيقنا، وكذلك رواه أحمد في المسند ١٣٥٦٨-١٣٧٦٣-١٤٠٩٠-١٤٠٩٠- كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد وهم الحافظ ابن كثير، فذكره في التفسير ٣/ ٢١٤ فذكر أنه «في الصحيحين عن عائشة»! وقلده في وهمه تلميذه الشارح هنا، وما وجدته من حديث عائشة قط، لا في الصحيحين ولا في غيرهما، ما استطعت.أهـ

(٢) رواه أحمد ١/ ٢١٥-٣٤٧، ورواه النسائي في الصغرى (٣٠٥٧)كتاب مناسك الحج/ باب التقاط الحصى، وابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك/ باب قدر الحصى، ورواه البيهقي في السنن ٥/ ١٢٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، لكن قال النووي في المجموع ٨/ ١٣٧: إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٨) وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حرمه الله، هذا جفاء ونقص، هؤلاء لم يعطوا العبادة حقها كما أمر الله، هذا من الجفاء.

والوسط أن تؤدى العبادات على وجهها، وأن يوقف عند الحدود كما حدها الله، وأن تحذر المحارم فلا تقترف، هذا هو التوسط. أهـ.

* * *

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة: عن ابن جريج، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم في أصحابه – تبتلوا[1]، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاء، فلما نزلت فيهم، بعث النبي ﷺ إليهم، فقال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا» فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت[2].

وقوله: «وبين التشبيه والتعطيل»

تقدم أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يوصف بما وصف به نفسه،

---

(١) في تفسير ابن جرير (١٢٣٤٨، شاكر): «في أصحاب».أهـ

(٢) ضعيف بهذا السياق، وهو مرسل.أهـ ألباني

قال شاكر: رواية ابن جريج عن عكرمة ـ هذه ـ ذكرها ابن كثير في التفسير ٣/ ٢١٦، هكذا، بدون إسناد.أهـ

وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا، ونحوه.

«ومن غير تعطيل» فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف الناس به: رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى، ونظير هذا القول قوله: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا معنى كون أهل السنة والجماعة وسط بين أهل التشبيه والتمثيل وبين أهل التعطيل والتحريف، كما أنهم وسط فيما تقدم في أبواب كثيرة بين الطرفين الغالي والجافي، فهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الخوارج والمعتزلة، وبين الجفاة من المرجئة وأشباهم، فأهل السنة والجماعة يقولون بإثبات الصفات وأنها حق وأنها لائقة بالله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى لا شبيه له وكفو له ولا ند له.

أما المشبهة فغلوا في الإثبات، فأثبتوها إثباتاً جعلوه فيها مشابهاً لخلقه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والمعطلة نفوها وأبطلوها فراراً من التشبيه، وقالوا: متى أثبتناها شبهناه، فضلوا عن سواء السبيل، فالصواب ما عليه أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم، فإنهم ساروا على نهج الرسول ﷺ وعلى نهج الرسل جميعاً، فأثبتوا ما أثبته الله ورسوله، ونفوا ما نفاه الله ورسوله، وقالوا في الإثبات

إنه إثبات بريء من التمثيل والتشبيه، وقالوا في التنزيه إنه تنزيه بريء من التعطيل والتحريف، هذا قول أهل السنة والجماعة في آيات الصفات وأحاديثها، يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها وإثبات ما دلت عليه على وجه يليق بالله، مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه سبحانه وتعالى، هذا هو الحق، وهذا هو المستفاد من قوله جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] رد على المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] رد على المعطلة الذين عطلوا صفات الله ونفوها ولم يثبتوها، فالله رد عليهم بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧] ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤] ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٢٠] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه:٥] إلى غير ذلك، هذا رد على المعطلة، فالله عز وجل أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى عن نفسه مشابهة المخلوقات، هذا هو الحق، وهكذا قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٤] كله رد على المشبهة. أهـ.

* * *

وقوله: «وبين الجبر والقدر».

تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها [ليست] بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعباد، بل هي فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، بين الجبر والقدر، وأهل البدع انقسموا في هذا ما بين غال وما بين جاف، والحق بين الغلو والجفاء، فالمجبرة غلوا وقالوا: العبد مجبور ليس له فعل ولا إرادة، وشبهوه بالمرتعش الذي أصابته مصيبة في يده فصار يرتعش ولا يستطيع إمساكها، أو كأغصان الأشجار التي تحركها الرياح هكذا وهكذا، وهذا من أبطل الباطل، فالعبد له اختيار وله إرادة وليس مجبوراً، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [المدثر:٥٦] ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩] ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [الأنفال:٦٧] ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٣] ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:٧٧] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠] فلهم أفعال ولهم صنع ولهم عمل ولهم إرادة ولهم مشيئة، فليسوا مجبورين ولا مقهورين في أفعالهم، بل يأتي ما يريد مختاراً ويدع ما يريد مختاراً، فيكلم هذا باختياره ويدع هذا باختياره، ويصافح هذا باختياره ويدع هذا باختياره، ويأكل ويشرب باختياره، ويدع ذاك الطعام وذاك الشراب باختياره، وهكذا مما هو أمر معلوم بالضرورة لا ينكره إلا مكابر.

وليسوا يخلقون أفعالهم ومستغنين عن الله كما تقوله القدرية النفاة، فإنهم يقولون: إن العبد يخلق فعله، وأنه ليس لله في أفعاله قدر ولا فعل، وهذا أيضاً باطل، فالله قدر الأشياء وعلمها وأحصاها، والعبد ليس له مشيئة واختيار إلا بمشيئة الله واختياره سبحانه وتعالى، فلو شاء الله أن يجعله كذا وكذا لفعل، فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء سبحانه

وتعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير:٢٩] فالعبد له مشيئة وله اختيار وله فعل وله إرادة، ولكن بعد مشيئة الله وبعد إرادة الله، وقد سبق في علم الله ما يفعله العباد، ولا يخرجون عما سبق في علم الله، مهما أرادوا ومهما شاءوا، فهم تحت مشيئة الله وتحت إرادة الله سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وقوله: «وبين الأمن والإياس»

تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه، راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد، في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهكذا أهل السنة والجماعة، يقولون: يجب أن يكون العبد بين الأمن والإياس، فلا يكون آمناً ولا يكون قانطاً يائساً، بل بين هذا وهذا، يرجو رحمة الله ويحسن به الظن سبحانه وتعالى، ولا يقنط ولا ييأس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] وقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] يعني للتائبين، فليس لنا أن نقنط ونيأس، بل هذا سوء ظن بالله، وليس لنا أن نأمن مكر الله ونغلب جانب الرجاء ونعرض عن الخوف، بل نخاف الله ونرجوه، نخاف ونعمل ما يجب، ونرجوه سبحانه ونسارع إلى مراضيه، فلا آمنين ولا يائسين، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ

ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩] والأمن من مكر الله معناه الخلود إلى أرض الشهوات وأرض المعاصي والسيئات، وعدم الخوف من الله وعدم المبالاة بوعيده سبحانه وتعالى، وهذا منكر عظيم وخطر كبير ومن صفات الخاسرين، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٩] ولكن يجب على العبد المؤمن أن يخاف الله ويرجوه، فيحمله الخوف من الله والحذر من وعيده على الحذر من المعاصي والسيئات والمبادرة إلى الطاعات، ويحمله الرجاء وحسن الظن بالله على عدم القنوط، وأنه يعمل راجياً حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، فيؤدي ما أوجب ويدع ما حرم الله عليه، مع حسن الظن، ومع الرجاء في أن الله جل وعلا يعطيه ما وعده من الجنة والكرامة إذا أدى حقه. أهـ.

* * *

قوله: (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق).

ش: الإشارة بقوله: «فهذا» كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا.

والمشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته، وقولهم

عكس قول النصارى، شبهوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالق وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

والمعتزلة: هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبوالهذيل كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من التلبيس، فإن العدل معناه القول بأن الله جل وعلا لم يخلق أفعال العباد، حتى يكون عدلاً.

والتوحيد معناه نفي الصفات وتعطيل الله من صفاته جل وعلا، لأن إثبات الصفات عندهم نوع تشبيه وتعدد للآلهة، نسأل الله العافية.

وإنفاذ الوعيد يعني أن العصاة مخلدون في النار، ويستوجب فيهم وعيد الله، فمن مات على معصيته فهو مخلد في النار، السارق والزاني والقاتل، إذا لم يتوبوا فهم مخلدون في النار، هذا معنى إنفاذ الوعيد، وهذا من أبطل الباطل، بل هم تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم على قدر معاصيهم، ثم مصيرهم إلى الجنة بعد ذلك إذا كانوا قد ماتوا على التوحيد والإسلام.

والمنزلة بين المنزلتين حكم العصاة في الدنيا، لا كفار ولا مسلمون، ولكن منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة من أهل النار.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه الخروج على ولاة الأمور، إذا عصى ولي الأمر وجب الخروج عليه وقتاله وإن لم يكن كافراً، كما فعل الخوارج، فالخوارج والمعتزلة شيء واحد في هذه الأمور، ولهذا خرج الخوارج على علي وعلى معاوية وعلى الخلفاء بعدهم بوجود معصية اعتقدوا أنها معصية، فخرجوا عليهم بسبب ذلك وشقوا العصا وأفسدوا في البلاد.

هذه أصولهم الفاسدة، ووافقهم فيها الرافضة إلا في بعض الشيء، وزاد الرافضة عليهم بالإمامة، فجعلوا الإمامة ركناً من الأركان، وقد ضلوا وأخطأوا في ذلك أيضاً، وهم يخرجون من الإسلام بمكفرات كثيرة، مثل عبادتهم أهل البيت واعتقادهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، وهم أقسام، فالشيعة كلهم أقسام كثيرة، فيهم الكافر المرتد وفيهم دون ذلك، على حسب عقائدهم، نسأل الله العافية.

والمعتزلة بالكسر، المشهور أنهم اعتزلوا الحسن البصري وكانوا يأتونه، كان واصل بن عطاء من قادتهم يجالسه، فلما أنكر عليهم الحسن هذا المعنى اعتزلوه، والمعنى أنهم اعتزلوا أهل السنة بهذا المعتقد الفاسد، وصاروا على جانب وانحازوا على جانب من أهل السنة، فهم الذين اعتزلوا أهل السنة، وهم الذين فارقوا أهل السنة. أهـ.

* * *

ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل، وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح

منه! وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد!! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسناً للقبيح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟!

والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العدل، فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عادل لا يجور.

ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء!! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهم يقولون ذلك، ينفون سائر الصفات، كما نفوا الكلام فإنهم ينفون سائر الصفات. أهـ.

* * *

أو التناقض!

وأما الوعيد، فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد، عندهم!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من جهلهم

وعجمتهم، فإن إنفاذ الوعد هذا مما يثنى على صاحبه ويحمد عليه، فالله ينفذ وعده لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالى، فما وعد به أهل الجنة وما وعد به أهل الإيمان منفذ وحاصل، أما إنفاذ الوعيد فترك ذلك مما يحمد عليه إن تركه، فإذا عفا وغفر، فإن هذا صفة كمال، فإذا أوعدهم بالعقوبات ثم عفا عنهم وتاب عليهم، فهذا من فضله سبحانه وتعالى وإحسانه، وهكذا في الدنيا، فالعبد إذا أوعد غلامه أو أوعد غيره ثم عفا وصفح وأسقط حقه لما رأى من الفائدة في ذلك والمصلحة في ذلك، فهذا مشكور وغير مذموم إذا كان العفو في محله. أهـ.

* * *

وأما المنزلة بين المنزلتين، فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر!! وأما الأمر بالمعروف، فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا!!

وقد تقدم جواب هذه الشبه الخمس في مواضعها.

وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية، فإنما يذكرونها للاعتضاد بها، لا للاعتماد عليها،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه أصول المعتزلة، تقدم أن أصولهم الخمسة اخترعوها من كيسهم وعهدتهم، ومن آرائهم الفاسدة التي ليس لها برهان، وخالفوا فيها أهل السنة والجماعة، أخذوا أسماء، بعضها طيب وموافق في الظاهر لما جاءت به النصوص،

كالتوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أسماء صحيحة، لكن فسروها بغير معناها الذي جاءت به الأدلة الشرعية، وبغير معناها الذي درج عليه سلف الأمة، فأصولهم الخمسة وهي التوحيد والعدل وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أصولهم الخمسة، أحدثوا منها اثنين لا أساس لهما: إنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين، هذان أصلان لا أساس لهما، باطلان، وأما الأصول الثلاثة: التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه أصول لها أصل من جهة اللفظ، من جهة الأسماء، ولكن المعاني غير المعاني التي أرادوها هم، فالتوحيد عندهم نفي الصفات وإبطال الصفات، وزعموا أنا إذا أثبتنا الصفات فقد جعلنا لله شركاء، هذا من الجهل العظيم، فإن الصفات ليست شريكة للموصوف، بل هي شيء منه، فكونه عليماً وسميعاً وبصيراً وحياً وقيوماً ليست شريكة له وليست أضداداً له وليست خارجة عنه، بل هي صفاته قائمة به، والمراد بها هو الله وحده سبحانه وتعالى.

وهكذا العدل، العدل اسم محبوب للنفوس والله أمر به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] ولكن فسروا العدل بغير معناه، فسروا العدل بأن قالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، والله ليس خالقاً لأفعال العباد، وزعموا أن هذا هو مقتضى العدل، وهذا باطل، بل الله خلق الناس وخلق أفعالهم، الله خالقهم وخالق أفعالهم، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، فجميع المخلوقات كلها خلقه سبحانه، فالموجودات خلقه وإيجاده، والله خالق العباد وخالق أفعالهم، أعطاهم القدرة وأعطاهم اختياراً ومشيئة وإرادة، فهم يتصرفون مشيئة وقدرة واختيار، لكنها لا

تخرج عن مشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى.

وإنفاذ الوعيد شيء اخترعوه، وقالوا: معناه أن ما توعد الله به العصاة فهو نافذ لا يمكن العفو عنه، فما توعد به العصاة فهو نافذ وهم مخلدون في النار، نسأل الله العافية، وهذا غلط، بل الله يعفو عمن يشاء سبحانه وتعالى، ولا يلزم إثبات الوعيد، فمن صفات الكمال ومن صفات الجود والكرم، العفو وعدم إنفاذ الوعيد.

وهكذا اخترعوا المنزلة بين المنزلتين، وقالوا: العاصي لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وهذا غلط، فالعاصي مسلم، مؤمن ناقص الإيمان، حتى يفعل ما يخرجه عن الإسلام، وليس في منزلة بين منزلتين، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن ضعيف الإيمان، ليس في عداد الكفرة، وليس في مرتبة بين الإسلام والكفر، إذ ليس هناك شيء بين الإسلام والكفر، إما كفر وإما إسلام.

والخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا حق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق، قد أوجب الله على عباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من صفات أهل الإيمان، لكن أدخلوا فيه أن الولاة والأمراء إذا عصوا وجب أن يزالوا وأن يخرج عليهم بالسلاح، وخالفوا في هذا أهل السنة والجماعة، وخالفوا فيها النصوص، فقد قال النبي ﷺ: **«من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة»**[(١)]

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ **«سترون بعدي أموراً تنكرونها»** و(٧١٤٣) كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم (١٨٤٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والأحاديث التي جاءت في هذا المعنى.

فالمقصود أن هذه الأصول كلها مدخولة، كلها مخالفة لأهل السنة والجماعة وللنصوص الشرعية، وأصلان منها لا أساس لهما، وهما إنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين، هذان أصلان اخترعوهما لا أساس لهما. أهـ.

❊ ❊ ❊

فهم يقولون: لا نثبت هذه بالسمع، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل! فمنهم من لا يذكرها في الأصول، إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل، ولإيناس الناس بها، لا للاعتماد عليها!

والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب! والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم! وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه!! كما قال عمر بن عبدالعزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه.

فإذاً أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والواجب على المؤمن أن يتبع الحق وإن خالف هواه، وإن خالف شهوته، عليه اتباع الحق ويؤثره طاعة لله وتعظيماً لله ورغبة في ثوابه، كما قال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] وقال: «**حفت الجنة بالمكاره**»[1] وأما

---

(١) رواه البخاري والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، وقد تقدم.

كثير من الناس فهو مع الحق إذا وافق الهوى وضده إذا خالف الهوى، فهو في الحقيقة ما اتبع إلا هواه. أهـ.

* * *

وكما أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإذا كان تابعاً للإيمان كان من الإيمان، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحاً، وإلا فلا، فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان، كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح، وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، الذي ضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً! ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد أحسن في هذا رحمه الله، قد أحسن خالد أمير العراق في وقته حين قتل الجعد الذي دعا إلى تعطيل الصفات ونفيها، وتابع في هذا اليهود، فإنه قد أخذ مقالته عن اليهود، وأظهرها في الناس واغتر به جم غفير، فأنكر عليه السلف الصالح وصاحوا به وبينوا بدعته وخطأه وضلاله، فلهذا أفتوا أمير العراق بأن

يقتله، قال ابن القيم رحمه الله في هذا:

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخي قربان

فالمقصود أنه ضحى به، يعني قتله في ذلك اليوم نقمة وغيرة لله، وتعظيماً لأمره ونهيه، ونصراً لدينه، وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، وتحذيراً من أن يسلك ضعفاء البصائر من اتباعه هذا المسلك الخبيث. أهـ.

* * *

وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه! وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين، يقال لهم السمنية، من فلاسفة الهند، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، قالوا له: هذا ربك الذي تعبده، هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم!! فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه، نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره، فقال: إنه الوجود المطلق!! ونفى جميع الصفات، واتصل بالجعد.

وقد قيل: إن جعداً كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم، المتصلين بلبيد بن الأعصم، الساحر الذي سحر النبي ﷺ، فقتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس، وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن كان جهم أدخل في التعطيل منهم، لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

وقد تنازع العلماء في الجهمية: هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا؟

ولهم في ذلك قولان:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم كفار خارجون عن جنس الأمة، من جنس اليهود والنصارى، ليسوا من الفرق التابعة للنبي ﷺ والمنتسبة إلى الإسلام، فإن كفرهم وضلالهم يخرجهم من الثنتين والسبعين فرقة، لأن هذه الفرق هي منتسبة للإسلام على ما فيها من البدع والمعاصي والشرور، لكن هؤلاء خرجوا عنها، وصاروا من جنس اليهود والنصارى والمجوس وأشباههم، الذين ليسوا منتسبين للإسلام وليسوا منتسبين للنبي ﷺ، هذا وجه هذا القول. أهـ.

سؤال/ الثنتان والسبعون فرقة، هل هم مخلدون في النار أم لا ؟

أجاب سماحته: هذا فيه تفصيل، منهم من بدعته كفرته، ومنهم من دون ذلك. أهـ.

* * *

وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة - عبدالله بن المبارك، ويوسف بن أسباط.

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا، فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم؛ جهل وظلم، وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه، لئلا تنكسر

حرمة الخلافة مرة من بعد مرة! فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة، وخافوا، فأطلقوه، وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

ومما انفرد به جهم: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هم جبرية ومرجئة جميعاً، نسأل الله العافية، يقول ابن القيم في هذا:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في　　　عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ　　　ـهم بل حكاه قبله الطبراني

يعني قال بكفرهم من القدماء خمسمائة عالم من علماء السلف الصالح، لضلالهم وإنكارهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولا شك أن من قال هذه المقالة في إنكار أسماء الله وصفاته، وزعم أن الإيمان هو مجرد المعرفة، والكفر هو مجرد الجهل؛ أن هذا كفر وضلال وزندقة. أهـ.

* * *

وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة　　　إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله، لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام؟

فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا[1].

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بسنده إلى أبي عبدالرحمن السلمي في الفتاوى الكبرى ٥٩٩/٦.

والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أحد المعنيين، والمعنى الثاني: أنهم سموا مرجئة لإرجائهم الأعمال وعدم إدخالها في الإيمان وتغليبهم جانب الرجاء. أهـ.

* * *

وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين.

وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعلياً، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه فرق الضلالة التي نشأت في الناس وصارت سبب شر على الناس، ابتلاء وامتحان، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن: منها ما روى أبوداود في سننه، من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن

ماتوا فلا تشهدوهم»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهر كلام أهل العلم في هذا أنه بتعدد طرقه ومخارجه من باب الحسن لغيره، ويحتمل أن يلحق بالصحيح، ولهذا جزم به أبوالعباس ابن تيمية في كتبه، قال في الواسطية: «ولهذا سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة» سماهم مجوس هذه الأمة لزعمهم أن العبد يخلق فعله، فشابهوا المجوس القائلين بالأصلين.

وهو كما قال الشيخ ناصر الدين الألباني: أنه بضم بعض طرقه إلى بعض يرتقي إلى الحسن أو الصحة، ولكن نحتاج إلى جمع طرقه. أهـ.

* * *

وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها.

ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أرادأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقَين، والقدرية اعتقدوا خالقِين!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأمر آخر: وهو أن

(١) حسن، وقد تقدم.أهـ ألباني

قال شاكر: أبوداود ٤٦٩١، وروى أحمد نحوه بمعناه، في المسند ٥٥٨٤، من وجه آخر عن ابن عمر، وفصلنا القول فيه هناك.أهـ

المجوس أخضعوا الظلمة للنور فصاروا في الحقيقة يرجعون إلى خالق واحد، أما هؤلاء فزعموا أن العبد مستقل بأفعاله، إما مطلقاً وإما بأفعاله السيئة، وهذا شر من قول المجوس من وجوه كثيرة، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في صحيحه، عن سعيد بن المسيب، قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع وللناس طباخ[١]، أي عقل وقوة. فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً - يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه! وأولئك غلوا في الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في النار. أهـ.

* * *

وأولئك غلوا في الوعيد[٢] حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة! وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني الجهمية . أهـ.

* * *

(١) رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب (٤٠٢٤) كتاب المغازي/ باب:

(٢) الصواب: الوعد، ابن باز.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وهؤلاء غلوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم، فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم، وغيروه في اللفظ تارة، وفي المعنى أخرى!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني وطريق العصمة وطريق النجاة هو ما درج عليه أصحاب الرسول ﷺ واستقاموا عليه وتبعهم عليه أهل الحق من العمل بجميع ما جاءت به النصوص، فنصوص الوعيد لا تخالف نصوص الوعد، والرجاء والخوف قرينان يجب على المؤمن أن يسير إلى الله بينهما، فلا يغلب جانب الرجاء فيكون مع أهل الوعد الذين مالوا إلى الأمن وأنكروا الوعيد، ولا يكون مع أهل اليأس والقنوط، الذين مالوا مع الوعيد وأعرضوا عن جانب الرجاء والوعد، ولكن بينهما، فهو يرجو للمحسن ويخاف على المسيء، ويسير بين الرجاء والخوف إلى الله، ليس بآمن ولا قانط، بل يرجو الله ويخاف ذنوبه وسيئاته، ويعلم أن الله جل وعلا هو الخالق لكل شيء، وهو الموفق لمن شاء والهادي لمن يشاء والمضل لمن يشاء، فليس مع القدرية المجبرة ولا مع القدرية النفاة.

ويعتدل في أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، فليس مع الشيعة وليس مع الخوارج، بل هو يحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا يغلو فيهم ولا يكفرهم ولا يفسقهم، بل يعلم أنهم خيرة هذه الأمة وأنهم أفضل هذه الأمة، ولا يغلو في أحد منهم، لا بعلي ولا بغيره، بل ينزلهم منازلهم، ويعلم أنهم عبيد مربوبون مخلوقون، أكرمهم الله باتباع رسول الله ﷺ وصحبته، فلا غلو ولا جفاء.

أما الخوارج فقد جفوا وضلوا عن سواء السبيل، وأما الرافضة فجفوا في جانب غالب الصحابة، وغلو في جانب أهل البيت، فجمعوا بين الشرين، بين الجفاء والغلو جميعاً، ولهذا باءوا بالصفقة الخاسرة.

والوعد ما يتعلق بالخير، والوعيد ما يتعلق بالنار، الوعد ما يتعلق بالجنة والرجاء، مثل ما جاء في أخبار التوحيد ودخول الجنة، وما رتب الله على أعمال صالحة وأذكار وغيرها من غفران الذنوب ودخول الجنة والنجاة من النار.

وأخبار الوعيد ما يتعلق بالنار وما جاء من وعيد في المعاصي. أهـ.

* * *

فلبسوا الحق بالباطل، وكتموا حقاً جاء به نبيهم، فتفرقوا واختلفوا وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم، نفياً وإثباتاً.

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ فوحد لفظ صراطه وسبيله، وجمع السبل المخالفة له.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: «هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

---

(١) صحيح، رواه الحاكم وغيره، «تخريج السنة» (١٧). أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، فإن صراط الله واحد وسبيله واحد ودينه واحد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] وهو طاعة الله ورسوله واتباع شرعه والتمسك بكتابه وسنة رسوله عليه الصلاة السلام، هذا هو دين الله، ولا يقع في البدع والضلالات والشرور إلا من حاد عن هذا السبيل، وهذا السبيل سلكه رسول الله ﷺ وسلكه أصحابه، فالواجب على من بعدهم أن يسلكوه وأن يستقيموا عليه، فلا يردوا كتاب الله بعضه ببعض، ولا سنة الرسول بعضها ببعض، فأحاديث الرجاء تقبل على العين والرأس، ويأخذها المؤمن راجياً حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولكن لا يترك جانب الوعيد ويعرض عن جانب الوعيد ويأمن مكر الله، بل يرجو رحمته، ويستبشر بأحاديث الرجاء وما جاء في معناها، ويخاف نقمته ويحذر عقوبته، فيأخذ بأحاديث الوعيد ويبتعد عن معاصي الله عز وجل، حتى يجمع بين الأمرين، بين خوف الله وخوف غضبه، وبين رجائه وحسن الظن به سبحانه وتعالى.

وهكذا النصوص الواردة في بقية الأقسام، فيأخذ بها كلها، ولا يرد بعضها في بعض، بل يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بأن العبد مختار وله إرادة مشيئة، فيعمل بطاعة الله ويحذر معصية الله ويؤمن بقضاء الله وقدره.

وهكذا في أصحاب الرسول، يعرف فضلهم ويعرف سابقتهم ويعرف أنهم خير الأمة وأفضل الأمة، فلا يجفو في حقهم ولا يسب أحداً منهم، بل يترضى عنهم، ويحمل ما قد جاء من بعضهم مما قد يوهم شراً ونقصاً على أحسن المحامل، وأنه مجتهد طالب للحق، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

ويحب أهل بيت رسول الله ﷺ ويعرف لهم فضلهم ويترضى عنهم، ولكن لا يغلو فيهم ولا يعتقد فيهم أنهم يعبدون من دون الله، أو أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم معصومون، لا، بل هم في جملة المؤمنين في حق من استقام منهم وهداه الله منهم كعلي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وغيرهم من أهل البيت، لهم فضلهم ولهم منزلتهم عند الله، لكن ليس لأحد أن يغلو فيهم، فيدعي فيهم ما ليس لهم من العصمة أو علم الغيب أو أنهم يعبدون من دون الله ويستغاث بهم وينذر لهم كما فعل الرافضة، كل هذا شر وبلاء، نسأل الله العافية.

والمقصود أن الاعتدال هو سلوك المنهج الوسط، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، ولا تكفير لأهل الإيمان ولا غلو في الرجاء فيأمن مكر الله، لكن بين ذلك، يسير إلى الله بين الجناحين، بين الخوف والرجاء، وبين الجفاء والإفراط، فلا غلو وإفراط، ولا تفريط وجفاء، وهكذا في كل الأبواب يسير على الوسط، فلا مع المتطرفين في الغلو، ولا مع المتطرفين في الجفاء، ولكن بين ذلك. أهـ.

* * *

ومن ههنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وقد ثبت

عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[(١)] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[(٢)]؟!.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أمران:

الأمر الأول: التحذير من أخلاقهم.

والأمر الثاني: إخبار بأن هذا الواقع ولابد منه، فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فالرسول يبين لنا بأمر ربه عز وجل أن هذا واقع، وأن الأمة ستنحرف ويقع فيها الشر والفساد واتباع من قبلها من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة، وهذا واقع.

والأمر الثاني وهو الأعظم: التحذير من سلوك مسلكهم والسير في منهاجهم، وأنه إن وقع فإياكم أن تأخذوا بمنهجهم وسيرهم، فهو واقع ولابد منه، ولكن احذروا أن تأخذوا به وأن تميلوا إليه وأن تكونوا مع من سار في ركابهم. أهـ.

* * *

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى[(٣)].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي وغيره ،وصححه ابن حبان (١٧١٥-٢٢٧٩).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو مخرج فيما علقته على «إصلاح المساجد» للشيخ القاسمي رقم (٣١) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٤-٧٥) مع شواهد له (٧٢-٧٣) وله شاهد آخر مخرج في الصحيحة (٦٣٤٨).أهـ ألباني

(٣) انظر الرد على وحدة الوجود لعلي القاري ١/ ٦٤.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجه ذلك أن اليهود عندهم علم ولم يعملوا، فمن انحرف من العلماء فقد شابههم، والنصارى عندهم عبادة ولكنها على غير هدى، فمن انحرف من العباد وتعبد على غير بصيرة شابه النصارى. أهـ.

* * *

فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم - فيه شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى.

وأكثر المنحرفين من العباد، من المتصوفة ونحوهم - فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك، وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء.

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل.

أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل، هم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر

ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا القول ـ والعياذ بالله ـ أشنع قول وأخبثه، قول شنيع خبيث، نسأل الله العافية، معناه أن الرسل كذبوا وافتروا ولم يقولوا الحق، وهذا يخالف الفطر والعقول ويخالف ما جاءت به الرسل، فهو أشنع قول وأفسده لمخالفة الفطر السليمة والعقول الصحيحة والنقول الثابتة وما جاءت به الرسل، فالرسل أخبروا عن أمر واضح وعن حق، عن صفات ربهم سبحانه وعن أسمائه وعن أعماله وعن خلقه وعن حكمه سبحانه وتعالى، وأخبروا بمنتهى هذا العالم من جنة ونار وحساب وجزاء، فقد قالوا الحق وأمروا بالصدق، وليس هناك من الخلق أصدق من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وليس هناك أحد أكمل منهم أمانة وأصدق منهم لهجة وقولاً وعبادة، فهم أصدق الناس وخير الناس وأعلم الناس بالله عز وجل. أهـ.

* * *

وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمرهو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم على أي عقل وعلى أي رأي؟ هم طوائف وأمم وخلائق لا يحصيهم إلا الله، فعلى أي عقل

تأول هذه النصوص؟ وعلى أي رأي؟

آراء متناقضة وعقول متناقضة فاسدة لو كانوا يعقلون.

فالمقصود أن هؤلاء المحرفين والمعطلين قد قالوا مثل قول الآخرين في المعنى، فالمعنى أن الرسل ما قالوا بالحقيقة ولا أخبروا بالحقيقة، وإنما وكلوا الناس إلى عقولهم حتى يتأولوا هذه النصوص، وحتى يصرفوها على ما يريدون بأسماء الله وصفاته وما أخبر به عن نفسه سبحانه وتعالى، فأولئك قالوا عن الجميع، وهؤلاء قالوا عن الصفات والأسماء، فكلاهما ضل عن سواء السبيل، وكلاهما باء بالخسران المبين والكفر البواح، نسأل الله العافية.

وأهل السنة والجماعة، وهم أصحاب الرسول ﷺ، وهم أتباع الرسل أينما كانوا، وكذلك أتباعهم بإحسان، هم الذين وفقوا للحق وثبتوا عليه وهداهم الله إليه، فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءت به الرسل، وأمروا النصوص على ماجاءت عليه، ولم يأولوا ولم يحرفوا في الأسماء والصفات، ولم يقنطوا ولم يفسقوا في الأوامر والنواهي، بل أثبتوا الحق وقالوا بالحق، وأخبروا عن الله بما أخبر به عن نفسه، وبما أخبرت به عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا فيما يتعلق بالأوامر والنواهي، ولا بما يتعلق بالآخرة وأخبار الآخرة، ولا فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فقول أهل السنة هو الحق في ذلك كله، وهو الذي يطابق ما جاء به كتاب الله وما جاءت به سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو الذي يطابق ما جاءت به الرسل من أولهم وآخرهم. أهـ.

* * *

ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمداً ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وهو لا يعرف معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أيضاً من جنس ما قال هؤلاء الضالون المجرمون الجاهلون المتجاهلون، فالرسل هم أعلم الناس بما أخبروا به عن الله، وهم أصدق الناس، وهم أبصر الناس بما جاءوا به، وهكذا من تلقاه عنهم من الصحابة وأتباعهم بإحسان، هم أعلم الناس بذلك بعد الرسل. أهـ.

* * *

ويظنون أن هذه طريقة السلف!!

ثم منهم من يقول: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد، كما لا يعلم وقت الساعة! ومنهم من يقول: بل تجري على ظاهرها!! وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال أبو العباس

ابن تيمية: إن قول المفوضة شر من قول الجهمية، لأن معناه أن الرسل أخبروا بما لا يعلمون، وأنهم بلغوا الناس ما لا يعلمون، وهذا غاية في الجهالة والضلالة، بل الله أخبر الناس بما يعلمون وبما يفهمون، فالرسل بلغتهم ما يعلمون ويفهمون، وأوضحت لهم الحقائق على ما هي عليه، وأمر جل وعلا بأن يتدبر كتابه وبأن يتعقل كتابه، فلولا أنه يفهم ويعقل بلغة العرب التي نزل بها لما قال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥] وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الصافات:١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤] هذا كله واضح في أنه أنزل كتابه ليعقل ويفهم ويعلم، ولهذا قال بعد ذلك في آيات: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] فدل ذلك على أنه أراد هذه المعاني التي أخبر بها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً! ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضاً! ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص!! فهم مشتركون في أن الرسول لم يعلم أو لم يعلِم، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول على ما يوافق عقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات!! ولا يفهمون السميعات!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم فساد أقوال أهل الكلام ومضرتهم على الناس، وأن الركون إليهم ركون إلى غير شيء، وركون إلى الباطل وإلى الجهالة وإلى الفساد وإلى التشكيك، ولهذا قال الشافعي رحمه الله في حقهم: إن حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في الأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام(١).

فالمقصود أن كلامهم وخوضهم كله شر وكله باطل، وكله يفضي إلى الشك والريب وعدم البصيرة، وسوء الظن بالرسل وسوء الظن بالله عز وجل. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وغالب ما في الشرع أخذه المؤلف من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وشيخه ابن كثير، وقد ذكر جملة من هذا أبوالعباس ابن تيمية في الحموية وفي التدمرية وفي غيرهما، وقد أحسن في نقله وفي تلخيصه، رحمه الله وجزاه الله خيراً. أهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) ذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة الإمام الطحاوي صاحب العقيدة	٧٥
ترجمة الإمام ابن أبي العز الحنفي	٧٨
ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز	٧٩
مقدمة الشارح	٨٧
الرسل جاءت بأمور ثلاثة	٨٨
وجوب الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً عاماً مجملاً على كل أحد	٩٢
التأويل أقسام ثلاثة	٩٨
وجوب اتباع الرسول ﷺ في كل ما أمر به وعموم رسالته	١٠٠
من حاد عن الحق يسمي عمله إحساناً وتوفيقاً	١٠١
ماجاء به الرسول ﷺ كامل واف	١٠٢
التوحيد ومعناه	١٠٧
التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع	١١٢
الشيطان دخل على الناس في باب توحيد العبادة	١١٣
شدة اختلاف النصارى	١٢١
التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية	١٢٣
تعظيم القبور والبناء عليها والاحتفال بالمولد سببه التقليد الأعمى	١٢٥
شبهة عبّاد الحسين والكاظم والبدوي والجيلاني	١٢٨
ادعاءات الخميني	١٢٩
التوحيد ينقسم إلى قسمين باعتبار وإلى ثلاثة أقسام باعتبار آخر	١٣٢
تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾	١٤٣
أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل	١٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
أقسام التوحيد الثلاثة في سورة الفاتحة	١٥٢
شهادة التوحيد تتضمن أربعة أمور	١٥٣
من خالف الأصول حرم الوصول	١٦١
أولو العزم من الرسل خمسة وكيف استنبط العلماء ذلك؟	١٧٣
الاعتذار عن أبي إسماعيل الأنصاري	١٧٧
الغلو والإطراء	١٧٨
تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	١٨٠
أهل السنة والجماعة بين باطلين وبين طرفين	١٨١
الأمور المطلوبة ليست محل الاستخارة	١٨٣
يقال للمعطلة فيما أثبتوه نظير ما فروا منه سواء بسواء	١٨٥
خوض أهل الكلام من أسباب شكهم	١٨٧
الموجود في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، بل لا يوجد إلا معيناً مختصاً	١٩١
المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها	١٩٢
المراتب الثلاثة التي لابد منها في كل خطاب	١٩٨
تفسير القدرة وبيان أن الله تعالى لا يعجزه شيء	١٩٩
جميع النفي في حق الله ليس نفياً محضاً	٢٠٠
قاعدة أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات	٢٠١
التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة	٢٠٣
تفسير كلمة «لا إله إلا الله»	٢٠٦
استدراك العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز	٢٠٨
تفسير صفتي القدم والبقاء	٢١٠
أسماء الله توقيفية وصفاته كذلك	٢١٤

الموضوع	رقم الصفحة
بيان أن الله تعالى لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد	٢١٦
الفرق بين الإرادة الدينية والإرادة الكونية	٢١٧
القدرية تطلق على طائفتين	٢١٨
ظن بعض الروافض والصوفية	٢٢٠
حكمة الله في عدم إسلام أبي طالب	٢٢٣
التعطيل والتعليل	٢٢٦
الشيء إنما يدرك وتبلغه الأوهام إذا كان له نظراء	٢٢٨
الرد على المشبهة	٢٢٩
صفات الله لها الكمال من كل الوجوه	٢٣١
من أثبت شيئاً رمى مقابله بما لا ينبغي	٢٣٢
الجواب عن حديث «تخلقوا بأخلاق الله»	٢٣٤
آيات الصفات وأحاديثها أوضح من الشمس في رابعة النهار	٢٣٥
الكلام على صفة الحياة	٢٣٥
تفسير صفتي الخلق والرزق	٢٣٧
الموت صفة وجودية خلافاً لقول الفلاسفة	٢٣٨
استمرار صفات الكمال وصفات الذات والفعل لله تعالى	٢٣٩
هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟	٢٤١
بحث في الاسم: هل هو عين المسمى أو لا؟	٢٤٣
الرد على الجهمية والمعتزلة في الصفات	٢٤٤
البحث في التسلسل	٢٤٤
تفسير صفتي الخالق والبارىء	٢٤٩
اختلاف العلماء في أول مخلوق لله	٢٥١
اتصاف الله تعالى بالرب قبل أن يوجد مربوب، واتصافه بالخالق قبل أن يوجد مخلوق	٢٥٤
لله المثل الأعلى	٢٥٧

الموضوع	رقم الصفحة
إعراب ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	٢٥٩
خلق الله تعالى الخلق بعلمه	٢٦٠
تقدير الأقدار وضرب الآجال	٢٦٢
الدعاء المشروع وآثاره	٢٦٣
مشيئة الله نافذة، لا مشيئة العباد	٢٦٦
الهدى والضلال والرد على المعتزلة في قولهم بالأصلح	٢٦٩
وجوب الإيمان بنبوة الرسول ﷺ ورسالته	٢٧٠
البحث في المعجزات	٢٧١
القرائن التي استدلت بها خديجة والنجاشي وهرقل على صدق رسالة محمد ﷺ	٢٧٥
من رزق الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والتوبة عند الذنب تمت سعادته	٢٨٠
إنكار رسالة محمد ﷺ طعن في الرب تعالى	٢٨٥
سنة الله أن يملي لمن تعدى ثم يأخذه	٢٨٦
الفرق بين النبي والرسول	٢٨٧
كلمة الرسول تنطبق على جميع الأنبياء والرسل	٢٨٩
بعثة محمد ﷺ أكبر نعمة لعمومها وتفصيلها	٢٩٠
محمد ﷺ خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين	٢٩٣
خرافة الصوفية في أن الرسول ﷺ يحضر تجمعاتهم	٢٩٥
بحث في التفضيل بين الأنبياء	٢٩٦
التفضيل لمجرد التعصب أو الهوى أو الحمية ممنوع	٢٩٩
محمد ﷺ حبيب الله تعالى	٣٠٣
المحبة مشتركة والخلة خاصة	٣٠٤
الفرق بين المحبة والخلة	٣٠٥
مراتب المحبة	٣٠٥

الموضوع	رقم الصفحة
غاية الحب لله مع كمال الذل هو العبادة الحقيقية	٣٠٧
سرد الأسماء الحسنى مدرج	٣٠٨
المفوضة قد يشتبه أمرهم	٣١٠
الحذر من كتب العقائد التي فيها أغلاط المتكلمين	٣١١
كذب كل من يدعي النبوة بعد رسول الله ﷺ	٣١٢
الله يقيم الدلائل على صدق الصادق وكذب الكاذب	٣١٣
عموم بعثه إلى الجن والإنس	٣١٣
القول بأن من الجن رسلاً قوي	٣١٥
الغالب على اليهود والنصارى الجحد بالنبوة	٣١٧
إعراب: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٣١٨
القرآن والشريعة فيهما نور وضياء	٣١٩
القرآن كلام الله تعالى	٣٢٠
افتراق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال	٣٢٠
أقوال أهل الباطل لا تذكر إلا بالرد والإبطال	٣٢٢
المضاف إلى الله على قسمين	٣٢٤
مذهب أهل السنة في كلام الله تعالى والرد على مخالفيهم	٣٢٤
بعض المعتزلة لبس عليهم وبعضهم ملحد	٣٢٨
تكليم الله لأهل الجنة	٣٢٩
الرد على من ادعى أن كلام الله تعالى مخلوق	٣٣١
أهل الباطل لازم أقوالهم التناقض	٣٣٢
إلزام عبد العزيز الكناني لبشر المريسي في مسألة خلق القرآن	٣٣٣
الرد على من ادعى خلق القرآن	٣٣٥
مذهب الشيخ ابن باز في مسألة تكليم الله تعالى لموسى	٣٣٩
أهل السنة كلهم متفقون على أن كلام الله غير مخلوق	٣٤٤
جنس الكلام قديم ولم يزل الله متكلماً	٣٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
القديم ليس من أسماء الله	٣٤٨
الكلام القائم بالذات غير الكلام الذي يُسمع	٣٥٠
الرد على بعض الحنفية الزاعمين أن كلام الله معنى واحد	٣٥٥
الذي في المصحف هو كلام الله	٣٥٨
كلام الله بلا كيفية	٣٦٣
مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق	٣٦٥
استدلال من قال: إن الكلام معنى واحد	٣٦٦
تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله وزعم أنه قول البشر	٣٧٠
كفر من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر	٣٧١
رؤية الله تعالى لأهل الجنة والرد على المخالفين	٣٧٢
تواتر الأحاديث الدالة على رؤية الله تعالى	٣٧٨
الحافظ ابن كثير ساق أحاديث الرؤية	٣٨٠
الواجب على العالم وطالب العلم في القرآن	٣٨١
كيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه عن الكتاب والسنة؟	٣٨٥
داء أهل الأهواء تحكيم العقول والإعراض من الكتاب والسنة	٣٨٦
الاتفاق على أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا وتنازعهم في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج	٣٨٨
النصوص الواضحة في حرمان الكفار من رؤيته تعالى تعم المنافقين	٣٩١
تأويل المعتزلة نصوص الكتاب والسنة تحريف للكلام عن موضعه	٣٩٢
أنواع التأويل	
تأويل الأسماء والصفات على خلاف ظاهرها تعطيل وسوء ظن بالله تعالى	٣٩٦
الشريعة جاءت بما يطابق العقول	٣٩٧
وجوب التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره	٣٩٨
الواجب اتباع الحق مطلقاً وإن لم نعلم الحكمة	٤٠١

الموضوع	رقم الصفحة
العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد	٤٠٢
النهي عن التكلم في أصول الدين وغيرها بغير علم	٤٠٤
عمدة أهل الإيمان وعمدة أهل البدع	٤٠٥
من لم يسلم للرسول ﷺ نقص توحيده	٤٠٧
وقوع الفساد في العالم من ثلاث	٤٠٧
أصحاب الذوق الباطل وما جرهم إليه	٤٠٩
علم الجدل والكلام وحكمه	٤١٠
كتاب إحياء علوم الدين فيه شر كثير	٤١٣
متى تجوز المجادلة بالطرق العقلية؟	٤١٣
تسمية الشرك توسلاً وتعظيماً للصالحين لا يخرجه عن كونه شركاً	٤١٨
سبب الإضلال الإعراض عن تدبر كلام الله تعالى وكلام رسوله والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة	٤٢٠
اعتراف كبار علماء الكلام بوقوعهم في الحيرة والشك	٤٢٢
الرد على من أنكر رؤية الله تعالى ولو تأولها	٤٢٥
معنى التأويل في الكتاب والسنة	٤٢٨
العلوم أقسام ثلاثة	٤٣٠
معنى التأويل في كلام المتأخرين	٤٣٤
النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب	٤٣٦
التشبيه ثلاثة أنواع	٤٣٧
تنزيه الله تعالى عن الحدود والغايات	٤٤٠
الواجب في باب الصفات إثبات ما أثبته الله تعالى ورسوله، ونفي ما نفاه الله تعالى	٤٤١
قصد السلف بالحد	٤٤٣
الإسراء والمعراج حق	٤٥٠
الحوض الذي أكرم الله به رسوله ﷺ	٤٥٥

الموضوع	رقم الصفحة
ابن كثير ساق أحاديث الحوض	٤٥٥
صفة الحوض	٤٥٦
الرافضة من أجهل الناس وأضلهم	٤٥٦
أشياء ذكرت في الحوض تحتاج إلى تثبت	٤٦٠
الحوض من قبل الصراط	٤٦٢
الشفاعة وأنواعها	٤٦٣
الشفاعة التي حصل فيها الإجماع بين أهل السنة وأهل البدعة	٤٦٣
الشفاعة الخاصة والشفاعة المشتركة	٤٦٩
شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته	٤٧١
الخلود خلودان	٤٧٢
الشفاعة لأهل لا إله إلا الله ومتى تنفع قائلها	٤٧٧
حكم تارك الصلاة	٤٧٧
حكم الاستشفاع برسول الله وغيره في الدنيا	٤٨٠
الدعاء من الأمور التوقيفية	٤٨٠
توجيه الشيخ لحديث: «أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك»	٤٨٢
لا تطلب الشفاعة من الأموات	٤٨٥
الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر	٤٨٧
الوسائل المبتدعة قد تجر إلى الشرك	٤٩١
عقبات الشيطان	٤٩١
الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته	٤٩٢
مسح الظهر مثل بقية الصفات	٤٩٥
لا منافاة بين أن يكون المسح من ظهر آدم أو من ظهر بنيه	٥٠٢
العمدة في إقامة الحجة على ما جاءت به الرسل لا على الميثاق الأول	٥٠٣

الموضوع	رقم الصفحة
الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ	٥١٠
أهل الفترة وأبوا الرسول ﷺ	٥١٢
قد علم الله في الأزل أهل الجنة وأهل النار	٥١٣
كل إنسان ميسر لما خلق له والأعمال بالخواتيم	٥١٥
أصل القدر سر الله في خلقه والنهي عن السؤال: لم فعل؟	٥١٨
الإرادة الشرعية والكونية تجتمعان في حق المؤمن	٥٢١
أحاديث القدرية مجوس هذه الأمة يشد بعضها بعضاً	٥٢٤
منشأ ضلال الفرق: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضى	٥٢٧
أهل البدع بين ممثل ومعطل تعطيلاً كاملاً أو جزئياً	٥٢٩
الشيء قد يراد لغيره لا لذاته	٥٣٤
ما يقع من المعاصي والشرور فهو شر نسبي	٥٣٨
أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد والإعداد والإمداد	٥٣٩
ما يرضى من المقضي وما يسخط	٥٤٤
الصبر واجب والرضى سنة ومستحب	٥٤٥
الافتراق الذي وقع في الأمة ابتلاء وامتحان	٥٥٣
مبنى العبودية والإيمان على التسليم	٥٥٤
من كان لا يتبع إلا ما ظهرت له حكمته فهو متبع هواه	٥٥٥
العلم الموجود والعلم المفقود	٥٥٨
الإيمان باللوح والقلم	٥٦٠
اختلاف العلماء في القلم هل هو أول المخلوقات؟	٥٦٣
جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة	٥٦٥
الأقلام لا يحصيها إلا الله تعالى ولا يجزم بأنها أربعة فقط	٥٦٨
الرد على من يظن أن التوكل ينافي تعاطي الأسباب	٥٧٣
سبق علم الله بالكائنات قبل خلقها	٥٧٦

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
شرح قول الشافعي في القدرية: ناظروهم بالعلم	٥٧٨
القدرية مجوس هذه الأمة	٥٨٣
القدر يتضمن أصولاً عظيمة	٥٨٦
للقلب حياة وموت ومرض وشفاء	٥٨٧
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا على بصيرة	٥٨٨
الإنسان قد يموت قلبه وهو لا يشعر	٥٩١
غربة الإسلام في آخر الزمان	٥٩٣
العرش والكرسي حق	٥٩٨
الكلام على الزيادة التي في حديث الأوعال	٥٩٩
الكلام حول تضعيف حديث الأطيط	٦٠٠
القول بأن الكرسي موضع القدمين يحتاج إلى نص صريح	٦٠٤
الرد على من قال بدوران الأرض	٦٠٥
أخبار بني إسرائيل على أقسام ثلاثة	٦٠٧
استغناء الله عن العرش وإحاطته بكل شيء	٦٠٨
بحث الفوقية	٦١٣
تصحيح الشيخ ناصر وتضعيفه لا يؤخذ مسلماً	٦١٣
نصوص العلو المتنوعة تقرب من عشرين نوعاً	٦٢١
هل يخلو العرش من الرب عند النزول؟	٦٢٧
كلام السلف في إثبات صفة العلو	٦٣١
علو الله ثابت بالسمع والعقل والفطرة	٦٣٥
بحث في كون السماء قبلة الدعاء	٦٣٨
إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلّم موسى تكليماً	٦٤٣
محبة الله وخلته كما يليق به	٦٤٥
لما كان بيت إبراهيم عليه السلام اشرف البيوت خصهما الله بخصائص	٦٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
وجوب الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة	٦٥١
حقيقة قول الفلاسفة أنهم لم يؤمنوا بالله ولا كتبه ولا رسله	٦٥١
أصول المعتزلة الخمسة التي هدموا بها كثيراً من الدين	٦٥٤
الاختلاف في تكفير المعتزلة	٦٥٨
من خصائص سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة	٦٦٠
كلام الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر	٦٦٤
ترجيح الشيخ ابن باز	٦٦٦
الأثر الوارد في عدد الأنبياء والمرسلين	٦٨٠
أولو العزم من الرسل	٦٨٠
أهل القبلة مسلمون مؤمنون	٦٨٣
قولان لأهل السنة في الإسلام والإيمان	٦٨٤
لا نخوض في الله ولا نماري في دين الله	٦٨٦
التوسع في الأقوال في ذات الرب وصفاته على غير دليل يفضي إلى معاطب	٦٨٧
لا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين	٦٨٩
الواجب من المناظرة	٦٩٢
لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله	٦٩٦
التكفير ببعض الذنوب لا بكلها	٦٩٩
وقوع الردة لا يستلزم الزندقة	٧٠٤
الحجة على تحريم لعن المعين	٤٠٦
الجواب عن الإشكال بأن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً	٧٠٧
حجة من قال بتكفير تارك الصلاة وإن لم يجحد وجوبها	٨٠٧
الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً يخرج عن الملة	٧١٧
نرجو للمحسنين العفو والجنة	٧٢٤
عشرة أسباب تسقط معها العقوبة	٧٣٣

الموضوع	رقم الصفحة
استدراك على قول الطحاوي: والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام	٧٤١
تعريف الإيمان واختلاف الناس فيه	٧٤٧
القول بأن الخلاف مع الحنفية لفظي ليس بجيد	٧٥١
نور الإيمان في القلوب درجات	٧٥٣
الكلام في زيادة الإيمان إجمالاً وتفصيلاً	٧٥٧
أدلة أصحاب أبي حنيفة ومناقشتها	٧٦٣
الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه في الكتاب والسنة كثيرة جداً	٧٧٩
إفشاء السلام لا يلزم منه ترك الهجر المشروع	٧٨٥
أقوال العلماء في مسمى الإسلام	٧٩٣
حال اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر	٧٩٦
حكم الاستثناء في الإيمان	٨٠٣
السؤال: هل أنت مؤمن؟ ليس من هدي السلف	٨٠٦
أحاديث الآحاد متى استقامت أسانيدها فهي حجة	٨١٢
أهل البدع يعرضون النصوص على بدعتهم	٨١٤
طريقة أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول	٨١٤
خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له أفاد العلم اليقيني	٨١٦
نفاة الصفات جعلوا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ مستنداً لهم في رد الأحاديث الصحيحة	٨١٨
الواجب تقبل النصوص بالرضى والعمل لا بالتأويل والتحريف	٨٢١
الشرع الابتدائي والشرع البياني	٨٢٣
المؤمنون كلهم أولياء الرحمن	٨٢٦
ما تقوله الصوفية في اشتراط الولي كله من الأباطيل	٨٢٦

الموضوع	رقم الصفحة
تفسير معنى الولاية	٨٢٧
الناس طبقات ثلاث	٨٢٩
النفاق نفاقان	٨٣١
«من عادى لي ولياً» وما ذهب إليه بعض الملاحدة الضلال	٨٣٥
الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل	٨٣٩
أركان الإيمان	٨٤٠
الكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن حكم الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق	٨٤٢
الإيمان بالقدر خيره وشره	٨٤٧
المكاشفات تنقسم إلى قسمين	٨٥٦
أهل الكبائر من أمة محمد لا يخلدون في النار	٨٦٠
موتة العصاة في النار لا يعلم متى تكون	٨٦٤
اختلاف العلماء في تعريف الكبائر والصغائر	٨٦٤
مجرد المعرفة لا تنفع إنما الذي ينفع الإيمان	٨٧٥
الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة	٨٧٦
من أظهر بدعة أو فجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين	٨٨٠
حكم الصلاة خلف الإمام الفاجر من غير عذر والترجيح في ذلك	٨٨١
إمام الصلاة والحاكم وأمير الحرب يطاع في مواضع الاجتهاد	٨٨٣
يصلى على من مات من الأبرار والفجار	٨٨٥
لا مانع من ترك الصلاة على بعض الناس من باب التنفير عن عملهم السيئ	٨٨٦
لا نشهد لأحد معين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار	٨٨٦
بحث في المشهود لهم بالجنة	٨٨٧
للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال	٨٩٢
إذا أجمع أهل الحق على شخص أنه من أهل الجنة فهذه علامة السعادة	٨٩٣

الموضوع	رقم الصفحة
أمرنا أن نحكم بالظاهر ونهينا عن اتباع الظن	٨٩٥
وجوب طاعة ولي الأمر وإن جار إلا في معصية	٨٩٧
السلطان يتنوع وحكم طاعة الأمير إن كان كافراً	٨٩٩
الدعاة الذين على أبواب جهنم والواقع منذ أزمان بعيدة	٩٠٢
ما يقع من ولاة الأمور من الشر على الناس إنما هو بذنوب الرعية	٩٠٦
نتبع السنة والجماعة ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة	٩٠٧
نحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة	٩٠٩
المحبة مع الله والمحبة لله والفرق بينهما	٩١٠
معنى التردد في حديث «ما ترددت عن شيء..»	٩١٣
لا نقول في شيء بغير علم	٩١٣
تواتر المسح على الخفين	٩١٦
الرافضة لهم من الأغلاط والمخالفة للكتاب والسنة ما لا يحصى	٩١٨
الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين إلى قيام الساعة	٩١٩
قول الرافضة في اشتراط الإمام المعصوم خرق للإجماع ومخالفة للنصوص	٩٢٠
الإيمان بالكرام الكاتبين	٩٢١
ليس في عدد الحفظة شيء محفوظ	٩٢٢
الإيمان بملك الموت	٩٢٦
البحث في الروح والنفس	٩٢٧
المضاف إلى الله قسمان	٩٢٨
الإيمان بعذاب القبر ونعيمه	٩٣٨
أرواح المؤمنين في الجنة وإعادتها إلى الأرض إعادة مؤقتة	٩٤١
الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام	٩٤٥
سوء الفهم على الله أصل كل شر	٩٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار	٩٤٨
سؤال منكر ونكير	٩٥٣
اختلاف الناس في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة	٩٥٥
الإيمان بالبعث والجزاء والآيات الدالة على معاد البدن عند القيامة الكبرى	٩٦٠
تخبط القائلين بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة	٩٦٩
العرض والحساب	٩٧٤
الذي دل عليه القرآن نفختان	٩٧٩
الصراط	٩٨١
تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٩٨٣
الميزان	٩٨٤
المعول على وزن الأعمال وقد يوزن العامل ونفس الصحيفة	٩٩٠
الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان	٩٩٢
الإخبار بأن الجنة قيعان هو محل الغرابة	٩٩٩
اختلاف الناس في أبدية النار	١٠٠٩
نار الموحدين تفنى ونار الكفار تبقى	١٠١٠
إن الله خلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً	١٠١٨
الناس أقسام ثلاثة بالنسبة إلى الشرع	١٠٢١
الاستطاعة التي هي مناط التكليف	١٠٢٤
أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد	١٠٣٢
الرد على القدرية والمعتزلة	١٠٣٢
الذنب يكسب الذنب	١٠٤٠
العبد فاعل لفعله حقيقة ولكنه مخلوق لله	١٠٤٥
لا يكلف الله العبد إلا ما يطيق	١٠٤٦
تكلف من المؤلف في قوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم»	١٠٥١

الموضوع	رقم الصفحة
القضاء الكوني والقضاء الشرعي	١٠٥٢
تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد	١٠٥٤
في دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات	١٠٦١
الصلاة وصوم التطوع وقراءة القرآن هل تصل إلى الميت؟ وترجيح الشيخ ابن باز	١٠٦٣
الدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه	١٠٦٧
التلقين بعد الدفن ليس له أصل	١٠٦٧
دعاء الأموات من الشرك الأكبر، والصلاة والقراءة عند القبور من البدع	١٠٧٠
زيارة النساء للقبور	١٠٧١
وصول ثواب الصدقة والصوم والحج	١٠٧٢
الصيام عن الميت هل يختص بالنذر أو يصام عنه كل شيء؟	١٠٧٤
استئجار قوم للقرآن ويهدونه للميت لم يفعله أحد من السلف	١٠٨٠
قراءة القرآن وإهداؤها للميت تطوعاً بغير أجرة يصل إلى الميت	١٠٨١
اختلاف العلماء في قراءة القرآن عن القبور على ثلاثة أقوال	١٠٨٤
الله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات	١٠٨٥
الرد على من يدعي أن الدعاء لا فائدة فيه	١٠٨٩
الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع	١٠٩١
من يسأل الله ولا يعطيه أو يعطيه غير ما سأل	١٠٩٤
الله يملك كل شيء ولا يملكه شيء ويغضب ويرضى لا كأحد من الورى	١١٠١
نحب أصحاب رسول الله من غير إفراط	١١٠٩
جواب اليهود والنصارى خير من جواب الرافضة	١١١٤
التفصيل في تكفير من سب الصحابة	١١١٨
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وثبوتها بالنص	١١٢٠

الموضوع	رقم الصفحة
خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه	١١٢٧
خلافة عثمان ذي النورين رضي الله عنه	١١٣٠
خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١١٣٧
تنازل الحسن عن الخلافة يعد من مناقبه عند أهل السنة ويعد من معايبه عند الرافضة	١١٣٨
الصحابة الذين مع علي والذين مع معاوية مجتهدون	١١٤٠
الخلفاء الراشدون	١١٤٣
العشرة المبشرون بالجنة	١١٤٥
ما ادعاه الخميني من أنه نائب لمحمد العسكري صاحب السرداب	١١٥٢
الواجب على ولاة الأمور الاعتناء بأهل بيت رسول الله ﷺ	١١٥٦
لا نذكر علماء السلف من السابقين ومن بعدهم إلا بالجميل	١١٥٨
جماع الأعذار ثلاثة أصناف	١١٥٩
نبي واحد أفضل من جميع الأولياء	١١٦٠
الإيمان بكرامات الأولياء	١١٦٥
من قتل بالعين هل يقاد به أم لا؟ والتفصيل في ذلك	١١٧٠
الفراسة ثلاثة أنواع	١١٨١
أشراط الساعة	١١٨٢
عدم تصديق الكاهن والعراف	١١٨٩
التنجيم له أحوال ثلاثة	١١٩٣
وجوب إزالة الكهان والمنجمين	١١٩٥
مسألة قتل الساحر	١١٩٧
حقيقة السحر	١١٩٨
أدعياء الولاية من أصحاب الأحوال الشيطانية	١٢٠٣
بعض عباد القبور يزعمون أن البله والمجانين من أولياء الله	١٢٠٧
الملاميّة والفرق الصوفية	١٢١٣

الموضوع	رقم الصفحة
الجنون واختلال العقل من المصائب التي تكفر بها السيئات	١٢١٤
أصحاب الخلوات	١٢١٦
تحقيق قصة موسى والخضر	١٢١٧
وجوب التزام الجماعة	١٢٢٢
الأمور المتنازع فيها إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق	١٢٢٦
أنواع الاختلاف	١٢٢٧
دين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام	١٢٣٤
الدخول في الإسلام ميسر والخروج منه أنواع	١٢٣٦
الإسلام وسط بين الغلو والتقصير	١٢٣٨
الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل	١٢٤٠
الإسلام وسط بين الجبر والقدر	١٢٤٢
الإسلام بين الأمن والإياس	١٢٤٤
البراءة من الفرق الضالة	١٢٤٥
من الفرق الضالة: المعتزلة	١٢٤٦
الرافضة يخرجون من الإسلام بمكفرات كثيرة	١٢٤٧
الواجب على المؤمن أن يتبع الحق وإن خالف هواه	١٢٥٢
من الفرق الضالة: الجهمية	١٢٥٣
الجهمية هل هم من الثنتين والسبعين فرقة؟	١٢٥٤
من الفرق الضالة: الجبرية	١٢٥٧
أهل البدع من المحرفة وأهل التأويل	١٢٦٥
ومن الضالين أهل التجهيل والتضليل	١٢٦٥
قول المفوضة شر من قول الجهمية	١٢٦٩
خاتمة الشرح المبارك	١٢٧٠
الفهرس	١٢٧١

* * *